

# الجنـدر والتباين الثقافي

تأليف

الأستاذ الدكتور معن خليل العمر

ألى كل من  
أمى.... المعين الذى لا ينضب من أمومتها

وأخواتي.... الرؤومات والودودات  
وزوجتي.... الحليمة والحكيمة في تفكيرها  
وأبنتي.... الرقيقة والحصيفة في قراراتها  
وحفيدتي.... الشغوفة في حُبّ أهلها  
أهدي لهم مؤلفي هذا

الأستاذ الدكتور  
معن خليل العمر

المحتويات

## مفاتيح حقل الجندر

### الفصل الأول

#### الجندر

مفهومه ومنشأه ونشأته واختلافه وتدرجه

استهلال

1 / أ – مفهوم الجندر قديماً وحديثاً

1 / ب – نشأته

1 / ت – منشأه

1 / ث – تميزه عن الجنس

1 / ج – تطوره

1 / ح – تدرجه

### الفصل الثاني

التنشئة الجندرية والتنوع الثقافي

استهلال

2 / أ – الثقافة والتنشئة في عدم المساواة الجندرية

2 / ب – التنشئة الجندرية من قبل الوالدين

2 / ت – التنشئة الجندرية من قبل الاقران

2 / ث – التنشئة الجندرية في التربية المدرسية

2 / ج – التنشئة الجندرية في الرياضة

2 / ح – التنشئة الجندرية في وسائل الاعلام

### الفصل الثالث

## الهوية الجندرية والهوية الجنسية

استهلال

3 / أ – التغيير المثير للهوية الجندرية التقليدية في العالم الغربي

نماذج فردية لهوية الجندر الجديد

3 / ب – الهوية الجنسية

1 – ما هو اضطراب الهوية الجنسية

2 – اضطراب الهوية الجنسية

3 – اضطراب الهوية الجنسية عند المراهقين

3 / ت – الخنوثة والتحول الجنسي

1 – ثنائية الجنس

2 – الخنوثة وأنواعها والجنس الثالث

3 – آثار الخنوثة على الأسرة

4 – التحول الجنسي في الشرق الأوسط وحقائقه

5 – التحول والهوية الجنسية من الناحية النفسية

## الفصل الرابع

### موقع المؤنثة في الاقتران الزوجي

استهلال

4 / أ – المؤثرات الاجتماعية على موقع المؤنثة في الاقتران الزوجي

1 – مؤثر الأسرة الممتدة والنسب القرابي

2 – مؤثر مكان الدراسة والعمل

3 – مؤثر العمر

4 – مؤثر الجاذبية الجمالية

5 – مؤثر الضغوط الزوجية

4 / ب – الطلاق عند الجندر

4 / ت – عوائل أحادية الوالدين

1 – عائلة أحادية الوالدين تعيلها الأم

2 – عائلة أحادية الوالدين يعيلها الأب

## الفصل الخامس

### قوى استرقاق المؤنثة الشمولي

استهلال

5 / 1 - قوة الاسترقاق الشمولية الأولى: رجال الدين

1 - تعاليم رجال الدين اليهودي

2 - تعاليم رجال الدين المسيحي

3 - مكانة المرأة في الدين الإسلامي

4 - الديانة الكونفوشية في الصين

5 / ب - قوة الاسترقاق الشمولية الثانية: الثقافة الاجتماعية

1 - السلطة البطريقية - الذكورية

2 - وأدها (وأد البنت)

3 - ختانها

4 - كي صدرها

5 - تزويجها وهي قاصر

6 - عنوستها بسبب غلاء مهرها

7 - جريمة الشرف أو غسل العار

8 - العنف المكعب ضد الزوجة الهندية

5 / ت - قوة الاسترقاق الشمولية الثالثة: الحكومة

1 - العمل

2 - فجوة الأجرة

3 - السقف الزجاجي والسلم الزجاجي ذاتي الحركة

4 - التحول المضاعف

## الفصل السادس

### قوى استرقاق المؤنثة الظرفي

استهلال

6 / أ - اغتصاب الحرب لها

6 / ب - اغتصاب الرجل لها - العنف ضدها

1 - الصاق وجودها بوجود الرجل

- 2 - استغلال مواردها
- 3 - زنا المحارم
- 4 - التحرش الجنسي
- 6 / ت - اغتصاب العولمة لها - عولمة الصناعة الجنسية
- 6 / ث - اغتصاب الصناعة التكنولوجية الفنية لها - الفن الاباحي
- 6 / ج - اغتصاب العصابات الاجرامية لها
- 1 - الاتجار بها
- 2 - استرقاقها

### الفصل السابع النوع الثالث من الجندر

- 7 / أ - عدم وضوح نوع الجنس وغموض معرفته
  - 7 / ب - التوجيهات الاجتماعية للجنس
  - 7 / ت - واقع النوع الثالث من الجندر في بعض مجتمعات العالم
  - 7 / ث - المخصيون
  - 7 / ج - الخصيان والمرجلة في الأديان الثلاث
- تعقيب وتعليق

### الفصل الثامن

#### كفاح المؤنثة ومناصريها ضد استرقاقها

#### استهلال

- 8 / أ - الحركات النسوية التي دافعت عن المؤنثة ضد استرقاقها
  - 1 - موجات تطور الحركات النسوية
  - 2 - مدارس الحركة النسوية
  - 3 - كيف تعامل علم الاجتماع مع المؤنثة؟
  - 8 / ب - مناصرة الأمم المتحدة للمؤنثة ضد استرقاقها
- استهلال

- 1 - بيانات إحصائية عن عدم مساواة الجندر كونياً
- 2 - بيانات رسمية توضح الجحود والغموط لحقوق المؤنثة كونياً

- 3 – مقياس الفجوة الجندرية في عالمنا اليوم
- 4 – حقائق حيّيه ومنعشة عن المساواة الجندرية
- 5 – من أجل تحقيق المساواة الجندرية
- 8 / ت – مناصرة منظمة الصحة العالمية للمؤنثة ضد استرقاقها
- 8 / ث – مناصرة اليونسكو للمؤنثة ضد استرقاقها
- 8 / ج – مناصرة الحكومات الغربية للمؤنثة ضد استرقاقها
- 8 / ح – مناصرة العلماء للمؤنثة ضد استرقاقها
- استهلال
- 1 – مناشط الوسط الأكاديمي ضد الاسترقاق
- 2 – ميد في الطبيعة والتطبع
- 3 – واكلي في الثقافة الاجتماعية والجندر
- 4 – دارون في التطور والجينات والبيولوجي
- 8 / خ – مناصرة الزعماء الوطنيين للمؤنثة ضد استرقاقها
- 1 – الزعيم الصيني ماو تسي يونغ
- 2 – غاندي ونهرو في الهند
- 3 – سوهارتو في اندونيسيا
- 4 – لينين في الاتحاد السوفيتي (السابق)
- 8 / د – مناصرة حركات نسوية إصلاحية للمؤنثة ضد استرقاقها
- 1 – حركة جارانغ الهندية
- 2 – منظمات هندية معاصرة
- 3 – جماعة (قوة الزوجة) معاصرة

### الفصل التاسع

أطوار المؤنثة في الحضارات الغابرة  
(المعبودة التي أصحبت عبدة)

استهلال

9 / أ – عصر المؤنثة الذهبي (عصر تقديسها عند الفراعنة وبلاد ما بين النهرين  
بابل وسومر)

- 9 / ب - عصر استعبادها (عند الحضارة اليونانية والرومانية والفارسية والصينية)  
9 / ت - حكيمة عربيات عبر التاريخ

## الفصل العاشر مكانة المؤنثة في التاريخ

استهلال

- 10 / أ - المواضيع التاريخية الخاصة بالمؤنثة  
10 / ب - المجتمعات البائدة

- 1 - المجتمع اليوناني - الإغريقي
- 2 - المجتمع اللاتيني
- 3 - المجتمع الاسبارطي
- 4 - المجتمع اليوناني

- 10 / ت - مكانة المؤنثة في العصور الوسطى

- 1 - المسيحية
- 2 - مطاردة الساحرات
- 3 - الاقطاع
- 4 - عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني

## الفصل الحادي عشر أطوار الجندر في المجتمعات الحاضرة

استهلال

- 11 / أ - الضحية المطحونة في الجندر الروسي  
11 / ب - الجندر الصيني.... وانتكاس إصلاحه  
11 / ت - الجندر الياباني.... سلعة مؤقتة غير دائمة وثابتة  
11 / ث - تخضيب الجندر الهندي لجعله رمزاً وطنياً  
11 / ج - الحكمة في الجندر الاندونيسي



- 11 / ح – الجندر اللاتيني.... الأكثر جثواً وانصياعاً  
11 / خ – الجندر في العالم الإسلامي.... بين حجابين  
11 / د – الجندر العربي.... المستسلم لنمطه الثقافي  
11 / ذ – الجندر الإسرائيلي.... مساواته على ورق فقط  
11 / ر – الجندر الاسكندنافي.... النموذج الأمثل في مساواته

## الفصل الثاني عشر سبل تحرير المؤنثة من الاسترقاق الاجتماعي

استهلال

- 12 / أ – التوعية الذاتية  
12 / ب – كشف المفارقات المتناقضة في المجتمع ضد المؤنثة في العوالم الأربعة:  
1 – عالم الأسرة  
2 – عالم العمل  
3 – عالم الثقافة الاجتماعية  
4 – عالم السياسة  
12 / ت – صيرورة الجندر  
12 / ث - تحرير المؤنثة من قيود السلطة الذكورية عالمياً وليس نظرياً

المصادر العربية  
المصادر الإنجليزية  
المصادر الالكترونية

## الجندر بين استرقاقها وكفاحها

## المقدمة

إن دراسة المؤنثة تعني سبر غور معرفة نصف البشرية والعمران الإنساني في ماضيه وحاضره ومستقبله لأنها ليست منفردة إنما هي الأم والبنات والزوجة والأخت. فضلاً عن كونها المخلوقة التي تكاثفت على استغلالها واسترقاقها الديانات والثقافات والسياسات والصناعات والتجارة لجعلها سلعة رخيصة وهدفاً سهلاً لاقتناسها. هذا من جانب ومن جانب آخر عند استعراضنا أدبيات علم الاجتماع منذ ولادته ولغاية الربع الأخير من القرن العشرين نجدها مرآة صافية في تصوير المجتمع الإنساني بكل عناصره. ولما كان هذا العلم فتياً كان يهتم بالمواضيع الرئيسية الكبرى مثل المجتمع والحضارة والتغير والبناء الاجتماعي ومن ثم تناول المواضيع الرئيسية الوسطى كالترج والطبقات والجماعات والحركات الاجتماعية والأسرة والمشكلات الاجتماعية وسواها بعدها جاء دور السلوك الاجتماعي مثل الجريمة والجنوح والفساد والجنس، كانت عروضه للجنس آخذة بالإشارات الجانبية والسريعة لمعاناة المرأة ومشاكلها وطموحاتها وهذه ليست بمثلبة في أدبياته وبحوثه العلمية بل لكونه مرآة الحياة الاجتماعية النابضة والحية لأن حركة تغيير المجتمع بطيئة وثقافته تقليدية معنوية أكثر مما هي حضرية أو صناعية فكان التعصب والتميز ضد المرأة قائماً وما زال مستمراً حتى في المجتمعات الحديثة والرأسمالية.

بيد أن الآن وبعد أن دوت صيحات الحركات النسائية المدعومة من قبل حركات التحيز العرقي وبعض الأحزاب السياسية الليبرالية وانتشار المبادئ الديمقراطية وزيادة مشاركة المرأة في الأنشطة الرسمية والعرفية واحتياج المجتمع لها بعد أن اثبتت خبراتها وكفاءاتها ومهارتها ظهرت كتابات جادة حول قضايا الاختلافات البيولوجية والنوعية للأفراد. وإزاء ذلك لم يهمل علم الاجتماع هذه الحركات النسوية ومساهماتها العلمية في اثناء أدبيات علم الاجتماع بحقائق ووقائع مستجدة في المجتمع الغربي الذي أزال بعض الاجحاف عن المؤنثة وهذا جزء من موضوعيته العلمية التي لم تهمل أو تترك التطورات والتغيرات التي تصيب الفرد (سواء كان هذا الفرد انثى أو ذكر، طفل أو مسن، أم أو أب، زوجة أو زوج، فقير أو غني)

يتضمن هذا المؤلف من اثنتي عشر فصلاً يبدأ من تحديد مفهوم المؤنثة ماراً بتنشئتها وهويتها وموقعها وقوى استرقاقها وكفاحها ونوعها الثالث وأطوارها في

الحضارات الغابرة ومكانتها في التاريخ البشري القديم وأطوارها في المجتمعات الحاضرة منتهياً بسبل تحريرها من الاسترقاق الاجتماعي.

لم يكتب هذا المؤلف بدافع التعصب ضد الرجل أو مناصرة المرأة، بل لأنني وجدت المرأة مضطهدة ومحتقرة ومقموعة ومخنوعة في كافة المراحل التاريخية، قبل الميلاد وبعده، وعند الكثير من الأديان السماوية والأرضية وهي المنجبه بشرياً والمنظمة للتدبير المنزلي والناقلة للتراث الاجتماعي والديني للأجيال الصاعدة والمضحية الأولى لخدمة الخلية الاجتماعية (الأسرة) لكنها لا تملك النفوذ والمال والسلطة في المجتمع لذلك اغتصبها الرجل (أعني اغتصب حقوقها وضاعف واجباتها) وكأنها عبده مسترقة عند الفرد والمجتمع. ألم يكن هذا استرقاق اجتماعي وثقافي وديني؟ ألم يكن هذا استبعاد أسري؟ ألم يكن هذا استبعاد مهني؟ ألم يكن هذا استيلاء بشري باسم الدين والثقافة؟ جميع هذه الاستفسارات جعلتني أسجل ملاحظاتي ضد هذا التعصب والتمييز الصادر من المجتمع والثقافة والدين والحكومة بغض النظر عن ما هو نوع المجتمع أو الدين أو الثقافة أو الحكومة.

بقي أن أسجل في هذه المقدمة لأقول بأن كلماتي لا تكفي ولا شكري يفي ويسعف قلبي وفكري بتقديم جلاً إعجابي لما تقدمه لي زوجتي ورفيقة دربي (أم يزن) **جيهان عاصم الطائي** من ملاحظات عما أكتب وأفكر لا سيما وكلانا من نفس الاختصاص العلمي وما تقوم به من طبع المسودة فلها جزيل التقدير والامتنان، حفظها الله وراعها.

اخيراً أسأل الحق الذي منح كل الحق وجوده أن يسدد خطانا وأن يتوج بالنجاح مسعانا وأن يوفقنا الى المعرفة التي هي غايتنا الأولى والأخيرة.  
وبالله العون ومنه التوفيق

الأستاذ الدكتور  
معن خليل العمر  
سدني - استراليا

**الجنرد**

## بين استرقاقها وكفاحها مفاتيح حقل الجندر

لكل حقل سوسيوولوجي مفاتيحه (مفاهيمه) الرئيسية - النظرية والإجرائية يستخدمها في بحوثه ودراسته لتكون أشبه بسكة الحديد التي يسير عليها القطار. مثل حقل الأسرة الذي لديه مفاتيحه الخاصة به مثل (التنشئة، الزواج، الطلاق، الأسرة النووية، الأسرة الممتدة، التفكك الأسري، العنف الأسري، العنوسة، الأرملة وسواها) أو حقل الإجرام الذي يتضمن المفاتيح التالية (الجنوح، الانحراف، الانتحار، جرائم ذوي الياقات البيضاء، الفساد الإداري والمالي، الإدمان، الإرهاب، التهريب، الغش والتزوير) وحقل علم الاجتماع الحضري الذي لديه مفاتيح رئيسية مثل (الهجرة، تلوث البيئة، المناطق الموبوءة بالجريمة، المدن الهامشية، المناطق الحضرية ومدن القصدير وسواها).

أما في حقل الجندر فإنه بكر في دراساته لذلك تكون مفاتيحه محدودة ومستعارة من حقول علمية أخرى، وما سنتناوله في هذا الباب هي ما يلي: المرواز، المهماز، المشكاة، الهوية الجندرية، الدور الجندري، التدرج الجندري.

قبل الولوج الى كبد موضوع (الجندر) حرّي بنا أن نقدم المفاتيح الرئيسية التي تفتح أبواب هذا الموضوع البكر في ميدان علم الاجتماع لكي تتضح معالم آفاقه ومجريات أحداثه التاريخية والاجتماعية وهي ما يلي: -

**1 - مرواز الجندر:** أي المقياس أو المحك الذي يُستخدم لقياس قطبيه (المؤنثة والمذكر) (الرجل والمرأة) لأنهما غير متوازنان ومتكافئان في الحياة الاجتماعية في اغلب مجتمعات العالم ومختلف مراحل تطورها. إذ تكون دائماً المؤنثة "مجردة" من أغلب حقوقها و "محمّلة" أعباء دورية متعددة ومتنوعة أكثر من طاقتها. هذا التجريد والتحميل يجعل مكانتها واقعة في الدرك الأسفل من التدرج الاجتماعي ويجعل "صوتها" غير مسموع ويخلي قرارها غير مسموح.

أما فقرات هذا المرواز فهي: -

أ - عبوديتها.... مقابل تحريرها. أي استعبادها لقيود وضوابط السلطة الذكرية (البطريقة) وقوانين "المانو" الهندية ومبادئ الكونفوشيوسية في الصين. ومن أجل تحقيق المساواة بين المؤنثة والمذكر يتطلب عتقها من هذا الاستعباد الذي سلب منها حقوقها لتحريرها منه.

ب - انصافها في تحمل الواجبات الدورية من خلال رفعها عنها ووضعها على عاتق الذكر.

ت - موازنة حقوق المرأة مع حقوق الرجل في الأسرة والعمل والاجور والميراث والتصويت الانتخابي.

ث - مقارنة واجبات الرجل من واجبات المرأة في الأسرة والعمل.

**2 - مهماز الجندر (بواعثه ومحركاته):** أي العوامل المثيرة أو المحفزة أو الدافعة لإنهاض المؤنثة لاستحقاق حقوقها وتقليص واجباتها ورفع الضيم عنها والتعامل معها على انها الركن الأساسي في الأسرة والنصف الأكبر في المجتمع والوصي الأمين على تنشئة الجيل الحالي ليكون معافى وسوي ومنتج في المستقبل. تكمن محركات المهامز في الأمور التالية:

1 - مفاضلة الرجل على المرأة في التفاعل والتعامل والتعلق والحقوق.  
2 - تحميلها الأعباء الجسيمة ذات المسؤولية اليومية والمستقبلية اسرياً وثقافياً واجتماعياً.

3 - حرمانها من اتخاذ قراراتها بشأنها وبشأن اسرتها وبمستقبلها.

4 - ممارسة العنف الجسدي واللفظي عليها.

5 - تجريدها من الإرث العائلي.

6 - منعها من الادلاء بصوتها في الانتخابات السياسية والبلدية.

7 - سلب رأيها في اختيار شريك حياتها.

هذه أبرز الدوافع التي تجعل المؤنثة النهوض والمطالبة بحقوقها المهذورة والمغصوبة.

**3 - مشكاة الجندر (أي حواضنه):** التي تعيش وتعمل المؤنثة فيه مثل الأسرة والمجتمع إلا انها لا يتقاسمان المهام والمسئوليات بشكل منصف أو متساو بل يغلب عليه "استغلال" الذكر للمؤنثة في انجاز المهام الأسرية والمنزلية و "تهميش" قراراتها في الشؤون الأسرية و "استعبادها" في العمل مقابل أجر بسيط لا يتناسب مع جهدها. كذلك لا يسمح لها بالتعليم المتقدم والمتطور بل الابتدائي والأولي إذ يترك لها العمل في التعليم والتمريض والخدمة والرعاية الاجتماعية أكثر من الهندسة والتكنولوجيا والطب والاتصالات والحالة أكثر وضوحاً في صرف الرواتب والاجور المدفوعة لها حيث تكون أقل من أجور الرجل الذي يعمل معها وبنفس الكفاءة.

وعلى الجملة: فإن المفاتيح الثلاثة هذه تعمل بشكل بارز في دراسة دور ومكانة المؤنثة والمذكر في الحياة الاجتماعية. بقي ان نقول بان علاقتها ترتفع وتهبط حسب تطور المجتمع واستخدامه للعلوم والتقنيات. إذ كلما تقدم المجتمع في هذه المضامير أصبحت الحاجة الى المؤنثة في تزايد وتجلت فقرات المهماز وارتفعت في انبوبة المرواز (البارومتر) وانكشفت أبواب المشكاة (الحاضنة) والعكس صحيح.

لكن هذا السفر التكويني للجندر لا يعني التمرد أو الثورة أو الانتفاضة للمؤنثة على المذكر، لأنهما يخضعان معاً لقيود خارجة عن ارادتهما مثل الضوابط الثقافية الموروثة وقوانين المانوية الجندرية والمبادئ الكونفوشيوسية الصينية ونمط عيش المجتمع (الزراعي أو الاقطاعي) إنها حالة اجتماعية يدفعها المهماز داخل المرواز لتعبّر عن تفاعل وتقاطع، تجاذب وتجانل مصالهما وحقوقهما في أطوار حركة التغيير الاجتماعي الذي يخضع الى قطبي التغيير هما (التخلي والتبني) عند كل من المؤنثة والمذكر.

**4 - هوية الجندر:** تحدد الثقافة الاجتماعية مضمون هوية الجندر من خلال تنشئة الأسرة وجماعة الاقران والمدرسة للفرد طبقاً لجنسه البيولوجي حسب شروط ومستلزمات الثقافة الاجتماعية لدور الأنثى أو الذكر.

**5 - الهوية الجنسية:** انها الصورة العاكسة لتطابق الجنس البيولوجي (ذكر أو انثى) مع السلوك الجندري الخاص بنوع الجنس البيولوجي، تظهر ملامح هذه الهوية في فترة المراهقة أو فترة البلوغ الجنسي.

**6 - الثنائية الجنسية (الخنوثة):** تتضمن خصائص جسمانية ليست ذكورية ولا انثوية بشكل واضح لا تقتصر على الخصائص الجنسية المرئية كالأعضاء التناسلية بل خصائص داخل الجسم مثل الهرمونات والمواد الوراثية (الانترسكس).

**7 - المتحول جنسياً:** هو الفرد الذي تم تحويله خلال عملية جراحية لأعضائه التناسلية، هو في الأصل ذكر أو انثى لكنه يعتقد نفسياً بأنه منتمي الى الجنس الآخر Transsexual فيتم تحويله حسب عملية جراحية لأعضائه التناسلية.

**8 - بيجيني Intersex:** أي الجامع بين جنسين تتداخل عنده الصفات الذكورية والانثوية معاً.

**9 - المتحول جندياً:** هو من اكتسب دوراً اجتماعياً مخالفاً لجنسه البيولوجي يطلق عليه (جندر من النوع الثالث).

**10 - التدرج الجندي:** يعني التوزيع المتدرج للمصادر الاجتماعية والاقتصادية على سلم يكشف الاختلافات البيولوجية المرتبطة بالاختلافات النوعية (الجنس) أما مصادره فهي: الأجور، التعليم، نوع العمل داخل المنزل، المشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية والسياسية والاقتصادية والمناصب السياسية وليس الانحدار الطبقي أو الانتماء العرقي أو الديني أو الحزبي أو الإقليمي.

**11 - الفجوة المهنية:** أي الهوة أو البعد المتسع بين عمل المرأة وعمل الرجل وكلاهما يحمل نفس الكفاءة والخبرة والاختصاص المهني إذ يُنصَّب الرجل بمنصب مهني أعلى وأرقى من منصب المرأة والاثان عندهم نفس الاختصاص والخبرة والكفاءة المهنية.

**12 - الفجوة الاجورية:** أي الفرق الفاصل أو الهوة المتسعة بين ما يُدفع من أجور للرجل وللمرأة وهما يشغلا منصباً واحداً على السلم المهني ويحملان نفس المؤهلات والكفاءات والخبرة المهنية.

**13 - المؤنثة:** هي المولودة أو الوليدة التي تم تنشئتها والتفاعل معها على انها غير المولود أو الوليد (الذكر) أي بتعامل أكثر ضبطاً في سلوكها وفكرها من أخيها الذكر، وأقل اهتماماً برغباتها وطموحها وهواياتها وأكثر تكليفاً في أداء التدبير المنزلي، وأقل تحراً في تصرفاتها من أخيها الذكر وكلاهما من نفس الأبوين والمجتمع والثقافة والدين، لا بسبب اختلافهما البيولوجي بل بسبب ما يقره المجتمع والدين والثقافة الاجتماعية.

**14 - استراقه:** أي اتخاذ الرجل المؤنثة عبدةً له ومعاملتها معاملة غليظة مشحونة بالذل والهوان والخضوع والاحتقار في معاملته لها في خدمته واشباع اطماعه ورغائبه ومصالحه.

**15 - كفاحها:** أي مقاومة المؤنثة لاسترقاق المجتمع والثقافة والدين والحكومة ومواجهتهم لإيقافهم في استعبادهم لها عن طريق نضالها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

**16 - العنوسة:** تلك المؤنثة التي طالت عزوبيتها ولم تتزوج وطال مكثها في منزل أهلها بعد ادراكها سن الزواج دون أن تتزوج.

**17 - اغتصابها:** أي انتزاع الرجل والمجتمع والثقافة والدين والحكومة حقوق المؤنثة المشروعة كزوجة وأم ومواطنة ومربية قهراً وظلماً عن طريق فرض سلطتهم بالقوة عليها مع استخدام العنف عليها لنيل حاجتهم منها بالرغم عنها.

- 18 - مناصرة:** بمعنى الدفاع عن الحقوق المغتصبة من المؤنثة وتأييد حقها في كفاحها ضد المغتصب والمستعبد (الرجل والمجتمع والثقافة والحكومة).
- 19 - الضحية:** بمعنى اغتصاب حقوق المؤنثة المشروعة جبراً وظلماً من قبل الرجل والمجتمع وثقافته وحكومته وجعلها فريسة لهم.
- 20 - التحرير:** أي إزالة الظلم والاضطهاد والاستعباد واخراجها من دائرة الاستعباد وعتقها من قيود وضغوط استرقاق الرجل ومجتمعها وثقافته وحكومته ودينه وتخليصها منهم لكي تكون حرة ومستقلة.
- 21 - الصيرورة:** أي التحويل من حال الى حال آخر لتصل الى ما تريد ان تنتهي اليه بشكل واضح.
- 22 - الفجوة الزوجية:** التي تعني معدل عالٍ من المعاشرة الجنسية غير الشرعية بين الرجل والمرأة خارج العلاقة الزوجية مقابل معدل واطئ من الزواج الشرعي.
- 23 - عوائل أحادية الأبوين:** أي عوائل تضم الأم فقط مع أبنائها أو الأب فقط مع أبنائه.
- 24 - الاسترقاق الشمولي:** أي الاستعباد الجمعي وليس الفردي الممارس من قبل المجتمع والثقافة والدين والحكومة وعدّه حالة عرفية مشروعة.
- 25 - الاسترقاق الظرفي:** أي الاستعباد الفردي والفئوي التي تفرضه ظروف عالمية مستجدة مثل العولمة أو التجارة العالمية أو انهيار نظام سياسي.
- 26 - السقف الزجاجي:** أي المهن الرفيعة الجانب والمناصب العليا المراقبة من قبل الرجل في التنظيمات الرسمية لا يسمح للمؤنثة بالوصول اليها وتجاوز سقفها واشغال مناصب فيها.
- 27 - السلم الزجاجي:** أي المصعد المتحرك ذاتياً بدون جهد إنساني يستخدمه الرجل بالوصول الى أعلى المراتب المهنية في التنظيمات الرسمية الكبرى دون السماح للمؤنثة باستخدامه تلك في الدول المتحضرة والصناعية المتقدمة تكنولوجياً ورأسالياً.
- 28 - المخصي:** انه ذكر تمّ استئصال أعضائه التناسلية ليقوم بأعمال حريميه يمارس أدوار غير رجالية - ذكورية، لا يكون موصوماً بوصمة مخزية أو محتقرة، بل مقرب من قبل النخبة الحاكمة والطبقة الميسورة.
- 29 - المرتجلة:** انها أنثى تمارس أدوار غير انثوية بل رجالية وتلبس ملابس رجالية وتترزين بالزى الرجالي وتتعامل مع الاناث تعامل رجالي.



**30 – النوع الثالث من الجندر (الخنيث):** الذي يكون في الأصل البيولوجي ذكراً يعمل كباغي في ممارسة اللواط إضافة الى عمله في الخدمات المنزلية ويلبس ملابس مميزة ويقص شعره قصة خاصة لا تشبه قصة شعر الرجال ولا يلبس ملابس الرجال الأسوياء.

**31 – طلاق بدون ذنب:** طلاق لا يلوم أحد الشريكين الآخر على ذنب اقترفه أو منحه قام بها، بل هو مطلبهما من قبلهما لا غير.

**32 – اعمال وردية اللون:** أي اعمال غير يدوية ذات مهارة ابتدائية وموقع غير متميز مثل وظائف كتابية أو قسم لاستقبال الزبائن أو قسم طلبات الزبائن في المطاعم والفنادق.

**33 – الاعمال المشروطة:** أي الاعمال غير الثابتة ودوامها دوام كامل بل العمل عند الحاجة والطلب أي اعمال مؤقتة ولفترة زمنية محدودة وقصيرة.

**34 – المؤنثة المطحونة:** هي الانثى السوفيتية التي وقعت بين فكي رحي طاحنة أدوارها ومكاناتها في المجتمع. الأول: كان متمثلاً في سقوط نظام سياسي يدعها ويرفع من شأنها. والثاني: الفوضى العارمة التي أعقبت السقوط ومجيء نظام مخالف للنظام الأول ظهر فيها عدة جناة مارسوا اغتصابها أمثال ارباب العمل والمافيات الدولية المتخصصة بتهريب وتجارة الرقيق الأبيض، لم تنتشلها الحكومة ولا المنظمات النسوية ولا الحزبية من طحنها بين هذين الفكين الجبارين فحصل تطابق جندري مع الاختلافات البيولوجية فوق الظلم والجور والفقر فأضحت مسحوقة بين الفوضى السياسية والاقتصادية واعباء الأسرة.

**35 – السلعة المؤقتة في اليابان:** هي المؤنثة التي يُنظر اليها المعتقد الثقافي الياباني بانها تمثل سلعة طارئة ومؤقتة لحين زواجها وبعده تترك العمل لأنها تنزل الى سوق العمل وهي عزباء لكنها تتركه بعد زواجها. لذلك لا أثر لها في الحياة المهنية والاقتصادية بقدر أثرها في الأسرة اليابانية.

**36 – المخضبة الوطنية:** تلك هي الانثى الهندية التي جعلتها رئيسة الوزراء اندريا غاندي "أم الهند" كرمز وطني متشرب بالتاريخ الوطني والمناضل ضد الاستعمار البريطاني والتخلف والامية.

**37 – المؤنثة الحكيمة:** هي الزوجة الإندونيسية التي نظمت جنسها وجعلت منه قوة مؤثرة على الحكومة والمجتمع الإندونيسي في عدم معاداة أو معارضة تعاليم الدين الإسلامي في الزواج بأكثر من زوجة واحدة في وقت واحد بل فرضت قرارها على الحكومة بعدم تعيين موظف متزوج من أكثر من زوجة واحدة في

دوائرها فاستجابت الحكومة لها، فكان قراراً حكيماً استجاب اليه النسق الديني والسياسي.

**38 – المؤنثة الجائية:** هي المؤنثة اللاتينية في دول أمريكا اللاتينية التي خضعت للتعاليم التقليدية الخاصة بالطائفة الكاثوليكية الرومية وسيطرة النظام الاقطاعي الرجولي عليها مما جعلها جائية لهم لا تقاومهم لأنهم يمثلوا قوى معنوية صارمة.

**39 – المؤنثة ذات الحجابين:** هي المؤنثة المسلمة التي استخدمت الحجاب الأول تعبيراً عن التضامن الوطني ضد نظام الشاه في إيران والحجاب الثاني معبر عن القمع والتسلط المفروض عليها من قبل المتأسلمين من قبل جماعة طلبان في أفغانستان والشيعية في إيران والعراق والحوثين في اليمن.

**40 – المساواة الورقية:** أي اصدار قوانين نموذجية عن مساواة حقوق المرأة بالرجل إلا انها لا تطبق من قبل الحكومة إلا من قبل المجتمع وهذا ما حصل في إسرائيل واليابان والهند.

**41 – المساواة المثالية:** التي تحققت في الدول الاسكندنافية في جعل حقوق المؤنثة متساوية مع حقوق الرجل في التعليم والعمل والتمثيل الشعبي والرعاية الصحية والأنشطة الثقافية.

**42 – المجتمع الأمومي:** يمثل النظام الأمومي مرحلة سحيقة في الزمن سادت فيها سلطة المرأة/الأم في المجتمع واحتكرت القيادة الاقتصادية والسياسية وكذلك السلطة الدينية. وهو ما يقابل النظام الأبوي الذي حل محل سلطة الأم فيما بعد. وبالرغم من أن المرأة من الناحية الفسيولوجية هي أضعف من الرجل إلا أنها كانت قد احتلت مكانة اجتماعية عالية في العائلة والمجتمع والسلطة وأن تتبوأ مكانة روحية عالية في مرحلة تاريخية قديمة سادت فيها علاقات جنسية متحررة تم فيها الانتساب إلى خط الأم، أي انتساب الأولاد إلى أمهاتهم وذلك لعدم إمكانية معرفة الأب الحقيقي للأولاد. وقد أطلق الأنثروبولوجيون على هذا النظام مصطلح النظام الأمومي (Matriarchat) ، أي سلطة المرأة في المجتمع.

وكان الأطفال في تلك المرحلة ينتسبون إلى أمهاتهم وليس إلى آبائهم، لأنه لم يكن بالمستطاع حينذاك تحديد الأب لعدم وجود نظام قرابي يحدد العلاقات الجنسية، ولهذا أيضاً تمتعت النساء، بوصفهن الوالدات الوحيدات المعروفات بكل ثقة وتأكيد للأطفال، بقدر كبير من الاحترام واكتسبت المرأة بذلك مكانة اجتماعية ودينية عالية.

اكتسبت المرأة مكانتها الاجتماعية والدينية العالية في بدايات استقرار الإنسان واستمدت مكانتها العالية من الطبيعة، لأن المرأة هي أول من استقرّ في الأرض واكتشفت الزراعة ودجنت الحيوانات، ولأن مبدأ الخصوبة في الأرض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة. وهكذا تطورت سلطة المرأة في المجتمع التي هي في الحقيقة حق طبيعي لها.

وبسبب اكتساب المرأة أهمية روحية، نتج الدين، واجب العطاء عند الولادة. ولذلك قدس الإنسان الأرض مثلما قدس الأنثى، فالأنثى هي صورة وخليفة للأم الأصل-الأرض. فلم تقلد الأرض الأنثى، بل قلدت الأنثى الأرض وأصبحت مقدسة مثلها وأصبح الاحترام الديني والتقدير لها الأساس في سلطتها وارتفاع مكانتها الدينية والاجتماعية وسياستها للدولة وإدارتها للطقوس الدينية.

والأنثى هي الأصل، لأنها تتقدم على الرجل بعطائها ولأن الرجل هو نتيجة ذلك العطاء. فالابن هو زوج المستقبل الذي يخصّب بدوره المرأة ويصبح أباً. كما أن التنظيم القرابي يجد مكانه في أحضان المرأة وعنه تطورت جميع التنظيمات الاجتماعية الأخرى. وبهذا يصبح حق الأم هو حق طبيعي لها.

# الفصل الأول الجندر مفهومه ومنشأه ونشأته واختلافه وتدرجه

استهلال

1 / أ - مفهوم الجندر قديماً وحديثاً

1 / ب - نشأته

1 / ت - منشأه

1 / ث - تميزه عن الجنس

1 / ج - تطوره

1 / ح - تدرجه

# الفصل الأول

## الجنـدر

### مفهومه ومنشأه ونشأته واختلافه وتدرجه

#### استهلال

إن موضوع النوع الجنسي (الجنـدر Gender) يخضع لمؤثرين لا يمكن تجنبهما وهما: الجسد البيولوجي والثقافة الاجتماعية الذين يجعلان المساواة بينهما غير قائمة أو غير ممكنة بغض النظر عن ذكاء ونبوغ وسجية والمعية عند كلٍ منهما. وفي ضوء هذين المتغيرين لا يقبل الرجل أن تتساوى المرأة معه أو يتساوى هو معها. بينما تطالب المرأة بها (أي بالمساواة مع الرجل) لأنه يُفضل عليها في الحقوق والواجبات والسلطة والنفوذ والعمل والأجور. هذا هو جوهر الخلاف بينهما.

لكن مع تطور الحياة التقنية وتغير المجتمعات وتحولها من مرحلة تاريخية لأخرى برزت مناداة ومطالبات وحركات نسائية تريد إزالة الحيف والاجحاف الذي أصاب دورها في الأسرة والمجتمع والعمل والتعليم وسواها، إذ كلما زاد وارتفع مستوى تعليمها واكتسابها للمعارف العلمية نادى بمساواتها مع الرجل بيد أن العوائق البيولوجية والثقافية (القيم والعادات والأعراف الموروثة) تقف حائلاً أمامها.

إلا أن هناك نظرية تدعى (الماهوية Essentialism) القائلة بتقدم الجوهر على الوجود، بمعنى نقيض الوجود معتقدةً بأن الاختلافات القائمة بين الذكر والانثى ما هي سوى اختلافات فطرية ترجع إلى الاختلافات الجسمانية (البيولوجية) وانهما ملازمان بعضهما البعض بشكل طبيعي يعكسان الطبيعة البشرية.

حرّي بنا أن نشير إلى أنه مع تطور البحوث الاجتماعية والنفسية والتربوية حول جنس النوع الجنسي المؤكدة بشكل مكثف ومركز على دحض ورفض ما تقوله (الماهوية) أي عدم تأييدها للاختلافات القائمة بين الرجل والمرأة ترجع إلى الاختلافات الفطرية – البيولوجية – بذات الوقت لا ترفض هذه البحوث الدور البيولوجي في تطور النوع الجنسي، بل تؤكد على أن الاختلاف بينهما يرجع إلى العائق الثقافي الاجتماعي الذي يؤكد على عدم المساواة بينهما أكثر مما يؤكد العائق البيولوجي.

بيد أن تطور الحياة الاجتماعية والتقدم العلمي والثقافي اقتربت الرغبة والذكاء والسجية مع الفرص المتاحة والمحفزات عند المرأة في مطالبتها بالمساواة مع

الرجل والخروج من ضوابط الدور التقليدي عندهما. لكن عندما اضحى هذا التحرك والخروج من الضوابط التقليدية واسع الانتشار في المجتمعات المتقدمة تَمَسِّي الاختلافات القائمة عند النوع الجنسي متصفة بالضبابية وعدم الوضوح لأنها كانت قبل التحرك خصائص وضوابط دورية تقليدية واضحة عند المرأة والرجل وكان الفصل بينهما بارزاً وجلياً وكانت مفاضلة دور الرجل على دور المرأة لا يشوبه شائبة. أقول ان النوع الجنسي بات مختلطاً ومتشابكاً عندما تقدم المجتمع وتطور ثقافياً وعلمياً بعدما كان مستقلاً وجلياً وواضحاً في المرحلة التقليدية والمحافظه والريفية والبدوية والدينية والعرقية وذلك راجع الى احتياج المجتمع للمرأة في الوظائف التي تقع خارج المنزل في المؤسسات والمنظمات والجمعيات الرسمية والعلمية فسحبته من وظائفها المنزلية والتنشئية والزواجية فاستقلت مادياً وعلمياً ومهنياً مما حررها من قيود دورها التقليدي في الأسرة والمجتمع.

### 1 / أ - مفهوم الجندر قديماً وحديثاً

تُستعمل عبارة الجندر للتعبير عن النوعية الاجتماعية والثقافية والنفسية للمرء (ذكر أو انثى) المقترنة مع الذكورية (Masculinity) والانوثة (Feminine) هذه التعابير تكون محمولة في تفكيرنا الذي حددها ووصفها المجتمع الذي نعيش فيه، من هذا التحديد والتوصيف الاجتماعي نستدل على السلوك الخاص بالذكر وبالنثى. بمعنى ان السلوك الأنثوي أو الذكري ليس من تفكيرنا الخاص بل مما يحدده المجتمع له ويلقن عقولنا به وهنا تكون عقولنا عبارة عن واسطة ناقلة لتحديد وتوصيف عبارة الجندر في مجتمعنا الذي نعيش فيه. مثال على ذلك: لناخذ المعنى التقليدي للذكر في مجتمعنا العربي الذي حدد مفهوم الذكورية وصاغ مضمونها ولقننا بها من خلال تنشئتنا الأسرية والرفقية (الصدائقية) وهي ما يلي:

- 1 - قوي وشجاع قادر على ان يدافع عن نفسه.
- 2 - حازم وجازم في آرائه واقواله وأفكاره (غير متردد في ذلك).
- 3 - عقلاني أكثر مما هو عاطفي.
- 4 - يميل للحركة والألعاب الرياضية الجماعية وليست الفردية.
- 5 - يصعب عليه أن يعبر عن عواطفه وخلجات قلبه (أي يتلعثم ويرتبك).
- 6 - أبي النفس وذا كرامة عالية وشهامة رفيعة المقام.
- 7 - يجب الصداقات والعلاقات القرابية.

أما المعنى الاجتماعي لمفردة الانثى العربية المنعكسة في عقولنا كشرقيين فهي: -

- 1 - رقيقة وناعمة وذوافة.
- 2 - عاطفية وحنينه وودودة تحب مساعدة الآخرين.
- 3 - صبورة ومنتسامحة وكريمة.
- 4 - ذكية لكن عاطفتها تتغلب على ذكائها.
- 5 - كثيرة الكلام وتحب النقاش والدردشة مع الأصدقاء والناس.
- 6 - تحب عمل التدبير المنزلي واعداد الطعام.
- 7 - اسرتها قبل اصدقائها في حبها وعلاقتها واصدقائها بعد اقاربها.

معنى ذلك ان الاختلافات البيولوجية تحدد النوع الجنسي (الجندر) في مجتمعنا العربي وهذا يختلف عن المجتمع الغربي الذي يكون الجندر يحدد الاختلاف البيولوجي. في البداية تكون المحددات البيولوجية والجندرية واحدة وكلاهما يمثلان حالة طبيعية وان الاختلاف البيولوجي اختلاف واضح لا خلاف عليه إذ للأنثى رحم وثدي (نهد) وتتجب، وبناءً على ذلك تكون رقيقة وعاطفية وتحب الأطفال والاعمال المنزلية بينما الرجل لديه عضلات وأعضاء تناسلية تختلف عن الأنثى لذا يكون قوي ومتناسف وعنيف وعقلاني أكثر من عاطفي.

ومن خلال التنشئة الأسرية تقوم الأسرة بتلقيين الوليد الجديد دوره المحدد من قبل المجتمع ولا تستطيع الأم أن تتجاوز أو تتلاعب بذلك، المعنى إذا كان الوليد انثى فإنها لا تتجراً وتتفاعل معها على انها ذكر وتطلق عليها اسم ولد وتشترى لها ملابس ولعب خاصة بالأولاد الذكور والحالة ذاتها مع الوليد الذكر. أقول ان الوالدين يكونوا همزة وصل بين محددات الثقافة الاجتماعية للدور الاجتماعي وللوليد الجديد. والانحراف عن المحددات الثقافية تواجه نقداً ورفضاً وتوبيخاً من قبل الاهل والاقارب والجيران والمعارف. هارولد كارفنكل 1967 قال بان الجنس ذكر وأنثى لا يوجد جنس ثالث بينهما وبيقيا هكذا الى ان يموتا لا الولد يتحول الى بنت ولا الأخيرة تتغير الى ولد. لكن البناء الاجتماعي يحدد هوية الجنس للذكر وللأنثى ولا يخلط بينهما فالطفل في عمر الشهر الثامن يبدأ أن يدرك نوع جنسه إذ انه يدرك اختلاف جنسه من خلال قصة شعره ونوع ملابسه واسمه.

بدأ مصطلح الجندر كمصطلح لغوي مجرد، ثم تطور استخدامه إلى أن أصبح نظرية وأيديولوجية، حيث بدأت المرحلة الأولى بتعريف الجندر كمصطلح لغوي يستخدم لتصنيف الأسماء والضمائر والصفات، أو يستخدم كفعل مبني على

خصائص متعلقة بالجنس في بعض اللغات وفي قوالب لغوية بحتة. ثم ظهر الاتجاه الثاني لتعريف الجندر على أنه: "يرجع إلى الخصائص المتعلقة بالرجال والنساء والتي تتشكل اجتماعياً مقابل الخصائص التي تتأسس بيولوجياً (مثل الإنجاب)". ولم يتم تناول مسألة الفصل بين الأبعاد البيولوجية والاجتماعية، بل كانت الأولوية لدى قيادات الحركة النسوية العمل على هدم المفهوم السائد آنذاك وهو أن الخواص البيولوجية الجينية لكل من الرجل xy والمرأة xx هي الفيصل الوحيد في تحديد الأدوار التي يقوم بها كل من الرجل والمرأة في المجتمع، وتبعاً لذلك فقد كان الجندر مبنياً على أساس الجنس، وبالتالي فإنه يتشكل بيولوجياً أكثر منه اجتماعياً، وتجاوز المصطلح خلال المرحلة الثانية من استخدامه حدود الترابط بين مصطلحي الجنس والجندر، حيث بدأ التيار المتطرف من حركة فيمينيزم Radical Feminism بتقديم تعريف جديد لمصطلح الجندر يميزه عن كلمة الجنس؛ فأصبح يطلق على دور ومكانة كل من الرجال والنساء الذي يتشكل اجتماعياً، وبالتالي فهو قابل للتغيير. وأصبح يمثل مفهوم الجندر اتجاهاً جديداً في دراسات المرأة، يرى البعض أنه طرح ليحل محل مفاهيم كانت موجودة من قبل مثل النسوية Feminism أو Womenism، والتي أشارت إلى كفاح المرأة من أجل تغيير الأوضاع غير المتساوية بينها وبين الرجل، ويرى بعض آخر من غلاة الحركة النسوية التقليدية أن الجندر خروج عن الهدف المقدس الذي تسعى إليه المرأة في كفاحها ضد هيمنة المجتمع البطريركي (الأبوي)، ويرى آخرون أن مفهوم الجندر منعدم النسب لا أصل له ولا تاريخ، و أياً كان الأمر فإن الإضافة التي تميزت بها دراسات الجندر أنها موجهة لكل من الرجل والمرأة من أجل إزالة الفجوة النوعية بينهما.

ويُعد مصطلح (الجندر) الأكثر شيوعاً الآن في الأدبيات النسوية، يترجمه البعض إلى النوع الاجتماعي أو "الجنسوية"، وقد تم تعريب هذا المصطلح، وهو يشير إلى الخصائص النوعية وإلى الإقرار والقبول المتبادل لأدوار الرجل والمرأة داخل المجتمع.

والتركيز على الجندر بدلا من التركيز على المرأة وثيق الصلة بالرؤية التي تقول: إن مشكلات المرأة لا تعود بشكل أولى للفوارق البيولوجية بينها وبين الرجل، ولكن بدرجة أكبر إلى العوائق الاجتماعية والفوارق الثقافية والتاريخية والدينية، وعليه فإن التقسيم النوعي وفقاً لمفهوم "الجندر" ليس تقسيماً بيولوجياً جامداً، وإنما يستند إلى السياق العام الواسع الذي يتم من خلاله التقسيم الاجتماعي للعمل.



ويقصد أيضاً بالنوع الاجتماعي (Gander) مجموعة من السلوكيات والمفاهيم مرتبطة بالإناث والذكور ينشئها وينشرها المجتمع، وأن كل المجتمعات الثقافية تحول الفروقات البيولوجية بين الإناث والذكور إلى مجموعة من المفاهيم حول التفرقة والنشاطات التي تعتبر ملائمة.

كما ترى فلسفة الجندر أن التقسيمات والأدوار المنوطة بالرجل والمرأة، وكذلك الفروق بينهما من ثقافة المجتمع وأفكاره السائدة، ويمكن تغيير هذه الأدوار وإلغاؤها تماماً، بحيث يمكن للمرأة أن تقوم بأدوار الرجل، ويمكن للرجل أن يقوم بأدوار المرأة، وهذا يعني أن فلسفة الجندر تنتكر لتأثير الفروق البيولوجية الفطرية في تحديد أدوار الرجال والنساء.

وخلاصة الأمر أن الفلسفة الجندرية تسعى إلى تماثل كامل بين الذكر والأنثى، وترفض الاعتراف بوجود الفروق، وترفض التقسيمات حتى التي يمكن أن تستند إلى أصل الخلق والفطرة، فهذه الفلسفة لا تقبل المساواة التي تراعي الفروق بين الجنسين، بل تدعو إلى التماثل بينهما في كل شيء.

وللجندر بعد اجتماعي وتاريخي، لذلك ينبغي إدراك الجندر، ليس فقط كخاصية ثابتة للأفراد ولكن كجزء من عملية مستمرة بواسطة ما يبنيه الفاعلون غالباً بأساليب متناقضة، كما أن الجندر هو خطاب ثقافي، وبذلك فهو عرضة للنضال والممارسة المستمرين.

كما ذهبت (دي لورلنت) إلى أن مفهوم الجندر هو بناء اجتماعي وثقافي أيضاً، وأن ذلك عملية تاريخية مستمرة تدار في كل المؤسسات المجتمعية في كل يوم من الحياة، وسائل الإعلام والمدارس، والأسر، والمحاكم.. الخ، وأكدت أن مفهوم تكنولوجيا الجندر Technology of sex بناء

ثقافي اجتماعي وأجهزة دلالية، ونظام من التمثيل الذي يحدد معني الأفراد في المجتمع بإتباعها أفكارها وآرائها

وقد لخص Van Zoonen أن وسائل الإعلام هي الموقع الوحيد والمستمر لممارسة الجندر ويمكن رؤيته على أنه تكنولوجيا اجتماعية للجندر أو إعادة وتعديل وإعادة بناء وإنتاج، وتدريب ومظاهر ثقافية متناقضة لاختلاف الجنس.

### تعريف الجندر في الموسوعة البريطانية Gender Identity

هو شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، ولكن هناك حالات لا يرتبط فيها شعور الإنسان بخصائصه العضوية، ولا يكون هناك توافق بين الصفات العضوية وهويته الجندرية، إن الهوية الجندرية ليست ثابتة بالولادة، بل تؤثر فيها العوامل النفسية

والاجتماعية بتشكيل نواة الهوية الجندرية وتغيير، وتتوسع بتأثير العوامل الاجتماعية كلما نما الطفل.

### تعريف الجندر في منظمة الصحة العالمية

هو المصطلح الذي يفيد استعماله وصف الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصفات مركبة اجتماعية لا علاقة لها بالاختلافات العضوية.

### تعريف الجندر في وثيقة الأمم المتحدة

الباب الخامس، الفقرة 2، 15 تحدد أهداف الوثيقة كالتالي: "تدعيم الأسرة بشكل أفضل وتدعيم استقرارها مع الأخذ بعين الاعتبار تعدد أنماطها".

**الجندر والمرأة:** تتطلب عملية إدراك معنى الجندر ألا نصغي للنساء فقط، فقد يشكل التركيز على المرأة جزءاً من المشكلة، حيث يمكن للرجال كما للنساء أن يعانون من عدم التمكين، فالمشاريع التحولية كثيرة، أي التي تستحدث تغييراً جذرياً، وقلما تنتبه للجندر فتدعم وضعاً راهناً غير عادل.

يتطلب التفاوض حول التغيير البنيوي مع النساء والرجال الوقت والشجاعة، مما يجعل المهمة غير جذابة للدول المانحة، والعديد من المنظمات غير الحكومية، وقد فرضت عملية الربط مع جدول أعمال نسوى مفروض من الغرب العداء إزاء تناول التغيير البنيوي في علاقات الجندر.

### الجندر والجنس

الجندر Gender كلمة إنجليزية تنحدر من أصل لاتيني وتعني في الإطار اللغوي Genus الجنس من حيث الذكورة والأنوثة، لكن المرادف الحقيقي لكلمة Gender هو الجنس الاجتماعي أو النوع الاجتماعي أو الدور الاجتماعي. يتميز جانب الجنس بحد أدنى من العوامل البيولوجية التي تجعلنا نميز جسداً معيناً باعتباره جسد امرأة أو جسد رجل.

أما الجندر فهو قصة الجسد الاجتماعية أو السيكولوجية أو الثقافية، أي أنه النظرة الاجتماعية أو السيكولوجية للاختلاف الجنسي، وهو مجموعة من الصفات المحددة ثقافياً.

وإذا عدنا إلى تعريف (أوكلي) أستاذة الأنثروبولوجيا التي أدخلت هذا المصطلح إلى علم الاجتماع سنجد أنها تترجم كلمة Sex إلى الجنس، أي التقسيم البيولوجي من حيث هل هو ذكر أم أنثى؟ بينما تشير كلمة gender إلى التقسيمات الموازية وغير المتكافئة اجتماعياً للذكورة والأنوثة. وبذلك يقصد بالنوع الاجتماعي مجموعة من السلوكيات والمفاهيم مرتبطة بالإناث والذكور ينشئها وينشرها المجتمع.

**الجنديرية:** هي الوظيفة الاجتماعية التي يكتسبها الجنس البشري ويتعلمها ويتوقعها المجتمع منه

**الجنسوية:** تعنى الاعتقاد بدونية الإناث وتفوق الذكور والذي يستخدم في تبرير الاستغلال الجنسي ومشروعيته.

### **التماثل والمساواة**

المساواة في النوع الاجتماعي حق أساسي من حقوق الإنسان، والمجتمع وحده هو الذي يضمن أن كافة النساء والرجال يدركون ويستفيدون من هذا الحق.

**المساواة:** هي إنصاف المرأة في الحقوق والواجبات وفرص الحياة من تعليم وخدمات ووظائف تصل بها إلى مراكز اتخاذ القرار.

**التماثل:** هو نتاج نظرية الجندر والتي يتخذها الجندر النسوي قاعدة ينطلق منها، ألا وهي إلغاء كل الفروق الطبيعية أو المختصة بالأدوار الحياتية بين الرجال والنساء، والادعاء بأن أي اختلاف في الخصائص والأدوار، إنما هو من صنع المجتمع.

وعلى الرغم من الإقرار بعدم وجود مساواة بين الرجال والنساء، ومحاولة العمل باتجاه المساواة بين الجنسين، إلا أنه مازالت الأفكار المتعلقة بما تعنيه المساواة، وكيفية الوصول إليها محل جدل واسع ونزاع دائم، وبتحليل الخطابات التي تتناول المساواة والتماثل تبين أن الفرق بين الاثنين غير واضح.

### **الجندر والتنمية**

هناك جهود دولية مبذولة للارتفاع بالمستوى الاقتصادي للأسرة، وتأمين حصول المرأة على دخل للارتقاء بمستواها، ودعم دورها داخل الأسرة والمجتمع، هذا لا يعنى بالضرورة أن تكون المرأة صانعة القرار داخل الأسرة لأنها تمتلك المال، فالروابط أصبحت أكثر تعقيداً.

المساواة في النوع الاجتماعي قضية محورية في التنمية، وضرورية للقضاء نهائياً وفعلياً على الفقر وهو ما تشير إليه إستراتيجية البنك الدولي.

### **الجندر والنظرية والنسوية**

بدأت حركة تحرير المرأة أو ما يشار إليه الموجه الأولى من النسوية عام 1830، واستمرت حتى عام 1920م، وكان تركيز المشاركين والمشاركات فيها على الحصول على الحقوق المدنية للنساء في مجتمعاتهم؛ لهذا كان اتجاه الحركة في ذلك الوقت اتجاهاً ليبرالياً يسعى إلى التأكيد على المساواة، أما الموجة الثانية من النسوية فيؤرخ لها بتاريخ 1963م، وتتميز هذه المرحلة بانتشار مجموعات

النهوض بالوعي في إنجلترا أو فرنسا وأمريكا، كما اتسمت بالإدراج التدريجي للقضايا النسوية في المؤسسات الأكاديمية.

وارتكزت نقطة البداية بالنسبة للفكر النسوي على افتراض وجود تجارب مشتركة بين جميع النساء وهى التجارب المبنية على القهر الذي يتعرضن له في المجتمعات المختلفة بسبب النوع، ومع مرور الوقت، حدث تحول محوري في التوجهات العامة والمفاهيم النسوية، حين قامت المناضلة الأمريكية السوداء (سوجورنر تروث) Sojourner Truth بتحدى النسويات الناشطات في القرن التاسع عشر، ووبختهن لتجاهلهن مشاكل واهتمامات النساء السود؛ فقالت: "ألست أنا أيضاً امرأة"، وأصبحت هذه العبارة شعاراً متكرراً في كتابات الناقدات النسويات من السود، كما قامت مجموعات من النساء بالتشكيك في افتراض أن جميع النساء لهن تجارب مشتركة من القهر، وفي عام 1972م صدر بيان النسويات السود عن مجموعة نسويه التقت في مدينة بوسطن انتقدت توجهات الحركة النسوية الأمريكية المعبرة عن مصالح الطبقة المتوسطة من النساء البيض وتبنت فكرة أن المواقف السياسية التي تسعى إلى إحداث تغييرات جذرية في المجتمع تنبع في الأساس من الهوية. أما في التسعينيات فنلمس تحولاً ملحوظاً في الافتراضات التي تستند إليها الهوية، حيث يتعدى البحث النسوي مرحلة وصف المواضيع المحددة لسياسات الهوية، ويدخل في مرحلة الاشتباك النقدي مع التعقيدات الناتجة عن صراعات القوة، والحدود المبهمة للهويات في سياق ما بعد الحداثة.

واستطراداً لفكرة الاختلافات القائمة بين المشروعات النسوية في البلدان المختلفة تذهب (موهانتى) إلى أن السياسات النسوية للنسويات غير الغربيات تأخذ على عاتقها مواجهة الإرث التاريخي العنصري والاستعماري، كما أنها تتصدى إلى الدور الذي تلعبه الأنظمة المهنية في تقليص الفرص المتاحة لهن على مستوى الحياة اليومية.

هذه المساهمات النقدية تعزز الاعتراف بوجود حركات نسويه متعددة لا حركة نسويه واحدة، بحيث تأخذ في الاعتبار الدلالات المترتبة على الاختلافات في تحديد أولويات العمل النسوي.

ومن الجدير بالذكر أن عدداً كبيراً من الباحثات النسويات يعملن على بلورة مفاهيم ومصطلحات تساعد على بناء جسور عبر الثقافات واللغات مع احترام الاختلافات وأشكال التمييز، وفي هذا السياق جرت محاولات نقدية عديدة لصياغة المصطلح الملائم للتعبير عن علاقات متشابكة ومعقدة في آن واحد، فنجد مفهوم النسوية

المتعددة الثقافات Multicultural feminism، أو النسوية المتعددة الجنسيات أو الحركات النسوية Feminism

وبهذا يمثل الفكر النسوي تحديات متعددة في القرن الواحد والعشرين يتمثل في شيوع الاتجاهات المحافظة في العالم وانحسار فترة المد الثوري التحرري الذي بلغ ذروته في الستينيات من القرن العشرين فكان مهذاً مثمراً لحركات التحرر الوطني في بلدان العالم الثالث، والحركات التحريرية الاجتماعية مثل الحركة النسوية في الغرب، ثم جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، فأتاحت الفرصة التاريخية للحكومات المحافظة في تقليص الحقوق المدنية للمواطنين وفي تضيق مساحة الحريات المتاحة في المجال العام والخاص.

وقد نجح الفكر النسوي في أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من النسيج المعرفي في المؤسسات الأكاديمية في العالم، وعلى هذا الأساس من الممكن الاشتباك مع الفكر النسوي ومراجعته، ولكن ليس من السهل تجاهله.

### الجنرد وما بعد النسوية

بعد أكثر من مائة عام على انطلاق الحركة النسوية، أخذت مفردة (الجنرد) في ثمانينيات القرن العشرين تشق طريقها كأحد أبرز المصطلحات المستخدمة في قاموس الحركات النسوية، وقد ظهر هذا المصطلح في الولايات المتحدة الأمريكية ثم انتقل إلى أوروبا الغربية في 1988.

ولم يكن هذا التعبير هو التجديد الوحيد في الخطاب النسوي، إذ برز أخيراً ما يسمى "ما بعد الحركة النسوية" كإطار لأطروحات ومطالب جديدة، أو قراءات مختلفة، لمطالب المرأة، وبحثاً عن تحديد جديد لمفهومَي الأنوثة والذكورة بعد أن حصلت المرأة في الكثير من دول العالم على الحق في الانتخاب والعمل، والتمتع بحقوقها كمواطنة. [http://www.alnoor.se]

### 1 / ب - نشأته

أتت مسألة الجنرد في إطار أجندة عالمية تتحدث عن حقوق الإنسان والمرأة والطفل منذ انهيار القطبية الثنائية، وهناك إشارة إلى أن مصطلح الجنرد بدأ في الظهور لأول مرة في الغرب في بداية السبعينيات في الدراسات الخاصة بالتنمية، واستخدم تعبير الجنرد في التنمية Development in Gender كمقابل لتعبير النساء في التنمية Women in Development، ثم انتقل هذا المصطلح إلى المنطقة العربية في النصف الثاني من الثمانينيات وقد أصبح معروفاً في النقاش حول التنمية

وأطر العمل عبر أدبيات المنظمات الدولية المشتغلة في مجالات التنمية، وتعتبر قضية النوع الاجتماعي (الجندر)، فلسفة نسوية غربية تعبر عن أزمة الفكر الغربي في مرحلة ما بعد الحادثة، وتشير الأدبيات إلى أن مصطلح الجندر "النوع الاجتماعي" استخدم لأول مرة من قبل "آن أوكلي" وزملائها من الكتاب في سبعينيات القرن الماضي، وذلك لوصف خصائص الرجال والنساء المحددة اجتماعياً في مقابل تلك الخصائص المحددة بيولوجياً.

غير أن البعض يرجح أن استخدام المصطلح وانتشاره في الأدبيات العالمية كان خلال فترة الثمانينيات من القرن الماضي، وهي الفترة التي اتسمت بمناقشات مكثفة حول أثر سياسات التكيف الهيكلي على أوضاع المرأة، ويرجع الفضل في استخدام مصطلح "الجندر" إلى منظمة العمل الدولية وكان يشير إلى العلاقات والفروقات بين الرجل والمرأة التي ترجع إلى الاختلاف بين المجتمعات والثقافات والتي هي عرضة للتغيير طوال الوقت.

وكاتجاه عام فإن المصطلح يشير إلى التفرقة بين الذكر والأنثى على أساس الدور الاجتماعي لكل

منهما تائراً بالقيم السائدة، وهم يرون أن هذا المصطلح يشير إلى الصور النمطية الثقافية للرجولة والأنوثة أي أن الثقافات السائدة هي التي تحدث التغيير في فكرة الأنثى حول نفسها ودورها في المجتمع، وبالتالي ما ينال المرأة من ظلم وتدن في المكانة وعدم حصولها على حقوقها سببه النمطية Stereotype التي يضعها المجتمع وثقافته فيما يخص دور المرأة أو دور الرجل، ولما كانت قضية عدم المساواة هي أساس الجدل الدولي المثار حول قضايا المرأة مما استدعي تخصيص العديد من الدراسات والأبحاث لمعرفة السبب في كون قضية التمييز وعدم المساواة قائمة حتى الآن. ولما كانت المرأة هي الطرف المضحي به في العملية الحياتية على كافة المستويات؛ كان لا بد من ظهور ما يسمى بدراسة أوضاع المرأة، التي تحولت إلى دراسة قضايا المرأة وانتهت إلى ضرورة النهوض بالمرأة باعتبارها تمثل نصف سكان العالم، وأن تخلف معظم الشعوب يعود في أحد أسبابه لعدم إشراك المرأة في التنمية وتعطيل قدراتها.

وكانت اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة في نهاية عام 1979م، والتي صدقت عليها معظم دول العالم سنة 1981، تهدف إلي أن تحصل المرأة على حقوق متساوية مع الرجل في كافة الميادين ، ويعتبر إدماج فصل مستقل عن المساواة والجندر والإنصاف وتمكين المرأة في برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ICPD المنعقد في القاهرة سنة 1994م، دليلاً على الاعتراف

بأهمية التحليل الذي يعتمد على الجندر كان النهج القديم الذي يتحدث عن المرأة والتنمية كمدخل للقضاء على التمييز ضد المرأة، هو ما عنت به العديد من الدراسات خاصة المصاحبة لمؤتمر المرأة العالمي في بكين عام 1995م، وظهرت أداة التحليل الحديثة المعروفة باسم الجندر، واستبدلت مذهبية المرأة في التنمية إلى النوع الاجتماعي "الجندر" مما يعد محاولة جادة لصياغة نظرية "عالمية - حول أوضاع عدم المساواة النوعية. [http://www.alnoor.se]

## 1 / ت - منشأه

حتى نستطيع أن نفهم معنى وأبعاد مصطلح الجندر (النوع)، لا بد من الإلمام بتاريخ الحركات الأنثوية التي ارتبط المصطلح بها، وبيان المراحل التي مرت بها تلك الحركات منذ بداية ظهورها على المسرح السياسي والاجتماعي والثقافي، وحتى وصولها إلى شكلها الحالي بمطالباتها المعروفة، وكيفية تطور أطاريحها، وتأثرها بالمفاهيم التي سادت في تلك المراحل.

إن الفارق بين الدعوة إلى تحرير المرأة وإنصافها، والحركات التي تبنت هذه الدعوة سواء في البلاد الغربية أو الشرقية وبين النزعة الأنثوية المتطرفة (Feminism) التي تبلورت في الغرب في ستينيات القرن العشرين، والتي تقلدها قلة قليلة من النساء الشرقيات، والحركات التي تبنت هذه النزعة المتطرفة... إن الفارق بين هاتين الدعوتين والحركتين وفلسفتيهما ومطالبهما هو الفارق بين العقل والجنون!

فأقصى ما طمحت إليه دعوات وحركات تحرير المرأة، هو إنصافها... من الغبن الاجتماعي والتاريخي الذي لحق بها، والذي عانت منه أكثر كثيرا مما عانى منه الرجال مع الحفاظ على فطرة التميز بين الأنوثة والذكورة، وتمايز توزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع، على النحو الذي يحقق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء... وذلك حفاظا على شوق كل جنس إلى الآخر، واحتياجه إليه، وأنسه بما فيه من تمايز، الأمر الذي بدونه لن يسعد أي من الجنسين في هذه الحياة. دون إعلان للحرب على الدين ذاته، ولا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها عندما خلقهم ذكرا وإناثا... وأيضا دون إعلان للحرب على الرجال.

أما النزعة الأنثوية المتطرفة (Feminism) أو الأنثوية الراديكالية والتي تبلورت في ستينات القرن العشرين فتعرف بأنها: "حركة فكرية سياسية اجتماعية متعددة الأفكار والتيارات، ظهرت في أواخر الستينات، تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي وتغيير بناء العلاقات بين الجنسين وصولا إلى المساواة المطلقة كهدف استراتيجي وتختلف نظرياتها وأهدافها وتحليلاتها تبعا للمنطلقات المعرفية التي تتبناها، وتنتم

أفكارها بالتطرف والشذوذ، وتتبنى صراع الجنسين وعدائهما، وتهدف إلى تقديم قراءات جديدة عن الدين واللغة والتاريخ والثقافة وعلاقات الجنسين". وقد تغلغلت هذه الفلسفات والأفكار والدعاوى بشكل غير عادي في المجتمعات الغربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين.

ونجحت هذه الحركات الأنثوية الغربية في الضغط على المؤسسات الدينية الغربية تلك التي خانت رسالتها حتى أصدرت في 1994م طبعة جديدة من العهدين القديم والجديد، سميت الطبعة المصححة، تم فيها تغيير المصطلحات والضمائر المذكورة وتحويلها إلى ضمائر محايدة!...

### أولاً: تيارات الحركة الأنثوية وتأثرها بالمدارس الفلسفية

1 – الحركة الأنثوية الليبرالية: يمكن إطلاق الليبرالية على أية حركة نسوية تسعى من أجل تحسين وضع المرأة من الناحية القانونية والصحة والتعليم والمشاركة السياسية، وتحسين مستوى معيشة النساء عامة، ولا تطرح مفاهيم متطرفة، وطالبت بحقوق مشروعة. ولم تظهر في وجهها حركات مناهضة من النساء لأن ما تدعو إليه قدر جامع متفق عليه.

2 – الحركة الأنثوية الشيوعية: وتتبنى مجموعة الأفكار التالية:

أ – إن المرأة إنسان، ومكافئة للرجل، ولها كل ما للرجل من حقوق، ولا بد أن تكون حرة في جميع اختياراتها، وأن أنوثتها لا تمنعها عن أي شيء يمكن أن يقوم به الرجل.

ب – إن حرية المرأة تقتضي أن تكون حرة في علاقتها الجنسية مع الرجال، ولا يمنعها الزواج من ذلك لأنها ليست ملكاً فردياً للرجل، وهل تقبل الشيوعية بعد إلغاء الملكية الفردية للأشياء أن تعود وتقرأها للأشخاص.

ج – ضرورة تهيئة الأجواء والفرص المناسبة لتمكين المرأة اقتصادياً، وذلك بإخراجها من البيت لتكون عاملة ومنتجة، وتخليصها من واجبات البيت والزوج، وما يسمى في هذه الأيام الأدوار النمطية والتقليدية التي يمكن أن تعيق هذا الأمر، وذلك عن طريق إنشاء المطاعم الجماعية، ودور حضانة الأطفال، والغسالات العامة وغيرها... وأن تكون تربية الأطفال من مهام الدولة لا من مهام المرأة. ويسمى لينين المطاعم الجماعية وغيرها من دور الحضانة، ورياض الأطفال ببراعم الشيوعية التي لا تفترض شيئاً من الأبهة والتفخيم، والتي من شأنها واقعيًا أن تحرر المرأة، وأن تقلص وتمحو واقعيًا عدم المساواة بينها وبين الرجل، وأن تستجيب لدورها في الإنتاج الاجتماعي والحياة العامة.



3 – الحركة الأنثوية الوجودية: الوجودية هي فلسفة التجارب الشخصية والفردية، فلسفة الشك والرفض قبل القبول واليقين، ومن رواد هذه الفلسفة (جان بول سارتر) وعشيقته (سيمون دي بوفوار) صاحبة كتاب (الجنس الآخر)، والتي تتبنى أفكارا تشكيكية أهمها: إن السبب العميق الذي حصر المرأة في العمل المنزلي في بداية التاريخ، ومنعها من المساهمة في تعمير العالم هو: استعبادها لوظيفة التناسل. وتقول عن دور التنشئة في خلق وضع المرأة "لا يولد المرء امرأة بل يصير كذلك" وتقول: "إن سلوك المرأة لا تفرضه عليها هورموناتها ولا تكوين دماغها بل هو نتيجة لوضعها".

وأخيرا تدعو المرأة إلى الرفض والثورة والتمرد على هذا الواقع وتدعو إلى: "عالم يكون فيه الرجال والنساء متساويين... وسيعمل النساء وقد ربين ودربن كالرجال تماما، في إطار الظروف نفسها، وبالأجور نفسها، وستقر العادات الحرة الشهوانية، ولكن العمل الجنسي لن يعتبر خدمة مأجورة، وستكون المرأة ملزمة بتأمين مورد رزق آخر، وسيقوم الزواج على ارتباط حر بوسع الزوجين أن يلغياه متى شاء، وستكون الأمومة حرة أي يسمح بمراقبة الولادات".

4 – الأنثوية الراديكالية أو النوعية: الراديكالية يمكن اعتبارها نزعة وطريقة للتناول والمعالجة وليست مدرسة فلسفية، وقد اتسمت بعدم الواقعية، والبعد عن التدرج، والانحياز المفرط للمرأة دون النظر إلى السياق الاجتماعي، والمصالح التي هي فوق الرجل وفوق المرأة أيضا. وقد طالبت بتغيير جذري في مجموع علاقات الجنسين داخل الأسرة وفي المجتمع على حد سواء بزوال السلطة الأبوية واستئصالها، ووصولاً إلى المساواة المطلقة وسيادة علاقات النوع في المجتمع أو ما يسمى genderization of society

#### ثانياً: البيئة الفلسفية التي نشأت فيها الأنثوية

أهم المبادئ والأفكار التي أثرت على الفكر الغربي منذ ظهور عصر النهضة ثم التنوير ثم الحداثة وما بعدها، وأثرت بالتالي على الأنثوية كجزء وليد لهذه المنظومة الفكرية:

1 – العلمانية Secularism: تعنى تغليب العقل البشري على النقل الإلهي، ورفض الدين كمرجعية عليا للقطع في الأمور والعودة إليه عند الاختلاف، بل تعدى الأمر بعد ذلك إلى الإلحاد وإنكار الخالق بالكلية وغير ذلك من الأفكار، ويبدو أن ذلك كان نتيجة طبيعية للكنيسة وممارساتها، والتي أصرت على تقديم أفكار بشرية معوجة باسم الدين المسيحي. لقد أدت الكثير من المكتشفات العلمية إلى خلق حالة من الشك في الدين، ومحاولة الناس لشق طريقهم بعيداً عن الله والدين فحصل ما

عرف بالذنيوية والعلمانية (Secularism) وإقصاء الدين عن الحياة، وفقد الدين مرجعيته وهيمنته وحجيته في تعيين الخير والشر والحق والباطل والفضيلة والرذيلة.

والحركة الأنثوية تأثرت كغيرها من الحركات بما ذكرنا من أسباب التوجه للعلمانية، علاوة على أمور أخرى تتعلق بالنظرة الدينية الدونية والسيئة للمرأة وحقوقها في الديانتين السائدتين في الغرب النصرانية واليهودية بعد ما أصابهما التحريف والتبديل البشري.

2 – العقلانية Rationalism: هي صنو العلمانية وفلسفتها الجوهرية أو المركزية ونتيجة طبيعية لها، لأنه بعد رفض الدين كمرجعية ومصدر للمعرفة والاعتقاد والتشريع فلا بد أن يكون هناك البديل، فكان البديل في تأليه العقل الإنساني وتمجيده فظهرت النزعة العقلانية كمؤسس للنزعة العلمانية وكان لها الدور الأعظم في صياغة العالم الغربي المعاصر في كل مجالاته ولا بد أنها قد تركت على واقع المرأة أيضا والحركة النسوية آثارا مهمة وجوهرية فهي من ناحية فلسفة للأنثوية تعتمد عليها، وهي من ناحية أخرى وبامتداداتها المتطرفة كانت وبالآ على المرأة حطت من قدرها كما سيأتي إلى ذلك.

3 – المادية Materialism: فيما بعد عصر النهضة برزت إلى السطح في أشكال متعددة منها رفض الغيب وكل ما لا يدخل في دائرة الحواس، ومنها تعلق الناس بالدنيا والمنافع وذبول الجانب الروحي والإيماني والعاطفي في الناس، وزاد الأمر سوءا في فلسفات ما سميت بما وراء الحداثة (Post modernism).

وهذه النزعة كانت ذات أثر في الحركة الأنثوية ونوعية تلك المطالب التي تنبع من واقع كهذا، واقع قاسي على المرأة لا يؤمن للمرأة لقمة عيش إلا بعد إضاعة أنوثتها، وإنهاك طاقاتها، بل وفي الكثير من الأحيان استغلالها جنسيا من رب العمل واسترقاقها بشكل آخر، وأدى ذلك إلى انتشار البغاء ومن ثم تجارة الرقيق الأبيض وبيع النساء والصبايا في سوق نخاسة الجنس والدعارة.

4 -الفردية individualism: هي تمجيد الفرد كحقيقة منفردة وحيدة تعتبر نفسها مركز جميع الأشياء، ومقياسها، في نطاق المنافسة والتصادم مع الآخرين.

ولقد كانت العلمانية والعقلانية سببا في تأصيل نزعة الفردية في الإنسان، وتمحوره حول ذاته، حتى في مجال القانون والحقوق فإن الصياغة الليبرالية للفكرة الحقوقية في الغرب تنظر إلى الفرد كما لو أنه مستقل عن الجماعة في تصوره الأصلي أي أنه كان من البدء فردا ثم دخل الجماعة متنازلا عن بعض حقوقه لتحمي له حقوقه الباقية فظهرت فكرة الحق في تصور فردي. والفردية واحدة من

المنطلقات الأساسية للأنثوية والتي تؤكد على الفردية للمرأة وتجريدها من السياق الاجتماعي وإبرازها كند للرجل، وعدم ربطها لا بالأسرة ولا المجتمع ولا الأطفال. 5 – النفعية ومذهب اللذة Hedonism: هذه النزعة هي سمة من سمات الفرد والمجتمع الغربي، وهي نتيجة طبيعية للمادية والفردية وهي نزعة قديمة في الفكر الفلسفي الغربي، حيث تعود إلى قرون قبل الميلاد عند الفيلسوف اليوناني (أبيقور) الذي نادى بأن الخير هو اللذيذ، وأي فعل يعتبر خيرا بمقدار ما يحقق لنا من لذة. ثم جاءت فلسفة البراجماتية أو الذرائعية (pragmatism) والتي أصبحت ديانة أمريكية تؤكد على أن صواب أية فكرة أو خطأها يكمن في مدى تحقيقها للمنفعة عمليا عند تجربتها وفي فترة ما بعد الحداثة قال (ميشال فوكو): "تشكل اللذة غاية بذاتها، فهي لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق ولا لأية حقيقة علمية".

وفي هذه الأجواء تعالت الصيحات الأنثوية أيضا بالتشكيك من المعايير الخلقية (norms) وحق المرأة في تملك جسدها، وحق المرأة في رفض الإنجاب، وحق المرأة في رفض الرضاع والأمومة، وحق المرأة في عدم تربية ورعاية أولادها (كما سنتحدث عنه مفصلا فيما بعد) وحق المرأة في إطلاق رغباتها الجنسية والحب الحر، بل وحق المرأة في الشذوذ والزواج المثلي.

6 – العبثية والتشكيكية (Scepticism): يقول (تشارلز فرانكل): "ففي الثقافة الحديثة كل شيء نسبي وليس ثمة شيء مطلق، فليس لنا مبادئ أولية، ولا قيم نهائية، ولا عقائد راسخة لا فكاك منها، ولا إيمان بوجود معنى غائي للحياة". وتجسدت هذه النزعة التشكيكية الرافضة في فترة ما يسمى بما وراء الحداثة حيث يقول (ميشال فوكو): "عمل الفكر أن يجعل كل ما هو راسخ موضع إشكال" وهكذا بلغ التطرف أوجه حين أصبح هدم الراسخ مهمة للفكر والفلسفة وعملا أساسيا لها بغض النظر عن نوع ذلك المفهوم الراسخ.

وقد تبنت الحركة الأنثوية هي أيضا هذه المفاهيم، وتأثرت بهذه النزعات الشكية والتمردية بمختلف طوائفها، ولكن بدرجات متفاوتة طبعاً، وأدى هذا التأثير إلى أن تلخص بعض هذه التيارات مبادئها بجمل من قبيل:

أ – موت الميتافيزيقا (الغيب والدين) Death of metaphysic

ب – موت الرجل Death of man

ج – موت التاريخ Death of history

ولما نشأ التيار الراديكالي الأنثوي نشأ في ظل هذه المفاهيم فشكك في كل ما هو قائم من مصادر معرفة: (الدين + النظريات الاجتماعية والنفسية + القانون...)

واعتبرها رجولية متحيزة، وشكك في النظم الأخلاقية السائدة والقيم والعادات واعتبرها متخلفة وبالية وتحتاج إلى تغييرات جذرية، وشكك في اللغة واعتبرها متحيزة وتحتاج إلى إعادة صياغة ونادوا بـ (Reconstruction of Language) حتى الطبيعة البيولوجية للمرأة أنكرها وشكك فيها، وربطها بالبيئة الثقافية والتنشئة لا بحقيقة طبيعة المرأة وخلقها على نحو معين، وشكك بعد ذلك في الأمومة كوظيفة طبيعية للمرأة، وشكك في الأسرة كمؤسسة ضرورية للحياة وعلاقات الجنسين... الخ مما سيأتي إلى تفصيلاتها.

7 – الصراعية Conflict: إن الفكر الغربي منذ نشأته الأولى زمن اليونان مبني على أساس مبدأ الصراع وعدم الانسجام وخلق التناقض بين الأشياء بدل إدراك أوجه التكامل والتشابه، وبني على أن الثنائيات الموجودة في العالم لا مجال لتعايشها وتكاملها، بل لا بد من الصراع حتى يكون البقاء لواحد وهو الأصلح والأقوى.

وقد انصبغ ذلك على وضع المرأة في الغرب فصبغت حقوقها في مواجهة الرجل، وعلى أن كسبها يتأتى في صراع عه حتى في العلاقة الزوجية، وغابت من هذا التصور فكرة السكن والمودة بين الزوجين التي أوردها القرآن، وفكرة البناء المشترك للأسرة كمؤسسة اجتماعية تتولد الحقوق فيها عن التكاتف والتآزر، وليس انتقاصا من حق الآخر.

8 – الجنسانية Sexism: تعني جعل المتعة الجنسية غاية عليا. جذور الفكرة الجنسانية (بمعنى الإباحية والمشاعية الجنسية) ترجع إلى زمن اليونان وتحديدًا إلى أفكار (أفلاطون) الذي دعا إلى جمهوريته إلى: "أن نساء محاربينا يجب أن يكن مشاعا للجميع، فليس لواحدة منهن أن تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه منهم، وليكن الأطفال أيضا مشاعا بحيث لا يعرف الأب ابنه، ولا الابن أباه" ويقول بعض الباحثين أن (أفلاطون) كان مشجعا للشذوذ الجنسي أو الزواج المثلي والذي كان شائعا في المجتمع اليوناني.

ثم جاءت اليهودية بعد تحريفها طبعًا لكي تحدث عن زنا الأنبياء (حاشاهم، ولعنوا بما قالوا).

وابتدعت النصرانية الرهبنة واعتبرت الجنس قذارة ودنسا لا يليق بمن يبغى المقدس.

وجاءت الشيوعية لكي تنادي بالمشاعية والإباحية ولكي تعتبر العمل الجنسي في مذهبها لا يعدو أن يكون (كشربة ماء)، ولكن تعتبرها مسألة شخصية جدا كما يقول

(أوغست بيبيل) مفكر شيوعي ألماني إشباع الغريزة الجنسية مسألة شخصية تماما شأنها شأن إشباع أي غريزة أخرى، فلا أحد يحاسب عليها أمام الآخرين. وفي فترة الستينيات حدث ما سمي بالثورة الجنسية، وتغيرت المجتمعات الغربية تماما، حيث أصبح الابن يسوق عشيقته إلى بيت أبيه، والبنت تصحب حبيبها إلى غرفة نومها أمام والديه، وتفككت الأسرة، وشاعت العلاقات الجنسية خارج الزواج. وترجع إلى طغيان وغلبة هذه النزعة والمطالبات الأنثوية بالزواج المدني وتهميش مؤسسة الأسرة، ونزع القداسة عن عقد الزواج والرباط الأسري والاستخفاف المستمر بعفة المرأة، لأنها جزء من الثقافة الذكورية التي ترى في المرأة متاعا خاصا بالرجل... الخ.

### ثالثا: أبرز وأخطر آراء الأنثوية المتطرفة (الراديكالية)

1 – المناداة بعداء الجنسين وإعلان الحرب ضد الرجال: أعلنت الأنثوية حربا شعواء ضد الرجل، ورفعت شعارات من قبيل (الرجال طبقة معادية) و(الحرب بين الجنسين)، بل وصل حد المطالبة (بالقتال من أجل عالم بلا رجال). ولم تكن هذه الأفكار مجرد جدل لفظي أو تبادل شعارات، بل تجاوز إلى بروزه في الممارسة الواقعية في أشكال مختلفة فأدى أولا إلى: تدهور رهيب في العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، خاصة في العلاقات الجنسية، وتم الهجوم بشكل مكثف على مؤسسة الأسرة باعتبارها مؤسسة قمع وقهر للمرأة، ولابد من الارتباط الحر والحرية الجنسية بل تجاوز الأمر إلى الدعوة إلى الشذوذ الجنسي (السحاق) باعتباره شكلا ملائما محتملا للخروج من سيطرة الرجل العدو. ولا ننسى أن الحركة الأنثوية عندما تتحدث عن تمكين المرأة (Empowerment) فإنها تعني تمكين المرأة في صراعها مع الرجل.

وعادة يتم طرح سؤال في التدريبات الجندرية للتجمعات النسائية والرجالية: ماهي اللحظة الأولى التي وعيتم فيها أنكم ذكور أو إناث؟ وسؤال آخر: متى كان إدراككم الأول بوصفكم ذكورا أو إناثا أن عليكم أن تفعلوا أشياء أو لا تفعلوها؟ أو: ماهي الأشياء التي تفرض عليك بسبب جنسك وتكره أن تفعلها، والأشياء التي تفرض على الجنس الآخر وتود أن تقوم بها؟؟!!

2 – إعادة صياغة اللغة (Reconstruction of Language): انطلقت الأنثوية المعاصرة في سعيها لإعادة صياغة اللغة من مقولة (ميشال فوكو): "أن من يملك السلطة يملك اللغة"، وبهذا فسروا اللغات الأوروبية ونصوص الكتاب المقدس وشككوا فيها لأنها (من صنع الرجل) ولإثبات ما يمكن تسميته بالتحيز للذكر يمكن ملاحظة الكلمات الآتية في اللغة الانجليزية والتي تدل على تبعية المرأة للرجل

وعدم إمكان وجودها مستقلا كإنسان إلا من خلال الرجل: إنسان (Hu - man)، البشرية (Man - kind) حتى المرأة (Wo - man). ولو حذفت كلمة رجل (Man) لضاعت وسائل المرأة من الوجود في اللغة، وتحليل كلمة التاريخ (Hi - story) والتي تعني تاريخ الرجل دون المرأة، وطالبن بإعادة صياغة التاريخ ليحكي قصة المرأة ويسمى (her - story).

وليست الخطورة في مراجعات كلمات معينة أو مصطلحات غير دقيقة الصياغة أو كتابة نصوص تحابي المرأة بضمائر التأنيث، وإنما الخطورة تكمن في أن الأنثوية تحاول أن تفرض كلمات معينة ومصطلحات خاصة وجديدة تعبر عن رؤيتها للعالم وفكرها الخاص عن كل القضايا التي طرحناها (وهي شاملة ومتعددة الجوانب). وبهذا الشكل فإنها تريد تزييف المعارف الإنسانية والتمهيدية لترسيخ ثقافة خاصة بها، وخلق قيم جديدة وتكريسها عبر الوعاء اللغوي وعلاقة الترابط الموجودة بين الدال والمدلول.

وهو ما جعل مدخل الغزو الثقافي والتمكين للسيطرة الأجنبية هو إحلال مفاهيم الأمة بمفاهيم الآخر التي يتم تسويقها سياسيا وأكاديميا، كي يمكن احتلال عقل الأمة ووعيتها تمهيدا لاحتلال أبنيتها واستلاب حضارتها.

وقد طالبت بإعادة صياغة اللغة، وإعادة صياغة الكتاب المقدس والضمائر الموجودة فيه، وفي هذا المسعى أسهمت الحركات النسائية في تشجيع إصدار طبعة جديدة من كتب العهد القديم والجديد أطلق عليها الطبعة المصححة politically corrected bible في عام 1994، وتم فيها تغيير الكثير من المصطلحات والضمائر المذكورة، وتحويلها إلى ضمائر حيادية مراعاة للفمنزم، كما خفف تأثير الكلمات التي تصف الشذوذ الجنسي عند الناس.

عندما تطرح الأنثوية كلمات مثل: (Gender) بدلا من رجل وامرأة (man & woman) لوصف علاقة الجنسين أو كلمة شريك (partner) أو (Spouse) بدلا من الزوج، وكلمة (Feminism) للتعبير عن حركة النساء، و (Biological Father) للأب الشرعي، وتسمى أي تدخل للوالدين في صالح أبنائهم وتربيتهم (Patriarchy)، وتسمى دعم المرأة (Empowerment)، وتسمى الطاعة الزوجية بعلاقة القوة (Power relation)، وتوسع مفهوم الأسرة (Family) لتكون هناك (Traditional) تقليدية وأسرّة غير تقليدية، أو لا نمطية خاصة بالشاذين جنسيا أو مجموعات إباحية تعيش مع بعض، وكلمة (Stereotype)

(Roles) لوصف الأدوار الأساسية لكل من الرجل والمرأة في الأسرة. فإن الذي تغير ليس حروفا وكلمات وإنما مضامين ومعاني وثقافة وفكر.

والأمر يكون أخطر عندما يتعلق الأمر بصياغة المواثيق الدولية الخاصة بالسكان والمرأة والطفل وغير ذلك، لأنها بعد المصادقة عليها تصبح ملزمة، وتفسر الكلمات الواردة فيها حسب معجم الأنثوية واضعي هذه النصوص والذين يسمون الأشياء بغير أسمائها تمهيدا لاستباحتها، فلا يقولون الإجهاض وقتل الجنين، وإنما يقولون (حق المرأة في الاختيار) وغير ذلك.

3 – إلغاء دور الأب في الأسرة من خلال رفض (السلطة الأبوية): الأبوية تعني: حكم الأب المطلق داخل الأسرة، وتركز القرار كله في يده، وهذا مفهوم خاص بالغرب.

والديانة المسيحية زادت من ترسيخ المفهوم وإصباح الشرعية عليه عبر الكثير من الطرق منها: التأكيد على مفهوم الإله الأب والابن (أي الذكر) وتسمية وتشبيه المولى (عز وجل) بالأب.

السلطة الأبوية (البطيريركية Patriarchy) مرتبطة بواقع تأسس زمن اليونان والرومان، ويرأس هذا كله أب مسيطر متنفذ ومن صلاحياته:

أ – يحق له أن يتخلص من المولود المعاق أو المشوه أو الأنثى أو غير المرغوب فيه بالغطس أو الخنق أو رميه للوحوش.

ب – رب الأسرة هو الذي يملك فقط والبقية كلهم من أولاد وزوجات وعبيد وخيول وأثاث... كلها تعتبر من أملاكه، وهو حر في التصرف فيها.

ج – الزوجة طائشة في نظرهم، وتعامل كالطفلة أو كالقاصر  
د – المرأة بعد الزواج تدخل في دين زوجها وتترك دينها وعشيرتها وكل شيء سابق لزوجها وتحمل اسم زوجها وعشيرته ودينه...

وخطورة تبني الحركة النسوية شعار معاداة (الأبوية) تكمن في:

أ – أن الأنثوية لم تقف في حد مهاجمة النظام الأبوي الجاهلي، بل تعدى ذلك إلى الهجوم على الأسرة ونظامها وأصل تكوينها والتشكيك في جدواها.

ب – تعدى ذلك إلى رفض أي نوع من أنواع قيادة الأب للأسرة، واعتبار ذلك من الأبوية وفي هذا الإطار رحبت بالأسرة المدارة من قبل الأم وحدها (Family Mother - only)

ج – تأثرا بالحركة العلمانية والماركسية جعلت الأنثوية أيضا هذا المفهوم إطارا تحليليا شاملا فتحدثت عن الأبوية في الدين وأنه ظهر لتبرير الأبوية وترسيخها، واعتبرت الدولة أيضا امتدادا للأبوية.

ساهمت هذه الأدبيات المعادية للأبوية على خلق حالة من النفرة والعداء للأب والحساسية بقبول أي توجيه من توجيهاته، والتمرد عليه، كما ساهمت في صياغة القوانين الغربية القاسية جدا في منع الأبوين من تأديب أولادهما، وهذا انتهاك لحق الأبوين وحرمان لهما من حقهما في تنشئة الأولاد.

4 – رفض الأسرة والزواج: يرى الشيوعيون أن الذي ألجأ المرأة لكي تقبل بالزواج هو العامل الاقتصادي، وحاجة المرأة للمعيشة لنفسها ولأولادها، وهذا ما لا يبقى في النظام الشيوعي، لأن الكل تتولاهم الدولة فيسقط الأساس الذي يعتمد عليه الزواج والأسرة وتحرر المرأة من قيودها. ويمكننا إيجاز الأمور التي نتجت من هذه الدعوة لنقض الزواج والأسرة على النحو التالي:

أ – زيادة هائلة في أعداد الذين يعيشون مع بعض دون رابطة قانونية ففي بريطانيا على سبيل المثال ازدادت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رابطة رسمية من 8% عام 1981 إلى 20% عام 1988م.

ب – كثرة الخيانة الزوجية من قبل الزوجين واعتياد الناس عليها، بحيث لا تعتبر تهديدا خطيرا ولا جرما، وهذا يدل على أن الأسرة حتى لو بقيت فإنها شكلية لا أكثر.

ج – تربية الأولاد عند أحد الوالدين أو ما يسمى بعائلة الوالد المنفرد ( Single Parents Family) وتشكل النساء – 9%.

د – زيادة رهيبية في نسبة الطلاق: من أهم دلائل رفض الحركات النسوية الغربية للزواج والأسرة كانت تتجلى في سعيها الحثيث للإطاحة بقانون الأحوال الشخصية، والمطالبة بتسهيلها أكثر فأكثر إلى حد أن يكون الزواج والأسرة شكليا فقط، وحتى تتمكن المرأة من الحصول على الطلاق وهدم الأسرة بأيسر سبيل وأكثره اختصارا للتكلفة، بل الاقتناع التام أحيانا بجدوى هدم الأسرة في تحرير المرأة. وتعتبر بداية الستينات هي التاريخ الحقيقي لبدء انهيار الأسرة.

5 – ملكية المرأة لجسدها: نادت الحركة النسوية وخصوصا من بعد فترة الستينات إلى شعار مؤداه أن المرأة تملك جسدها أو جسداك ملكك Your body is your own وهذه الدعوة الخطرة تقتضي أمورا عدة منها:

أ – الدعوة للإباحية الجنسية ومن المشكلات التي خلفتها هذه الظاهرة: أمهات غير متزوجات وأغلبهن في أعمار المراهقة.



الارتفاع الهائل في المواليد غير الشرعية أو أطفال الزنا، وهذه واحدة من المشكلات العويصة التي توجد في المجتمعات المعاصرة لكثرة الجرائم التي تأتي من وراء هؤلاء الأطفال، حيث أنهم يتربون تربية مشوهة، ويعانون من الكثير من العقد النفسية، ويتربون على حقد الآخرين والسوداوية والقسوة، ولا تعرف الرحمة طريقا إلى قلوبهم إلا نادرا، وغالبا ما يصبحون فريسة سهلة للعصابات وشبكات تنظيم الجنس والجريمة ولذلك فهناك الآن ظاهرتان عالميتان معروفتان يشكل هؤلاء الأطفال أساسا كبيرا لهما: الاتجار الجنسي أو الاستغلال الجنسي للأطفال... وجرائم الأحداث وعنفهم ومشكلاتهم وتعلمهم فنون اللصوصية والإرهاب.

ب - رفض الإنجاب.

ج - التبرج الشديد والتعري.  
وأهم المشكلات التي تثار في الخطاب العلماني، أنه يعتبر الحجاب تخلفا، وبالتالي ينادي بنزع الحجاب، لأن سفورها طريق للتقدم، ومن هنا يصبح الحجاب خارج دائرة ممارسة الحرية، لأنه تخلف، ولا حرية ممارسة التخلف.

د - حق المرأة في إجهاض جنينها.

6 - إباحة الإجهاض: إن الغربيين عندما اعتبروا أن المرأة تملك جسدها زادت حالات الحمل غير الشرعي، وأصبحت مشكلة متعددة الأوجه والأبعاد، وبدلا من أن يفكر الغربيون بمعالجة أصل الداء وجذره، أصبحوا يبحثون عن حلول لأعراضه، وكأن الزنا والإباحية أصل لا يمس، وثابت من ثوابت المجتمع لا يتغير، وفي مسعاهم للحل طرخوا أمورا عدة منها:

أ - تسهيل الحصول على موانع الحمل ورفع الحظر عنها، وتوفيرها في الجامعات والمدارس، بأسعار رمزية أو بدون سعر، وتمكين المراهقات من الحصول عليها.

ب - ومن الحلول التي طرحتها أيضا مسألة تعليم الجنس (sex education) وجعلها من مطلوبات المدارس حتى في المرحلة الابتدائية لتعريف الأطفال بالعملية الجنسية المأمونة (safe sex) وطرق منع الحمل.

ج - ولكن يبدو أن هذا لم يكن كافيا فطرح الإجهاض أيضا كحل مقبول بل وضروري من قبل الحركات النسوية ومن أيدها، وطالبت الأنثوية الحكومات بإصدار تشريعات متساهلة بحق الإجهاض.

والإحصائيات تشير إلى أن حوالي 40 إلى 60 مليون امرأة في العالم تحاول إجراء عملية إجهاض جنين غير مرغوب فيه وهذا يعني قتل 40 إلى 60 مليون جنين. ولا يعزى تأخر بعض الدول الغربية أو تردها في تقنين الإجهاض إلى الآن إلى أسباب أخلاقية أو دينية بقدر ما يرجع إلى خوفها الشديد من النقص السكاني،

بالمقارنة بالدول النامية الفقيرة والتي تشهد طفرات هائلة في الزيادة السكانية تهدد المستقبل الديموغرافي في العالم من وجهة نظر الأغنياء في الغرب، وليس أدل على ذلك من تأييد هذه الدول بل وصياغتها للمواثيق الدولية الداعية لتنظيم الأسرة وتحديد السكان سواء بموانع الحمل أو الإجهاض أو غير ذلك من الوسائل، فالهدف التقليل قدر ما أمكن من عدد السكان في الدول النامية حتى لا يتزاحم الفقراء على موارد الأغنياء.

7 – رفض الأمومة والإنجاب: يتساءل أنصار حركة الأنثوية عما إذا كان من واجب المرأة حقا أن تثقل كاهلها برعاية الأطفال فضلا على الحمل والإنجاب.. وامتدت التساؤلات إلى معنى الأنوثة ذاتها، وعن حقيقة وجود تلك الفروق العضوية المميزة للرجال والنساء، وعما إذا كان من الممكن إرجاعها إلى عوامل بيئية وثقافية، وبالتالي تفقد أساسها البيولوجي، وتصبح مظاهر اجتماعية لا تستحق كل هذا الاهتمام الذي يثار حولها، وهذا معناه أن الحركة الجديدة لا تستهدف شيئا أقل من ظهور امرأة جديدة أو نوع من النساء يختلف كل الاختلاف عما عهدته الإنسانية حتى الآن.

تقول الكاتبة (Eisonstein. H): فقط بإلغاء كل من المسؤولية الفيزيائية والسيكولوجية للمرأة في إنجاب الأطفال يكون ممكنا إنجاز تحرير المرأة. ويأتي هذا الرفض الأنثوي للإنجاب والأمومة في سياق رفض كلي وقاطع لوجود أي فرق بين الذكر والأنثى يمكن أن يستند إليه في إسناد دور معين للمرأة أو الرجل، وهذه واحدة من قناعات الحركة وتبني عليها أمورا أساسية. وفي هذا السياق تتحدث الأنثوية عن مفهوم النوع (Gender) لتحديد العلاقة بين الجنسين وتوصيفها تحاشيا وتهميشا لمفهومي الذكر والأنثى، وتأكيدا على المفهوم السابق الذكر في رفض أي نوع من التمييز بينهما، أو رفض أي نوع من توزيع الأدوار حتى داخل الأسرة على أساس الجنس (Sex) البيولوجي، وتسعى الأنثوية الآن لتعميم علاقات ومفهوم النوع أي تقوم بـ (الجندر أو Genderazation) في جميع مناحي الحياة ومؤسسات المجتمع وهو ما يسمى بمأسسة الجندر (Gender Mainstreaming)

8 – الشذوذ الجنسي وبناء الأسرة اللانمطية: في حين كانت هذه الفاحشة فردية وسرية أصبحت منذ الستينات جماعية وعلنية ونظم أهلها أنفسهم في تنظيمات متعددة وبأسماء متعددة للمطالبة بحقوقهم أو بحقوقهن سواء الذكور الذين يعرفون بـ (Gay) والإناث اللاتي يعرفن بـ (Lesbian) ويطالبون بأمرين:

أ – الاعتراف بهذه الفعلة كأمر طبيعي والنظر إليها كحرية شخصية، بل نوع خاص من المعاشرة، وأنها حق من حقوق الإنسان ويعتبر الاعتراف بها إنجازاً قانونياً وإضافة للحريات الإنسانية الأساسية (في نظرهم ونظر من يؤيدهم).  
ب – إصدار قوانين تعترف بهؤلاء كأسر شرعية تملك كل الحقوق الطبيعية للأسرة.

وأما ما يتعلق بالحركات الأنثوية فإنه تنظر إلى المسألة على أنها:

أ – وسيلة لكي تتخلص المرأة من تبعيتها للرجل.

ب – تخلص المرأة من سطوة الرجل وعنفه.

ت – تخلصها من مشكلات الولادة والإنجاب والأمومة.

ث – تثبت المرأة من خلالها أنها تستطيع أن تستقل بذاتها وتستغني عن الرجل تماماً وفي كل شيء وهي بهذه الطريقة تثبت نديتها ومساواتها المطلقة.

ج – المساحقة مسألة غريزية فطرية لدى المرأة حسب زعمهم.

وتحقيقاً لهذا الهدف وتوفير مثل هذا المجتمع فإن منشورات الخلايا النسائية كانت تتضمن مبادئ مثل حض غير المتزوجات على البقاء من غير زواج، والمتزوجات بهجر أزواجهن، وتحذير النساء من العلاقات الجنسية (أي مع الرجال)، ومن الحمل، ومن شراء أدوات التجميل.

وتطور الأمر بعد ذلك، وصعدت الأنثوية لهجتها، واعتبرت العلاقات الجنسية الطبيعية (Hetero Sexual) أمراً مرفوضاً بشكل قاطع لأنها مفروضة على المرأة من قبل السلطة الأبوية (Patriarchy) لأن المرأة تستطيع إشباع رغباتها عن طريق المرأة كما تقول (Julia Kristeva)، بل وصل الأمر إلى حد أن يعتبر السحاق شرطاً لاعتبار المرأة من مؤيدي قضية المرأة أو أن تكون أنثوية حقيقية حين قالت (Adrienne Rich) في مقالها عن (الممارسة الجنسية الشرعية) بأنه إذا أرادت المرأة أن تكون أنثوية حقيقية (True Feminist) فعليها أن تكون سحاكية (She must become a Lesbian) حسب التعبير الإنجليزي، وعليها أن تتخلى عن كل الأفكار التي تؤرقها وتجعلها تحس بأنها شاذة ومريضة ومجنونة، فقط لأنها تمارس الجنس مع النساء بدلاً من الرجال.

ولدعم هذه الفكرة، تم إدراج مصطلح مساواة النوع (Gender Equality)، وذلك لضمان حصول الشواذ على نفس حقوق الأسوياء أو (التقليديين)، وهذا ما تجلّى مؤخراً في قرار الأمين العام للأمم المتحدة مارس 2004 بحصول المتزوجون

الشواذ على نفس حقوق المتزوجون التقليديون وذلك من حيث: الميراث،  
الضرائب، التأمينات الاجتماعية. [https://www.maghress.com]

## 1 / ث - تميزه عن الجنس

هناك لبس وابهام وعدم انتباه عند الكثير من الناس حول استخدام عبارة الجندر gender إذ يعدوها جنساً ولم يلتفتوا الى الاختلاف الجوهرى القائم بينهما. فعبارة الجنس Sex تعني الاختلاف البيولوجي بين الانثى والذكر، حيث يستلم الوليد حال ولادته هويته البيولوجية فيقال عنه بأنه بنت أو ولد ومن هنا يبدأ التميز بينهما. أما الجندر: فهو توصيف ثقافي واجتماعي يميز بين الانثى والذكر بناءً على المعاني والمعتقدات والمعايير والاحكام المقترنة مع الانوثة والذكورة لا صلة لها بالتركيبية البيولوجية. مثال على ذلك عند الكثير من الأفراد تعني الذكورية: العدوانية والاستقلالية وعدم الخجل والجرأة وعدم العاطفة، بينما تعني الأنوثة: عند الكثير من الناس عكس ذلك، عاطفية وحنينه ومعتمدة على الرجل في عيشها. فهم هذه الاختلافات الواقعة بين الجنس والجندر، مهمة جداً من منظور علم الاجتماع لأن العديد من الناس يفكروا بأن الاختلافات الجنسية هي القاعدة التي يرتكز عليها الجندر. إنما واقع الحال ليس ذلك فمثلاً يتوقع الولد ان يكون معتداً بنفسه ومعتمداً عليها وقوياً يدافع عن نفسه بنفسه هذه المحددات والمواصفات تمثل وعاء اجتماعي - ثقافي قدمه المجتمع للأفراد عن الولد لا علاقة لهذه الاوصاف بأعضاء الذكرية اطلاقاً. هذا هو جواهر الفرق بين الجنس والجندر. الأول بناءه بيولوجي والجندر بناءه اجتماعي - ثقافي.

## القواعد البيولوجية والاجتماعية لأدوار الجندر

يبدأ علماء الاجتماع بدراسة مفاضلة الذكر على الانثى من زاوية اختيار القواعد البيولوجية والاجتماعية لدور النوع الجنسي للتعرف من يحدد الصواب والخطأ والمسئوليات والتوقعات والعلاقات عند الرجل والمرأة في المجتمع لأن الأدوار الجندرية لها كلا القاعدتين البيولوجية والاجتماعية. فالقاعدة البيولوجية لدور الجندر تكون متجذرة في الكروموسومات والهرمونات المختلفة. وإزاء ذلك تطلق الانثى كروموسوم X فقط (لأن الانثى تحمل كروموسومات XX) أما (الذكر فإنه يحمل كروموسومات XY) فإذا انطلق كروموسوم Y من الذكر وتفاعل مع كروموسوم X عن الانثى فإنه سوف ينتج جنيناً ذكراً، أما إذا انطلق كروموسوم X من الذكر وتفاعل مع كروموسوم X عند الانثى عندها يكون الجنين انثى. جدير بذكره من الناحية العلمية فإن نسبة تحديد الجنس ذكر أو انثى 50% للطرفين. بعد تحديد نوع

جنس الجنين في رحم أمه تبدأ تحديد الهرمونات محمولة في الدم عن طريق الكروموسومات وخلال فترة الحمل تبدأ تفرز الغدد وهو جنين في داخل رحم الأم فيفرز هرمون الأندروجين عند الذكر وهرمون الأستروجين عن الانثى يسير الهرمون في الدم منتجاً الاختلافات الجنسية في مظهرهما الخارجي للجنس في بعض الأجزاء الداخلية والدماغ وعند الولادة وبذلك يميز الطبيب نوع جنس الجنين بعد الولادة من خلال الأعضاء الجنسية الخارجية الظاهرة للعيان وعند وصول الطفل الى سن البلوغ تظهر الاختلافات الهرمونية عند الذكر والانثى. فالانثى تظهر عليها خصائص الجنس الثانوية مثل الطمث (الحيض) ونمو الثدي مع توسع في الورك وأكتاف ضيقة وبشرة ذات طبقة دهنية في الجسم، أما الخصائص الجنسية الثانوية عند الذكر فإنها تتضمن كبر حجم العضو التناسلي ونمو كبير في عضلات الجسم مع خشونة في الصوت وعمقه وينبت الشعر على ذقنه وخطوده مع غزارة في شعر جسمه وزيادة في طول جسمه. [Kendall. 2012. P. 70]

إن سياق العرض السالف يلزمي أن أطرح السؤال التالي: هل هناك مؤثرات بيولوجية ووراثية عند كلٍ من الذكر والانثى تجعلهم عدوانيين أو مسالمين؟ تجيب على هذا السؤال (جوديث لوربير Judith Lorber) 1994 فتقول عندما يركض الولد (الطفل) ويعمل صخب وضوضاء نقول له يا ولد لا تفعل ذلك. يعني هذا بأن الكروموسوم (Y) قد ظهر في جسمه بوقت مبكر فجعله حيويًا ومركبًا وانفعاليًا. والحالة ذاتها مع البنت (الطفلة) عندما لا ترمي الكرة بقوة نقول لها انت تشبهي البنت في رمي الكرة. وحسب تأويل (لوبير) إن هذه الطفلة تحمل كروموسوم (XX) مع ذلك فإن (لوبير) تسأل السؤال التالي: هل هذه الحالة عامة وشاملة عند لجميع وفي كل وقت ومكان؟ وهل هناك جماعات تحفز وتشجع عندهم الحيوية والنشاط أم لا؟ أو فقط عندما يكون هناك حضور لمشجعين يشجعون على حرية الحركة خارج المنزل في الفضاء وممارسة الرياضة والتحرك بحرية تعبيراً عن الأقدام والجرأة؟

وتعطي (لوبير) مثال آخر على معرفة فيما إذا كان الولد أو البنت عدوانيين أو غير عدوانيين بسبب وجود عامل أو مؤثرات بيولوجية أو وراثية تدفعهم على ذلك، تقول لو اعطينا مضرب كرة التنس للولد وللبنت وهم في عمر ثلاثة سنوات وتشجعهم على المنافسة فيما بينهم في هذا التشجيع لهم فإن النتيجة تكون بأن حيويتهم ستكون عالية وجسمهم متنشط وسواعد نامية وأذرع قوية وهذا بدوره يؤدي الى تنشيط طاقتهم الحركية وتجعل جسمهم أكثر مرونة. في الواقع هذه التشجيعات تقوم بإرقاء الاثابة والتحفيز في الاختلافات الجسمانية. وهذا يعني ان

الثقافة الاجتماعية هي التي تقوم بتحفيز وتنشيط الحركة والحيوية عند الولد والبنت ولا أثر للتأثيرات البيولوجية والوراثية في ذلك. فالمنافسة والعدوان منشئهما المشجعين المحيطين بالفرد (الأسرة والأصدقاء والمدرسية والاعلام) إذ لا يوجد طفل أو طفلة عدوانين بالوراثة أو بسبب ضخامة الجسم أو قوته بل بوجود محفزين ومثيرين ومشجعين على استخدام القوة الجسدية عند الانسان.

المنطق التحليلي لما تقدم نقول بان القاعدة الاجتماعية التي يستند عليها لدور الجندي يعرف بـ (نسق المعتقد الجندي Gender belief system) وإن فكرة الذكورية والانوثة يكون حملها وتطبيقها مشروعاً ومقبولاً في المجتمع وان نسق المعتقد الجندي يعكس فيما يُعرف عند علماء الاجتماع بـ (التقسيم الجندي في العمل Gender division of labour) أو تقسيم العمل بين الجندر وإزاء ذلك تكون المهام والمسؤوليات منفصلة حسب قاعدة الجندر. لكن السؤال الذي يواجهنا الان هو كيف يقرر الناس ويحددوا عمل المرأة وعمل الرجل؟ للإجابة على هذا السؤال نرجع الى الاحداث المستتقة من دراسات صدرت عن عدة ثقافات ترينا بان العوامل الاجتماعية أكثر تأثيراً وفاعلية من العوامل البيولوجية في تقسيم عمل الجندر في المجتمعات.

مثال على ذلك: في المجتمعات الزراعية الفقيرة، تعمل المرأة في الحقول والمزارع لجلب لأفراد اسرتها الحاجات اليومية، أما الرجال فإنهم عادةً يقوموا بإنتاج منتجات تباع مباشرةً في السوق – نقداً – لكن لا يدخروا وقتاً للعمل في التدبير والمنزلي. أما في المجتمعات ذات الدخل العالي فإن هناك عدد كبير من النساء يعملن في اعمال خارج المنزل مع الاحتفاظ بعملهن داخل المنزل في تدبيره ورعاية افراد الأسرة. وعبر الثقافات فإن مجال عمل المرأة يكون خاص – شخصي وأسري أما مجال الرجل فيكون عام وفي المجال الاقتصادي والسياسي. هذه الاختلافات تثير التساؤل حول كيف حصل هذا الانقسام؟ وكيف تتم مكافئته؟ وكيف يؤثر الحصول على المصادر النادرة مثل الثروة والنفوذ والهيبة الاعتبارية؟ منح المجال أو المزاوله فيه يكون للرجل فرصة ومداخل أكثر مما تمنح للمرأة بالولوج الى مجال الثروة والنفوذ والهيبة الاعتبارية، هذا الوضع يقود الى عدم المساواة؟ الجندرية في مجالات اخرى غير التي ذكرناها انفاً (الثروة والنفوذ والاعتبار الاجتماعي).

لكي نشرح ونفسر عدم المساواة الجندرية نذهب الى ما ذهب اليه بعض علماء الاجتماع الذين استخدموا "مسلك دور الجندر" الذي يركز على كيف تساهم عملية التنشئة في جعل الذكر مهيمن والانثى خنوعة وتابعة؟ بذات الوقت هناك علماء

اجتماع اخرين اعتمدوا على المسلك البنائي الذي يركز على كيف يقوم التفاعل الواسع واستمرار البناء الاجتماعي في تهديده لحدود سلوك الأفراد؟ دعنا ننظر الى كيف تستطيع التنشئة ان تجعل النمطية الجندرية سائدة وخالدة؟

## 1 / ج - تطوره

في (تموز/يوليو) من عام 2010 تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة تكوين وكالة جديدة للأمم المتحدة للنساء، تدعى كيان الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين النساء، أو اختصاراً الأمم المتحدة للنساء، وقد كان قرار تكوين جسم منفصل للتعامل حصرياً مع نشاطات تتعلق بالجندر بعد سنوات من تكون الأمم المتحدة لوكالات متخصصة بقضايا نوعية، وبدأت وكالة الأمم المتحدة للنساء العمل في (كانون الثاني/يناير) من عام 2011، ومن المهم بحال معرفة مفاهيم وأبعاد مفهوم "الجندر" والنشأة والسياقات التي ولد بها.

**إرهاصات:** في سنة 1949 صدر كتاب "الجنس الآخر" للكاتبة الفرنسية (سيمون دي بوفورا)، الكتاب الذي يُعدُّ الدستورَ المؤسسَ للحركة النسوية في العالم، وقد ذهبت فيه (دي بوفورا) إلى أن الرجل يمارس على المرأة سطوة عاطفية، وهو ما جعلها تعاني من اضطهاد عميق؛ لأنها في النهاية قبلت بتحوّل الرجل من إنسان واقعي إلى رمز شبيه بالآلهة، (ودي بوفورا) تعتقد أن المرأة لا تولد امرأة لانعدام قدر بيولوجي أو نفسي أو اقتصادي يقضي بتحديد شخصية المرء كأنثى في المجتمع.

وترى (دي بوفورا) أن تحرر المرأة رهين بمدى استطاعتها تغيير الصورة التي ينظر بها الرجل لها ولخصائصها الجسدية والنفسية، ومدى تحررها من الموروث الثقافي الذي يشكل سلباً حيواتها اللاواعية، وهذا الدور منوط بالمرأة الكاتبة التي تملك ناصية اللغة لتبليغ المشاعر والأحاسيس "لآخر" الذي تمثل المرأة في عُرْفه الجنس "الآخر"، فالأنثى تتحوّل إلى امرأة ضمن واقع ذكوري متسلّط تشكّلت شخصيته انطلاقاً من مفهوم السلطة التي وضعت ملامحها وحدودها السلطة الاقتصادية عبر العصور وبذلك صرخت سيمون (دي بوفورا) "إن الشخص لا يولد امرأة، بل يصبح امرأة".

فعملت سيمون بنتاجها الفكري والأدبي على التساؤل عن هوية المرأة، والتأكيد أنها هوية مستلبة من صنع الرجل وتحررها يكون بقدرتها على الخروج من أصفاد الصورة النمطية التي صنعها المجتمع، وهي بهذا مهّدت للتظير في مفهوم "الجندر".

## 1 / ح - تدرجه (التدرج الجندي Gender Stratification)

يشير هذا لمصطلح الى مفهوم يتضمن التوزيع المتدرج للمصادر الاجتماعية والاقتصادية على سُلّم يكشف الاختلافات البيولوجية المرتبطة بالاختلافات النوعية (الجنس). أما معايير هذا التدرج فهي الأجور، التعليم، نوع العمل داخل المنزل، المشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية والسياسية والاقتصادية، المناصب السياسية. وليس الانحادر الطبقي أو الانتماء العرقي أو الديني أو الحزبي أو الإقليمي. هذه حقيقة واقعة. أما الحقيقة الثانية حول التدرج الجندي فانه سائد وموجود في كل المجتمعات الإنسانية لكنه يتباين بالدرجة لا بالنوع. فالمجتمعات المتقدمة يكون تدرجها الجندي متفاوت بشكل بسيط على درجات سُلّمه، على نقيض المجتمعات المحافظة والتقليدية والاقطاعية والعسكرية والدينية الذي يكون تدرجها متضمناً درجات سُلّمية متباعدة وحادة. وانه من النادر جداً أن نجد مجتمعاً معاصراً يتضمن مساواة متوازنة بين المؤنثة والمذكر في العمل والأجور والتعليم والمناصب واتخاذ القرارات، لأن ذلك يعتمد على حاجة الأماكن لهنّ والى مستويات مهارتهنّ وتعليمهنّ والى ثقافة الرجل ونوع النظام السياسي القائم فيه.

لكن هناك محكات يمكن استخدامها في مقياس درجة المساواة بين المؤنثة والمذكر مثل:

- 1 - عمل المرأة في المحور الاقتصادي.
- 2 - مجالات المرأة في التعليم.
- 3 - الدعم العقائدي والديني لموضوع المساواة بينهما (هل هو قوي أم ضعيف).
- 4 - مدى مساهمة الرجل في مساعدة المرأة في التدبير المنزلي ورعاية الأطفال.
- 5 - فصل عمل المرأة عن الرجل في مكان العمل أو عدمه.
- 6 - مدى السماح للمرأة بالصعود على السُلّم الرسمي الخاص بالنفوذ واتخاذ القرارات الرسمية.

هذه هي المحاكات والمعايير الاجتماعية التي يمكن استخدامها في تحديد التدرج الجندي في أي مجتمع. فمثلاً إذا أخذنا المجتمع السويدي الذي يعتبر من المجتمعات الأكثر تمدناً في عصرنا الحالي نجد فيه درجة عالية من المساواة الجنسانية من خلال مشاركة المرأة في سوق العمل والتدبير المنزلي ورعاية الأطفال المدعومة من قبل الحكومة فضلاً عن امتلاكها الدور الفعال والناشط في النسق السياسي. لكن على الرغم من كل ذلك فإن أجورهنّ أقل من أجور ورواتب الرجل السويدي.



أما في البلدان الأخرى فما زالت النساء لديها فرص تعليم أقل من الرجل وما زالت معدلات الأمية عالية عندهن. لكن في اليابان فقد حصلت المرأة على قدر عالٍ من التعليم والمشاركة في سوق العمل بشكل مكثف. أما وضعها في الأسرة فلها دور جامد ومقيد لكن معدل العنف ضدها قليل جداً بالمقارنة مع مجتمعات أخرى. بذات الوقت فهي تعمل بالأعمال الجنسية Sex workers في المنازل والبارات والنوادي، لكن تبقى أجورها غير متساوية مع الرجل. في الواقع هذه الحالة غير المتساوية تمثل ظاهرة جندرية تسود جميع انحاء العالم دون استثناء. لا جناح من الإشارة الى نوع اخر من المجتمعات التي تتضمن تدرجاً جندياً متطرفاً وحاداً مثل أفغانستان ابان حكم طالبان عام 1996 الذي جرد المرأة والبنات من أبسط حقوقها الإنسانية وسحبها من سوق العمل وأغلقت الجامعات في وجهها وعزلها في مدراس خاصة بها وحرمها من الخروج خارج منزلها إلا بمصاحبة رجل (محرم) معها ودهن شبابيك منزلها بالدهان الأسود لكي تبقى معزولة لا يشاهدها أحد من الناس هذا الفصل والعزل يطلق عليه في علم الاجتماع بـ (التمييز الجندي Gender apartheid) ثم هناك تدرج جندي حاد مثل الافغاني سائد في المجتمع السعودي والكويتي والقطري. [ Andersen and Taylor. 2013. ]

[P262

## الفصل الثاني

### التنشئة الجندرية والتنوع الثقافي

استهلال

2 / أ – الثقافة والتنشئة في عدم المساواة الجندرية

2 / ب – التنشئة الجندرية من قبل الوالدين

2 / ت – التنشئة الجندرية من قبل الاقران

2 / ث – التنشئة الجندرية في التربية المدرسية

2 / ج – التنشئة الجندرية في الرياضة  
2 / ح – التنشئة الجندرية في وسائل الاعلام

## الفصل الثاني التنشئة الجندرية والتنوع الثقافي

### استهلال

لماذا هذين الموضوعين في عنوان واحد؟ ذلك لأننا سنتكلم عن تنشئة الجندر في مجتمعنا الحاضر أي المجتمع المعاصر الذي يتألف من عدة ثقافات اجتماعية متنوعة وكل ثقافة لها انماطها التنشئية الجندرية الخاصة بها المتباينة مع بعضها، لذلك تطلب هذا الاقتران العنوانين. وإذا أردنا ان نبدأ من الخطوة الاولى للتنشئة

في المجتمع المعاصر مثل المجتمع الأمريكي فإن الاختلاف الجندي يبدأ من لحظة ولادة الوليد ولفه بلفات ذات لون مختلف. فإذا كان الوليد ذكراً فإنه يُلف بلفاه ذات لون أزرق وإذا كان الوليد مؤنثة فتُلف بلفاف وردي اللون (هذا في المجتمع الأمريكي) وفي هذه اللحظة يبدأ الاختلاف بينهما، تليها ملابسهم المختلفة أيضاً في ألوانها ونقوشها وتفصالتها ولعبهم التي يتسلموا بها ومنها تستمر الاختلافات التفاعلية مع المولود لغاية وفاته.

ومن نافلة القول، ان التنشئة تمثل عملية طويلة الأمد تبدأ من التفاعل الاجتماعي التي عبرها يتعلم الطفل ثقافة مجتمعه ويدرك ذاته وادواره لكي يستطيع ان يعمل في وظائف المجتمع. إذ ان كل جيل ينقل العناصر الجوهرية للثقافة للجيل الأخر بواسطة التنشئة الأولية (الابتدائية) Primary socialization التي تنطوي على تعليم الدور الأسري والمهارات الضرورية التي تتناسب مع مجتمعه مثل اللغة والسلوك المقبول وضوابطه في المسموح والممنوع والحلال والحرام والمحبيب والمكروه والمفضل والممقوت وهكذا، ثم تأتي مرحلة ثانية من مراحل التنشئة الاجتماعية وهي التنشئة المستمرة Continuing socialization التي تعلم الفرد قواعد الأدوار الاجتماعية ليستخدمها في مراحل حياته.

ليس التنشئة فقط تقوم بتهديب شخصية الفرد وتسمح له بتنمية مهاراته وطاقاته، بل تقوّلب المعتقدات والانماط السلوكية لكل جماعة التي بدورها تعلم أعضائها التنشئة الجندرية Gender socialization يكتسب من خلالها السلوك الثقافي الخاص بالمؤنثة والمذكر المقترن بالجنس البيولوجي للمذكر أو للمؤنثة إلا ان التغيير الاجتماعي عادةً ما يقوم بصدمات ومعاكسات للتنشئة الجندرية على المستوى العام وبناءً على ذلك لكي نفهم التنشئة الجندرية في المجتمع المعاصر نجد من الضروري فهم التنوع الثقافي بكل اشكاله.

## 2 / أ - الثقافة والتنشئة في عدم المساواة الجندرية

يمثل المجتمع الوعاء الكبير المحتضن للثقافة التي تكسب افراد المجتمع الميراث الاجتماعي ليكون أشبه بسكة القطار الذي يسير عليها. أي تمدهم بالخطوط العامة والمناسبة لتصرفاتهم ومعتقداتهم وعلائقهم، لا يتم هذا الاكتساب الثقافي إلا من خلال تنظيمات ومؤسسات اجتماعية تعيش داخل المجتمع مثل الأسرة والدين والمدرسة والحزب السياسي والوسائل الإعلامية وغيرها التي تقوم بإشباع حاجاتهم الضرورية والأساسية وكل مؤسسة لها نوع خاص من التنشئة تكمل اشباع حاجات المؤسسات الأخرى دون حصول تداخل بينهما. ففي التنشئة الابتدائية يقوم الأبوين بتعليم أبنائهم بما ورثوه من أجيالهم السابقة التي تمارس بشكل مختلف على الولد

والبنيت أي تكسب البنيت اعتبار ونفوذ أدنى من أخيها الذكر ثم تبدأ المدرسة وباقي المؤسسات الاقتصادية والسياسية والحكومية والرياضية والإعلامية بتعزيز ما قامت به الأسرة من تباين في التنشئة الجندرية. بتعبير ثاني تقوم التنظيمات الاجتماعية بنقل التراث الثقافي للجيل الناشئ لكي ينقله عند كبره الى الجيل اللاحق الذي ميّز بين المؤنثة والمذكر في نفوذهما الأسري واعتبارهما الاجتماعي.

ثمة حقيقة مفادها ان الثقافة تمدّ افرادها بمعايير الضبط الاجتماعي لكي يتماثلوا مع معاييرها ومعرفة المخالفين لها من بين هذه المعايير، معايير خاصة بدور الجندر التي لا تكون رسمية بل عرفية (غير مكتوبة) مثل السخرية والاستهزاء من قبل الاقران وفقدان الدعم الأسري والاستهجان والنقد لكل من لا يتماهى مع معاييرها عند كل من الذكور والاناث دون التمييز بينهما. مثال على ذلك أن البنيت تتجنب التصرف بعنف وبفضاضة تسمع النقد والاستهجان والسخرية من تصرفها من قبل صديقاتها وأفراد اسرتها لأن معايير ثقافتها تحبذ التصرف برقة وحنان وكياسة للبنيت في تفاعلها مع الأخريات. بذات الوقت، إذا قام الولد بتصرف مائع ومتردد فإنه يواجه نقداً وسخريةً واستهجاناً من الآخرين المحيطين به لأن ثقافته مدّت مجتمعه بمعايير خاصة بالذكر مثل معيار الخشونة والجرأة والمبادرة في تصرفه. هذا على الصعيد الطفولي، أما على الصعيد الرشدي (النضج) فإن معايير الرجل في العمل لا تسمح له بالعمل في دور الحضانة أو رعاية الأطفال لأنها مخصصة ثقافياً للمرأة ولا يسمح للمرأة عند نضجها ان تعمل كسباكة أو حدادة لأنها خاصة بعمل الرجل. هذه معايير ثقافية تبقى مستمرة طالما تغذيها الثقافة الاجتماعية. لكن قد تتغير إذا غيرت الثقافة معاييرها حول مقياس المؤنثة والمذكر أعني المقاييس الجندرية.

هناك أفكار نمطية تستخدمها الثقافة العامة على الثقافة الفرعية مثل ثقافة الفئات العرقية أو القومية أو العمرية التي غالباً ما تكون جارحة ومسيئة لهم مثال على ذلك العانس والمطلقة والأرملة والكبير في السن ويريدوا الزواج مرة ثانية يواجهوا مسميات نمطية تطلقها الثقافة العامة عليهم لأنهم يمثلوا الثقافة الفرعية لتسخر منهم وتستهزأ بهم من خلال وصفهم بالسذاجة أو الغباء أو الحمق.

تؤكد الكثير من البحوث والدراسات وحتى النظريات بأن المرحلة الأولى للتنشئة (طفولة الجندر) تكون لها الآثار القوية على استمرار نمطية دور الجندر عند الكبر. هاك مثال على ذلك، تنشئة الانثى على سلوكية تابعة لسلوكية مسيطرة ومهيمنة من قبل الذكر أكثر من تعليمها على الريادة والقيادة، بذات الوقت تنشئة الذكر على سلوكية قيادية وريادية تقود وترأس سلوك الانثى أكثر من تعليم البنيت

على ذلك وفي الان ذاته تنشئة البنت على الخضوع والخنوع لهذه القيادة في العديد من المجالات مثل مجال التعليم والدين والإدارة والسياسة وباقي المجالات العامة. نحن نعلم انه منذ بداية حياتنا حتى فيما بعد بان دور الجندر (من قبل وكالات تنشئية عديدة مثل الوالدين والأصدقاء والمدرسة والمؤسسات) يتم اكتسابه من خلال المشاركة الفعلية في الحياة الاجتماعية. ومن بين أبرز الوكالات التنشئية هي الوالدين والاقران والمعلمين والمدرسة والرياضة ووسائل الاعلام.

بتعبير أوضح، إن ما تم اكتسابه وتعلمه في المرحلة الأولى من طفولة الجندر وبالذات في الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل (ذكر أو انثى) التي تُعَلَّم البنت على الخنوع للولد (الأب أو العم أو الخال أو الجد أو الأخ) وهيمنة الولد على البنت (اخته أو ابنة عمه أو خاله) بعد هذا العمر عندما يخرج خارج المنزل ليلعب مع اقرانه أو يتعلم في المدرسة أو يشترك في فرق رياضية أو يشاهده في التلفاز، جميع هذه الوكالات التنشئية تقوم بتعزيز وتدعيم لما تنشئ عليه في اسرته لأن ثقافة مجتمعه تعمم هذا النمط الجندري على الجميع ولا للعامل البيولوجي أو الوراثي أثر في ذلك. لكن هناك مخالفات فردية تحصل في المجتمعات التي تنادي بالمساواة وتنشئ ابنائها على المساواة الجندرية مثل المجتمع البريطاني إذ حصلت حالة تعصب ضد المرأة الحامل في بريطانيا مفادها ما يلي، ثمة من يؤكد على ان دول الغرب قد حققت المساواة بين المرأة والرجل إلا ان البريطانية (جولي بريرلي) ترى غير ذلك إذ قامت من أجل ذلك حملة كبيرة للتشجيع على الاعتصام عند مبنى المحكمة الاتحادية في لندن وقد أثمرت حملتها عن جمع توقيع أكثر من 60 ألف امرأة و103 نائب من نواب في البرلمان فما الذي يغضب هذه المرأة وغيرها من النساء؟ وما الذي يدعوهن للاعتصام؟ قالت (جولي 38 عاماً) حملتها هذه تحت شعار Pregnant then screwed (حامل... وبعدها محطمة) وقد انطلقت اولاً من تجربتها الخاصة ومن المعاملة غير المنصفة التي تلقتها من رئيسها في العمل عندما اتصلت به واخبرته بانها حامل وجاءها جوابه في اليوم التالي عبر رسالة صوتية يخبرها فيها بأنه قد استغنى عن خدمتها وأنها مقالة. وقد دفعها الغضب من هذا التصرف الى مناقشة وضعها مع نساء اخريات في مواقع التواصل الاجتماعي وصدقتها الحكايات التي سمعتها من نساء كثيرات مررنّ بنفس تجربتها وربما أقسى ايضاً ودفعها هذا الأمر الى التفكير بقيادة حملة تطالب فيها بالمساواة في مواقع العمل وانهاء التمييز وانصاف المرأة وعدم معاقبتها بسبب الحمل والولادة والارضاع. كثيراً من النساء المعتصمات حملنّ لافتات كتب عليها (مسيرة الموميات) في إشارة الى محاولة تحنيطهنّ وتجميد قدراتهنّ على العمل وقد عاشت

بعضهن صعوبات كبيرة اثناء الحمل ومنهن (ليز مونرو 26 عاماً) التي حملت بطفلها الأول وبعد الولادة حاولت العودة للعمل لكن احداً لم يرحب بعودتها ووظفوا رجلاً مكانها و(ريتا لاتينغ 33 عاماً) التي وضع لها رئيسها في العمل ساعات إضافية تتعارض مع الوقت الذي تمنحه لطفلها الرضيع وعندما اعترضت طردها من العمل في حين يكافأ الرجل ويحظى بزيادة في الأجور والترقيات كونه صار أباً. وترى قائدة الحملة بان النساء غير محميات من الدولة ولا أحد يدعمهن وانهن في محنة حقيقية فإذا عادت واحدة منهن الى العمل بعد فترة قصيرة من الولادة يتهمها الناس بإهمال رضيعها ويصفونها بالأنانية وإذا أخذت إجازة أمومة كاملة فإن أرباب العمل يعتقدون بانها امرأة غير ملتزمة وغير كفؤة ولا تستحق الراتب وإن سبب ذلك برأيها هو ان الرجال يعتقدون في قرارة نفوسهم بان مكان المرأة هو البيت والتنظيف والطبخ وعمل الخبز والمعجنات وإن عليها ان تتوقف عن العمل ما أن ترى اللون الأزرق في جهاز اختبار الحمل وإذا ما حاولت المرأة الاعتراض على قرارات رب العمل المجحفة فإن انشغالها بالولادة وضعف صحتها قد يمنعها من إقامة الدعوة القضائية في الوقت المناسب وبذا يضيع حقها وهذا ما حصل بالفعل مع حوالي 14% من النساء المتضررات.

بيانات إحصائية عن التمييز الجنسي في العمل في المجتمع البريطاني:

19% هو فرق الرواتب بين الرجال والنساء في بريطانيا.

100 ألف هو عدد النساء اللاتي واجهن تمييزاً في العمل في بريطانيا.

54 ألف امرأة يتسربن من مواقع العمل سنوياً في بريطانيا بسبب الحمل والولادة.

40% من أرباب العمل يفضلون توظيف النساء في سن ما بعد الانجاب [مجلة

سيدتي عدد 1924 بتاريخ 20 - 1 - 2018]

## 2 / ب - التنشئة الجندرية من قبل الوالدين

أول من يبذر بذور التمييز والاختلاف بين الولد والبنت هم الأبوين من خلال القنوات التالية: -

1 - دعاباتهم وعنايتهم.

2 - اختيار ملابسهم.

3 - اختيار لعبهم وألعابهم.

4 - تدريبهم على أداء التدبير المنزلي.

وعبر هذه القنوات يتم حرث تربة الاختلافات من خلال: -

1 - تعزيز الاختلافات البيولوجية.

2 - بلورة نظام تقسيم عمل جندي.

لم يتم البذور وحرث التربة من قبل أو من خلال التغذية الثقافية والمجتمعية، بل من خلال: -

1 - ارتداد الأم والأب لمرحلة الطفولة عند دعابتهم وعنايتهم لأطفالهم.

2 - توكيلهم لمساعدتهم في التدبير المنزلي.

3 - المعامل والمصانع التي تنتج ملابس الأطفال ولعبهم وألعابهم.

4 - وسائل الاعلام المرئية (تلفزيون وسينما).

5 - الأجهزة الالكترونية ومبتكراتها الذكية والمسلية. جميعها تغذي المزروعات البشرية (أن جاز التشبيه للأطفال) بالاختلافات البيولوجية.

بتعبير آخر، تكون القاعدة الأساسية للجنس متمثلة في الاختلافات البيولوجية يقوم الوالدين بتعليمهما وتدريبهما على خصائص نوعهما البيولوجي في مرحلة الطفولة كمرحلة أولى في اختلاف الدور الجندي الذي سوف يتطور، هذا الدور الجندي - يبلور عدم مساواة حقوقية وواجباتية في بناء المجتمع المتعصب والتميز للذكر ضد الانثى مولداً استغلالاً واستعباداً للانثى من قبل الذكر مدعوماً من قبل الثقافة الاجتماعية ومن رجال الدين المزيفين للدين لخدمتهم ومن الاقطاعيين والساسة غير الوطنيين.

بعد هذه المقدمة أدلف الى مدار توصيف قنوات الأبوين في بذر بذور التمييز والاختلاف الجندي المبني على الاختلاف البيولوجي (ولد أو بنت) وهي ما يلي: نتناول القناة الأولى: دعابة وعناية الوالدين للطفل منذ ولادة الطفل يبلور الأبوين ويمارسوا التمييز الجندي بين الولد والبنت من خلال تعاملهما لهما. لأن الولد في نظرهم أقل صلابة ومتانة من البنت وإن الأبوين يكون أكثر ارتداداً للأبن الرضيع عند حمله ورميه في الهواء او عندما يلعبوا معه فإنهم يكونوا في أشد النشاط وحيوية أكثر مما يلعبوا مع البنت. إذ يميل الأبوين الى العناية الرقيقة واللطيفة مع طفلتهم البنت ويحملوها بعناق واحتضان ولطف ورقة ودعة وعلى مهل مع مداعبات صوتية وعبارات تُعبّر عن الدلال مع ترنيم أغنيات لها مرددين اسمها مع كلمات الاغنية ومناغات وسجع ناحي وهدير مناغي. لكن هذه المناغات والأغاني والسجع لا تكن نفسها مع الولد بل تختلف لتكون خاصة بالأعجاب والتعبير عن القوة والرجولة. وهذا أول تعزيز للدور الجندي للمخلوق الجديد.

بعد ذلك أذهب الى القناة الثانية المتضمنة اختيار الملابس الذي من خلاله يتم التعزيز والدعم الثاني للدور الجندي دون ان يدركوا بان هذا الاختيار يوّد فيما

بعد عدم تساوي في الحقوق الجندرية بين أبنهم وبناتهم. فالأبوين يشتروا القمصان ذات الألوان الزاهية والجدابة ذات الطابع الانثوي مرسومة عليها الأزهار والورود والقلب أو صورة سندريلا أو باربي لقميص البنت أما قمصان الولد فيكون مرسوم عليها رسوم الأبطال الخارقين والتميزين مثل أبطال كرة القدم والسلة أو ميكي ماوس أو سوبرمان أو سبايدرمان أو كريندايزر لكنهم لا يشتروا هذه القمصان لبناتهم. هذا تعزيز مميز بين الولد والبنت منذ الولادة.

اتحول بعد ذلك الى القناة الثالثة وهي اختيار اللعب والألعاب الذي يعزز الأبوين النمطية الجندرية والاختلاف بينهما من خلال شرائهم للعب وألعاب المسلية مثل شراء الوالدين لمجموعة مكعبات وعربات وأدوات رياضية وأسلحة عسكرية مثل البندقية والمسدس والدبابة والطائرة للولد وشراء للبنت نماذج لبيوت من الكارتون وأدوات زينة (مكياج) وأدوات مطبخ وخياطة. هذه اللعب هي الأكثر استمتاعاً وتسلية وتغذية للاختلافات الجندرية لأنها تنمي المهارات والهوايات ومنها يتشجع الطفل بالمشاركة في مناشط جندرية مختلفة.

أذهب بعدئذ الى القناة الأخرى وهي توكيلهم بالقيام بالتدبير المنزلي مثل تكليف الأبن بتنظيف مدخل الدار وقص الحشيش في حديقة المنزل وحمل أكياس القمامة ووضعها خارج المنزل المخصص لها أو تنظيف طاولة الطعام مثل هذه التكاليفات تدرب الأبن على الاستقلال والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية الأسرية والمنزلية. أما البنت فإنها تُكَلَّفُ بغسل الصحون والملابس وتجفيفها وطبخ بعض الاكلات أو تجهيز السلطة أو كي الملابس هذه هي البذور الأولى التي يبذرهما الأبوين عند أبنائهم التي تنمو فيما بعد وترعرع من قبل الأقران والمدرسة والمعلم ووسائل الاعلام والحكومة والكتب وسواها. فتظهر بجلاء فيما بعد ثمار هذه البذور التي بذرهما الوالدين المعززة من قبل السلطة البطريقية (الذكورية) والساسة غير الوطنيين وسماسة الدين. علماً بأن ممارسة الوالدين للتفريق الجندري عند أبنائهم لا تقف عند مرحلة الطفولة وتنتهي بل تستمر الى نهاية عمرهم (أي عمر الوالدين) الذين يفرقوا في رعايتهم لأبنائهم بعد زواجهم وانجابهم الاحفاد وكأنها سلسلة مترابطة في التفريق الجندري الذي أساسه وقاعدته الاختلافات البيولوجية.

## 2 / ت - التنشئة الجندرية من قبل الاقران

لجماعة الأصدقاء نفوذ قوي على تنشئة الجندر في تعزيز رعية النمطية الجندرية والضغط على الأفراد بالأنخراط في ممارسة سلوك خاص بالجندر. جماعة الأقران أو الرفاق هي جماعة الأصدقاء مترابطين من خلال مصالح مشتركة تعكس أعمارهم المتقاربة يتقبلون كل ما يصدر من اقرانهم وبالذات تلك



التي تؤكد على ملاحظاتهم وأفكارهم الخاصة بسلوك شريحتهم العمرية. فالجماعة الصداقية الذكورية تضع ضغوطاً أكثر على الأولاد من الضغوط الانثوية على الإناث ليكونوا انثويات. مثال على ذلك معظم البنات اليوم يلبسن بنطلون الجينز ويلعبن كرة القدم والسلة والتنس، أما الذكور فيلبسون ملابس يقررها أعضاء جماعتهم ويعززون النزعة العاطفية عندهم ويدعمون روح الولاء للجماعة والمودة بين أعضائها وإذا قصرَ أحدهم بذلك فإنه يحصل نفور منه. في الواقع أهمية جماعة الاقران مهمة في تغذية السلوك عند الانثى وعند الذكر في تغذية الاختلافات الجندرية في هويتهم وطموحهم المستقبلي والتشجيع على تجربة كل شيء جديد. انها تغذي روح التعاون بين أفراد الجماعة وتبلور عندهم مفاهيم ومصطلحات ومواقف وأذواق عندهم لأن لديهم نفس الفراغات التنشئية التي لم يملئها الأبوين أو التي تجنبوها مثل الحب الرومانسي والعواطف الجياشة والأفكار المثالية والمتطرفة والأذواق التي تعكس مرحلتهم العمرية. أنها تنشئة جندرية مختلفة عن تنشئة الأبوين تدفع بالحدث نحو الاستقلالية السلوكية والاعتزاز بها وتنمي مقدرات ومهارات جديدة لم يملكها الوالدين لذا نقول بإنها مكتملة لما سبقها (تنشئة الوالدين) واحياناً تكون متعارضة معها لأنها تنشئة جيالية وليست أسرية.

## 2 / ث - التنشئة الجندرية في التربية المدرسية

سوف نعرض التنشئة الجندرية في المدارس الأمريكية المختلطة وليس في المجتمع العربي لعدم وجود بحوث وأدبيات عنها. في التعليم المدرسي المختلط بين الذكور والإناث في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية هناك ممارسات تعكس التحيز والتعصب ضد الانثى من قبل المعلمين والمعلمات الذين يعملون فيها فهي إذن مثل تنشئة الوالدين والأقران معززة الاختلافات الجندرية تبدأ من: -

1 - الاهتمام بنشاط الذكر المدرسي أكثر من نشاط البنت المدرسي.

2 - تثمين أداء وإنجاز الولد أكثر من إنجاز وأداء البنت.

3 - التحرش الجنسي سائد بدون حياء.

4 - معارضة الولد للمعايير المدرسية أكثر من معارضة البنت لها.

5 - درجات الطالبة أعلى من درجات الطالب.

6 - ميل الطالب لترك المدرسة أكثر من الطالبة.

نبدأ حديثنا من مشكلة التميز الجندري الذي يعكس واقع الاهتمام بتعليم الذكور أكثر من الاهتمام بتعليم البنات من حيث تكريس وقتٍ كافٍ لهم والاستماع الى مشاكلهم ونقدهم ومقترحاتهم أكثر من البنات حيث لم يعبر المعلم أو المعلمة أهمية

للأسئلة التي تطرحها الطالبة أو المقترحات التي تقدمها لها بل تكون الاستجابة فقط بعبارة (نعم) أو بصمت أو بالذهاب الى سؤال ثاني. أي الإهمال مع عدم الثناء أو المدح على كل أداء إيجابي والتشجيع عندما تطرح افكاراً أو ملاحظات على عكس ما تقوم به المعلمة أو المعلم تجاه الطالب عندما يقوم بإنجاز عمل ما يحصل على ثناء أو مدح من المعلم أو المعلمة. ليس هذا فحسب بل غالباً ما يميل المعلم أو المعلمة الى تقسيم الطلبة الى قسمين (قسم خاص بالطلبة وآخر خاص بالطالبات) عند قيام الصف بنشاط رياضي أو صفي يطلق المعلم أو المعلمة على فريق الطالبات بـ (الثرثارات) ويسمي فريق الطلاب بـ (الأقوياء) إذن هناك تغذية تعليمية لتمييز دور الجندر في التعليم المختلط في المجتمع الأمريكي.

أما على صعيد التحرش الجنسي (لفظاً أو جسداً) فإنه قائم وغالباً ما يطلق الولد عبارة (عاهرة) أو (ساقطة) على الطالبة وفي عام 2001 قامت الحكومة الأمريكية بمسح لـ (2000) مدرسة حكومية وجدت فيه هناك 83% من البنات قد تم التحرش بهنّ من قبل الطلبة وهناك 79% من الطلبة ممن تم التحرش بهم من قبل الطالبات. لكن المدرسة تواجه العديد من آثار السلوكية النمطية الجندرية من قبل الأولاد أكثر من البنات مثل التمرد على المعايير المدرسية وعدم امتثالهم لها ولهم نشاط عنيف مع عدم التجاوب مع المعلمين والمعلمات وغالباً ما تكون درجاتهم أقل من درجات الطالبات. معنى ذلك أن المدرسة المختلطة لا تعالج التمييز الجندري بل تعززه من خلال تعامل المعلمين والمعلمات وعبر الأنشطة المدرسية الفاصلة بين الجنسين فهي إذن حلقة مكملّة لسلسلة التنشئة الجندرية بعد حلقة الأبوين والأقران.

[Kendall. 2012. Pp. 70 – 74]

## 2 / ج – التنشئة الجندرية في الرياضة

المجال الوحيد الذي أبرز المساواة بين الجنسين هو الرياضة في المدارس والجامعات إذ كلاهما يمارسا أغلب الألعاب والأنشطة بشكل مستمر وأثبتت الرياضة بإنها ليست فقط تمثل اللعب والتسلية بل تُعلم المساواة بين الذكر والانثى. ففي المجتمع الأمريكي بعد عام 1972 صدر فيه قانون المساواة الجندرية في الاكاديميات والرياضة بات فيها الأولاد يمارسوا لعب كانت البنات تمارسها مثل القفز على الحبل والجمناستك والتزلج، بذات الوقت دخلت الفتيات الى مجال الألعاب الرياضية التي كان الاولاد يلعبوها فقط مثل كرة القدم والسلة والطائرة والساحة والميدان وسواها. معنى ذلك ان الرياضة الجسدية فتحت باب المساواة بشكل واضح بين الجنسين لأنها تعبر عن الروح المتسامحة والرياضية والمنافسة

الحرّة وهذا نشاط إيجابي لصالح المساواة الجندرية الذي لم نشاهده في تنشئة الأبوين أو المعلمين.

## 2 / ح - التنشئة الجندرية في وسائل الاعلام

وسائل الاعلام متعددة ومتنوعة (الصحف والمجلات والتلفاز والسينما) جميعها تعتبر مصادر معززة للتنشئة الجندرية. أي تغذي الأدوار البيولوجية الخاصة بالذكور والاناث وهذا بدوره يعزز التمييز الجندري. بمعنى لا ينادي ولا يطالب ولا يعالج موضوع المساواة في حقوق المرأة مع حقوق الرجل، بل تركز ذلك حيث هناك برامج تعكس الاختلافات الجندرية بشكل صارخ دون نقد أو المطالبة بتغييرها على الرغم من لدى البرامج لتفازية القدرة على تهذيب الأفكار وتنميتها عند المشاهدين (ذكوراً واناثاً) بدأ بالأفلام ذات الرسوم المتحركة (الكارتون) مروراً بأفلام الراشدين وانتهاءً بالبرامج التثقيفية التي تمنح خصائص المساواة. وعندما تكون هناك برامج توعوية تكون بانسة وغير نافعة بل مخادعة ومخاتلة وفاشلة. لذا لا تكن مجدية وصادقة ومؤثرة في معالجتها.

ثم هناك عروض تعكس وتعالج مشكلات الحياة المنزلية وبالذات مشاكل المرأة داخل المنزل والأسرة، تتناول الدور التقليدي للمرأة في المنزل ومكان العمل وعلاقتها مع الأفراد في كلا المكانين مركزين على النميمة واللغظ حول الاشاعات والفضائح وتناول المشكلات الشخصية أو الحسد والتطفل على شؤون الآخرين، بينما تعكس وتصور دور الرجل الموجه والناصح والأمر على المرأة والمتعالي عليها والمتسيد في مصيرها بذات الوقت يعكس أخطاء المرأة في كل ما تقوم به. ثم هناك مسلسلات عن الاحداث التي تقع في المستشفيات ولغظ الممرضات وتقييمهم للأطباء والمرضى وحياة الآخرين الشخصية. أما الأطباء فإنها تصورهم وتعرض كفاءاتهم في اجراء العمليات والمعالجات الحاذقة للمرضى والقيادة الإدارية الحكيمة على نقيض ما يصوروا النساء. أي لم يصوروا أدائهم المنجز والمتألق والناجح بل تعزيز صفات المرأة ودورها التقليدي المتعالي عليه من قبل الرجل، ونشاطها في النميمة واللغظ والتطفل والتسطح في إعطاء الآراء وتصويرهم على أنهم لا يملكون الخصائص الجدية والمثمرة والمنتجة وهذا تعزيز وتدعيم للدور التقليدي للمرأة وللرجل دون معالجة أو مداواة لحالة عدم المساواة المفاضلة بين حقوق المرأة مع حقوق الرجل.

اخيراً نقول يحصل التأثير ايضاً على الأطفال والبنات أكثر من الذكر إذ تقلد الانثى حركات الموضة وبرامج الحمية والرياضة والرشاقة وارتداء الملابس. بمعنى تغذي عندها نزعة التقليد في تصرفها كمسئولة في المنزل والأطفال. أما

الأطفال فإنهم يتأثروا ويقلدوا النماذج الدورية التي تظهر في أفلام الرسوم المتحركة. ديدني من هذا القول هو ان البرامج التلفازية لا تعالج مشكلة المساواة بل تغذي وتمد الاختلافات الجندرية وتكون معززة لها ليس إلا.

وإذا انتقلنا الى التلفزة العربية نجدها أشد تعزيراً وأكثرها دعماً للسيطرة البطريقية الذكورية وإذلالاً للمرأة العربية وإضاعة حقوقها الإنسانية والوطنية والثقافية حيث تعرض المسلسلات المصرية قصصاً عن المجتمع الصعيدي في قتل المرأة غسلاً للعار إذا أحببت أو صادقت رجلاً، أما المسلسلات الأردنية فإنها تقدم قصصاً بدوية تصوّر النساء وكأنهنّ سلعة في السوق تخضع للبيع والشراء. أما المسلسلات الخليجية فهي تعرض السلوك العنفي ضد المرأة واضطهادها داخل الأسرة وتسخيرها لخدمة الأطفال وطاعة زوجها فضلاً عن تصوير المسلسلات السورية للمرأة كربة بيت لا تعرف سوى الطبخ والنميمة واللغط وخنوعها لأبن عمها (زوجها). بمعنى ان جميع الأفلام والمسلسلات العربية تدعم مفاضلة الرجل على المرأة. وفي برامجها الترفيهية كأنها حلقة مكملة للتنشئة العربية للجيل الحالي علاوة على تكريس وقتاً طويلاً يعرض نشاط رئيس الدولة اليومي معبرةً عن كونه والد المجتمع الذي يجب أن يطاع من قبل الجميع بدون استثناء وكأنه الوالي على جميع افراده. لذا فهي وسيلة إعلامية تعمل على تدعيم النمطية الجندرية في المجتمع العربي مع استخدام المرأة في تلميع صورة الحاكم في المدرسة والفن والشعر والمسلسلات.

وإذا تناولنا المجالات العربية المتخصصة بالمرأة العربية مثل مجلة سيدتي السعودية وزهرة الخليج الإماراتية والشبكة اللبنانية وفيروز اللبنانية لا نجد فيها اية مداواة أو معالجات أو طرح لموضوع المساواة الجندرية أو المطالبة باستحقاق حقوق المرأة في السلطة البطريقية أو الثقافة العربية أو تحريف سماسرة الدين للتعاليم الإسلامية لخدمة مصالحهم ونوازعهم. أقول لم يتناولوا موضوع – على سبيل المثال لا الحصر – الاختلاط الجنسي بين الطلبة في الجامعات والكليات التي ما زالت تُمارس الفصل الجنسي في دول الخليج ولم تطالب بحقوقها في اختيار شريك حياتها ولا بإلغاء الولاية عليها ولا بحرية التعبير عن آرائها وأفكارها ولا تمثيلها في المجالس البلدية ولا يمنع زواج القاصر والدفاع عنها ضد العنف الأسري أو حرية التوظيف في دوائر الحكومة وسواها. فمثلاً تضمنت مجلة (فيروز) اللبنانية اخبار الممثلات والمطربات العربيات والأجنبيات والدعاية لأدوات الزينة والأزياء وحركات الموضة وعلاقة الرجل بالمرأة وتحقيقات عن التحف والعطور أما مجلة (الشبكة) فهي كذلك تناولت اخبار المطربين والممثلات العربية ونجوم الشبكة

وباب عن التسلية وأخبار مصورة عن المجتمع اللبناني، والحالة ذاتها مع (زهرة الخليج) الإماراتية التي تناولت أخبار النجوم التلفازية والسينمائية العربية والأجنبية ودعايات إعلانية عن العطور والحقائب والأحذية والأزياء وأثاث المنزل أنها تصلح لنساء الطبقة الناعمة من ذوي الدخل العالية والتحدث عن الأزياء النسائية وديكورات المنزل وتعليقات عن أفلام المسلسلات العربية.

### تطور في مفهوم الأنوثة العربية

عندما نسمع كلمة "شجاع" نتخيل على الفور رجلاً قوياً ببنية ضخمة. فمفهوم القوة والشجاعة ارتبط دائماً بالرجل في حين الشجاعة لها معنى أعمق وجوانب أكثر من ذلك وفي الوقت ذاته ربط بين المرأة والضعف فغالباً ما توصف بإنها الكائن الضعيف الذي يخاف على الدوام.

لكن في زمننا الحالي تغير مفهوم الشجاعة ولم يعد مقتصراً على مفتولي العضلات وأصبحنا نصادف في حياتنا نساء اتصفن بالشجاعة والاقدام وكثيراً ما يتردد على مسامعنا جملة (بنت عن ألف رجل) فهل استعمال كلمة (رجولة) في مدح المرأة منصفة بحقها حيث تتميز بالشجاعة والقوة؟ أم انها تنتقص من انوثتها؟ (منى عبد الناصر) 25 سنة مساعد إداري ترى ان الرجولة ليست حكراً على من يمتلك شنباً ومفتول العضلات فالمرأة القادرة على مواجهة العالم الخارجي دون الحاجة لرجل يكون بمثابة المحامي لها والمرأة الساعية لرزقها القادرة على تربية أبنائها الصامتة أم هجمات المجتمع ونظراته اليها كونها مطلقة هي امرأة بمليون رجل. وهناك (ندى ايبو) 40 سنة فنانة تشكيلية وشاعرة حيث تقول المواقف هي من وضعت المرأة في هذا المكان فحين قُلت صفات الرجولة من كرم وإيثار واحتواء واحتضان في شباب اليوم وباتت المساواة مطلب لكلا الجنسين أتت المرأة بجدارتها وعلمها وثقافتها وأثبتت هذه المقولة. فالمرأة لم ترغب بأن تسترسل ولم ترغب بأن تسلب الرجل صفاته ولا إن تنافسه عليها لكن هو من تخلى عن رجولته لتكون هي مكانه وتحمل المسؤولية كاملة كما عن ألف رجل. فمن تسافر لتتلقى التعليم ومن تعمل في مناصب حساسة ومهمة كقائدة طائرة أو قطار ومن تعمل بعد وفاة زوجها لتعيل عائلتها جميعهن بألف رجل. [مجلة سيدتي عدد 1924 بتاريخ

[2018 – 1 – 20]

### مهن نسائية للسعوديات

إذا كانت هناك مهن تحتاج الى تخصص فقد ظهرت مهن سريعة لا تحتاج الى دراسة وتخصص وأصبحت تلك المهن موضحة اليوم إذ هناك (ميك أب أرتست) و (فوتوغرافيرة) أي مصورة و (موديل) أي عارضة أزياء ومكياج ومسوقة لمنتج

معين promoter واستطاعت العديد من النساء اقتحامها بلا تخصص واحياناً بلا خبرة منهنّ من اثبتنّ انفسهنّ على الساحة ومنهنّ من اتخذتها كمصدر رزق فقط من دون أن يطورون أنفسهنّ فمثلاً تحدثت (فدوى السيد) التي أكملت دراستها حتى مرحلة الثانوية العامة، حيث قالت "دخلت مجال الدعاية منذ 6 سنوات وبدأت بالبحث عن العمل الحر غير الثابت وهو الأفضل بالنسبة لي فالعمل غير روتيني واتقاضى الأجر عن اليوم الذي أعمل فيه فمثلاً قد أنزل دعاية لمنتج معين سواء كان غذائياً أو أجهزة كهربائية أو منتجات للعناية بالشعر والبشرة وعلى حساب وكالة الدعاية والاعلان. واحياناً يكون اليوم مقابل 200 ريال وفي أحيان أخرى مقابل 180 ريال. وأفضل ما في العمل انه متغير ومتجدد وليس ثابتاً واسوأ ما فيه انه غير مستمر واحياناً أعمل لأسبوع وأظل شهراً لا أعمل ولكن هذا العمل لا يطلب تخصصاً دراسياً أو خبرة معينة وفي نفس الوقت أستطيع ان أكون معارف لزيادة فرص العمل". [مجلة سيدتي عدد 1920 بتاريخ 23 - 12 - 2017]

من أجل مساواة حق واحد من حقوق المرأة السعودية (في مجتمعها المحافظ والتقليدي) في قيادة السيارة عام 2018 تم اجراء 24 خطوة مهدت لقيادة المرأة السعودية للسيارة فما بالك لبقية الحقوق المهذورة مثل زواج القاصر والولاية وتغيير النظرة النمطية عن المرأة السعودية والدخول الى عالم السينما والفنون الغنائية والموسيقية والاختلاط التعليمي في المدارس والجامعات واختيار شريك الحياة من قبلها وسواها. هذه الخطوات هي ما يلي: -

1 - في 26 سبتمبر 2017 أصدر الملك سلمان بياناً بالسماح للمرأة السعودية بالقيادة وفقاً للضوابط الشرعية.

2 - 28 سبتمبر أعلنت وزارة الداخلية ان السن النظامية المسموح بها في السعودية لمنح رخص القيادة هي 18 سنة وينطبق هذا على الذكور والاناث.

3 - 30 سبتمبر 2017 أعلنت جامعة الأميرة نوره عن استعدادها لإنشاء مدرسة لتعليم القيادة بالتعاون مع الجهات ذات الاختصاص.

4 - 17 ديسمبر منحت الإدارة العامة للمرور جامعة تبوك الترخيص النهائي لإنشاء مدرسة لتعليم قيادة المركبات للنساء.

5 - 7 نوفمبر استعدت جامعة الملك عبد العزيز لعقد اتفاق لإنشاء مدرسة لتعليم القيادة داخل حرم الجامعة وفقاً للمواصفات والمعايير الدولية.

6 - 15 نوفمبر ألزام السائقات بحضور دورات تدريبية مدتها 30 ساعة.

- 7 – الإعلان عن تطبيق احكام نظام المرور ولوائح التنفيذة على الذكور والانات على حد سواء.
- 8 – 8 مارس 2018 بدأت جامعة الأميرة نوره تدريب النساء على القيادة.
- 9 – مشاركة المرأة في المهام المرورية الخاصة برصد مخالفات عدم ربط حزام الأمان واستخدام الجوال باليد اثناء القيادة.
- 10 – 5 مايو أعلنت الإدارة العامة للمرور عن تجهيز 21 موقفاً لاستبدال الرخص الأجنبية المعتمدة في المملكة برخص قيادة سعودية.
- 11 – 6 مايو اعتمدت الإدارة العامة للمرور إجراءات البرامج التدريبية في مدارس تعليم المرأة قيادة السيارات.
- 12 – 6 مايو فتح باب التوظيف أمام النساء لوظيفة (محققات) في الشركة لمباشرة الحوادث المرورية.
- 13 – 10 مايو إطلاق بوابة مدرسة تبوك لتعليم قيادة المركبات للنساء بجامعة تبوك.
- 14 – أعلنت جامعة الأميرة نوره عن حاجتها لمدربات قيادة السيارات ممن يملكن الرخص على ألا يقل عدد سنوات الخبرة في قيادة السيارات عن ثلاث سنوات.
- 15 – يحق للمرأة في قيادة سيارة الأجرة والمشاركة في خدمات الأجرة الخاصة التي تعتمد التطبيقات الالكترونية.
- 16 – 4 يونيو بدأ المرور في استبدال رخص القيادة الدولية للنساء.
- 17 – 4 يونيو 2018 إدارة مرور الرياض تسلم اول رخصة قيادة سعودية نسائية لـ (أحلام آل ثنيان).
- 18 – 6 يونيو مرور القصيم يسلم أول رخصة قيادة خاصة للدكتورة (هند الدبيخي) كأول سيدة سعودية في منطقة القصيم.
- 19 – 6 يونيو بدأ المرور السعودي في استبدال رخص القيادة الأجنبية برخص سعودية في كل من مكة المكرمة وجدة.
- 20 – 6 يونيو وبتوجيه من مجلس الوزراء يتم إيقاف النساء اللواتي يرتكبن المخالفات المرورية الموجبة للإيقاف نظامياً في مؤسسة رعاية الفتيات الى حين استكمال تجهيز المقرات المناسبة لإيقافهن.
- 21 – 7 يونيو مرور المنطقة الشرقية يصدر (50) رخصة قيادية للنساء في الدمام.

- 22 – 7 يونيو توقيع اتفاقية بين المرور وجامعة القصيم لإنشاء مدرسة تعليم القيادة للنساء بمقر الجامعة في بريدة خلال ستة أشهر القادمة.
- 23 – 8 يونيو دراسة مقترح انشاء مدرسة لتدريب النساء على قيادة المركبات في المدينة الجامعية يحرم الجامعة في جنوب مدينة الهفوف التابعة للأحساء.
- 24 – 24 يونيو السماح رسمياً بقيادة النساء. [مجلة سيدتي عدد 1946 بتاريخ 23 – 6 – 2018]

## الفصل الثالث

### الهوية الجندرية والهوية الجنسية

استهلال

- 3 / أ – التغيير المثير للهوية الجندرية التقليدية في العالم الغربي  
نماذج فردية لهوية الجندر الجديد
- 3 / ب – الهوية الجنسية
- 1 – ما هو اضطراب الهوية الجنسية
  - 2 – اضطراب الهوية الجنسية
  - 3 – اضطراب الهوية الجنسية عند المراهقين
- 3 / ت – الخنوثة والتحول الجنسي
- 1 – ثنائية الجنس
  - 2 – الخنوثة وأنواعها والجنس الثالث
  - 3 – آثار الخنوثة على الأسرة
  - 4 – التحول الجنسي في الشرق الأوسط وحقائقه
  - 5 – التحول والهوية الجنسية من الناحية النفسية



## الفصل الثالث الهوية الجندرية والهوية الجنسية

### الاستهلال

تحدد هوية الجندر من قبل الدور الذي يمارسه عندما يشغل موقعاً اجتماعياً معيناً لأن هذا الموقع يتضمن شروطاً ومستلزمات يستوجب أدائها وانجازها من قبل الشخص الذي يشغله وعادةً ما تكون هذه المستلزمات محددة سلفاً من قبل الثقافة الاجتماعية. فالرجولة والأنوثة تحدها ثقافة المجتمع للموقع الاجتماعي للرجل أو للأب أو للأخ أو للأبن أو للأنثى، الزوجة أو الأم أو الأخت أو البنت والأنوثة والرجولة. أي أن سلوكيات كل موقع اجتماعي يكون محدد سلفاً من قبل توقعات سلوكية كمتطلب لإشغاله فالأنثى مثلاً هويتها تتطلب ان تكون في المجتمع التقليدي المحافظ (خنوعه للرجل وخجولة امامه ورقيقة الإحساس وصبورة تتحمل ظلم الرجل وتتقبل تسلطه عليها ولا تعارض أقواله وأوامره وتلتزم وتحترم كبير السن ولا تقاطعه اثناء الحديث معه وعاطفية) هذه توقعات غير مكتوبة بل تنشأ عليها من قبل أمها وأبيها منذ طفولتها. هذه هي شروط مستلزمات دور البنت والمرأة الشرقية التي تمنحها هويتها الأنثوية. أما هوية الرجل الشرقي فإنها تتحدد من خلال ممارسته لشروط ومستلزمات ادواره الذكورية التي تنشئه اسرته عليها مثل أن يكون جسوراً وقوياً وعنيفاً يدافع عن نفسه ومستقلاً برأيه وجريئاً لا خجولاً يدافع عن عرضه وأخته وأمه ويحترم الكبير في السن لكن لا يجامل على حساب الحق، معنى ذلك ان الدور الموقعي يحدد هوية الجندر وليس العكس.

لا جناح من تقديم ملخص (واكلي 1972) عن نظرية الدور الذي وضعته لكي تتعرف على كيفية تتم التنشئة الاجتماعية في المجتمعات الصناعية الحديثة من خلال تحديد ملامح هوية وسلوك البنات والأولاد منذ نعومة اظفارهم وقد كان هذا الملخص يتألف من أربعة طرق تتم بموجبها تنشئة أدوار الجندر وتأخذ مكانها فيه وهي: -

1 - مفهوم الذات عند الطفل الذي يتبلور من خلال التفاعلات والاهتمامات التي تقوم بها الأم عند شراء ملابس خاصة للبنات لأبنتها وتهتم بتصنيف شعرها وشراء لهب خاصة لها تشجيعها على ممارسة ما يتم التوقع منها عندما تكبر مثل شراء أدوات مطبخية على شكل لعب صغيرة وأدوات زينة ونموذج من ماكينة للخياطة. بينما تشتري لعب فيها متطلب القوة مثل البندقية والسيف والطائرة تعبر عن القوة والجسارة.

2 - الوجه الثاني للتنشئة هي التلفظ بألفاظ خاصة تعزز هوية الجندر مثل: أنت ولد شقي وانت طيبة أو انت ولد وعفريت وأنت بنت رقيقة وحساسة وسواها.

3 - اهتمام الأم بمظهر وأناقة ابنتها أكثر من ابنها مثل تسريحة شعرها ونظافتها وأظافر اصابعها وموديل ثوبها أكثر من اهتمامها بولدها في هذا الشأن.

4 - تشجيع الأم لأبنتها في أداء مهام التدبير المنزلي في التنظيف والترتيب والاهتمام بمساعدتها في الشؤون المنزلية الأخرى دون تشجيع ابنها على أداء المهام المنزلية في التنظيف والترتيب.

جميع هذه الأساليب تحفز وتدفع البنت على تقليد الكبار من نفس الجندر كذلك ويتحفز الذكر على ان يقلد ابيه في عدم تحمل مسؤوليات التدبير المنزلي لأنه لم ينتشأ من قبل أمه على ذلك بينما تحفزت البنت على ذلك. [ Vankrieken and etals. 2004. P. 317

بمعنى ذلك ان الأم تعزز التميز الجندرى لأبنتها وأبنها بتأثير ثقافة مجتمعها ومن خلال ذلك تتحدد ملامح الهوية الجندرية التي تقوم الأم بتنفيذ معايير ثقافتها. ولا ننسى تأثير الوسائل الإعلامية في السينما والتلفاز في تنشئة الدور الجندرى من خلال الأفلام والمسلسلات التي تعرض ذكورية الرجل وعلاقتها بأنوثة البنت وصراع أدوارها وتقدم قصص عن أساليب تنشئة الأم التقليدية والأب المحافظ لأبنائهم من الذكور والإناث التي تعزز واحياناً تعارض أساليب تنشئة أدوار الجندر.

فضلاً عن ذلك تعني الهوية الجندرية  
حقول مستحدثة

### 3 / أ - التغيير المثير للهوية الجندرية التقليدية في العالم الغربي

لا يبقى النسق الجندري في البناء الاجتماعي الغربي ثابتاً وجامداً على مرّ الزمن وهناك أحداث كونية وتقانية مؤثرة أفلتت فعلها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في العالم الغربي والشرقي مثال انهيار المعسكر الاشتراكي وزوال العديد من الأنظمة السياسية والتكتلات الاقتصادية والثورة الموسوعية ووسائل الاتصالات الجديدة والحواسيب والقنوات الفضائية وانتشار الديمقراطية وانتشار اقتصاد الأسواق الحرة.

جميع ذلك عمل على تغيير العديد من المعايير والقيم الاجتماعية والاقتصادية مما جعلت الحاجة الى الكفاءات والمهارات ذات الاختصاصات العلمية والتقنية الدقيقة بغض النظر عن لون البشرة والرس ونوع الجنس والجنسية والدين والطائفة الدينية والطبقة الاجتماعية من أجل تعزيز الاحداث الكونية المتغيرة والمسايرة للاقتصاد الحر والسياسة الديمقراطية واحترام حقوق الانسان. كل ذلك تطلب الأمر ترك أو التنازل عن المفاضلة الجنسية بين الرجل والمرأة وبالذات عند تلك التي تتمتع بخبرة ودراية وحنكة عالية في العمل الإنساني وخدمة المجتمع دون الأخذ بالتعصب والتحيز الفئوي والفردي بل الأخذ بحركة التقدم العلمي والتقني المستمر في التبدل والتطور القائم على المنافسة الحرة واقتناء الأفضل والأصلح لهاذ التغيير العلمي. وإزاء هذه الاحداث برزت المرأة تتبواً ميادين رئيسية وجوهرية في العالم الغربي مثل منصب رئاسة الوزراء كما حصل في نيوزلندا التي فازت بها وهي أصغر رئيسة وزراء في العالم من خلال إنجازاتها العملاقة لشعبها، و(انجيلا ميركل) التي حصلت على منصب مستشارة المانيا بعد معارك انتخابية شرسة للمرة الرابعة واستطاعت بنجاح السير بمركب الاتحاد الأوروبي رغم ازمة اليورو وكانت (تيريزا ماي) رئيسة وزراء بريطانيا التي أنقذت بلدها في تقوية اقتصاده بعد ان خرج من الاتحاد الأوروبي، وبرزت (كرستين لاغارد) في فرنسا التي استلمت منصب مديرة عام صندوق النقد الدولي لولاية ثانية ثم هناك (ميليندا غيتس) التي أحدثت نقلة نوعية في حياة نساء العالم الغربي والشرقي من خلال توسيع فرص التعليم وإيصال تكنولوجية المعلومات الى مختلف انحاء العالم وغيرها من النساء.

هذه الوقائع الجديدة استطاعت ان تحدث تغييراً في الهوية الجندرية التقليدية القديمة لتتبوء المرأة العصرية موقعاً رفيع المستوى على الصعيد العالمي في العوالم الغربية الذي سوف يأخذ مجراه الى مسارات ومجريات أخرى ليس فقط على المسار السياسي بل على المجرى الاقتصادي والتربوي والاجتماعي والفني

والرياضي والأدبي وبذلك تظهر هوية جندرية جديدة لا تتماشى طرداً مع الهوية الجنسية بل عكساً معها لكي تفعل تغييراً في الهوية الأخيرة (الجنسية) مثلما حصل في الجندرية.

بعد هذا الاستدلال سأقدم اعمالاً مثابرة وباهرة في نجاح المرأة العصرية الواعدة في منجزاتها التي قامت بها في المجتمع الغربي الذي أخذ بالدور المهني المكتسب وليس الموروث أو المُنسب وبالحرّك الاجتماعي العمودي لا الأفقي وبالمكانة الاجتماعية والإعلامية والسياسية والفنية والرياضية المبنية على الدور المكتسب القائم على المنافسة الموضوعية الحادة والخوض في أكثر من نشاط مهني وسياسي واجتماعي تعترف به وتشهد عليه الازمات المالية والسياسية مثلما حصلت عليه (انجيلا ميركل وتيريزا ماي وماغريت تاتشر) من الاعتراف بشجاعتهما وتغلبهما على العنصر الرجالي فأنقذوا بلدانهم من أزمات مالية وسياسية حادة وايصال بلدانهم الى بر الأمان.

هذه الصورة توضح لنا بأن المرأة تمتلك قدرات ومؤهلات مهنية ومعرفية وإدارية في قيادة مجتمعات متمدنة ومتقدمة وليست متخلفة أو محافظة أو راكدة، ذات شأن عالمي مؤثر كبير وليس صغير تعج بالمنافسة الحرة على جميع الأصعدة لا تستطيع الخوض فيها إلا التي تمتلك مهارة باهرة ومقدرة واعدة ذات عزيمة مؤكدة دون تردد دون نوم في أحلام يقظة أو السرابية بل التخطيط الاستراتيجي العقلاني والرشيد والمنطق السليم، ليس هذا فحسب بل هذه المؤهلات لم تلهيها عن مشاعرها الإنسانية والعاطفية في مساعدتها للمرأة والأسرة.

أقول فاقت أنوثتها على جنسها البيولوجي فغيّرت مفهوم الضعف والخلج والاتكال على الرجل في اتخاذ القرارات وعدم تحمل المسؤولية خارج المنزل والاكفاء برعاية عدد قليل من الأبناء داخل اسرتها بل أضحت الان قوية في منافستها مع الرجل وجريئة في اتخاذ القرارات الدولية والإقليمية والمجتمعية ذات المدى البعيد مستلّمة مسؤولية عيش ورفاهية مجتمع كبير جداً في حجمه السكاني وذا وزن دولي ثقيل هذا من جانب ومن جانب آخر هناك منافسة حرة وحادة قامت بها بعض نجومات الفن الرفيع في التمثيل والرسم وعرض الأزياء تشهد عليهم منظمات مهنية عالمية منحتهم جوائز رفيعة المستوى على أدائهم الذوقي والفني والعلمي أمثال (إيما ستون وروز مكفوان وأدوا أبواه وميليندا غيتس ولوبينا حميد) فقد استطاعت (ميليندا غيتس) وتعزيز الرعاية الصحية والحد من الفقر. هذه المهمة ليست بسهولة قامت بها سيدة ذات عزيمة صلبة وتخطيط انساني بعيد المدى موضحة

بان المرأة لم تبقى في المطبخ والمنزل بل دلفت الى فضاءات عالمية كبرى لمساعدة نساء العالم في أحدث الابتكارات التكنولوجية.

الملفت للانتباه ان المرأة عندما تتسلق على سلم الشهرة والاعلام المرئي في عالم يغص بالتشهير والفضائح وعدم السكوت عن الماضي والخلفية الأسرية والسيرة الذاتية عندما تحصل منافسة حرة لا تنتكر لما ماضيها ولثقافتها العرفية أو الدينية ولا تخجل منها بل تعترف بها وتعلن عنها دون وجل أو خجل وهذا يعني انها ذات ثقة عالية بنفسها وقدرتها على المضي في عزمها الاخلاقية مثلما قامت به (لوبينا حميد) الزنجارية المسلمة و (ميغان ماركيل) التي واجهت الحملات الإعلامية التي أرادت النيل منها. لكن كلاهما (ماركيل وحميد) ظلا محترمت جذورهما العميقة السوداء في مجتمع أبيض يمارس العنصرية العرقية مثل بريطانيا.

لا جرم إذن من القول بان الانثى العصرية الغربية أكثر مراساً وجرأة ولوذعية في صراعها المتسلق على السلم الجندي الحديث لكيلا تبقى حبيسة قيود السلم البيولوجي وهذا بدوره يقوم ببناء قواعد رصينة لتغير المرنيات والاحكام التقليدية المحافظة الموروثة للجنسية القديمة وتغير موازين المعادلة التي كانت سائدة بين الرجل والمرأة في القرن الماضي.

لا جدال من معرفة المرأة وشهرتها في إدارة ميزانية الأسرة لكن المرأة العصرية الحالية برعت في إدارة ميزانية صندوق النقد الدولي الذي استلمته (كرستين لاغارد) المحامية والسياسية الفرنسية والموكل اليها إدارة وزارة الشؤون الاقتصادية في فرنسا مما برزت كأفضل وزيرة مالية في منطقة اليورو. هذه المهمة والمسئولية التي أدارتها سيدة فرنسية لم تحصل عليها من قبل زوجها أو ابنها أو عشيقها بل من قبل متنفذي العالم الغربي الرأسمالي المعاصر واعترافهم بها بانها الأكثر نفوذاً في العالم. معنى ذلك ان الانثى الحديثة غير الانثى القديمة وإنما لم تحصل على حداثتها بالوراثة بل بالكفاءة والجدارة الحية من قبل الرجال والمؤسسات المالية الحريصة على مالها. هذه المهمة الجسيمة توضح لنا النقلة الجنسية الهائلة التي حققتها المرأة العصرية في عالم غربي لا يعرف للمكانة المُنسبة الموروثة بل المكتسبة المقامة على الأداء والانجاز والتخصص الرفيع بعيداً عن المجاملة والمغازلة والمحاصرة والعرقية والطائفية والقبلية. بذات الوقت استطاعت المرأة العصرية منازل الرجل والتنافس معه في مواقع ومراكز كان يشغلها ويحتكرها لنفسه فقط في قيادة مجتمعات غير تقليدية وذات وزن ثقيل على الصعيد الكوني والاقتصادي والسياسي إنها قيادة متميزة فاقت قيادة الرجل.

وللإحاطة أكثر عما تقدم حريّ بيّ أن أشير الى ان المرأة الغربية العصرية باتت تكون أكثر جرأة واقداماً عما يحصل لها من استغلال وابتزاز من قبل الرجل مثل التحرش والاعتصاب من قبل المنتج الهوليوودي تلك هي (روز مكفوان) وتبعته العديد من نجومات السينما اللواتي حصل لهنّ انتهاكاً جنسياً فقمّن بالبوح عنه أمام الشرطة البريطانية والأمريكية بعدما كانت المرأة في السابق تخشى ذلك فتخضع للتحرش واعتصاب الرجل لها خوفاً منه ومن الضوابط الاجتماعية القاهرة إنما الان فقد تعززت ثقته بنفسها بسبب نجاحها في أداء عملها فارتفعت وتيرة ثقته بنفسها. هذا من جانب ومن جانب اخر هناك حالة الإفصاح عن تجربة الانثى بالإدمان على المخدرات والقيام بتوعية الفتيات الصغيرات بمخاطر الإدمان وهذا ما فعلته (ادوا ابواة) عارضة الأزياء. يحصل هذا الإفصاح العلني أمام الرأي العام من قبل امرأة يعني أنها واثقة بنفسها الآن بعد ان حازت على جائزة عارضة الأزياء وأشادت الصحافة بها ومنحها لقب ملكة منصات العروض.

ديدني في تقديم هذه الحالات هو القول بأن المرأة الغربية العصرية أضحت أكثر نضجاً في عملها خارج المنزل وبالذات في مؤسسات عالمية مشهورة مثل دور الأزياء والسينما التي لا يتم النجاح فيها دون مؤهلات وكفاءات عالية ومتخصصة تجعلها تتجاوز العقبات التي كانت توضع أمامها من قبل المجتمع أو الرجل المستغل للانثى. فلم تبقى الانثى خنوعة وقنوعة ومنصاعة ومكسورة ومنطوية بل أصبحت امرأة صاحبة قرار عقلي رشيد ومرئية استشرافية مخططة وإنجاز متميز يفوق امتياز الرجل. بمعنى انها شقت طريقها بجهودها وذكائها ولودعيتها دون مساعدة ابيها أو زوجها أو أخيها وهذا يقول لنا بإنها بادرة للنهوض بجندر جديد في المجتمع الغربي يتفوق على الطرف الثاني من الجندر (الرجل) يقوم ببناء دوراً جديداً للانثى يختلف عن الدور المنسوب لها من الرجل بل دوراً مكتسباً من خلال جهودها ونجاحها في ميادين لم تخوض بها سابقاً ولم تكن لها خبرة مثل خبرة الرجل بل هي التي دخلته برجلها وسارت فيه بعزيمتها.

إن سياق الحديث يجعلني أن أميط اللثام عن النزعة النقدية الراضية للمرأة العصرية الغربية لما يحصل من تمييز عنصري ضد الملونين إذ لم تكن هذه النزعة متوفرة عند المرأة في القرن العشرين لأنها كانت مقموعة ومضطهدة ومسلوبة الإرادة من قبل الرجل الذي يستخدم نفوذه وسلطته في استخدام التمايز الجنسي ومفاضلته على الانثى لدرجة ان الوسائل الإعلامية المكتوبة أشادت بالنزعة النقدية الراضية التي انصفت بها (رشيدة جونز) فنانة المواقف الإنسانية ثم هناك أسلوب التحدي الذي ادخلته (أشلي غراهام) من أجل تغيير النظرة النمطية عن الجمال

والإناقة. هذا التحدي لا يصدر من انثى خانعة وخاضعة ومنصاعة للرجل بل من انثى ثائرة على واقع متكلس ومفاضل ومجحف في حق النساء ككل وبالذات ضد المتمكنات معبراً عن صرخة داويه ضد النمطية التي يستخدمها الرجل في عالم الموضة أقول لا يصدر هذا التحدي إلا من شخص واثق من قوته في إزالة معوقه. وهنا كشفت المرأة العصرية الغربية قوتها الأكيدة ضد الرتابة السائدة في عالم الجمال والإناقة.

زبدة القول وعلى الجملة يمكن القول بأن المرأة العصرية في الجندر الحديث اتسمت بالسمات الشخصية التالية: -

- 1 - التحدي للنمطية في عالم الأناقة والجمال والرشاقة.
- 2 - النزعة النقدية الراضة للتمييز والتعصب العرقي والإنساني.
- 3 - الإفصاح العلني أمام الرأي العام ما قام به الرجل بها من تحرشات واغتصاب جنسي.

- 4 - المنافسة الحرة في الانتخابات السياسية.
- 5 - القيادة الحكيمة في إدارة الأزمات المالية والدولية.
- 6 - الارتقاء في تعليم تكنولوجيا المعلومات.
- 7 - الصمود في وجه الحملات الإعلامية المضادة للمرأة.
- 8 - تحمل المسؤولية السياسية في إدارة الوزارات والنجاح فيها.

### نماذج فردية لهوية الجندر الجديد

بعد ان اسهبت في استهلالي عن هذا الموضوع أقدم نماذج واقعية في العالم الغربي عن المرأة العصرية إذ هناك 15 امرأة في العالم نجحاتهنّ باهرة وانجازاتهنّ واعدة في عام 2017. كان عام 2017 كريماً مع الكثير من النساء حول العالم ممن حققنّ نجاحات باهرة وقطعنّ ثمار جهودهنّ وذقنّ حلاوة الفوز الصعب بعد أن أثبتنّ للجميع ان المرأة إذا عزمّت أنجزت وأن شغلتهنّ فكرة تغذيتها وإذا راودها حلم حولته الى حقيقة. نعم انه زمن المرأة التي دائماً ما يلوح لها بريق الأمل. فتجهد كي تصل اليه منهم ما يلي: -

### 1 - انجيلا ميركل.... الفوز للمرأة الرابعة

شهد عام 2017 لـ (انجيلا ميركل) 63 عاماً الفوز للمرة الرابعة بمنصب مستشارة المانيا بعد معركة انتخابية شرسة انتهت لصالحها وبذلك احتفظت بمنصبها السياسي وايضاً بلقبها الشهير (المرأة الحديدية) كما أنها لا تزال تحتل المرتبة الأولى في قائمة مجلة Forbes لأقوى النساء في العالم في عام 2017

وقد دخلت (ميركل) ميدان السياسة عندما كانت في سن 35 لتتبوأ بعد ذلك منصب وزيرة المرأة والشباب ووزيرة البيئة وفي عام 2005 فازت بمنصب مستشارة المانيا لتكون أول امرأة تتقلد هذا المنصب في تاريخ المانيا الحديثة منذ عام 1871 وقد نجحت في السير بمركب الاتحاد الأوروبي رغم أزمة اليورو والتي طال أمدها وزلزال خروج بريطانيا من الاتحاد.

2 – تريزا ماي.... أقوى النساء

هي ثاني امرأة تتولى منصب رئيسة الوزراء في بريطانيا بعد (مارغريت تاتشر) وقد وضعتها مجلة Forbes في المرتبة الثانية فهي قائمة أقوى النساء لعام 2017 تسلمت الحكم العام الماضي في وقت صعب جداً بعد أن قررت بريطانيا الخروج من الاتحاد الأوروبي وبعد ان أعلن (ديفيد كامرون) رغبته في التنحي عن منصبه وهنا ظهرت (تريزا ماي) كمنقذ لبريطانيا وأمسكت بالدفعة بشجاعة لتقود أقوى اقتصاديات العالم الى بر الأمان. وقد ربط الاعلام بينها وبين (مارغريت تاتشر) بسبب صرامتها ولكنها تحاول دائماً النأي بنفسها عن هذه المقارنة بقولها "أنا لست مارغريت تاتشر" رغم قناعاتي بأن هذه المرأة كانت متميزة ولكني لا أحب الطريقة التي يحاولون بها إيجاد أوجه الشبه بيننا.

3 – إيما ستون.... أوسكار أفضل ممثلة

حققت النجمة (إيما ستون) نجاحاً لافتاً عام 2017 بحصولها على جائزة أفضل ممثلة في حفل توزيع جوائز أوسكار وتأتي الجائزة تمييزاً لما قدمته من جهد عن دورها في الفيلم الموسيقي (لالا لاند) وقد حققت هذه النجمة الصغيرة (28 عاماً) انجازاً آخر حين وضعتها مجلة Forbes في قائمة أعلى النجوم اجراً. كما فازت في نفس العام بجائزة (غولدن كلوب) وجائزة (البافتا) البريطانية وجائزة رابطة الممثلين ولم يكن هذا الفوز سهلاً فقد تنافست عليه أربع نجومات كبيرات هي (إيزابيل هوبيرت) عن فيلم Elle و (روث نيجا) عن فيلم Loving و (ميريل ستريب) عن فيلم Florence foster Jenkins

4 – روز مكفوان.... امرأة العام

في عام 2017 رشح كثير من وسائل الاعلام النجمة (روز مكفوان 44 عاماً) للحصول على جائزة امرأة العام بعد أن أثارت قضية خطيرة كانت مطوية حتى هذا الوقت وكشفت عير تغريدات في تويتر عن فضائح التحرش الجنسي الذي تتعرض له نجومات هوليوود حيث اتهمت المنتج الهوليوودي الشهير (هارفي وينشتاين) باغتصابها وقد كان هذا الاتهام بمثابة جرس الإنذار الذي أيقظ بقية



النجمات وشجعهنّ على البوح بالتجارب التي مررنّ بها معه. وقد بدأت الشرطة في الولايات المتحدة وبريطانيا التحقيق في الاتهامات الموجهة لهذا المنتج ومن ضمنها ادعاءات بانتهاكات جنسية يعود تاريخها الى عام 2004 وثمانينيات القرن الماضي.

5 – ميليندا غيتس.... شخصية العام

هي زوجة الملياردير (بيل غيتس) صاحب شركة مايكروسوفت أكبر شركة برمجيات في العالم وتعمل الى جانبه في مؤسسة خيرية تحمل اسميهما Bill and Melinda Gates Foundation المساهمة بشكل فاعل في تمكين النساء من أحداث نقلت نوعية في حياتهنّ من خلال توسيع وتعزيز الرعاية الصحية والحد من الفقر. وقد فازت (ميليندا) بجائزة (الشيخ محمد بن راشد الى مكتوم) للمعرفة وكذلك بلقب شخصية العام في 2005 وجائزة (أمير استورياس) للتعاون الدولي وفي عام 2017 دخلت في معالجة نقص المعلومات في مجال التكنولوجيا لدى النساء واختارتها مجلة Forbes ضمن أقوى النساء في عام 2017.

6 – أدوا أبواه... عارضة العام

حصلت عارضة الأزياء البريطانية (أدوا أبواه) على جائزة (عارضة العام) من ضمن جوائز British Fashion Awards كما أطلقت عليها الصحافة لقب (ملكة منصات العروض) ورغم انها تبلغ من العمر 25 عاماً فقد عملت مع أشهر دور الأزياء العالمية وظهرت على غلاف مجلة فوغ لأكثر من مرة وصارت أكثر العارضات طلباً خلال عام 2017. اما على الصعيد الاجتماعي فهي واحدة من الناشطات في المجتمع منطلقة من تجربتها مع إدمان المخدرات منذ كانت في الـ 13 من العمر لكنها تغلبت على معاناتها وتحولت الى العارضة الأكثر طلباً ووضعتها مجلة Hello ضمن قائمة النساء الأكثر نجاحاً عام 2017 وهي تعمل الآن على توعية الفتيات الصغيرات بمخاطر الإدمان.

7 – لوبينا حميد... الفنانة البطلة

ذهبت جائزة ترنر Turner Prize للفنون لعام 2017 الى البريطانية المسلمة من أصل افريقي (لوبينا حميد) التي تعمل أستاذة للفن المعاصر في جامعة سنترال لانكشاير University of Central Lancashire وبذلك تصبح (لوبينا) البالغة من العمر 63 عاماً أكبر فنان يفوز بهذه الجائزة وأول امرأة بريطانية سوداء تفوز بها. وقد دأبت الفنانة التي تعود أصولها الى زنجبار على انجاز لوحات بإحجام ضخمة وألوان أفريقية نقية وفضاءات مضيئة تعالج فيها موضوع العنصرية اتجاه

نوي البشارة السوداء وقضية العبودية والرق والاستعمار واستلاب الحقوق والكرامة وقد وصفتها صحيفة ديلي تلغراف Daily Telegraph بالبطلة التي تعكس فنون السود في بريطانيا.

8 – ميغان ماركيل.... تحدث الاعلام

اسمها كان الأكثر طلباً في مؤشر البحث (غوغل) خلال عام 2017 وزادت وتيرة البحث عن الإعلان خطوبتها هي والأمير (هاري) في 28 نوفمبر الماضي فكثيرون راهنوا على استحالة هذا الزواج لأسباب عديدة منها أنها تكبره بثلاث سنوات وإنها امرأة مطلقة وقد مثلت دوراً غير لائق في أحد اعمالها التلفزيونية، وهي ابنة امرأة ملونة البشرة ولا تصلح للأمير (هاري). وقد ذهبت بعض الصحف في النيل من العلاقة ووصلت حد العنصرية وركزت على أمها السوداء لكن هذه المرأة صمدت بوجه الحملات الإعلامية ولم تبال وأكدت في لقاء تلفزيوني بعد الخطوبة على احترامها العميق لجذورها وإنها لا تجد تقاطعاً بين وضعها الاجتماعي وحبها للأمير (هاري).

9 – كرستين لاغارد..... أفضل وزيرة

محامية وسياسية فرنسية من مواليد باريس عام 1956 تسلمت في 2011 منصب مديرة عام صندوق النقد الدولي لتكون أول امرأة في العلم تتسلم هذا المنصب وكانت قد عُينت سابقاً في منصب وزيرة المالية من قبل الرئيس الفرنسي (نيكولا ساركوزي) في يونيو 2007 وتعتبر (لاغارد) أول امرأة تتقلد منصب وزيرة الشؤون الاقتصادية في مجموعة الثمانية. وقد وصفت صحيفة فاينانشيل تايمز كأفضل وزيرة للمالية في منطقة اليورو. وفي عام 2009 احتلت المرتبة 17 في قائمة المرأة الأكثر نفوذاً في العالم من قبل مجلة Forbes وتعود في عام 2017 لتتبوأ مركزاً في قائمة أقوى النساء في العالم حسب المجلة وفي عام 2018 أُعيد اختيارها لإدارة صندوق النقد الدولي ولولاية ثانية من 5 سنوات.

10 – رشيدة جونز..... فنانة المواقف الإنسانية

في عام 2017 اتخذت النجمة الأمريكية (رشيدة جونز) 41 عاماً موقفاً حاسماً أشادت به وسائل الاعلام، فقد تركت العمل في فيلم Toy story 4 لتعلن رفضها للطريقة التي تتعامل بها استوديوهات Pixar للرسوم المتحركة مع الناس الملونين وكيف انها تمارس العنصرية تجاههم ولا تعطيهم فرضاً إبداعية متساوية مع البيض. كما انتقدت ايضاً طريقة تعاطيهم مع النساء وأكدت إن واحداً فقط من كل عشرة أفلام ينتجها هذا الاستوديو تمنح فيها فرصة الاخراج لامرأة، وقد أشادت

الصحافة بهذا الموقف الجريء ورشحتها كثيراً من المطبوعات النسائية لنيل جائزة الفنانة صاحبة المواقف الإنسانية لعام 2017.

11 – اشلي غراهام..... غيرت مفاهيم الاناقة

حصلت عارضة الأزياء (اشلي غراهام) على لقب عارضة العام رغم وزنها الزائد ومن هنا يبدأ التحدي الذي دخلته هذه المرأة من أجل تغيير النظرة النمطية عن الجمال والاناقة وتشجيع ملايين النساء حول العالم على قبول اجسامهن كما هي وقد طالبت صناع الموضة باعتماد مبدأ التنوع والاختلاف في اجسام النساء وعدم اعتماد قياسات بعينها وترك النساء زائدات الوزن في حالة من الحزن والقلق. وقد ظهرت صورة هذه العارضة الممتلئة على أغلفة مجلات شهيرة مثل Elle و Glamour Vogue ونجحت بإدخال قياس 26 بوصة الى عروض الازياء في نيويورك لخريف وشتاء 2017. واحتلت مكاناً في قائمة مجلة Forbes للنساء اللاتي أحدثن تغييرات ايجابية في العالم.

12 – يوشيو هوا..... الشلل الدماغي لم يوقف احلامها

ولدت الصينية (يوشيو هوا) في مزرعة صغيرة في هنفديان في الصين وكانت تشكو ومن الشلل الدماغي ومع ذلك كانت تعيش حياة هادئة وتشتغل بالزراعة وبعد ان تنتهي من العمل تبدأ بكتابة الشعر رغم رعشة يدها التي لا تتوقف وظلت هكذا على مدى 41 عاماً الى ان جاء عام 2014 حيث أرسلت واحدة من قصائدها الى احدى المجلات الصينية الرصينة وكان وقعها على القراء مدوياً حيث أعيد نشرها مرات ومرات وبحلول عام 2015 تم نشر ديوانين من شعرها وباتت كتابتها الأكثر مبيعاً وأصبحت نائبة لرئيسة اتحاد الدوائر الأدبية والفنية ثم بدأت بتنظيم الندوات في الصين ثم في اميركا وبعض دول أوروبا وشهد عام 2017 أصدر فيلم وثائقي عنها يحمل عنوان (لا يزال غداً).

13 – سيرينا ويليامز.... ولقب جديد

توجت الأمريكية (سيرينا ويليامز) عام 2017 بلقب بطولة استراليا المفتوحة للتنس على حساب شقيقتها الكبرى (فيوننس) لتنفد بالرقم القياسي في عدد مرات الفوز بلقب هذه البطولة. وتعد (سيرينا) ويليامز 36 عاماً أفضل لاعبة تنس للسيدات وواحدة من أبرز الرياضيين في العالم وقد أطلقت بعد نهاية البطولة مفاجأة من العيار الثقيل حين أكدت أنها كانت تلعب في هذه البطولة وهي حامل بطفلتها الأولى. وإن أحداً لم يلاحظ ذلك لأنها كانت في شهر الحمل الثاني وأشارت الى

انها ستترك التدريبات خلال ما تبقى من شهور هذا العام لتري طفلتها (الكسيس أولمبيا) وسوف تواصل المشاركات في عام 2018.

14 – إليف شافاق..... تواصل حصد النجاحات

تواصل الروائية التركية (إليف شافاق) حصد نجاحاته بعد أن تصدرت رواياتها هذا العام قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في تركيا، وقد تُرجمت الى أكثر من 30 لغة حول العالم وبيع من رواياتها أكثر من 750.000 نسخة وحازت على جائزة ALEF في فرنسا، كما رُشحت لنيل جائزة دبلن الأدبية العالمية. لها جمهور عربي واسع ويتابع اعمالها خاصة روايتها الشهيرة قواعد العشق الأربعون. حصلت شافاق على الكثير من الجوائز الأدبية منها جائزة رومي لأفضل عمل أدبي في تركيا وحصلت روايتها الثالثة النظرة العميقة على جائزة اتحاد الكتاب الاتراك بينما حققت روايتها الرابعة قصر البرغوث اعلى نسب المبيعات في تركيا.

15 – جاسيندا اريدين..... أصغر امرأة تقود دولة

أصبحت (جاسيندا اريدين) البالغة من العمر 37 عاماً أصغر امرأة تقود دولة في العالم بعدما تولت مهام رئيسة الحكومة في بلادها. وركزت على التعليم العالي وعدم تجريم الإجهاض وخفض معدلات الهجرة وانتشال الأطفال من الفقر. وفقاً لإذاعة نيوزلندا فإنها تنوي الدعوة لإجراء استفتاء على تقنين المرجوانا خلال ثلاث سنوات من توليها السلطة. وتُعدّ (اريدين) أصغر رئيسة وزراء لنيوزلندا على مدار 150 عاماً وثالث سيدة تتولى المنصب وكانت قد انضمت لحزب العمال البريطاني وعمرها 17 عاماً وعملت في مكتب حكومة توني بليير ودخلت البرلمان عام 2008. [مجلة سيدتي عدد 1921 بتاريخ 30 - 12 - 2017]

3 / ب – الهوية الجنسية

لا يكفي علم اجتماع الجندر بالدفاع عن حقوق المرأة والمطالبة بمساواتها مع الرجل واستعراض مسيرة حركتها النسوية عبر التاريخ والمجتمعات، بل تناول حالات بيولوجية منحرفة عن الطبيعة البيولوجية والاجتماعية والثقافية التي تحصل للذكور والاناث في المجتمع الحديث وكيف يتعامل المجتمع معها وتصوير معاناتها جراء هذا التعامل ذلك لأنها تمثل مشكلة اجتماعية تُعبّر عن دور الفرد الاجتماعي ومعاناته النفسية الاجتماعية مثل المخنث الذي يرغب في أن يكون من الجنس الآخر والرغبة في أن يعامله الاخرون كفرد من الجنس المغاير فضلاً عن عدم ارتياحه وقلقه حول نوع جنسه الذي وُلِدَ فيه.

ثم هناك أمراض نفسية مصاحبة للخلل الجيني يحدث له بحيث يرغب بالتخلي عن جنسه سواء بالتغيير الخارجي أو بإجراء عملية جراحية تحويلية لأن أسباب مرضه بيولوجية كالتركيبية الجينية له مما تجعله يكره جنسه فضلاً عن الاضطراب في الهرمونات التي يتعرض لها الجنين قبل الولادة. معنى ذلك ان الهوية الجنسية تعكس تطابق الجنس البيولوجي (ذكر أو انثى) مع السلوك الجندري الخاص بنوع الجنس البيولوجي بحيث تظهر ملامح هذه الهوية في فترة المراهقة أو فترة البلوغ الجنسي الذي تستهجنه الكثير من المجتمعات والثقافات بمعنى تسخر وتنتقد السلوك الجنسي المغاير للسلوك الجندري مما يؤثر على شخصية حامل هذه الهوية المزوجة لأنها تُنتقد من قبل الأشخاص المحيطين به في الأسرة والمدرسة والجيرة فتتلور عنده شعور بالنقص وعدم الارتياح والقلق. كل ذلك يجعله راغباً بالانتماء للجنس الآخر والنفور من جنسه وهذه حالة مرضية (باتولوجية) لأنها تعبر عن فرد لا يرغب ان يكون في جنسه بل يريد ان يخلع عنه ويذهب للجنس الآخر (ذكر أو انثى) أي يحصل تنافر ذاتي مع جنسه مصحوباً بقلق وكرب ثابت ومستمر لأنه أو لأنها هي بنت وترغب ان تصبح ولد أو ولد ويريد ان يكون بنت في سلوكها وملبسها ومنطقها ونطقها وزينتها وهواياتها وخيالها ومزاجها.

لا جرم من القول بعد ان اعطينا صورة مفصلة عن الهوية الجنسية ومشاكلها بانها تعكس النبذ الاجتماعي Social eliminate أي الابتعاد عنه والنفور منه وعدم الاتصال به والتفاعل معه بعد ان تم وصمه اجتماعياً Social stigma التي تعني صفة اجتماعية يتم بموجيها نزع الثقة والاعتبار الاجتماعي منه لأن سلوكه وتصرفه غير متطابق مع نوع جنسه البيولوجي مثل تسميته بالخنثى أو المسترجلة فيحصل ازدياء اجتماعي واستبعاد جمعي مما تجعل مكانته الاجتماعية مهزوزة ودوره الاجتماعي موهن وشخصية منعزلة ومنطوية على نفسها. في الواقع لم تكن هذه المشكلة معروفة في الماضي لأنها تُعبّر عن انقسام حاد بين الجسد والنفس، والسلوك والتفكير، والتصور الذاتي والنبذ الاجتماعي وتناقض بين احساسه النفسي وطبيعة جسده البيولوجي. بمعنى إذا كان كامل الذكورية فإن احساسه النفسي يكون مناقض تماماً لذكوريته والحالة ذاتها مع الانثى وقد يؤدي هذا الانقسام والوصم والنبذ الاجتماعي الى الانتحار إذا استمرت معاناة صاحب الهوية المضطربة لفترة طويلة من الزمن.

باختصار شديد يعني اضطراب الهوية الجنسية تعبيراً عن مرض عقلي لجنس معين في جسد جنسي آخر مثل مرض عقلي لرجل في جسد امرأة أو عقل امرأة في جسد رجل. ديدني في كل ما أسلفت في هذا الموضوع هو القول بإن الهوية

الجنسية تعني تطابق نوع الجسد البيولوجي مع حواسه وعقله الخاص بنوعه مثل جسد رجل لكن عقله وحواسه ذكورية أو جسد امرأة لكن حواسها وعقلها انثوية، هذه هي الهوية الجنسية. أما مرضها فينطوي على جسد رجل مسكون فيه عقل وحواس انثوية أو جسد امرأة محبوس فيه عقل وحواس ذكورية.

ومن أجل تمحيص مما تقدم نقول هذه الحالة المعرّفة بالهوية الجنسية انها مخالفة للأحكام الاجتماعية ونظرة الناس الى هذا الانفصام مولدًا نبدأً اجتماعياً للمنفصم إذ يحصل تباعد بين الجنس البيولوجي والدور الاجتماعي – الثقافي المنسوب له تبعاً للجنس الذي ولدَ فيه.

أما أعراض اضطراب الهوية الجنسية فإنها تنطوي على السمات التالية: -

- 1 – التماهي الشديد والدائم مع الجنس الآخر.
  - 2 – التعبير بصورة متكررة عن الرغبة في الانتماء الى الجنس الآخر.
  - 3 – تفضيل ملابس وأدوار الجنس الآخر.
  - 4 – الرغبة الشديدة في المشاركة بالتسلّيات والألعاب الخاصة بالجنس الآخر.
  - 5 – تفضيل واضح للعب مع رفاق ينتمون للجنس الآخر والتصرف مثلهم.
  - 6 – الرغبة في العيش والمعاملة كأنه من الجنس الآخر.
  - 7 – قناعته بأنه يمتلك المشاعر والانفعالات التي يتميز بها الجنس الآخر.
  - 8 – شعوره بعدم الراحة مع جنسه.
  - 9 – شعوره بعدم التلائم مع الهوية الجنسية المنسوبة اليه.
  - 10 – تفكيره بأن الجنس الذي ولدَ فيه ليس بجيد.
  - 11 – مفاضلته للعزلة والابتعاد عن أبناء جنسه الذي يؤدي به الى عدم احترام ذاته الذي بدوره يقود الى الإحساس بالعداء تجاه الأسرة والمدرسة.
- وعلى الجملة فإن اضطراب الهوية الجنسية تمثل مشكلة فردية نفسية واجتماعية في الان تتطلب دراستها من علم حديث مثل علم اجتماع الجندر لكي يحيط طلبته علماً بأحدث المشكلات الاجتماعية والنفسية للجيل الجديد.
- اخيراً نشير الى اضطراب الهوية الجنسية مرتبطة بالخنثة الذي سنتناوله في الفصل القادم بشكل مفصل.

## 1 – ما هو اضطراب الهوية الجنسية Gender dysphoria

اضطراب الهوية الجنسية أوالديسفوريا Gender dysphoria هو نزاع داخلي ينطوي على الانزعاج وعدم الرضا والقلق وعدم الراحة مع الجسم الذكوري أو الأنثوي، ومن الممكن أن يتداخل الأمر مع أوجه السلوك والعادات اليومية للمصاب

بهذا الاضطراب مثل سلوكه داخل المدرسة أو العمل أو خلال الأنشطة الاجتماعية. اضطراب الهوية الجنسية هو الشعور بالقلق والضيق بسبب عدم وجود تطابق بين الجنس البيولوجي والهوية الجنسية. يعرف هذا الاضطراب أحياناً بـ "تناقض الجنسين" أو "التحوّل الجنسي".

يتم تحديد الجنس البيولوجي عند الولادة وفقاً للأعضاء التناسلية، أما الهوية الجنسية فهي شعور الشخص بجنسه بعيداً عن تكوينه البيولوجي. في الكثير من الأحيان الجنس البيولوجي والهوية الجنسية هي نفسها بالنسبة لمعظم الناس، ولكن هذا ليس الحال بالنسبة للجميع. على سبيل المثال، قد يكون الجسد جسد رجل، ولكن يعرف الشخص عن نفسه بأنه امرأة، في حين أن البعض الآخر قد لا يشعرون أنهم بالتأكيد ذكوراً أو إناثاً.

عدم التوافق بين الجنس والهوية الجنسية يمكن أن يؤدي إلى مشاعر مؤلمة وغير مريحة تسمى بالانزعاج بين الجنسين. الانزعاج بين الجنسين هو حالة طبية معترف بها وقد يتم علاجها في بعض الأحيان. ولكنها ليست مرض عقلي. بعض الناس الذين يعانون من اضطراب الهوية الجنسية لديهم رغبة قوية ومستمرة للعيش وفقاً لهويتهم الجنسية، بدلاً من جنسهم البيولوجي. ويسمى هؤلاء الناس بالأشخاص المتحولين جنسياً.

### ما هي علامات اضطراب الهوية الجنسية؟

يمكن أن تظهر أول علامات اضطراب الهوية الجنسية في سن مبكر جداً. على سبيل المثال، قد يرفض الطفل ارتداء ملابس الفتيان أو الفتيات النموذجية، أو يكرهون المشاركة في الألعاب والأنشطة النموذجية للبنين أو البنات. في معظم الحالات، هذا النوع من السلوك هو مجرد جزء من علامات أخرى سوف تظهر في المستقبل عند التقدّم في السن وفي مرحلة المراهقة، ولكن بالنسبة لأولئك الذين يعانون من خلل بين الجنسين فإن العلامات تبدو واضحة منذ الطفولة وحتى سن البلوغ.

يمكن للبالغين الذين يعانون من هذا الاضطراب الاجتماعي أن يشعروا بأنهم محاصرون داخل جسم لا يتطابق مع هويتهم الجنسية. وقد يشعرون بعدم الارتياح إزاء التوافق مع التوقعات المجتمعية بأنهم يعيشون وفقاً لجنسهم البيولوجي بدلاً من الجنس الذي يشعرون بأنهم ينتمون إليه. كما قد يكون لديهم رغبة قويّة في التغيير أو التخلص من العلامات المادية لجنسهم البيولوجي مثل شعر الوجه أو الثديين.

## كيف يمكن لهؤلاء الأشخاص الحصول على المساعدة؟

من الضروري استشارة الطبيب إذا كنت تعتقد أن طفلك يعاني من خلل جنسي. إذا لزم الأمر، يمكن أن يحيلك إلى عيادة أخصائي الهوية الجنسية من أجل إجراء تقييم شخصي وتقديم أي دعم يحتاجونه.

## كيف يتم تشخيص اضطراب الهوية الجنسية؟

ويتم عادةً تشخيص اضطراب الهوية الجنسية عن طريق إجراء تقييم متعمق من قبل اثنين أو أكثر من المتخصصين. وقد يتطلب ذلك عدة جلسات على مراحل مختلفة تستمر لبضعة أشهر، وقد تتضمن مناقشات مع أفراد العائلة أو الأصدقاء.

يحدّد التقييم وجود أي خلل في الهوية الجنسية والاحتياجات اللازمة، والتي يمكن أن تشمل:

- عدم تطابق واضح بين الجنس البيولوجي والهوية الجنسية
  - الرغبة القوية لتغيير الخصائص الفيزيائية الخاصة نتيجة لأي عدم تطابق
  - كيفية التعامل مع أي صعوبات في حال عدم التوافق المحتمل
  - كيفية تطوير المشاعر والسلوك مع مرور الوقت
  - نوعية الدعم المحتاج من الآخرين مثل الأصدقاء والعائلة
- وقد يشمل التقييم أيضاً تقييماً أعم للصحة البدنية والنفسية.

## علاج الانزعاج اضطراب الهوية الجنسية

إذا كانت نتائج التقييم تشير إلى أن طفلك / طفلاتك يعاني من خلل في هويته الجنسية، سيعمل الأطباء وعلماء النفس المختصين من أجل التوصل إلى خطة علاج فردية. وهذا يشمل أي دعم نفسي قد يحتاجه المريض.

ويهدف العلاج للمساعدة في تقليل أو إزالة المشاعر المؤلمة التي يعاني منها الشخص بسبب عدم التطابق بين الجنس البيولوجي والهوية الجنسية. وهنا تختلف طبيعة المعاناة من شخص إلى آخر. بالنسبة للبعض الناس يمكنهم العيش كجنسهم المفضل. وبالنسبة للآخرين، يمكن أن يعني تناول الهرمونات أو إجراء عملية جراحية لتغيير مظهرهم الخارجي.

ما هي أسباب اضطراب الهوية الجنسية؟



تنمية الهوية الجنسية أمر معقد وتختلف الأسباب الاختلافات المحتملة التي تسبب عدم التطابق بين الجنس البيولوجي والهوية الجنسية. أحيانا، تؤدي الهرمونات إلى اضطراب في تطوير الجنس البيولوجي بشكل غير صحيح على الدماغ والأعضاء التناسلية، مما يسبب في الاختلافات بينهما. وقد يكون السبب:

- هرمونات إضافية ربما نتيجة لتناول الأدوية
- متلازمة عدم حساسية الأندروجين حساسية: خلل الجنس بسبب تعطل عمل الهرمونات بشكل صحيح في الرحم
- تضخم الغدة الكظرية الخلقي. [https://ellearabia.com]

## 2 - اضطراب الهوية الجنسية Gender identity disorder

اختصارا يعرف بـ (GID). وهو تشخيص يطلقه أطباء وعلماء النفس والفيزيولوجيين على الأشخاص الذين يعانون من حالة من اللا ارتياح أو القلق حول نوع الجنس الذي ولدوا به. وكان يعتبر تصنيفا نفسيا، ثم أزيل التشخيص من قائمة الأمراض العقلية والنفسية. لكن جميع المصادر كانت قديمة أو حديثة أقرت أن اسبابه بيولوجية كالتركيبية الجينية للإنسان أو البنية الدماغية المتعلقة بالتأثيرات الهرمونية على الدماغ في فترة التكوين الجنيني (ما قبل الولادة). يصف هذا التشخيص المشاكل المتعلقة بكره الجسد وعدم الارتياح معه ويكون عقل المصاب بهذا الخلل مشحوناً بتغيير الجسد أو عملية تصحيح الجنس الجسدي ليتناسب مع الهوية الجنسية. وهو تصنيف تشخيصي لا ينطبق بشكل عام على "المصححين جنسياً" أو "الترانسجنندر".

فان تشخيص اضطراب الهوية الجنسية المذكور في كل مراجع الطب النفسي العربية والعالمية: هو خلل يولد به الإنسان وكانوا يرجعون سببه إلى البيئة أو التربية.

لكن مع التقدم الطبي، اتضح أن هناك ما يسمى بـ (الخطوط الجندرية) أو (الجنسية) بالمخ، هي المسؤولة عن تعريف وشعور المخ بالجنس الذي ينتمي إليه، وهو ما يسمى بالهوية الجنسية، وقد توصل العلماء إلى أن هذه الخطوط تكون مختلفة في هؤلاء المرضى، بحيث يشعر الإنسان منذ ولادته أنه ينتمي للجنس المعاكس لجنسه التشريحي.

وتبيّن أن هذا الاختلاف يرجع إلى اضطراب في (الهرمونات) التي يتعرّض لها الجنين "قبل" الولادة، مما يؤثر على (جيناته)، وعليه يؤثر على الخطوط الجنسية بالمخ، فتبدأ مأساة اضطراب الهوية الجنسية. تبدأ الأعراض بالظهور منذ الولادة، وحيث إنه يختلف سلوك الرضيع الذكر عن الأنثى، فيتبع الرضيع سلوك الجنس المعاكس، ثم تزيد وتتضح الأعراض أثناء الطفولة المبكرة، فيشعر الطفل الذكر - مثلاً - الذي لم يتعدّ 3 سنوات أنه أنثى، ويسلك سلوك الطفلة الأنثى في مختلف نواحي حياته، بدايةً من أسلوب اللعب، وحتى طريقة قضاء حاجته.

كان (هاري بنجامين) اختصاصي في علم الغدد الصماء وتخصص في شؤون تغيير الجنس. كان من أوائل من افتتحوا عيادات تخصصت في تغيير الجنس للأشخاص من الجنسين.

### التشخيص

اضطراب الهوية الجنسية لدى الأطفال يوصف عادة "بأنه موجود منذ الولادة"، ويعتبر "عيادياً"، وهو غير مشابه لاضطراب الهوية الجنسية الذي يظهر في فترة المراهقة أو فترة البلوغ. في وقت تستهجن فيه عدة ثقافات السلوك الجنسي المغاير، فإنها تؤثر بشكل سلبي على الأشخاص المصابين به والأشخاص القريبين منهم. في حالات متعددة تظهر شعوراً بعدم الارتياح نابع من أن جسم هذا الشخص هو "الغير صحيح" أو مختلف.

ويتميز اضطراب الهوية الجنسية بنفور شديد بشأن جنس الشخص الفعلي، مع رغبة للانتماء للجنس الآخر، ويكون هناك انشغال دائم بملابس أو نشاطات الجنس الآخر مع رفض للجنس الفعلي، وينتشر هذا الاضطراب في البنين أكثر منه في البنات.

### ومن مظاهر الاضطرابات الجنسية لدى الإناث

كرب ثابت ومستمر حول كونها بنت مع رغبة في أن تصبح ولداً، ممارسة الألعاب الخشنة، واقتناء المسدسات، والابتعاد عن لعب العرائس، ورفض التبول في وضع الجلوس، ومنهم من تدعي أو تتخيل بأنه سيظهر لها عضو ذكري وأنه لن ينمو لها أذداء مثل أقرانها من البنات، ولا يهتمون بالأدوار النسائية، ويتخذن أصدقاء من الذكور.

### ومن مظاهر الاضطرابات الجنسية لدى الذكور

كرب مستمر حول كونه ولدا ورغبة في أن يصبح بنتا، لبس الفساتين، واللعب بالعراس، ورفض اللعب مع الأولاد، والاهتمام بما تلبسه البنات من ملابس داخلية أو خارجية أو أدوات زينة، والاهتمام بالموضة وما تقدمه دور الأزياء، ومنهم من يتخيل أنه سيصبح امرأة وتختفي أعضائه الذكورية وتظهر له أعضاء أنثوية وأنه سيصبح قادر على الحمل، وهم يعانون من الرفض والنبت الاجتماعي بدرجة أكبر من البنات مضطربي الهوية الجنسية. وتشخيص اضطراب الهوية الجنسية يقتضي وجود اضطراب في الإحساس الطبيعي بالذكورة أو الأنوثة بالرغم من عدم وجود أسباب عضوية لذلك، وأن مجرد السلوك الصبياني بين البنات أو السلوك البناتي بين الأولاد ليس كافيا.

### المتحولون جنسياً

هناك الكثير من الأطفال الذين يولدون بعيوب خلقية ظاهرة، فيسارع الأهل بأبنائهم إلى أطباء التجميل لمداركة هذه العيوب. ولكن هناك أنواعا أخرى من العيوب الخلقية لا يعترف بها المجتمع، ويعتبر الاقتراب منها لمحاولة إصلاحها من المحرمات دينيا، ومنها العيوب الخلقية بالأعضاء التناسلية أو ما يسمى (الانترسيكس)، أو المصابين باضطراب الهوية الجنسية وهؤلاء يحتاج بعضهم إلى علاج نفسي والبعض الآخر يحتاج إلى تدخل جراحي فوري لتصحيح جنسه، ومعاونة هؤلاء الأشخاص تكمن في أن هناك رسالة مسجلة بالمشخصات جنسهم الحقيقي، ورسالة أخرى يراها الشخص نفسه ويراها معه الآخرون. وفيما مضى كان تحديد جنس المولود يتم من شكل أعضائه التناسلية فقط، ومع تطور العلم اكتشف المجتمع أن معيار تحديد الجنس من شكل الأعضاء التناسلية لم يكن كافيا لتحديد هوية المولود، إذ أن هناك الهرمونات ونسبها والغدد المسؤولة عن إفرازها، فأضاف العلماء معيارا جديدا لتحديد جنس المولود، وهو الجينات والهرمونات وأماكن ووقت إفرازها، فاكتشفوا إناثا بخصيتين داخليتين في أحشائهن، وذكورا برحم، وإناثا بلا رحم ولا مبايض، وغير ذلك الكثير. وبعد مرور سنوات طويلة اكتشف أن هناك إناثا مكتملات الأنوثة وكل المعايير السابقة تثبت أنهن إناث، ولكنهن يحملن كروموسوم ذكري، وكذلك الحال بالنسبة للذكور، وبعد فترة اكتشفوا أن هناك حالات تحمل كروموسوما غير ذكري وغير أنثوي، ولكن عادت الدراسات لتثبت أن المتحولين يحملون تركيبة عقل الجنس الذي تحولوا إليه لان تركيبة البنية الكيميائية للمخ تختلف من الذكر إلى الأنثى. وهناك الكثير من الباحثين اهتموا بهذه بحالات تصحيح الجنس (الترانسجنדר).

التفسير العلمي لهذا المرض

عندما يكون الجنين في الاسبوع الثامن من الحمل يكون هنالك هرمونات معينة تبدأ بالتواصل، والرسالة تبدأ بالمخ ومن ثم تنتقل إلى الغدة التناسلية حيث أنه في البداية، قبل الاسبوع الثامن من الحمل، تكون الغدد التناسلية غير مصنفة، كلنا في هذه المرحلة لنا القابلية لكون اناثاً او ذكوراً، ولكن هذا ليس مصنفاً، عند مرور الاسبوع الثامن من الحمل، يقوم المخ بإرسال هرمونات معينة إلى الغدد التناسلية، لتقوم بتذكير او تأنيث الغدد التناسلية والتي بدورها ستقوم بالتحول إلى الجهاز التناسلي المؤنث او المذكر؛ الرسالة ترسل من المخ إلى الاسفل لتقول: قومي بعملك وبعدها عودي إلى الاعلى، احياناً لا تعود الرسالة إلى الاعلى او تعود للأعلى جزئياً، لذلك ما يحصل هو خلل بيولوجي، ما يحصل هو أن الرسالة ترسل ولكن تعاود إلى الرجوع جزئياً وعندها يحدث الاضطراب.

**من الناحية العلمية**

من الناحية العلمية فان مرض اضطراب الهوية الجنسية أي التحول الجنسي من ذكر إلى أنثى، أو من أنثى إلى ذكر. وهذا النوع من المرض لم يكن معروفاً في الماضي، ولم تكن عمليات التحويل الجنسي معروفة، لكن الأطباء اليوم يقولون: أنه مرض حقيقي معترف به في الموسوعات الطبيّة المحترمة، وقد ورد في دائرة المعارف البريطانيّة عن مرض التحول الجنسي أنه (اضطراب في الهوية الجنسيّة، يجعل المصاب به يعتقد أنه من الجنس المعاكس). فالذكر مثلاً يولد بأعضاء تناسليّة ذكريّة كاملة، وهو بالتالي ليس خنثى، لكنّه منذ سنّ مبكرة جداً يصنّف نفسه مع النساء، ويتصرّف كواحدة منهنّ، ويتطلّع إلى انشاء علاقات مع الذكور باعتبارهم الجنس الآخر، فهو ليس مصاباً بالشذوذ الجنسي. بل إنّ جمعيّات الشذوذ في أميركا رفضت انتساب المتحولين جنسياً اليها، لأنّ معظمهم لا يرغب بممارسة الجنس المثليّة، فالذكر المتحول جنسياً إلى أنثى، يرغب بممارسة علاقاته مع الذكور كأنثى، وفق الأعراف والتقاليد التي يظن أنه يمكن الوصول اليها، لهذا يطمح من مجتمعه أن يعامله معاملة الأنثى الطبيعيّة، كما أنه ليس مصاباً بالانحراف الجنسي الذي يدفع الرجل إلى ارتداء ملابس المرأة، أو يدفع المرأة لارتداء لباس الرجل من قبيل التشبّه، بل هو يرغب بالتحول الكامل إلى الجنس الآخر، وهي رغبة لا فكاك منها، لأن مرض (الترانسكس) مرض فعلي كما يصرّح المصابون به، وكما يقول الأطباء، وليس نزوة شيطانيّة. وقد ورد في دائرة المعارف البريطانيّة أيضاً: (يستمرّ هذا المرض لسنوات طوال، وعلى الأغلب العمر كلّهُ، مع خطورة تطوّر الاكتئاب والوصول به إلى الانتحار، وهو يبدأ في مرحلة مبكرة قبل البلوغ إذ لا علاقة له بالرغبات الجنسيّة، ويستمرّ حتّى اجراء الجراحة، وان كان لا ينتهي تماماً

بها، ويقول أحد المصابين بهذا المرض (انه لا خيار له في هذا المرض بل هو مصيبة نزلت على رأسه). أمراض نفسية خطيره يسببها المرض من يدرس أعراض هذا المرض يجد أن أصحابه تصيبهم الأمراض النفسية المصاحبة لهذا المرض، وهو مرض نفسي يؤدي بالمريض إلى الانزواء والتراجع وتحمل عذاباته الرهيبة خوفاً من افتضاح حقيقته. والعلاج النفسي لهذا المرض لا يفيد، كما يقول الدكتور سعيد عبد العظيم، خاصةً وأن معظم هذه الحالات لا تكتشف إلا في مرحلة متأخرة بعد البلوغ، كما أن المريض نفسه لا يعترف بأن مرضه نفسي. بل إن فكرة التحول إلى الجنس الآخر تصبح ملحة عليه، وتسيطر على كل أفكاره، وتدفعه للجوء إلى الجراحين.

تحقيق موسّع حول هذا الموضوع أجراه السيّد (أسامة الرحيمي) في القاهرة ونشر في مجلة الشروق (العدد 329 تاريخ 1998/7/27) تُبين أن مرض التحول الجنسي، هو انفصام حاد بين النفس والجسد، فيكون الذكر كامل الذكورة من حيث الأعضاء الظاهرة، لكن احساسه النفسي مناقض لذلك تماماً، فهو يشعر بأنه أنثى، كما تكون الأنثى كاملة الأنوثة من حيث الأعضاء الظاهرة، لكنها تشعر أنها ذكر. فاذا تعدّر عن طريق المعالجة النفسيّة، انهاء هذا الانفصام، لم يعد أمامنا إلا إجراء عمليّة (التحول الجنسي)، وذلك بهدف إعادة التكيّف بين النفس والجسد، وهو أساس الصّحة النفسيّة والجسديّة عند الأطباء والعلماء.

### الفرق بين التصحيح والتحويل

وهناك فرق كبير بين مصطلح التصحيح ومصطلح التحويل، حيث أن: (التصحيح الجنسي)، مصطلح ينطبق على أولئك الذين يعانون من تشويه خلقي في الأعضاء التناسلية، كأن يكون هناك جهازان تناسليان في آن واحد أحدهما ذكري والآخر أنثوي، أو يكون هناك جهاز مضمور وبحاجة إلى اظهاره، أو تكون كروموسومات الشخص ذكورية، في حين أن مظهره الخارجي أنثوي أو العكس، فهذه الحالة تكون مرضية ينشأ عنها اضطراب في شخصية الشخص المريض يتعدى كونه مجرد اضطراب نفسي، فهناك تشوه خلقي يؤثر على الشخصية مما يحتاج إلى عملية جراحية لتصحيح الجنس الغالب على الآخر. وعلى النقيض لذلك في حالات (التحول الجنسي)، فليس هناك أي خلل خلقي، بل إن المسألة لا تتعدى كونها حالة سلوكية أو نفسية تعترى الفرد لأسباب مختلفة، سواء كانت بيئية أو تربوية أو شهوانية وما إلى ذلك، وهذه الحالات ليست بحاجة إلى تصحيح جنس أو هوية، لكنها بحاجة إلى علاج نفسي وغسيل فكري من تلوث لصق بها، ويسمى تغيير الجنس

في هذه الحالة (تحول جنسي) لأنه ناتج فقط عن رغبة ذاتية، ولا تستند إلى مسوغات شرعية وفق الضوابط الطبية.

### دور الأسرة في التحويل والتصحيح

للأسرة دور كبير في معالجة الخلل المتعلق في الذرية (ذكورا أو اناثا)، وهذا يكون من خلال تفهم القضية من الناحية الطبية التخصصية، وأيضا السلوكية، بعيدا عن تحميل النصوص الشرعية في هذا المجال. فمن الخطأ الفادح النظر إلى قضية الخلل الوارد على بعض الناس في جنسهم ووجود الاضطراب في تكوينهم من أنه تشبه بالجنس الآخر، وفيه اللعنة والطرده من رحمة الله، لأنه لم يسع إلى هذا الأمر بمحض ارادته، ولا بشوق منه، ولكن سبق قدر الله عليه لحكمة منه سبحانه، لهذا مما يجعل المشكلة يمكن معالجتها منذ البداية وجود الفهم الواعي لدى الوالدين في التعرف على هذه القضية، وبذل الأسباب الطبية في الكشف عليها، بعيدا عن تغلب العاطفة الاجتماعية، واللوم وندب الحال كأن داهية الدواهي وقعت على الأسرة ولا سبيل إلى حلها أو معالجتها الا بالتستر عليها أو نبذها، وقد يلجأ بعض الآباء إلى معاقبة وليدهم، أو حرمانه أو طرده من البلد، ويزيد المرض سوءا، بل ولو تمكن الأب من دفن هذا الوليد لفعل، لكنه يلجأ إلى الضرب والتهديد، وهناك من رمى بالمريض إلى دوائر الشرطة ليعالجوا الخلل فيه. فالقضية في التصحيح أو التحويل تكون وفق نظر أهل الطب، وبعد الفحص والنظر يمكن اصدار الفتاوى اللائقة بمثل هذه الحالات المرضية، وتنجز العمليات، ويتم تغيير الأوراق الرسمية المتعلقة بالإنسان، وتنتهي المشكلة قبل أن تتفاقم، ولا يعرف الأب كيف يعالجها.

### الأسباب

ليس هناك أسباب محددة لاضطراب الهوية الجنسية بقدر ما هي عوامل مساعدة أو مهياة منها: عوامل بيولوجية مثل التشوهات، الازدواجية الجنسية. النسخة السادسة للتصنيف الإحصائي الدولي للأمراض والمشاكل المتعلقة بالصحة أظهرت تشخيصات مختلفة لاضطراب الهوية الجنسية منها تغيير الجنس، التشبه بالجنس الآخر، اضطراب الهوية الجنسية في الطفولة. في حين لم تحدد اضطرابات الهوية الجنسية الأخرى.

### الجدال

كثير من الناس الذين يعانون من اضطراب الهوية الجنسية لا يعتبرون مشاعرهم وتصرفاتهم الجنسية المختلطة اضطراب. الأشخاص الذين يعانون من اضطراب الهوية الجنسية دائما يتساءلون كيف يجب أن تكون الهوية الجنسية "الطبيعية" أو الدور الجنسي "الطبيعي". هناك جدال واحد أن الخصائص الجنسية هي اجتماعية

وليس لها علاقة بالجنس البيولوجي. هذا المنظور يظهر أن الثقافات الأخرى لا سيما التاريخية كانت تقيم الأدوار الجنسية التي توحى حالياً بالشذوذ الجنسي وتغيير الجنس هو سلوك عادي. بعض الأشخاص يرون تغيير الجنس كوسيلة للتفكيك بين الجنسين. ولكن ليس كل الأشخاص المتحولين يرغبون في تفكيك الجنس.

### المشاكل والعوائق

المشكلة هي أن كثير من علماء الدين لا يعرفون على وجه التحديد طبيعة مرض اضطراب الهوية الجنسية، وأحياناً يخلطون بينه وبين الجنسية المثلية أو انحراف السلوك الجنسي والأخلاقي عموماً، وهذه مسئولية الأطباء النفسيين لكي يوضحوا لهم طبيعة هذا المرض وتداعياته حتى تكون الفتوى الصادرة عنهم على بينة. وقد اتضح هذا في فتوى فضيلة الشيخ فيصل مولوي فهو قد قرأ وسمع وعرف الكثير عن المرض، ولذلك جاءت فتواه محددة ومقدرة لصعوبة معاناة المرضى ومتوافقة أيضاً مع ثوابت الدين.

لابد أن يكون علاج اضطرابات الهوية الجنسية متعدد الأوجه أو الأبعاد، ولذلك فإن هذا العلاج يشمل: -

1 – الذهاب لطبيب نفسي ليميز حالة المريض هل هي مجرد حاله سلوكيه او لديها مشكله في الهوية الجنسية: والهوية هي نظرة الانسان لذاته ونفسه هل ينظر لنفسه انه ذكر او انثى.

2 – عند تشخيص وتحديد الحالة من هذا المنطلق يعالج المريض ان كانت مشكله سلوكيه يعالج سلوكيا وان كان حاله كـ (شيزوفرينا) بحيث يتخيل المريض انه انثى والعكس فيعالج بالأدوية والكثير من الحالات التي تشابه مرض الاضطراب.

3 – أثبتت الدراسات انه لا يمكن تغيير الهوية الجنسية للشخص سواء طفل او بالغ ومن يسمع عنهم انه تغيروا هؤلاء حالاتهم مجرد حالات سلوكيه وشخصيه لا غير.

4 – لذلك ان ثبت ان الحالة لديها هويه جنسيه مخالفه للجنس البيولوجي بعد فترة من الخضوع للعلاج النفسي للتأكد تعيش فترة 3 – 6 بالدور الذي تشعر انها تنتمي اليه ثم تخضع لعلاج هرموني وبعد ذلك علاج جراحي لتصحيح الجنس. 5-وأخيراً الكثير من الجدالات حول مرض (اضطراب الهوية الجنسية) بسبب اختلاف المفاهيم عند بعض الاطباء وهناك من يعتقد انه مجرد ظاهره سلوكيه وهناك من يضع كل شخص متشبه بالجنس الآخر تحت مسمى الاضطراب لذلك يجب زيادة

المعرفة والدراسات حول هذه الظاهرة خاصةً بالوطن العربي بسبب قلة الدراسات والمعرفة حول هذا الحالات التي تكون ضحية للمجتمع.

• أصغر حالة اضطراب هوية جنسية معروفة

اهتمت مختلف وسائل الإعلام البريطانية بحالة ذلك الصبي الذي يدعى زاخاري أفيري، الذي يبلغ من العمر الآن 5 أعوام. وفي ظل احتفائه بصفاء شعر شقراء وتنورة أرجوانية قصيرة، فهو يعيش الآن كفتاة منذ أكثر من عام، بعدما رفض أولاً أن يعيش كصبي عندما بلغ من العمر عامه الثالث. واختار حينها بدلاً من ذلك أن يرتدي فساتين وردية اللون وأن يضع شرائط في شعره الأشقر الطويل – وذلك لأنه يعاني من ذلك الاضطراب الذي يعرف باضطراب الهوية الجنسية المعروف بـ "GID".

وأشارت صحيفة التلغراف البريطانية في هذا الصدد إلى أن المدرسة الابتدائية التي يذهب إليها في ايسكس قامت بتغيير حمامات الأطفال إلى حمامات يمكن أن تتماشى مع الجنسين دعماً لزاخاري، منذ أن تم تشخيص حالته بصورة رسمية العام الماضي. ويعد زاخاري واحداً من أصغر الأطفال في بريطانيا الذين يتم تشخيص حالتهم بأنهم مصابون باضطراب الهوية الجنسية، بمعنى أنه يشعر أنه فتاة محبوسة بداخل جسد صبي.

وقالت الأم تيريزا أفيري، 32 عاماً، إن زاخاري كان طفلاً صغيراً "طبيعياً"، لكنه قرر بشكل مفاجئ في نهاية العام 2010 أنه يرغب في أن يعيش كفتاة. وأنه بدأ من وقتها في الميل لكل ما هو متعلق بالفتيات الصغيرات، وبدأ يرتدي ملابس الفتيات. وهو ما أثار قلق والديه، خاصة بشأن سلوكياته، ولهذا اصطحابه إلى الأطباء.

وبعد عدد من المشاورات، تم تشخيص حالته بصورة رسمية من جانب المختصين في قطاع الصحي الوطني بأنه مصاب باضطراب الهوية الجنسية، ليصبح زاخاري بذلك واحداً من أصغر الأطفال المصابين بهذا الاضطراب في المملكة المتحدة. وأوضح المختصون أن هذا الاضطراب هو عبارة عن صراع بين الجنس المادي الفعلي للشخص وبين الجنس الذي يرى الشخص سواء ذكر أو أنثى أنه يناسبه أو يناسبها.

الأم لتقول: " لقد أخبرنا المختصون أنه ورغم امتلاك زاخاري لجسم صبي، إلا أن دماغه يخبره أنه فتاة. وفي المدرسة، يتعامل زملاؤه معه بشكل جيد، كما أن المدرسة نفسها تتعامل مع الأمر بشكل رائع، وهي تقدم حقاً كل الدعم لزاخاري". وتابعت بقولها: "لا أنكر أنني أحب أن يعود ابني مرة أخرى لما كان عليه في



البداية، لكنني أريده أن يكون سعيداً. وإذا كان ذلك هو المسار الذي يود أن يسلكه، وإذا كان ذلك هو ما سيجعله سعيداً، فليكن الأمر كذلك. وسأود أن أقدم له كامل دعمي".

من جهتها، رفضت متحدثة باسم عيادة تافيستوك في لندن أن تعلق على حالة بعينها، واكتفت بقولها إن هناك 7 أطفال فقط دون سن الخامسة قد تم تشخيص حالتهم العام الماضي أنهم مصابون بهذا الاضطراب، ليصبح زاخاري واحداً من أصغر المصابين.

كتب (داهم القحطاني)، أفتى رجل دين كويتي في فتوى، حصلت الرأي على نسخة منها بجواز عملية تحويل الجنس من ذكر إلى أنثى أو العكس إذا كان مصاباً بمرض اضطراب الهوية الجنسية TRANS-SEX ليصبح بذلك أول رجل دين في الكويت وربما في دول الخليج العربي يفتي بجواز إجراء مثل هذه النوعية من عمليات التحول الجنسي، التي تجد رفضاً قاطعاً من قبل شرائح واسعة في المجتمع الشرقي خصوصاً المنتمين لتيارات دينية. ويؤكد رجل الدين راشد سعد العلمي في فتواه أنه من الخطأ الفادح النظر للمصابين في هذا المرض على أنهم يتشبهون بالجنس الآخر وأن جزاء ما يقومون به اللعنة والطرده من رحمة الله وذلك "لأنه لم يسع إلى هذا الأمر بمحض ارادته، ولا بشوق منه، ولكن سبق قدر الله عليه لحكمة منه سبحانه"، مشدداً على أن جواز عملية التحول الجنسي يتم فقط للمصابين بمرض اضطراب الهوية الجنسية TRANS-SEX ولا يشمل ذلك المتشبهين بالجنس الآخر لأسباب غير سوية وغير مرتبطة بهذا المرض. ومن شأن هذه الفتوى أن تدعم الجهود التي يقوم بها بعض المتضررين من المتحولين جنسياً من قانون منع التشبه بالجنس الآخر الذي شرعه نواب اسلاميون وغيرهم في مجلس الامة في العام 2007، من أجل تعديل هذا القانون أو وضع لائحة تنفيذية تحدد كيفية التشبه بالجنس الآخر، وهي الجهود التي بدأها بعض الناشطين من المصابين بمرض اضطراب الهوية TRANS-SEX بالاجتماع بلجنة بحث الظواهر السلبية في مجلس الامة بطلب منهم للاحتجاج على قيام رجال الشرطة بالقبض عليهم والتعامل معهم كمجرمين لا كمرضى. واللافت في الفتوى التي افتى بها الشيخ (راشد العلمي)، وهو إمام وخطيب في وزارة الاوقاف الكويتية ويعمل كذلك مأذونا شرعياً وله عدد من المؤلفات والابحاث في مجالات دينية متعددة تتضمن كثيراً آراء الأطباء ودائرة المعارف البريطانية ومصادر علمية أخرى، كما انه يقر في مطلعها بأنه وقبل تناول أي قضية طارئة وواقعة في المجتمع، على المسلم قبل الخوض بالكلام والرأي، ينبغي ابتداءً أن يضعها على مائدة البحث العلمي المتعلقة به، ثم يوزنها

بميزان الشرع. ومرض اضطراب الهوية الجنسية وفق دائرة المعارف البريطانية التي تم الاستشهاد فيها في الفتوى عبارة عن "اضطراب في الهوية الجنسية، يجعل المصاب به يعتقد أنه من الجنس المعاكس يستمرّ هذا المرض لسنوات طوال، وعلى الأغلب العمر كلّه، مع خطورة تطوّر الاكتئاب والوصول به إلى الانتحار، وهو يبدأ في مرحلة مبكرة قبل البلوغ إذ لا علاقة له بالرغبات الجنسية، ويستمرّ حتّى إجراء الجراحة". ويشدد العليمي في نص الفتوى على وجوب ان تتم عملية التحول الجنسي وفق نظر أهل الطب، وبعد الفحص الطبي والنفسي وعبر فتاوى لائقة بمثل هذه الحالات المرضية، مبينا ان ذلك لا يعتبر من قبيل مجازاة الغرب "فالمسلم ينبغي أن يضع كل حالة في محلها الصحيح، ويعالجها وفق الضوابط الطبية والشرعية ويستفيد من علوم غيره بما لا يعارض الشرع الحنيف، بغية أن نساعد من هو فعلا بحاجة إلى المساعدة". وعلمت (الراي) ان اصدار هذه الفتوى يأتي ضمن خطوات متصلة يقوم بها بعض المتضررين من المتحولين جنسيا من أجل عدم شمولهم بقانون التشبه بالجنس الآخر والتأكيد أنهم غير مثليين جنسيا ولا يقبلون القيام بأعمال منافية للدين الإسلامي والعادات والقيم المحافظة كالزنا أو السحاق والتأكيد على أن تشبههم بالجنس الآخر لم يكن لمرض في السلوك أو حاجة خبيثة في التفكير أو لفطرة خبيثة تهدف لممارسة الزنا او السحاق، انما هم مرضى حقيقيون بحالة من الانفصام بين الجسد الذي يتبع جنسا محددًا وبين العقل الذي يتعامل منذ الصغر على انه ينتمي لجنس آخر غير الذي تبينه ملامح الجسد، وهو تماما التفسير الذي تبناه العليمي في فتواه واعتبر معالجته بالتحول إلى الجنس الآخر عبر عملية جنسية أمرا يقره الشرع كونه يحمي الانسان من خطر قتل النفس وهي النهاية المحتملة للمصابين بهذا المرض وفق الآراء العلمية. وجاء في نص فتوى الشيخ (العليمي) ما يلي: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين... أما بعد من القضايا المهمة التي بدأ الحديث عنها في المجتمع الكويتي مسألة الجنس الثالث أو الرابع، وتشبه الرجال بالنساء والعكس، وهي من القضايا التي لها ارتباط وثيق بثقافتنا وعاداتنا، ولها اتصال ونظر وبحث من الناحية الطبية التخصصية، بل وأعظم من هذا فهي مرتبطة بشرعنا الكريم. وحرى على كل منصف ألا يخوض في الكلام على هذا الموضوع من غير علم وبحث دقيق، ويظن أنه من اليسير تعميم الحكم الشرعي على كل من كان به شبه بالجنس الآخر، من غير اطلاع على الأبحاث الطبية أولاً، ومن ثم إنزال الفتاوى على هذه الأبحاث العلمية، لأن تصور القضية فرع من الحكم عليها. ويمكن القول ان سوء الخلل في فهم هذا الموضوع راجع إلى افتاء بعض المسلمين في هذه

القضية في الفضائيات بعيدا من مراجعته لإبعاد هذه الأسماء المحدثه التي لا وجود لها في الطب ولا في الشرع، وعدم فحصها بميزان الطب ابتداء، ثم الشرع. ولهذا حري بنا قبل أن نتناول أي قضية طارئة وواقعة في المجتمع، على المسلم قبل الخوض بالكلام والرأي، ينبغي ابتداء أن يضعها على مائدة البحث العلمي المتعلقة به، ثم يوزنها بميزان الشرع، فالفقيه هو ذلك الذي يستأنس برأي أهل الاختصاص في المدلهات الحادثة قبل اصدار الفتوى، ان كان لها تعلق في علوم أخرى غير الشريعة، امثالاً لقوله تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } والخطأ في فهم القضية أيضا يتوجه إلى من تناول قضية مسميات الجنس الثالث أو الرابع والخنثى، أو ما يماثلها ظاهرا من جوانب محددة فقط لها اتصال بدراسته، مثل مناقشتها من جانب العلوم النفسية أو الاجتماعية فقط، ويصرّ على أنها قضية نفسية سلوكية بحتة، ولا ترتبط بالجوانب الشرعية. وهناك من يورد على كل من له تشبه ظاهري بالجنس الآخر الولايات واللغات استمدادا من المنظور الشرعي، بحجة المشابهة الظاهرية في الأمر بينهم جميعا وهو قضية التشبه بالجنس الآخر بعيدا عن النظر في أسباب ميل الذكر إلى الصفات الأنثوية، أو لماذا تعلق الفتاة بالجانب الذكري، ولهذا كان الانصاف والواجب ربط هذه القضية بجميع الجوانب... الشرعية، والنفسية والاجتماعية، وأيضا الطبية. لهذا كان من الواجب مناقشة هذه القضية ابتداء وفق الجوانب الطبية بمختلف أفرع الطب والعلوم الانسانية، ثم النظر إلى ذلك وفق الجوانب الشرعية، بعيدا عن الموروثات الاجتماعية التي جعلنا أحيانا نسكت عن المشكلة، ونحن نعلم يقينا بوجودها بيننا، ولربما تتزايد وتفاقم، أو يأتي علينا من يريد أن يعالجها لكن بطريق البتر والتجريم القانوني لكل من شمله الوصف من وجهة نظر قانون لم يسع للمعالجة الصحيحة.

**هناك فئتان ينبغي ملاحظة أمرهما، وهاتان الفئتان:** أولا ما أطلق عليه الفقهاء بالخنثى، وهو من كان له جهازان تناسليان، وقد يصبح مشكلا في المستقبل لتساوي الجهازين في العمل، وله أحكامه الفقهية، بل وحتى في قضية الميراث الشرعي. والفئة الثانية هم من كان بهم خلل في الدماغ لم يتوافق مع الجسد الظاهري، فالتفكير والمخ يتعاملان مع الجسد على أنه أنثى، لكن الحقيقة أن الجسد هو جسد ذكري، فأصبح هذا الانسان مضطرب الهوية. ودراسة كل حالة من أهل الاختصاص على انفراد تجعل القضية واضحة علينا تماما وفي الحكم عليها بما يناسبها، فلا نشملهم بالحكم الشرعي ولا القانوني، لأن من سعى إلى التشبه بالجنس الآخر بإرادته ومحض حريته لحاجة في نفسه، فهذا يختلف عن ذلك الذي منذ ولادته وهو يعيش في اضطراب بهويته، فعقله يتصرف في أمر، لكنه يتعامل مع

جسد غريب مخالف لما يرسل اليه الأوامر من الدماغ، وهذا أمر موجود ومتحقق في أناس في المجتمع، زاد عددهم أو قل. والحق والانصاف يستلزمان علينا أن نهتم بهذه القضية ونجعل لها التساؤلات المناسبة التي توضح لنا القضية من جميع جوانبها، ومن تلك التساؤلات: الحالات التي يجوز فيها التحول من جنس إلى الجنس النقيض. نعلم أن الله خلق الانسان ذكراً وأنثى، لكن هناك حالات غير طبيعية، وتشوهات خلقية تظهر على بعض الناس فتجعلهم جنساً مختلفاً، وهي حالات استثنائية نادرة، لكنها موجودة منذ القدم كما يقول الأطباء، وهذه الحالات يصنّفها الأطباء في نوعين من المرض: - الأوّل: هو مرض (الانترسكس) أيّ الجنس الداخلي، وصاحبه يسمّى عند الفقهاء (الخنثى)، وهو الانسان الذي يمتلك بعض الأعضاء الجنسيّة للذكر، وبعض الأعضاء الجنسيّة للأنثى. لقد تكلم الفقهاء في العصور الغابرة عن هذه الظاهرة من حيث تأثيرها على الأحكام الشرعية المتعلقة باختلاف الجنسين، ولم يتكلموا عن حكم معالجتها باعتبارها مَرَضاً. وقبل التوضيح لهذا الأمر، ينبغي أن نعلم بما جاء في الفقه الاسلامي حول قضية الخنثى، وهذا وصف وحكم شرعي يختلف كلية عما أطلقه الكثير من الناس في زمننا المعاصر على المتشبه من الرجال بالنساء، أو ما يسمى بالجنس الثالث، والعكس بما أطلقوا عليه بالجنس الرابع والبويات، وهذا الوصف

(الخنثى) له حالتان: - الأولى: أن يتبين حاله من ذكوره أو أنوثه بظهور ما يدل على ذلك، وهذا يعامل كما يعامل الجنس الذي بان منه، فيعامل كالذكور إذا بان ذكراً، ويعامل كالإناث إذا بان أنثى. والثانية: لم يتبين حاله، وهذا يسمى بالخنثى المشكل، وهذا يعامل بالأحوط من الأحكام، ويجوز للخنثى المشكل أن يجري عملية تحويل إلى الذكورة أو الأنوثة بحسب ما يراه الأطباء أقرب إلى خصائصه الناتجة من اجراء الفحوصات اللازمة، لأن القول بعدم جواز ذلك يجعل الخنثى المشكل يعيش حياته في عنت ومشقة، والقاعدة الفقهية تنص على أن: (المشقة تجلب التيسير). أما الخنثى الذي تبين حاله فلا يجوز له اجراء عملية التحويل، لأنه اما ذكر فلا يجوز له أن يتحول إلى أنثى، واما أنثى فلا يجوز لها أن تتحول إلى ذكر، ولكن يجوز لهذا الشخص أن يجري عملية لإزالة المظاهر التي هي من الجنس الذي لا ينتمي اليه. ومما سبق نعلم حكم الطبيب الذي يجري العملية، ففي الحالات التي يجوز فيها التحويل فليس على الطبيب شيء، وفي الحالات التي لا يجوز فيها التحويل يكون اجراؤه العملية حراماً، وأما عن الزواج من الخنثى فان كان ممن بان حاله أو أجريت له عملية التحويل بشروطها فلا بأس في الزواج به لأنه ليس خنثى، بل بحسب جنسه، وان كان ما زال مشكلاً، فلا يجوز الزواج به، لأنه يعامل

بالأحوط كما تقدم. أما عن انتماء الشخص بعد التحول الذي لم يؤذن فيه شرعاً، فإنه محل اشكال، لأنه من النوازل التي تحتاج إلى بحث كبير واجتهاد من المجامع الفقهية، لأن ذلك يترتب عليه أحكاماً كثيرة من حيث المحرمية والارث والديات والنكاح والخلوة والامامة.

### الفضائيات وتشويه الحقائق

فموضوع الجنس الآخر من المواضيع الحساسة في العرض والمعالجة ينبغي أن نحيط بجوانبها وأبعادها بعيداً عن كلام انشائي يثير العواطف، ويوقع الأمور في غير محلها الصحيح، لأن بعض الآباء قام بطرد وليدهم المضطرب الهوية الجنسية بعد أن سمع وشاهد حلقة عن الجنس الثالث في بلده، وكان المذيع مفوها في الكلام بعيداً عن الموضوعية العلمية والشرعية مما جعل الحقائق بعيدة عن أرض الواقع، ولم يقدم إلا حماساً عقيماً، وكان يخوض في قضية الجنس الثالث والرابع، كأن جميع من له شبه بالجنس الآخر فهو مشمول بالحكم الشرعي، وهذا دلالة على عدم فقهه في تصور الموضوع، فنجم عنه سوء حكم وبعد أن تم توضيح القضية له من خلال المختصين احتاج إلى اصلاح ما دمر وقذف من جهالات في حلقات أعظم وأطول من الحلقة الواحدة التي كان دمارها مبنياً على الكلمات الحماسية العاطفية.

### هل التصحيح معارضة لخلق الله تعالى؟

نعلم ابتداءً أن الله أمرنا بالتداوي ومعالجة التشوه الذي قد يطرأ على الانسان اما مع الولادة، لأسباب طبيعية، وهذا مما أفتى به العلماء ولا يعارض أمر الله سبحانه بأنه خلقنا في أحسن تقويم. ومثله هذا المرض النفسي والجسدي، الذي له علاقة وثيقة بكلام ورأي أهل الطب بشتى أوجه العلم عندهم النفسية والجسدية (البشرية)، فهم اعلم بمدى حاجة الانسان مضطرب الهوية على العلاج الذي قد يصل إلى العملية الجراحية التصحيحية أو أنه يكذب على الناس في حالته، ويمكن القول هذا الاضطراب مرض يحتاج إلى معالجة نتيجة للأسباب الآتية: -

أولاً - ثبت برأي العديد من الأطباء وجود حالة مرضية عند بعض الناس سمّوها (الترانسكس) وهي انفصام حادّ في الحالة الجنسية بحيث تكون مظاهر الجسد باتجاه جنس معين، بينما تكون مشاعر النفس بالاتجاه الجنسي المعاكس، وأنّ هذه الحالة المرضية قد تشتدّ بحيث تصبح حياة صاحبها جحيماً وقد يفكر بالانتحار، وأنه قد تفشل كلّ وسائل العلاج النفسي، ولا يبقى أمام الطبيب إلا إجراء جراحة التحول الجنسي.

ثانياً - في مثل هذه الحالة تتحقّق شروط الضرورة الشرعية التي تبيح المحظور بإجماع العلماء. إذ الخلاف بينهم محصور في تشخيص حالة الضرورة أو عدمها.

أما إذا اتفقوا على وجودها، فهم حتماً متفقون على أنها تبيح المحظور. أما أن الضرورة متحققة في هذه الحالة، فلأن المحافظة على الحياة تعتبر من الضرورات الشرعية الخمس بلا جدال. والحياة التي تقتضي المحافظة عليها هي الحياة الطبيعية التي لا يستبد بها المرض بحيث يحرّمها السعادة ويمنعها من المتاع المباح. من أجل ذلك أباح العلماء التداوي بالمحرّم عند وجود الضرورة. وإذا كانت جراحة التحوّل الجنسي محرّمة من حيث الأصل - حسب رأي جمهور الفقهاء المعاصرين فإنها تباح لوجود هذه الضرورة. سبب تحريم (جراحة التحوّل الجنسي) أمران الأمر الأوّل: أنّها تغيير لخلق الله، والله تعالى يقول عن الشيطان أنّه قال: (ولأمرنهم فليغيّرنّ خلق الله) سورة النساء: 119 الأمر الثاني: أنّها نوع من التشبّه بالجنس الآخر، وقد (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخاري. قال العلماء (ظاهر اللفظ النهي عن التشبّه في كلّ شيء، لكن عرف من الأدلّة الأخرى أنّ المراد التشبّه في اللباس والزينة والكلام والمشى). ومع ذلك يقول الامام النووي رحمه الله: (إنّ المخنث الخلفي لا يتّجه عليه اللوم) ويعقب ابن حجر على ذلك بأنّه (محمول على إذا لم يقدر على ترك التثني والتكسر في المشي والكلام بعد تعاطيه المعالجة). ومن الواضح أنّنا أمام قضية مختلفة فلسنا أمام رجل يتشبه بالنساء في ظاهره، لكننا أمام انسان يشعر أنّه امرأة شعوراً يغلب كلّ مشاعره وأعماله، بينما له جسد رجل، وهو يتألم من ذلك ويسعى للخلاص من هذه الازدواجية والانفصام، وحين يجري عملية التحوّل الجنسي يشعر أنّه عاد لطبيعته الحقيقية، فلا يعود للتشبه. والمطلوب بالنسبة للمخنث المعالجة كما يقول الامام النووي. وإذا لم تنفع المعالجة النفسية، وظهرت الحاجة إلى جراحة تعيد المخنث إلى جنسه الطبيعي، فالظاهر من كلام (الإمام النووي) أنّ ذلك جائز. فالتحوّل الجنسي على الأرجح لا يدخل اذاً تحت مسألة التشبّه، التي حصرها العلماء (باللباس والزينة والكلام والمشى). الضوابط الشرعية لهذه الاباحة وليس معنى ذلك أنّي أقول بإباحة عمليّات التحوّل الجنسي بإطلاق.

**قواعد تشخيص اضطراب الهوية الجنسي طبقاً للتصنيف الأمريكي للأمراض النفسية**

(1) نزعة قوية ودائمة للتماهي (التعرف على الذات) مع الجنس المغاير cross-gender identification، وليس فقط مجرد رغبة بسبب وضع اجتماعي أفضل للجنس الآخر، وفي المراهقين والراشدين يظهر الاضطراب بأعراض مثل: الإقرار بالرغبة في أن يكون من الجنس الآخر، التصرف غالباً كفرد من الجنس

الأخر، أو الرغبة في أن يعامله الآخرون كفرد من الجنس المغاير، أو القناعة التامة بأنه ينتمي للجنس المغاير ويشعر بمشاعره ويتفاعل بطريقته.

(2) ضيق دائم وعدم رضى عن شعوره بعدم ملائمة الدور الاجتماعي الذي يمليه عليه الدور الاجتماعي لجنسه التشريحي، وفي المراهقين والراشدين يظهر ذلك بأعراض مثل: الانشغال من التخلص من صفات و أعضاء الجسد الجنسية التي تنتمي للجنس المرفوض، فيطلب مثلاً العلاج بالهرمون لتغيير نبره الصوت وربما يحلم بالجراحة لتغيير تلك الأعضاء حتى يشبه افراد الجنس المغاير، ومنهم من يعتقد انه ولد خطأ بهذا الجنس.

(3) يجب الا يشخص هذا الاضطراب في حالات الخنثى أي التداخل البيولوجي الفعلي بين الجنسين، وليس النفسي فقط.

(4) يجب الا يكون الاضطراب مصحوباً بخلل وعدم راحة في التصرف اجتماعياً او وظيفياً او غير ذلك من مناحي السلوك. [https://ar.wikipedia.org]

### 3 - اضطراب الهوية الجنسية عند المراهقين

نسمع أو نقرأ بين فترة وأخرى عن شاب تحول إلى فتاة بعد عملية جراحية.. وذلك في مجتمعاتنا أو في بقية دول العالم. ويرافق تلك الأخبار عادة تضخيمات إعلامية وآراء متنوعة مثيرة..

كما نجد حولنا بعض الذكور من الأطفال الصغار أن شعورهم طويلة ولا نكاد نميز أنهم ذكور من شكلهم أو تصرفاتهم..

ومن الناحية الطبية النفسية هناك اضطراب نفسي سلوكي يسمى " اضطراب الهوية الجنسية " حيث يحدث للمريض (أو المريضة) عدم رضا عن هويته الجنسية الطبيعية التي ولد بها، وهو يحاول أن يتمثل باستمرار وبأساليب متعددة شكل و صفات وسلوكيات الجنس الآخر. وهذا الاضطراب نادر عموماً وليس شائعاً، وهو يصيب الذكور أكثر من الإناث بعدة أضعاف.

ويبدأ هذا الاضطراب عادة منذ سن مبكرة، من عمر سنتين إلى أربع سنين، حيث يميل الطفل الذكر إلى اللعب بألعاب الإناث مثل الدمى (باربي و فلة وغيرها) والاهتمام بمظهر شعره وثيابه بما يشبه الإناث من خلال التسريحة والشرائط وغير ذلك. إضافة لتقليده لحركات الإناث وأساليبهم وتصرفاتهم المتنوعة. وفي حال الطفلة الأنثى التي تعاني من هذا الاضطراب نجدها تميل إلى الألعاب الجسدية

الخشنة والمضاربات واللعب بألعاب الذكور مثل المسدسات والسيوف وغير ذلك والظهور بمظهر ذكوري في الشكل والسلوك والاهتمامات. وجوهر هذا الاضطراب هو انحراف في تمثل الطفل لهويته الجنسية الطبيعية، وهو لا يتقبل جسده وأساليبه السلوك العامة المرتبطة بجنسه، وهو غير راض عن جسده وهويته الطبيعية، وهو يسعى باستمرار لتقليد الجنس الآخر وتمثل صفاته ورغباته وأساليبه. وفي مرحلة البلوغ والمراهقة والشباب يستمر الاضطراب عند نسبة كبيرة منهم، وتزداد معاناتهم داخل الأسرة وفي المجتمع. وبعضهم يلجأ إلى استعمال أدوية هرمونية للتأثير على جسمه ومظهره بما يتناسب مع شكل الجنس الآخر. كما يلجأ بعضهم إلى طلب تغيير الجنس جراحياً. وتزداد في هذه الفئة عموماً الخيالات الجنسية المثلية وكذلك الممارسات الجنسية المثلية.

### الأسباب

لاتزال أسباب هذا الاضطراب غير واضحة أو محددة بشكل دقيق. والنظريات القديمة تحدثت عن خلل هرموني ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أنه لا يوجد اضطراب في مستوى الهرمونات الذكرية في حالات الأطفال أو الكبار الذكور الذين يعتقدون ويشعرون أنهم إناث. ومستويات هرمون الذكورة لديهم طبيعية عادةً. وكذلك في حالات الإناث اللاتي يشعرن أنهن ذكور. ومستويات الهرمونات الأنثوية والذكرية ضمن الحدود الطبيعية عادةً.

وقد طرحت إحدى النظريات دور عزلة الطفل أو الطفلة وعدم توفر أقران في أعمار مشابهة من نفس الجنس مما يؤدي إلى نقص في تمثل الصفات والسلوكيات المناسبة لجنس الطفل.

وتؤكد نظريات التعلم على أن اضطراب الهوية الجنسية ينتج عن سوء تمثل للجنس الموافق، أو تناقض وعدم ثبات في التشجيع على التمثل الصحيح للجنس الموافق. ويبدو أن الأهل والبيئة المنزلية الأولى لها دور هام في تطور نظرة الطفل عن نفسه وتمثله لهويته الجنسية الطبيعية بشكل صحيح وسليم. ويمكن للأهل أن يشجعوا سلوكاً جنسياً لا يتوافق مع جنس الطفل. ومثلاً عندما يلعب الطفل الذكر بدمية أو يلبس ثوباً نسائياً أو حذاءً نسائياً، ثم يجد الضحكات الإيجابية والابتسامات ممن حوله فإن هذا السلوك يمكن له أن يتكرر ويصبح سلوكاً مرغوباً فيه.

وهناك تفسيرات عديدة لسلوك الأهل الخاطئ. ومنها بعض المعتقدات الشعبية المتوارثة والغريبة والمرتبطة بقضايا العين والحسد. في حال الطفل الذكر الجميل.. حيث يلجأ الأهل لإطالة شعره وإظهاره بشكل أنثوي خوفاً من الحسد!!!



ويمكن للأب أن تساهم في اضطراب ابنها الذكر من خلال علاقتها الخاصة به. وهي تشجعه على أن يكون مثلها بدلاً من أن يشبه أبيه وذلك من خلال علاقة اندماجية مرضية معه. ويحدث ذلك بسبب الصراعات الزوجية والأسرية وتشكيل المحاور والجبهات داخل الأسرة.

كما يلعب ابتعاد الأب عن الأسرة في حالات السفر المتكرر أو الانفصال أو غيره من الأسباب دوراً سلبياً في تمثله من قبل أبنائه الذكور. وكذلك في حال ضعف شخصية الأب أو اضطرابه وفشله المهني أو الاجتماعي.

وبالطبع فإن الأساس الطبيعي لنمو وتطور الهوية الجنسية السليمة هو تمثيل النماذج الموافقة جنسياً بدءاً من الاسم إلى الشكل والمظهر والسلوكيات والاهتمامات والصفات العامة.

والحقيقة أن عمليات النضج والنمو التي يمر بها الأطفال تمر بعدة مراحل وهي تستمر في مرحلة المراهقة وما بعدها. ونظرة الفرد عن نفسه وتقييمه لها تمر بتطورات وتغيرات وقلق وتناقضات متعددة، وتلعب ظروف التنشئة التربوية والاجتماعية دوراً رئيسياً في الوصول إلى درجة صحية كافية من الثقة بالنفس وبالجد وبالمكانة وبالتقدير المناسب له، وبما يتناسب مع الذكورة أو الأنوثة

## العلاج

يعتمد العلاج في حالات الأطفال على ضبط السلوك المضطرب ومنعه وعقابه. وأيضاً على التوقف عن تشجيع السلوك المضطرب بشكل واضح وحازم من قبل الجميع في بيئته. ويفيد أسلوب المكافأة والتشجيع المتكرر على السلوك الطبيعي المتناسب مع الجنس وبشكل تدريجي وفقاً لتفاصيل كل حالة.

ومن الضروري التنبيه للصراعات داخل الأسرة ومشكلات الأم النفسية والعملية، وتفيد الجلسات الأسرية للتخفيف من مشكلات الأسرة وتوجيه الجهود بشكل إيجابي وبناء.

وفي حالات الكبار يفيد العلاج النفسي والسلوكي في تعديل نظرة الفرد عن نفسه وفي تربيته لهويته الجنسية الطبيعية. وتمثل الجهود العلاجية نوعاً من إعادة التعلم وبشكل تدريجي. وينصح بوجود معالج رجل في حالة الشاب الذي يعاني من الاضطراب مما يساهم في تربيته بصورة المعالج الايجابية والمتفهمة من نفس الجنس مما يسهل عملية إعادة تمثيل الهوية الجنسية الطبيعية، وفي حالة الشابة الأنثى ينصح بوجود معالجة أنثى لتسهيل إعادة التمثيل.

وفي عدد من الحالات الشديدة يمكن إجراء عملية جراحية. وقد وجدت الدراسات الأولية أن الجراحة علاج ناجح ورافق ذلك حماس ودعاية وأفكار خاطئة. ولكن

بعد زيادة أعداد الحالات التي تم علاجها جراحياً من خلال تغيير الجنس تبين أن هناك مشكلات نفسية واجتماعية كبيرة. ومنها ازدياد حالات الانتحار والاكتئاب لدى المرضى المتحولين جنسياً. وأيضاً ازدياد المشكلات الادمانيه ومشكلات الطلاق والدعارة وغيرها. وبعضهم لم يستطع أن يتكيف مع جسده الجديد وطلب إعادته لوضعه السابق. وهذا غير واقعي طبعاً بعد استئصال الأعضاء الجنسية الخارجية للذكر والتكوين الجراحي لأعضاء جسدية شبيهة بالأنثوية.

أخيراً مما لا شك فيه أن الوقاية خير من العلاج دائماً. وحالات اضطراب الهوية الجنسية الشديدة ليست سهلة في علاجها والتعامل معها،

وهناك حالات أخرى متنوعة من عدم الثقة بالنفس من الناحية الجنسية عند الجنسين، وهي واسعة الانتشار ويجب تفريقها عن اضطراب الهوية الجنسية. وفيها أن الشاب غير واثق برجولته وأنه غير جذاب للجنس الآخر، وأنه غير جميل أو قصير القامة أو غير ذلك من عقد النقص المرتبطة بالأمور الجنسية. وكذلك بالنسبة للفتاة حيث تشعر بأنها غير جميلة أو بدينة وأنها غير محبوبة. وكل ذلك مرتبط بالقلق الطبيعي الاعتيادي والذي يزداد في مرحلة المراهقة عادة.

وربما يخطر ببال الشاب أو الشابة أنه (أو انها) شاذ جنسياً في حال تعلقه وحبه لشخص من مثل جنسه أو إذا راودته خيالات شخصية غير مقبولة. وكل ذلك مفهوم واعتيادي ويحتاج إلى مزيد من الثقافة الجنسية الطبية وتعديل بعض الأفكار الخاطئة عن نفسه وسلوكه وبناء الثقة بالنفس والتطور الإيجابي للمهارات والقدرات الشخصية في مختلف الميادين.

ولابد من التأكيد أن مشاعر القلق السابق ذكرها والأفكار المصاحبة لها حول الثقة بالنفس من الناحية الجنسية، لا تدل على الاضطراب المرضي في الهوية الجنسية ولا تؤدي إلى عدم الرضا عن الجسد والرغبة في التحول إلى الجنس الآخر. والقلق هنا نسبي ولا يُطال جوهر الهوية الجنسية.

وفي بعض الحالات من الأشخاص الذين لديهم " اضطراب الشخصية الحدودية " والتي تتصف بتغير هويتها واهتماماتها ونشاطاتها بين فترة وأخرى. يمكن أن تبدو هذه الحالات وكأنها تعاني من " اضطراب الهوية الجنسية " لفترة محددة ولكنها تتراجع عن سلوكياتها وتعود إلى هويتها الجنسية الاعتيادية.

كما يمكن لبعض الأشخاص من " الشاذين جنسياً " من الجنسين، أن تظهر لديهم رغبات لتغيير ملامحهم وهويتهم الجنسية الجسدية ظناً منهم أنهم سيصبحون أكثر قبولاً من نفس الجنس. وعادة ما تخف هذه الرغبات بين فترة وأخرى.

والجدير بالذكر أن المجتمع الحديث قد شهد تغيرات في تركيبته التقليدية وفي أنماط السلوك الذكوري والأنثوي وفي الأدوار المرتبطة بكل جنس. وهناك بالطبع حقوق متشابهة وواجبات متشابهة للجنسين يجب تأكيدها. وهناك تغيرات في الشكل والملبس أصبحت شائعة ومقبولة مثل الشعر القصير للجنسين وثياب الجينز والأحذية الرياضية وغيرها. ولكن لا يعني ذلك إغفال الفروقات ونقاط الاختلاف بينهما أو تركها غامضة أو مشوشة في المجال التربوي أو الاجتماعي. ومنها الهوية الجنسية الطبيعية والفروق الجنسية والشكلية بين المرأة والرجل التي لا يمكن تغييرها.

ولابد من تأكيد أن الذكر والأنثى كل منهما يحمل في داخله صفات وأدوار وهرمونات مختلفة ولكن بنسب تزداد وفقاً للجنس التشريحي الذي يحمله كل منهما.. ولابد من تصالح هذه الجوانب العميقة وتكاملها.

وأخيراً فإن الثقة بالنفس من الناحية الجنسية ترتبط بالثقة بالنفس عموماً وبصفات الجسد ومهاراته، وهي ترتبط بالذكاء وبمجملة المهارات والصفات الشخصية والخلقية والفكرية والاجتماعية وغير ذلك. ولابد من تنمية هذه الثقة باستمرار والحفاظ عليها، ولابد من زيادة الوعي الجنسي والنفسي بما يساهم في المزيد من الصحة النفسية والاجتماعية.

وفيما يلي عدد من النصائح النفسية التربوية العامة

1 – تأكيد انتماء الطفل لجنسه من خلال تشبيهه بالأب أو بالأخ أو بالخال أو العم أو غيره من الذكور. وكذلك بالنسبة للبنات وأمه وغيرها من الإناث. وفي حال التشابه الكبير في الوجه أو البشرة أو العينين أو غير ذلك. بين الذكر وأمه أو أخته، لابد من إيجاد فروقات عنهن والتأكيد عليها. وأيضاً البحث عن نقاط تشابه مع الأب وبقية الذكور في الشكل والجسد والسلوك. وكذلك الحال بالنسبة للبنات التي تشبه أخيها الذكر أو أبيها جسدياً.

2 – الابتعاد عن تشجيع كل ما يشوش تمثل الهوية الجنسية الطبيعية. ولا سيما في مرحلة الطفولة مثل إطالة الشعر بشكل زائد بالنسبة للذكر وتقصير الشعر بشكل زائد بالنسبة للأنثى.

3 – تشجيع تمثل الطفل بالسلوك الموافق لجنسه باستمرار. ولا بأس في الاكتشاف والتجريب والتعرف على الجنس الآخر وسلوكياته وتصرفاته وألعابه ضمن إطار حب المعرفة وتوسيع المدارك. ولابد من التنبيه إلى خطورة مثل هذه السلوكيات وضرورة ضبطها والابتعاد عنها في حال تكرارها واستمرارها.

4 - مشاركة الطفل أو الطفلة في انتقاء الألعاب والهدايا والملابس. والتنبه إلى مدلولاتها وارتباطاتها بالهوية الجنسية المناسبة.

5 - التأكيد على اختلاط الطفل بأقرانه والتعلم منهم، وأن الاختلاط بين الجنسين لا يعني اختلاط الهوية الجنسية وتشويشها، بل يعني التشابه في الحقوق والواجبات والتعلم المفيد عن الآخر. [http://www.almostshar.com]

### 3 / ت - الخنوثة والتحول الجنسي

#### استهلال

يتناول هذا الفصل موضوع وثيق الصلة بعنوان اضطراب الهوية الجنسية الذي تناولناه في الفصل السابق. إذ أن علم اجتماع الجندر من أحد اهتماماته الحديثة غير الكلاسيكية هي تناول ما يعانيه الفرد سواء كان انثى أو ذكر من صعوبات ومشكلات بيولوجية تحقق نوع جنسه وآثارها على أدوارهم الاجتماعية التي تحددها ثقافة المجتمع، بيد أنه لا يتعمق بالقاعدة البيولوجية وكيفية علاجها طبياً لأنه ليس من اختصاصه، بل يتناول ما تفرزه هذه القاعدة البيولوجية الغير سوية اي مرضية (باثولوجية) من تناورات ومفارقات ونفور وانفصام وتنافر بينها وبين الصورة النمطية للهوية الجندرية للذكر والانثى وما يعكسه هذا الانفصام والتنافر من مشكلات نفسية واجتماعية على الفرد مثل القلق والكرب الثابت والمستمر في استقراره وشعوره بالنقص كل ذلك لا يدفعه نحو التفاعل الاجتماعي مع الآخرين والاضرار بصحة الفرد والأسرة والجماعة والمجتمع المحلي. لذلك دلف هذا العلم - الفتى - الى تناوله ودراسته وتسليط الضياء عليه وجعله أحد مواضيع اختصاصه العلمي.

فالثنائية الجنسية تعني شخصاً لديه خصائص جسمانية ليست ذكورية ولا أنثوية بشكل واضح لا تقتصر على الخصائص الجنسية المرئية كالأعضاء التناسلية بل خصائص داخل الجسم مثل العناصر الوراثية والهرمونات انها الأنترسكس Intersexuality وهي أربعة أنواع هي: خنوثة مؤنثة، ومذكرة، وحقيقية ومعقدة. أما أعراضها (أي اعراض الخنوثة) فهي: التشبه بالجنس الآخر من حيث ارتداء ملابس أو تقليد الصوت أو لمشي ثم النفور والاشمئزاز من أعضائه التناسلية ورغبته الشديدة في تمليك أعضاء الجنس الآخر ورغبته في التخلص من أعضائه التناسلية وتملك أعضاء الجنس الآخر.

باختصار شديد، تعني الخنوثة انتهاك فطري للنمو الجنسي حيث يكون للأعضاء التناسلية الخارجية علامات على جنس الانثى والذكر. أما اعراضه على الصحة الفردية فإنها تظهر على شكل الشعور بالدونية والخزي مع تقدم السن والشعور

بالوحدة والعزلة عن الحياة الاجتماعية والمجتمع واكتئاب وميل للانتحار والعداء الصريح للأخرين. وهناك مشاكل أسرية تنجم عن وجود الخنثى فيها مثل طلاق امه عن ابيه بسببه أي لوم احدهما للأخر في استولاد هذا الجنس المزدوج أو منع والديه من الدراسة لكي لا يسبب لهم احراج أمام الناس ويثير اللغظ حولهم أو يحصل صراع بين ابيه وامه بسببه لذلك يطالب الخنثى بتحويل جنسه أو جنسها Transgender الذي يشير الى معرفة الفرد جنسه سواء كان ذكراً أو انثى ليست هي جنسه أو جنسها الحقيقي لجنسه أو لجنسها المولود أو المولودة فيه فمنهم من يحس من الناحية النفسية بانهم ينتمون الى الجنس الأخر انتماءً كلياً أو جزئياً ولكن لا يريدون تغيير جسدهم أو جنسهم الى جنس آخر تعرف هذه الفئة بـ gender queer ويوجد فئات أخرى يحسون باضطراب الهوية الجنسية يدعون Gender identity disorder وهم يرفضون رفضاً تاماً جسدتهم الذي ولدوا فيه ويسعون الى تغييره الى جنس آخر من رجل الى امرأة أو العكس وهذا النوع يسمى Trans sexual - بمعنى العبور الى الجنس الأخر.

أما المخنث والمحول جنسياً في المجتمع الذكوري كما هو الحال في المجتمعات العربية فإن وضعه شائك بالنسبة له لأن المجتمع يعيش عيشة تقليدية مركزة على الرجولة والانوثة وليس ما بينهما وتمجيد الفحولة والقوة والجرأة والخشونة وتحمد الانوثة والرقة والنعومة والخجل والحياء ولا يمزج أو يخلط بينهما. إنها حدود فاصلة لذا فالمخنث أو المحول جنسياً لا يقدر ان يشق طريق حياته بينهم بل يقابل بسخرية افراده ونفورهم ونبذهم ووصمهم الاجتماعي له وهذا ما يعيق حياة المخنث والمحول جنسياً ويجعله الشعور بالغرابة والعزلة الاجتماعية التي توصله الى مغادرة المجتمع أو الاقدام على الانتحار وبالذات عندما لا تفتح له أو امامه ابواب العمل الوظيفي في الاعمال التجارية أو الإدارية أو السياسية التي تطلب التفاعل المباشر مع الأفراد المسؤولين أو المراجعين من المواطنين لأن وجوده في هذه الاعمال تجلب له السمعة والاعتبار المتدني لأن المجتمع العربي يطلب من افراده أن يعيشوا في روح جسدتهم البيولوجي. أعني الانثى أن تعيش في جسد انثى روحاً وجسداً، كذلك الرجل عليه أن تعيش روحه في جسد ذكر وليس روح انثوية في جسد ذكر والسبب في هذا الرفض والنبذ الاجتماعي للمخنث والمحول جنسياً هو أن المجتمع العربي يفتقر للتوعية والتثقيف عن حالات الاضطراب في الهوية الجنسية وإن حقوق الإنسان بالنسبة للمتحولين غير مرعية رسمياً واجتماعياً.

وقبل أن ننصرف عن هذا الموضوع وعلى هدى ما سبق مألنا في ذلك هو القول بأن علم اجتماع الجندر اشبه بالطبيب الاختصاص الذي يشخص مرض المريض ثم يداويه بالأدوية المعالجة لكنه لا يستطيع ان يتحكم بأسباب مرضه مثل برودة الجو التي تسبب الانفلونزا أو الالتهاب الرئوي أو شدة حرارة الشمس تسبب جفاف البشرة وسرطانها. هذه الأسباب خارجة عن إرادته والحالة ذاتها مع علم اجتماع الجندر الذي لا يقدر على التحكم بالأمراض الخلقية والوراثية والجينية عند البشر بل يقدر أن يسلط ضيائه على مثالبها وآثارها الاجتماعية السيئة والسلبية على الفرد والأسرة والمجتمع بذات الوقت لا يشجع على الانحرافات الجنسية التي تحصل لهم مثل اللواط والسحاق إنما يتناولهما كمنتجات لهذه الاضطرابات الجينية وينتقد آثارها على الأفراد.

### 1 - ثنائية الجنس

هي حالة الشخص الذي ولد بجنس وسط (intersex إنترسكس)، أي بين ما يعتبر معياراً للذكورة والأنوثة المعني بجنس وسط هو وجود اختلافات عن المعايير المعهودة للجنسين الذكر والأنثى، قد تكون اختلافات عضوية، صبغية كروموسومية أو اختلافات في الخصائص الجنسية الثانوية أو غيرها من الاختلافات التي قد نعرفها أو لا نعرفها والتي قد لا تحدد بشكل قاطع كذكر أو أنثى حسب المعايير المقبولة طبيياً أو قانونياً أو اجتماعياً. وقد تبنى الطب هذا اللفظ خلال القرن الماضي مشيراً إلى أي إنسان لا يصنف على أنه ذكر أو أنثى.

### المفاهيم الخاطئة الشائعة

ثنائية الجنس أو الإنترسكس لا تعني بالضرورة غموض أو تلبس في الأعضاء الجنسية الخارجية، ولا تشير بالضرورة لوجود عضوين ذكري وأنثوي في آن واحد، فالأخير هو نوع واحد فقط من أنواع حالات الإنترسكس المتعددة. وليس ضرورياً كما يظن الكثيرون أن يرغب صاحب الحالة في الخوض في التصحيح الجنسي جراحياً، حيث قد تفوق أضرار الجراحات مكاسبها. وليس من مصلحة المولود التدخل الجراحي التصحيحي القسري لتحديد جنسه مبكراً (في مهده) على عكس ما يعتقد عوام الناس وبعض الأطباء، حيث قد يقرّ هذا الشخص بانتمائه للجنس الآخر عند بلوغه أو في مرحلة رشده، أي الجنس المعاكس لما حدده الأطباء (أو عكس ما اختاره له والديه)، فتكون الواقعة النفسية والجسدية على هذا الشخص

كارثية، لأننا بذلك نصنع خنوثة أخرى صناعية، مع زيادة الأعراض والمضاعفات على أثر التدخّل الجراحي.

### الجدل حول تحوّر بعض المصطلحات بسبب سوء الاستخدام واللبس

يعتبر (أو يأخذ) الكثيرون عن ثنائيي الجنس (وغيرهم من سواد الناس في المجتمع) المصطلحات خنوثة وخنثى ومخنث ومتخنّث على محمل ازدرائي ومهين. أخذاً بعين الاعتبار ثقل اللفظ الأصلي ونظراً لمرور أكثر من ألف وأربعمئة عاماً على استخدامه فقد حمل اللفظ ومشتقاته ما حمل من مساوئ، بغض النظر عن معناه في السابق، فاللوم هنا يقع على عاتق المجتمع الذي يشوه الألفاظ ويغيّر لها لمعاني نابية، وليس اللوم على اللغة أو الدين أو الشرع.

ومن نيل الأوطار "كتاب النكاح" باب في غير أولي الإربة، الحاشية رقم: 1 قوله: (مخنّث) بفتح النون وكسرهما والفتح المشهور: وهو الذي يلين في قوله ويتكسر في مشيته ويتثنّى فيها كالنساء، وقد يكون خلقة وقد يكون تصنعاً من الفسقة، ومن كان ذلك فيه خلقة فالغالب من حاله أنه لا أرب له في النساء.

نلاحظ أهمية التشكيل في صياغة معنى اللفظ والتي تعددت أشكاله ومشتقاته. مثلاً، كلمة "مُتخَنِّثٌ" كانت تستخدم للإشارة لمن يتكفّف ذلك من تكسّر في مشيته أو لين في قوله وما إلى ذلك. التكفّف هو اصطناع الشيء أو مغايرة طبيعة الفرد وفطرته. ولكننا نرى أحياناً اللفظ نفسه يُستخدم للإشارة لمعاني مختلفة من قبّل بعض الشيوخ والأطباء العرب، وهذا ما يؤرق الكثير من ثنائيي الجنس وذويهم، وسبباً آخر للمطالبة بالاستغناء عن هذه المصطلحات وتفادي استخدامها، لصالح المصطلحات الأكثر دقة واحتراماً. [https://ar.wikipedia.org]

### 2 – الخنوثة وأنواعها والجنس الثالث

هي مجموعة من الحالات التي يكون فيها تناقض ما بين الأعضاء التناسلية الخارجية والداخلية (الخصيتان والمبيضان). والمصطلح القديم للخنوثة يُعرف بـ "Hermaphroditism"، وجاءت هذه التسمية نتيجة ضم اسمي الإله والإلهة اليونانيين مع بعضهما البعض "هرمز وأفروديت". فالإله هرمز: Hermes هو إله الجنس الذكري، أما الإلهة أفروديت Aphrodite فهي إلهة الجنس الأنثوي والحب.

يُطلق على هذه الحالة حالياً DSDs ، والتي تعني اضطرابات التطور الجنسي.

### الأسباب

يمكن تقسيم الخنوثة إلى أربع فئات وهي:

(1) حُنُوثَة مُؤنَّثة.

(2) حُنُوثَة مُذكرة.

(3) حُنُوثَة حَقِيقَة الغدِّ التناسلية (حُنُوثَة حَقِيقَة قُنْديَة).

(4) حُنُوثَة مُعَدَّة أو غير مُحددة.

ورغم طرق التَّشخيص الحديثة إلا أنَّه لا يُمكن تحديد السبب في معظم حالات الحُنُوثَة.

أما الآن فسنناقش بالتفصيل كل نوع من الأنواع الأربعة السابقة. **أولاً – الحُنُوثَة المؤنَّثة:** إنَّ الشَّخص في هذه الحالة يكون لديه صبغيات امرأة ومبيضا امرأة، إلا أنَّ الأعضاء التناسلية الخارجية تكون مذكرة. لكن ما الآلية في حدوث ذلك؟ هنا غالباً يكون الجنين أنثى، إلا أنَّها تعرَّضت لكميات زائدة من هرمونات الذكورة قبل الولادة (أي في أثناء الحمل). حسناً إذاً ما هي التغيرات الطارئة؟ في هذه الحالة يلتحم الشَّفران مع بعضهما ويتضخم البَطْر ليصبح مشابهاً للقضيبي. عادةً ما يكون الرحم وقناتا فالوب لدى هذا الشَّخص طبيعية. تدعى هذه الحالة أيضاً بـ "التَّرَاجُل Virilization" أو "الحُنُوثَة الأنثوية الكاذبة Female Pseudohermaphroditism".

يحدث هذا النمط من الحُنُوثَة نتيجة عدة أسباب وهي:

- فرط تَنسُج الغدَّة الكظرية الولاديِّ أو الخَلقي؛ وهو السَّبب الأكثر شيوعاً حيث يزداد إفراز الهرمونات الذكرية (الأندروجينات).
- إعطاء هرمونات الذكورة مثل: التستوستيرون للأم في أثناء الحمل.
- أورام منتجة للهرمونات الذكورية عند الأم الحامل، خاصة أورام المبيض.
- عَوَز (نقص) أنزيم الأروماتاز Aromatase ، وهذا لا يُمكن أن نلاحظه حتى سن البلوغ.

الأروماتاز: وهو أنزيم يقوم بتحويل الهرمونات الذكرية إلى هرمونات أنثوية، وإن زيادة نشاط الأروماتاز يؤدي إلى تراكم كميات كبيرة من الاستروجين (هرمون أنثوي)، أما عَوَز الأنزيم فيؤدي إلى حُنُوثَة مؤنَّثة. وبما أنَّ هذه الحالة قد لا نلاحظها حتى البلوغ، فإن الأطفال (ذوي الصيغة الصبغية المؤنَّثة XX) الذين نموا كإناث من الممكن أن يبدووا بأخذ خصائص ذكرية.

**ثانياً – الحُنُوثَة المذكرة:** وهنا يكون لدى الشَّخص صبغيات (كروموسومات)



ذكرية، إلا أنّ الأعضاء التناسلية الخارجية تكون مبهمة وغير واضحة أو قد تكون أنثوية بوضوح. أما داخلياً فقد تكون الخِصِيَتان طبيعيتين أو مشوّهتين أو غائبتين. وتدعى هذه الحالة أيضاً بـ "ما تحت التّراجُل Undervirilization" أو "الخُثُوثة المذكرة الكاذبة. Pseudohermaphroditism" يتطلّب تشكّل الأعضاء التناسلية الخارجية الذكرية توازناً ما بين الهرمونات الأنثوية والهرمونات الذكرية، ولهذا السبب فإن ذلك يتطلب وجود هرمونات ذكرية بكمية مناسبة وبوظيفة طبيعية.

الأسباب التي تؤدي إلى مثل هذا النوع من الخُثُوثة هي:

- مشاكل في الخِصِيَتين: تقوم الخِصِيَتان بشكلٍ طبيعي بإنتاج الهرمونات المذكرة، وإن لم تُقَم بها فإن ذلك سيؤدي إلى حدوث هذا النوع من الخُثُوثة. وهناك عدة أسباب تؤدي إلى قصور في عمل الخِصِيَتين ومنها:

خلل تشكّل الغدد التناسلية. Gonadal Dysgenesis

- اضطراب في تشكّل التِسْتوستيرون (الهرمون الذكوري): يتشكل التِسْتوستيرون خلال عدة مراحل، وكل مرحلة تتطلب أنزيماً مختلفاً. يمكن أن يؤدي عَوَز أيٍّ من هذه الأنزيمات إلى تشكّل كميات غير كافية من التِسْتوستيرون، مما يؤدي إلى ظهور أشكال مختلفة من هذه الخثوثة. كما يمكن أن يندرج فرط التَنَسُّج الولادي الذي يصيب الغدة الكظرية تحت هذا النوع من الأسباب.

- مشاكل في استقلاب التِسْتوستيرون: فبعض الأشخاص لديهم خِصِيٌّ طبيعيةٌ وكميات كافية من التِسْتوستيرون إلا أنهم مصابون بالخُثُوثة، فكيف حصل ذلك؟

يحدث ذلك في حالتين

- أ – عوز أنزيم "5" alpha-reductase يقوم هذا الأنزيم بتحويل التِسْتوستيرون إلى ديهيدروتِسْتوستيرون (DHT) dihydrotestosterone ، وبالتالي فإن عَوَز هذا الأنزيم سيمنع من هذا التحوّل الضروري والمهم للاستفادة من التِسْتوستيرون. يوجد لعَوَز هذا الأنزيم خمسة أنماط على الأقل، لذلك فإن بعض الأطفال لديهم أعضاء تناسلية ذكرية وبعضهم لديه أعضاء تناسلية أنثوية، ويوجد قسم يمتلك أعضاء تناسلية بين الذكرية والأنثوية. ويحدث تحول الأعضاء التناسلية الخارجية إلى أعضاء مذكرة عادةً عند البلوغ.
- ب – متلازمة عدم الحساسية للأندروجين (متلازمة الاستئناث الخصيوي)

Androgen insensitivity syndrome فهذا السبب هو الأكثر شيوعاً والذي يؤدي إلى الخنوثة المذكورة، وهنا تكون الهرمونات طبيعية لكن المشكلة تكون على مستوى المستقبلات حيث أنها لا تعمل بشكل صحيح. ويوجد لهذه المتلازمة أكثر من 150 شكلاً، نظراً لوجود أكثر من 150 عيباً من العيوب التي تسبب هذه المتلازمة.

**ثالثاً - الخُنُوثة حَقِيقِيَّة الغد التناسلية (خُنُوثة حَقِيقِيَّة قُنْدِيَّة):** في هذه الحالة يمتلك الشخص نسيجاً مَبِيضِيّاً ونسيجاً خِصِيوِيّاً في آن واحد، حيث يمكن أن يجتمع النسيجان في غدة واحدة (نفس القُنْد) أو ما يسمّى الخصمبيض ovotesis ، أو أن يمتلك الشخص مبيضاً واحداً وخصيةً واحدةً. وقد يمتلك الشخص صبغيات (XX) أو صبغيات (XY) ، أو كليهما معاً. ربما كانت الأعضاء التناسلية الخارجية مبهمّة، و ربما كانت أنثوية أو ذكورية. تدعى هذه الحالة بـ "الخنوثة الحقيقية" True Hermaphroditism ، ومعظم حالات هذا النوع من الخنوثة غير معروفة السبب، على الرغم من أن بعض الدراسات على الحيوانات أظهرت دوراً للمبيدات الحشرية الزراعية في حدوثها.

**رابعاً - الخُنُوثة المُعَقَّدة أو غير المُحدَّدة:** إنّ بعض الاضطرابات الصبغية قد تسبب اضطرابات في التطور الجنسي، وتتضمن هذه الاضطرابات:

- 1 - متلازمة تورنر: (XO-45) في هذه الحالة يكون لدى المريضة صبغي X واحد فقط ويغيب الثاني.

- 2 - متلازمة كلاينفلتر (XXY-47) ومتلازمة تثلث الصبغي: (XXX-47) وفي كلا الحالتين لدينا صبغي جنسي زائد؛ إما X أو Y

لا تتظاهر الاضطرابات السابقة بالخنوثة، لكنها تترافق باضطرابات على مستوى الهرمونات الجنسية والتطور الجنسي وفي عدد الصبغيات الجنسية.

### الأعراض

ويعتمد ظهور الأعراض هنا على الحالة المسببة للخنوثة:

- أعضاء تناسلية مبهمّة عند الولادة.

- صغر القُضيب.

- ضخامة البُطْر

- عدم نزول الخُصيتين (والتي قد تتحول إلى مبايض) عند الذكور.

- كتل مَغْبِنِيَّة (إربية) قد تتحول إلى خِصَى عند الإناث.

- إحتليل تحتاني (مبال تحتاني) حيث تكون فتحة الإحتليل في هذه الحالة أسفل القضيب عند الذكور، أما عند الإناث فقد تكون فتحة الإحتليل مفتوحة ضمن المهبل.

- أعضاء تناسلية غريبة وغير عادية.
- اضطرابات شاردية.
- تأخر البلوغ أو عدم حدوثه بالأصل.
- تغيرات غير متوقعة عند البلوغ.

### العلاج

كان الرأي السائد في الماضي أنه من الأفضل تعيين الجنس في أسرع وقت ممكن، وذلك بالاعتماد على الأعضاء التناسلية الخارجية أكثر من الاعتماد على الصبغيات، وإرشاد الآباء حتى لا يكون لديهم أي التباس أو غموض في أذهانهم حول جنس الطفل. وغالباً ما يتم إجراء جراحة عاجلة، حيث تتم إزالة أنسجة المبيض أو الخصية من الجنس الآخر (أي يتم استئصال المبيض من الذكر والخصية من الأنثى).

فبشكل عام، كانوا يعتبرون إعادة تصنيع الأعضاء التناسلية الأنثوية أسهل من تصنيع الأعضاء التناسلية الذكرية، لذا إن كان الخيار الصحيح غير واضح تماماً فغالباً ما يتم برمجة الطفل ليكون فتاة. وفي الآونة الأخيرة تغير رأي العديد من الخبراء، حيث أن العديد منهم يحقّزون تأخير العمل الجراحي التصحيحي طالما أن الطفل بصحة جيدة من أجل أخذ رأي الطفل في تحديد جنسه. وفي النهاية لا بد من التنويه أن الخنوثة هي مسألة معقدة، وعلاجها يترافق مع عواقب قصيرة وطويلة الأمد، والعلاج الأفضل يعتمد على عدة عوامل من ضمنها السبب النوعي الذي أدى إلى الخنوثة. [drjaderjeb.blogspot.com]

### ت - آثار الخنوثة على الأسرة

مشكل الخنثى له طبيعة خلقية، حيث نكون إزاء حالة من هذه الحالات عندما تولد مولودة لها صبغيات أنثوية ثم يظهر ورم حميد يفرز هرمونات ذكورية تتحكم بعد ذلك في إبراز بعض الأعضاء (الذكر، اللحية....)، والعكس صحيح. وحل هذه المشاكل موكول إلى طب جراحة التقويم بامتياز، وتقع المسؤولية فيه على عاتق الطبيب الجراح والعائلة والمجتمع الذي لا يرحم، حسب قول المختص في جراحة التقويم.

وبناء على ما سبق، فالتعريف الطبي للخنثى هو وجود اختلاط لدى المولود الذي يمثل هذه الحالة ما بين الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية الخارجية، إذ يكون عنده مهبل وذكر وخصيتان.

وبعد ولادة "الخنثى" تبدأ المشاكل تبرز بين الزوجين، فالأب يرغب في منحه اسم ذكر والأم ترغب في منحه اسم أنثى، فيحسم الخلاف بينهما بتسجيله في الحالة المدنية حسب المتفق عليه، غير أن وصول الخنثى إلى مرحلة البلوغ، واتضح ميولاته وتوجهاته يطرحان مشكلاً جديداً وهو تغيير الاسم في حالة الحاجة إلى ذلك. هذه المشاكل تتطلب أن يتم اختيار أسماء خاصة للخنثى يمكن إطلاقها في الآن ذاته على الذكر والأنثى مثل اسم "أمان"، حسب اقتراح الدكتور (عباسي). ولا تقتصر المعاناة على الاضطرار إلى تغيير الاسم وحده، بل تمتد إلى مرحلة الدراسة، فالعديد من الأسر تجبر أطفالها (الذين يعانون من هذا المشكل الخلقي) على توقيف الدراسة، بسبب تصرفاتهم، لأنه عند الاقتراب من البلوغ يصبح الخنثى تارة يلعب مع الذكور الكرة وتارة أخرى يرتدي لباس الفتيات ويضع "الماكياج" على وجهه ويتعامل على أساس أنه بنت، في هذه المرحلة ينبغي تحديد نوع جنس الخنثى هل هو ذكر أم أنثى وتجرى عملية جراحية لتصحيح الجنس. من أسباب الطلاق

قد يكون الطفل (الخنثى) سبباً من أسباب الطلاق، ويمكن الحديث عن أربع حالات سردها المختص في جراحة التقويم من خلال احتكاكه ببعض الأسر:

الحالة الأولى: عندما يولد الخنثى فيبدأ كل من الزوجين في إلقاء اللوم على الطرف الآخر محملاً إياه المسؤولية عن ولادة طفل بنتشوهات، ويمكن الجزم بأن 90 في المائة من الرجال يلقون باللوم على زوجاتهم عندما يرزقون بخنثى وكأن المرأة معمل لصناعة الذكور والإناث والخنثى، حسب تعبير (عباسي).

الحالة الثانية: لجوء الأم إلى طابع السرية فلا تخبر الأب بأن المولود خنثى وعندما يكتشف الأمر، يدخلان في صراع مستمر.

الحالة الثالثة: ساعة إجراء العملية، تصرّ الأم على أن يكون الخنثى أنثى فيما يتمسك الأب برغبته في أن يكون ذكراً فيدخلان في صراع لا ينتهي.

الحالة الرابعة: عندما تجري العملية للخنثى في الطفولة، ويظهر ميلاً معاكساً أثناء البلوغ، وفي حالة انتحاره، يبدأ لوم الطرف الذي اتخذ قرار تحديد الجنس.

### الحلول المقترحة

عند الولادة يمكن أن تجرى تحاليل طبية ودراسة الحمض النووي لمعرفة ميولات الخنثى هل هي ذكورية أم أنثوية، وإذا كانت الصبغيات من نوع (XX)

فالتوجه يكون نحو الأنثى، وعندما تكبر يمكن وقتها أن توصف لها أدوية وعلاجها في حالة عدم توفرها على الثديين أو عدم حدوث الحيض. وإذا كانت الصبغيات من نوع (xy) فالتوجه يكون نحو الذكر.

في الحالتين السالفتين، يقول الدكتور (عبد الله عباسي)، يمكن إجراء عملية جراحية في سن مبكرة، غير أن المشكل الكبير الذي حار فيه العلماء هو عندما تكون الصبغيات من نوع (xxy)، ففي هذه الحالة ينبغي انتظار مرحلة البلوغ، آنذاك يتم الاتفاق بين أهل العلم وبين المعني بالأمر، على ضوء نتائج التحاليل الطبية، فتجرى عملية تحديد الجنس.

ويؤكد (عباسي) أنه بعد العملية الجراحية الأخيرة "ينبغي أن يخضع المعني بالأمر أو المعنية بالأمر إلى علاج نفسي لتجاوز كل التأثيرات، وكلما تم حل هذه المشاكل في مرحلة مبكرة كان الأمر أفضل وأنسب".

### إزالة الزوائد

إلى جانب الحلول الطبية، فالدكتور (عباسي) يعتبر أن الاسم من المشاكل المؤرقة للخنثى، لذلك وجب وضع قوانين ومشاريع قوانين من لدن البرلمان تهم الخنثى، فمثلا الفنانة "نور" ما زالت تحمل اسم نور الدين رغم أنها حددت جنسها وميولاتها المتمثلة في كونها امرأة.

لذلك فإن لقاء إعلاميا وطنيا يشارك فيه آباء وخنثى نجحت في اختيار جنسها وأخرى فشلت بسبب سوء تقدير ميولاتها، يحضر فيه أيضا أطباء وجراحون في التقويم، كفيل بأن يحل جزءا من هذه المشاكل، فيتعرف المواطنون على طرق علاجها، لأنه نادرا ما تتوافد على مستشفى ابن سينا بالرباط حالات مكتملة الأعضاء ترغب في إجراء عملية لتصحيح الجنس، وهذا خطأ حسب مصدر طبي، وهو ما يدعو بالحاح إلى ضرورة اهتمام المسؤولين عن القطاع الصحي بهذا الموضوع وتنظيم حملات تحسيسية بهدف تشجيع الآباء على تصحيح وتقويم جنس مواليدهم "الذين يعانون من هذا المشكل الخلقي" وإجراء عمليات جراحية في فترة الطفولة تجنبا لكل الانعكاسات السلبية التي تصاب بها هذه الحالات عند بلوغ مرحلة الشباب، غير أن المستشفى يزوره أطفال من هذا الصنف من أجل العلاج بالمصالح الأخرى.

لكن الحالات التي تزور المستشفى بكثرة، يقول المصدر نفسه، تدخل ضمن خانة من يأتون لإزالة الزوائد الخلقية، مثلا امرأة تتوفر على خصيتين ليست لهما وظيفة، أو رجل له ثقب صغير ما بين المخرج والعضو التناسلي.

أما الحالات التي ترغب في تغيير الجنس دون أن يكون ذلك مرتبطا بتشوّهات خلقية، فهذه الحالات لم يسبق لها أن ولجت أبواب مستشفى ابن سينا. [https://www.maghress.com]

#### 4 - التحول الجنسي في الشرق الأوسط

ليس فقط الأب المتنبّي للأخوات كارداشيان، بروس جينر، فاجأ العالم بقراره باجتياز عملية تغيير الجنس، فالشرق الأوسط، بخلاف ما يظنون، مليء بالمشاهير الذين مروا بعمليات جراحية لتغيير الجنس.

يبدأ تحريم الجماع الجنسي المثلي في الكتاب المقدس (وكذلك في القرآن والعهد الجديد) بآيات من سفر اللاويين: "لَا تُضَاغِعْ ذَكَرًا مُضَاغَعَةً امْرَأَةً. إِنَّهُ رِجْسٌ" (سفر اللاويين 18: 22). وقد فُصِّلَت عقوبة ممارسة الجنس مع الرجال لاحقاً: "وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرٍ اضْطَجَاعَ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلَ كِلَاهُمَا رِجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيَّهِمَا" (سفر اللاويين 20: 13). تصف هذه الآيات تحريم الجماع الجنسي المثلي والحكم بالإعدام على هذا الفعل.

في الإسلام، يُدين القرآن الجماع الجنسي المثلي في سور تتحدّث عن قصة لوط. وتدين التفسيرات الشائعة للفقه الحديث العلاقات الجنسية بين أشخاص من نفس الجنس. ويتم تفسير انقلاب سدوم وعمورة - من بين أمور أخرى - على أساس العلاقات بين نفس الجنس. وقد أفتى الفقهاء المسلمون بتحريم الجماع الجنسي المثلي وبعقوبة الإعدام لمن يُدان بذلك. يُعتبر الجماع الجنسي المثلي جريمة في الدول العربية المسلمة وتتراوح العقوبة بين فرض الغرامات، الاعتقال والإعدام علناً.

في جميع هذه الأمور لم نذكر أي شيء جديد. سيكون الأمر أكثر تعقيداً عندما نتحدث عن عمليات تغيير الجنس: من رجل إلى امرأة أو من امرأة إلى رجل، كما في الحالة التي هزّت العالم هذا الأسبوع مع رغبة الأب المتنبّي للأخوات "كارداشيان"، واللاعب الأولمبي سابقاً، بروس جينر، باجتياز عملية تغيير الجنس.

ولكن عالم المصطلحات الجنسية، الإملاءات المجتمعية والمحظورات المثيرة للجدل في بلدان الشرق الأوسط حول القيام بعمليات تغيير الجنس أو تعامل تلك البلدان مع مجتمعات مثلي الجنس، ليست حادة وواضحة. ليس في جميع البلدان حظر للعلاقات بين أفراد من نفس الجنس، وليس هناك في جميع البلدان حظراً لعمليات تغيير الجنس، بل وستتعبون بأنه نادراً ما يمكن العثور على بلدان شرق

أوسطية تحرص على إعدام المثليين، المثليات أو المتحولين جنسيًا كما يُلزم القانون المجرد.

ومن أجل توضيح الأمور، جلبنا لكم بعض الحقائق والنماذج الحيّة من الشرق الأوسط حول تعامل تلك المجتمعات مع المثليين، المثليات وأكثر من الجميع مع المتحولين جنسيًا:

وفقا لتقديرات الأمم المتحدة، فإنّ المثلية الجنسية (وبالتأكيد التحوّل الجنسي) محظورة وفقا لقوانين 78 دولة، وفي سبع منها من المعتاد أن يتم إعدام من يُدان بإقامة علاقات جنسية مثلية (البيانات صحيحة لعام 2014).

الدول الشرق أوسطية التي تحظر إقامة العلاقات الجنسية المثلية والتي يتم فيها اضطهاد الأقليات المثلية هي: الجزائر، مصر، ليبيا، المغرب، جنوب السودان، تونس، إيران، الكويت، لبنان، عُمان، قطر، المملكة العربية السعودية، سوريا، الإمارات العربية المتحدة واليمن. تتراوح العقوبات المقرّرة في القانون في تلك البلدان بين الغرامات وسنوات من السجن، الجلد وفي حالات استثنائية عقوبة الإعدام والرجم.

الحالة الإيرانية فريدة من نوعها: في عهد الشاه محمد رضا بهلوي كان بالإمكان العثور على تغطية إخبارية لزواج مثليّ الجنس، ورغم أنّ المثلية الجنسية لم تكن أبدا مقبولة من قبل المجتمع، فإنّه كان بالإمكان في السبعينيات أن نعثر في إيران على أماكن ترفيه استُخدمت كأماكن لاجتماع المثليين. ولكن منذ الثورة الإسلامية عام 1979 أصبح المثليون، وخصوصا المثليون من الذكور، أقلية مضطهدة في إيران ويتم التمييز ضدّها، والتي تتعرّض ليس فقط لتعامل قاس ومهين من قبل الأسرة والمجتمع، وإنما أيضا لاضطهاد النظام ولعقوبات شديدة تتضمّن، من بين أمور أخرى، أحكاما طويلة بالسجن، النفي بل وعقوبة الإعدام.

كان المثير للاهتمام هو أنّ آية الله الخميني وهو الذي أصدر فتوى تسمح بإجراء عمليّات التحوّل الجنسي. فضلا عن ذلك، ففي عام 1986، في فترة آية الله أيضا تم الاعتراف بالمتحولين جنسيًا كمتبايني الجنس. ولكن من أجل الحفاظ على النظام المجتمعي وعلى إطار الزواج بين الرجل والمرأة، أُجبر المثليون الذين رغبوا في تحقيق حبّهم لشريكهم عدة مرات باجتياز عملية لتغيير الجنس رغما عنهم.

بشكل مفاجئ ربّما، إيران هي الدولة التي يجري فيها أكبر عدد من العمليات الجراحية لتغيير الجنس بعد تايلاند. معظمهم، بالمناسبة، مع دعم جزئي على أقلّ تقدير من قبل الحكومة.

في تركيا، ليس هناك شخص لا يعرف المطربة المخضرمة (بولانت ارسوي) (Bulent Ersoy). وهي واحدة من أكثر المطربات إثارة للإعجاب وهي أيضًا متحوّلة جنسيًا. بدأت (ارسوي)، التي وُلدت عام 1952، بحياته المهنية كمثل ومطرب في السبعينيات. أُجرت عام 1980 عملية جراحية لتغيير الجنس في لندن، وحظيت عام 1988 بالحصول على بطاقة هوية وردية (بطاقة تُمنح للنساء). ومع ذلك، فهناك فجوة هائلة بين تعامل المجتمع التركي مع المطربة الكبيرة بولانت، وبقية المتحوّلين جنسيًا والمجتمع المثلي. وقد أُجريت هذا العام (2015) المسابقة الأولى لملكة جمال المتحوّلين جنسيًا في تركيا، ولكن معظمهم يعملن في الدعارة لأنهن لا يُقبلن في وظائف عادية ويضطررن إلى إعالة أنفسهن من الخدمات الجنسية. بل في نيسان 2014، قُتلت متحوّلة جنسية تركية معروفة على خلفية كراهية ضدّ المجتمع المثلي.

في المغرب فإنّ الراقصة نور شهيرة جدًا. وكانت نور قد ناضلت على مدى سنوات من أجل تغيير جنسها في بطاقة الهوية من ذكر إلى أنثى. وُلدت نور طالبي باسم نور الدين في مدينة أغادير وترعرعت في الدار البيضاء. كانت شابًا رياضيًا فاز بميداليات في ركض الحواجز، ولكنه أحبّ منذ ذلك الحين الرقص وظهر في مناسبات عائلية. عندما كان في سنّ الثامنة عشرة غادر المغرب، واجتاز عام 2004 عملية جراحية لتغيير الجنس، وعاد بعدها إلى بلاده كامرأة. تُعتبر نور اليوم الراقصة رقم 1 في المغرب، تُعلّم الرقص في الولايات المتحدة وبلدان أخرى وتظهر في الحفلات المرموقة للطبقات الأرستقراطية، بل وحظيت بالظهور في حفلة زفاف ابنة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

يحظى المجتمع المثليّ في إسرائيل بحرية نسبية في المجال العام، بل وقد تعزّزت في السنوات الماضية التشريعات لتحقيق المساواة في أوضاعهم القانونية والاقتصادية مع بقية السكان وخصوصا في إنشاء وحدات أسرية. يحظى المتحوّلون جنسيًا أيضا بالمزيد والمزيد من الاعتراف في المجتمع الإسرائيلي، ولكن الطريق إلى المساواة في الحقوق لا تزال طويلة. وعلى الرغم من أن القانون لا يحظر إقامة علاقات جنسية مثلية، ولكن المجتمع الإسرائيلي بشكل عام لا يزال ينظر بشكل غير إيجابي تجاه تلك العلاقات.

لا تُجرى عمليّات تغيير الجنس في إسرائيل منذ نحو ثلاث سنوات لأنّه لا يوجد في إسرائيل أطباء مختصّين بتلك العمليّات، ويُضطرّ الكثيرون لإجرائها في الخارج، وخصوصا في تايلاند. وقد أقرّت لوائح جديدة ينصّ عليها القانون من



قبل وزارة الصحة الإسرائيلية مؤخرا بأن عمليات تغيير الجنس من امرأة لرجل تتم في الخارج وتُمول من قبل الدولة. وتتم عمليات تغيير الجنس من رجل إلى امرأة في إسرائيل من قبل خبراء أمريكيين يتم استدعاؤهم خصيصاً إلى إسرائيل وهي أيضاً ممولة جزئياً من قبل الدولة، بعد تلقي الموافقة من قبل لجان القبول الطبية والنفسية. [https://www.al-masdar.net]

## 5 - التحول والهوية الجنسية من الناحية النفسية

قال الدكتور (محمد عادل الحديدي)، أستاذ الطب النفسي بجامعة المنصورة، إن اضطراب الهوية الجنسية هو في الحقيقة اضطراب نفسي له أسباب نفسية وليست عضوية، فالشخص يولد بشكل طبيعي جنسياً 100% ولديه الأعضاء الجنسية الأولية والثانوية، ولكن مع بداية سن 3 سنوات تظهر على الطفل بعض العلامات التي يجب أن ينتبه لها الوالدان جيداً، وألا تمر عليهما مرور الكرام. وأوضح الحديدي، في تصريحات خاصة لـ "اليوم السابع" أن هذه العلامات تبدأ بملاحظة أن الطفل الذكر يميل للجنس الآخر ويفضل اللعب بألعاب الفتيات، ويكره التعامل معه على أساس طبيعة جنسه أنه ولد، ويعتقد أنه سيكبر على شكل الجنس الآخر، وعندما يكبر ويصل إلى سن المراهقة تظهر عليه بعض العلامات الأنثوية في السلوك والمظهر، ونجد أن أصدقاءه من الجنس الآخر، ومع مرور الوقت يعاني هذا الشخص من ضغوط دينية واجتماعية، وتبدأ الأسرة في منعه عن اللعب مع الفتيات، فيتولد لديه شعور قوى بعدم الراحة وفقدان الاتساق مع الذات.

واستكمل "الحديدي" أن الشخص يميل إلى نفس جنسه، ويشغل بالميل العاطفي للجنس المماثل له، وليس شرطاً أن يكون الموضوع مرتبطاً برغبة جنسية، فشعور الشخص بأنه الآخر يدفعه لهذه العاطفة دفعا، مشيراً إلى أن كثيراً منهم يفكر في التحول للجنس الآخر كي يرتاح، حتى أن البعض منهم يصف إحساسه بأنه يشعر بأن عقله ومشاعره وروحه ولدت في جسد آخر، لكن تحويل الجنس أمر غير شائع ومستهجن في مجتمعاتنا.

ويشرح "الحديدي" أن الطفل الذكر ينظر حوله فيجد أمامه والده الذي يكون المثل والنموذج والقُدوة، وفي حالة غيابه بالوفاة أو الطلاق أو السفر، يبدأ في البحث عن الدور الذي يتقمصه فلا يجد حوله الشكل الذكوري المفترض، خصوصاً

عندما يعيش مع الأم وحدهما أو بين أخواته البنات، فنجدته يندمج معهم ويشعر وكأنه واحدا منهم، وأيضا عندما يرتبط عاطفيا أكثر بوالدته بسبب قسوة وعنف والده؛ الأمر الذي يؤدي إلى كراهيته لوالده، فينفر داخليا من الجنس الذكري بسبب الصورة التي صدرها له والده، فيميل إلى الجنس الآخر ويحذو حذوهم في الشكل والسلوك.

وفى بعض العائلات التي تنجب إناثا فقط نجد الأم والأب يتعاملون مع البنت معاملة الذكور ويشتركون لها ملابس الأولاد ويقصرون لها شعرها مثلهم ويسمونها باسم يناسب الأولاد والبنات مثل: (رضا، جهاد، إحسان، إسلام.. الخ)، وإذا حاولت أن تتعامل بأنوثة ودلع ينهرونها، وبمرور الوقت يترسخ داخل الفتاة أنها ولد وليست بنت وتتصرف مثلهم، وعندما تبدأ علامات الأنوثة في الظهور عليها يبدأ المجتمع والعائلة من حولها في الضغط عليها وتوجيهها للتعامل كأنثى بعد أن زرعا بداخلها ذاك الإحساس الذكوري، وهنا يبدأ الصراع وتشتعل الأزمة بداخلها.

وعقب "الحديدي" بأن علاج مثل هذه الحالات يحتاج إلى علاج طويل لأنه في الأساس عبارة عن مرض نفسي بدأ مبكرا منذ سنوات الطفولة الأولى وأسبابه نفسية وليست عضوية؛ لذا فهو يحتاج لعلاج نفسي مكثف لمدة عام على الأقل بغرض تصحيح المفاهيم عن جنسه وعلاج الصراعات النفسية التي عاناها في تلك الفترة، وتعويض الجانب الأبوي الذي لم يكن موجودا أو كان موجودا بصورة مشوهة، وغالبا تستجيب 70% من الحالات، بينما تصر 30% منها على التحول للجنس الآخر، وفي هذه الحالة نلجأ للعلاج الهرموني لتعويضه نفسيا وإعطائه فرصة التجربة في فترة اختبار ليعيش بحالة الجنس الآخر، بحيث يعيش الحياة الأنثوية إن كان ذكرا أو تعيش الحياة الذكورية إن كانت أنثى لمدة تتراوح ما بين 6 شهور متواصلة و عام كامل، وكثير من هؤلاء بمجرد أن يتعايشوا بهذه الحالة الجديدة يخرجون من التجربة كارهين للتحول ويرضى بحياته بعد اكتشاف خطأه ويعود لاستكمال العلاج السلوكي، أو يتخذ قراره باستمرار العلاج الهرموني وإجراء عملية التحول الجنسي وتكون هذه هي الخطوة الأخيرة.

وأكد "الحديدي" أن كثيرا من المُصْرِّين على التحول جنسيا يقومون بعمليات مبالغ فيها، ثم يصابون بالاكتئاب ويشعرون بأنهم غير سعداء في هذا الجنس وتنتهي حياتهم بالانتحار، لذا يشترط قبل القيام بمثل هذه العمليات أن يكون قد مر على كل مراحل العلاج المطلوبة لمدة لا تقل عن عام، وأن يجلس مع اثنين من الأخصائيين النفسيين وطبيب جراح متخصص ومسئول قانوني لتنفيذ بروتوكول

كامل؛ ويتأكدون من عدم استجابته للعلاج، وأشار إلى أن هذه العمليات ليست  
دارجة في مصر لذا يلجأ الكثير لإجرائها في الخارج، ولا نستطيع أن نحدد النسب  
بالضبط لأن كثيرا من هذه الجراحات يتم في سرية وكتمان والنسب المعلنة في  
مصر أقل بكثير من الواقع.

وأوضح أن العلاج الهرموني خطير وله أضرار صحية ويسبب مشكلات في  
الخصوبة لدى الأنثى التي تتناول هرمونات الذكورة نتيجة توقف الدورة الشهرية،  
ومع استخدامه لفترات طويلة يتسبب في إصابة الشخص بجلطات ونزيف وأورام،  
لذا فهو يحتاج إلى متابعة طبية طويلة.

ولفت "الحديدي" إلى أن اضطراب الهوية الجنسية مختلف تماما عن حالات  
الجنس الثالث أو الخنثى التي تولد بأعضاء ذكرية وأنثوية، وفي هذه الحالة يتم  
تحديد الجنس بإجراء عملية جراحية بعد أخذ رأى الشخص والتأكد من رغبته  
وإحساسه الداخلي بنفسه، والقدرة على الممارسة الجنسية فيما بعد، فقد يكون لده  
عضو أكثر كفاءة وفعالية وقدرة، عندها يتم استئصال العضو الغير فعال بناء على  
الرغبة والقدرة.

وأكد "الحديدي" ضرورة أخذ القرار بعد سن النضوج القانوني كي يكون مسئولا  
عن نفسه وقراراته، خصوصا في مثل هذه القرارات الخطيرة، باستثناء حالات  
معينة مثل الخصية المعلقة التي تحتاج إلى جراحة سريعة في سن الطفولة المبكرة  
لإنزالها من البطن لكيس الصفن، وإلا تسببت في الإصابة بالسرطان.

<https://www.youm7.com>

## الفصل الرابع موقع المؤنثة في الاقتران الزوجي

استهلال

4 / أ – المؤثرات الاجتماعية على موقع المؤنثة في الاقتران الزوجي

1 – مؤثر الأسرة الممتدة والنسب القرابي

2 – مؤثر مكان الدراسة والعمل

3 – مؤثر العمر

4 – مؤثر الجاذبية الجمالية

5 – مؤثر الضغوط الزوجية

- 4 / ب – الطلاق عند الجندر  
4 / ت – عوائل أحادية الوالدين  
1 – عائلة أحادية الوالدين تعيلها الأم  
2 – عائلة أحادية الوالدين يعيلها الأب

## الفصل الرابع موقع المؤنثة في الاقتران الزوجي

### استهلال

يبدأ بناء الخلية الأسرية من اختيار القرين (أو القرينة). تمثل المؤنثة والمذكر بنية الأسرة، ولما كانا مرتبطين بأسرتيهما فإن رابطتهما يتقرر ويتوجه في المجتمعات التقاليدية والمحافظه والريفية والاقطاعية والطبقية والطائفية والعرقية من أسرتيهما لأن الاقتران عندهم يُعبر عن المصاهرة النسبية (الدموية – القرابية) والقرابة الاجتماعية والمحافظه على ملكية الأسرتين وثروتهما واسمهما فيكون قرار الأسرتين. بتعبير آخر يكون اختيار القرين بالنيابة عنهما، أما الحب الرومانسي فلا وجود له عندهما إنما يتبلور بعد الزواج وإذا حصلت خلافات بينهما

فإن اسرتهما تحلها في أغلب الأحيان لذلك يكون عمر هذا الزواج أطول من الزواج المغاير أي المختلف في دخله ومكانته الاجتماعية ومهنة القرينين. وبناءً على ذلك فإن الاقتران المغاير يتأثر بعمر القرينين ومكان عملهما أو جاذبيتها الجمالية أو الضغوط الزوجية أو الفجوة الزوجية التي تبلورها المرحلة التطورية للمجتمع عندئذ يكون موقع المؤنثة في هذه الصيرورة (عملية اختيار شريك الزواج) يرتفع ويهبط في المرواز الاجتماعي الذي يمثل المرحلة التطورية التي يمر منها المجتمع إذ تارة تكون هابطة في المرواز كما هو الحال في المجتمعات التقليدية والاقطاعية والمحافظة وتارة تكون صاعدة في المرواز حسب مؤثرات العمر وماكن العمل والجاذبية الجمالية والظروف الضاغطة على الزواج والفجوة القائمة بين الزواج وعدمه.

#### 4 / أ - المؤثرات الاجتماعية على موقع المؤنثة في الاقتران الزوجي

##### 1 - مؤثرة الأسرة الممتدة والنسب القرابي

لما كان المجتمع النقائلي والمحافظ والاقطاعي والريفي متضمناً العلاقات القرابية المتينة واحترام الانساب والجيرة والأسرة الممتدة والقبيل فإن الفرد فيها لا يكون حراً ومستقلاً فيها بل يخضع للسلطة البطريقية - الذكورية (لرب الأسرة) وهنا تكون المؤنثة وحتى الذكر لا رأي أو قرار في الاقتران أو اختيار الشريك بل يحصل الاقتران بالإنابة عنهما من قبل أولياء أمورهما. معنى ذلك لا وجود للحب الرومانسي والعاطفة المتبادلة بين القرينين لأن الاقتران كان بين اسرتين ونسبين من خلال تزويج ابنائهما. لذا يكون موقع المؤنثة في المرواز الاقتراني متدني وتبقى متسلط عليها من قبل السلطة الذكورية إنما تتحول من اسرتها الى أسرة زوجها، فلا تعرف غير خدمة زوجها وإنجاب الأطفال له وتدير المنزل ورعاية الأطفال وعملها يكون في منزل زوجها طيلة حياتها وأحياناً تساعد زوجها في الحقل أو في تربية الحيوانات واستخراج منتجاتها وبيعها في سوق المدينة.

##### 2 - مؤثر مكان الدراسة والعمل

على نقيض المجتمعات السالفة الذكر هناك مجتمعات حضرية وصناعية ورأسمالية ومعلوماتية وتقنية متقدمة تأخذ بالدراسات المختلطة بين الجنسين في مدرسة أو كلية أو جامعة واحدة وتعمل النساء في المصانع والمعامل ودوائر الحكومة والشركات مع الرجل في بناية واحدة في هذه الأماكن تكون مواقعها شبه بسوق جاهزة لاختيار شريك الزواج وبناء روابط عاطفية ورومانسية دون تدخل الأهل في اختيار القرين أو القرينة. لأن هذا السوق يهيئ اللقاء والحوار وتبادل الأفكار والعواطف للشباب وهم في سن البحث عن هويتهم الشخصية المستقلة

والطموحة. إذن هنا نستطيع القول بأن عامل (الصدفة) حلّ محلّ الأقارب في علمية الاقتران لأن الحرم الجامعي قد يجمع بينهم بدون وجود خلفية معرفية أو قرابية أو ثقافية بينهم، بل شاءت الصدفة أن يتلقيا وهم غرباء عن بعض ويتفاعلا كزملاء ثم يتوادا ويتحابا ليصلوا الى حالة الاقتران. وهنا يبرز الحب الرومانسي في هذه الزيجة التي لم يرتبها وينسقها الأهل أو الأقارب بل الحرم الجامعي الذي استولد حالة الصدفة بينهما فحصل تآلف متكافئ بينهما وهما من مستوى ثقافة واحدة ومرحلة علمية متكافئة، انه تآلف خالي من الالزام والإجبار والضغوط العائلية على المؤنثة وهذه أول "نقلة نوعية" تحصل في شخصية المؤنثة المعاصرة بعدما كانت مقهورة ومضغوطة من قبل اسرتها والسلطة البطريقية في اتخاذ قرارها حول مستقبلها وحياتها الآتية. بيد ان هذا لا يعني بأن أسرة الشاب والشابة لا يتدخلان أو لا رأي لهما في هذا الاقتران، بل لهما رأي ثانوي وصوري في أغلب الأحيان، يسمى هذا الاقتران بـ (الشريك المتجانس assertive mating) الذي يعني منسجم في فكره ومزاجه وهوايته وطموحاته وثقافته واختيار قرينه وانتماءه الطبقي أكثر من اختلافه فيها.

هناك خصائص ديموغرافية مثل العمر والعرق والطبقة الاجتماعية والدين من بين العناصر الأولية التي توضح عملية اختيار الشريك. انها تبدو غير مؤثرة بالارتباط العاطفي والشغف الرومانسي لأنها غير مرتبطة بالأحاسيس الوجدانية. في الواقع هي متغيرات تتنبأ عن اختيار الشريك والاستقرار العائلي أكثر من كونها فكرة تعبر عن الحب الرومانسي، أنها لا تعتبر مؤثرة ومساعدة في تقرير مع من أو من هو الذي سوف نحب أو نقع في حبه؟ لأن الحب الرومانسي يتم إروائه في السوق الجامعي أو مكان العمل الذي يجمع بين الشريكين وليس مبلوراً له.

قلنا عن الزواج المتجانس بأنه يمثل معياراً أساسياً للصلة المتجانسة بين القرينين، لا صلة له بالعاطفة الرومانسية لكن في الوقت الراهن مالت المرأة الى البحث عن قرين يتمتع بمكانة اقتصادية واجتماعية عالية لا علاقة له بالتجانس. هذا الميل مرده ودافعه ارقاء الحراك نحو الأعلى لكي تضمن حياتها المستقبلية مادياً وتعيش مع قرين متعلم ومتقف لديه مصدر رزق يشبع احتياجاتها العصرية وهنا جمعت المؤنثة بين رؤيتها للأسرة والعمل في زواجها. إلا انه يبرز التباين بينها وبين قرينها على مستوى العمر والعرق والجاذبية كل ذلك يبرز في الزواج المخالف للزواج المسمى بالمتغاير.

زبدة القول، بسبب ضعف الروابط القرابية في المجتمع الحضري والصناعي وسيادة المجهولية في العلاقات الاجتماعية الراجعة لكبر حجم المجتمع وتنوع

جماعاته وطبقاته لم تستمر عملية اختيار شريك الحياة من قبل الأهل بل حلت محلها المعايير الحضرية النابعة من المكونات السكانية (الديمغرافية) وهذا يتطلب من المؤنثة الحاذقة والمتحضرة ان تبحث عن قرين يستطيع ان يحقق عيشها بمستوى حضري مادي يشبع حاجاتها المتحضرة والمتجددة لكي تستمر في حراكها الصاعد على التدرج الاجتماعي وهذه نقلة جندرية رائدة تعمل على تحريرها من السلطة البطريقية (نسبياً) واستقلالها المادي وحريتها في اتخاذ القرارات الشخصية والأسرية.

### 3 - مؤثر العمر

يعد العمر متغيراً مؤثراً في اقتران القرينين، إذ الملاحظ عليهما انهما يقترنا ضمن عدة سنين متفاوتة بينهما، وإذا حصل وان كان هناك اختلاف أو تفاوت فإن الرجل يكون أكبر عمراً من المؤنثة، ذلك راجع الى ما أملت عليه التوقعات التقليدية للجنس في أن يكون كاسباً للرزق وصاحب مهارة مهنية مجزية لكي يستطيع أن يعيل أسرته هذا هو السبب الجوهرى الذي جعله يؤخر زواجه لفترة أطول من المؤنثة. بمعنى ان المؤنثة لا تؤخر زواجها لكي تحصل على مهارة مهنية رائدة ودخل عالٍ لكي تمول أسرته، بل الرجل يفعل ذلك لأن مجتمعه وثقافته ارشدته ولقنته بأن يكون لديه مهارة مهنية تدر عليه دخلاً كافياً لإعاشة أسرته عند الزواج لذلك يتأخر سن زواجه أكثر من زواج المؤنثة، هذا ما لقنتها تنشئتها في ممارسة الأدوار الأسرية.

لكن منذ عام 1950 حصلت هناك زيادة متدرجة في الزواج لكلا الجنسين (في المجتمع الأمريكي) مع العلم ان المؤنثة تمثل الآن أكثر من النصف بين الطالبات الجامعيات ونصف القوى العاملة وان أدوار الجندر التقليدية قد تغيرت ايضاً منذ عام 1890 واقتربت من الرجل. (انظر جدول - 1 -) إذ حصلت زيجات تمثل المؤنثة الشابة متزوجة من قرين كبير في السن أكبر منها بكثير.

#### جدول رقم - 1 -

يوضح العمر المتوسط للزواج الأول من قبل الجندر في المجتمع الأمريكي

السنة	الرجل	المرأة
1890	26.1	22.0
1910	25.1	21.6
1920	25.6	21.6
1930	24.3	21.3

21.5	24.3	1940
20.3	22.8	1950
20.3	22.8	1960
20.8	23.2	1970
22.0	24.7	1980
23.9	26.1	1990
24.5	26.9	1995
25.0	26.7	1998
25.1	26.8	2000
25.5	27.0	2005
26.6	27.7	2007
25.6	27.4	2007

يوضح هذا الجدول أعمار الأزواج أعلى من أعمار الزوجات لأكثر من قرن من الزمن وكأنها أصبحت قاعدة جندرية دائمة الحدوث في أغلب المجتمعات.

جدير بذكره في هذا السياق أن المرأة المطلقة والأرملة ليس لها فرصة في الزواج المتجانس لأنه يتطلب رجل مطلق أو أرمل. لذلك تكون فرصتها بالزواج في (المغاير) أكثر حضوراً. وإزاء هذه الحالة ظهر اتجاه ساد المجتمع الأمريكي يعبر عن زواج الشاب من امرأة تكبره سنّاً بمعدل سبعة سنوات ولا يهتم للتجانس المزاجي أو الثقافي أو الديني وهذا أبرز حالة الزواج للمرة الثانية للمرأة التي أثار على زواجها المؤنثة الشابة وأطلق سراح المؤنثة (المطلقة أو الأرملة) من تسلط اسرتها عليها، بل حتى أطلق سراح سيطرة اسرة الرجل عليه عند زواجه من امرأة أكبر منه عمراً أو مطلقة أو أرملة. هذه صورة جديدة للمؤنثة الجندرية في تحررها من قيود السلطة البطريقية في زواجها بعد طلاقها أو وفاة زوجها وقبول الرجل بالزواج منها على الرغم من تقدم عمرها عليه.

#### 4 - مؤثر الجاذبية الجمالية Attractiveness

لها تأثير فاعل في المجتمعات الحضرية والصناعية والرأسمالية أكثر من التجانس العرقي والثقافي والديني ذلك بسبب تأثير الوسائل الإعلامية (التلفاز والسينما والمجلات) التي تعرض أحدث الصرعات في موضة الملابس والاكسسوارات والرشاقة والأناقة للنساء والرجال، هذا التأثير ظهر منذ ثلاثة عقود من الزمن (قبل الان) بشكل متزايد في جميع انحاء العالم مما وضع الرجل قيمة



عالية على الجاذبية لشكل الشريكة المراد الاقتران بها ثم رشاقتها واناقتها وذوقها وهذا أدى الى وقوعه في شبكة الحب أسرع من المرأة. في حين المؤنثة لا تركز على رشاقة الرجل وجاذبية جماله بقدر ما يركز الرجل، لذا فإنها لا تضع قيمة عالية عليها بل تضع قيمة عالية على صدق علاقته ودوامها واستقلاله المالي وقدرته على كسب رزقه. بمعنى انها منهمكة في تفكيرها عن الرجل الجذاب ليس من خلال وزنه ورشاقتها وجمال وجهه بنفس القدر الذي تضعه على وفاء علاقته واستقلاله المالي وهذا هو الذي يجعلها تدلف الى مدار الحب الرومانسي مع الرجل على عكسه الذي يدلف الى مدار الحب الرومانسي معها من خلال وزن جسمها ورشاقتها واناقتها. وهذا هو الفرق الجوهرى في جاذبية الشريكين عند اختيار شريك الحياة في العصر الحالى.

## 5 - مؤثر الضغوط الزوجية

يلعب العمر دوراً مؤثراً في زواج الشريكين لأنه يحدد الاعداد المتاحة من الرجال للنساء والاعداد المتوفرة من النساء للزواج من الرجل فإذا كانت الاعداد بينهم غير متكافئة في أعمارهم فإن (الزواج المضغوط يقع) لأنه يتضمن ان هناك عدداً محدوداً عند أحد الجنسين لا يتناسب مع عدد آخر. ومن المعلوم والمعروف ايضاً ان الرجال يتزوجوا نساء أصغر سناً منهم بعدة سنوات. لكن بعد الحرب العالمية الثانية زادت معدلات الولادات بشكل متسارع فكان هناك عدد من النساء أكثر ممن ولدن في عام 1950 وأكثر من عدد الرجال الذين ولدوا في عام 1940. وفي عام 1980 ظهر نقص في عدد المؤهلين للزواج من الرجال الذي بدوره كشف عن انحدار معدل الولادات في عام 1960 وعام 1970 من الرجال وهم في اعمار منتصف العشرين مما واجهوا نقص في عدد النساء.

لا يتعامل الزواج المضغوط مع المرأة الغير راغبة بالزواج من رجل غير متجانس معها. عادةً ما يخرج عن الزواج المغاير زواج المضغوط ممن هم خارج سوق الزواج مثل المرأة ذات المؤهلات العلمية الرفيعة والعالية أو صاحبة الدخل العالى والثروة الكبيرة، اما الرجال فيكونوا من أصحاب التحصيل الدراسي الواطي أو من أصحاب المكانة الاقتصادية المتدنية، كلا هذين النوعين يبقيا خارج نطاق الزواج. أما العازبات فقد زاد عددهن بسبب زيادة عدد الارامل وهناك حالة تقررها المرأة وهي مفاضلتها بعدم الزواج (كعازبة) ممن تركهم قطار الزواج وبقوا في السوق بدون زواج لأنها مضمونة اقتصادياً فلا حاجة لها بالزواج من رجل متروك في سوق العزاب وإذا كانت المرأة ناجحة جداً في عملها خارج المنزل فإنها تكون دقيقة ونحسه في اختيار زوجها فلا تقبل بالزواج المضغوط.

أقول ان الاستقلال المالي للمرأة وثقافتها يكون عندها حصناً قوياً بعدم الانحدار في الزواج المضغوط. لكن العانس في مجتمعنا العربي تقبل بالزواج المضغوط حتى لو كانت صاحبة دخل مالي جيد أو تحصيل دراسي عالي لأنها كأنتى تريد الزواج من رجل حتى ولو كان أصغر منها سناً وثقافةً وخبرة لأن ثقافتها الاجتماعية تدفعها الى ذلك.

العنوسة تعبير يستخدم لوصف الفتاة التي تعدت سن الزواج المتعارف عليه في كل بلد إلا ان ارتفاع مهر الزواج في المجتمع العربي أدى الى ارتفاع معدل عنوسة البنات فيه ومرد هذا الارتفاع الى المعايير الثقافية التقليدية للتعبير عن مكانة أسرة الشريك أو الشريكة فهو أحد اشكال الاستهلاك المظهري الزائف فمثلاً بلغت نسبة العنوسة لسنة 2016 في تونس حوالي 69% بعد ان كانت النسبة أقل بكثير في السنوات الماضية وتعود نسبة العنوسة الى أسباب عدة ابرزها ارتفاع تكاليف الزواج الناتجة عن العادات والتقاليد التي تثقل كاهل الشاب وتجعله يتهرب من المسؤولية لما يرى فيه من صعوبات مادية هو غير قادر عليها. فقد كشف التقرير الصادر عن الديوان الوطني للأسرة والعمران البشري في تونس عن ارتفاع عدد العازبات الى أكثر من مليوني وربع مليون امرأة من مجموع نحو أربعة ملايين و900 ألف انثى في تونس مقارنة بنحو 990 ألف عازلة عام 1994 كما بلغت العنوسة اقصى معدلاتها بين الاناث في عمر الاخصاب الأقصى (25 – 34 سنة).

[arabic.sputnik.com]

## 6 – مؤثر الفجوة الزوجية The marriage Gap

تحصل هذه الفجوة عندما يكون هناك معدل عالي من المعاشرة الجنسية غير الشرعية بين الرجل والمرأة خارج العلاقة الزوجية مقابل معدل واطى من الزواج الشرعي. حصلت هذه الفجوة في المجتمع الأمريكي منذ عام 1950 ولحد الان إذ كشفت الاحصاءات الرسمية الامريكية عن هبوط مستمر في معدل الزواج وهبوط في معدل الطلاق المقترن مع انحدار في معدل الزواج مع تساوق متزايد في ممارسة المعاشرة الجنسية غير الشرعية. (انظر جدول رقم – 2 –). اشترك في هذه الفجوة، نساء غير متزوجات ومتزوجات مما أدى ذلك الى اتساع الفجوة. حيث هناك نساء كثيرات ملتزمات بالعلاقات غير الشرعية فاختاروا البقاء بدون زواج شرعي. حتى في معدل الطلاق الواطى تكون لدى المطلقة فرصة بسيطة وضئيلة للزواج مرة ثانية، على الرجل المطلق الذي تكون فرصة زواجه للمرة الثانية أعلى من فرصة المطلقة. النساء اللواتي يؤجلن زواجهن أو يتزوجن للمرة الثانية قد لا

تختار الزواج مرة أخرى بشكل نهائي أي لا يتزوجن مطلقاً. إضافةً الى ذلك فإن توقع الحياة قد ارتفع حيث عمّرت المرأة في عمرها أكثر من الرجل. وإن الارامل وجدن أنفسهن بدون شريك لعدة عقود من الزمن بعد وفاة أزواجهن ولأول مرة في تاريخ أمريكا كان هناك عدد كبير من النساء ممن عاشوا بدون زوج واحد. (أنظر جدول رقم - 3 -).

لا يغيب عن بالنا في القول عن فجوة الزواج بأن لها صلة بالفجوة الاقتصادية. فالفقراء أقل ميلاً للزواج أكثر من الأغنياء لذلك يبقى أو يفضل الفقير بدون زواج. وهذا يقول لنا بأن الطبقة الاجتماعية والاقتصادية مرتبطة بفجوة الزواج ايضاً لأن الفقراء من الرجل والنساء يكونوا مضغوطين اقتصادياً فلا يفكروا بالزواج وبالذات المرأة الفقيرة ولديها أطفال فإنها لا تميل للزواج مرة ثانية ولا ننسى الانحرافات الجنسية عند اللواتين والسحاقيات إذ انهم يوسعوا فجوة الزواج. أخيراً نقول بأن الزواج يمثل رباط عاطفي واقتصادي ذا فائدة اسرية واجتماعية للمرأة والرجل. أخيراً نقول لقد أحدثت التطورات الاجتماعية تغييراً في المؤثرات التي تجمع بين الشريكين فأبعدت تأثير الأسرة الممتدة والانساب القرابية في اقتران الشريكين في الوقت الراهن وحلت محلها المؤثرات التي ذكرناها في هذا الباب. بذات الوقت ظهرت حالات لم تكن سائدة في المجتمعات التقليدية والمحافظه والريفية مثل سوق الزواج الذي ضمّ: -

- 1 - المؤنثة ذات المؤهلات العلمية الرفيعة والعالية.
- 2 - المؤنثة صاحبة الدخل العالي والثروة الكبيرة.
- 3 - الأرامل
- 4 - العوانس
- 5 - المطلقات
- 6 - عدد النساء الفائض بسبب عدد الرجال وكثرة الحروب ثم برزت ظاهرة الاضرار عن الزواج بسبب: -
  - أ - وجود المعاشرة الجنسية غير الشرعية بين الرجل والمرأة.
  - ب - ارتفاع معدل الفقر مع وجود أطفال مع الزوجة.
  - ت - المطلقة مع أطفالها.
  - ث - الانغمار في الدراسة والبحث العلمي والعمل.
  - ج - ارتفاع دخل المرأة واستقلالها الاقتصادي.

جدول رقم - 2 -

يوضح معدل الزواج والطلاق في أمريكا في الفترة الواقعة بين 1960 - 2008  
المعدل بالآلاف وليس بالمائة

السنة	معدل الزواج	معدل الطلاق
1960	8.5	2.2
1970	10.6	3.5
1980	10.6	5.2
1990	9.8	4.7
1995	8.9	4.4
2000	8.3	4.1
2003	7.7	3.4
2005	7.5	3.6
2008	7.0	3.4

أخذ هذا الجدول من كتاب Gender Roles. P. 187

جدول رقم - 3 -

يوضح المكانة الزوجية في الولايات الممتدة من خلال الجندر 2007

الراشدين	النسبة	الرجال	النساء
متزوج	56.0	58.1	54.1
غير متزوج	41.7	40.0	43.3
أرمل	6.2	2.5	9.8
مطلق	10.3	8.9	11.5
عانس غير متزوج	25.2	28.6	22.0
منفصل	2.2	1.8	2.6

أخذ هذا الجدول من كتاب Gender Roles. P. 188

4 / ب - الطلاق عند الجندر

للطلاق أثر اجتماعي ونفسي واقتصادي عميق على الشريكين المنفصلين وعلى أطفالهم لأنه يخلق لهم متاعب ومصاعب متسلسلة. لكن هذه المصاعب تقل وتزداد عندما يكون المطلقين يمثلون الأدوار الجندرية القديمة (التي تعكس الاختلافات

البيولوجية أي تسلط الذكر على الانثى) عن الذين يمثلون الأدوار الجندرية الحديثة (أي يكونوا مختلفين مع الاختلافات البيولوجية) أي استقلال المرأة اقتصادياً ومهنيًا في هذا النوع من الشريكين يكون الطلاق سريع لكنه يتطلب تسوية مالية سريعة لما بعد الطلاق. أما أدوار الجندر الحديثة ومعها أطفال فتكون أقل حماية في طلاقها ولها ضريبة عاطفية مؤلمة على الامومة ومعارضة لرفاهية المرأة. بينما الأزواج الذين يسعون للطلاق يكونوا قد رتبوا حالهم بالارتباط مع شريكة ثانية فيعجلوا في طلاقهم وتسوية حساباتهم مع زوجتهم المطلقة. للعمر دور مهم وحيوي في اتخاذ قرار الطلاق عند المرأة المتزوجة، إذ كلما اتخذت قرارها في الطلاق وهي بعمر مبكر فإن قدرتها على إعادة بناء حياتها من جديد أفضل بكثير مما لو اتخذته وهي بعمرها المتقدم. وإذا كان قرارها في الطلاق لأول مرة فإنه يكون أسرع وأيسر. ومن نافلة القول ان المرأة غالباً ما تبادر بالطلاق قبل شروع زوجها بذلك. أما المتزوجة وهي في مقتبل عمرها فإنها تقدم على الطلاق أكثر من الرجال المتقدمين بالسن، وترينا معدل الطلاق بأنه عالي عند النساء اللواتي من أعمار أقل من 40 عاماً. أما النساء المتقدمات بالسن عندما يقدمن على الطلاق فغالباً ما يواجهن صدمة نفسية قوية ومستمرة لغاية مجيء شريك جديد ليقترن بها، والنساء المتزوجات وهن دون سن الـ 40 عام فإن طلاقهن يدفع بهنّ ببلورة أفكار جديدة لتحسين وضعهنّ المعاشي على المدى البعيد.

ليس للعمر وحده يلعب ويؤثر على اتخاذ قرار الطلاق بل عمل الزوجة خارج المنزل، إذ ان معظم نساء المجتمع الحضري والصناعي والرأسمالي يمارسنّ عملاً فيه وهذا يعني انهنّ أصبحنّ من أصحاب الدخل المالي المستقل عن دخل أزواجهنّ، بيد أن عملهنّ ومداخلهنّ باتا مصدراً لتعايشهنّ في حياتهنّ الزوجية لأن معظم دخلهنّ يتم صرفه لمقتنياتهنّ المادية الخاصة بهنّ مثل (الملابس وأدوات الزينة والمواصلات) أكثر مما يصرفونهنّ على احتياجات الأسرة. وإزاء ذلك بدأ الزوج يشعر بأن زواجه اضحى مهدداً له ومتحدي لدخله، بل ان قسماً منهم يكون دخل زوجاتهم اعلى من دخلهم. معنى ذلك بات عمل المرأة خارج المنزل مصدراً لمتاعبها ومتاعب زوجها وأولادها، ليس من زاوية الدخل بل من زاوية عملية اتخاذ القرار الأسري لأن وضعها المالي دفعها الى ان تشارك في ابداء رأيها في مصاريف الأسرة وحياتها اليومية بمعنى اضحى لها موقع في عملية اتخاذ القرارات الأسرية وميزانيتها فلم يبقى الزوج وحده الذي يتخذ قرارات الأسرة كما كان في الماضي عاكساً السلطة الذكورية وتسلطه على قرارات اسرته، فلا جرم من القول بأن هذا التحول في حياة الزوجة (عملها ودخلها) جعلها أكثر ميلاً

للانفصال عن زوجها والطلاق منه أكثر مما كانت أمها وجدتها بالتفكير بالطلاق. انها مشكلة لا تعكس الفجوة الجيلية بل صارت الزوجة ركناً ركيناً في بناء الأسرة لأنها: -

- 1 - أصبح لها ضمان مالي مستقل عن زوجها.
- 2 - شعرت بحريتها في مصاريفها الخاصة.
- 3 - صار عملها خارج المنزل.
- 4 - شاطرت زوجها في اتخاذ القرارات الأسرية.
- 5 - لم تعد تابعة وخانعة لزوجها الذي كان سيد الأسرة وربانها، بل هي المشرع والمنفذ في اسرتها.

لا يفوتني أن أشير الى ان الطلاق لم يُعد - من الناحية القانونية - عملية صعبة بل سهلة في انهاء رباط الزواج وبالذات الطلاق الموسوم (بدون جنحة أو ذنب No - fault divorces) فيه لا يلوم أحد الشريكين الآخر على ذنب اقترفه او جنحه قام بها بل هو مطلبهما من قبلهما. فالزوجة التي يخدعها زوجها أو يهينها أو الزوج المتقدم في السن ويأمل ان يتزوج مرة ثانية من زوجة صغيرة السن، أو شريكين يافعين من الشباب المبكرين في عمرهم وتزوجا بشرعة وبدون تفكير عقلائي ويواجهوا عقبات زواجية تدفعهم للانخراط في نزاعات وخلافات زواجية مستمرة، مثل هذه الخلافات لا تقبل المساومة لأنها أصبحت جلية وعصية ومستمرة فيما بينهم لا تُحلّ إلا من خلال الطلاق. هذا النوع من الطلاق الأكثر شيوعاً وذيوعاً في الأسرة الامريكية في يومنا هذا، لذلك تمت تسميته قانونياً واجتماعياً بـ (الطلاق اللاجناح فيه) لا من الزوجة أو الزوج. [Lindsey. 2011. P. 227]

لكن الطلاق يواجه مشاكل مادية كبيرة عندما يكون هناك أطفال لأنهم يحتاجون الى رعاية أو حضانة custody وغالباً ما تتحمل الزوجة المطلقة رعاية وحضانة اطفالها بعد الطلاق والحالة تكون أعمس إذا كانت تعمل خارج المنزل وأجور عملها قليلة لا تسد تكاليف دور الحضانة أو رعايتهم صحياً، علماً بأن الطلاق يجعل وضع المطلقة المالي سيء لأن لديها مصدر رزق واحد لا يكفي تسديد تكاليف رعاية اطفالها. وهذه أعباء إضافية تقع على عاتق المطلقة التي تكون فيها ضحية عدم تساوي حقوقها مع حقوق الرجل في الضمان الاجتماعي والصحي في الدول المتقدمة.

لا جرم من تسجيل حادث فريد من نوعه في المجتمع العربي عن الطلاق وهو مطعم متخصص لإقامة حفلات الطلاق في البحرين. فأصبح فيها (البحرين) تقليد

حفلات الطلاق دارجاً وقد نقلته احدى الاجنبيات من بريطانيا وامريكا وتايلند والفلبين وهي عادةً يتبعها الكثير من النساء والمطلقات منهنّ تحديداً. السيدة التي نقلت التقليد من بريطانيا وضعت صورة زوجها بإقامة حفل خاص في مطعمها في منطقة (سار) بالعاصمة البحرينية المنامة وأعدت قالب كيك بهذه المناسبة والتي قالت عنها أنها أسعد مناسبة حصلت لها خلال هذا العام ولذلك كان قالب الكيك كبير جداً ودعت اليه صديقاتها جميعهنّ ونشرت صور الاحتفال في كل مكان.

لم تتوقع السيدة (فلورا أو ماما فلورا) بعد عدّة سنين أن يكون مطعمها خاص بمناسبات الطلاق وان (الكيك) الذي يتم اعداده في مطبخ المطعم سيكون مخصصاً لحفلاته مع الخلع وهجرة الأزواج حتى انها ستفتح لتصنيع (الكيك) الخاص بالطلاق بعد ان أصبحت فكرتها مربحة جداً.

فوجئت (فلورا) بطلب سيدة بحرينية في الثلاثينيات من العمر لم يتم الكشف عن هويتها اعداد كيك خاصة لحفل طلاقها وان تكتب عليها I'M SINGLE AGAIN وقد صنع لها الكيك بالطريقة التي ترغب بها ولكن الطريف بالقصة وكما تروي (ماما فلورا) هي تعليقات المتابعين والتي كانت اغلبها من السيدات اللاتي بعثن برسائل التهاني والتبريكات لصاحبة الطلب حيث ان التعليقات تم توجيهها لصورة كيك الطلاق، وتقول "من التعليقات التي تم نشرها على رسائل التواصل الاجتماعي بعد نشر صورة الطلاق – مصائب قوم عند قوم فوائد – شنو وضعها صاحبة الكيك حاقده على الرجال – مبين شكلها اها اللي طالبة الطلاق – هذه اقوى كيك مررت بحياتي و – سيم سيم انا – هالكيك بالضبط نفس شعوري – مبروك العزوبية – قاعدة لوحداك".

وتضيف (ماما فلورا) وتقول ان الحجز مستمر على الكيك الخاص وحتى النساء من دول خليجية مجاورة أقمنّ حفلات للطلاق في مطعمها وأعدنّ كيكات خاصة وانهنّ يسارعنّ بتصوير الحفلة والتي عادةً ما تحضرها صديقات المطلقة لنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي لكي تقهر طليقها وتشعره انها سعيدة بهذا الطلاق.

[مجلة سيدتي عدد 1934 بتاريخ 31 - 03 - 2018]

يُعبّر هذا الحدث عن التغيير الكبير الذي طرأ على دور المرأة العربية التقليدي وبالذات عند الجيل الحالي الذي لا يريد الرضوخ لقيود جامدة في عصر الانفتاح على العالم الخارجي ويدل ايضاً على استقلالية المرأة البحرينية مادياً واجتماعياً وتمتعها بثقة عالية بنفسها عندما تحتفل بشكل علني في مطعم خاص بالطلاق في بلد محافظ مثل البحرين وتنتشر الخبر على التواصل الاجتماعي مما حفز العديد

من أبناء جنسها الخليجيات ان يحذون حذوها فضلاً عن كونه تعبير غير مألوف في المجتمع العربي وبالذات في المجتمع الخليجي انه يعبر عن تحررها من ضوابط جامدة وموروثة من أجيال سالفة لا تعكس متطلبات العصر الجديد المتأثر بالثقافات الأجنبية. إن الأشهار في الطلاق في مجتمع خليجي نعده طفرة جندرية عالية لا تعكس الجندرية التقليدية القديمة التي كانت تعكس خنوع المرأة للرجل في كل تفاعلاته وعلاقته معها.

#### 4 / ت - عوائل أحادية الوالدين Single – Parent Family

من الظواهر الأسرية السلبية ذات المشاكل الاجتماعية في عالمنا المعاصر عند المجتمعات الحضرية والصناعية والرأسمالية تحول الأسرة من الممتدة الى النووية ومن ثم الى أحادية الوالدين تضم الأم فقط مع الأبناء، وهذا (تدهور) لا تطور في البنية الأسرية و (نقص) في التنشئة الأسرية و (عبأ) على دور أحد الأبوين يؤدي الى جعل الأسرة (عرجاء) في مسيرة وظيفتها المؤسسية، وذلك بسبب: -

1 - انفصال الوالدين عن بعضهما.

2 - وطلاقهما.

3 - أو وفاة أحدهما.

4 - أو دراسة أحدهما.

5 - أو التلقيح الصناعي للأم.

كل ذلك يؤثر سلباً على الجندر سواء كانت الأم أو البنت التي لم تترعرع في خليتها الطبيعية والمحافظة الى المتحضر والصناعي فأثرى على خليته الأولى (الأسرة) مما جعلها تفقد أحد أركانها وغالباً ما تتحمل هذه الأعباء الزوجة أو الجدة مما تكون تنشئتها مبتورة على الأبناء فيحصل نقص في عواطفهم ومشاعرهم ويدفعهم نحو الانحراف في سلوكهم وتفكيرهم. أنها إحدى مساوئ العصر التقني المتعارض مع طبيعة الطبيعة الإنسانية لأفراد الأسرة.

وبسبب توفر الإحصاءات الأمريكية الرسمية نذكر بعضاً منها لتوضيح عوائل أحادية الوالدين تضم أطفالها ممن هم في سن دون 18 عاماً وهي كما يلي: كان في عام 1950، 7% من أصل مجموع العوائل الأمريكية يعيها أحد الأبوين (الأب أو الأم). وفي الوقت الراهن هناك أكثر من 40% من مجموع العوائل الأمريكية ذات الأحادية الوالدين يعيش معهم أطفالهم ممن هم في عمر دون 18 عاماً. (انظر جدول رقم - 4 -) وإن أكثر من نصف الأطفال الأمريكيان يعيشوا عيشة فقيرة مع أحد والديهم، وإن أسرة أحادية الوالدين التي تعيلها الأم قد فاق عددها عن عدد



الأسرة التي يعيّلها الأب بنسبة أربعة الى واحد، أي كل أربعة عوائل تعيّلها الأم هناك بالمقابل عائلة واحدة يعيّلها الأب. كذلك أن نصف أطفال أمريكا من الأصول الأفريقية يعيشوا في أسر تعيّلها الأم وأحياناً الجدة، كذلك تشير الاحصائيات الأمريكية الرسمية اليوم بوجود 3/2 ثلثي أطفال أمريكا ممن هم دون عمر 18 عاماً يعيشوا في أسرة أحادية الوالدين تعيّلها امرأة ليست من الوالدين. [Lindsey. 2011. P. 231] وبسبب تركيز الوسائل الإعلامية على معدل غير المتزوجين من الأمهات في العوائل ذات الأحادية الوالدين إلا إن الناس غالباً ما ينسوا بأن أحادية الوالدين تتضمن الوالدين المطلقين أو المرأة ذات التعليم العالي التي اختارت الأمومة على الزواج كذلك طالبات الجامعة في الدراسات العليا (ماجستير أو دكتوراه) والطموحات مالياً اللواتي يتبنينه الأطفال وعادةً يكونوا من البنات أو ممن يختاروا الأطفال عبر التلقيح الاصطناعي أو تأجير الأرحام أو بإقامة علاقات جنسية غير شرعية. جميع هذه الحالات تحدث فيها وجود امرأة لديها طفل أو أطفال خارج نطاق الزواج الشرعي أو بناء أسرة.

الأم العازبة ولديها أطفال لا تفضل اعطائهم الى ابيهم لأنها تعتبر هؤلاء جزءاً من حياتها وهي المسؤولة عنهم، أما المرأة التي تتبنى اطفالاً فإنها تتمتع برعايتهم وتربيتهم جميع هذه الحالات تعتبر أسرة ذات ولي أمر واحد أو أحادية الوالدين. ثمة حقيقة تقول بأن هبوط معدل الزواج رفع من معدل المعاشرة الجنسية غير الشرعية الذي بدوره زاد من معدل أسر أحادية الوالدين، علماً بأن ارتفاع معدل الولادات عند النساء غير المتزوجات لم يعوض هبوط الولادات عند النساء المتزوجات وهذا يشير الى ان النساء غير المتزوجات قد شاركن بشكل مباشر في زيادة الولادات مما ساعد ذلك على رفع معدل الفقر إذ ان أكثر من نصف الأطفال الذين يعيشوا بمستوى الفقر مع أحد الوالدين علماً بأن عدد الأمهات العازبات أكثر من عدد الآباء العزاب بمعدل أربعة الى واحد. بمعنى كل أربع أمهات عازبات يقابلهم أب واحد عازب. ثم ان نصف الامريكان من أصل افريقي تكون المرأة معيلة الأسرة وغالباً ما تكون الجدة. هذه الحالة نجدها حتى عند الآباء المطلقين. في الواقع ان عدد النساء الفقيرات العازبات من غير المتزوجات وأنجبوا أطفال هم في تزايد وصعود مستمر وأن نصف الآباء العزاب هم من المطلقين والنصف الثاني لم يتزوجوا قط. وإن نصف المطلقات من الأمهات العازبات وضعهم المالي أفضل من الأمهات اللواتي لم يتزوجن قط من حيث دخلهم المالي وامتلاكهم منزل خاص بهم. أما أطفال المطلقين الذين يعيشوا مع آبائهم فإن دخلهم 3/1 ثلث أعلى من الأطفال الذين يعيشوا مع أمهم. أخيراً نقول بأن معدل الفقر عند كل العوائل

ذات الأحادية في الوالدين في ارتفاع مستمر على الرغم من تعمق ورسوخ الركود الاقتصادي.

#### جدول رقم - 4 -

يوضح عوائل أحادية الوالدين التي تعيش مع أحدهم فقط وليس كلاهما معاً (أي مع الأب وحده أو الم وحدها) أحد الوالدين مع أطفالهما ممن هم دون سن 18 عاماً في المجتمع الأمريكي.

عام الزواج	عائلة بشريكين	عائلة مع الأم وحدها	عائلة مع الأب وحده
2008	25173	8374	2162
2005	25919	8270	2021
2000	25248	7571	1786
1995	25241	7615	1440
1990	24537	6599	1153
1980	24961	5445	616
1970	25541	2971	345
1960	23358	2099	232
1950	18824	1272	229

أخذ هذا الجدول من كتاب Lindsey. 2011. P. 231

#### 1 - عائلة أحادية الوالدين تعيلها الأم

لقد تفاقمت وانتشرت (في المجتمع الأمريكي) أسر أحادية الوالدين تعيلها وترعاها الأم أو الجدة ويكون الأب غير موجود بسبب الطلاق أو الوفاة أو الانفصال أو المعاشرة الجنسية غير الشرعية أو بسبب حب المرأة للأمومة أكثر من الزواج. هذا النوع من العوائل غالباً ما يكون دخلها واطى جداً وتعيش في مستوى فقر متدني حتى لو كانت هناك نفقة أو رعاية مشتركة مع زوجها المطلق فإن وضعها المالي يبقى ضعيفاً ومتدنياً بسبب ارتفاع مستوى العيش المستمر وتنوع تعدد احتياجات معيشة الأطفال صحياً وغذائياً واكسائياً علماً بأن عمل الأم خارج المنزل لا تحصل على أجور عالية لذا يكون وضع الأطفال الذين يعيشون مع أسرة يعيلها الأب تكون أحسن بكثير من أولئك الذين يعيشون مع أمهم وذلك لأن أجور عمل الرجل أعلى من أجور عمل المرأة وأنه من باب تحصيل حاصل هذه الشحة المالية يسبب امراض نفسية وعاطفية عند الأم العازبة وبالذات الأمهات المراهقات اللواتي لا يملكن تعليم متوسط والحالة تكون اسوء عند العائلة الامريكية من أصل

افريقي التي تكون الأم فيها غير متعلمة. اخيراً نقول بان الأم العازبة والمعيلة لأطفالها تعاني من مشاكل مالية ونفسية واجتماعية لا تشجعها بالخروج من أزمتها المعاشية الحادة.

## 2 - عائلة أحادية الوالدين يعيلها الأب

هذا النوع من الأسر الامريكية يكون الأب فيها هو المعيل والمتدبر منزلياً، إذ هناك 15% من جميع الأسر أحادية الوالدين يعيلها رجل، و4% من الأطفال يعيشوا مع ابيهم فقط. هذا النوع من العوائل في تزايد في المجتمع الأمريكي. أما عن مشاكل الأب الراعي فإنها تكون أقل من مشاكل الأم الراعية وبالذات عند الإباء الذين كانوا قبل الطلاق يقوموا بالتدبير المنزلي، اما بعد الطلاق فإن الأطفال يقوموا بمساعدة والدهم وبالذات البنت ولا توجد مشاكل مالية تواجهها هذه الأسرة مثلما تواجهها اسرة الأم المطلقة والعازبة لأن أجور الرجل في العمل أعلى من أجور عملها لذا لا يحتاج الى مساعدة خارجية من مصاريف اسرته ولا حتى في تدبير منزله. علماً بان الأب في رعايته هذه لأطفاله تجعل علاقته بهم أقوى وأمتن وتجعل وحدة اسرته أكثر تضامناً وتعاطفاً.

## الفصل الخامس

### قوى استرقاق المونثة الشمولي

استهلال

5 / أ - قوة الاسترقاق الشمولية الأولى: الدين

1 - التعاليم اليهودية

2 - التعاليم المسيحية

3 - مكانة المرأة في الدين الإسلامي

4 - الديانة الكونفوشيوسية في الصين

5 / ب - قوة الاسترقاق الشمولية الثانية: الثقافة الاجتماعية

1 - السلطة البطريقية - الذكورية

2 - وأدها (وأد البنت)

- 3 - ختانها
- 4 - كي صدرها
- 5 - تزويجها وهي قاصر
- 6 - عنوستها بسبب غلاء مهرها
- 7 - جريمة الشرف أو غسل العار
- 8 - العنف المكعب ضد الزوجة الهندية
- 5 / ت - قوة الاسترقاق الشمولية الثالثة: الحكومة
- 1 - العمل
- 2 - فجوة الأجرة
- 3 - السقف الزجاجي والسلم الزجاجي ذاتي الحركة
- 4 - التحول المضاعف

## الفصل الخامس

### قوى استرقاق المؤنثة الشمولي

#### استهلال

بالنظر لضخامة هذا الموضوع سنقوم بتقسيمه الى فصلين مترابطين يعرض الأول قوى استرقاقه شمولية البعد والعمق للمؤنثة من قبل الرجل وهي: -

- 1 - الدين
  - 2 - الثقافة الاجتماعية
  - 3 - الحكومة والتنظيمات الرسمية
- أما الفصل الثاني فيضم قوى استرقاقه ظرفية ومقطعية للمؤنثة من قبل الرجل وهي: -

- 1 - الفرد
- 2 - العصابة الإجرامية
- 3 - الصناعة التكنولوجية
- 4 - العولمة
- 5 - الحرب

نعني بعبارة الاسترقاق **Slavery** أي الامتلاك المزور باسم الدين والثقافة والحكومة من قبل الرجل في معاملة المؤنثة. تضمنت هذه القوى معاملة الانثى

تعاملاً امتلاكياً في عدم السماح لها بمشاركته ولا مشاطرته لها في علاقتهما مستخدماً تأويل وتجيير تعاليم الدين ومعايير وقيم الثقافة الاجتماعية وقوانين الحكومة لخدمة مصالحه واشباع غرائزه ورفع مكاناته واستعلاء اعتباره الاجتماعي وتضخيم نفوذه وثروته بذات الوقت جعل مكانتها متدنية تحت تسلطه وتابعة له. في الواقع هذا الامتلاك أوهنها (أضعفها) فتبلور اغتصابها. أعني الاستحواذ على حقوقها الإنسانية والجمالية والانجابية والتنشئية والمهنية والجنسية. إذن الاسترقاق استولد وَهَنَهَا وَيَسَّرَ اغتصابها فأضحت تابعة وخانعة ومنصاعة له.

إذن هناك ثلاثة قوى استرقاقية ذات بعد شمولي لها تأثير فعال وقوي على المؤنثة واعتبره (قسراً) مشرعاً (سواء كان مشرعاً عرفياً او وضعياً) له جذور تاريخية في التربة المجتمعية متوارثة، وضعها الرجال من أصحاب المواقع العليا والسلطة والنفوذ والثروة وهذا ما جعل مفاضلته على المرأة لا يقبل النقاش والجدال لا من المؤنثة ولا من جهة متعاطفة معها. هذه المفاضلة تمارس في الخلية الصغرى والمؤسسات والتنظيمات الكبرى تُلقن في الأسرة والمدرسة والجامعة ومكان العمل. لكن الأسئلة التي نطرحها أمام هذه القوى الثلاثة المتمثلة في انساق البناء الاجتماعي الرئيسية هي: هل الرب يخلق مخلوقة نجسه ومحتقرة وتمثل الخطيئة والمعيبة لتعبده؟ وتتجب أبناء؟ ألا تتجب أبناء مثلها مخلوقات نجسه ومنحطة ومحتقرة؟ هذا غير معقول. إن هذا التأويل المنسوب للدين صادر من رجال متسيسين بالدين يستخدمونه لرفع مقامهم وشأنهم باسمه لإطالة حكمهم وتسلطهم على المرأة التي تقوم باستمتاعهم وخدمتهم وإنجاب ذرية لهم، ألم يكن هذا استرقاقاً؟ ألم يكن هذا اغتصاباً قسرياً ظالماً لحقوقها الإنسانية والدينية والأسرية؟ وهل الرب يخلق أداة شيطانية وفتنة مهلكة وأصل الخطيئة وكارثة مرغوب فيها؟ إذا كان ذلك صحيحاً فإن معنى ذلك ستنجب أدوات شيطانية مثلها وكوارث وخطايا غير مرغوب فيها، وهذا غير معقول أيضاً. سؤالي كيف يسمح الرجل لنفسه أن يعيش مع أداة شيطانية وفتنة مهلكة وذات أصل خطيئى ومع كارثة غير مرغوب فيها؟ ويعاشرها وتنجب له اطفالاً يحملوا اسمه؟ إذن هذا التأويل الذي صدر من رجال متسيسين في الدين يستغلونه لتغطية استرقاقهم للمرأة واغتصاب حقوقها لخدمتهم. أي تحويلها الى مخلوقة لا حول لها ولا قوة مطيعة لهم باسم الدين وان الدين منهم براء لأن ذلك دس رخيص وتشويه علني لم تحاجهم المرأة بها لجهلها بذلك. لماذا لم تكن هناك نساء يقمن بالإرشاد الديني؟ لماذا لم يسمح لهنّ بذلك؟ هل الدين منعهم من ذلك؟ أو الرب حرّم عليهم ارشادهم الديني للناس لأنهنّ نساء؟ هذا كله افتراء

وتزوير للحقائق الدينية وإبعاد المرأة عنها من أجل جعل الدين ذكورياً مقصوراً على الرجال فقط وهذا لا يقبل به الرب لأن رسالته لكلا الجنسين دون مفاضلة جنس على الآخر لأنه رمز العدالة الربانية والمساواة بين عباده.

ولما كانت المرأة تمثل العفة والشرف ووأدها خوفاً من عدم قدرة الأسرة على عيشها وتمّ كي صدرها وتزويجها وهي قاصر خوفاً عليها وختانها وغلو مهرها كل ذلك بدعوى حمايتها والخوف عليها من الرجل إذن لماذا تصرّ وتؤكد الثقافة الاجتماعية على مر العصور بإذلال مكانتها وجعلها أدنى من مكانة الرجل؟ هنا أخاطب قوة الاسترقاق الشمولية الثانية وهي (الثقافة الاجتماعية) التي وضع معاييرها وتقاليدها وقيمها واعرافها وجميع ضوابطها العرفية رجالاً عاشوا في أزمنة غابرة تفاعلوا مع مؤثراتها وتواصلوا الى صياغتها والسير بموجبها انتقلت الى الأجيال اللاحقة عن طريق التنشئة الاجتماعية الشفهية دون تحويل وتغيير وهذا يجعلها لا تساير مجريات الحياة المتغيرة في الوقت الراهن.

الملفت للانتباه ان ضوابطها ألزمت الصمت وضبطت وعاقبت المرأة على مخالفتها لمعاييرها ولم تضبط أو تعاقب الرجل مثل: لماذا يطالب الأب أو الأخ بمهر عالي لأبنته أو أخته عند زواجها؟ ولماذا لا يتزوج الرجل البنت غير المختنة؟ ولماذا تكوي الأم صدر ابنتها المراهقة؟ لماذا لا يُعاقب الرجل الذي يتحرش بالمرأة ويغتصبها ويحافظ على جسدها الذي خلقه الله لها؟ لماذا يشوه بتر أحد أعضائها أو كيّه؟ كما هو سائد في المجتمعات الأفريقية الان. ولماذا يقتلها الرجل غسلاً للعار إذا سمع وشاية أو تهمة عليها؟ لماذا لا يعاقب الرجل الذي اعتدى عليها؟ جميع هذه التصرفات يقوم بها الرجل ليؤكد على قوته وذكوريته امام الأضعف والأرق مخلوقة التي لا تعرف العنف والعدوان انه يتصرف بعنف وبقسوة عليها بدعوى التزامه بقيمه الثقافية المتكلسة التي لا تصلح للضبط الحضري والإنساني. وطالما الثقافة إنسانية فإنها لا تشجع على القتل بل تُفسّر من قبل رموز المجتمع المحلي بذلك لإخافة وإرهاب المرأة أو النساء الأخريات من أجل دعم تسلطهم وجبروتهم عليها أو عليهم. ألم يكن هذا اغتصاب حقوقي؟ وهل الثقافة تفصل بين أفرادها على أساس الجنس؟ أم الرجال ابتكروا ذلك لتميزهم عليها باسم الثقافة؟ أقول جعلوا من الثقافة شماعة يعلقوا عليها اغتصابهم واسترقاقهم على المرأة، والمرأة خائفة وتابعة ومنصاعة له ضعيفة القوة لا تملك الجماعة النسوية الجريئة في صدّ ومنع هذه الممارسات عليها. لأنها توصم بأسوأ وأبشع الوصمات إذا فعلت لذلك تقبل بمكانتها المتدنية وخنوعها للرجل وهي على مضض.

ولماذا يتعامل معها بقسوة مهينة وهي أم اطفاله؟ وشريكة حياته؟ ومعين إدارة اسرته؟ ألم يكن هذا تناقض من قبل الثقافة الاجتماعية تتأرجح بين حرصها وخوفها على المؤنثة؟ وشرعنة معاملتها بقسوة وعنف وإذلال ومهانة وعدم احترام رأيها في الأسرة وعدم جعلها عنصراً فعالاً فيه؟ ألم يكن هذا اغتصاب لحريتها ومكانتها الاجتماعية؟ المغتصب هنا الثقافة ذاتها التي تحمّد وتجمّد المؤنثة في العلن أمام الناس لكن في المستتر والخفاء تعاملها معاملة متدنية. ألم يكن هذا نفاق ثقافي؟ استمر على مر الزمن عبر قرون وأجيال.

ننتقل الان الى قوة الاسترقاق الثالثة ذات البعد الشمولي في سعته ومستقبله يمارس في مؤسسات رسمية ذات منطق سليم وعقلية رشيدة ولكنها تتصرف مع المؤنثة المتعلمة والكفوة باستجابة طردية مع ما يقوم به رجال الديانات والثقافة الاجتماعية بشكل متناغم ومنسجم ومتجانس من خلال عدم منحها مواقع مهنية تتناسب طرداً مع مؤهلاتها العلمية والمهنية وخبرتها الوظيفية ويتم التعامل معها من مواقع فوقية متسلطة وعزلها في اقسام مهنية خاصة بها منفصلة عن الرجل في العمل مع غمط كفاءتها وحبب خبرتها لكيلا تحصل على أجور مالية عالية حتى لو كانت كفاءتها ومهارتها وخبرتها متساوية مع كفاءة الرجل ومهارته. فقط لكونها انثى حتى لو كانت من نفس العرق أو الرس أو القومية التي ينتسب اليها الرجل لكونها امرأة يحصل تعصب وتمييز ضدها بغض النظر عن كون المجتمع متقدم أو متطور أو مختلف أو نامي، الموقف ضدها يكون قائماً بدعوى انها كثيرة الإجازات والغيابات اثناء العمل وإن إنجازها أدنى من انجاز الرجل!!!

باختصار شديد، افتعلت التنظيمات الرسمية فجوتين الأولى مهنية، والثانية أجوريه بسبب كون الانثى امرأة فحسب!!! ألا يعتبر هذا اغتصاب استرقاقي لها؟ وهي مواطنة! لماذا تعاملوا معها على انها مواطنة من الدرجة الثانية أو الثالثة؟ وهي بنت البلد. هل هناك حقوق خاصة بمواطنه الرجال مختلفة عن حقوق مواطنة النساء؟ ألم يكونوا أصحاب المواقع القيادية والسيادية من ذوي المؤهلات الرفيعة؟ لماذا إذن لم يفكروا بالمساواة الجندرية؟ اين هي الوطنية؟ أن هناك استصغار واستخفاف بالمرأة قادم من خلفيات ثقافية سادت ثم بادت لا تتساير مع روح العصر؟ ألا يُشكل هذا إعاقة تنموية؟ وشّل نصف المجتمع في عدم مساهمتها في العملية البنائية؟ ألم تعني هذه ذكورية حكومية – رسمية علنية مشرعة؟

وعندما احتاجها الرجل في الاعمال المكتبية والهندسية ابقاها محافظة على عملها المنزلي والانجابي والرعايي للأطفال داخل المنزل ما يضاعف من متاعبها ومشاغلها وواجباتها (داخل أو خارج المنزل) ولم تعوض الحكومة ولا الشركات

الرسمية المرأة مالياً عند إجازاتها المطلوبة في رعاية أطفالها وحملها وولادتها. بل هناك الكثير من الدوائر والشركات ممن يقومون بفصل الأم إذا تكررت إجازاتها الأمومية وهذا اغتصاب لحقوقها المهنية المشروعة. عندها تمّ تحويل المرأة الى سلعة تباع وتشتري في السوق التجاري بل أن معظم عملها الإداري كان دوام جزئي وليس دوام كامل وبأجور واطئة الذي عبّر عن تعصب وتحييز ضدها وضعه الرجل للتحكم بها خارج المنزل اسوة بداخله.

خليق بنا أن نشير الى أن رجال الديانة اليهودية اعتبروا المرأة أصل الشر في العالم والمسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى وأنهم يزعموا هي السبب في خروج آدم عليه السلام من الجنة كذلك رجال الديانة المسيحية يقولوا ان حواء هي التي أخطأت اولاً ثم أغوت آدم فانقاد ورائها وأخطأ ثانية. لذلك كلاهما ينظر الى المرأة على أنها غير جديرة يجعل مكانتها منسقة موازية من مكانة الرجل ولم يعطوها حقوق مثل ما أعطوها للرجل. سؤالي هنا يقول: لماذا يقيس رجال الدين في اليهودية والمسيحية مكانة المرأة على مقياس ما ورائي - قديم؟ وحاسبوها على عمل لم تقم هي به ولا توجد صلة بينها وبين حواء، مجرد كونها انثى فقط. وهذا تفكير فح وعقيم لا يدل على تنور وفتح ذهني بل انه ذريعة ذكورية مغلفة بغلاف ديني يراد منها اذلال المرأة وتحقيرها واذعانها لهم. هذا جانب ومن جانب آخر ألم يكون انبياء الله متزوجين من نساء؟ ألم يعرف هؤلاء الأنبياء هذا الفعل الذي قامت به حواء؟ هل يصح ويُعقل زواج الأنبياء من الخطيئة الأولى والنجسة؟ لماذا لا ينظر رجال الدين اليهود والمسيحيين الى المرأة من خلال مشاركتها في بناء الأسرة والمجتمع وتربية أبنائها؟ ألم يكرمها الله من بين عباده؟ ولماذا يتزوج الرجل مخلوقة أدنى منه مكانة؟ ألم يكن هذا كلام مدسوس على الدين وكلام مشوه للديانات؟ وليس كلام الرب الذي لا يفاضل بين البشر ولم يبخس حقوق المرأة بل الرجال استخدموا هذا الحدث الذي قامت به حواء كذريعة لجعل المرأة في خدمتهم وتركيعها لأوامرهم وورغائبهم وسلطتهم.

لا أريد أن اترك هذا الطرح ما لم الخص جوهره بقولي إن حرص الرجل وخوفه على المؤنثة لا يبرر تعامله معها باستعلاء واستنقوا والنظر اليها بحب وشغف عند اشباع رغبته الجنسية وبعدها يتعامل معها تعاملاً فوقياً متسلطاً ومتسيداً مستغلاً جنسها ومهارتها لإشباع غرائزه وذكوريته المتفردة لا يريد أن تستغل المؤنثة ذكوريته في خدمتها وان حاولت فيكون العنف والقتل مصيرها وهنا لا يجد من يعارضه من أهله ومجتمعه على ذلك لأن مكانته الرجولية تسمح له بإذلال المؤنثة وتعهده عملاً مشرعناً ومدعوماً قيمياً وعرفياً. ألم يكن هذا استرقاقاً متعدد



القوى؟ بلورة لعزلها عن الثقافة الاصلية الأم. أي ثقافة فرعية في الأزياء والديكور والتجميل والأناقة والطبخ والتدبير المنزلي. أقول جعل لها ثقافة فرعية لا تختلف عن اعمالها المنزلية المعتادة والموروثة دون بلورة ثقافة مشتركة في الهندسة والطب والصيدلة والفلسفة والقانون والإدارة معه.

لقد حصل اغتصاب لحقوق المؤنثة من قبل رجال الدين والثقافة والحكومة جميعهم استخدموا العنف بالاستيلاء على حقوقها المشروعة في الحياة كإنسانة قهراً وظلماً وفرضوا عليها تسلطهم بالإكراه معتمدين عليها في الأسرة والعمل والأجور وهي تمثل أكثر من نصف المجتمع.

سوف اتناول بالتفصيل اعمال كل مغتصب بما قام به على المرأة لخدمة مصلحته الخاصة على حساب مصلحتها وكيانها وكرامتها فسلب حقوقها التي يفترض ان تكون موازية لحقوق الرجل فكانت هي الضحية الكبرى في المجتمع والقربان الأول للفرد وللأسرة.

## 5 / أ - قوة الاسترقاق الشمولية الأولى: رجال الدين

### 1 - تعاليم رجال الدين اليهودي

اغتصبت هذه التعاليم العديد من حقوق المؤنثة الإنسانية والاجتماعية جاعلة مكانتها أدنى درجة من مكانة الرجل ومخلوقة نجسه يجب تجنبها. في الواقع مهما كان السبب فهو ظلماً وقهراً لها لأنها لم تقترف ذنباً أو أي عمل مخترق لأي قانون وضعي أو عرفي أو ديني سوى كونها ولدت انثى خلقها الله انثى وهذا يعني عدم تقدير واحترام ما خلق الله وعدم شكره على ولادتها والخالق لا يخلق بشراً نجساً أو بغيضاً إنما رجال الدين أرادوا لها شراً واحتقاراً وازدراءً هذا لاحتقار لم يوصي به الرب ولم يخلقه لأنه خلق الرجل والمرأة دون تفريق بينهما. لكن تعاليم رجال الدين اليهودي أكدوا على اغتصاب حقوقها البشرية والإنسانية والاجتماعية على الرغم من انها رسّمهم وعرقهم، هؤلاء الرجال المدعين باليهودية ينظروا الى المرأة على انها أساس الخطيئة وأساس كل مصيبة وبسببها دخل الموت للعالم ولهذا عاقبها الله عقاباً ثلاثي الأبعاد: الولادة بالآلام والأوجاع والاشتياق للرجل ثم سيادته عليها. كذلك حرّم رجال الدين اليهودي الحائض التقرب من زوجها لمدة سبعة أيام ونجاستها تلوث وتفسد الأشياء التي تجلس عليها ونجسها بعد الولادة سبعة أيام في حالة ولادة مولود ذكر وعليها ان تبقى ثلاثة وثلاثين يوماً إضافية دون لمس أي شيء مقدس. كذلك قيدوا حرّيتها وجعلوها خاضعة للرجل لا يحق تطليق زوجها وهذا ما يجعلها خائفة لا يحق لها بالتحديث بحرية داخل منزلها.

فالنساء الخاضعات هنَّ البنت القاصر والزوجة والأرملة التي يتزوجها أخو المتوفي. أما النساء المستقلات فهنَّ البنت المحرره والمطلقة والأرملة العادية. ولكي نغوص أعمق في اغتصاب المرأة من قبل التعاليم اليهودية نقدم الدراسة التالية:

يُلزَم الحديث عن المرأة اليهودية في الموروث الديني اليهودي الانطلاق من التوراة باعتبارها مصدر أحكام اليهود وتشريعاتهم. والدراسة هنا تتناول النص التوراتي المتداول بمعزل عن الطرح القائل بصحة أو بعدم صحة ما ورد فيه، سواء من الناحية التاريخية أو الدينية. كما أن الاستشهاد بنصوص من التلمود من شأنه أن يوضح بشكل جلي مكانة ووضعيتها هذه المرأة في العهود القديمة للديانة اليهودية، وهي المكانة التي خضعت في جانب كبير منها لمفهوم الحاخامات اليهود وتاويلاتهم.

تبدأ التوراة الحديث عن المرأة لأول مرة كما يرى (فيليب حداد Philippe Haddad) من خلال رواية "الخلق". إذ نقرأ ما يلي: "فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملاً مكانها لحما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، ولحم من لحمي، هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت". وقد رأت العقيدة اليهودية في هذه الفواسيق (الآيات) مبرراً للتهجم على المرأة، واتهامها بالاعوجاج، وبتلك المكانة الدنيا والهامشية مقارنة بالرجل، لكونها خلقت من ضلع آدم ليس إلا.

وهذا الطرح القائل بكون حواء – المرأة خُلقت من ضلع آدم أقرّه العديد من المفكرين، مثل (ألكسندر روس Alexander Ross) الذي يرى أن "حواء خُلقت من ضلع آدم الأيسر، وكان هذا الضلع بمثابة الجانب الأضعف. لذلك وُصفت المرأة بالضعف وبالدونية". ولعل أبرز مثال على دونية المرأة ما يأتي في الصلاة اليومية التي يتلوها الرجل، إذ يقول: "مبارك أنت يا رب لأنك لم تجعلني لا وثنيا، ولا امرأة، ولا جاهلا". بينما تقول المرأة في هذه الصلاة: "مبارك أنت يا رب الذي خلقتني بحسب مشيئتك".

والمواقع أن نعتُ المرأة بهذه الصفة (الضعف)، يتضح أكثر من خلال الإصحاح الثالث من سفر التكوين، حيث تُحْمَلُ التوراة المرأة مسؤولية، بل خطيئة الأكل من الشجرة. فقد خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة، وسمح لهما بالأكل من ثمرها إلا الشجرة الموجودة في وسط الجنة، والتي يفرضي الأكل منها إلى رُقِيّ التفكير وانبثاق

أغطية الجهل. لذلك نهاهما الله عن الأكل منها قائلا: "... هل أكلت (الخطاب موجه لآدم) من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟" فأجاب آدم: "المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت". عقاب الرب لحواء- لأنها هي التي أغوت آدم- من خلال مخاطبتها: "تكثر أكلت حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود علي". وهكذا عاقب الله حواء عقابا ثلاثي الأبعاد: أن تلد بالألم، لكن في رأيي لا توجد امرأة لا تريد الولادة خوفا من الألم، وكذلك الاشتياق للرجل، وأخيرا سيادة هذا الأخير عليها.

فالتوراة - حسب هذا الإصحاح - تعتبر المرأة جنسا هشاً قابلاً للإغواء. فقد أغوت آدم، فأكلا من الشجرة المحرمة عليهما. وكانت بذلك سببا في غضب الرب، وإخراجهما، بل كل الإنسانية من الجنة. المرأة إذن أساس الخطيئة، وأساس كل مصيبة. وبسببها دخل الموت العالم. ولهذا عاقبها الله عقابا ثلاثي الأبعاد: الولادة بالآلام والأوجاع، والاشتياق للرجل، ثم سيادته عليها. وارتباطاً بالولادة، وما يتصل بها من نجاسة، فرضت التوراة قوانين مشددة على المرأة الحائض والنفساء. وهي قوانين خاصة بالطهارة. ففي سفر اللاويين، نجد أن المرأة الحائض محرمة على رجلها لمدة سبعة أيام. ونجاستها تلوث وتفسد الأشياء التي تجلس عليها. كما أن الرجل يصبح نجسا بمجرد ما يلامسها أو يمسك بالفراش الذي جلست عليه. هذه النجاسة تزول عن الرجل مع حلول المساء، كما أن الرجل الذي يجامع امرأة نجسة، يصبح هو الآخر نجسا لمدة سبعة أيام. وفي سفر اللاويين أيضا، تكون المرأة نجسة بعد الولادة لمدة سبعة أيام في حالة ولادة مولود ذكر. وعليها أن تبقى ثلاثة وثلاثين يوما إضافية دون لمس أي شيء مقدس، أو تدخل أماكن مقدسة طوال هذه الفترة. وفي حالة ولادة الأنثى، تظل المرأة نجسة أربعة عشر يوما، ثم ستة وستين يوما إضافية، ما معناه ثمانين يوما على هذا الحال السابق. وهكذا يصبح "سن الإنجاب - كما ترى (سوزان نيديتش - Susan Niditch) شهادة على نجاسة المرأة. هذه النجاسة مصاحبة للحالات النفسية والبدنية التي تمر منها المرأة أثناء الحمل والولادة. وعلى هذا الأساس، تكون المرأة مصدر خطر وقوة ونجاسة كل شهر. نجاسة قد تنتشر، وتفسد كل شيء. جاعلة من الارتباط الديني بين الإنسان والله أمرا مستحيلا. ولهذا تبقى المرأة من وجهة نظر كهنوتية دون قيمة في أغلب مظاهر الحياة الدينية. وبعد كل هذا، هذه هي الثقافات التي تجعل من النساء القادرات على الإنجاب غير مؤهلات، وغير فاعلات في المجال الديني".

وفي هذا الإطار، أشار (سويلدر) أيضا إلى أن "المرأة الحائض – وتجنب أي تعامل معها – كانت تُنفي أحيانا إلى بيت يسمى (بيت الدناسة) طوال فترة المحيض".

وحتى تتضح الصورة أكثر، أنتقل إلى عرض قصة من قصص النساء كما وردت في التوراة، ثم محاولة استقراء ما تحمله من دلالات ومعان.

ففي سفر التكوين قرر (أبرام) – الذي سيصبح اسمه أبراهام فيما بعد – الهجرة إلى مصر مع زوجته (ساراي) بسبب المجاعة التي حدثت في فلسطين. وبعد عودتهما إلى فلسطين، لم تلد له بنينا لأنها كانت عاقرا. فقالت ساراي لأبرام: "هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة، أدخل على جاريتي لعلني أرزق منها بنين"، فسمع أبرام لقول (ساراي). فأخذت (ساراي) امرأة (أبرام) (هاجر المصرية) جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة (أبرام) في أرض كنعان، وأعطتها (أبرام) رجلها زوجة له. فدخل على (هاجر) فحبلت، ولما رأت أنها حبلت، صغرت مولاتها في عينها". فهذا النص يصور المرأة كأنها شيء غير جدير بالتقدير والاحترام، وما عبارة "صغرت مولاتها في عينها" إلا دليل على ذلك. كما أن (ساراي) جعلت من (هاجر) وسيلة لتحقيق مصلحتها "لعلني أرزق منها بنين"، مما يتنافى مع العبارة السابقة "وأعطتها لأبرام زوجة له". وحين ولدت (هاجر إسماعيل)، أدلتها (ساراي)، فهربت. فخاطبها الرب قائلا: "ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها". ولم يخاطبها باعتبارها زوجة (أبرام). كما أن (أبرام) هو الآخر لم يعترف (بهاجر) كزوجة، حين خاطب (ساراي): "هو ذا جاريتك في يدك، افعلي بها ما يحسن في عينيك".

### المرأة اليهودية في التلمود

يوحي الاطلاع على فصول المشنا باعتبارها جزءاً مهماً من التلمود على وجود اختلاف في النظرة إلى النساء، من خلال الحديث عن بعض النساء المستقلات، وأخريات خاضعات. وهذا التقسيم أشارت إليه (جوديث رومي ويكر Judith. R. Wegner) من خلال قولها إنه: "في الجانب الخاص بوضعية الأفراد، تقسم المشنا النساء إلى قسمين متناقضين: قسم خاضع، والآخر مستقل. وكل قسم يُقسّم هو الآخر إلى ثلاثة أجزاء، تتحدد استنادا إلى طبيعة الرقابة الجنسية والوظيفة المفروضة على النساء. ومما لا شك فيه أن تقسيم النساء إلى هذين القسمين قد ارتكز على وضعيتهن الاجتماعية، وما يستتبع ذلك من حقوق وواجبات، ونظم الطهارة. وفي هذا الصدد أشار (جاكوب نوسنر Jacob Neusner) إلى أن

"الرؤية الاجتماعية لليهودية المشنوية تشمل قضايا النوع Gender ، والبنية الاجتماعية، والغنى، والتعاملات الخاصة، فضلا عن نظام الطبقات الاجتماعية" وهكذا، فالنساء الخاضعات هن: البنت القاصر، والزوجة، والأرملة التي يتزوجها أخو المتوفى. أما النساء المستقلات فهن: البنت المحررة، والمطلقة، والأرملة العادية. وحتى يتضح هذا التقسيم أُورد هنا بعض نصوص المشنا التي تُعَلِّل ازدواجية هذه الصورة: خضوع واستقلال، أو بالأحرى الصورة السلبية، والصورة الإيجابية اللتين رسمتهما المشنا عن المرأة.

وبخصوص الجوانب الإيجابية، تتمتع المرأة مثل الرجل، بالاستقلالية في مباشرة خطبتها أو تعيين من يمثلها: "يخطب الرجل بنفسه، أو بمبعوثه، وتخطب المرأة بنفسها، أو بمبعوثها".

وإذا قرر الزوج تطليق زوجته بسبب شكِّه في زناها، فالمشنا تفرض وجود دليلين أو شاهدين على ذلك: "ومن ارتاب بزوجه: يقول (رابي أليعيزر): إنه يرتاب بها بشهادة اثنين. ويسقيها بشهادة واحد". فالنص المشنوي هنا يمنح للمرأة قيمتها المعنوية حين يعترف لها بهذا الحق أثناء الزواج.

وحتى إن تم الطلاق، فبإمكان المرأة أن تطالب بتعويض عنه، أو عن التَّرْمُل. ففي فصل كتوبات: "فإذا آمت المرأة، أو طلقت، وقالت للورثة أو للزوج: تزوجتني بكرا. وقال الزوج لها: ليس كذلك بل تزوجتك ثيبا"، فإذا كان ثمة شهود يشهدون أنها خرجت في تخت روان حاسرة الرأس، فإن صداقها مئتا دينار. كما أن المرأة تنوب عن زوجها في بيع سلعه: ومن نصَّب زوجته مديرة لحانوت، أو عَينها ناظرة وصية، فله الحق في تحليفها اليمين متى شاء. يقول (رابي أليعيزر) "حتى على مغزلها، وعلى عجبتها".

لكن إذا انتقلنا لاستكشاف تلك الصورة السلبية، والحديث عن المرأة الخاضعة، نجد أن أخ الزوج المتوفى يرث الوظيفة الجنسية لأرملة أخيه، التي لا يمكنها الزواج حسب رغبتها: فُرض على أكبر أخ أن يتزوج أرملة أخيه، فإذا رفض، عرض زواجها على جميع الإخوة على التوالي: فإذا رفضوا، أُعيد العرض إلى الأكبر، فيقال له: عليك فرض، فإما خلع النعل، وإما الزواج بأرملة أخيك . وبهذا الخصوص ترى (باسكين) أن "شخصية هذه الأرملة بمثابة تضحية لوظيفتها الاجتماعية الجنسية. ولهذا، فالنظام المشنوي يربط بشكل مطلق الهوية الاجتماعية للمرأة بامتلاك جنسانيتها".

كما تلقى المرأة معارضة في المجال الديني من طرف العلماء، إذ يمنع عليها هؤلاء دراسة التوراة يقول (الرابي أليعزر) "كل من علم بنته التوراة، فكأنه علمها الدعارة". فحرمان المرأة من دراسة التوراة يعني حرمانها من الرأسمال الرمزي الذي يكسبها سلطة ونفعا ماديا ومعنويا، في مستوى معرفة الدين وأموره. فلكون التوراة تشريع لواجبات وحقوق المرأة، فإن دراسة المرأة لها يكسبها معرفة بحقوقها. إلا أن الرّبيين يحرمونها من ذلك حتى لا تستفيد من تلك الحرية السلبية كلما فكّرت في الطلاق أو الشقاق. لكن علماء التلمود لم يفكروا في الجانب الإيجابي في تعلم المرأة وتفقهها، والذي سيجعلها تُسهم إلى جانب الرجل في سيادة الشريعة السماوية، ونشرها واستعمالها لجلب المنفعة للفرد والأسرة والمجتمع.

وفضلا عن هذه الصورة التي تجعل من المرأة مقيدة الحرية وخاضعة، يمكن ذكر مسألة أخرى، وهي أن قانون المشنا لا يخول للزوجة تطليق زوجها. فهذا الأخير هو الذي يُحوّل له هذا الأمر، لأسباب تجعل من المرأة بشكل عام عنصرا خاضعا لا يُسمح له حتى بالتحدث بحرية داخل منزلها، أو التمتع بقسط من هذه الحرية في الشارع، مما يجعل من التساؤل حول سبب فرض هذا القانون على المرأة دون الرجل أمرا مشروعاً. ففي فصل كتوبات، تُطلق المرأة إذا خرجت فارغة الرأس، أو غزّلت في الشارع. أو تحدثت مع أي إنسان... يقول (رابي طرفون) "وكذلك كانت امرأة عالها". ومن العالة؟ كل من تكلمت داخل بيتها فسمع جيرانها صوتها.

يتبين إذن أن إقبال المرأة المتزوجة على إصدارها لصوت عال ولو من داخل منزلها، سيُعرضها للطلاق بحكم النص التشريعي الأنف الذكر. وهذا يجعل من اليهودية الرّبية تتحكم في جسد المرأة وتحد من أنشطتها التي تجعلها محصورة داخل المنزل فقط. فالمرأة الفاضلة حسب اليهودية الرّبية هي التي تقوم بواجباتها العائلية، والطبيعية خاصة (الولادة) مع منع صارم للاتصال بالرجال.

[<https://religmag.wordpress.com>]

## 2 - التعاليم المسيحية

تعاملت الديانات السماوية مع المؤنثة من خلال حواء التي اغواها الشيطان وسبباً في هبوطها مع آدم من الجنة وبناءً على ذلك ظهر حقد الطوائف المسيحية على المرأة فاغتصبوا وجودها ومشاركتها للرجل في بناء الأسرة والمجتمع وكل ما تقوم به في الحياة الاجتماعية فوصفوها بأبشع الأوصاف واسوء الوصمات المكروهة مثل قولهم عن الجندر بأنه مخالف للطبيعة والفطرة الإلهية وانها تهدد مستقبل الأبناء وأن المرأة أصل الخطيئة وأداة الشيطان وشر لا بد منه واغواء

طبيعي و كارثة مرغوباً فيها وخطر منزلياً وفتنة مهلكة وشرأ عليه طلاء وغيرها من النعوت الجارحة والسيئة.

فالعقيدة الكاثوليكية الرومية تعزز مفاضلة الذكر على المؤنثة في كافة المؤسسات الاجتماعية إذ تسمح بتسلط الرجل على ربة المنزل والتذرع بالقيود الاجتماعية والاقتصادية والجنسية وباقي أنماط العيش في اذلال المؤنثة بذات الوقت فإن انوثة المؤنثة تتطلب منها تمجيد دور الأمومة وتحمل تعاسة زوجها وقسوته عليها وان لا تتذمر بل تسكت وتصمت إزاء ما يقوم به الرجل تجاهها. هذه الصفات المؤنثة سائدة الان عند جميع المؤنثات اللاتينيات في سلوكهم وتفكيرهم لكن هذه المتطلبات الدينية غير واردة عند الذكور في أمريكا اللاتينية لأنه متعالي عليها ومتسلط على مكانتها ودورها الاجتماعي وللمزيد من المعلومات عن اغتصاب حقوق المؤنثة من الديانة المسيحية نذكر الدراسات الآتية:

الهجوم الذي شنه بابا الفاتيكان فرانسيس على (نظرية الجندر)، أثناء حديثه أمام جمع من الكاثوليكين بجمهورية جورجيا، معتبرا أنها جزء من (حرب شاملة) على مؤسسة الزواج والأسرة، أثارت حالة من ردود الأفعال المتباينة في وسائل الإعلام الغربية، خاصة في ظل ما هو معروف عن البابا من التهاون مع قضية المثلية الجنسية، مقارنة بمن سبقوه من الباباوات.

وكان البابا قد صرح بأن نظرية الجندر تخالف قوانين الطبيعة والفضرة الإلهية، وأنها تهدد مستقبل الأبناء والأطفال ودعا إلى ضرورة التوعية السليمة في المدارس، كي لا تكون نظرية التحول الجنسي أساس التعليم، حيث إنه ستكون لذلك عواقب وخيمة على الأجيال الصاعدة، وعلى استمرار التناسل البشري في هذا الكون.

واعتبر فرنسيس أن تعليم نظرية التحول الجنسي للأطفال هي بمثابة استعمار أيديولوجي، وبأن هذه النظرية تحولت إلى عقيدة خطيرة تفكك مفهوم الذكر والأنثى، وهو ما يتنافى أيضا مع مفهوم الكنيسة للرجل والمرأة والأسرة.

هذه التصريحات دفعت للتساؤل حول حقيقة موقف الكنيسة من قضايا المرأة والأسرة، في ظل تعارضها مع تصريحات سابقة لرجال دين مسيحيين؟

لقد كانت الكنيسة ولا تزال طرفا في حالة من الجدل العام، حول عدد من القضايا الاجتماعية الحساسة، المرتبطة بأيدولوجية الحركة النسوية، نحو قضايا زواج المثليين، وتغيير الجنس، والإجهاض، وأشكال الأسرة غير التقليدية، والتلقيح الصناعي، ومنع الحمل، لكن لفهم تناقضات الكنيسة واضطراب مواقفها تجاه هذه

القضايا، لا بد من إلقاء الضوء أولاً على موقف الكنيسة التاريخي من قضايا الزواج والأسرة.

### الكنيسة والمرأة في عصر الآباء

كان آباء الكنيسة المسيحية الأوائل يرون أن المرأة أصل الخطيئة، وأداة الشيطان؛ لذلك كانت تعامل بامتهان شديد، وينظر إليها القساوسة وعلماء الدين كما لو كانت (شراً لا بد منه، وإغواء طبيعياً، وكارثة مرغوباً فيها، وخطراً منزلياً، وفتنة مهلكة، وشراً عليه طلاء).

يعتقد القساوسة أنه بسبب حواء، خسر الجنس البشري جنات عدن، لذلك فهي أداة الشيطان المحببة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم. وكان (تومس أكويناس) ينزلها من بعض النواحي منزلة أقل من منزلة الرقيق، حيث يقول: "إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها، والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها، كما أن الله مبدأ كل شيء ومنتهاها، وقد فرض الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة، أما العبد فليس كذلك.. ويجب على الأبناء أن يحبوا آباءهم أكثر مما يحبون أمهاتهم".

ويقول (بولس الرسول): "لست أذن للمرأة أن تُعَلَّم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء وأدم لم يُغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي".

وبما أن المرأة في نظرهم بهذا السوء والحقارة، فقد حثت أناجيلهم على الرهبانية، قال تعالى: "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ" (سورة الحديد: 27) وترك الزواج هرباً من ربة الشيطان (المرأة). قال (بولس): "حَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً" ويقول: "أقول لغير المتزوجين وللأرامل: إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوّج أصلح من التحرق" ولإذلالها فهي مأمورة بالسكوت، يقول (بولس) أيضاً: "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن في الكلام".

قد أثمرت تلك التعاليم (المقدسة!) في العالم المسيحي الاحتقار والازدراء للأنثى، بل والتقدّر منها، واستمع لبعض النماذج ومنها ما قاله (يوحنا الملقب بفم الذهب): "المرأة خطر أسري وسيئة مصورة".

بل إن المرأة عندهم ليست بكائن بشري! إذن فهي لا تستحق الإنسانية، فقد أعلن (البابا اينو سنسيوس الثامن) في (1484م) "إن الكائن البشري والمرأة يبديان نقيضين عنيدين!".



"وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع مجمع ماكون الكنسي، لبحث ما إذا كانت المرأة روحاً أم جسداً لا روح فيه. وأخيراً قرر رجال الكنيسة مجتمعون أن المرأة خلو من الروح الناجية - من عذاب جهنم - ما عدا أم المسيح عليه السلام".

### الكنيسة والمرأة في العصور الوسطى

وفي القرون الوسطى ساء وضع المرأة جداً في المجتمعات المسيحية، حتى أصبح من حق الزوج أن يبيع زوجته كما تباع الحيوانات بحسب القانون، وذلك حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر!.

وقد كتب أسقف فرنسي في القرن الثاني عشر: "إن كل النساء بلا استثناء مومسات، وهن مثل حواء سبب كل الشرور في العالم!"

وقال الأب (جريجوري توماركوس): "لقد بحثت عن العفة بينهن فلم أعر على أي عفة!".

وقال (ترتليان): "أنتن أيتها النساء مدخل للشيطان، أنتن اللاتي قطفتن من تلك الشجرة الممنوعة... أنتن اللاتي خدعتن آدم... وحتى موت ابن الله يرجع إلى عملكنّ الشنيع!".

وهذه النظرة ليست خاصة بالكاثوليك أو الأرثوذكس، بل حتى ما يسمون بالإصلاحيين البروتستانت لم يستطيعوا الانفكاك من وصمة الكتاب المقدس للمرأة بالاحتقار والانحطاط والاضطهاد، فهذا مارتن لوثر (ملهم البروتستانت) يقول: "إذا تعبت النساء، أو حتى متن، فكل ذلك لا يهم، دعهن يمتن في عملية الولادة، فلقد خلقن من أجل ذلك!" وهذه المتلازمة (نقمة جنس الأنثى) ماثوثة في أسفار العهد القديم والجديد على السواء!.

وفي عام (1500م) تشكل مجلس اجتماعي في بريطانيا لتعذيب النساء! وقد ابتدع ذلك المجلس وسائل جديدة بشعة لهذه السادية المرضية، وقد أحرقت آلاف النساء حتى الموت بجريرة أنهن بنات حواء! وكان الذكور (وليس الرجال) يتلذذون بسكب الزيت المغلي على أجسادهن العارية البائسة!.

كما أصدر البرلمان الإنجليزي في عصر هنري الثامن ملك إنجلترا، قراراً يحظر على المرأة أن تقرأ العهد الجديد لأنها كائن نجس!.

وللعلم فقد كانت النساء غير معدودات من ضمن المواطنة بحسب القانون الإنجليزي، وليس لهن حق الملكية البتة! وكان هذا القانون الجائر معمولاً به حتى منتصف القرن التاسع عشر! (أي أنهن معدودات من فئة الحيوان لا الإنسان! أو من فئة الإماء والعبيد لا الأحرار!).

وفي عام (1567م) صدر قرار من البرلمان الإسكوتلندي بأن المرأة لا يجوز أن تُمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء.

أما القانون الفرنسي فقد نصت المادة (217) على ما يلي: "المرأة المتزوجة - حتى لو كان زواجهما قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكيتها زوجها - لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنتقل ملكيتها، ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد، أو موافقته عليه موافقة كتابية!".

هذه النظرة الكنسية للمرأة دفعت النساء في المجتمعات النصرانية إلى التمرد على سلطة الكنيسة، وأوجدت حالة من الصراع بين رجال الدين والمرأة، ونفور النساء من التعاليم المسيحية، الأمر الذي انعكس على علاقة المرأة بالكنيسة في عصر النهضة والتنوير. [http://www.lahaonline.com]

عندما يتحدث الغرب المسيحي خصوصاً عن المرأة وحقوقها والمكانة التي وصلت إليها يخيل إليك أنه فعلاً أصبحت المرأة مساوية للرجل في كل شيء، والذي يتابع الواقع المعاشي في أوروبا وأمريكا ويدقق النظر في الملفات المطروحة لدى المحاكم سينبهر من الكم الهائل من القضايا التي تناقش موضوع التحرشات الجنسية والاعتداء والاعتداء على المرأة. وكما نرى من خلال الاستغلال المادي ما تقوم به الشركات المنتجة للسيارات عندما تعرض منتوجها الجديد مرفقاً بامرأتين تقومان أيضاً بعرض اجسامهم أمام الزبائن، ناهيك عن سباق الفورمولا وان ولنعرف السبب وراء هذا التحقير المبالغ فيه من الرجل المسيحي للمرأة لا بد من الرجوع الى أصل المشكل. سيقول البعض ان الغرب ليست له أية علاقة بالمسيحية وأنا أقول إن الذي هذا هو اعتقاده فليعلم أنه على خطأ. وكما نرى من خلال على تشبث الغرب بالمسيحية حتى وإن ظهر غير ذلك ما يردده الأمريكيون عندما ينتهون من النشيد الوطني. أتدرون ما هي الجملة التي يختمون بها.... الرب يبارك أمريكا.... أليست هذه مسيحية.

### المرأة كما يراها عيون النصرانية... من نصوص كتابهم المقدس!!

كان بولس يعتبر النساء أقل منزلة من الرجال، فهو القائل: "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهنّ الكلام. بل أمرنّ أن يخضعنّ بالطاعة، هكذا تأمر الشريعة، فإن أردنّ أن يتعلمنّ شيئاً ليسألنّ رجالهنّ في المنزل، لأنه من المعيب للمرأة أن تتكلم في الكنيسة". [رسالة بولس الأولى الى كورنثيوس 14: 34]

عيب وعار على المرأة أن تتكلم داخل الكنيسة.... نعم المساواة وكتب أيضاً: "لا أسمح للمرأة أن تعلم ولا أن تغتصب السلطة - من الرجل - ولا تتسلط، وعليها أن تبقى صامتة، لأنّ آدم كوّن أولاً، ثمّ حوّاء. ولم يكن آدم هو الذي انخدع بل

الْمَرْأَةُ انْخَدَعَتْ، فَوَقَعَتْ فِي الْمَعْصِيَةِ." [الرسالة الأولى الى تيموثاوس 2: 12 - 14].

المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل مغتصبة السلطة من الرجل الألماني المسيحي. وبسبب نظرة العهد الجديد الدونية للمرأة حصلت في العصور المسيحية كراهية شبه رسمية للمرأة واعتبرت مصدراً للشر، واما العمل الجنسي فكانوا ينظرون اليه كشيء منحط.

**المرأة ليست مجد الله!!**

قال بولس في رسالته الأولى الى كورنثوس (11: 7) "الرَّجُلَ عَلَيْهِ أَلَّا يُغَطِّيَ رَأْسَهُ، بِاعْتِبَارِهِ صُورَةَ اللَّهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. 8 فَإِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ وُجِدَتْ لِأَجْلِ الرَّجُلِ."

**المرأة دون الرجل**

قال بولس في رسالته الأولى الى كورنثوس (11: 3 - 9): "أريد ان تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة هو الرجل، ورأس المسيح هو الله... كل امرأة تصلي أو تتنبا ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقه شيء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطي فليقص شعرها... الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل...".

**هنا بولس يدعو المرأة لارتداء الحجاب....؟؟؟**

وإيكم نصوصاً أخرى تؤكد النظرة الدونية للمرأة في الكتاب المقدس  
المرأة المطلقة لا تتزوج!!

جاء في انجيل متى (5: 27 - 32)

"وقبل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم: أن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني، ومن تزوج من مطلقة فإنه يزني".

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق، فهل من مصلحة المرأة المطلقة ألا تتزوج؟! فأين إنسانية المطلقة؟ أين حقها الطبيعي في الحياة؟ لماذا تعيش منبوذة جائعة متشوقة للزواج ولا تستطيعه؟

**أحكام الحائض في الكتاب المقدس**

يقول كتاب سفر اللاويين (15: 19): "19 وَإِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْثِهَا، وَكُلُّ مَنْ يَلْمَسُهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 20 كُلُّ مَا تَنَامُ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ

حَيْضَهَا أَوْ تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا، 21 وَكُلُّ مَنْ يَلْمَسُ فِرَاشَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا، 22 وَكُلُّ مَنْ مَسَّ مَتَاعًا تَجْلِسُ عَلَيْهِ، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 23 وَكُلُّ مَنْ يَلْمَسُ شَيْئًا كَانَ مَوْجُودًا عَلَى الْفِرَاشِ أَوْ عَلَى الْمَتَاعِ الَّذِي تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 24 وَإِنْ عَاشَرَهَا رَجُلٌ وَأَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ طَمْثِهَا، يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَكُلُّ فِرَاشٍ يَنَامُ عَلَيْهِ يُصْبِحُ نَجِسًا".  
والأغرب من هذا أنها حتى تتخلص من نجاستها عليها أن تذهب الى الكاهن بفرخي حمام!!

يقول كاتب سفر اللاويين (15: 29): "وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما الى الكاهن الى باب خيمة الاجتماع. 30 فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطيئة والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها".

إن هذا المشهد مع ما فيه من إحراج للمرأة وهي ذاهبة الى الكاهن وبيدها فرخي حمام، فكل من يراها سيعلم أنها في أيام طمئتها، كم سيكون موقفها محرج والناس ترمقها بنظراتها المسمومة وما أظن أن أي امرأة عندها ذرة من الحياء إلا وتتمنى أن تبلعها الأرض في هذا الموقف الحرج، اللهم إلا إذا أراد الكتاب المقدس قتل حيائها.

والمدهش إن هذا الحيض الذي يأتيها من عند الله، (وهذا تكوين وخلق الانثى) تكون خاطئة بسببه وعليها أن تتطهر من ذنبها!!! فلك أن تتخيل المرأة يأتيها الطمث لمدة سبعة أيام تكون فيها نجسه ومنبوذة من الآخرين ثم تستمر فترة نجاستها أسبوع اخر أي نصف شهر وهذا يعني نصف السنة ونصف عمرها تكون نجسة منبوذة!  
**أحكام مضاجعة المرأة**

يقول سفر اللاويين (15: 18): "18 وَإِذَا عَاشَرَ رَجُلٌ زَوْجَتَهُ يَسْتَحِمَّانِ كِلَاهُمَا بِمَاءٍ وَيَكُونَانِ نَجِسَيْنِ إِلَى الْمَسَاءِ".  
**الحكمة من وراء آلام الولادة**

جاء في سفر التكوين (3: 16) قول الرب لحواء حين أغوت آدم: "ثُمَّ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: "أَكْثَرُ تَكْثِيرًا أَوْجَاعَ مَخَاضِكَ فَتُنْجِبِينَ بِالْآلَامِ أَوْلَادًا، وَإِلَى زَوْجِكَ يَكُونُ اسْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَتَسَلَّطُ عَلَيْكَ".

**صمت المرأة!!**

قال بولس في رسالته الأولى الى كورنثوس (14: 34): "لَتَصُتِ النِّسَاءُ فِي الْكَنَائِسِ، فَلَيْسَ مَسْمُوحًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ، بَلْ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُنَّ خَاضِعَاتٍ، عَلَى حَدِّ مَا

تُوصِي بِهِ الشَّرِيعَةُ أَيْضاً. 35 وَلَكِنْ إِذَا رَغِبْنَا فِي تَعَلُّمِ شَيْءٍ مَّا، فَلْيَسْأَلْنَا أَرْوَاجَهُنَّ فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهُ عَارٌّ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي الْجَمَاعَةِ".

فالرجل هو وحده المُعَلِّم، وهو الذي يفهم وهو الذي عليه أن يتكلم، أما الخادمة زوجته فتفعل فقط ما يملئها عليها زوجها، وتعلم فقط ما عمله وفهمه زوجها.... نحن نسأل هل التزمت الكنيسة بهذه التعاليم؟ إننا نجد المرأة تتكلم بل تغني وبصوت مرتفع في الكنائس، فلماذا تخالف الكنيسة تعاليم بولس وتسمح للمرأة أن تتكلم وتغني في الكنيسة؟

### نجاسة الانثى ضعف نجاسة الذكر في الكتاب المقدس

يقول كاتب سفر اللاويين (12: 1 - 5): " إذا حبلت امرأة وولدت ذكراً، تكون نجسة سبعة أيام... ثم تقيم ثلاثة وثلاثين في دم تطهيرها. وإن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين.... ثم تقيم ستة وستين يوماً في دم تطهيرها".

### الميراث للذكور فقط في الكتاب المقدس

يقول كاتب سفر التثنية (21: 15 - 17): " 15 إِنْ كَانَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجاً مِّنْ امْرَأَتَيْنِ، يُؤْتِرُ إِحْدَاهُمَا وَيَنْفُرُ مِنَ الْآخَرَى، فَوُلِدَتْ كِلْتَاهُمَا لَهُ أَبْنَاءً، وَكَانَ الْإِبْنُ الْبِكْرُ مِّنْ إِنْجَابِ الْمَكْرُهَةِ، 16 فَحِينَ يُورَعُ مِيرَاثُهُ عَلَى أَبْنَائِهِ، لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الزَّوْجَةِ الْآثِيرَةِ لِيَجْعَلَهُ بَكْرَهُ فِي الْمِرَاثِ عَلَى بَكْرِهِ ابْنِ الزَّوْجَةِ الْمَكْرُوهَةِ. 17 بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرَفَ بِبِكُورِيَّةِ ابْنِ الْمَكْرُهَةِ، وَيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ، لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَظْهَرِ قُدْرَتِهِ، وَلَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ".

### الانثى لا تراث إلا عند فقد (فقدان) الذكور في الكتاب المقدس

جاء في سفر العدد (27: 1 - 11): " وَأَقْبَلَتْ بَنَاتُ صُلْفَحَادَ... 2 وَوَقَفْنَ أَمَامَ مُوسَى وَالْعَازَارَ الْكَاهِنِ، وَأَمَامَ الْقَادَةِ وَالشَّعْبِ، عِنْدَ مَدْخَلِ خَيْمَةِ الْجَمَاعَةِ وَقُلْنَ: 3 "لَقَدْ مَاتَ أَبُوْنَا فِي الصَّحْرَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا مَعَ فُورَاحَ وَتَمَرَّدُوا ضِدَّ الرَّبِّ، بَلْ بِخَطِيئَتِهِ مَاتَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْقَبَ بَيْنَ. 4 فَلِمَاذَا يَسْتَفُطُّ اسْمُ أَبِيْنَا مِنْ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلَفِ ابْنًا؟ أَعْطِنَا مُلْكًا بَيْنَ أَعْمَامِنَا". 5 فَرَفَعَ مُوسَى قَضِيَّتَهُنَّ أَمَامَ الرَّبِّ. 6 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 7 " إِنْ بَنَاتُ صُلْفَحَادَ قَدْ نَطَقْنَ بِحَقِّ، فَأَعْطِيَهُنَّ نَصِيبًا مُلْكًا لَهُنَّ بَيْنَ أَعْمَامِهِنَّ. انْقُلْ إِلَيْهِنَّ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ. 8 وَأَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ أَيُّ رَجُلٍ يَمُوتُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُخْلَفَ ابْنًا، تَنْقُلُونَ مُلْكَهُ إِلَى ابْنَتِهِ. 9 وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ابْنَةٌ تُعْطُونَ مُلْكَهُ لِإِخْوَتِهِ. 10 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِخْوَةٌ، فَأَعْطُوا مُلْكَهُ لِأَعْمَامِهِ. 11

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَامٌ، فَأَعْطُوا مَلَكَهٗ لِأَقْرَبِ أَقْرَبَائِهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَبِئْرْتَهُ. وَلَنْتُكُمْ هَذِهِ فَرِيضَةً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى."

**الكتاب المقدس يعطي للرجل الحق في أن يبيع ابنته!**

قال الرب في سفر الخروج (21: 7): " إِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ كَأَمَةٍ فَإِنَّهَا لَا تُطْلَقُ حُرَّةً كَمَا يُطْلَقُ الْعَبْدُ".

**الكتاب المقدس يفرض على المرأة أن تتزوج أخو زوجها إذا مات زوجها!!**

(تثنية 25: 5 – 10): (إِذَا سَكَنَ أَخُوهُ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ فَلَا تَصِرْ امْرَأَةُ الْمَيِّتِ إِلَى خَارِجِ لِرَجُلٍ أَجْنَبِي. أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً وَيَقُومُ لَهَا بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. 6 وَالْبِكْرُ الَّذِي تَلِدُهُ يَقُومُ بِاسْمِ أَخِيهِ الْمَيِّتِ لِئَلَّا يُمَحَى اسْمُهُ مِنْ إِسْرَائِيلِ. 7 " وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الرَّجُلُ أَنْ يَأْخُذَ امْرَأَةَ أَخِيهِ تَصْعَدُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَى الْآبِ إِلَى الشِّيُوخِ وَتَقُولُ: قَدْ أَبِي أَخُو زَوْجِي أَنْ يُقِيمَ لِأَخِيهِ اسْمًا فِي إِسْرَائِيلِ. لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقُومَ لِي بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. 8 فَيَذَعُوهُ شُيُوخُ مَدِينَتِهِ وَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُ. فَإِنْ أَصَرَ وَقَالَ: لَا أَرْضَى أَنْ أَتَّخِذَهَا. 9 تَتَقَدَّمُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَيْهِ أَمَامَ أَعْيُنِ الشِّيُوخِ وَتَخْلَعُ نَعْلَهُ مِنْ رِجْلِهِ وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِهِ وَتَقُولُ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالرَّجُلِ الَّذِي لَا يَبْنِي بَيْتَ أَخِيهِ. 10 فَيَذَعِي اسْمُهُ فِي إِسْرَائِيلِ "بَيْتَ مَخْلُوعِ النَّعْلِ".)

**المرأة النفساء في الكتاب المقدس مخطئة ولا بد لها من كفارة لتتوب عما لم تقترفه!!!**

(سفر اللاويين 12: 1 – 8)

(1) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 2 "قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: وَوَلَدَتْ ذَكَرًا تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْتِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسَةً. 3 وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. 4 ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لَا تَمَسَّ وَإِلَى الْمُقَدَّسِ لَا تَجِيءُ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامَ تَطْهِيرِهَا. 5 وَإِنْ وُلِدَتْ أُنْثَى تَكُنُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْتِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةَ وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. وَمَتَى كَمَلْتَ أَيَّامَ تَطْهِيرِهَا لِأَجْلِ ابْنٍ أَوْ ابْنَةٍ تَأْتِي بِحُرُوفٍ حَوْلِي مُحْرَقَةً وَفَرْخَ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمَاعِ إِلَى الْكَاهِنِ. 7 فَيَقْدِمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكْفِرُ عَنْهَا فَتَنْظَرُ مِنْ يَبُوعِ دَمِهَا. هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى. 8 وَإِنْ لَمْ تَنَلْ يَدَهَا كِفَايَةً لِشَاةٍ تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخِي حَمَامٍ الْوَاحِدَ مُحْرَقَةً وَالْآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ فَيُكْفِرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَنْظَرُ".

**المرأة الحائض في الكتاب المقدس مخطئة!!!**

يقول الكتاب المقدس عن المرأة الحائض: (28 وَإِذَا طَهَّرْتَ مِنْ سَيْلِهَا تَحْسِبُ لِنَفْسِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَطْهَرُ. 29 وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَأْخُذُ لِنَفْسِهَا يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْحِي حَمَامٍ وَتَأْتِي بِهِمَا إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمَاعِ. 30 فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ وَالْآخَرَ مُحْرَقَةً وَيُكْفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِ نَجَاسَتِهَا). (لاويين 15: 19 – 30)

عقوبات خاصة بالنساء على صفحات الكتاب المقدس!!!

- قطع يد المرأة: (إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضاً...وتقدمت امرأة أحدهما لكي تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته، فاقطع يدها ولا تشفق عليها). (تثنية 25: 11-12)
- حرق المرأة بالنار: (إذا تدنست ابنة كاهن بالزنا، فقد دنست أباه، بالنار تحرق). (لاويين 21: 9)

كل هذا يمتلئ به كتابهم المقدس عندهم يزعمون أن الإسلام عذب المرأة وأهانها...!!  
[<http://www.m.ahewar.org>]

### 3 – مكانة المرأة في الدين الإسلامي

لم يحصل اغتصاب للمرأة من قبل الدين الإسلامي بل ساوى بينها وبين الرجل وأوصى بها خيراً في تعامله معها إذ أمر بالرفق بها ونهى عن تزويجها كرهاً وأكل أموالها وفي حالة نشوزها ألزم الرجل بمعاملته بتدرج لطيف ورحيم يبدأ بالموعظة ثم يهجرها في المضاجع بعدها تأتي المرحلة القصوى بضربها بشرط ان يكون ضرباً غير مبرحاً وأمر بحسن المعاشرة الزوجية وقد اباح الله للزوج مفارقة زوجته وحرّم الإسلام وأد البنات واعتبر النساء شقائق الرجال. أي انهنّ يماثلنّ الرجال في القدر والمكانة ولا ينتقص منهنّ ابداً كونهنّ نساء، أوصى بحسن معاملة الأم وقد رحمها في عدة حالات مثل اسقاط عنها الصلاة والصيام اثناء الحيض، والنفقة عليها من قبل زوجها وأورثها من زوجها أي جعل لها ميراثاً من زوجها واخوانها وأولادها ووالدها وأوجب لها مهراً وحرّم عليها طلاقها وهي حائض وغيرها من المحرمات. ولكي نتوسع ونتعمق بمكانة المرأة في الإسلام نقدم الدراسة التالية:

إن فضل ومكانة المرأة في الإسلام، لأننا فعلاً ابتعدنا عن منهج الله، ومنهج رسوله – صلى الله عليه وسلم – خاصة ونحن في هذه الأيام التي خرج علينا فيها من أقوال الجهلاء ما لا يخرج من أفواه أبي جهلٍ وغيره أيام عداوتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقد كان التبرج في الجاهلية أن يظهر جزءً من رقبة المرأة،

وجزاء من كعبها لا زيادة على ذلك، واليوم نرى العجب العُجاب، ممن يدعون أنفسهم بفلاسفة العصر، وكذبوا، لأنهم يريدون أن يفترسوا المرأة، وكأنهم ذئابٌ وحشية، فلأجل ذلك أردتُ في هذه الكلمات القادمة أن أبين مكانة وتكريم الإسلام للمرأة، فأستعين بالله قائلًا .

### تكريم الإسلام للمرأة:

إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقةٍ شبيهة متساوية، وتهدفُ الشريعةُ الإسلاميةُ بشكلٍ عامٍ إلى غايةٍ متميزةٍ هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويُبدي اهتماماً شديداً بضمانها، فالقرآنُ والسنةُ يحضَّان على معاملة المرأة بعدلٍ ورفقٍ وعطفٍ.

مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسنَ حالها، بل إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أوصى الزوجات بطاعة أزواجهن، وقد أمر بالرفق بهن، ونهي عن تزويج الفتيات كُرْهاً وعن أكل أموالهن، ولم يكن للنساء نصيبٌ في الموارِيث أيام الجاهلية، بل إنَّ الرجل كان إذا بشره أهله ببنتٍ اسودَّ وجهه، وقد حكى القرآن ذلك فقال سبحانه وتعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \*يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )، ومن صور تكريمها أيضاً قد نزلت سورة خاصة بهنَّ تسمى سورة النساء توضح فيها أحكام الموارِيث، وكيفية معاملة المرأة في حال نشوزها فقال عز وجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا).

فقد بيّن الله تعالى صفة المرأة الصالحة في هذه الآية، والمرأة التي في حال نشوزها بأن يعاملها الرجل بتدرج لطيفٍ رحيمٍ بالمرأة، حيث بدأ بالموعظة لها، ثم بهجرها في المضاجع، ثم في المرحلة القصوى بضربها بشرط أن يكون ضرباً غير مبرح، وهذا يعدُّ من التكريم العظيم للمرأة من قِبَلِ الله الخالق الرحيم الرحمن.

ومن تكريمها أيضاً مساواة المرأة بالرجل في تعدد ألفاظ كل منهما في هذه السورة، وقد بيّن الله تعالى فيها أحكام الموارِيث، ووعدها بالعقاب لمن خالف حدوده فيها، وجعل هذا التقسيم خاصاً به سبحانه وتعالى، فقال عز وجل: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ



الْعَظِيمُ \* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (النساء اية 13، 14).

ولا شك أن الإسلام أمر بحسن معاشررة الزوجة، وقد أباح للزوج مفارقة زوجته رغم أنه بغض الطلاق، فقال عز وجل (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: اية 19)

وقد انتهت هذه السورة المباركة أيضاً بتفصيلٍ بديعٍ لمن مات وليس له ولد فيما يسمى بالكلالة، أن يرثه من تبقى من أهله بالعدل والإنصاف دون ظلمٍ أو جورٍ للحقوق، فقال عز وجل: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَادٌ وَلَهُ أَخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَادٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا التُّنْثَانُ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

وفي الجاهلية كانوا يقتلون البنات وهنَّ أحياء، ولما جاء الإسلام حثَّ على تحريم واد البنات، فقال عز وجل: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، وقد حرّم الله تعالى فيما يسمى بزواج المتعة حديثاً، وحمل الإمام على البغاء فيما سمّاه القرآن الكريم، فقال عز وجل: (...وَلَا تُكْرَهُوا قَنِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُنَّوَا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وذلك حرصاً على سلامة المرأة من المخاطر التي تتعرض لها في شخصها، والفتك بالمجتمع إذا سلكت هذا السبيل الذي نهى عنه ربنا، ونهى عنه نبينا - صلى الله عليه وسلم -

### ضعف النساء:

لا شك أن في النساء صورةً من صور الضعف، وهو ليس ضعفاً مذموماً، فإنه من جانبٍ ليس مقصوداً منهن، ومن جانبٍ آخر محمود مرغوب، فأما الجانب غير المقصود فهو ضعف البنية والجسم، وهذه لا حيلة لهنَّ فيها، فلا يلومهنَّ أحدٌ عليها، وأما الجانب المحمود فهو في ضعف القلب والعاطفة، بمعنى رقة المشاعر، وهدوء الطباع، وهو لا شك أمرٌ محمودٌ في النساء، وكلما زاد - دون إفراط أو تفريط - كان أطف وأجمل.

### استوصوا بالنساء خيراً

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يُقدِّر هذا الضعف في النساء، ويحرص على حمايتهنَّ من الأذى الجسدي أو المعنوي، ويُظهر رحمته بهنَّ بأكثر من طريقة، وفي أكثر من موقفٍ وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دائم

الوصية بالنساء، وكان يقول لأصحابه (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا) ، وتكررت منه نفس النصيحة في حجة الوداع، وهو يخاطب أمته، وكان يوقن أن هذه الوصية من الأهمية بمكان حتى يُفرد لها جزءًا خاصًا من خطبته في هذا اليوم العظيم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم :- واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً.

ويوضح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في جملة بلاغية أن النساء يُماثلن الرجال في القدر والمكانة، ولا ينتقص منهن أبداً كونهن نساء، فيقول - صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَفَائِقُ الرِّجَالِ).

### صور من رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنساء

في هذا العصر الذي تكالبت فيه قوى الظلم والبغي والعدوان للنيل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نجد الدعوات الصارخة من الحاقدين الحاسدين على الإسلام، والجاهلين بأخلاقياته وآدابه، لمساواة المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات دون تفضيل، بل وتمييز المرأة أحياناً بأمر كثيرة عن الرجل، وذلك بدعوى أنهم في القرن الحادي والعشرين، يريدون أن يتقدموا بمثل هذه الأساليب البعيدة عن الإسلام وقيمه ومبادئه وتعاليمه، وكذبوا ظناً منهم بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان منذ أربعة عشر قرناً، فالحضارة الآن في نظرهم هي: التقدم والرقي ومحاكاة الغرب في جميع أفعالهم وأحوالهم، يريدون بالمرأة أن تخرج من خدرها، كي تلتهمها الذناب البشرية، وهم أول من يريدون التهامها، والتهتك بعرضها، ولكن هيهات هيهات، وأين الثرى من الثريا، فقد جاء الإسلام الحنيف محافظاً على المرأة، أمراً إياها أن تلتزم ببيتها، وإن خرجت تخرج في إطار ما سمح لها به الشرع، فقال الله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)، كما جاء الإسلام كذلك ناصراً للمرأة في كل أحوالها وأعمارها، فقد كرمها الإسلام أمماً، وكرمها زوجاً، وكرمها طفلةً، غير أن الذي يُلَفْتُ النظر بصورة أكبر في رحمة النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنساء هو جانب التطبيق العملي في حياته - صلى الله عليه وسلم -، فلم تكن هذه الكلمات الرائعة مجرد تسكينٍ لعاطفة النساء، أو تجملٍ لا حقيقة له، بل كانت هذه الكلمات تُمارس كلَّ يومٍ وكلَّ لحظةٍ في بيته - صلى الله عليه وسلم - وفي بيوت أصحابه رضوان الله عليهم.

فبهذه الصورة الميسرة حول تكريم الإسلام للمرأة، يتحدى كلُّ مسلمٍ موحدٍ بالله تعالى العالمَ أجمع أن يأتي لنا بموقفٍ من حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آذى فيه امرأةٌ أو شقَّ عليها، سواء من زوجاته أو من نساء المسلمين، بل من نساء المشركين، ويكفي أن نتأملَ بعضَ مواقفه - صلى الله عليه وسلم - مع النساء، لندرك مدى رحمته - صلى الله عليه وسلم - بهنَّ.

(استأذنَ أبو بكرٍ على النبي - صلى الله عليه وسلم - فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها - ابنته - عالياً، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاولَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَجَعَلَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَخْجِرُهُ وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ رَأَيْتَنِي أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ؟، قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخَلَانِي فِي سَلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ: قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا).

فرحمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هنا قد فاقت رحمة الأب، فأبو عائشة رضي الله عنها - هو أبو بكر الصديق- أراد أن يعاقبها على خطئها، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لرحمته بها حجز عنها أباها! وأحياناً تخطئ زوجته - صلى الله عليه وسلم -: خطأ كبيراً، ويكون هذا الخطأ أمام الناس، وقد يسبب ذلك الإحراج له، ومع ذلك فمن رحمته يُقدِّر موقفها، ويرحم ضعفها، ويعذر غيرتها، ولا ينفعل أو يتجاوز، إنما يتساهل ويعفو.

فقد روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان عندَ بعض نسائه: فَأَرْسَلْتُ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقِصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا فَكَسَرَتِ الْقِصْعَةَ فَضَمَّهَا وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ: كُلُوا، وَحَبَسَ الرَّسُولَ وَالْقِصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ الْقِصْعَةَ الصَّحِيحَةَ وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ.

لقد أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الموقف ببساطة، وجمع الطعام من على الأرض، وقال لضيوفه: كلوا، وقد عللَّ غضب زوجته بالغيرة في بعض الروايات الأخرى، فقال: (غارثُ أمِّكم)، ولم ينسَ أن يرفع قدرها. فأبي رحمة هذه التي كانت في قلبه - صلى الله عليه وسلم -!

### تعقيبٌ

ماذا لو جئنا بأحکم رجلٍ في هذا القرن؟ وماذا لو جئنا بفلاسفة القرن الحادي والعشرين كما يزعمون؟ ماذا لو حدث أمامهم هذا الموقف؟ أو لو كان هذا الموقف معهم، ماذا كانوا يفعلون؟ وما هو أقل تصرفٍ كان سيحدث؟.

في نظري أقل تصرفٍ مع الحكماء والكرماء أنه سيُطَلَّقُ هذه الزوجة بعد ضربٍ مبرح، هذا مع الحكماء فضلاً عن الجهلاء، فما رأيكم بنبي الإسلام أيها الفلاسفة، ما طلقها، ولا ضربها، بل رفع قدرها - صلى الله عليه وسلم.

### تكريم الإسلام للمرأة بكونها أمًّا

لقد كرّم الإسلام المرأة بكونها أمًّا بأن أوصى الأبناء بحُسنِ معاملة الآباء، وخاصة الأم، فقد صوّر القرآن الكريم هذا الأمر في تصويرٍ بليغٍ ومُعجِزٍ في أكثر من موضع، فقال الله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا).

وقال تعالى في الموضع الثاني: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). وقال تعالى في الموضع الثالث: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ).

وقال تعالى في الموضع الأخير (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ).

وقد ورد في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يُعَضِّدُ ذلك، (فقد جاء رجلٌ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: ثم أُمُّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: ثم مَنْ؟ قال: ثم أُمُّكَ، قال: ثم مَنْ؟ قال: ثم أبوك).

فقد أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالأم ثلاث مراتٍ، لما لها من تكريمٍ ومكانةٍ عظيمةٍ، ورفعةٍ لشأنها، فما كُرِّمَتِ المرأةُ في أي شريعةٍ سوى شريعة الإسلام.

وعن طلحة بن معاوية السلمي قال: (أتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقلتُ: يا رسول الله إني أريدُ الجهادَ في سبيلِ الله تعالى، فقال: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ فقلتُ: نعم، فقال: الزم رجُلها فتمَّ الجنَّة).

### تكريم الإسلام للمرأة بكونها زوجاً

ومما يمكن أن يُذكر في هذا الموضع ما أوصى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع، إذ أوصى بالنساء، فقال: (فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانة الله واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ).  
فقد جعلها الإسلام شقيقةً للرجل في كل أحواله وأفعاله، تشترك معه في تربية  
الأولاد، وتعمل على خدمتهم، واستقرار بيتهم، وباستقرار البيت بالزوجين يخرج  
بيتاً طيباً على الهدى النبوي، يساهم هذا البيت في بناء المجتمع، لذا يمكن أن يقال  
أنها نصف المجتمع، بل أكثر من نصفه، فالمرأة هي الأم، والزوجة، والبنت،  
والأخت.

### تكريم الإسلام للمرأة بكونها طفلةً

لَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَرَّمَ الطُّفْلَةَ، وجعل لها حقوقاً وعليها  
واجبات، وحذر من قضية وأد البنات التي كانت منتشرة في الجاهلية، فمذ ظهر  
نور الإسلام إذ نزل القرآن الكريم متعجباً من هذه القضية، ومن عدم توريث البنات  
الذي نراه الآن في مجتمعاتنا المعاصرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.  
فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل، فلم تجد  
عندي شيئاً غير تمرّة، فأعطيتها إياها، ففَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ولم تأكل منها، ثم قامت  
فخرجت، فدخل النبي - صلى الله عليه وسلم - علينا فأخبرته، فقال: من ابنتي  
من هذه البنات بشيءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ).

### تكريم الإسلام للمرأة بكونها أرملة

لقد رفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدر الذي يرعى شؤون الأرملة إلى  
درجة لا يتخيلها أحد، ومن أفضل ما يمكن ذكره هنا قول النبي - صلى الله عليه  
وسلم: (السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ  
النَّهَارَ). فأئى فضلٍ وأئى عظمة هذه، ليس هذا إلا تكريماً وحفاظاً على المرأة، فهي  
كالجوهرة في الإسلام، حيث يدافع عنها بكل قوةٍ وشجاعةٍ.

### تكريم الإسلام للمرأة بكونها أمةً

إِنَّ هُنَاكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ، وهو رحمته - صلى الله عليه وسلم - بالإماء،  
وهُنَّ الرِّقِيقُ مِنَ النِّسَاءِ، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قال: (إِنْ كَانَتْ  
الأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ  
شَاءَتْ).

وقد علّق ابن حجر رحمه الله على ذلك فقال: "والتعبير بأخذ اليد إشارة إلى غاية  
التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست منه مساعدتها على ذلك،  
وهذا دالٌّ على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر.

هل سمع العالم برئيس دولة، أو قائد أمة يذهب هنا وهناك ليقضى بنفسه حاجة امرأة بسيطة لا تعدو أن تكون خادمة، بل هي أمة مملوكة، لا تملك من أمرها شيئاً؟

إن هذا الذي نراه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في معاملاته، وتكريمه للمرأة لمن أبلغ الأدلة على نبوته - صلى الله عليه وسلم - فلا تتأتى مثل هذه الأخلاق الرفيعة حقيقة إلا من نبي، وصدق الله تعالى حيث قال: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

وأخيراً، أقول: إن الإسلام قد رحم المرأة فأسقط عنها الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس رحمة بها لما تعانیه من أتعاب حال الدورة والنفاس مع أن الصلاة لا تسقط عن الرجل بأي حال، إلا الصوم فله فيه الرخصة المعلومة.

• الإسلام رحم المرأة فأسقط عنها النفقة فلا تُنفق على ولدها ولا والديها ولا زوجها بل لا تنفق على نفسها هي، ويلزم زوجها بالنفقة عليها.

• الإسلام رحم المرأة فأسقط عنها حضور الجُمع والجماعات لاشتغالها بزوجها وبيتها.

• الإسلام رحم المرأة فأوجب لها مهراً كاملاً يدفعه الزوج لمجرد الخلوة بها، أو نصفه بمجرد العقد عليها.

• الإسلام رحم المرأة فورثها من زوجها حتى لو مات بمجرد عقده عليها.

• الإسلام رحم المرأة فقال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك، تكريماً واعترافاً بحقها.

• الإسلام رحم المرأة فأسقط عنها الشهادة في الدماء والجنايات تقديراً لضعفها، ورعاية لمشاعرها عند رؤية هذه الحوادث.

• الإسلام رحم المرأة فأسقط عنها فريضة الجهاد.

• الإسلام رحم المرأة فأسقط عنها فريضة الحج إذا لم يكن معها محرم يحرسها ويخدمها حتى ترجع.

• الإسلام رحم المرأة فجعل التقصير لها عند تمام النسك حفاظاً على جمالها وإبقاءً على رغبتها ولها أجر الحلق.

• الإسلام رحم المرأة فحرّم طلاقها وهي حائضٌ مراعاةً لحالتها، وحتى لا تطول عليها العدة.

• الإسلام رحم المرأة فجعل لها ميراثاً من زوجها وإخوانها وأولادها ووالديها رغم أنها لا تتحمل شيئاً من النفقة.

- الإسلام رحم المرأة فأوجب لها مهراً وحرّم أخذ شيءٍ منه إلا بطيبِ نفسٍ منها.
- الإسلام رحم المرأة فحرّم نكاحها بلا وليٍّ ولا شهودٍ، حتى لا تُتَّهَمَ في عرضها ونسب أولادها.
- الإسلام رحم المرأة فأوجب على مَنْ قَدَفَهَا في عِرْضِهَا جَلْدَ ثمانينَ جلدةً، ويُشَهَّرَ به في المجتمع ولا تُقبَلُ شهادته أبداً .
- الإسلام رحم المرأة فجعل من يُقتل في سبيلها ليحافظ على عرضه ويدافع عنها جعله شهيداً.
- الإسلام رحم المرأة حتى بعد موتها فلا يُغسلها إلا زوجها أو نساء مثلها.
- الإسلام رحم المرأة فجعل كفنها أكثر من كفن الرجل فتكفن في خمسة أثواب رعاية لحرمتها.
- الإسلام رحم المرأة فأجاز لها الخلع إذا كرهت زوجها وأبى طلاقها.
- الإسلام رحم المرأة حتى عند الصلاة عليها تكون أبعد عن الإمام ويقف وسطها

ليستر جسدها ممن وراءه. [http://www.alukah.net]

#### 4 - مكانة المرأة بين اليهودية والمسيحية والإسلام

نختم فصلنا هذا بمقارنة دينية حول مكانة المرأة بين الديانات السماوية الثلاثة لنطلع على التباينات والتشابهات بينهما حول مكانة المرأة عندهم.

**1 - مكانة المرأة في اليهودية:** إنّ مكانة المرأة في اليهودية شر مكانة، ومن الأدلة على ذلك:

أ - تعتبر اليهودية المرأة أصل الشر في العالم، أو هي المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى، لأنها -بزعمهم- هي السبب في خروج آدم عليه السلام من الجنة، ونرى ذلك بوضوح في التوراة: "وكانت الحيّة أحيلاً جميع الحيوانات البرية التي عملها الربّ الإله، فقالت للمرأة: أحقاً قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحيّة: من ثمر شجر الجنة نأكل. وأمّا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمسّاه؛ لئلا تموتا. فقالت الحيّة للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين للخير والشر... فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل... فقال الربّ الإله للحيّة: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم، ومن جميع وحوش البرية... وقال للمرأة: تكثيراً أكثرُ أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك" (تكوين 3: 1-16).

ب – المرأة في اليهودية تُباع وتُشترى: "وإذا باع رجل ابنته أمة، لا تخرج كما يخرج العبيد" (خروج 21: 7).

ت – تعتقد اليهودية أنّ نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر: "إذا حبلت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام... ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يومًا في دم تطهيرها... وإن ولدت أنثى، تكون نجسة أسبوعين... ثم تقيم ستة وستين يومًا في دم تطهيرها" (لاويين 12: 1-5).

ث – المرأة في العهد القديم "شباك، وقلبها شراك، ويدها قيود" (الجامعة 7: 26). ويمكن تلخيص مكانة المرأة في اليهودية بذكر ما قاله (ويليام باركلي William Barclay): "كان مقام المرأة رسميًا مُتدنيًا جدًا. لم تكن المرأة تُعدّ كبشر في الشريعة اليهودية، وإنما كانت تُعدّ شيئًا a thing كانت تحت سلطان أبيها أو زوجها. كانت ممنوعة من تعلم الشريعة، وكان يعدّ تعليم المرأة الشريعة كالقاء اللؤلؤ إلى الخنزير.

ج – لا ترى اليهودية المساواة بين الرجال والنساء، منذ عصور سحيقة، ويجدر بي ذكر العبارة في أصلها "Gender inequalities found in the Torah suggest that women were subordinate to men during biblical times".

## 2 – مكانة المرأة في المسيحية: نجد أن (بولس):

أ – اعتقد أن حواء هي التي أخطأت أولاً، ثم أغوت آدم فانقاد وراءها وأخطأ ثانيًا (تيموثاوس الأولى 2: 12-14).

ب – أوصى جميع الذي خدمه – رجالًا، ونساءً

ت – أن يُسلّم بعضهم على بعض بقبالات مقدسة! (رومية 16: 1-16)، (كورنثوس الأولى 16: 20)، (كورنثوس الثانية 13: 12). والناظر إلى أوربا النصرانية يجدها تنظر إلى المرأة على أنّها أقدار، حتى أنّ (أودو الكلني) في القرن الثاني عشر الميلادي ذكر أنّ مُعانقة امرأة تعنى مُعانقة كيس من الزباله وقد جاء في الموسوعة البريطانية في مقال سفر الأمثال أنّ في هذا السّفر: "نقطة مهمة، وهي أنّ النصائح بالتزام العفة موجّهة إلى الرجال فقط؛ فالرجل ينظر إليه كضحية، والمرأة كمُغوية. لم تُحذّر النساء البتّة من الرجال، أو من عموم إغواءات المجتمع. ويجدُر بي ذكر العبارة، كما وردت في الموسوعة:

A point of interest is that the exhortations to chastity are addressed to men only; the man is regarded as the victim, the



woman as the temptress – women are never warned against men or against the general seductions of society.

ويُعبّر (أدريان ثاتشر Adrian Thatcher) عن نظرة الكنيسة للمرأة، فيقول: "لقد بذل العالم الغربي الكثير في القرن الأخير ليتجاوز احتقاره للنساء، لكنّ هذا الاحتقار لا يزال ثابتاً في الكنيسة (The Savage Text, The use and Abuse of the Bible. P. 108. 2008. Wiley - Blackwell). إذن النصرانية لم تكن - تاريخياً - في صفّ النساء؛ إذ كانت المرأة في كثير من الأحيان لا قيمة لها ولا وزن، كما كانت تحتل مكانة سيئة في المجتمع. وظل هذا الأمر ملازماً للمسيحية منذ السنين الأولى -بعد المسيح وحوارييه - وحتى يومنا هذا. ويجدر بي أن أنكر

العِبارة Christianity has not been very supportive of women historically speaking. Much of the time women have been denigrated and forced into a second-class status. This was true right from the earliest years of Christianity and has continued down through today كما كان للزوج - في أوروبا الحديثة - الحقّ في بيع زوجته، وقد حدّد ثمن الزوجة بستّ بنات، وكان معمولاً بهذا القانون في إنجلترا حتى عام 1805م. وقد حرّم (هنري الثامن) على الانجليزيات قراءة الكتاب المقدس، وظلت نساء إنجلترا حتى عام 1850م غير معدودات من المواطنين، وحتى عام 1882م ليس لهنّ أي حقوق شخصية، أو حقّ في التملك الخاصّ. وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع مجمع ماكون للبحث في مسألة هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ وبعد البحث قرر المجمع: أنها خلّو من الروح الناجية من عذاب جهنم. وعقد الفرنسيون في عام 1958م مؤتمراً قرروا فيه أنها "إنسان خلّق لخدمة الرجل فحسب". وبعد الثورة الفرنسية وإلى اليوم لا يُسَمَح للمتزوجة بالتصرفات المالية إلا بإذن زوجها، ولا يزال أجر المرأة على عملها إلى اليوم أقلّ من أجر الرجل، كما تفقد اسمها وحرّيتها بمجرد الزواج، وظلّت إلى القرن التاسع عشر محرومة كذلك من التعليم.

**3 - مكانة المرأة في الإسلام:** إنّ مكانة المرأة في الإسلام مُخالفة - تماماً - لما تقول به اليهودية والنصرانية من تحميل المرأة وزر الخطيئة الأولى، وما ترتب عليها من شقاء، فالقرآن يُحدّد - بصريح العبارة - مسئولية آدم عليه السلام عن ذلك، وإنّ شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة (هذا ما اعترف به روجيه كارودي Roger Garandy) المفكر الفرنسي حين أنصف الإسلام فقال:

"إن القرآن -من وجهة نظر اللاهوتية- لا يُحدّد بين الرجل والمرأة علاقة من التبعية الميتافيزيقية؛ فالمرأة في القرآن توأم وشريكة للرجل... والقرآن لا يُحمل المرأة المسؤولية الأولى للخطيئة"، بعدما أن استجاب هو وامرأته لوسوسة الشيطان، طمعاً في الخلد ومُلك لا يبلى، قال تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى. فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى. إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى. وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى. فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى. فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) [طه:115-121]. كما جعل الإسلام النساء شقائق الرجال، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ". (من حديث عائشة، وهو حديث صحيح). ومعنى هذا الحديث مُطرد في كل ما لم يرد فيه نصّ يُفَرِّق بين الرجال والنساء، أمّا المسائل التي وردت فيها نصوص تُفَرِّق بين الرجال والنساء فلا يَطرد فيها الحديث، وحينئذٍ يلزمنا الوقوف مع النصوص، وإعطاء ما للنساء للنساء، وما للرجال للرجال. كما جعل حقّ الأمّ في البرّ أكثر من حقّ الأب، وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين قال له رجل: يا رسول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحَسَنِ صَحَابَتِي؟ قال: (أُمُّكَ). قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: (تُمَّ أُمُّكَ). قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: (تُمَّ أُمُّكَ). قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: (تُمَّ مَنْ؟ قال: "أبوك"، وأتھما أحقّ به". والإسلام لا ينظر إلى الرجل والمرأة على أنّ كلّاً منهما بديل عن الآخر، وإنما يرى أنّهما يُكْمِلان بعضهما البعض، وهذا مراعاة لمبدأ توزيع العمل الذي اقتضته الحكمة الإلهية، حيث تُعوّض المرأة جوانب النقص في الرجل، ويُوَفّر الرجل ما تفتقر إليه المرأة. كما لم يُفاضل بين الرجال والنساء في الأجر، إذ بيّن الله تعالى أنه لا يضيع جهد مَنْ عَمِلَ عملاً صالحاً ذكراً كان أو أنثى، قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة:228]. وقال جلّ ثناؤه: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) [آل عمران:195]. وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) [النساء:124]. ويُخاطب الرجال والنساء على السواء، ويعاملهم بطريقة شبه متساوية، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم:21]. والآية تُشير إلى أنّ المرأة خُلقت من نفس الرجل، أي من جنس الرجل.



فليس هذا قدح في النساء، وإنما القصد من نُقصان العقل أنّ عاطفة النساء أقوى، لأنّهن يُحكمن العاطفة على العقل، وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة. أمّا نُقصان الدين فالمعنى أنّها تُعفى من أشياء لا يُعفى منها الرجل أبداً، فالرجل لا يُعفى من الصلاة، وهي تُعفى منها في فترات شهرية، والرجل لا يُعفى من الصيام، بينما هي تُعفى كذلك عدة أيام في الشهر. وهذا تقدير من الله تعالى لمهمتها وطبيعتها، وليس لنقص فيها، مِصْداً لقوله تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُنَّ) [النساء: 32]. إذن فليس قصد الإسلام أن يَصِمَ المرأة بالعييب، لكن يقصد وصف طبيعتها، بل لقد رَسَمَ الإسلام للمرأة طريقاً وسطاً يتوافق مع طبيعتها، ويُلائم تكوينها الجسمي، والوظائف التي خلقها الخالق تعالى من أجلها (مع الأخذ في الاعتبار أنّ الأصل أنّ المرأة لا تخرج من بيتها إلا إذا احتاجت، أو احتاج إليها المجتمع، بل إذا احتاجت يكفل لها المجتمع حاجتها. ومع ذلك فإنها إذا خرجت تكون خاضعة لقاعدة أصولية هي: "الضرورات تبيح المحظورات، والضرورة تُقَدِّرُ بِقَدَرِهَا". هذا إلى جانب استعمال المرأة فيما تصلح له طبيعتها، مع الالتزام بالضوابط الشرعية التي حددها الإسلام، وعلى رأسها عدم الاختلاط بالرجال). ولا يُقلل من مكانة المرأة في الإسلام إباحته لتعدد الزوجات، مع توافر القدرة والعدالة عند الزوج؛ وذلك لأن الهدف من تعدد الزوجات هو ضمان حماية المرأة لنتزوج بكرامة، وتتجو بنفسها من استغلالها كأداة للشهوة عند الرجال. وإذا كان الإسلام قد حدّد التعدّد بأربع فإن نصوص العهدين القديم والجديد – وهي مُحَرِّفة كلها أو جلّها، بلا رَيْبٍ – التي بين أيدينا لم تُحدّد عدد الزوجات! وهكذا نرى سوء مكانة المرأة في اليهودية والنصرانية، في الوقت الذي عَزَزَ فيه الإسلام مكانتها، وجعلها مَلِكَةً مُتَوَجَّةً في بيتها، بحيث بلغت مكانة عالية، لم تبلغها في شريعة سابقة، ولم تدركها أمة تالية. لقد أراد الإسلام أن تكون المرأة جوهرة مصونة، وأبَتِ المرأة الخارجة على آدابه إلا أن تكون سَوْفًا مُبْتَدَلَةً للعيون الشهوانية. إنّ القرآن مازال يُدَوِّ صوته في الآذان، قولاً من الربّ الحكيم في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الأحزاب: 59]. ويدعو المؤمنين إلى أن: (يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [النور: 30]. لقد انسلخ هؤلاء من تلك الضوابط، وبلّوا بريق النفس والشيطان. وأصبحت المرأة المسلمة تُواجه خطر الخروج على المبادئ التي تُحدّد علاقتها بالرجل، بموجب ما جاء في الشريعة الإسلامية؛ بسبب تلك الصيحات الشريرة التي انطلقت من دعاة الاستعمار والتبشير والصهيونية، حيث يهدفون بذلك إلى

تفويض أركان المجتمع الإسلامي من أجل السيطرة العامة. ومن أبناء هذه الأمة الذين نمت عقولهم على مفاهيم مُزيّفة من أخذت أعلامهم المأجورة، تنفت السّم الزُّعاف، مُطالبةً بما يُسمونه بحقوق المرأة، راغبين في إخراجها من خدرها. ومن عَجِب أنّ هذه العقول تنفت وتعلّمت، لكنّها كانت أوعية لعلوم وثقافة غير أصيلة تُطالب بالتّصل من الإسلام، وتدعو إلى مدنيّات برّاقة وحضارات موقوتة. هذا مع أنّ من عقلاء الغرب من رأى أنّ قرّار المرأة في بيتها هو الأصل، يقول (William Graham ويليام جراهام) عن المرأة: "مكانها هو في دائرة الأسرة، وواجبها هو في أن تبقى في البيت". وعبارته هي "Her place is the family" (circle, and her duty is to stay at home). من القضايا المادية (المالية) المتعلقة بالمرأة: سأتناول الحقوق والواجبات المتعلقة بالمرأة في اليهودية المسيحية والإسلام بتوسّع في الأطروحة. لكنني سأكتفي - هنا - بالإشارة إلى نموذج من حقوق المرأة الماديّة، للتوضيح: -

#### الميراث:

أولاً: الميراث لغةً: مصدر لفعل واحد هو: وَرَثَ، يَرِثُ، إِرْثًا، وميراثًا. قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) [النمل: من الآية 16]. و"الوارث" اسم من أسماء الله الحسنى الذي يعنى الباقي بعد فناء خلقه. ويأتي الميراث بمعاني أخرى هي الإرث الفطري: وهو انتقال الخصائص والصفات البدنية والطابع النفسي والأحوال الصحيّة من الآباء إلى الأبناء، فهذا يرث من والديه تقاسيم الوجه أو القامة أو لون البشرة وغيرها، وهذا يرث الذكاء أو البلادة أو اللين أو الشدة... إلخ. الإرث المعنوي: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهماً إنّما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظّ وافر". أي يرثون عنهم العلم، يتعلمون شرائعهم ويقومون بالدعوة إلى الله نيابة عنهم.

الإرث المادي: وهو انتقال المال ويُسمّى المال المنتقل ميراثًا، أي انتقال تركة الميت بوفاته إلى الكبير.

ثانيًا: الميراث اصطلاحًا: الميراث عند الفقهاء اسم لما يستحقه الوارث من مورّثه بسبب من أسباب الإرث سواء كان المتروك مالا أو عقارا أو حقًا من الحقوق الشرعية. أما علم الميراث أو علم الفرائض فهو علم من العلوم الشرعية يحوى مجموعة من القواعد الفقهية والحسابية التي يُعرف بها حق أو نصيب كل وارث شرعي من التركة، ويُسمّى علم الفرائض، وذلك أن الفريضة مأخوذة من الفرض، أي التقدير وهو النصيب المقدر للوارث قال تعالى: (وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً)

[البقرة: من الآية 237]. أي: ما قدرتم. ولذلك يُسمّى هذا العلم بعلم الفرائض أو علم الميراث.

وبعد أن تعرضنا للدلالة اللغوية والاصطلاحية للميراث، نتناوله بين اليهودية والمسيحية والإسلام.

**1 - في اليهودية:** إنّ اليهود يُقدّسون المال ويتمسّكون به، ويمنعون تسريبه إلى غير أسرته (الأصول، والفروع)، لذلك كانوا يحرمون البنت من الميراث إذا كان للميت ولد ذكر، كما يمنعون الأم والزوجة والأخت من الميراث. فإذا مات الأب وترك ذكورًا وإناثًا كانت التركة من حقّ الذكور، فإن لم يوجد يجعلون للبنت حظًا، على أن تتزوج من رجل من بين أفراد الأسرة، حتى لا يؤول الميراث إلى أجنبي. وللبنات حقّ النفقة حتى الزواج أو سنّ البلوغ. أما الزوجة فلا ترث زوجها، لكن لها الحقّ في أن تعيش من تركه زوجها. والمرأة التي يموت زوجها تُعتبر جزءًا من ميراث أخي الزوج يتزوجها وإن كانت كارهة. وبمعنى أدقّ لا يعتبر هذا الزواج زواجًا، بل هو ميراث، أو بالأحرى اغتصاب، فهو لاء اليهود جعلوها مجرد حيوان يرثه أهل المتوفى، ولهم مُطلق الحرية في التصرف فيه. وقد وردَ مثل هذا الكلام في سفر العدد: "أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه إلى ابنته" (27:8).

**2 - في المسيحية:** لم يتعرض الإنجيل للميراث، لذلك اتبع النصارى النظام المعمول به في شريعة اليهود، وما ورد في الشرائع القديمة.

**3 - في الإسلام:** وقد مرّ تشريع الميراث بمراحل عديدة، مراعاة لسنة التدرج المألوفة في الإسلام، وكانت مراحل تشريعه كالآتي:

**أ - المرحلة الأولى:** لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة هو وصحبُه الكرام تركوا أموالهم وأموالهم في مكة فتلقاهم إخوانهم الأنصار من أهل المدينة فأووههم ونصروهم وقاسموهم أموالهم، فصار التوريث بالهجرة والتحالف والأخوة التي آخاها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [الأنفال:72].

ب - المرحلة الثانية: شرع فيها الميراث بالوصية الواجبة للوالدين والباقي للأقربين من الولد وغيره، قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) [البقرة:180].

ت - المرحلة الثالثة: وفيها تم نسخ التوارث بالمواخاة والتحالف، بالقرابة والرحم، قال تعالى: (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الأنفال: 75].

ث - المرحلة الرابعة: وفيها شرع الميراث بالقرابة دون تفصيل، وجعل للنساء حظوظاً في ذلك، قال تعالى: (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا) [النساء: 7].

[https://ar.islamway.net]

#### 4 - الديانة الكونفوشيوسية في الصين

ديانة أرضية غير سماوية تنظر الى المرأة نظرة دونية وتعتبرها غبية ذات عقلية ساذجة ومحدودة وضعيفة لا تتمتع بأي حكمة وغيورة لذا يحتقرها الرجال إذ ليس لديها شغل شاغل غير اغراء الرجال الأبرياء ليس لها الحق في أن ترث الميراث العائلي من امتلاك ماديات وعندما تذهب الى بيت زوجها تكون لخدمته تحت سلطته دون مناقشته أو مناقشة أي رجل من اقاربه الذي هو امتداد لمنع نقاشها مع والدها وأخيها وعمها وخالها بل عليها الخنوع والطاعة له وتنفيذ ما تؤمر به من قبله. بل حتى والدة زوجها تمارس علسها سيطرة مطبقة وتامة مع استخدام الضرب من قبلها لزوجة ابنها وفي حالات خاصة تستطيع أم الزوج ان تبيع زوجة اينها إذا عصت أو امرها أو هربت من منزل زوجها.

#### 5 - قوانين المانو Manu الهندوسية

التي: 1 - جعلت المرأة معتمدة كلياً على الرجل.

2 - تحريم زواج الارملة مرة ثانية بعد وفاة زوجها.

3 - حط من مكانتها وجعلها دون مكانة الرجل.

4 - طردها من المجتمع أو حرقها.

5 / ب - قوة الاسترقاق الشمولية الثانية

الثقافة الاجتماعية التي تضم:

1 - السلطة (البطريقية) الذكورية

استهلال

لا تنحصر السلطة البطريقية بسلطة الأب كما يُعتقد بل بالذکر بكل انواعه (الأخر، الأبن، العم، لخال، رئیس القبيلة والعشيرة، الزعيم، الرئيس، القائد، ومدير المدرسة والمؤسسة، الوزير والمدير العام) وكل ذكر يشغل منصباً قيادياً – إدارياً مسئول عن مجموعة أفراد وليس الأب في الأسرة وحده. هذا مجرد تنويه اولي، ثم هناك تنويه ثانوي مفاده إن السلطة الذكورية متضمنة وملتصقة بالتسلط والهيمنة والتسيّد والتأمر والتحكم والسيطرة والاستبداد والاضطهاد والقهر والإجبار على حقوق المؤنثة التي قد تكون زوجته أو ابنته أو اخته أو موظفة أو طالبة عنده. بمعنى هو مسئول عنها اسرياً أو مهنيّاً. بتعبير أدق الذكورية (البطريقية) ليس لها بالاختلاف البيولوجي – الجنسي والقوة الجسدية أو الذكاء، بل هي صناعة ثقافية وتاريخية واجتماعية تجعل منه بطلاً ملحمياً وفارساً مغواراً وكاهناً وشهماً وتاجراً وصاحب مقام رفيع المستوى.

لا ريب إذن من القول بأن السلطة البطريقية متضمنة التسلط الذكوري على الانثى، ساد هذا التسلط الحضارات الشرقية والغربية على السواء، لم يرفضه أحد ولم يناقشه أو يسأل فيه أحد، مأخوذة بها بشكل مؤكد دون تغيير أو تحوير استمرت لغاية العصر الحديث وكأنها تتحدى التغيرات الاجتماعية التكنولوجية والكونية بقت ثابتة وهذا شيء يجلب الانتباه. لماذا لم تتغير السلطة الذكورية في الأسرة والمصنع والسوق والتجارة والشركة وكل ميادين الحياة العملية والأسرية، الذکر هو المتسلط على الأسرة.

نأتي الآن الى تصنيف مراحل تطور السلطة الذكورية الى ثلاثة مراحل تاريخية ومجتمعية وهر ما يلي: -

**المرحلة الأولى:** بدأت في الفترة الواقعة بين 1000 – 800 عام قبل الميلاد نشأت فيها الإمبراطورية اليونانية والرومانية تطبع الذکر فيها بالملاحم البطولية التي تطلبت الشجاعة والبسالة والقوة الجسدية والولاء والأمانة وكانت هذه بداية لنشوء السلطة البطريقية (الذكورية).

وبعد سقوط الامبراطوريتين خضع الذکر للرهبة الروحانية التي تَطَبَّعت بطابع الديانة المسيحية التي ظهرت ما بين 1000 – 900 عام قبل الميلاد التي تطلبت محاربة الممارسات الجنسية غير الشرعية والمعادة للأنوثة والواط، مع التركيز على النظام البطريقي الصارم.

بعد ذلك في القرن الثاني عشر تَطَبَّعَ الذکر بالفروسية والبطولة والشهامة التي تطلبت ايضاً القوة والجسارة وخدمة السلف وزوجة اللورد بينما في القرن السادس عشر – في عصر النهضة الأوروبية تَطَبَّعَ الذکر بالعقلانية والاكتشافات الذاتية.



وفي القرن الثامن عشر تَطَبَّعَ الذكر بالبرجوازية والبحث عن المقام الرفيع والنجاح في التجارة.

هذه المرحلة الأولى، أكدت على شجاعة وقوة وجسارة الذكر والتدين واحترام السلف التي بدأت من عام 1000 قبل الميلاد وانتهت مع نهاية القرن الثامن عشر. أما مقومات ومعززات السلطة الذكورية في هذه المرحلة التاريخية فهي: -

- 1 - الملاحم البطولية والفروسية.
- 2 - الاقطاع الزراعي.
- 3 - الرهينة النسكية.
- 4 - الولاء والتضحية في سبيل السلف (الجد).
- 5 - تعاليم الديانة المسيحية.
- 6 - التجارة.

**المرحلة الثانية:** التي سادت المجتمعات الشرقية التقليدية المحافظة الزراعية والرعية نواتها الأسرة الممتدة والعشيرة والقبيلة معتمدة على نظام المشيخة والعصبية القبلية وصلة الرحم لم يتبلور فيها مفهوم الوطن والمواطنة بسبب هيمنة الإمبراطورية العثمانية على المنطقة العربية بعدها سيطرت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا عليها فكان مفهوم المواطنة عند العربي مفهوماً هلامياً. والسلطة الذكورية ما هي سوى انعكاس لسلطة القبيلة ولما كان المجتمع العربي رعوياً وزراعياً فإن الزواج المبكر للأنثى سائد وتعدد الزواج قائم فرضتهما وحدة العمل في الأرض فهي يعني (الأسرة) وحدة إنتاجية.

فالسلطة الذكورية متجسدة في هيمنة الذكر على الانثى واستعباده لها واضطهاده نفسياً واجتماعياً فَطَمَسَ شخصيتها وقلل من أهميتها وحطَّ من مكانتها الأسرية والاجتماعية. انه تسلط متعدد ومتنوع الوجوه لكنه لم يكن مصدره القوة الجسمانية بل الثقافة العربية.

أما مقومات ومعززات السلطة الذكورية في هذه المرحلة فهي: -

- 1 - الزراعة.
- 2 - الثقافة الاجتماعية الموروثة.
- 3 - الحروب والثورات والانقلابات السياسية.
- 4 - الحكومة والتعليم التربوي.
- 5 - الأسرة الممتدة والنظام العشائري والقبلي.
- 6 - الجهل والامية.

## 7 - الرياضة.

**المرحلة الثالثة:** التي بدأت من بداية القرن التاسع عشر لغاية القرن العشرين سادت السلطة البطريقية في المجتمع الغربي والأمريكية ازدهرت فيها الصناعة والتصنيع وتنوع الاختصاصات العلمية التي تطلبت التحمل الجسدي والعمل المثابر والجاد والذكاء الحاد والثروة المادية، كل ذلك دفع بالذکر للولوج اليها والتميز فيها فضلاً عن الحروب والرياضة. جميعها دعمت وعززت ذكورية الرجل ولم تتعامل مع انوثة الانثى فمثلاً المجتمع الأمريكي أخذ بالسلطة الذكورية لغاية ظهور القيمة الفردية التي التزمت بالذكورية بسبب حصول فرص عمل مطلقة وغير محددة سنحت المجال للرجل بالدخول الى ميادين الصناعة والسياسة والتجارة وكل ما يطمح به أكثر من المرأة كل ذلك أدى الى زيادة استقلالية الرجل وزادت من توسع التصنيع وتنوع الاختصاصات مدعومة من قبل النجاح المادي الذي حققه الرجل وكانت السلطة الذكورية عند الرجل الأمريكي مدعومة من قبل حركة التصنيع التي تطلبت التحمل الجسدي والعمل الجاد والمثابر مع مستوى عالٍ من الذكاء وتوفر الثروة المادية. كل ذلك أدى الى تسلط وتسييد الذکر على الانثى الامريكية التي لم تأتي من معايير وقيم الثقافة التقليدية (لعدم وجودها في المجتمع الأمريكي المادي والرأسمالي) بينما حصل في المجتمعات الشرقية (الصينية والهندية والعربية) ولم تتعزز من قبل الديانة (اليهودية والمسيحية) ولا ننسى الحروب التي ساهمت في تدعيم وتعزيز السلطة البطريقية في المجتمع الأمريكي (الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام وأفغانستان والعراق) كذلك دعمت الرياضة في تقوية عضلات الرجل وذكوريته.

فالتجنيد من أجل الانخراط بالعسكرية لغرض الخوض في الحرب يحصل مع الذكور وليس الاناث لأن الحروب تبلور مجد الأمة وترقي الرجولة والبسالة والشجاعة في مواجهة العدو والانتصار عليه فالحروب إذن تبني الشجاعة والجسارة وتحدي الصعاب ومقارعة الأعداء تفتخر به الأمة. هذه هي قمة الذكورية التي تنفذ البلاد من الأعداء والاحتلال والأزمات الحادة.

بينما لا يتم تجنيد النساء للانخراط بالجيش لأنها لا تملك هذه الخواص الجسدية في تحمل المشاق والمقارعة بل تجيد التمريض والاعمال الخدمية وتكون رفيقة السلاح وليس حاملة للسلاح. ثم هناك الرياضة المغذية للذكورية سواء كانت عن طريق المنافسة أو اللياقة البدنية انها أشبه بالعسكرية من حيث كلاهما يقوم ببناء الجسم لذلك نجد الأب في المجتمع الأمريكي يشجع ابنه وليس ابنته على ممارسة الرياضة.

نأتي الان الى تقديم مقومات ومعززات السلطة الذكورية (البطريقية) في المجتمع الغربية الصناعية وهي: -

- 1 - العمل الصناعي الذي يعتمد على قوة تحمل الجسم للعمل الشاق والجاد.
- 2 - التجارة التي تعتمد على التنقل المستمر والتعايش مع حركة السلع في السوق ومعرفة السيولة النقدية.
- 3 - توفر الثروة المالية والمادية.
- 4 - الاستقلالية الفردية والاعتماد على الذات.
- 5 - ممارسة الرياضة الفردية والجمعية (الفرقية).
- 6 - الحروب التي تتطلب البسالة والشجاعة والفداء والتضحية.

هذه المقومات والمعززات دعمت دوام وبقاء السلطة الذكورية في المجتمع الإنساني على مرّ العصور والمدنيات والحضارات تحدّت كل وجميع أنواع التغيرات الاجتماعية والانتقال من مرحلة الى أخرى، بقيت هي هي تغذي سلطة الرجل والأسرة والمدرسة والمصنع والحكومة والمؤسسات الدينية والفنية والعسكرية إذ تغيرت السلطة السياسية من التقليدية الى الرأسمالية والاشتراكية بينما بقيت السلطة الذكورية لم تتغير، وتغيرت السلطة التجارية والاقتصادية، والسلطة الذكورية بقيت على حالها لم تتغير. ما هو السر في ذلك؟ في الواقع يكمن السر في عدم وجود تنظيم نسوي حيوي ونشط يعمل بشكل جاد في الدفاع عن حقوق المرأة، وعدم اشغال المؤنثة منصب سيادي وقيادي عالي في المجتمع ولا تملك الثروة المادية والمالية ولم ترفع من مستوى تعليمها وتحارب الأمية عندها ولم تُضعف مكانة الرجل في الأنشطة النسقية والبنائية مع دوام حدوث الحروب التي تطلب الرجال وليس النساء ومازال الدين والثقافة الاجتماعية داعمة للرجل يستخدمها لدعم مصالحه ضد المؤنثة.

صفوة القول هذه السلطة هي تقليدية متكلسة في عقلية الرجل منحتها له الثقافة الاجتماعية الموروثة ورجال الدين المتطفلين على الدين والاقطاعيين ورجال الحكم، فاستخدمها الذكر كذريعة لاستراقاق المرأة واستلاب شخصيتها وحريتها وتفكيرها وطبيعتها البشرية التي استمدتها من الطبيعة لأنها كانت أول من استقر على الأرض واكتشفت الزراعة ودجنت الحيوانات ولأن مبدأ الخصوبة في الأرض هو نفس مبدأ الخصوبة عندها فكانت سلطتها في المجتمع تمثل حق طبيعي لها. لكن مع تطور دولة المدينة وسيطرة حق الدولة وظهور تنظيمات جديدة عن الحياة الجنسية وتطور نظام الملكية وانتشار الزراعة قام الرجل باستغلال هذه التطورات

لخدمة حاجاته ومصالحه ليضحى سيد المجتمع من خلال استرقاق الانثى واغتصاب حقوقها الطبيعية والشخصية قمعاً وظلماً وعدواناً فحولها الى ضحية له باسم الدين الثقافة الاجتماعية.

أعرض الان جدول يوضح النماذج التاريخية لأدوار الذكر في المرحلة الأولى  
جدول رقم - 1 - يوضح النماذج التاريخية لأدوار الذكر

نوع النموذج	مصدره	الخصائص الرئيسية لدور الذكر
1	الذکر الملحمي - البطولي	الملاحم البطولية التي سادت الإمبراطورية اليونانية والرومانية ما بين 1000 - 800 قبل الميلاد
2	الذکر الرهباني - الروحاني	تعليم تعاليم السيد المسيح ورهبان الكنيسة الأوائل والتقاليد الرهبانية النسكية ما بين 1000 - 900 قبل الميلاد.
3	ذکر البطولة الفروسية	زمن الاقطاع ورمز الشهامة والفروسية وشرفها في القرن الثاني عشر مع نظام اجتماعي.
4	ذکر عصر النهضة	القرن السادس عشر والنسق الاجتماعي.
5	ذکر البرجوازية من الطبقة الوسطى من التجار وأبناء المدن وأصحاب المصالح المادية والرأسمالية.	النجاح في التجارة والمكانة الدنيوية الرفيعة المقام المتصرف لشؤون الدنيا والانهماك فيها والخبير في الحياة والناس.

أخذ هذا الجدول من كتاب Gender Roles. 2011. P. 242

يريني هذا الجدول مراحل تطور دور الذكر في تاريخ المجتمعات الشرقية التي لم تكن واحدة بل متأثرة بالمرحلة التاريخية التي مرّ منها المجتمع وحركته وتطوره المتأثرة بمصادر تعكس كل مرحلة مرّ منها المجتمع ليبرز ويعرض نماذج تعبّر

عن روح العصر الذي يعيش فيه التي لم تكن في اية مرحلة من المراحل التي مرّ بها وعاش فيها خانعاً وخاضعاً للمرأة بل مؤكدة على قوته وذكوريته وفروسيته وجسارته. فالأحداث التاريخية والدينية والحربية والعلمية هي التي عززت دور الذكر في المجتمع وجعلته متسيداً ومتميزاً ومتفوقاً على الانثى. بمعنى أو بعبارة أخرى ذكوريته صنعتها احداث متسلسلة ومتنوعة في صناعة خصائص ذكوريته التي اتصفت بالبسالة والجسارة والاقدام ونكران خصائص الذات والتضحية والفروسية والعقلانية والانهماك في شؤون الدنيا لكي يحصل على منزلة رفيعة المقام مُستبعداً الانثى في تفاعلها مع الاحداث التي مرّ بها لكي ينفرد بها وحده ويتفوق على الانثى.

ولكي نتعمق ونتوسع بشكل مستفيض نقدم دراسة الزميل الدكتور إبراهيم الحيدري حول الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة.

النظام الأبوي البطريركي يعود مصطلح بطريركي Patriarchat , Patriarchy في أصوله الى اللغة اليونانية ويعني "حكم الأب"، أي هيمنته على العائلة والتسلط عليها بحيث يكون القرار بيد الذكر "البطريرك" فقط باعتباره رب البيت ورئيس القبيلة. كما استعمل المصطلح بمعنى ديني أيضا حيث سمي "القديس " Pater " أبانا" في الكنيسة الارثوذكسية فيما بعد.

و يشكل النظام الأبوي – البطريركي بنية اجتماعية وسيكولوجية متميزة ومتجذرة في الذاكرة الجمعية تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع في العالم العربي وتكون عائلة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللاعقلاني التي تتعارض مع قيم الحداثة والمجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان نتجت عن شروط وظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية وعبر سلسلة من المراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية المترابطة فيما بينها حيث ترتبط كل مرحلة منها بمرحلة تسبقها حتى تصل الى مرحلة النظام البطريركي الحديث الذي هو نمط معين من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي السابق على الرأسمالية الذي يختلف في بُناه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن بنية النظام العربي البطريركي الذي اتخذ نوعا متميزا باعتباره مجتمعا تقليديا يقابل المجتمع الحديث الذي يتصف بالتقدم العلمي والتقني الذي من خصائصه قابليته على مقاومة التغير لبنيته الأصلية منذ العصر الوسيط حتى الآن وقابليته على الاستمرار للحفاظ على قيمه التقليدية كالانتماء الى القبيلة والطائفة والمنطقة و ارتباطه بالبيئة الصحراوية التي افرزت نظاما ابويا بطريركيا ذكوريا سيطر على المنطقة العربية قرونا عديدة وما يزال.

[<http://iraqieconomists.net>]

اخيراً نقول السلطة الذكورية أقدم وأعتى وأصلب قوة اجتماعية تحدت وتتحدى جميع أنواع التغيرات العلمية والتكنولوجية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية بقت على دورها المتسيّد والمتعالي على الانثى في كل المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية والاقطاعية والمحافظّة والريفية والتقليدية وكأنها هرم اجتماعي شامخ لا تؤثر فيه الاحداث العالمية أو الإقليمية.

## 2 - وأدها

وأد البنات Female Infanticide (إنما النساء شقائق الرجال) انه أحد أشكال العنف ضد الاناث من الأطفال بعد ولادتهم، بل حتى ختان الاناث أو التخلي عنهم يُعدّ من الأفعال العنيفة ضد الاناث وهذا ما كان متبع عليه في الحضارات القديمة مثل العرب في العصر الجاهلي قبل مجيء الإسلام الذي حرّم ومنع وأد البنات.

أما في الوقت الراهن فإن بعض الدول الكبيرة والمعروفة في تقدمها تمارس وأد البنات من الأطفال (حديثي الولادة) بهدف أو بقصد ضبط النمو السكاني لكيلا يتزايد بل جعل المعادلة متقاربة بين الذكور والاناث. انه فعل غير قانوني ولا إنساني معاً. فالصين مثلاً تمارس هذا القتل لأن سياستها السكانية تأخذ بإنجاب الوليد الواحد وما زاد عن ذلك يتم وأد البنت المولودة حديثاً. كذلك الهند التي تأخذ بسياسة تعقيم (عقم) النساء بعد ولادة طفلها الثالث. إذ معرفة ذكورية الطفل تدر ايراداً مالياً على الأسرة.

جدير بذكره إن منظمة الصحة العالمية WHO حددت أنماط الاعتداء على الأطفال حديثي الولادة الذي أصبح منتشراً بين الدول الفقيرة ذات الدخل المتدني والمحدود فقد تم إقامة مؤتمر عالمي في بكين عام 1995 حول الاعتداء على الأطفال مثل وأد البنات وختانهنّ والتخلي عنهنّ فاعتبروه جريمة عنيفة ضد الانثى. أما الدول التي تقوم بوأد البنات بعد الولادة في وقتنا الراهن هي الهند والصين والاسكيمو وشمال أمريكا. [Thomsen. 2007. P. 27]

وللمزيد من المعلومات نقدم مقال في هذا الخصوص وما جاء به الإسلام من اعتبار النساء شقائق الرجال حتى ولو كان هناك حجم سكاني متزايد وهي كما يلي: شاءت إرادة الله تعالى أن يكون التوازن سمةً من سمات مكونات هذا الكون (إنّاً كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر:49] ومن بين هذا التوازن أعداد الرجال والنساء، فعلى الرغم من أن عدد كلّ نوع قد يختلف من أسرة إلى أخرى ، يقول تعالى (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ

\* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا (يعني يجعلهم صبيانا وبناتا) وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) [الشورى:49-50] إلا أن تقارب الأعداد بين النوعين في كل قطر حقيقة معروفة بالرغم من أن تقسيم الأوطان هو من صنع البشر.

ومنذ بدء الخليقة تعرّضت الأنثى لأنواع شتى من التمييز والتحقير وإنكار حقّها في الحياة حتى جاء الإسلام حامياً ونصيراً لها، فحرّم كل أشكال الإهمال تجاهها، وجرّم كل أنواع الأذى الموجه نحوها، ومنع إلحاق الضرر بها، وأوقف وأدها قبل أن تُولد وبعد أن تولد، بنصوصٍ قرآنيةٍ ثابتةٍ خالدة، ليس هذا فحسب وإنما وضعها في مصاف الذكر سواءً بسواء (إنّما النساء شقائق الرجال) كلّ له دور في هذه الحياة بما يتناسب مع طبيعته وتكوينه، وكل الأدوار لا غنى لبعضها عن البعض، بتناسقٍ بديعٍ وتكاملٍ رائعٍ وتوافقٍ فذّ فريدٍ.

وعلى الرغم من التقدم والمدنية والحضارة ومواثيق حقوق الإنسان ومؤتمرات السكان الأممية وهيئات الدفاع عن المرأة وجمعيات رعاية الحوامل والأطفال فإن وأد البنات في يومنا هذا في ذروة نشاطه وأوج تطبيقه فإذا أخذنا أمثلة من أكبر دولتين في العالم وهما الصين والهند ، حيث أدت سياسة الطفل الواحد للأسرة في الصين إلى تفضيل الزوجين للذكر دون الأنثى ومعلوم لكافة الأوساط إلقاء البنات المولودات في شوارع بكين وغيرها من مدن الصين لكي يتسنى إنجاب طفل ولد في الحمل القادم ، أما في الهند فالحجة أن البنت مكلفة في تربيتها فيتمّ تحديد جنس الجنين باستخدام تقنية الموجات فوق الصوتية ليعقبه الإجهاض كونها أنثى، وعلى الرغم من منع الأطباء ومحاسبتهم إن قاموا بالإجهاض إلا أن السلطات الهندية غير جادة في التطبيق والمواخذه ، وكانت النتيجة ما نشرته مجلة "اللانست" الطبية البريطانية في عددها 4 يونيو 2011م لأطباء هنود من الهند وكندا إجهاض ما بين ثلاثة إلى ستة ملايين بنت في العقد الماضي فقط واثنى عشر مليوناً منذ عام 1980 وحتى العام الماضي، ويزداد الخلل في نسبة البنات بالمقارنة للأولاد مع استمرار إجهاض البنات بمرور السنين ومعروف أن بعض الولايات الهندية بدأت تشكو من شح في أعداد البنات ، ومن يدري مستقبلاً أن تقوم النزاعات والحروب بين أبناء الوطن الواحد وبين البلدان وبعضها لا من أجل التوسع والثروات لكن من أجل الاستيلاء على النساء ، هذا ما قدمته يد الإنسان.

وسط كلّ هذا الصخب والافتراء وبين كلّ الأديان والمعتقدات يبرز الإسلام شامحاً سامياً سامقاً، دين رب العالمين لصالح البشر أجمعين، وصدق الرسول الكريم

وصدق الرحمة المهداة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه) حديث حسن رواه السيوطي. [http://www.alriyadh.com]

### 3 - ختانها Female Circumcision

انه اغتصاب حقها في جسدها الذي يمثل الحق البيولوجي الذي خلقت به يُسلب منها دون رغبتها بل رغبة أعراف ثقافتها الاجتماعية تعندي على احاسيسها الجنسية. انه تجني على حقها الجنسي والجسدي ثم الاعتداء عليها بدافع معايير وقيم الثقافة الاجتماعية لذلك تكون الثقافة الاجتماعية متجنبة على البنت وهي طفلة فلم تكن ضحية الرجل إنما معايير الشرف والعفة تُقدّر من خلال ختانها. إنها معيار غير إنساني ولا ديني ولا طبي بل مجرد معيار همجي متوحش لا يقيم وزناً للمخلوقة البشرية. ولكي نوضح هذا الاغتصاب بشكل أوسع نقدم التفاصيل التالية: يعني ختان الإناث أو تشويه الأعضاء التناسلية للأنثى (حسب منظمات دولية كمنظمة الصحة العالمية) بتر أو إزالة جزء من الأعضاء التناسلية للأنثى إزالة غير كاملة أو بتر جزئي وذلك لأسباب ثقافية أو دينية أو غيرها من الأسباب وكانت الأمم المتحدة قد اعلنت في 6 فبراير يوماً عالمياً يرفض ختان الإناث وقد انتبه العالم الغربي الى هذه العادة المعتقدية المؤذية والمعادية لحقوق الإنسان وبراھين العلوم الطبية عن طريق مجيء مهاجرين اليه من القارة الآسيوية والأفريقية والعيش فيها وممارسة هذه العادة التي ادت الى موت بعض الفتيات المختنات مما جعلهم يذهبوا الى تشريع قوانين تجرم وتحرم هذه العادة واعتبارها جريمة ضد الطفلة والطفولة والحقوق الإنسانية بذات الوقت انتبه اليها الباحثون العلميين في ندواتهم ومؤتمراتهم الطبية والصحية والنفسية والاجتماعية كذلك تناولتها حركات اجتماعية حديثة مثل حركة الدفاع عن حقوق الإنسان وحركة تحرر المرأة وعلم اجتماع المرأة من اجل دراستها وتبيان مخاطرها والدفاع عن المرأة وتحريرها من معايير قيمه عتيقة موروثه لا تعكس سمة التطور الطبي والنفسي والاجتماعي فبات ختان البنات Female Circumcision وتحويل العضو التناسلي للأنثى Female Mutilation genital الذي يرمز اليه FGM مثيراً للجدل والمناقشات بين مجتمعات العالم الغربي فبات يمثل موضوعاً يشمئزوا منه ويدافعوا عن صحة وحقوق البنت القاصر في العالم النامي والمحافظ والمتخلف من اجل تبصير العالم ببعض العادات الثقافية البدائية التي لا تليق بالإنسان العصري التقني والعلمي .  
أما انوعه فهي ما يلي: -



- 1- الختان الطقسي: الذي ينطوي على تثقيب فلقة غطاء البظر لكي يمر من الدم.
- 2- ختان السنه: الذي يشير الى ازالة البظر او الجزء الموجود في شفرة الفرج للبنت القاصر لكيلا يحصل تهيج للشهوة الجنسية وتنغمر فيها.
- 3- استئصال البظر.
- 4- استئصال كافة اجزاء الشفرة والبظر مع فتح ثقب او فتحه صغيرة للتبول والطمث (يمارس هذا الختان في مصر والسودان).
- 5- بتر جزء من البظر وليس استئصاله.
- 6- قطع نسيج الشفرة.
- 7- بتر البظر وفتح فتحة توصل المهبل بالشرج (هذا الختان يمارس عند قبائل ابورجيناس في استراليا).

### مناطق انتشار ختان الإناث في العالم

قبل ان نوضح مناطق انتشار الختان في العالم نشير الى تقديرات منظمة الصحة العالمية WHO الى ان هناك 6.000 بنت في العالم يتم ختانها كل يوم من ذوي اعمار تتراوح اعمارهم بين 4 - 12 عام او من ضمن الأطفال الحديثي الولادة (بعد الولادة مباشرة) و احياناً يتم الختان في أشهر قبل الزواج او بعد الولادة الأولى. معظم هذه الحالات تتم في شرق وغرب افريقيا والجزيرة العربية وبعض المهاجرين الى أوروبا وأمريكا وكندا واستراليا ونيوزلندا. عموماً يتم الختان قبل الوصول الى سن البلوغ الجنسي وذلك لاعتقادهم بأنه كلما تقدم عمر البنت كبر بظرها ونما وبما انه مصدر التهيج الجنسي فأن بتره يكون اكثر أماناً وراحة للأبوين وعدم انحرافها جنسياً ولما كان التختين يمثل احد اركان مستلزمات الزواج فإنه من باب اولى تنفيذه وأبنتهم صغيرة السن كيلا تقاوم أو ترفض فضلاً عن الألم الذي يكون اقل. هذا هو معتقدهم ومعرفتهم الصحية والثقافية (لكنهم لا يعرفوا بأن مثل هذه الممارسات تعني انتهاك حق من حقوق الأنثى الجسدية وتشويه لطبيعة الجسد الإنساني ويهملون آثاره مثل النزيف الدموي الذي يؤدي الى وفاة المختونة بسبب عدم براعة المرأة التي تقوم بعملية الختان والى الالتهابات الحادة الناتجة عن عدم تعقيم الادوات المستخدمة في البتر مع استخدام مسحوق روث الحيوان لإيقاف نرف الدم الناتج عن قطع شريان الفرج او شريان البظر الذي يؤدي الى صعوبة التبول او عند التبول تشعر البنت بألم حاد في المجاري البولية. ثم هناك الصدمة النفسية التي تصاحب حياتها والخوف من الزواج لأنه يثير عندها شعور بالألم والأوجاع التي مرت بها اثناء وبعد العملية ثم حدوث مرض الإيدز (ضعف

المناعة) مع فقدان احساسها باللذة الجنسية وضعف في قوة طاقتها الجنسية مع صغر عضوها التناسلي وآلام تصاحب الدورة الشهرية (الطمث).

وقد قدرت منظمة العفو الدولية ان أكثر من 130 مليون امرأة في العالم تأثرت ببتن اجزاء من جهازهن التناسلي وايضاً بدخول 2 مليون انثى سنوياً الى الاجمالي. ففي عام 1995 أدان المجلس الأوربي في هيئاته المختلفة ختان الاناث واعتبرها عنفاً وتعذيباً للمرأة وانتهاكاً لحقها في المساواة وتعدي على سلامة جسدها وفي عام 1992 اكدت منظمة الصحة العالمية رفضها اجراء عملية الختان طبيياً مهما كان نوعها في مؤتمر هولندا.

ولا جرم من تقديم ما كتبت عن هذا الموضوع الباحثة (عزة بيضون) التي قالت عنه ما يلي: -

في بعض بلادنا العربية يتم التعدي على عضو اعضاء المرأة الجنسية هو البظر يبتره كلياً او جزئياً، فيما بات يعرف بـ "الختان" او تشويه الاعضاء التناسلية. والختان بمثابة تعدي على اعضاء الانثى الصغيرة التناسلية من دول الحصول على قبولها وهو يحصل على موقع في جسدها لم يحسم النقاش بعد، بشأن اهميته في مسار عملية الإثارة الجنسية، ولا ضرورة في تلك الإثارة من اجل الإشباع الجنسي بما هو بلوغ الأورغازم (النشوة الجنسية القسوى). إن ذلك البتر يُقدّم في المعتقدات الشعبية على انه حامي من الامراض امراض العين والجلد، كما الاسهال والالتهابات وسوء التغذية وبطء النمو وبعض المعتقدات تحيل الى الختان مقاومة التسمم (الافاعي والعقارب) وهو، برأي "مناصريه" ضروري لنظافة الفرج ويؤمن المناعة ضد مرض السيلان كما انه بطرد الارواح الشريرة ويقي الأم والطفلة من الامراض التي تقعان فريستها في الأيام الاربعين الاولى بعد الولادة. لكن الاعتقاد الاكثر شيوعاً هو ان الختان يضي على الانثى "الطهارة" عبر التخفيف من شدة الرغبة الجنسية لديها. وتبقى الحجّة الاقوى الداعمة لضرورة اجراء الختان هي تفضيل الرجل (الزوج) لأنثى مختونة شريكة جنسية له.

وترى النسويات ان الختان عملية جنسية لها اشباهها الرمزية في كل الانظمة الاجتماعية البطريركية التي تنجح في احداث النتيجة نفسها، قمع جنسانية النساء - ففي الثقافة - الاجتماعية الفيكتورية مثلاً والتي ساد فيها الخطاب "العلمي" في اواخر القرن التاسع عشر وحتى الثورة النسوية في موجتها الثانية صيغت جنسانية النساء على نحو يفترض كبتاً نهائياً للأحاسيس البظريه لصالح الاحاسيس الجنسية المهبلية المصدر. وافترض ذلك الكبت شرطاً ضرورياً لنجاح تحقق الأنوثة لدى الأنثى (أي الجنسية الغيرية، استدخال خاصيات التلقي والنرجسية والمازوشية في

بنيانها النفسي، والرغبة بالأمومة ثانياً). نتكلم عن النظرية الفرويدية في الأنوثة التي سادت في العلوم الطبية والنفسية حتى أمد ليس ببعيد والتي كانت إلا بلغ تأثيراً في فهم هوية الإناث الجنسانية. وقد صنفت أكثر النساء بموجب هذه النظرية عُصايبات أو مسترجلات لأنهنَّ عجزنَّ عن كبت احساسها لها مصدر جسماني صريح، لكن "خاطئ" هو البظر. وتؤول الباحثات النسويات هذا التعدي – الرمزي أو الفعلي – يكون البظر عضواً لا وظيفة له في الاشباع الجنسي للرجل، فاعتبر عضواً زائداً وبدون دور في عملية الإنجاب فينبغي كبت أو قمع الاحساس التي يثيرها كي لا يكون عائقاً امام قبول الأنثى بسلبيتها الجنسية المفترضة، بما هي شرط ضروري لتحقيق انوثتها الغيرية وللقبول بتضمينات امومتها.

#### 4 - كي صدرها (وَأد الأنوثة على الطريقة الأفريقية)

انه اغتصاب مشابه لختان البنت ووَأد انوثتها يبرز الاغتصاب هنا من خلال كي صدر طفلة قبل بلوغها الجنسي والاعتداء على كرامتها وحققها في الاستقرار النفسي. ولكي نوضح أكثر عن هذا الاغتصاب نقدم الدراسة التالية:

هناك أربعة ملايين فتاة خضعنَّ لكي الثدي خوفاً من التحرش والاعتصاب. إنها عادة اجتماعية تمارسها المجتمعات الأفريقية مثل الكاميرون ونيجيريا وتوجو وغينيا وساحل العاج وجنوب أفريقيا تمثل أقسى وأشرس عادة وحشية تمارس على الانوثة الجسدية الممتلئة لعلامة البلوغ الجنسي لدى الفتاة الأفريقية في القرن الحادي والعشرين تمارسها مجتمعات متخلفة حضارياً وتقليدية ثقافياً وبدائية سلوكياً. لم يقف المجتمع موقف المعاقب والضابط العرفي والوضعي من الشاب الجاني الذي يقوم بالتحرش الجنسي واغتصاب الفتاة بل يذهب (المجتمع المتسلط والمتحيز لجانب الذكر) الى الفتاة ليعذبها ويوَأد انوثتها وهي في بداية نموها البلوغي لا لحمايتها بل لتعذيبها جسدياً ونفسياً وجنسياً. هذه حالة أخرى تعرب عن التمييز الذكوري للمجتمع ضد الفتاة (شاهدنا مثيلها في جريمة القتل غسلاً للعار وختان الاناث وزواج المتعة والقاصرات والعنف الأسري واستئجار الأرحام واستغلال مواردهنَّ وإصاق وجودهنَّ بوجوده) جميع هذه الممارسات الاجتماعية التي شرعَّتها المجتمع جعلها ضوابط عرفية على حساب انوثة وشخصية وكرامة ووجدان وعاطفة الانثى لإشباع غرائز الرجل. ألم يكن هذا تعسفاً وتجنباً وظلماً من قبل المجتمع عليها؟ وهي نصفه العددي ومورده ومموله البشري بالإنجاب؟ ألم يكن هذا استبداد قسري من قبله على نصفه المنتج والفاعل والحيوي؟ ألم يحولها الى ضحيته الشرعية؟ ألم يدرك ذلك وهو محتاج لها. ألم يفكر في انتقامه منها في العهود القادمة في كسرهما لجميع ضوابطه وقيوده التي فرضها عليها؟ وتحررها

منه؟ واستقلاله عنه؟ لكي تفعل ما يحلو لها انتقاماً منه؟ ألم يحصل هذا في مرحلة تحجيم الفرد للمجتمع في الوقت الراهن في المجتمع الرأسمالي والديمقراطي والصناعي والحضري والمعلوماتي؟

سجلت مجلة روز اليوسف هذه الحالة ووصفتها بكابوس القارة السمراء جاءت فيه ما يلي: تعيش الفتيات في عدد من الدول الإفريقية منذ بلوغ سن الثامنة في كابوس.. هنّ لسنّ كباقي الفتيات في مثل أعمارهنّ الصغيرة اللاتي يحملنّ بالأنوثة وبروز معالمها على اجسادهنّ حيث تمثل علامات البلوغ لدى فتيات الكاميرون ونيجيريا وتوجو وغينيا وساحل العاج وجنوب أفريقيا عقاباً دنيوياً لابد من طمسه لحمايتهنّ من الاغتصاب والتحرش. ختان أوكي الثدي... عادة تشبه ختان الاناث متوارثة منذ مئات السنين في عدة بلدان أفريقية بهدف حماية الفتيات من التحرش والاعتصاب والحفاظ على شرف الانثى. كما يحمي الفتاة نفسها من الرغبات الجنسية وفقاً للمعتقدات المتوارثة ويتم تنفيذها وسط ترحيب من الأهل، حيث تقوم الأم أو أحد الأقارب بوضع اسياخ حديد ملتهبة على ثدي الطفلة التي تتراوح عمرها من 8 الى 12 سنة لطمس معالم الانوثة واخفائها ومنعها من النمو حال بلوغها. وبدء ظهور علامات الانوثة عليها أو يتم اجراء تلك العادة عن طريق وضع قطع من الحجارة الساخنة لطمس الثديين. وفي بعض الأماكن يكتفون بوضع قطعة من قماش وشدها على الثديين لمنع نمو ثديي الطفلة.

وفقاً لصحيفة دايلي بيست الامريكية كانت العادة تستخدم قديماً لزيادة در لبن الأم ومع تزايد حالات التحرش والاعتصاب بدأت تستخدم لحماية البنات من التحرش والاعتصاب من الذكور وحالياً زادت انتشارها حفاظاً على الفتيات من المنظمات الإرهابية مثل بوكو حرام في الكاميرون.

ووفقاً لتقرير الأمم المتحدة فإن "كي الثديين" حدث لـ (3.8) مليون امرأة حول العالم وهو ما أكدته وسائل اعلام محلية في الكاميرون مشيرة الى أن 50% من الفتيات يخضعنّ لعملية (كي الثدي) بشكل يومي ولمدة تزيد على الثلاثة أشهر. أما بنات العائلات الثرية فيرتدين أحزمة عريضة تضغط على الثدي وتمنع نموه. (جريس تشامي) فتاة في السادسة عشر من عمرها تنحدر من بلدة أكوم في نيجيريا كانت إحدى الحالات التي تعرضت لكي الثدي. تقول إنها عندما وصلت الى مرحلة البلوغ في سن 9 من عمرها بدأت أمها بتعذيبها من أجل حمايتها. حيث تقوم الأم في كل صباح في الساعة السابعة وتأخذ أحد المدقات الحجرية التي تستعمل في طحن الطعام وتعمل على تسخينها على الفحم ثم تضعها على ثدييها حتى تسوي الصدر بالجسد.

وتقول (جورجيت آري ناكو) من الشبكة الوطنية لجمعيات الخالات التي تعنتي بالتربية الجنسية للكاميرونيات إن نساء كثيرات يشعرن بالقلق عندما يحسن بلوغ بناتهن في سن 8 أو 9 ويرين إن هذا البلوغ المبكر سيجذب الأولاد إليهن وقد يقعن في حمل مبكر. وعندما تسطح الأمهات اثناء بناتهن يفرض اخفائها يعتقدن انهن بذلك يتحكمن في تأثير انوثة بناتهن على الرجال ومن ثم على اقبالهن على الجنس وهو غير صحيح حيث تستقبل بانتظام أمهات عازبات تعرضن لكي الثديين. وعلى غير هدى ما سبق هناك طقوس في النيبال مغايرة لكئي صدر البنت عند بلوغها في افريقيا وهي طقوس عند بلوغ سن المراهقة للبنات في النيبال... انه طقس.

### طقوس بلوغ سن المراهقة للبنات في النيبال

انه طقس احتفالي احتفالي ببلوغ الانثى سن البلوغ الجنسي يعلن على أبناء المجتمع المحلي ليعلم بان الانثى (الفلانية) قد بلغت في وسط اشبه بزفة العروس لعريسها في مجتمع تقاليدي - ريفي انها مراسيم (Barha Gufa) لطقوس قديمة في مجتمع نوار احدي المجموعات العرقية في النيبال تختلف لغتهم وأسلوب حياتهم وثقافتهم وتقاليدهم وطقوسهم عن الجماعات العرقية الأخرى وهو زواج الشمس.

بدايةً تتشاور أسرة الفتاة مع كاهن على موعد الاحتفال لأبنتهم ويتم تحديد التاريخ وفقاً لذلك. في احتفال مدته 12 يوماً يتم فيه إبقاء الفتيات اللواتي تتراوح اعمارهن بين الـ 17 و 13 عاماً في غرفة مظلمة بعيداً عن اشعة الشمس واي اتصال من الذكور حتى من أقرب الناس اليهن كوالدهن و اخوانهن وفي اليوم الأخير تتزوج الفتيات رمزياً من الشمس لوصولهن الى سن المراهقة ويحتفلن بهذه المناسبة مع اصدقائهن وأفراد أسرهن بحفل تقليدي. في اليوم الأول توضع الفتاة داخل غرفة مظلمة تسمى (جوبا أو الكهف) بعيداً عن ضوء الشمس وتظل على هذه الحال لمدة 11 يوماً في الغرفة المظلمة يتم وضع دمية بيضاء مصنوعة من قطن أو قطعة من القماش من المفترض ان ترمز الدمية البيضاء الى شبح خير والسوداء الى شبح شيء وبمجرد وضعها تضطر الفتاة الى تقديم جزء من وجبتها الى الدمية بنفسها قبل أن تتناولها وبحسب اعتقادهم إذا لم تفعل ذلك فإن الشبح سيخيفها في الليل.

خلال فترة عزلها لا يُسمح للفتاة بتنظيف نفسها أو تناول الطعام المالح لا سيما في الأيام الخمسة الأولى وتتولى والدتها رعايتها واخبارها عن أسباب فصلها عن الجميع والطقوس التي ستقام والتغيرات التي ستطرأ على جسمها في الأيام المقبلة بعدها يتم منحها منتجاً طبيعياً يسمى Kaoo (تركيبه مصنوعة من دقيق المحمص،

قشر البرتقال المجفف، خشب الصندل واعشاب أخرى) ويطلب منها ان تضعه على وجهها ليجعلها بعد اليوم السادس تأتي قريباتها و صديقتها الاناث لزيارتها حاملات معهن مجموعة متنوعة من الأطعمة الشهية.

وفي اليوم الثاني عشر يقام حفل الزواج مع الشمس في هذا اليوم ينبغي على الفتاة ان تستيقظ قبل الشروق وان تستحم وتستعد للحفل وترتدي ثوب الزفاف التقليدي مع الساري الأحمر والمجوهرات الذهبية الثقيلة مثل العروس الحقيقية.

يؤدي الكاهن مراسيم الزواج المعقد حيث يتم إبقاء قطعة قماش تغطي وجهها أو يتم تغطية عينيها طوال فترة مراسيم الزواج، بعدها يسمح للفتاة أن تظهر وجهها لترى انعكاس الشمس في الماء. تغمض الفتاة عينيها بينما ترفع أمها قطعة القماش حتى يمس ضوء الشمس سوف يحميها من الشر.

وأخيراً بعد انتهاء مراسم الزواج تقوم الأسرة بتنظيم حفل مع الأقارب والأصدقاء بمناسبة بلوغ ابنتهم سن المراهقة. [مجلة زهرة الخليج عدد 2046 بتاريخ 2018/6/9]

## 6 - عنوستها بسبب غلاء مهرها

احجام الرجال على الزواج بسبب مطالبة أهل البنت مهراً غالباً وغالباً المقترن بالمطالب المادية مثل اثاث كاملة للبيت مع سيارة خاصة وغيرها من الطلبات التعجيزية التي لا تتوافق مع إمكانية الزواج المبتدأ، عندها يحصل عند الرجال نفور من الزواج أو الاضراب عنه مما يؤثر سلباً على تأخر أو عدم زواج البنت وهنا فقدت البنت حقها في اختيار شريك حياتها (بسبب مطالب الاستهلاك المظهري والتباهي الزائف عن المكانة العالية والاعتبار الرفيع المستوى لأسرة البنت) فخرت حقها في بناء اسرتها بنفسها وأضاعت حقها في الاسهام ببناء اسرتها ايضاً وهي في مقتبل شبابها كل ذلك بسبب معايير وقيم ثقافية لا تتناسب طردياً مع ارتفاع مستوى العيش والوعي الثقافي للجيل الصاعد والتغيرات المادية السريعة التي فاقت حركة التغيرات الثقافية والمعنوية فكانت عنوسة البنات أحدى أوجه الاغتصاب الثقافي لحقوقها في المجتمع العربي وهذا غير سائد في المجتمع الغربي. ومن الاثار السلبية التي تتركها التقاليد الثقافية على تشكيل الخلية الأولى في المجتمع وهي الأسرة التي لا تسلم من ضغوط ومضايقات المعايير والقيم والتقاليد البالية في الإقدام على تشكيل هذه الخلية المؤلفة في بادئ الأمر من شاب وشابة. الإشكالية لا تكمن في الشاب والشابة بل في أسرة الشابة المراد زواجها من شاب طالبة مهراً غالباً وأثاثاً لمنزلاً انيقاً وحديثاً وحفلة زفاف ومصوغات ذهبية وملابس لأخر موضحة قبل الإقدام على الزواج من أجل التباهي والاستهلاك المظهري الزائف أمام

الناس والأقارب والمعارف للفتاة المراد الزواج بها وهذا يكلف الشاب مبالغ مالية كبيرة لا يستطيع توفيرها لأهل الفتاة المراد الزواج منها، لا ينظروا الى العلاقة العاطفية أو رغبة الشاب والشابة في اقترانهما بل الى الماديات وكلام الجيران بقيمة أبنتهما ومكانتها في المجتمع المحلي. كلها تقوم بمضايقة الشاب مالياً بحيث تنعكس فيما بعد سلباً على علاقته بزوجته وأهلها وتسبب مشاكل بين الأسرتين (اسرة الشاب والشابة)، هذا نفاق اجتماعي ليس إلا ويمثل الاستهلاك المظهري لإعطاء صورة مضللة ومبالغ فيها عن أسرة الشابة المراد الزواج منها. أنها مطالب غير عقلانية ولا واقعية ولا تعبر عن متانة العلاقة بينهما بل هي مطالب تقليدية منافقة لا تأخذ بمصلحة الزوج ولا الزوجة بل حاجة مجتمعية ليس لها وظيفة في النسق الأسري بل متطلب تقليدي يعزز ويدعم استبدادية المجتمع في ممارسة ضوابطه الأسرية باعتقاد أسرة الشابة بأنه كلما زادت مطالبها لتكاليف الزواج من ملابس ومجوهرات واثاث ومنزل وسيارة وشهر عسل كلما اعطوا صورة مزركشة متباهية عن ابنتهم أمام المجتمع المحلي استجابةً لمتطلبات المعايير الاجتماعية البالية في تكاليف الزواج وإعطاء صورة مبالغ فيها عن مكانة ابنتهم عندهم، دون إعارة أهمية جدية لعلاقة ابنتهم مع زوجها بعد الزواج والاهتمام بمطالب العروسين بل مطالب اعراف ومراسيم تقليدية لزواج ابنتهم. وإزاء هذه المبالغة المفرطة في تكاليف الزواج حصل عزوف الشباب (الذكور) عن الزواج وحصلت عنوسة البنت مما يؤدي ذلك الى الانزلاق في مهاوي الانحرافات والجنح الأخلاقية عند الطرفين مثل الممارسة الجنسية مع المومسات (بالنسبة للشباب) والسفر الى خارج البلد للاستمتاع بعيداً عن ضوابط المجتمع العرفية. أما الفتاة فإنها قد تنزلق في سلوكية منحرفة مثل السحاق أو العلاقات الجنسية المستترة أو الإصابة بأمراض نفسية وعصبية كل ذلك بسبب الاستهلاك المظهري للزواج الذي تفرضه تقاليد وأعراف طوى عليها الزمن تلبيتها أسرة البنت معتقدين بأن ذلك يرفع من مكانتها بين المتقدمين لزواجها إلا ان ذلك يفرز العكس ضدها تحديداً وتنعكس آثارها على التوترات والمشاكسات بين أفراد الأسرة التي لا تعلن بشكل صريح بل ان سببها الحقيقي هو "عنوسة البنت" و "عزوف الشاب عن الزواج". أنها حالة مرضية (باثولوجية) غير صحيحة يتحمل المجتمع آثارها سببها معايير وتقاليد الثقافة الاجتماعية البالية التي لا تتماشى مع روح العصر والغلاء المادي لمستوى العيش. فالعيب كل العيب في تقاليد المجتمع والإصلاح يجب أن يبدأ في تغيير معايير الزواج العقيمة والعتيقة وليس عن طريق المساعدات المالية من الحكومة او الزواج الجماعي وما شابه.

يعاني العديد من الشباب من مشكلة غلاء المهور، وتُعد هذه المشكلة من المشاكل الخطيرة التي تمنع العديد ممن يرغبون بالزواج تأسيس عائلة وإنجاب الأولاد وبناء المجتمع بهدف المحافظة على النوع البشري، كما تؤدي هذه الظاهرة إلى انتشار معدل العنوسة بين الذكور والإناث وتدفع البعض منهم للانحلال الأخلاقي والمعاناة من الصراع والكبت.

## 7 - تزويجها وهي قاصر

انه أشبع أنواع الاغتصاب بحق البنت وهي دون سن الرشد (أقل من عمر 18 عام) ليس لديها خبرة الحياة الأسرية والزوجية ومسلوبة الإرادة من قبل السلطة الذكورية (البطريقية) بمعنى ان حقوقها كإنسانة وكبنت ومواطنة في دولة فيها دستور وقانون تسير بموجبه لم يؤخذ بهذه الحقوق بل تجبر على دخولها للحياة الزوجية دون أخذ رأيها في اختيار شريك الحياة بل أسرتها تنوب عنها ولا الحكومة ترفض مثل هذه الزيجة وهذا استيلاء على حقوقها المشروعة قهراً وظلماً فرضته ثقافتها الاجتماعية والمعتدية على مشاعرها وعواطفها لذا اعتبرناه أشبع أنواع الاغتصاب التي تخضع البنت لها في عصرنا الحالي (لا يحدث هذا في المجتمع الغربي - المتمدن والمتقدم).

وسوف اتناول هذا النموذج السالب لحقوق المرأة من زاوية زواج الرجل العربي من فتاة عربية دون سن الثامنة عشر عاماً يمارس في القارة الاسترالية من أسر عربية مهاجرة اليها في هذا الخصوص. قالت مديرة خدمات صحة المرأة المهاجرة الدكتورة (إيمان شاروبيم) في استراليا "إن زواج القاصرات منتشر في مدينة سدني ويجب القيام بعملية توعية إذ إن المهاجرين الجدد يجهلون القانون الاسترالي وتشير ارقام مكتب الاحصاء الاسترالي ان هناك 604 حالات زواج غير شرعية لفتيات قاصرات تبلغ اعمارهن بين 14 - 17 عاماً مولودات في استراليا و63 حالة زواج غير شرعي لقاصرات مولودات خارج استراليا".

وأكدت الوزيرة (غاورد) أن والديّ الفتاة القاصر التي تتزوج يجب ان يخضعا للمحاكمة والجدير بذكره في السن القانوني للزواج في استراليا هو 18 عام وفي حالات خاصة ويقرها القاضي 16 عام واعترفت وزيرة الخدمات الاجتماعية (بروغاورد) ان زواج القاصرات منتشر وان هناك عدداً كبيراً من الزيجات غير القانونية وغير مسجلة وان الدائرة تعلم بتلك الحالات وخصوصاً في مناطق جنوب غرب سدني وغرب سدني وبلو ماونتن. وإن القانون يجب ان يأخذ مجراه حينما يكتشف امرهم فأن الفتيات لهنّ الحق التمتع بطفولتهنّ وعدم حرمانهنّ من الحياة



البريئة وحذر مستشار صحي رائد في مجال الصحة ان المئات يرسلن الى خارج استراليا في سن 11 عاماً للزواج، هناك في الواقع تعبّر هذه الزيجة على ان الثقافة العربية في المهجر (استراليا) لم تخضع لقوانين الدولة المهاجر اليها خوفاً من انغمار البنت العربية في الثقافة الليبرالية والحرية الفردية والاستقلال الشخصي والمالي والتنشئة الغربية في علاقاتها مع الجنس الاخر وذلك خوفاً على سمعة العائلة اولاً ومن اللغط الاجتماعي على شرف وسلوك افراد الاسرة المهاجرة ثانياً والتخلص من المسؤولية الملقاة على عاتق الوالدين في متابعة بناتهم في حياة غربية لا تشبه تنشئتها الأسرية في المجتمعات العربية ثالثاً ومن اجل المحافظة على وحدة الأسرة وتضامنها وعدم الانجراف في مغريات الحياة الشبابية للبنات ، رابعاً وإزاء ذلك يدلف الأبوين الى تحريم فتياتهم القاصرات من التمتع بطفولتهن وحرمانهن من الحياة البريئة او حياة متساوية مع تنشئة تتمتع بحرية العلاقات الصداقيه والجنسية مع الجنس الاخر او السهر خارج المنزل وشرب الكحوليات واستخدام العقاقير المخدرة وما شابه .

أي ان سيطرة الرجل (الأب او الابن) على البنت العربية في المهجر عند الأسرة المهاجرة تتضاعف عليها ليس فقط بسبب المعايير الثقافية العربية وتعاليم الدين بل تخلصاً من مسئوليتهم الأسرية في تنشئة بناتهم حسب النمط الغربي والمحافظة على مكانة الأب والأم في الأسرة بالسيطرة (البطريقة) على البنات تحديداً ولا هدفهم كسر قوانين البلد المهاجر اليه. هذا من جانب رأي والدي الأسرة المهاجرة إلا انه يختلف من وجهة نظر الجندر الذي يرفض مثل هذه الزيجة لأنها لا تمثل المساواة بين الرجل والمرأة من الناحية العمرية بل تمثل الاستغلال الذكوري للأنثى.

ولا جناح من طرح ما سجلته مليحة احمد شهاب الكاتبة السعودية في كتابها " المرأة السعودية صوت وصورة " عن حالة الزواج من القاصرات في المجتمع السعودي قالت عنه أنه يمثل " وأد الطفولة " ذكرت فيه ما يلي: -  
"لم نكد نتنفس الصعداء على أثر خلاص طفلة عنيزة حتى نفاجئ بطفلة الثقبه، فبدأ الأمر وكأنه انتكاسة لكن في حقيقته هو إشارة الى ان الأمر ليس مجرد استثناء جاء نتيجة ظروف صعبة يمر بها والد الضحية ولم يكن له مخرجاً إلا بالتضحية بمن لا حول ولا قوة، فجاء المخرج في صورة فتاة تتقافز في ثوب طفولتها بل هو اشبه ما يكون ثقافة ضارية تُسير شريحة من المجتمع كنا نظن انها مجرد استثناء في نسيج المجتمع لكننا نفاجئ بأن تقديرنا لحجم هذه الشريحة كان خاطئاً. وفي الحقيقة ليس مهماً حجمها ومدى تبني المجتمع لها. فحالة واحدة كافية لكي تهز

الضمير الإنساني وتجعلنا في مواجهته مباشرة مع إنسانيتنا حالة واحدة كافية لأن تحط مجتمع كامل بأسره في عيون الخارج بانه يتجار بالصغيرات ويعتدي على حقوقهن وهذا بالضبط ما تؤكد الحكاية التي ذكرتها لي صديقتي التي تدرس في الخارج فلقد كانت زميلتها الأمريكية مهتمة بالإسلام ومعجبة جداً بتعاليمه وتشريعاته لدرجة انها طلبت من صديقتي ان تعطيها دروساً في الإسلام حتى جاء ذلك اليوم الذي قرأت فيه تقريراً على موقع CNN الاخباري والذي كان يغطي حكاية طفلة الثقبه. وعلى أثره تغيرت نظرتها للإسلام وتوقفت تماماً عن تعلمه،  
قائلة: كيف يمكنني تعلم دين يبيح اغتصاب الأطفال "!!...!!

نعم انه اغتصاب، وهذا ما تصفه الدراسات العلمية واليكم ما صرح به الدكتور الصبيحي والذي نشرته العربية نت حيث قال في وصفه الزواج من فتيات صغيرات بأنه اغتصاب وأضاف قائلاً: "إن تجربة الليلة الأولى لفتاة قاصر لا تعني معنى الجنس ستكون موقفاً في غاية البشاعة، وهذا يدخل في باب الاغتصاب، ونحن نعرف ان الطفلة التي تتعرض للاغتصاب تصاب بأمراض نفسية عميقة جداً، حين يعرفون معنى تلك التجربة ويعيشون مرارتها ". وابعد من ذلك ما كشفه عن الدراسات العلمية اكدت ان الذين يعتمدون الزواج من صغيرات هم في الأصل شواذ جنسياً ، شارحاً ذلك قائلاً : " كما هو معروف فإن الشخص اللواطى لا يرغب في الكبار بل يبحث عن الاطفال القصر تحت سن 18، وبالتالي حينما يكون في مجتمع من الصعب عليه ان يمارس هذه الجريمة وهو يعرف مثلاً ان عقوبتها في السعودية الاعدام بالنسبة للمتزوج، وعلى وجه الخصوص للشخص المسن فهو يبحث عن مخرج كمقاس الجسد ، لذا يختار الأمر الذي يبعده عن العقوبة الشرعية فيكون امامه الزواج من طفلة يكون جسمها مشابهاً لأجسام الغلمان " .... لا تعليق بعد كلام الدكتور. لكن كلنا أمل وثقة بأن قادة هذا الوطن ومن بيدهم سن القوانين التشريعية الكافلة لحقوق إنسان هذا الوطن صغيره قبل كبيره لن يطول بهم المقام ليصحوا الوضع الراهن ويوقفوا وأد الطفولة على ارض هذا الوطن.

وهناك صورة اخرى قدمتها لنا (مليحة احمد شهاب) عن هذا النموذج من انتهاك حقوق المرأة حمل عنوان "من يجيز وأد الصغيرات " قالت فيه : "أود ان أوجه الشكر الجزيل لمركز الفحص الطبي لما قبل الزواج في مدينة جدة على قيام طاقمه الطبي بواجبه الإنساني بالتزامن مع واجبه المهني ، نشكر افراده على محاولتهم لإنقاذ طفلتين ( الكبرى لم تتجاوز العاشرة والصغرى ذات خمس سنوات) من جريمة كانت والدتهما تسعى لارتكابها في حقهما بتزويجهما لرجلين من اقربائها، فكما ورد في التقرير الصحفي ان اللجنة ( بينت للأم خطورة ذلك وضرر

اقدامها على تزويج بنتيها في هذه السن وتقبلت الأم النصح ووعدت بالتريث وعدم التسرع في قرار الزواج).

ولقد تضمن الخبر حالات اخرى لصغيرات يعمدن اهلن الى تزويجهن مثل الأخ الذي سعى الى تزويج اخته ذات العشر سنوات (من صديقه البالغ 40 عاماً ومتزوج من امرأتين)!!!

الأم وعدت فقط بالتريث وليس التراجع وهذا يعني ان مشروع الجريمة ما زال محتملاً ام الأخ الذي لم يتلقى أي محاولة لإقناعه بالتراجع لأن الرجل في ثقافتنا كلمته واحدة لا يحيد عنها ولو على الخطأ فمن المؤكد ان اخته ذات العشر سنوات اغتصبت طفولتها بأبشع صورة.

من المسؤول عما يحدث لصغيرتنا؟ لا تقولون انهم الأهل فهذا يعني اننا نتجاهل اننا نعيش تحت ظل دولة تحكمها قوانين وتشريعات تستند الى الشريعة الإسلامية التي حفظت الحقوق للحيوانات فيكف بالإنسان.

هذا الباب لا بد ان يغلق الى الأبد فهذا الواد لا يرضها الدين ولا منطق ولا ضمير نائم فضلاً عن الصاحي. إن زواج الصغيرات وأد للضمير الإنساني ومتاجرة بالطفولة وهتك فاحش للبراءة وخروج عن قيم الدين الإسلامي العليا القائمة على حفظ وصيانة النفس البشرية وحمياتها من أي مستقبل لذا شرعت الوصاية للقصر ، لكن ما يحدث ان هناك استغلال بشع للولاية من قبل الولي التي منحتها الشريعة له ليقوم بحفظ حقوق القاصر لا انتهاكها واستغلالها، وفي حال وجد المشرع ان يعطل هذه الولاية ولا بد من سحبها منه الى شخص اكثر تأهيلاً للقيام بواجبات الوصاية لكن هذا لا يحدث، فالولي له سلطة مطلقة ، والطفل لا يملك ما يكفي في الادراك ليعرف حقوقه فضلاً عن المطالبة بها وحمائتها وفي غياب مؤسسات تقوم على مراقبة ما يحدث لهؤلاء القصر فاستغلال الطفولة والمتاجرة بها سيظل قائماً. زواج الطفلات حالة إنسانية مستعجلة لا تحتمل التأجيل لا تحتمل التأجيل لا تحتمل انتظار ان يعي رجال الدين فداحة هذا الجرم ليصدروا فتوى بعدم جوازه فعلى وزارة الشؤون الاجتماعية ان تقوم بدورها وتصدر القوانين التي تمنع وقوع جريمة اغتصاب الطفولة تحت غطاء سامي وهو الزواج ."

اخيراً انتهت (مليحة شهاب) ملاحظاتها عن انتهاك حقوق المرأة السعودية بمقال عنوانه "صباح الخير يا هيئة حقوق الإنسان" قالت فيه: "مجتمع لا يتفاعل مع ما يحدث لأفراده بكل شرائحهم وهو مجتمع متبلد (على الحد الأدنى من الوصف) ويعيش حالة ما قبل السبات التي هي الوجه الاخر للموت .... كنت أخشى ان مجتمعنا مر بهذه الحالة وانا ارى خبر طفلة ذات ثمان سنوات التي تم تزويجها،

يتداول في الصحف دون ان تسمع ذاك الصدى الطبيعي الذي كان له ان يكون عند نشر خبر كهذا. نعم كنت أخشى على مجتمعي منه انه وصل به الحال الى هذا الحد من التبدل الذي يجعلنا نفقد الثقة في اننا كغيرنا من بني البشر الذين لو تجرأ أحدهم على تزويج طفلة لزوج به في غياهب السجون فهذا تقرير (هيومان رايتس واتش) الذي صدر مؤخراً يضعنا ضمن خمسة دول اسلامية تقوم بإعدام صغار السن الجناة، فالعام تستنكر إنسانية إعدام صغار السن وإن كانوا جناة فكيف بالذين لم يرتكبوا جرماً ولا خطيئة...؟ نعم كنت أخشى من ان مجتمعي يفقد إنسانيته شيئاً فشيئاً مما يعني عدم الوثوق بعدالته... نعم كدت ان اعتقد ذلك لولا الخبر الذي نشر في جريدة الوطن تحت عنوان (حملة وطنية شعبية لمنع تزويج الأطفال) يعلن عن جهود جمعية الدفاع عن حقوق المرأة في السعودية، تحت التأسيس (في اعداد عريضة يتم الرفع بها لهيئة حقوق الإنسان في ذكرى اليوم الوطني للمطالبة بوضع حد لظاهرة تزويج الأطفال). من الملاحظ ان هذه الجهود ليست فقط في رفع صوت الاحتجاج ورفض ما يرتكب في جريمة في حق صغيراتنا اللاتي لم يدركن شيئاً من امور الحياة. ببعثرة الكلمات الراضية دون الإقدام على الفعل الايجابي الذي يعبر عن الحجم الحقيقي لإبعاد مأساة ما يحدث لمن لا حول ولا قوة... هذه الجمعية تبذل جهوداً إيجابية نتيجة احساسها بوجوب القيام بذلك وهذا الاحساس ليس فائضاً عن الحاجة بقدر ما هو مرتبط بإملاءات الحس الإنساني لعضواتها الذي لولاه سيشعرن بأنهن أي شيء غير كونهن كائن إنساني. حينما يصاب الجسد بالمرض لا شيء يدل على حياته سوى الاحساس بالألم وما تقوم به الجمعية إشارة اننا احياء وان هناك خلل بحاجة الى اصلاح كل ما ارجوه ان تأخذ هيئة حقوق الإنسان في عين الاعتبار العريضة التي سترفعها الجمعية وان تتحمل الدور كاملاً في وضع حد لما يسمى بالمتاجرة بالطفولة وعليها ان تضع برنامجاً لضخ دماء الإنسانية في عروق مجتمع تكاد ان تفرغ من دماء الإنسانية".

ملك سوازيلاند له 13 زوجة واحتفالاته تحييها العذارى! هناك في القارة السمراء بقعة ارض فيها من الخيال ما فيها تحيط بها جنوب افريقيا من ثلاث جهات وموزمبيق من الشرق هي سوازيلاند التي لم يقف أحد عند عاداتها الاجتماعية إلا اصابة الذهول بسبب احتفالها السنوي الذي يشكل مادة دسمة لكل وكالات الأنباء العالمية فما الذي يدور في خلد أكثر من 20 ألف فتاة يجتمعن امام ملك البلاد! لا تزال سوازيلاند بلداً بعيداً عن حركة التقدم العالمية يتزوج فيها الأمراء المسنون من طفلات غير بالغات بحجة التقاليد والثقافة الوطنية يحكمها الملك مسواتي الثالث الذي تولى مقاليد الحكم عام 1986 بعد والده "سوبوزا الثاني".

"مسواتي" هو الأبن الوحيد لوالدته (انتوني) المعروفة ايضاً باسم "انغوسيكاتي لاتفاولا" وكانت أصغر زوجات الملك، كما انه أحد ابناء الملك سوبوزا الثاني كانت له 70 زوجة و210 اطفال وعند وفاته كان لديه 1000 حفيداً. حيث تولت امه (الوصاية) على العرش لحين إكمال دراسته في بريطانيا ليعود بعدها ويتولى شؤون البلاد.

### موقف ملكي

تشير الأرقام الرسمية الى ان شخصاً من كل اربعة مواطنين يعاني من فيروس الإيدز في تلك المملكة والارقام السيئة تكون بين الحوامل التي اثبتت دراسة ان 41% منهن مصابات بالمرض ولهذا السبب فإن ثلث اطفال البلاد اصبحوا أيتاماً هنا اخذ الملك موقفه في العام 2001 وحاول الحد من انتشار مرض الإيدز ودعا الى ممارسة طقوس (العفة القديمة) المعروفة باسم (أمتشواشوا) والتي تمنع المرأة تحت سن 18 من ممارسة الجنس ورغم ان شرطة سوازيلاند طبقت قانون خطر ارتداء التنورات القصيرة جداً والسراويل المنخفضة الخصر لأنها تسهل عمليات الاغتصاب – حيث اعتبرت المرأة التي تتعرض للاغتصاب وهي في هذه الملابس هي المسؤولة – فإن الحظر لم يشمل الملابس التقليدية التي ترتديها الشابات في الاحتفالات السنوية التي تقام في سبتمبر من كل عام وترقص خلالها الفتيات اللاتي يتجاوز عددهن الـ 20 ألفاً ويفترض ان يكنّ عذارى شبه عاريات امام الملك ليختار منهنّ زوجة له .

تقول "إيمي سيميلين" 15 عاماً وهي واحدة من الفتيات الراقصات في الحفل: "تحاول امي إعالتي بعد وفاة ابي بالإيدز لكننا نحصل على طعامنا من برنامج الغذاء العالمي اريد ان اعيش في قصر، فمياه الامطار تتسرب من سقف الكوخ الطيني الذي تعيش فيه " فيما لا تهتم " نابسيلي دلاميني " 13 عاماً ان يكون للملك نساء غيرها فكل ما تريده هو ان تقود سيارة مرسيدس.

### تقليد انثوي

من وجهة نظر الملك ان رقصة " اوملانجا ريد " التقليدية هي تعبير عن الانوثة والعذرية لكن الجماعات النسائية في البلاد ترى ان ولعه يتعدد الزوجات يلحق القدر بالبلاد التي تعاني اعلى معدلات إصابة في العالم بفيروس نقص المناعة المكتسبة. ورغم تطور الذي يشهده العالم فإن الملك – الذي قدرت مجلة فوريس ثروته بـ 200 مليون دولار امريكي – يصّر على البقاء بملابسه التقليدية المكونة من جلود الفهود والأسود وان يكون زوجاً لـ 13 امرأة كل ذلك بينما ثلثا سكانها

يعيشون تحت خط الفقر و40% منهم يعانون من البطالة بالإضافة الى قرارات حكومية يخفض الاتفاق وصلت لإطفاء اضواء الشوارع واغلاق المدارس حتى طعام السجناء تم تقليله!

### 360 مليون دولار

تمضي ملكات سوازيلاند الـ 13 عطلتهنّ السنوية الفاخرة وهنّ يتجولنّ في طائرة اشترها لهنّ بكلفة 360 مليون دولار كل هذا بالإضافة الى تكلفة الرحلة نفسها حيث يقضين اسبوعين في اسيا ثم جولة بالمحيطين الباسيفيكي والهندي وقد ذكرت صحيفة بريطانية ان الحاشية وحدها كانت تضم 100 فرد خدموا الملكات في جولتهنّ في اليابان واستراليا والمحيطين الباسيفيكي والهندي وتجاوز العدد هذا الرقم عندما سافرنّ في العام الذي سبقه الى الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط وعادة ما تكون رحلة العطلة الملكية سرية جداً!

### هروب العروس

السرية لم تكن قادرة على اخفاء اخبار من يحاولنّ الهرب من الزواج من الملك فعندما طلب يد شابة " تنتسوالو نغوبيني " طلبت الأخيرة اللجوء الى بريطانيا. تعلق نغوبيني " ارفض ان اكون زوجته الرابعة عشر " ، يسمح للملك مسواتي ان يختار زوجة جديدة سنوياً بعد الحفل الراقص لكنه قد قرر واختار الانسة "نغوبيني" منذ سن الخامسة عشره بعد ان رآها في قصر زوجته الرابعة تقول الفتاة "أصببت بالرعب عندما بدأ يتصل بي في المدرسة ويسألني عما إذا كنت اريد ان اكون من ضمن عائلته الملكية" لم يخطر ببال "نغوبيني" انها ستكون داخل قصر محاط بالحراس ولا تستطيع الذهاب الى أي مكان – إلا بعد موافقة الملك – سوى الذهاب الى امريكا مرة سنوياً للتسوق مهما بلغت النفقات فتركت مدرستها الداخلية الخاصة بمساعدة عمتها وهربت الى بريطانيا لتنظم الى امها التي انتقلت الى برمنغهام قبل خمس سنوات من هذا التاريخ هرباً من زواج مماثل تقول "نغوبيني" "ليس هناك من يجروّ على رفض طلب الملك او ان يرفض إطاعة اوامره ولذلك فضلت الهروب".

### خيانة زوجة

هروب "نغوبيني" اشعل الانتقادات وبدأت سلسلة الفضائح بالظهور على السطح فحسب صحيفة " التليجراف " البريطانية ان الملك طرد وزير عدله بعد ان زعم انه على علاقة مع الملكة "نوتاندو ديوبي" ( الزوجة الثانية عشر ) التي فازت بمسابقة ملكة جمال المراهقات وهي في سن السادسة عشرة لكن يبدو ان هذه الفتاة ضجرت من الحياة الملكية والبروتوكولات وانتظارها في الصف الطويل وقيل انها

تكررت على هيئة جندي لتتمكن في اجتياز حراس الأمن في القصر وخروجها منه، يومها وضع الوزير " ندوميسو " قيد الحجز حالياً الملكة تحت الإقامة الجبرية طوال حيلاتها لكنها استطاعت - وهي في سجنها - الوصول لإحدى الصحف جنوب افريقيا لتشكو زوجها الملك الذي يحتفظ بها سجينه الى الابد في قصرها الخاص.

## بالآلاف

في نيسان من كل عام يحتفل الملك بعيد ميلاده وعادة ما ينظم زعماء القبائل التقليدية في منطقة " اشيسيلوني " الاحتفالات هذا الشهر، وقد يكلفون ايضاً بتقديم المواشي له، يومها قال وزير الداخلية (الامير جوكوما) جملته "يدركون تمام الإدراك الدور المرجو منهم إذ انهم سيستقبلون الملك في هذا اليوم المشهود ". وقد تخصصت الحكومة مبلغ خمسة ملايين راند من ميزانيتها (652 ألف دولار) لإحياء الحفل. ورغم ان حزب المعارضة المحظور يطالب في السنتين الأخيرتين بإلغاء الاحتفالات وتخصيص الاموال المزمع انفاقها لمنح تقدم لطلاب فقراء. فإن عادات اعياد الميلاد وتخصيص قصر لكل زوجة لا تزال قائمة.

## 7 - جريمة الشرف أو غسل العار

انه سلوك عنفي لا يقبل الجدل والطعن فيه تكون المؤنثة قرباناً معلناً في التماهي والتماثل مع معايير وقيم التقاليد الثقافية الموروثة التي لا تلتزم بقواعد القانون الوضعي المكتوب ويكون الجاني أحد أفراد القربان (المؤنثة) وقد تكون هي ضحية اشاعات أو شكوك أو وشايات كاذبة ضدها من المغرضين منها. فهي إذن الضحية والقربان معاً فقدت حقها في الحياة وحقها في الدفاع عن نفسها وشرفها نتيجة احتقار المرأة من قبل ثقافتها الاجتماعية واستعلاء مكانة الرجل الذكورية وغالباً ما تُقترب هذه الجريمة في الخفاء حفاظاً على اعتبار الأسرة.

إنها أحد أشكال اغتصاب حق المرأة في عدم احترام وجودها في الأسرة أو حقها في التعبير عن رغبتها ومصالحها الشخصية وحقها في العيش كإنسانة لها كيان. انه اغتصاب ثقافي موروث قام به الاحياء نيابة عما وضعه الأموات الذين لم يتمثلوا روح العصر.

هذه الممارسة يستخدمها المجتمع التقليدي والريفي والاقطاعي والفلكلوري والمحافظ والطائفي والعرقى لتعزيز ضوابطه العرفية ويبقى الفرد تحت سيادته وتسلطه وتنشئته مضحياً بأرواح افراده من أجل اشباع حاجته في الوجود والبقاء خالداً سرمدياً متحكماً بالفرد. جريمة الشرف أو القتل بدعوى الشرف يرتكبها الرجل في الأسرة ضد الانثى، جريمة تُنفذ بالخفاء لا تبلغ عنها الشرطة هذا هو

الرجل هو: الزوج أو الشقيق أو الأب أو الأبن. أما الانثى فإنها القربان البشري الذي تقدمه الأسرة للمجتمع المحيط بها تلبية لرغباته في ضبط سلوك النساء وفق ما قرره هذا المحيط بذات الوقت يحمل رسالة واضحة من القاتل واسرته مفادها أو نصها "لقد قمت بإزالة أسباب رفضكم فاقبلونا مجدداً". أما أسباب فاعلها فتكون قائمة على قناعات مبنية على شبهات وشائعات وهمسات الجيران والأصدقاء حول سلوك المجني عليها وسوء الضن الجائر بالضحية ولغط الناس انه مجرد حدس وهاجس وريبة وشك والخوف من كلام الناس والحرص على سمعة العائلة دون سند عقلائي لكن لا تخلوا الثقافة العربية من تغذيتها للموروث البالي القائل (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم) وان (شرف المرأة كعود الكبريت يحترق مرة واحدة) ثم سيادة الأعراف والقيم الريفية التي هي وليدة ثقافة احتقار المرأة وممارسة العنف ضدها. كذلك هناك أسباب أخرى للضحية الانثوية التي تمارس في مجتمع ذكوري يمتلك ثقافة ذكورية قائمة على سلطة الرجل (البطريقي) مثل: -

1 - رفض الفتاة بالزواج من رجل اختارته العائلة.

2 - هروب الفتاة من شخص تحبه.

3 - خيانة المرأة لزوجها.

4 - ضحية الاغتصاب.

5 - الشاذون جنسياً من الاناث والذكور.

تعددت في الآونة الأخيرة جرائم الخيانة الزوجية، وعادة ما تنتهي بمقتل العشيق على يد الزوج انتقاماً لشرفه وثأراً لكرامته، وآخر هذه الجرائم شهدتها منطقة الطالبية، حيث عاد عامل إلى شقته بمنطقة الطالبية فوجئ بعشيق زوجته يختبئ ببلكونة الشقة، لتتشب بينهما مشاجرة تنتهي بسقوط العشيق من البلكونة، ومفارقته الحياة، ليتم ضبط الزوج بتهمة التورط في قتل العشيق، والقبض على الزوجة بتهمة الزنا.

كما شهدت منطقة العمرانية أيضاً جريمة قتل حلاق لعشيق زوجته بتسديد الطعنات له بعد ضبطهما في وضع مذل بشقته، ثم سلم نفسه لقسم شرطة العمرانية، وفي محافظة كفر الشيخ قتل حلاق عشيق زوجته بعد ضبطهما في وضع مذل بغرفة النوم عقب عودته إلى شقة الزوجية، حيث طارده وسدد له الطعنات بسكين المطبخ، مما أسفر عن مقتله في الحال وشرع في قتل زوجته حيث أصابها بعدة جروح.



وبالرغم من تورط الأزواج في ارتكاب جرائم القتل إلا أن عقوبتهم لا تصل إلى الإعدام أو المؤبد كما ينص القانون في جرائم القتل، حيث خفف المشرع العقوبة في تلك الجرائم من سنة إلى 3 سنوات.

ومن جانبه قال الدكتور أحمد الجنزوري أستاذ القانون بكلية الحقوق جامعة عين شمس، لـ (اليوم السابع) إن المادة 237 من قانون العقوبات تنص على: "من فاجأ زوجته حال تلبسها بالزنا وقتلها في الحال هي ومن يزني بها يعاقب بالحبس بدلا من العقوبات المقررة في المادتين 234 و236"، موضحاً أي أن الزوج إذا ضبط زوجته مع عشيقها يستفيد من التخفيف في العقوبة، حيث قد تصل عقوبته إلى الحبس من سنة إلى 3 سنوات، وتعد هذه المادة هي الوحيدة التي تنص على عقوبة مخففة في جريمة القتل.

وأضاف الجنزوري، أن إثبات الزوج لخيانة زوجته مع عشيقها يثبت من خلال تواجدهما معا في شقة الزوجية مع وجود بعض المظاهر التي تدل على علاقتهما غير المشروعة، حتى لو لم يتم ضبطهما في وضع مخل في حالة تلبس، مؤكداً أن الزوج إذا ضبط زوجته في وضع مخل مع عشيقها وتم التحفظ عليهما وإبلاغ أجهزة الأمن، فإن العقوبة التي توجه للزوجة وعشيقها هي الزنا وعقوبتها الحبس 3 سنوات، ويحق للزوج التصالح والتنازل حتى لو صدر حكم نهائي في القضية. وأستاذ القانون بكلية الحقوق جامعة عين شمس، إن الزوج لا يحق أن يقيم دعوى زنا ضد زوجته إذا سبق وأن ضبطته متلبساً بخونها، وأقامت ضده دعوى زنا، أو حررت محضراً بالواقعة طالما أثبتت الأمر قانوناً.

ومن جانبه قال الدكتور محمد أبو طالب أستاذ القانون بجامعة عين شمس، إن الزوج إذا ضبط زوجته في وضع مخل مع عشيقها فيحق له التحفظ عليهما ويشهد عليهما آخرين، وإذا قتلها ومن يزني بها فيعاقب بعقوبة الجنحة وليست الجنائية.

وأضاف أبو طالب، أن إثبات جريمة الزنا من الأمور الصعب تحقيقها، حيث حددتها الشريعة بإشهاد 4 أشخاص وأن يراها متصلين كالعود في المكحلة والقلم في المحبرة، لكن هناك بعض الدلائل التي تشير إلى وجود علاقة تثبت الخيانة مثل وجود مراسلات بين الزوجة وعشيقها، وخلاف ذلك فإن كل حالات القتل تعد جنائية قتل عمد ويحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة أو الإعدام.

ما زالت نساء أردنيات يتعرضن بين الفينة والأخرى للقتل بشتى أشكاله في سياق ما يوصف بأنه جرائم شرف والتي غالباً ما تكون نتيجة (قناعات) مبنية على الشبهة فقط. والكثير من الفتيات أو النساء، وسط هذه الظاهرة التي تسيطر على

ثقافة مناطق الأطراف، يبقين يدرن بين رحي الحب والتقاليد والفقر الذي يجبر الكثير من الشباب عن العزوف عن فكرة الزواج بسبب البطالة أو غياب فرص العمل وارتفاع تكاليف المعيشة. واللافت ان بعض هذه الجرائم التي ترتكب بحق النساء لها غايات دنيئة اخرى ربما تتعلق بالميراث او مؤخر الصداق، لتقع المرأة في النهاية على حد سكين أقرب الناس إليها المتشعب بثقافة العار السائدة في مجتمع. ويشهد الأردن وفق أرقام وإحصائيات محلية حوالي 14 جريمة سنوياً بداعي (الشرف)، إلا أنه شهد خلال الثلث الأول من العام الحالي 2016 وقوع 12 جريمة قتل بحق نساء وفتيات، إذ إن كانون الثاني (يناير) شهد أربع جرائم قتل، وشباط (فبراير) ثلاثة، ولم يشهد آذار (مارس) أية جريمة قتل، بينما شهد نيسان (أبريل) خمس جرائم، وشروعاً بجريمة قتل واحدة.

ووفق بيان لـ (جمعية معهد تضامن النساء) الأردني (تضامن)، فإن خمس جرائم ارتكبت رمياً بالرصاص، و4 طعنأً بأداة حادة، و2 بالحرق وواحدة بالضرب الشديد المفضي إلى الموت. وتبين الأرقام أن الأزواج ارتكبوا ثلاث جرائم، والأقارب جريمتين، فيما ارتكب الأخ والعم جريمة لكل منهما.

وتبين (تضامن) انه وخلال كانون الثاني تم العثور على جثة عاملة وافدة محترقة في أحد شوارع سحاب، مصابة بحروق تفحميه في الجزء العلوي. كما تم العثور على جثة سيدة ستينية في منطقة أم البساتين تعرّضت للطعن أربع مرات في منطقة الرأس، وتبيّن أن الجاني هو حدث من أحد أقربائها من الدرجة الثانية، كما تم العثور على جثة فتاة متفحمة في منطقة وادي شعيب في محافظة السلط ملقاة على جانب أحد ينابيع المياه، وفي منطقة الغويرية في محافظة الزرقاء قتلت ثلاثينيه رمياً بالرصاص داخل منزلها حيث وجدتها ابنتها جثة هامة لدى عودتها من المدرسة.

وخلال شباط أقدم ستيني على قتل زوجته الخمسينية بالرصاص ومن ثم انتحر داخل منزلها في منطقة حي نزال في عمان، وكان الزوج يعاني من اضطرابات نفسية وزوجته مصابة بمرض السرطان. وتوفيت فتاة (17 سنة) إثر تعرضها لرصاصة في الصدر بالرمثا، وفي منطقة رجم الشامي بالقرب من سحاب أقدم زوج خمسيني على قتل زوجته الأربعينية رمياً بالرصاص وإصابة أولاده الثلاثة ومن ثم انتحر.

وخلال نيسان قتلت سيدة ستينية طعنأً بأداة حادة على يد أحد أقاربها في منطقة الدوار السابع في عمان، وفي منطقة الرويشد في البادية الشمالية تم العثور على

جثة شابة مصابة بعيار ناري، وتعرضت فتاة (16 سنة) لضرب شديد أدى إلى وفاتها على يد شقيقها في منطقة بيت رأس شمال مدينة إربد، فيما أقدم زوج سوري في الأربعينات من عمره على قتل زوجته السورية طعناً بسكين داخل منزلها في منطقة الرصيفة، والزوجة في العقد الثالث، وقتلت طالبة جامعية عمرها 19 سنة طعناً على يد عمها البالغ 23 سنة داخل حرم جامعة العلوم والتكنولوجيا في إربد. وجدّدت (تضامن) في البيان مطالبتها الجهات الحكومية والبرلمانية ومؤسسات المجتمع المدني وصانعي القرار ورجال الدين ووجهاء العشائر، بتكثيف الجهود المبذولة لمنع ارتكاب جرائم (الشرف) في شكل خاص، وقتل النساء والفتيات والطفلات في شكل عام، وضمان عدم إفلات مرتكبيها من العقاب باتخاذ إجراءات إدارية وقانونية وتعديلات تشريعية عند الضرورة.

ووفق دراسة أعدها المجلس الوطني لشؤون الأسرة في الأردن فإن 42 في المئة من نساء ضحايا الشرف عازبات، و42 في المئة متزوجات، بينما توزعت البقية ما بين أرامل ومطلقات، في حين أن 56 في المئة من الجناة كانوا متزوجين، و56 في المئة منهم عمالاً، ما يشير إلى انخفاض مستواهم التعليمي. وتمثلت أدوات ارتكابهم للجريمة باستخدام الأسلحة النارية أو الأدوات الحادة.

وبيّنت الدراسة وهي بعنوان (الأعدار المخففة في جرائم القتل بدافع الحفاظ على الشرف: الأبعاد القانونية والقضائية والاجتماعية والدينية) أن 69 في المئة من جرائم (الشرف) كانت ترتكب على يد الشقيق.

ويستفيد الكثير من مرتكبي مثل هذه الجرائم من (العذر المخفف) المنصوص عليه في قانون العقوبات الأردني للإفلات من الإعدام أو السجن لسنوات طويلة، حيث لا يتجاوز السجن في هذه الحالة سنوات قليلة.

وتنص المادة (98) من قانون العقوبات على أنه "يستفيد من العذر المخفف فاعل الجريمة الذي أقدم عليها بسورة غضب شديد، ناتج من عمل غير محق وعلى جانب من الخطورة أتاه المجني عليه".

وفشلت الحكومة الأردنية مرتين في إلغاء هذه المادة بسبب رفض مجلس النواب مدعوماً بالقوى الدينية والعشائرية.

وبيّنت الدراسة أن 56 في المئة من الضحايا ضمن الفئة العمرية 18 - 28، مشيرة إلى أن 45 في المئة من الجناة كانوا من ضمن الفئة العمرية ذاتها.

وأرجع الشيخ أحمد غريس، ويعمل في وزارة الأوقاف الأردنية، هذا النوع من الجرائم إلى غياب دور الأسرة في التربية على الأخلاق والمثل العليا، إضافة إلى تغييب تعاليم الدين الإسلامي الحنيف عن أفراد هذه الأسر.

وكشف غريس عن أن الكثير من هذه الجرائم التي ترتكب بذريعة الشرف هي في الحقيقة من أجل احتكار الميراث مثلاً أو عدم دفع مؤخر (الصداق) المنصوص عليه في عقد الزواج من جانب الزوج الذي يفكر في تطليق زوجته، فيما قال المحامي علاء الدين القدومي، أن نص المادة 98 من القانون يشجع على ارتكاب هذا النوع من الجرائم لأنها أعطت الجميع عذراً مخففاً بحجة أن الجاني كان في سورة الغضب.

وأوضح أن من يرتكب جرائم الشرف هو مجرم، ولكنه يستخدم ذريعة الشرف، وأحياناً تكون لغايات كثيرة غير الشرف.

وهناك من جرائم الشرف، الابن يقتل زوجته بعد ما رآها متلبسة مع اباه في الفراش قتل أخته بعد ما رقصت في فرح ابن عمها انتظر 24 عاماً حتى يقتل ابن عمه الذي عاش معه ليس غريب على مجتمعاتنا الشرقية تلك النوع من الجرائم والتي تعرف باسم جرائم الشرف، وهي التي يقوم فيها الذكر بقتل الأنثى الذي يكون بينهما ارتباط سواء على صعيد العائلي أو الزوجي لشكوك في سلوكها، ومن الطبيعي على مجتمعنا الذكوري أن النسبة الأكبر من مرتكبي هذه الجرائم هم ذكور. حيث كشفت دراسة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في 2006، أن 29% من جرائم القتل التي ترتكب في مصر وقتها كانت بسبب "الشرف"، وأن 70% من هذه الجرائم ارتكبتها الأزواج ضد زوجاتهم و20% ارتكبتها الأشقاء ضد شقيقاتهم بينما ارتكب الآباء 7% فقط من هذه الجرائم ضد بناتهم أما نسبة الـ 3% الباقية من جرائم الشرف فقد ارتكبتها الأبناء ضد أمهاتهم. أخطر ما جاء في الدراسة هو التأكيد على أن 70% من جرائم الشرف لم تقع في حالة تلبس وإنما اعتمد على ارتكبتها سواء كان الزوج أو الأب أو الأخ علي الشائعات وهمسات الجيران والأصدقاء حول سلوك المجني عليها، والدراسة أشارت أن تحريات المباحث في 60% من هذه الجرائم أكدت سوء ظن الجاني بالضحية وأنها كانت فوق مستوى الشبهات. وفي هذا الشأن سنتناول 5 جرائم شرف عبرت عن شراح متباينة من المجتمع

1 - يقتل ابن عمه بعد معاشرة الأخير لأمه، القصة تبدأ هنا عندما كان القاتل بعمر الـ 11 عاماً حيث شاهد أمه على الفراش مع ابن عمه البالغ وقتها 22 عاماً،

ومنذ ذلك الحين والطفل يحلم بان يكبر سريعاً حتى ينتقم لشرفه، يعد الأيام والليالي، ولكن يحول بينه وبين الضحية، أن الضحية دخلت السجن لمدة 8 سنوات في تهمة الشروع في قتل، ويروى القاتل انه انتظر الـ 8 سنوات وانتظر حتى الانتهاء من مدة المراقبة، وعندما حانت اللحظة المناسبة، تلك اللحظة التي تأخرت 24 عاماً على حد قول القاتل. استدرج ابن عمه لجزيرة الذهب بالجزيرة بحجة توضيب شقة جديدة، اختلى به في مكان معزول ثم قام بطعنه، طعنه العديد من الطعنات وفي كل طعنة يشفى غليله حتى تركه جثة هادمة ولاذ بالفرار. وقال المتهم محمد عابدين، 35 سنة، في اعترافاته أمام شريف صديق، وكيل أول نيابة حوادث جنوب الجزيرة "غسلت عاري بعد 24 سنة، فكم كنت أتشوق وأحلم بأن أقوى على قتله"

2 – البواب يذبح زوجته لشكه في سلوكها هذا النوع من الجرائم يعد النموذج الأشهر لما يعرف باسم جرائم الشرف، ما هي الذريعة التي استند عليها القاتل ليقوم بفعله ؛ مجرد حدس وهو اجس وريبة أعماها الشك حتى يقتل زوجته ، قام الزوج بتوجيه عدة طعنات إلى زوجته في صدرها ، ولكن هذا لا يشفى نار القاتل، يمسك ضحيته التي أعيها الطعن – ربما – او هول الصدمة ثم يقو بنحرها ، حتى يلاقيها الناس عند مدخل العمارة بكامل ملابسها مع عدة طعنات في الصدر مختومة بذب من الرقبة. تلقى قسم شرطة ثان المنتزه، بلاغاً بالعثور على جثة سيدة بمدخل العقار رقم 7 شارع 9 من شارع 45 بمنطقة العصابة. وبالانتقال لمكان الحادث، تبين وجود جثة المدعوة "هالة ف. ع."، 24 سنة، زوجة حارس العقار محل البلاغ، من كوم حمادة بمحافظة البحيرة، ومع التحريات والبحث تمكن ضباط وحدة مباحث القسم من ضبط مرتكب الواقعة، زوج المجني عليها المدعو "عادل خ. أ."، 31 سنة، حارس عقار، من كوم حمادة بمحافظة البحيرة. اعترف المتهم في التحقيقات بارتكاب الواقعة لشكه في سلوكها، وبارشاده تم ضبط الأداة المستخدمة في الجريمة، "سكين"، تم إخطار النيابة العامة، ونقل الجثة لمشرحة الإسعاف.

3 – يقتل شقيقته لرقصها في فرح ابن عمها وما هي عهد الأفراح سوى الرقص والمغنى والسلامات ، هذا شيء طبيعي أن يحدث في فرح وخاصة لو كان فرح ابن العم ، كل هذا قد يراها البعض انه العادي والمعهود ، لكن هذا العامل لم يرى الأمر هكذا عندما رقصت شقيقته التي بالكاد بلغت ربيعها الخامس عشر في فرح ابن عمها، ذهب إلى غرفتها ليلاً لف الايشارب حول عنقها حتى تحولت بين يديه إلى جثة هادمة ، كشفت تحريات اللواء عصام الحملي ، مدير المباحث، والنقيب مصطفى أبو المجد، رئيس مباحث مركز قنا، أن شقيق المجنى عليها

ويدعى أحمد، 26 سنة، عامل وراء ارتكاب الجريمة، وأنه قتلها بعد مغافلتها وخنقها بإيشارب، قام بلفه حول رقبتها، ولم يتركها إلا جثة هامدة، وذلك لتأديبها على رقصها في حفل زفاف نجل عمهما. ثم أوهم والدهما وأشقائه بأنه فوجئ بها جثة هامدة على سريرها. تمكنت الأجهزة الأمنية من ضبطه وقررت نيابة مركز قنا بإشراف محمد اليمنى، وكيل النيابة، حبسه 4 أيام على ذمة التحقيقات بتهمة القتل العمد.

4 – أب يقتل ابنته بعد حملها والأم تتستر على الجريمة الفتاة في الـ 18 عاما من عمرها، شكت أمها في حالتها الصحية، طلبت منها الذهاب إلى الطبيب، لتفاجئ الأم بحمل بنتها في الحرام، تخبر الأب وهو فلاح عمره 50 عاماً، يأخذها الأب إلى المزارع المجاورة للقريه يقتلها ويتخلص من جثتها بإلقائها في النيل، يخبر الأم أن تبلغ عن اختفاء البنت وتفعل الأم، وهذا حتى لا يفتضح أمره. تلقى اللواء حسن سيف، مدير أمن المنيا، إخطاراً من العميد عصام جمال مأمور مركز ملوي، من بعض الصيادين بالعثور على جثة لفتاة ملقاة بنهر النيل، وردت معلومات لوحدة مباحث المركز تفيد بأن الجثة لفتاة تدعى "ع.ع"، 18 سنة، ومبلغ بغيابها منذ 22 أكتوبر الجاري، من والدتها "شربات.ع". يتم إلقاء القبض على الأب المتهم وبمواجهته اعترف بارتكاب الواقعة، وأنه أقدم على قتل ابنته بدافع الشرف، تحرر عن الواقعة المحضر رقم (7189) إداري مركز ملوي.

5 – الابن يقتل زوجته بعد ما رآها متلبسة مع أباه في الفراش كريم شاب أحب زوجته منال تزوجها وهي في 21 من عمرها، بعدما حارب الدنيا من اجلها، ووقف في وجه ابيه الذي لم يوافق على الزواج وكان اشد المعارضين في البداية، يشترط الأب ان يعيش الزوجين معه في المنزل، الزوجة تعترض في البداية لكن توافق في الأخير، يقضى كريم معظم ساعات عمله خارج المنزل، مطمئن أن الزوجة تجلس مع أبيه الذي أصبح يحسن معاملتها وتحسن معاملته. رأى كريم أن الأحوال أصبحت أحسن، لكنه يتفاجأ بموقف كان شرارة الشك، الأب يضع يده على زوجته بشكل يثير رييته وغيرته، يشك، يجلس في المنزل بشكل أكبر، يبحث ويبحث عن منزل جديد ينتقل إليه بزوجه، الزوجة تتحجج بأنها لا تريد اباه الطاعن في السن، مما يدفعه في البحث بشكل أكبر. كل هذا كان في إطار الشك، حتى جاء اليوم المشئوم، الزوج يعود من عمله في غير ميعاده، أصوات غريبة تخرج من غرفة نومه من سريرها، يفتح باب الغرفة، الصدمة. الأب والزوجة في الفراش عاريان، لم يدري بنفسه وإلا وقد احضر السكين وانهال بالطعن على والده الذي رباه ثم

خانته وعلى الفتاة التي أحبها ثم تزوجها. ولكن للجريمة هنا نهاية واضحة بعد سنة وشهرين في الحبس وهي مدة المحاكمة تقضى المحكمة ببراءة كريم هذا الذي قتل من اجل الحب من اجل الشرف. والسؤال هنا هل هذه رجولة أم جنون؟  
هذه أمثلة عن الممارسات الاستبدادية يقوم بها المجتمع تجاه افراده (الجاني والضحية) ولا ننسى الهواتف المحمولة كآلية في ابتزاز الضحية وجعلها تنزلق في مهاوي جريمة الشرف. اما الدول التي تكثر فيها جريمة الشرف فهي سوريا، العراق، تركيا، باكستان، لبنان، الأردن، فلسطين، الأردن، فلسطين، مصر، السعودية، اليمن.

بدأت سلطات باكستان قبل عام حملة ضد جرائم الشرف المستفحلة في هذه الدولة ولكن نتائجها تبدو حتى الآن متواضعة جداً. فعلى الرغم من العقوبات الصارمة يواصل الرجال في هذه الدولة الإسلامية إصرارهم على محو "العار بالدم".  
قبل عام ونيف (في الـ 15 يوليو 2016) قام المدعو وسيم عظيم وعمره 25 عاماً بقتل شقيقته فوزية المعروفة في أوساط الإنترنت باسم كانديل بالوتش - المدونة وعارضة الأزياء، وفي ذلك اليوم زارت البائسة دار والديها في مدينة مولتان في باكستان وخلال ذلك أعطاها شقيقها حبة منومة وبعد ذلك خنقها بيديه العاريتين. وقال الشاب بعد القبض عليه بكل فخر إنه ليس نادماً على ما فعل لأنها "جلبت العار لعائلتنا".

أثارت جريمة قتل الفتاة الملقبة في بلادها بـ "كيم كارداشيان الباكستانية" ردود فعل قوية في وسائل الإعلام المحلية وهو ما دفع البرلمان لتشديد عقوبات هذه الجرائم ولكن الوضع لم يتغير - فخلال أقل من عام تم تسجيل 280 جريمة من هذا النوع ولكن ذلك ليس القدر اليسير لأن غالبية هذه الجرائم تنفذ بالخفاء ولا تبلغ الشرطة بها.

هذه الفتاة حاولت التمرد على التخلف والقهر بطريقها الخاصة وبعد تزويجها قسراً لأحد القرويين فرت من داره وعملت في البداية جارية في إحدى الباصات ولكنها لاحقاً امتطت الإنترنت وفتحت مدونة خاصة بها نشرت فيها صورها كعارضة وهو ما جلب لها مليون متابع، لكن ذلك لم يشفع لها وقام شقيقها بقتلها خنقاً غسلها للعار.

ولما كان المجتمع العربي تسوده ثقافة ذكورية تحقر المرأة وتغذيها فإن اعتبار وسمعة العائلة يخضع لشرف اناثها فإذا تصرفت تصرفاً يثير الشك والريبة والهواجس لدى ذكور الأسرة فإن الاقدام على القتل يقع واقع حال مثال على ذلك

في صبيحة يوم خريفي من عام 2016، ووسط أكوام النفايات في منطقة (السدة) بأطراف الزعفرانية في بغداد، عثرت الشرطة على جثة (ف، س) الفتاة العشرينية وهي مصابة بعيارات نارية في الرأس والرقبة. وبعد أن سُلمت جثة الضحية من قبل الشرطة الى (الطب العدلي) أخرجها ذويها بشهادة وفاة تؤكد تعرضها الى نوبة قلبية مفاجئة، ما اخفى معالم الجريمة.

شقيقة الضحية، البالغة من العمر 33 سنة، والتي تسكن في بيت من الصفيح وسط الزعفرانية، إحدى ضواحي جنوب شرقي العاصمة بغداد، رفضت في بداية الأمر الحديث عن تفاصيل القصة خوفاً من التصفية الجسدية، الا أنها قبلت بذلك بعد طمأننتها إلى عدم كشف هويتها "أولاد عمومتي، هم من قتلوا شقيقتي البالغة 22 سنة بالتواطؤ مع والدي، بعد اكتشاف علاقتها بشاب مجهول"، تقول شقيقة الضحية وهي تعدل غطاء رأسها الأسود ماسحة بيديها وجهها الشاحب، مضيفة أن أختها حاولت الهرب، غير أن والدها حبسها في غرفة بالمنزل مدة يومين، قديم خلالها أولاد عمومتها، واتفقوا على قتلها.

"تدخلت لمنعهم الا انهم هددوني بالقتل أيضاً، وأمام اصراري، قام الابن الأكبر لعمي بتوجيه ضربة إلى رأسي فأغمي علي، وعند استيقاظي، لم أر أختي في المنزل، ولم أعرف بمصيرها إلا بعد يومين، حيث أبلغني والدي بقتلها ورمي جثتها في مكان مجهول".

تهدج صوتها فجأة وملأت الدموع عينيها "بعد مرور أربعة أيام من الحادث، جاء جارنا الشرطي ليخبر والدي بالعثور على جثة شقيقتي في منطقة السدة وتسليمها الى الطب العدلي، فسارع للذهاب الى هناك لإكمال اجراءات الدفن، خشية الفضيحة وكشف ملابس الجريمة".

في الأثناء، توجهت شقيقة الضحية الى منزل الشرطي، وأخبرته بأن الجناة هم الوالد وأولاد العم، إلا ان هذا الأخير رفض التدخل خشية من الملاحقات العشائرية وتطور الجناية الى قضية خصومة بين عشيرتين.

بعد يومين نجح الوالد في اخراج شهادة وفاة مغلوطة تؤكد أن سبب الوفاة هو تعرض الضحية (لنوبة قلبية).

على رغم رفض شقيقة الضحية منح كاتب التحقيق نسخة من شهادة الوفاة، خوفاً من اكتشاف أمرها وتعرضها للعقاب، إلا أنها وافقت على اعطائه عنوان الشرطي الذي أخبر العائلة بالعثور على الجثة. أقرّ الشرطي بأن جاره قام فعلاً بقتل ابنته "غسلاً لعاره"، وأن القصة معروفة لدى معظم أهالي المنطقة.



وعلق الشرطي على كيفية تمكن الوالد من اخراج شهادة وفاة لابنته الضحية من دون تعرضه الى المسألة القانونية "تزوير شهادات الوفاة بات مسألة عادية جداً، إذا ما تم دفع المال لذلك، وما فعله جاري هو محاولة تجنب الفضيحة والمسألة". وأضاف وهو يشير الى بضعة اوراق أمامه واضعاً اصبعه على مكان الختم والتوقيع "في الكثير من حالات جرائم الشرف، لا يدون مسؤولو الطب العدلي في شهادة وفاة المجني عليها تعرضها للرمي بالرصاص أو الحرق، وهي الأسباب الأكثر شيوعاً للوفاة في مثل هذه الحالات، وذلك بسبب حساسية الموضوع الذي قد يعرض سمعة الأهل للتشويه، وكذلك خشية من رد الفعل العشائري".

### لا إحصاءات رسمية

قصة (ف. س) هي واحدة من بين عشرات القصص المماثلة لجرائم شرف تُرتكب ضد النساء في بغداد ويتم إلقاء جثثهن في ضواحي العاصمة وتسجيل موتهن على أساس "وفاة عادية" أو قتل من قبل مجهولين، في دوائر الطب العدلي. في وقت تخشى الشرطة فتح تحقيقات حقيقية في الموضوع، خوفاً من الملاحقات العشائرية في بلد تتصاعد فيه قوة العشائر متحدية مؤسسات الدولة.

وترفض المؤسسات الرسمية، سواء وزارة الداخلية او وزارة الصحة او الجهات المعنية بالدفاع عن حقوق النساء، تقديم اية ارقام بضحايا العنف من النساء والفتيات، من دون ايراد أسباب مقنعة، مكتفية بالإشارة الى ان الأوضاع الأمنية والسياسية غير مناسبة.

بغياب اية احصاءات رسمية، حول عدد النساء اللواتي يتعرضن للقتل او لحوادث العنف، قام كاتب التحقيق برصد ما نشرته الوكالات المحلية حول جثث النساء المجهولة الهوية التي تم العثور عليها من تاريخ 2015/10/6 ولغاية 2016/9/21 نقلاً عن مصادر أمنية في وزارة الداخلية، بلغ عدد الجثث 52 جثة تتراوح أعمارهن ما بين 20 و35 سنة، غالبيتها كانت مرمية في مناطق جنوب شرقي العاصمة، ومن بينها منطقة الزعفرانية، وكانت تحمل في معظمها آثار إطلاق نار في منطقة الرأس والصدر أو آثار طعن بالسكين.

وهذا الرقم يعد صغيراً جداً، لأن معظم حوادث القتل لا تصل تفاصيلها الى وسائل الاعلام، وفق المحامي زاير حسن، مبيناً أن "ارقام ضحايا العنف من النساء كبير جداً، وهي في تصاعد، وسط ظروف العنف في البلاد والأزمة الاقتصادية، على رغم اصرار الجهات الحكومية على اخفائها".

وينبه حسن الى ترابط ذلك مع تصاعد قوة العشائر وفرضها لأعرافها وإرادتها، في ظل خضوع مسؤولي الحكومة والبرلمان لها، بحكم حاجتهم لدورها في حصد الأصوات الانتخابية .

### شهادات وفاة مغلوبة

في زيارة للمستشفى الرئيسي في منطقة الزعفرانية، أخبرت ممرضة رفضت الإفصاح عن هويتها، كاتب التحقيق عن تسلم المستشفى في تموز (يوليو) 2016 جثة فتاة محترقة بالكامل، أبلغ ذويها أنها أقدمت على الانتحار "لكن العديد من كوادر المستشفى علموا من قبل أقرباء الضحية بأن زوجها وأختها هم من قاموا بحرقها بعد اكتشاف علاقتها بشخص ما". وأثبتت نتائج دائرة الطب العدلي في بداية الأمر بأن الضحية لم تقدم على الانتحار، لكن بعد ذلك، أجبر الأهل، موظفي الدائرة على تغيير سبب الوفاة في الشهادة ليصبح "الانتحار حرقاً".

روت الممرضة حوادث عدة أخرى، بينها إيصال الشرطة في حزيران (يونيو) 2016 للمستشفى، فتاة تنزف بشدة نتيجة تعرضها لعيار ناري من قبل مجهولين، قبل ان تفارق الحياة متأثرة بالإصابة. "اتضح أن الشرطة عثرت عليها مرمية في التلال الترابية المحيطة بمنطقة سدة الزعفرانية، وبعدها حضر ذويها الى المستشفى وأبلغوا الجهات المسؤولة بأنها كانت مخطوفة من قبل عصابة مجهولة... لكن أم الضحية همست لي، وهي تبكي بصمت، ان أعمامها قتلوها، من دون ذكر أية تفاصيل".

تمكن كاتب التحقيق من الحصول على هاتف أم الضحية والاتصال بها، الا أنها رفضت الحديث عبر الهاتف وأخبرته بأنها ستتصل به لاحقاً لتحديد لقاء حتى تروي له في شكل تفصيلي قصة ابنتها المقتولة، لكن بعد ذلك بيوم واحد، اتصل به رجل عرّف نفسه بأنه قريب لأم الضحية، وهدده بالقتل كما توعد بملاحقته في حال معاودة الاتصال.

شيخ من أهل الزعفرانية أخبر كاتب التحقيق بقصة أخرى، قائلاً إن قريبه "قام بقتل ابنته حرقاً ورمى بجثتها في مكب للنفايات يقع في أطراف المدينة لأنها هربت من المنزل مع شخص تحبه". بقيت جثتها مرمية ثلاثة أيام هناك وبعدها "قمنا نحن أولاد عمومته بدفنها، بعدما استخرجنا لها شهادة وفاة تؤكد أنها توفيت بسبب انفجار قنينة غاز أثناء تواجدها في المطبخ". ويضيف "في البداية، لم يقتنع الطب العدلي والشرطة بذلك، فدفننا لهم مبلغاً مالياً قيمته 800 دولار، وحصلنا على شهادة وفاة أصلية أثبت فيها بأنها توفيت نتيجة تعرضها للحرق".

## الزعرانية (مكب الجث)

تعد الزعرانية من ضمن الوحدات الإدارية التابعة لبلدية الكرادة في بغداد، وكانت غالبية سكانها من اهالي العاصمة، لكن بعد نيسان(أبريل) 2003، سكنها العديد من ابناء المحافظات الجنوبية والغربية للعراق التي يبرز فيها قوة التأثير العشائري، حتى صارت المنطقة خاضعة لهيمنة الأعراف العشائرية. كما أنه و (بعد حوادث حزيران عام 2014، سكنتها المئات من العوائل النازحة من محافظات الأنبار ونيوى وصلاح الدين)، وفق ما صرّح به أبو علي، أحد وجهاء المنطقة. و "السدة او السدتين" كما يعرف لدى اهالي الزعرانية، هي عبارة عن تلال ترابية تحيط أطراف المدينة، ويرجع تاريخ إنشائها الى العهد الملكي، لحماية المزارع من الفيضانات. ومع اقرار النظام الجمهوري في العراق، بُنيت قرب هذه التلال ثكنات عسكرية ومنشآت ومصانع. لكن على أثر دخول القوات الاميركية الى العراق، تحولت هذه المواقع الى مساكن عشوائية وأحياء من الصفيح ومكبات للنفايات ومواقع للمياه الثقيلة، سيما انها أماكن بعيدة عن أنظار الشرطة.

زار كاتب التحقيق منطقة الزعرانية وتنقل بين بيوت الصفيح، وهناك التقى بثلاثة صبية ممن يزاولون مهنة جمع علب المشروبات الغازية الفارغة.

بلال، ذو الشعر الكث المجعد، والبالغ من العمر 14 سنة، قال بينما هم برمي الكيس الكبير الذي حمل فيه العلب الفارغة عن ظهره، ملقياً اياه عند جزمته الحمراء المهترئة "بين فترة وأخرى نشاهد مع حلول الظلام أو في الفجر، سيارات تقدم الى المنطقة لرمي جثث... ذات ليلة سمعنا إطلاقاً رصاص، واكتشفنا في الصباح جثة امرأة شابة مقتولة بعبارات نارية في رأسها".

وفق الأطفال، فإن الشرطة تأتي الى المكان بين فترة وأخرى وتقوم برفع جثث، يتم كشفها من قبل الأهالي أو من العاملين في جمع كل ما يمكن بيعه من مواد ترمى بمكبات المنطقة.

أبو محمد صاحب عربة يدوية يقوم يومياً بجمع القناني البلاستيكية والمعدنية من مكب النفايات المجاور لسدة معسكر الرشيد في نفس المنطقة، ويعثر بصفة مستمرة على جثث للنساء، حتى أنه أصبح شخصاً معروفاً لدى الشرطة في قضية الإبلاغ عن الجثث "اثناء نبشي للقمامة، أعتز أحياناً على جثث... لقد وجدت العديد منها وأبلغت الشرطة... البعض كان مغطى بقطعة قماش او فرشاة نوم".

ويضيف "لم يعد الأمر صادماً بالنسبة لي.. انا اتجنب معرفة التفاصيل، لكننا نعلم ان هوية جنث النساء عادة ما تكون غير معروفة، وغالبيةهن يتم قتلهن غسلاً للعار".

### الشرطة خائفة

على رغم علم الشرطة بموضوع قتل النساء والإلقاء بجثتهن في السدات ومكبات النفايات، فإنها تخشى من فتح تحقيقات في الموضوع، حيث يقول علي لقمان، ضابط برتبة ملازم اول، مسؤول في دوريات شرطة النجدة (الجهة الوحيدة المسؤولة عن رفع الجثث الى الطب العدلي)، إن "الزعرانية منطقة يطغى عليها النفوذ العشائري، وبالتالي تخاف الشرطة من اجراء أي تحقيقات، أو البحث عن هوية مرتكب الجرائم ضد النساء، خوفاً من رد فعل القبائل التي ينتمي اليها الجناة". يرى لقمان ان الطبيعة العشائرية والجغرافية تجعل من سدة الزعرانية أكثر مناطق بغداد التي يتم العثور فيها على جنث نساء مقتولات رمياً بالرصاص او طعنأ بالسكين أو حرقاً بالنار. ويوضح المسؤول الأمني، أن معدل العثور على الجثث في شكل يومي في العاصمة بغداد يتراوح بين 8 الى 10 جنث غالبيتها لنساء "لكن لا يمكن تحديد هويتها إما لعدم وجود مستمسك يدل عليها أو لتعرضها للتشويه".

يؤكد تلك الحقيقة شرطي، رفض الكشف عن هويته "الصراعات وتصفية الحسابات بين الأطراف المسلحة، تستهدف الرجال عادة، لكن نلاحظ ان عدداً كبيراً من الجثث التي نعثر عليها تعود لنساء".

يقول شرطي آخر في مركز شرطة الزعرانية، متحدثاً عن إجراءاتهم "ضابط التحقيق يقوم بفتح ملف لمعرفة ملابس الجريمة فور العثور على الجثة، وفي حال قام شخص بتقديم شكوى ضد شخص ما واتهمه بالوقوف وراءها، يصدر ضابط التحقيق مذكرة قبض بحق المتهم، أما إذا لم تقدّم أي شكوى فيتم تسجيل القضية ضد مجهولين، وهو ما يحدث عادة".

ليست الزعرانية المنطقة الوحيدة التي يُعثر فيها على جنث لنساء، وإنما هناك مناطق اخرى في بغداد كحي النصر، والسلام، وحي الأمين، وحي طارق، وسبع البور، والحسينية، والشعب، وحي الجهاد، وحي العامل، وفق الضابط محمود مجدي من شرطة النجدة.

ويرد الضابط مجدي ان "شرطة النجدة لا تستطيع رفع الجثث في المناطق الملتهبة الخارجة عن السيطرة الحكومية، والتي تتكاثر فيها عادة الجماعات الإرهابية، على رغم وجود تبليغات من قبل مواطنين عن وجود جنث".

زار كاتب التحقيق اغلب هذه المناطق، ليكشف على صفات عامة تميزها وهي الفقر الذي يعيش فيه أغلب السكان، بالإضافة الى سيطرة النظام العشائري، حيث لا يتم الاحتكام للقانون.

### الطب العدلي ينفي

ينفي مدير عام دائرة الطب العدلي في العراق زيد علي عباس، وجود تلاعب بشهادات الوفاة او تعرضهم لضغوطات عشائرية لتزويرها، يقول: "الأقاويل التي تتحدث عن وجود تلاعب بشهادات وفاة الجثث المجهولة الهوية غير صحيحة كون الطب العدلي لا يحق له تشخيص نوع الجريمة في شهادة الوفاة وإنما وظيفته الأساسية تشخيص الأسباب العلمية والطبية للوفاة".

ويوضح ان "تقرير الطب العدلي يرفع الى القاضي والأخير يعتمد بتشخيص الجريمة مثلما يعتمد ملف المحقق الموجود في محل الحادث وإفادة شهود العيان"، مشيراً الى ان تقرير الطب العدلي هو عبارة عن "حلقة من الحلقات التي تكشف أسباب الجرائم وتثبت الاعتداء الجنسي وبصمة المشتبه به". لكنه لم ينف في نفس الوقت أن "الطب العدلي يتسلم جثة او جثتين في اليوم الواحد وفي بعض الأحيان تكون لنساء تم قتلهن تحت مسمى (غسل العار)".

موقف مدير عام دائرة الطب العدلي يتناقض مع ما أعلنت عنه قناة "العراقية" شبه الرسمية، ليلة 11 شباط(فبراير) 2017 على شاشتها، حيث افادت بقيام جماعة مسلحة بتهديد اطباء مستشفيات دائرة صحة بغداد لإجبارهم على اصدار شهادات وفاة مزورة.

### غياب الادعاء العام

العضو السابق في المفوضية العليا لحقوق الإنسان في العراق، بشرى العبيدي، أكدت تلقيها 10 بلاغات عن تلاعبات في شهادات الوفاة، لكنها غير مكتوبة، لأن المخبرين يخافون من الملاحقات العشائرية والقانونية، معربة عن اسفها لعدم قيام فريق تقصي الحقائق في المفوضية بتأدية واجبه بهذا الخصوص.

وتوضح العبيدي ان تسجيل عمليات قتل النساء على اساس انتحار او اي سبب آخر بما يخفي آثار الجريمة، هو أمر مخالف لقانون أصول المحاكمات الجزائية، مشيرة الى ان الجهات القضائية "تتحمل مسؤولية مثل هكذا تزوير".

واستغربت من عدم تحرك (المدعي العام) لتفعيل دعاوى تعاقب الجناة المسؤولين عن قتل النساء، حتى وإن لم تقدم شكاوى في هذا الصدد، بخاصة وأن (جرائم القتل

وجرائم الحياء وجرائم الإيذاء الشديد لا تحتاج الى شكوى لتحريكها، فحتى لو تنازل ذوو المجني عليه يبقى الحق العام قائماً، ولا بد من عرض ملف الجاني بشكل كامل على المحكمة).

وبيّنت العبيدي ان "العثور على جثث نساء في المناطق النائية يعود لأنها مناطق مسيطر عليها من قبل العشائر ويسود فيها الجهل، كما أنها بعيدة عن عين الجهاز الشرطي، بينما في المدينة يخاف الجانون من رمي الجثث، خشية من القانون ودور منظمات المجتمع المدني والنشطاء في مجال حقوق الإنسان".

### مفوضية حقوق الإنسان

وعن دور مفوضية حقوق الإنسان في الكشف عن التلاعبات في شهادات الوفاة بخصوص جرائم الشرف، تقول العبيدي إن غالبية اعضاء المفوضية غير مستقلين وتابعين الى احزاب "بالتالي فإن أي قضية يكون فيها مساس لحزب معين، او تصب بمصلحة جانب سياسي على حساب جانب آخر، لا يقوم أحد منا بتحريكها، هذا الى جانب غياب الدراية لدى الأعضاء بحقوق الإنسان".

حاول كاتب التحقيق الحصول على رد رسمي من فريق تقصي الحقائق في المفوضية حول اسباب عدم التحقيق في الشكاوى التي تصل للمفوضية ولكنه قوبل بالرفض، بحجة عدم تقديمه لترخيص لذلك، الا ان عنصراً في الفريق، طلب عدم ذكر اسمه، اوضح له أن "العشرات من الشكاوى تصل الى المكتب وهناك تعمد بعدم التحرك للبحث فيها بحجة عدم وجود تمويل مالي لتغطية نفقات العمل"، رافضاً ذكر أسماء الأحزاب او الجهات السياسية التي تفرض سيطرتها على المفوضية.

وأوضحت هناء أدور، رئيسة جمعية الأمل، وهي واحدة من الجمعيات التي تدافع عن حقوق المرأة أن هناك مطالب مقدمة للبرلمان من قبل مجموعة من المنظمات لتشريع قانون مناهضة العنف الأسري "بغرض التشديد في العقوبات المتعلقة بجرائم الشرف". أدور عبرت عن أسفها لوجود ما وصفته "بمحاولات لعرقلة مرور القانون من قبل الأحزاب السياسية الموجودة في السلطة".

### تطبيق القانون

يرى استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد، خالد حنتوش، ان جرائم الشرف موجودة منذ القدم في العراق "وهي وليدة ثقافة تحتقر المرأة وتمارس العنف ضدها". ويوضح أن الحياة الحضرية المدنية في بغداد اليوم "تعاني من تأثير الأعراف والقيم الريفية بشكل كبير، نتيجة عمليات النزوح المتكررة الى العاصمة، اذ دخلت

هذه الأعراف وتغلغت بكل مجالات الحياة حتى باتت تهدد كل ما هو مدني ومتحضر فيها".

لذلك يدعو حنتوش إلى تفعيل الإجراءات القانونية في جرائم غسل العار "بخاصة أن أهل الضحية هم المتهمون بشكل أساسي في حالة الاستدلال على هويتها، بالإضافة الى مراقبة عمل الطب العدلي ودوره في فحص الهوية وكيفية القتل ومتابعة من قام بالتبليغ عن اختفاء احدى قريباته وربط الموضوع بجثث المقتولات".

ينبه المحامي رؤوف محمد نوري، الى جانب آخر من الجرائم المرتبطة بقتل النساء "الشخص الذي يرتكب جريمة قتل تحت مسمى غسل العار، يحاكم وفق قانون العقوبات العراقي المرقم 111 الصادر سنة 1969 في المادة 409 والذي ينص انه (يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات من فاجأ زوجته او احد محارمه في حالة تلبسها بالزنا او وجودها في فراش واحد مع شريكها فقتلها في الحال او قتل احدهما او اعتدى عليهما او على احدهما اعتداءً افضى الى الموت او الى عاهة مستديمة ولا يجوز استعمال حق الدفاع الشرعي ضد من يستفيد من هذا العذر ولا تطبق ضده احكام الظروف المشددة)".

واضاف ان "هذه المادة اعطت الحق للرجل دون المرأة بالقتل على رغم تساويهما في الحقوق والواجبات في الدستور العراقي".

وسط ظروف الحرب، وفي ظل تصاعد قوة العشائر وضعف سلطة القانون والقضاء، واهمال المؤسسات الحكومية وعجز المنظمات المعنية بقضايا المرأة، وغياب دور الادعاء العام ومفوضية حقوق الانسان، فإن جرائم قتل النساء وتسجيلها كحالات وفاة عادية، ستتصاعد، وضحاياها سيتحولن الى مجرد حكايات في مجالس العزاء، فيما الجناة يتحولون الى ابطال في عشاءهم.

لا جرم من القول بان جريمة الشرف سببها الرئيسي الذي يطغي على جميع الأسباب التي ذكرناها هو تقاليد وأعراف ونواميس الثقافة الاجتماعية الموروثة التي تغذي ذكورية الرجل التي هي محور النظام الذكوري (البطريقي) مما تدفع به (الزوج، الأخ، الأب، الأبن) الى قتل الانثى كقربان بشري فداءً لتقاليد الثقافة البالية.

لكن هناك أسباب مستترة للخيانة الزوجية أو الحب العذري او العلاقات الرومانسية هي الحرمان العاطفي الذي تحرمه الثقافة العربية على الانثى وتحلله أو تجيزه للذكر. هذا التحيز الثقافي يجعل الانثى العربية ان تقوم بما يقوم به أخيها في حب حبيبته أو والدها في حب والدتها وبالذات عندما تسمع الأغاني العربية

المشحونة بالعاطفة الجياشة للحبيب وتشاهد الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفازية فضلاً عن تنشئتها الصارمة ضد الجنس الآخر كل ذلك يجعلها سجيئة السلطة الذكورية والثقافة الذكورية التي تسمح بعنف المرأة واحتقارها واعتبارها مخلوقة من الدرجة الثالثة في الجنس البشري هذا التمييز الجنسي موجود في القوانين العربية لا تدافع عنها مثلما تدافع عن حقوق الرجل كالعراق والأردن وباقي الدول العربية. شهدت الأعوام الأخيرة تنامياً ملحوظاً في مجال مكافحة العنف ضد المرأة وفي تقرير عرضه مجلس أوروبا أن أكثر من 5000 ألف امرأة وفتاة تقتل كل عام في العالم باسم الشرف، ويتراوح معدل جرائم الشرف في الأردن سنوياً بين 12 و14 جريمة، أما سوريا فهي الخامسة عالمياً في جرائم الشرف، وفي إقليم كردستان تعرضت 27 امرأة للقتل على خلفية جرائم الشرف خلال أربع أشهر! (العربية نت الثلاثاء 02 ذو الحجة 1428هـ) والأسباب عديدة بدءاً من إقامة علاقة جنسية، التحدث مع شاب، الفرار من المنزل، الزواج بشاب من غير ملة ودين، رفض الانصياع لأوامر الأهل، وحتى إن بعض الضحايا قتلن بسبب "تعرضهن للاغتصاب" كعقوبة لهن! وتختلف العقوبات ما بين ذبح بالسكين أو رمى بالرصاص، أو رمى من شاهق، أو بالسم أو بدفنها حيه... أو حتى إجبار الفتاة على قتل نفسها لتسجل الحالة على أنها انتحار!!

وقد تكون أقل من ذلك كما حدث في كندا في جريمة مروعة ذهبت ضحيتها الفتاة (أقصى بروبيز) ذات الأعوام السبعة عشر، على يد والدها بحجة رفضها ارتداء الحجاب! جريدة الوقت البحرينية 17 ذي القعدة 1428 فهل جميع هذه الحالات وقعن بالخطيئة!! أم كانت الشبهة هي سيدة الموقف؟ كيف لا وتقرير مدير مشرحة زينهم في مصر برقم غاية في الظلم والبشاعة، فهو يقول إن 80% من القتلات بدعوى الشرف بريئات تماماً وعداوى. مما يدل بقوة على غياب الشرع والقانون وتحكيم العادات في جرائم تخلو من الإنسانية ويجب أن تعنون على أنها جرائم بلا شرف!! كيف لا؟ والتاريخ منذ الأزل يغذى هذا الموروث البالي، ويحدد النظرة إلى المرأة وفقاً لتوجهات الثقافات المحلية بحصيلة ليست بالهينة بدءاً من لا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُّ. وشرف المرأة كعود الكبريت لا يحترق إلا مرة واحدة!! ونهاية بالموال الذي بتناقله الناس بإعجاب وهو ما يسمى بموال "شفيقة ومتولى"



قالت له يا أخويا تبت على ايديك قال تتمحكي وتقولي حا تتوبي وتقولي وعد ومكتوبي دي رقعة ما تطلع من توبي.. يا متولي. الساعة دي بانتظرها ..بالسكين ضيع منظرها ..وعزل الجثة من زورها.. يا متولي. وقد يقود غسل العار إلى تحدى سافر للمجتمع كما أقدم شاب أردني مساء أول من أمس على إطلاق 5 رصاصات على شقيقته (24 عاما) بحضور مئات من المارة، ووضعها على ميدان رئيسي يشهد حركة مرور كثيفة في البلدة، ولم تفلح محاولات عدد من الوسطاء في إثناؤه عن غسل عاره بيديه.

وهناك عدة مؤشرات، على خطورة الوضع في المملكة العربية السعودية.

**1 - دور الهاتف الجوال:** لقد تزايدت ظاهرة التحضر بالمملكة خلال الأعوام الماضية، وتزايد معها تقدم في البنية الاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بأدوار المرأة، وتعاملها مع أدوات الاتصال الحديثة، كالإنترنت والهاتف الجوال، وللأسف ان هناك استخداماً، لأحدث منجزات التقدم والمدنية العالمية من تقنيات عالية؛ لاستغلال المرأة والعودة بنا إلى أيام الرقيق تقف ضد أي تحديث يطال الإنسان وحريته! وفي تقرير لصحيفة القدس 17 مايو 2008 عن الأندبنت البريطانية أن أحد أسباب انتشار جرائم الشرف في العراق هو انتشار الهواتف المحمولة التي تحوي صوراً جنسية تشكل نوعاً من الإثبات في بعض الأحيان للزوج أو الأخ أو الأب وتدفعهم إلى تنفيذ جريمة شرف. الأمر ذاته الذي يحذوه المبتز لدينا في السعودية إذ أجمعت الفتيات المتعرضات للابتزاز انه يهددهن بصورتها التي تكون بعثتها له عن طريق الجوال. ومما زاد من وتيرة هذا الأمر عدم وجود الحماية اللازمة لهن؟؟مما وفر بيئة خصبة لابتزاز الفتاة جنسيا وتهديدها بنشر صورها وفضحها عند أهلها!

**2 - دور ابتزاز الفتيات:** لا تخلو الصحف اليومية من أخبار الابتزاز مما ينبه على ان هناك عواقب لهذه الظاهرة والتي تتمثل بجرائم الشرف المتمثلة "بغسل العار" التي يُوقعها الأهل على الفتاة المبتزة! كشف رئيس المحكمة الجزئية في محافظة الأحساء الشيخ عبد اللطيف الخطيب، أن قضايا المخدرات، تحتل المرتبة الأولى في القضايا التي تشهدها المحكمة في شكل مستمر، فيما جاءت قضايا الابتزاز عبر الانترنت في المرتبة الثانية، أصدرت أول حكم في حق شاب ابتز فتاة، وهددها بنشر صورها من طريق الانترنت مشيراً إلى انه تم تغريم الشاب مبلغ 500 ألف ريال أو عقوبة لمدة سنة؟ الابتزاز أيضاً أجهزة الكمبيوتر تعتبر رسالة الماجستير "جرائم الانترنت" لمحمد المنشاوي أول رسالة على المستوى

العالمي والإقليمي والمحلي تبحث هذا الموضوع, توصل فيها الباحث إلى التالي:  
أن جرائم الاختراقات هي الأولى (33.33%) تعرضت أجهزتهم الشخصية للاختراق، (15.1%) قاموا باختراق البريد الإلكتروني ثم إرسال الفيروسات ويليه اختراق المواقع الشخصية مثل العزّاب أكثر من نصف مجتمع الدراسة (53.0%) بلغت نسبة الذكور المشاركين في الدراسة (76.7%) أما الفئة العمرية كانت لفئة أواسط العمر حيث بلغ (49.9%)

**3 - دور العنف:** ترتفع عندنا نسب تعرض النساء للعنف فمن خلال دراسة ميدانية لإحدى مستشفيات الرياض أن مستشفى واحد في الرياض يستقبل حالة عنف ضد المرأة كلّ 5 أيام و25% من الضحايا حوامل، متوسط سنوات الإيذاء والاعتداء كانت تزيد عن 7 سنوات وأن 25% من ضحايا العنف كن حوامل مما يدل على إفراز جديد من الشخصية السيكوباتية العنيفة من الرجال في المجتمع.

### 3 - دور الحرمان العاطفي

في دراسة للعقيد د/ محمد السيف أستاذ مناهج البحث والدراسات الاجتماعية - كلية الملك فهد الأمنية بعنوان (الحرمان العاطفي في الأسرة السعودية وعلاقتها بجرائم الإناث عام 1424 هـ) كشف عن وجود علاقة بين ثقافة المجتمع والحرمان العاطفي الأسري في هذه الدراسة المعاصرة كان عدد الإناث المسجونات وقت إجراء هذا البحث في سجون النساء ومؤسسات رعاية الفتيات بالمملكة (228) امرأة سعودية وقد توصلت الدراسة التطبيقية أن المرأة السعودية المحكوم عليها بالسجن لارتكابها أفعال جنائية كالأفعال الجنسية والاعتداء وتناول السكر والمخدرات غالباً لا يسعين من الفعل الإجرامي إلى كسب منافع مادية أو لدافع إشباع الغريزة الجنسية، فمعظمهن يبحثن عن مشاعر الحب والحنان والعلاقات الحميمة، بسبب شعور الزوجة بالحرمان العاطفي في علاقاتها مع الزوج، وشعور البنت باضطراب عاطفي في علاقاتها مع والديها وأشائها، وقد استنتجت الدراسة أن مشكلة الحرمان العاطفي الأسري يرتبط بشكل مباشر بثقافة الوالدين والأشقاء والأزواج ومؤثر بقوة على ميل المرأة في المجتمع السعودي نحو ممارسة الأفعال الجنائية المحرمة، مما سيجعلها عرضة لأن تكون ضحية "شرف". فمن الطبيعي أن ترتمي في أحضان أول من يظهر لها قليلاً من الاحترام ويعاملها برقة ويشعرها بوجودها وكيونتها. دون أن تتأكد من صدق مشاعره وصحة ما يقول وما يفعل!!

**4 - دور الجرائم الأخلاقية:** تم تسجيل 90 قضية أخلاقية في دور رعاية الفتيات، هذا العام بحسب ما ذكره التقرير الإحصائي الرسمي السنوي الصادر عن وزارة الشؤون الاجتماعية. وأوضح التقرير أن عدد الفتيات اللاتي طوي قيدهن وتم خروجهن من مؤسسات دور رعاية في المملكة بعد انتهاء محكوميتهن نحو 927 حالة، نقلت 11 منهن إلى مؤسسات رعاية أخرى، وأعيدت 26 فتاة إلى أسرهن، وبعد خروج الفتاة من مؤسسة الرعاية نجد أهلها بانتظارها لإيقاع العقوبة كما حدث مؤخراً، حيث أقدم شاب على قتل شقيقته رمية بالرصاص في الرياض أمام دار رعاية الفتيات، بعد أن تورطتا في قضية أخلاقية. وقد تم إيداع الفتاتين في دار رعاية الفتيات وحضر الوالد لاستلامهما، وبمجرد خروجهم من الدار أطلق الأخ عليهما النار من مسدس كان يحمله وتوفيتا على الفور.

**5 - دور الطلاق:** يتبنى المجتمع نظرة الشك والريبة على المرأة المطلقة، ويشدد الأهل من رقابتهم عليها، ووضع الخطوط الحمراء حول أي بادرة، وإذا علمنا ان حالات الطلاق في ارتفاع، ففي إحصائية نشرت " أن المحاكم السعودية تسجل يومياً ما بين 25-35 حالة طلاق، أي معدل 16 ألف حالة سنوياً مقابل 66 ألف حالة زواج / جريدة "اليوم" السعودية عدد 11128. ومما يؤكد الضغوطات التي تواجهها المطلقة جاء في: " دراسة: 42% من المطلقات السعوديات يعانين من سوء التكيف الشخصي ونسبة غير المتكيفات اجتماعياً بلغت 32. % ونسبة غير المتكيفات أسرياً 30 % وهي نسب وإن كانت لا تسجل أغلبية لكنها ذات دلالات. وكشفت الدراسة التي أعدتها الباحثة في علم الاجتماع الأسري (أمال الفريح) ونالت عنها درجة الدكتوراه ولفنت الدراسة إلى أن المطلقة بشكل عام تعاني من بعض المشكلات الأساسية منها اجتماعية كتحمل تربية الأبناء ونظرة المجتمع للمطلقة وما يترتب على ذلك من رقابة الأهل الزائدة، ومنها أيضاً ما هو اقتصادي كتحمل مسؤولية الصرف على الأبناء في حال عدم تولي الطليق هذه المسؤولية، وتسديد مختلف الفواتير كالكهرباء والمياه والسكن.

**6 - دور الهروب من المنزل:** تؤكد الأخصائية النفسية بوزارة الشؤون الاجتماعية لجنة الحماية (موضي الزهراني) وصول كثير من الفتيات إلى دور الرعاية هاربات من أسرهن، وتقول عن إحدى الفتيات: اعتاد زوجها ان يعاملها بعنف ورفض أهلها مساعدتها وتخلوا عنها، وبسبب سوء المعاملة هربت الى صديقتها التي ألقته بين برائن العلاقات المنحرفة وبعد ثلاثة أشهر تم القبض عليها فودعت دار الرعاية وطلقها زوجها وحرمت من أبنائها

**7 - دور القبيلة:** تستند جرائم الشرف على منظومة القيم القبلية، وانتشر في الآونة الأخيرة خطاب القبيلة في غياب واضح للعقل والمنطق والثوابت الدينية، وحضور لهيكل الزعامات القبلية، ساعده قيام قنوات فضائية تغذى هذا المفهوم وبرامج ومسابقات شعرية، وعزت صحيفة البلد " ان خبراء علم الاجتماع يرجعون تفشي جرائم الشرف في الأردن إلى الطابع العشائري الذي تتميز به الأردن. أما أبرز الأمثلة في السعودية لسيطرة القبيلة فهي قضايا النسب التي طفت على السطح مؤخراً منها فاطمة طليقة النسب التي كانت ضحية لأعراف اجتماعية تعسفية، والتي حكمت عليها ان تعيش وحيدة في ظروف قاسية أشبه بالسجن في إحدى دور الرعاية الاجتماعية في المنطقة الشرقية حيث حرمت من إعادة لم عائلتها (زوجها وطفليها) مما جعلها تعيش حالة من الإحباط واليأس الذي دفعها إلى محاولة وضع حد لحياتها !! وقد قام مفتي المملكة آل الشيخ بمناشدة أولياء الأمور بعدم الزج بأبنائهم في مستنقعات العنصرية القبلية المقيتة والنزاعات التي تقوم على عصبية نهى عنها الإسلام مشيراً إلى انه في الإسلام لا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى.

**8 - تخلي الأهل عن الفتاة السجينة بعد انقضاء محكوميتها:** أوضحت (صبيحة البو علي) الأخصائية الاجتماعية في وزارة الشؤون الاجتماعية، إن رفض الأهل تسلم ابنتهم في حال انتهاء محكوميتها أو رفض الفتاة نفسها العودة إلى ذويها يعود إلى جهل الطرفين، والثقافة الاجتماعية المبنية على الخوف من الفضيحة، كما أن الفتاة ترفض العودة لتهديد ذويها لها بالقتل أو قتل طفلها إذا كانت قد أنجبت، وأحياناً تعود من جديد إلى الشوارع أو السجن بعد تهديدها بالقتل.

**9 - عدم الوضوح في مفهوم الستر عند الكثير:** ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة " رواه مسلم. فالستر يتبع المصالح، فإذا كانت المصلحة في الستر، فهو أولى وإن كانت المصلحة في الكشف فهو أولى ، وإن تردد الإنسان بين هذا وهذا فالستر أولى، والنوع الثاني : ستر شخص مستهتر متهاون في الأمور معتدٍ على عباد الله شرير، فهذا لا يستر، بل المشروع أن يبين أمره لولاية الأمر حتى يردعوه عما هو عليه، وحتى يكون نكالاً لغيره، مصداقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل أمتي معافي إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه " متفق عليه

لجأ رجل سعودي إلى مكبر الصوت في أحد المراكز التجارية في السعودية، ليعلن تطبيق زوجته، بالثلاثة، بعد قبولها ورقة "معاكسة" من شاب غريب ليعلو صوته بالقول "أيها الحضور وأيها المتسوقون اسمعوني وأريدكم شهوداً على ما أقول، أنا فلان بن فلان وزوجتي فلانة بنت فلان فقد طلقتهما ثلاثاً وليس لها رجعة بعد اليوم".

فوجئ المتسوقون في أحد المجمعات التجارية بأحد كبار السن ينقض على زوجته وابنته ويوسعهما ضرباً وألقى يمين الطلاق بالثلاث على زوجته التي انهارت من هول الصدمة بسبب مقطع بلوتوث جنسي تم إرساله من أحد الجوالات القريبة.

وفي تصريح لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن 393 ألف قضية تعاملت معها الهيئة بالستر على الضالعين فيها، تمثل 94% من العدد الإجمالي للوقوعات بما يعكس حرص رجال الهيئة على الستر وفق الأدلة الشرعية والأنظمة ويأتي هذا التصريح بعد وقوع وفيات أثر مطاردات بين الهيئة وأشخاص في خلوة غير شرعية، مما أثار جدلاً في الرأي العام: شرطة تبوك تحقق مع دورية للهيئة أثر مطاردة تمت بينهما وبين شاب بصحبته فتاة لقوا مصرعهما حرقاً أثر اصطدامهما بشاحنة. شرطة المدينة المنورة تحقق مع اثنان مع أعضاء الهيئة على خلفية تسببهم في حادث مقتل شابان وفتاتان أثر مطاردتهم. وفاة فتاة متأثرة بجراحها وإصابة الشاب (الذي كانت برفقته) بجروح وكسور عقب انقلاب سيارتهما أثناء محاولتهما الهرب، واستمرت المطاردة نحو ساعة لاشتباه رجال الهيئة في تورط الشابين في خلوة غير شرعية داخل سيارة وفي خطوة ايجابية لهيئة الأمر بالمعروف في مكة المكرمة بعد إلقاء القبض على شاب وفتاة في خلوة. تمكنت الهيئة من تزويج الشاب بالفتاة مع التكفل بالمهر وتكفل أحد الإخوة من رجال الهيئة بتوفير إعاشة شهر كامل وتم عقد قرانهما داخل مركز الهيئة ومن ثم أخذ الشاب زوجته للمنزل وللأسف ان الإعلام لم ينقل لنا حوادث مشابهة لهذه المبادرة الرائعة، في التوفيق بين شابين بالحلال بدلاً من تركهما فريسة للوقوع في الحرام أو انتهاءً بهما بالسجن ودار رعاية الفتيات! وأتمنى من الهيئة أن تتبنى هذه المبادرة بالتنسيق مع المؤسسات الخيرية ومساعدة الشباب على الزواج للتوفيق بينهما

**10 - ارتفاع في أرقام جرائم القتل في الإعلام:** وما يحدث في صحفنا المحلية أنها تتناقل أخبار القتلة دونما ذكر لأهداف القاتل من وراء جريمته، وهل إذا كانت جريمة بداعي الشرف أم لا!! في اقتضاب لن نستطيع بعده كتر بويين وكتاب

وحقوقيين ومحاضرين من شجب وإدانة ارتكاب جرائم القتل لما يسمى "غسل العار" أو "جرائم الشرف" وفضح من يقف خلفها ويغذى هذه الثقافة العشائرية والأعراف الاجتماعية البالية، وعندها ستغيب المظلة القانونية التي تكفل للمرأة حقوقها أو حتى المساعدة بتشكيل لجان للدفاع عنها وحمايتها من العنف والقتل وإقامة دور لاستقبال النساء اللواتي يخضعن لعنف الذكور من أفراد العائلة أو المتهمات بممارسات جنسية ومعرضات للقتل، ولا نطالب بتفاصيل دقيقة بل بإحصائيات عامة لا تمس الضحايا وتضمن خصوصيتهم

أقدم شاب سعودي على قتل شقيقته (18) عاماً رمياً بالرصاص وتمت عملية القتل في المنزل وتركها جثة هامدة ولاذ بالفرار. وأطلق مواطن في العقد الثالث من عمره النار على زوجته من مسدس لتلقى حتفها فوراً وذلك في منزلها وكذلك أطلق شاب 3 أعيرة نارية على شقيقته المطلقة أمس، لتستقر إحداها في بطنها واثنان في يدها. ومواطن يقتل زوجته أمام أطفالها ويحاول الانتحار بعد ذلك بنفس سلاح الجريمة لكن إصابته لم تكن قاتلة حيث نقل إلى المستشفى للعلاج. وأقدم مواطن على قتل زوجته عمداً دهساً بسيارته عدة مرات حتى موتها حيث تسبب في تناثر أجزاء من جسمها وذلك أمام منزل ذويها بعد أن أعادها من مدرستها التي تعمل به. وكذلك سعودي يقدم على قتل زوجته ورضيعها بإغراقهما في البانيو. أصدرت وزارة الداخلية بياناً حول تنفيذ حكم القتل قصاصاً في أحد الجناة لقتله زوجته وذلك بقيامه بضربها ضرباً مبرحاً بسبب مشكلة عائلية بينهما مما أدى إلى وفاتها.

وأقدم مواطن سعودي على قتل زوجته الحامل في شهرها الثامن وتبلغ من العمر 25 عاماً وسدد لزوجته طعنات في الوجه والرقبة باله حادة! وتنفيذ حكم القتل حداً في سعودي طعن زوجته حتى الموت عدة طعنات في مواضع مختلفة من جسمها وهي داخل غرفة نومها. فتحت الشرطة التحقيق في قضية فتاة وجدت مقتولة في غرفتها بمنزل أسرتها في وقت متأخر وكانت الفتاة كانت ستغادر إلى منزل زوجها الذي وزع رقع الدعوة لحفل زفافه والذي كان من المقرر في المساء.

جميع المعطيات السابقة مؤشرات خطيرة في مجتمعنا على الحراك لجريمة الشرف التي تقوم على مبدأ الأخذ بالشبهة، والخوف من كلام الناس، والحرص على السمعة دون سند عقلائي.. ومن المخجل إنكارها، أو تبريرها! إنه ليس استهتاراً بقيم الشرف والعفة، أو تنظيراً للحرية الشخصية بدون أطار القيم والأخلاق!

ولكن من الخطأ ان يكون المعيار الوحيد هو معيار الشرف! في بلد يرفع راية "لا إله إلا الله" ويحكم الشريعة التي قننت العقوبات لمثل هذه الجرائم، وشددت في المسائل المتعلقة بهدر دم الأنسان، وأن تصدر صلاحيات الحاكم بتطبيق الأحكام مما يؤدي إلى الفوضى. إن الشرف الحقيقي لا يكمن في إراقة الدماء، وتطبيق شريعة الغاب.. إنما بشرف الكلمة والأمانة، والكف عن أعراض المسلمين ورمى النساء المحصنات الغافلات أو اللواتي تم التغيرير بهن... مما يوحد شرارة العار وينتهي بهن نهاية مأساوية.

إذن تتحمل التقاليد الثقافية الموروثة العربية تبعية آثار جريمة الشرف الذي تمنحه المبالغة في خوف الرجل العربي من كلام الناس ولغطهم وهمسات الجيران والأصدقاء والشبهات لا سيما وإن المجتمع العربي يمجّد ويحمّد ثقافته الذكورية والعلاقات القرابية سواء كانت في المدن الحضرية أو الأرياف. جدير بذكره في هذا السياق إن الجريمة الشرف تكثر في المدن الحضرية والعواصم العربية أكثر من اريافها ولا ننسى إن هذا النوع من الجرائم تقل في المجتمعات الرأسمالية والمادية الغربية بسبب سيادة العلاقات المجهولة بين الأفراد والتنوع العرقي والطبقي وتمتع الفرد بحريته الشخصية في علاقاته وتعبيراته وفكره.

لا جرم من الإشارة الى أن المجتمعات الشرقية والتقليدية المحافظة تركز على وتلتزم بالضوابط العرفية وتطلب من أفرادها الالتزام بها والتماهي معها وإذا قام بذلك تمنحه اعتبار اجتماعي عالٍ وتحترمه وتعتبره من أعيان المجتمع أما إذا لم يتمثل معها فتوصمه بأسوأ الوصمات أن لم تنبذه وتعيق عمله المهني. هذه هي دكتاتورية المجتمع على الفرد. بمعنى انه مقيد بقيود مجتمعه حتى ولو تطلب الأمر منه أن يقتل اخته أو أمه أو خالته أو عمته أو بنات اقاربه، أي هو المجتمع الذي يدفع الفرد نحو الجريمة لحماية ضوابطه ليس إلا. أعني الفرد عنده لا يعدو أكثر من كونه عبداً ذليلاً ومطيعاً منفذاً لأوامره التقليدية ويزداد خنوعه إذا كان أمياً جاهلاً غير متعلماً وغير واعياً بوضعه الاجتماعي. نلاحظ على هذه الممارسة انها تقع في المدن أكثر من الريف يقوم بها الرجال ضد النساء.

لا جرم من انطواء استبدادية المجتمع على الفرد من خلال: -

- 1 - صدمة اجتماعياً ونفسياً من خلال عزله عن أسرته وقبيلته ومجتمعه المحلي.
- 2 - بتجريده من دوره ومكانته واعتباره الاجتماعي.
- 3 - بوصمه بوصمات مخزية طيلة حياته هو وأفراد أسرته.
- 4 - تحويله الى نموذج سيء يضرب به المثل بين الناس.

5 – تدور أحاديث مجالس الناس حول عدم تماهيهه مع ناموس مجتمعه والمحافظة على شرفه.

6 – معاقبة المرأة بالقتل إذا تطايرت اشاعات وأقاويل حول شرفها وسلوكها.

7 – وإذا لم تُتقتل فإن مصيرها النبذ والحرمان الاجتماعي.

8 – لا يقدم أي رجل على زواجها إذا لم تُقتل.

9 – وبسبب هذه العقوبات تنزلق في مهاوي الرذيلة بدفع من مجتمعها الذي لا يهيمه قيمة الإنسان عنده بل يهيمه عدم المساس بضوابطه أو خرقها. فهو إذن "طاغية" في معاقبة افراده الذين لا يطيعوه ومحسن في مكافئة افراده الذين يطيعون ضوابطه لأنه موجود هو لنفسه وليس لأفراده. [العمر. 2019. ص. ص. 194 –

[218

### 8 – العنف المكعب ضد الزوجة الهندية

أن عنف يصل الى حالة القتل (قتل الزوج لزوجته) أو انتحارها بسبب اضطهاد الزوج أو أمه لها. هذا النوع من اغتصاب حقوق المرأة يتمثل في ثلاثة أنواع وهي:

1 – عدم السماح لها بالدفاع عن نفسها في عدم تماثلها في عدم إيفائها بمهرها للزوج.

2 – استلاب حقها كزوجة وأم في خلية الأسرة.

3 – لم تأخذ بحقها كإنسانة وزوجة وأم لأطفال في الأسرة الهندية بل تم التعامل معها وكأنها عاملة وأم في الأسرة ليس لها حقوق زوجية أو أمومية.

وللتعمق والتوسع في هذا النوع من العنف ضد المرأة نقدم ما يلي: -

تلك هي انتحار الزوجة أو قتلها من قبل الزوج بسبب عدم إيفائها بدفع المهر لزوجها في المجتمع الهندي. إذ إن الثقافة الهندية وبناء المجتمع الهندي هما اللذان يحددان جميع الأوضاع الاجتماعية التي يتفاعل معها الأفراد. وطالما تمثل الأسرة الهندية نواة المجتمع الهندي فإن ذلك يعني أنها تتضمن كل ما تحمله من معايير الثقافة الهندية. وطبيعة المرحلة التطورية التي يمر منها المجتمع الهندي لتوجه وتنشئ أفرادها من خلالها وتنظم علاقة أدوارها وتحدد توقعات دور الزوجة نحو الزوج ونحو الأبناء وأسرّة الزوج والحالة كذلك مع دور الزوج.

فإذا حدث عنف بين الأدوار وبالذات بين الزوج وزوجته فإن أول ما نطرحه هو سؤال يدور حول التزام وتماتل كلا الشريكين لدورهما الذي يتمثل في وفاء وإخلاص كلّ منهما للآخر. ونعني بذلك الوفاء والإخلاص الجنسي بعيداً عن الخيانة الزوجية والعلاقات الجنسية خارج العلاقة الزوجية، فضلاً عن التوافق



والانسجام المزاجي بين الشريكين. بتعبير آخر، إذا لم يتوافر الانسجام المزاجي ولم يحصل الإخلاص الجنسي بين الشريكين فإن السلوك العنفي سوف يقع لا محال وهذا ما تؤكد عليه معايير الثقافة الهندية من كلا الشريكين وتطالب الأسرة التأكيد عليه من أجل حماية وحدة الأسرة الهندية، لذا فإن أي خروج أو انحراف عن هذه المعايير بسبب رد فعل شديد وعنيف من الطرف الآخر في الوحدة الأسرية وغالباً ما يسبب انفجاراً أو هيجاناً يعبر عن الانحراف الذي فجره أو هيجبه. معنى ذلك ان الشريك أو الشريكة إذا لم يلتزما بها أو يتماثلا بمستلزمات ادوارهما فإنه أو أنها تتحول الى ضحية بعدما يتم الاعتداء عليها بعنف وهذا ما تؤكد عليه المعايير النسقية والبنائية للثقافة الهندية على الرغم من عدم قبول القانون الهندي لهذا العدوان. وحتى النزاعات الأسرية تنتج عن عدم توافق وانسجام القرينين في مزاجهما فضلاً عن عدم قدرتهما على إصلاح شؤونهما المتعلقة بأدوارهما بشكل جدي. هذا من جانب ومن جانب آخر، طالما ان الأسرة تمثل وسيلة تقوم بنقل حالات تعبر عن الانحراف والعنف عندما لا يؤدي أحد الشريكين توقعات ادوارهما المناطة بهما من قبل ثقافة مجتمعهما، فيتحول هذا الشريك الى ضحية. ففي بعض الأحيان تكون الزوجة فاشلة أو غير قادرة على التوافق مع مزاج زوجها ولا تستطيع إنماء علاقة زواجية مثمرة مع أم زوجها أو اسرته (وهنا تتحول الزوجة الى ضحية) معنى ذلك ان أي انحراف عن نمط المعايير الأسرية يخلق نزاعات وتوترات وصراعات وسوء تعامل وعنف وضرب وتعذيب واحياناً القتل داخل الأسرة فتقع الضحية. على ان لا ننسى ان الأسرة كمؤسسة تقوم بكفالة معظم العلاقات الودية بين الشريكين في الوقت ذاته تكون المحرك الأكبر لمعظم حالات عدم الارتياح والمودة بل الازعاج بينهما الذي يبقى مستمراً طالما لا يريد أحدهما او كلاهما قطع الرباط الزواجي بينهما ومعيشتهما، وهما على هذه الشاكلة المليئة بالعداءات والخصومات يكون الوضع تعيساً لا يخلو من العنف المتكرر الذي يلغي السعادة الزوجية بينهما، ويكون أحدهما الضحية أو كلاهما بسبب عنادهما المتصلب.

والجدير بالذكر في هذا المقام هو خلال السنوات القليلة الماضية (وبالذات خلال العقد الثامن من القرن العشرين) ظهر تزايد حاد في حالات العنف داخل الأسرة الهندية. من أشهر حالات العنف التي وقعت أبان تلك الفترة هي حالة قتل زوجة شابة لم تف بتقديم مهر زوجها لزوجها (وهي عادةً هندية تطلب من الزوجة تقديم مهر لزوجها عند زواجها) وهناك حالات أخرى أوضحت قتل الزوجة بسبب خيانتها للعلاقة الزوجية – الجنسية، بيد ان النزاعات التي تحصل بين الشريكين

ترجع بالدرجة الأساس الى عدم التوافق الجنسي بين الشريكين. وقد أخبرنا (رام اهوحي) في دراسته التي قام بها عام 1989 بأن هناك حالة واحدة من كل أربع حالات زواج يقوم بها الزوج بقتل زوجته (أو تنتحر) بسبب عدم ايفائها بدفع مهر زواجها له بالكامل ناهيك عن الضرب والإهانة (وهنا تحولت الزوجة الى ضحية بسبب عدم التزامها بشروط دورها الزوجي القاضي بدفع المهر لزوجها) واستناداً الى تقارير الشرطة في مدينة دلهي الجديدة (نيودلهي) فقد تم قتل (690) زوجة عام 1983 وكانت 23 زوجة أحرقت نفسها وهي على قيد الحياة بسبب عدم ايفائها مهرها بالكامل لزوجها الذي عمل على اضطهادها وضربها وإهانتها. أي تذهب ضحية عدم وفائها لمستلزمات دورها كزوجة تجاه زوجها حسب ما تؤكد عليه المعايير القيمية الهندية. علماً بأن هذا العنف والعدوان على الزوجة ممنوع حسب القانون الهندي، إلا انه سائد ومقبول حسب معايير الثقافة الهندية ولا يخالف معاييرها النسقية او البنائية سواء كان هذا العنف مصدره التعمد أم العفوية أو السادية أو اللذة في الإيذاء فإنه يؤدي الى هدم بنية الوحدة الأسرية لان الضحية والجاني لهما أدوار في تركيبية الأسرة التي تم فيها العنف. ومن نافلة القول إن العنف الأسري يأخذ مكانة في الأسرة عندما تكون الضحية والجاني مرتبطين لفترة من الزمن تخللتها مشادات كلامية، متضمنة النقد والتقريظ والمحاسبة السلوكية والإهانة وانكار الآخر (الاهمال) او احتقار واشعار الطرف الآخر بأنه غشاش وكذاب ولديه حجج وأدلة تؤكد زعمه واداءه. كل ذلك يزيد من حدة التوتر بينهما ويستدعي النزاعات والمشادات الكلامية القديمة ليربطها بالحالية مما يجعلها تأخذ صيغة العراك الذي فيه يتأذى أحدهما أو كلاهما وحياناً يقتل أحدهما الآخر ويذهب ضحية ذلك التراكم النزاعي.

لا مرية من القول بأن ضحية العلاقة الزوجية في الأسرة الهندية تتصف بخضوعها ثلاث مرات في وقت واحد وهي: -

1 - اعتداء الزوج عليها بسبب عدم ايفائها بدفع المهر له كأحد معايير قيم النسق الأسري الهندي لذا فإنها تتقبل ذلك دون ان تشتكي لأحد.

2 - تأكيد المعايير الثقافية على ايفاء المهر من قبل الزوجة للزوج وفي حالة عدم ذلك ضمن حق الزوج المطالبة به واستخدام العنف اللفظي أو الجسدي لأخذه منها وهذا يعني ان ثقافة المجتمع الهندي لا تعارض في استخدام السلوك العدواني - العنفي تجاه الزوجة التي لا تنفذ مستلزمات دورها الذي حددته لها وهذا ضرب اخر من ضروب الضحية يضاف الى حالة اعتداء الزوج عليها أقول ان الثقافة الهندية لم تنصف الضحية بل تؤيد الجاني في تحويلها الى ضحية.

3 - عدم معارضة المجتمع الهندي في إيقاع العقاب البدني واللفظي على الزوجة التي لا تفي بوعدها والتزامها نحو زوجها في المهر وباقي مستلزمات وواجبات أدوارها الزوجية.

لذا فإن الزوجة الهندية تخضع لثلاث حالات للأساليب العنيفة والقمعية (من الزوج والثقافة والمجتمع) ولا ينصف حقها كضحية مجتمعية وثقافية ومن هنا جاءت تسميتي لها بالضحية المكعبة (انها جاز التشبيه والتعبير).

هذا برهان آخر على تسيّد وتسلط واستبداد المجتمع على الفرد وتمدده عليه وتحجيمه وتقليص دوره في المجتمع من خلال استخدام تقاليد ومعايير ثقافته الموروثة التي أوضحت عدم انصافها لأدوار افرادها داخل الأسرة الهندية، على الرغم من أن القانون الوضعي الهندي لا يقرّ عنف المرأة إلا أن افراد المجتمع الهندي يمارسون ذلك ضارين قانونهم الوضعي عرض الحائط. ولما كان الزوج والزوجة هنديان لماذا تحابي الثقافة الهندية الرجل ضد المرأة؟ ولماذا تحتقر المرأة وهي نصف المجتمع والمنجبه اعضاء له؟ ان مساهمة الزوجة الهندية بتكاليف زواج اسرتها من خلال دفع مهرها للزوج فإن على التقاليد الهندية ان تثمن ذلك ولا تبخسه ولا تبالغ بقيوده وضوابطه عليها لدرجة انها تفضل الانتحار على الخنوع لهذه القيود. ثم ما هو موقف التقاليد الهندية من قتل الزوج لزوجته عندما لا تدفع مهرها؟ لماذا لا توصم الزوج على جريمته هذه؟ ألم يكن هذا تحيز ضد المرأة الهندية من قبل ثقافتها؟

لقد أوضحنا في هذا الفصل عدم عدالة وانصاف التقاليد العرفية الموروثة لأبناء المجتمع وبالذات ضد المرأة وهي المنجبه الوحيدة لسكان مجتمعها. ألم تكن هذه احدى صور الاستبداد في حق المرأة؟ ألم يكن هذا التصرف متعصباً للرجل ضد المرأة في نفس المجتمع؟ ألم تساعد هذه الممارسة على تمدد المجتمع ضد الفرد؟ ألم ترعب وترهب هذه الحالة المرأة وتجعلها خائفة وخائعة لتقاليد المجتمع المتعسفة والمستهترّة بحقها وبوجودها؟ ألا تستحق المرأة أن ترفض مثل هذه الممارسات لتدعم تحجيم الفرد لسُلطان المجتمع في التنشئة والضبط الاجتماعي؟ ألا يستحق المجتمع تحجيم وتقليص نفوذه وضوابطه لكيلا يستعبد الفرد؟ ألم يشبه المجتمع المستبد أسلوب الاستعمار الأجنبي للمجتمعات الفقيرة والضعيفة؟ لقد اتضح ان عدم عدالة وانصاف المجتمع لأدوار أبنائه يرجع الى تقاليده الموروثة التي وضعها الأموات قبل وفاتهم للأحياء من الأجيال التي تأتي بعدهم ولماذا لا ينصف حقوق افراده ويقوم بتغيير ضوابطه العرفية ويعاقب كل من لا يلتزم بها طالما لا تقرر القوانين الوضعية هذه ممارسات متعسفة ومستبدة؟ ألم تكن هذه الممارسات

استبدادية قاهرة على الفرد من قبل المجتمع ونقول عنها بإنها دكتاتورية المجتمع على الفرد؟ [العمر. 2019. ص. ص. 223 - 226]

## 5 / ت - قوة الاسترقاق الثالثة - الحكومة

هناك اغتصاب آخر لم يصدر من قبل الرجل ولا من قبل الثقافة الاجتماعية أو الدين أو العولمة أو الصناعة التكنولوجية الفنية بل من قبل الحكومة والتنظيمات الرسمية (شركات ومعامل ومصانع ومستشفيات) تقوم أيضاً بسلب حقوقها المشروعة في العمل وأجوره قهراً وظلماً فارضين شروطهم المتحيزة والمتعصبة ضدها بدعوى كثرة تغييبها عن العمل وإجازاتها المتنوعة بسبب (الدورة الشهرية والانجاب والرعاية الأمومية) لكنهم لم يلتفتوا الى أداء عملها وفضلها في رفق المجتمع بأعضاء جدد له (الأطفال) وتنشئتهم تنشئة سوية غير منحرفة، بل قاموا باغتصاب عملها لكي لا يدفعوا أجور متناسبة مع خبرتها وكفاءتها معبرين عن تعصبهم ضدها واستعلاءً على دورها ومكانتها المهنية والاجتماعية وتحيزهم لعمل الرجل. بعملهم هذا عبّروا عن أنفسهم بأنهم مرآة عاكسة للثقافة البطريقية والسلطة الذكورية لكونها لا تملك نفوذاً ولا مالاً ولا سلطة حاكمة على الرغم من تكوينها أكثر من نصف الحجم السكاني ألم يكن هذا اغتصاباً معبراً عن استرقاقها المؤسسي - المهني؟

- بعد هذا الاستهلال أدلف الى تقديم حالات الاغتصاب الرسمي وهي: -
- 1 - عملها (تقسيم عمل جندي مدفوع الأجر).
  - 2 - أجور عملها (فجوة الأجرة).
  - 3 - السقف الزجاجي والسلم الزجاجي ذاتي الحركة.
  - 4 - التحول المضاعف.

**1 - عملها:** بغض النظر عن سبب دخول المرأة الى سوق العمل المدفوع الأجر (سواء كان باختيارها أو بسبب الضرورة الاقتصادية التي جذبتها له) فقد دخلت بأعداد كبيرة غير مسبوقه فيما مضى. ففي عام 1940 كان هناك حوالي 30% من العاملات في الولايات المتحدة قد تم استخدامهم في سوق العمل. أما في الوقت الحاضر فقد أصبحت نسبتهم أكثر من 45% في قوة العمل تتراوح اعمارهن ما بين 25 و 54 بعدها حصل ارتفاع في نسبتهم فوصلت الى 75% حالياً من المستخدمين أو ممن يبحثن عن عمل. في الواقع هناك حصة عالية من النساء من كافة الأعراق والاعمار ومن المتزوجات يعملن أو يبحثن عن عمل الان أكثر من

أية وقت مضى بذات الوقت فإن حصة الرجال قد تناقصت بسبب تسريحهم من القطاع الصناعي أو توقف العمل فيه أو بسبب تقادم أعمارهم نحو التقاعد. يحسن بنا أن نذكر في هذا الخصوص الى ان هذه الإحصاءات عن عمل النساء في الولايات المتحدة تمثل قوة اجتماعية في سوق العمل إلا انها تكشف عن أربعة حقائق تعكس مفاضلة الرجل عليها وهي: -

أ – الفصل الجندي مهنياً gender – segregated work

ب – التمييز الجندي أجورياً.

ت – التحيز الجندي فرصياً.

ث – الفصل الجندي مكانياً.

بتعبير آخر، إن عملهن لا يكون مختلطاً مع الرجال في مكان واحد (بل منفصلين عن بعض) ولا يستلمون أجوراً واحدة بل اقل وليس لديهم نفس فرص العمل التي تتاح للرجال بل أقل. وبناءً على هذه الاختلافات الحاصلة بينهما يكون مواقع النساء في العمل أدنى من مواقع الرجال ومكانتهن في العملية الانتاجية اوطئ من مكانة الرجال. هذه الحقائق يجب ان تؤخذ في الحسبان على الرغم من تزايد نسب العاملات في سوق العمل، إلا ان فصل الجندر المهني واقع والتمييز الأجوري والمكاني والفرص قائم عاكساً موقعها الأدنى ومكانتها الاوطأ وأجورها المتدنية وفرصها الأضيق.

يتمركز عمل النساء في المجتمع الأمريكي في تشغيل الأجهزة الحاسوبية وعناية ورعاية الأطفال والسكرتارية والاعمال الكتابية في المكاتب البيروقراطية التي يكون مدراءها ورؤسائها من الرجال، ثم هناك مهن أخرى تسودها النساء مثل التمريض والقابلات والمنظمات للسجلات الرسمية. أما الرجال فيتمركز عملهم في التجارة والقانون والاعمال اليدوية مثل التجارة والحدادة والبناء والميكانيك وسياسة الشاحنات وهندسة الكهرباء. لكن هذا الفصل الجندي يسمح لبعض النساء بالاشتغال مع الرجال إنما بأعداد محدودة وقليلة.

ولكي نجول طرداً مع ما قدمناه انفاً نطرح بعض المصطلحات التي تستخدم في الدراسات الجندرية وهي: -

1 – اعمال وردية اللون Pink colour occupation

2 – الاعمال المشروطة Contingent work

يعني المصطلح الأول أعمال ذات مهارة ابتدائية وموقع غير متميز مثل عمل كتابي بسيط أو مستقبلات ومُستلّمات طلبات الزبائن في المطاعم أو عاملات في مكتب الاستقبال في الفنادق أو مساعدات طبيب أو عاملات في دوائر الخدمات

الاجتماعية. وعادةً ما يكون أجورهنّ متدنية وليست عالية. سميت بالأعمال الوردية نسبة الى الغطاء الوردي اللون الذي يغطي به المولود الجديد في المجتمع الأمريكي (رمز البنت).

أما مصطلح الاعمال المشروطة والعارضة، أي الاعمال غير الثابتة وعدم دوامها بدوام دائم أي تعمل فيها مؤقتاً لفترة محدودة وقصيرة ومتعاقدة عليها. تلجأ النساء للعمل في هذا النوع من الاعمال المؤقتة بسبب تناسبها مع ظروف المرأة (الزوجة أو الأم) ولأن الاقدام عليها من قبل الرجال قليل جداً لأنها لا تغطي فترة التقاعد ولا الضمان الاجتماعي. ففي عام 1995 كان هناك 2 مليون امرأة تعمل في الاعمال المشروطة.

بالإضافة الى ذلك استمرار التمييز العرقي والقومي في الفصل الجندي حيث هناك نسبة عالية ومستمرة في تمسكها في الفصل الجندي حتى يومنا هذا إذ هناك امريكيات من أصول أفريقية بنسبة 21% ومن أصول لاتينية 17% يعملون بالمقارنة مع النساء البيض بنسبة 30% وعندما تكون المرأة من أصل افريقي متخصصة في عمل ما فإن فرصة عملها تكون محدودة جداً أكثر من الفرص المحددة للنساء البيض.

هناك عالمة اجتماع أمريكية اسمها (اليزابث هيجنبوثنان) 1994 وجدت معظم الامريكيات من أصل افريقي المتخصصات يعملن بشكل مكثف في القطاع العام مثل معلمات في المدراس الحكومية وعاملات في دوائر الضمان الاجتماعي ومكثبات وناشطات مدنيات أو عاملات في الهيئة التدريسية في الكليات الحكومية أكثر من عملهنّ في وظائف القطاع الخاص مثل شركات كبيرة أو مكاتب قانونية أو جامعات خاصة متميزة. كلا النساء من أصول لاتينية أو افريقية أكثر من النساء البيض يعملنّ في مهن خدمية مثل عاملات تنظيف منزلي في البيوت الخاصة وحتى هذا العمل قلّ في العقدين الأخيرين. [Kendall. 2012. P. 79]

## 2 – أجور عملها (فجوة الأجور) The wage gap

ان تفاوت وعدم تساؤ ما يكسبه الرجل والمرأة يُعده من أفضل الوثائق المادية التي تعبر عن عاقبة الفصل الجندي في العمل ونتيجة لاحقة عنه بغض النظر عن خلفيتهما الرسية أو القومية. فالرجال يكسبوا أو يستحقوا أكثر من النساء ممن هنّ من نفس الخلفية الرسيه أو القومية. أما المكسب المتوسط للنساء اللواتي يعملنّ بدوام كامل كان في عام 2006 وصل الى \$600 دولار اسبوعياً عند المقارنة مع

\$743 اسبوعياً للرجل وهذا يعني أن النساء اللواتي يعملن بدوام كامل full time يحصلن على 81 سنت لكل دولار حصل عليه الرجل.

تتأثر فجوة الأجرة باختلاف العمر، إذ كلما تقدم (عمر العاملة) اتسعت الفجوة والعكس صحيح. فالأعمار التي تتراوح ما بين 20 و 24 عام تكسب بمعدل 94.9 سنت لكل دولار يكسبه الرجل مع ذلك فإن النساء اللواتي تتراوح اعمارهن ما بين 25 و 34 يكسبن فقط 88.2 سنت لكل دولار يكسبه الرجل ومن عمر 55 لغاية 64 هبط المعدل الى 72.9 سنت لكل دولار يكسبه الرجل. أما استحقاق الأجرة فإنها تعتمد على التحصيل الدراسي ومدة التدريب ونوع المهارة المطلوبة في الموقع وما هي ظروف وشروط العمل. هذه هي المحركات التي تتحكم في مساواة أجور المرأة بأجور الرجل. (راجع جدول رقم - 1 - يوضح نسبة اشتغال الرجل والمرأة في المجتمع الأمريكي لعام 2006)

جدول رقم - 1 -

جدول يوضح نسبة اشتغال الرجل والمرأة في المجتمع الأمريكي عام 2006

النسبة المرأة/ المئوية	النسبة الرجل/ المئوية	المهنة	
41.3	31.3	اعمال إدارية واختصاص مهني	1
14.9	14.3	شؤون الأفراد ورؤساء الأقسام	2
26.4	17.0	اختصاصات مهنية	3
34.4	16.3	مهن تسويقية	4
9.8	9.7	اعمال لتصريف التسويق	5
24.5	6.7	مكاتب معززة للإدارة	6
16.1	12.2	اعمال خدمية	7
4.3	0.4	رعاية صحية/ تمريض نساعد طبيب اسنان خدمات صحية منزلية	8
1.2	3.5	خدمات حمائية	9
4.6	3.5	اعداد الطعام	10
6.1	4.8	مهن خدمية أخرى	11
7.1	20.1	مواصلات ونقل مواد ومنتجات	12
5.2	10.0	انتاج	13
1.9	10.2	نقل مواد ومواصلات	14
1.1	20.0	مهن وصيانة وبناء ومصادر طبيعية	15

أخذ هذا الجدول من كتاب Diana Social problem. 2012. P. 78 للمؤلفة  
Kendall

### 3 - السقف الزجاجي والسلم الزجاجي ذاتي الحركة

نوع آخر من اغتصاب الحكومة والتنظيمات الرسمية (شركات، معامل، مصانع، ورشات عمل، وكالات ومستشفيات وسواها) بجانب عدم انصافها ومساواتها بالرجل في تقييم وتثمين وتقدير كفاءتها وانجازها وتحصيلها العلمي ومكافئتها بأجور عملها أسوة بأجور الرجل الذي يحمل نفس كفاءتها وخبرتها في العمل وسنين عملها. انه اغتصاب خبرتها المهنية واعتداء على كفاءتها العلمية وسلب أدائها المهني ظلماً وقهراً فارضين عليها تسلطهم بالإكراه معتدين على اختصاصها ومصدر رزقها. ولتوضيح هذا الاغتصاب نقدم الملاحظة المرصودة على المرأة العاملة في الشركات الكبرى ذات الاعتبار الراقى واللامع بأن تسلقها وصعودها على السلم الإداري يكون بطيئاً جداً بسبب إعاقة الرجال لها. إذ كلما تسنح لها الفرصة بالتقدم الى الأمام يبرز أمامها رجال معارضين ومعوقين لتقدمها لأنهم لا يريد وأن تكون امرأة مسؤولة عن عملهم وتقودهم فضلاً عن إعاقة الإدارة الرجالية لتقدمها وبالذات في المؤسسات العالمية الكبرى وهذا ما يعرف "بالسقف الزجاجي" المتضمن إعاقات عالمية غير مرئية يضعها الرجال المتموقعين في مناصب مواقع متنفذة وفاعلة أمامها تمنعها من الوصول الى مواقع عليا في شركات رئيسية وتنظيمات ذات شبكة واسعة من الاتصالات.

إن سياق الحديث يلزمنا إبانة واستجلاء حقيقة مفادها وجود السقف الزجاجي في 500 شركة كبيرة في العالم ففي عام 2005 كانت هناك فقط 15.7% من النساء شاغليين مناصب عليا ثمانية منهم كانوا بمرتبة مديرة عام ومن النساء الملونات كانت 1% في مواقع إدارية.

ومن نافلة القول ان النساء قد وصلن الى مواقع عليا في قطاع الخدمات مثل البنوك والمصارف المالية ودور النشر وشركات تجارة التجزئة وشركات الخدمات الغذائية والمؤسسات الترفيهية تحديداً في قطاعات لهن خلفية تاريخية فيها. أي لهن خبرة سابقة فيها.

أما أجور المرأة في مؤسسات وشركات يديرها رجال فتكون سيئة ومتدنية مثل شركات التعدين ومصافي البترول وشركات السمسة والمصانع. أما باقي الشركات والمؤسسات ذات السقف الزجاجي فإنه غالباً ما تترك النساء مناصبهن واعمالهن ويفتحوا شركات خاصة بهم. فالسقف الزجاجي يعني العائق الذي لا



تستطيع المرأة تجاوزه وهو غير مرئي، لأن خارج المؤسسة أو الشركة يعملوا على عدم استلام المرأة منصب مدير عام أو رئيسة مؤسسة ويكون تحت مسؤوليتها رجال. هذا لا يشبه دخول النساء الى ميادين عمل الرجال، إلا ان الرجال الذين يعرقلون ميادين عمل النساء يواجهوا صعوبة أولية في ارتفاع سقف عملهم. مثال على ذلك الرجل الذي يدخل مجال عمل التمريض أو التعليم الابتدائي أو المكتبات أو الخدمة الاجتماعية يواجهوا ارتفاع في مناصبهم الى الأعلى ذلك يشبه السلم الزجاجي ذاتي الحركة يرتقي تلقائياً الى مستويات اعلى في مهن نسائية يرفعهم بشكل غير مرئي على الرغم من رغبتهم بالبقاء في مناصبهم القديمة ذات الدرجة الأدنى. وعند تحرك الرجال الى اختصاصات ذكورية ضمن مجال مهن نسوية تقليدية مثال على ذلك المكتبي يذهب الى مجال عمل المعلومات الحاسوبية والإدارة على نقيض النساء اللواتي يذهبن الى مهن ذكورية يجدن أنفسهن قد ضربن رأسهن في السقف الزجاجي ويعملن بجهد مضاعف.

#### 4 - التحول المضاعف

على الرغم من وجود تغيير كبير في مشاركة المرأة في سوق العمل وقوته إلا ان نظام تقسيم العمل المبني على الاختلاف الجنسي (ذكر وأنثى) يبقى هو هو في جوهره لم يتبدل. فالمرأة التي تعمل بوقت كامل أو جزئي فإنها تساهم في ميزانية الأسرة مع الاحتفاظ بعملها في تدبير منزلها الروتيني وهذا عبئ مضاعف لها لأنها بعد ان تنتهي من عملها خارج المنزل تقوم بإعداد الطعام لزوجها ولأولادها مع تنظيم اثاث منزلها وتنظيف المنزل مع غسل الصحون والملابس ونشرها وكيها. هذه واجبات تقليدية للمرأة، وتزداد عندما ترعى الأطفال وتقوم بتنظيفهم ومتابعه دراستهم وأخذهم للمدرسة والاعتناء بهم إذا مرضوا وأخذهم للطبيب أو المستشفى لذلك تم إطلاق على هذا النوع من الجيل بجيل الشطائر sandwich generation الذي تعده الأم لأطفالها وزوجها ولكبار السن إن وجدوا (الجد أو الجدة) قبل ذهابها للعمل. كل ذلك يجعلها ان تتخلى عن حقها ووقتها في الراحة والاستمتاع بوقت فراغها وساعات راحتها ونومها.

أما الزوج فإن مشاركته في الشؤون المنزلية والعائلية بعد انتهاء عمله خارج المنزل فتكون تصليح بعض الأثاث المنزلية أو قص العشب في الحديقة وهذه مسؤولية أقل من مسؤولية الزوجة جهداً ونوعاً لذلك سميَّ جهد المرأة بالجهد المضاعف الذي تحول في مسؤوليتها عند دخولها لسوق العمل خارج المنزل. أي عندها عمل خارج المنزل إضافة الى داخل المنزل والتزاماتها مع زوجها وأولادها= هذه هي عدم المساواة الجندرية الجديدة في عالمنا المعاصر.

صفوة وزبدة القول، عن المرأة سواء كانت عصرية أو تقليدية تعيش في مجتمع صناعي أو زراعي، متعلمة أو جاهلة فإنها تواجه فكيّ رحي الأول: يتمثل في معتقدات عقلية الرجل البطريقي المتعصب لذاته لا يتحمل مشاركته من قبل جنس آخر في عمله أو مسؤوليته لأنه يريد أن يتفوق ويشعر بسموه واستعلائه على مخلوقة لا تملك السلطة والنفوذ والمال.

والثاني: مؤسسات الرجل الرسمية التي يترأسها ويقودها ويمارس نزعه النرجسية من خلال مهارته وكفاءته التي سبقت مهارة المرأة ونوعيتها.

بين هذين الفكين لا تستطيع المرأة في عالمنا الحاضر أن تحطم وحدها هذين الفكين المتجذرين في التربة الاجتماعية والثقافية والدينية، بل تحتاج الى جهود مضاعفة لكي تتخلص من طحنها. لكنها لم تستسلم بل نجحت في خروجها للعمل والحصول على استقلال مادي، إلا انها لم تقدر ان تتخلى عن جوهر واجبها المرتبط بجنسها كأنثى الذي يلزمها ان تتحمل مسؤوليتها مع زوجها ومع أطفالها الذين حملت بهم وهذه مسؤوليات لا يستطيع الرجل أن يقوم بها مثل الحبل والرضاعة ورعاية الأطفال وهنا أصبحت مسؤوليتها أكثر من مضاعفة (مكعبة) الأولى في العمل والثانية في الأسرة والثالثة في المنزل. هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن أجور عملها بقت أدنى من أجور الرجل وظلت هدفاً للاعتداء الجنسي عليها من قبل الرجل وهذه عقبات متوقع حدوثها لأنها تعبر عن عدة عوائق منها: -

1 – ان المرأة لم تتعود على أو لم يفسح لها المجال والوقت بشكل مفتوح على ان تعمل خارج المنزل بعيداً عن اسرتها وأهلها إلا في حالات نادرة.

2 – تعاملها مع الرجل خارج المنزل لم تألفه بل بحذر وحيطة خوفاً من كلام الناس ووصمها بوصمات سلبية أو خوفها من التحرش الجنسي واغتصاب الرجل لها وهي تحت مسؤوليته وتسلطه.

3 – تنشئتها الأسرية في تمييزها بالتدبير المنزلي واعداد الطعام لأفراد أسرتها ومساعدة أمها، هذه من العوامل الجاذبة للعمل داخل المنزل أكثر من الطاردة لها.

4 – روح المنافسة في العمل خارج المنزل يضعف تحمسها لحبها للعمل خارج المنزل.

5 – نظرة الناس للمرأة العاملة خارج المنزل في مجتمع محافظ وتقليدي لا يشجع البنت على الاقدام عليه.

6 – استمرار خضوعها للرجل داخل المنزل وخارجه يجعلها تكره العمل خارجه.

- 7 - وجود تمييز عرقي وديني وقومي تكون أحد العوائق التي لا تدفعها للعمل الجاد خارج المنزل.
- 8 - عند زواجها وإنجابها يصبح عملها مؤثراً على علاقتها الزوجية والأمومية مما يضاعف مشاكلها في العمل خارج المنزل ويعزز محاربة الرجل لها في العمل.
- 9 - خضوعها لابتزاز واستغلال الرجل اثناء العمل يجعلها عنصراً ضعيفاً في سوق العمل.
- 10 - يكمن ضعفها في انوثتها وأمومتها وقلة خبرتها في العمل خارج المنزل ويجعلها ان تضرب رأسها بالسقف الزجاجي الذي يمنع صعودها الى قمة الهرم الوظيفي.
- 11 - كلما ظهرت مجالات جديدة للعمل بادرت المرأة للولوج اليها حسب قدرتها ومهارتها إلا ان الرجل يبقى منافساً لها لكونها امرأة (عاطفية وغير رشيدة في قراراتها وضعيفة في مواجهة الاحداث الحادة والساخنة وهذه احدى بقايا النمطية الجندرية).
- 12 - لكن مع كل ذلك فإن تطور كفاءة المرأة وارتفاع معنوياتها في ممارسة السلطة خارج المنزل أضعف مقاومة الرجل لعملها ونعتها بنعوت ذكورية لا تعكس روح العصر الراهن.

## الفصل السادس قوى استرقاق الموثنة الظرفي

استهلال

6/ أ – اغتصاب الحرب لها

6/ ب – اغتصاب الرجل لها – العنف ضدها

1 – الصاق وجودها بوجود الرجل

2 – استغلال مواردها

3 – زنا المحارم

4 – التحرش الجنسي

6/ ت – اغتصاب العولمة لها – عولمة الصناعة الجنسية

6/ ث – اغتصاب الصناعة التكنولوجية الفنية لها – الفن الاباحي

6/ ج – اغتصاب العصابات الاجرامية لها

1 – الاتجار بها

2 – استرقاقها

## الفصل السادس قوى استرقاق المؤنثة الظرفي والمقطعي

### استهلال

انه فصل مكمل للفصل الذي قبله لكنه يختلف في نوع وكم فحواه. أي في مداه الزمني ومحيطه البشري.

أنها قوى استرقاقية من نوع آخر في مداه وتأثيره إنما لا يختلف في اغتصاب حقوق المؤنثة في حياتها الشخصية والعامة. انه المدى الظرفي والمقطعي، أي لا يحدث دائماً بل حسب الظروف المتاحة له من قبل فرد أو عصابة إجرامية أو أصحاب الصناعة التكنولوجية استغلالها جنسياً ثم جنود الحرب الغازين لمجتمعها. هذه القوى الاسترقاقية تنحصر في الاغتصاب الجنسي للمؤنثة والاتجار بجسدها وليس في عملها في العمل أو المصنع أو الشركة أو دوائر الدولة، ولا علاقة لها بالفجوة الأجورية ولا بتعاليم دينها أو ثقافتها الاجتماعية.

المغتصب هنا هو الرجل ذاته لإشباع غريزته الجنسية منها والاتجار بجنسها وجسدها أو الانتقام من مجتمعها من خلال اغتصابها، هنا هي الضحية التي لا تستطيع ان تترك نوعها البيولوجي (كأنثى) ولا الرجل لا يقدر ان يتجنبها لأنها تمثل مصدر مالي لا يستهان به. فمثلاً الحرب بلورت الاغتصاب الجماعي الذي يقوم به الجندي أو الإرهابي تذهب ضحيتها آلاف النساء البريئات في البلدان الفقيرة وذات التنوع العرقي. في الواقع هذا النوع من الاغتصاب لا يحصل بدافع الغريزة الجنسية عند الجندي بل بروح الانتقام والتحقير والإذلال للجماعة التي يتحارب معها، لأن المرأة تمثل شرف الأمة ولكونها غير محاربة ولا تعرف العنف والعدوان، فيندفع اليها الإرهابي مثل هذا الاغتصاب حصل في الحرب العالمية الثانية عام 1945 كان بحدود (1,4) مليون امرأة. وفي عام 1994 تم اغتصاب 500,000 امرأة في بقاع العالم. انه أشبه بالإبادة الجماعية للنساء. هذا أكبر عمل عدواني باسم الحرب ضد النساء لأنهنَّ شرف المجتمع الأسمى يقوم به الرجل مستغلاً حالة الحرب.

أنه اغتصاب جماعي، ثم هناك اغتصاب فردي يقوم به الرجل مع زوجته أو الصاق وجودها بوجوده أو الاستيلاء على راتبها المالي – الشهري، هذا النوع من اغتصاب حق المرأة وهي شريكة حياته يفرض السيطرة عليها أو إرهابها لكي تطيعه أو التلذذ السادي بها أو منعها من الخروج خارج المنزل إلا بصحبة مرافق رجل من اسرتها أو أخذ راتبها عندما تكون موظفة، وهناك المغتصب لعذريتها

من أحد ذكور اسرتها وكأنها أحد أجزاء ممتلكاته أو استغلال منصبه المهني للاعتداء عليها جنسياً في مكتبه أو خارجه. جميع هذه الاعتداءات تعبر عن الرغبة في اجبارها على الإذعان والخنوع لسلطته وافكاره وأوامره ظلماً وقسراً مستغلاً مكانته كزوج لها. السؤال الذي يتبادر الى الذهن هو هل هناك رجل يحب الانثى المقموعة والمرهوبة والخائعة لا شخصية لها؟ ولا رأي ولا قرار في علاقتها الزوجية أو شؤون منزلها وتربية أبنائها؟ إذا كان ذلك سائداً فإنه يعني إن الرجل مريض بمرض السادية في جعل زوجته عبدة تخدمه وتشبع رغبته الجنسية فقط وليس مشاركة وجدانية أو شريكة حياة تمثل ربة المنزل وأم الأولاد.

أما في حالة الاغتصاب الجماعي فإن ذلك ليس من شيم الجندي المحارب لأنه لا يحارب من أجل الاغتصاب بل يحارب جندي مثله أما النساء فلا مجال لهن في الحرب، إنما نشوة الانتصار تجعل الجندي الانتقام من عدوه الذي انتصر عليه فينتقص من شرفه عن طريق اغتصاب نسائه وهذا لا يُعد رجولة أو شجاعة أو قوة لذلك لم تؤيد هذا الاغتصاب الأمم المتحدة أو دول العالم الحر.

ثم دخلت الى ميدان استرقاق المؤنثة استثمار جسدها شركات الفنادق الفاخرة وشركات الطيران التجارية والنوادي الليلية وصالات التدليك وعيادات الترشيق الجسدي وشركات بطاقات الصرف المالي. أي لم تتدخل فيه (استثمار جسدها) أفراد أو حكومات، فحولوا الدعارة من المنزلية الى الوكالات والشركات التجارية. حدث هذا التحول بعد سقوط جدار برلين وانتهاء الأنظمة الشمولية في العقد الأخير من القرن العشرين. فكان لهذا السقوط والانهيال اضرار عديدة للكثير من النساء ممن كنّ يعملن في هذه الأنظمة فوجدن أنفسهن بدون عمل فأصبحوا هدفاً دسماً للتنظيمات الإجرامية الدولية لتحويلهم الى سلعة جنسية للاتجار بهم مع عدم وجود عوائق قانونية أو جغرافية أمامها فأصبحت التجارة الجنسية وكأنها عمل تجاري يخضع للعرض والطلب يُقدم للتسلية والترفيه فظهرت السياحة الجنسية لا لخدمة الزبائن بالدرجة الأساس بل لخدمة العاملين في: -

1 - التنظيمات الإجرامية المنظمة والدولية.

2 - مُلاك الحانات والنوادي الليلية.

3 - المهربين للبشر.

4 - أصحاب فنادق خمسة نجوم.

5 - مُلاك المدن السياحية.

6 - مُلاك شركات الطيران.

## 7 - موظفي دوائر الجمارك والشرطة الحدودية (من الفاسدين).

معنى ذلك ظهرت جماعة من التجار المستثمرين في جنس المؤنثة عبر العالم المتقدم والرأسمالي ليس لهم دخل في العلاقات الجنسية مع المؤنثات بل مع الزبائن في جميع دول العالم في المواسم السياحية والعطل الرسمية.

بجانب هؤلاء التجار هناك رجال ظهروا في عصر التقنية المتطورة والحرية الشخصية والتعبير الحر للتجار بالصور الداعرة والفاحشة المعبرة عن الفن الإباحي الذي بات منتشرًا عبر الانترنت وكذلك نشطت صناعة متعلقة بالعملية الجنسية والأعضاء الجنسية الصناعية استخدموا جسم المؤنثة في مظهرها الخارجي وقوامها ورشاقة جسدها كمادة تصويرية مربحة. وهذا اغتصاب لكرامة الأنثى واستلابها كإنسانة من خلال تحويلها الى سلعة مسلية للرجل وحرمانها من الزواج والإنجاب وتكوين أسرة. أنه أحد اشكال الاسترقاق المعاصر في عصر التقنية المتطورة والعولمة الثانية.

ثم تأتي فئة رجالية أخرى من التجار مستغلين أزمنة الحرب والركود الاقتصادي والحصار الاقتصادي وشيوع الإرهاب في العالم مستغلين الانفلات الأمني في سرقة البنات وتهريبهم عنوة الى بلدان أخرى واغتصابهم ثم بيعهم الى عصابات متخصصة بتجارة الرقيق الأبيض. هذا الاسترقاق قائم على امتلاك الأنثى بالكامل وتسخير استثمارها مثمراً ومستثمراً مغتصبين حقها في الزواج والإنجاب وتكوين أسرة واستلاب وجودها كإنسانة واعتماد الاسترقاق على خطف البنات ثم بيعها للتجار المتاجرين بالنساء واستحصال تكاليف سفرها ومعيشتها من عملها كباغية وهذا نموذج جديد من الاسترقاق لأنه يغتصب حتى محصولها المالي بعد الاستثمار الجنسي.

السؤال الذي ينطرح هنا لماذا تفاقمت تجارة الرقيق الأبيض واستثماره في عصر العولمة والتطور التقني وثورة المعلومات والاتصالات الفورية؟ الجواب هو ليس هذا السبب بل السبب هو اسقاط وانهيار أنظمة سياسية ومعسكرات عقائدية عظمى كانت قائمة لأكثر من نصف قرن، كانت مستقرة في أمنها وكيانها لكن عند انهيارها أصبح افرادها وأسرههم بدون عمل لا يملكون شيئاً. عندها تحركت الشبكات الإجرامية وكانت المؤنثة أول وأعلى هدف استهدفوه ويفوق هدف تهريب الأسلحة والمخدرات فكرسوا شركات الفنادق والطيران والسياحة والبنوك لعملهم في السياحة الجنسية. السؤال الآخر هو ما هو موقف الحكومات الوطنية من هذه التجارة اللاإنسانية واللاأخلاقية؟ وأين ضوابط الحدود والجمارك؟ وأين الاعلام المحايد في كشف مخاطر ومثالب هذه التجارة على الانثى وتفشي مرض الإيدز

وانحراف الشباب وارتفاع معدل الجرائم المحلية والدولية منها؟ هل جنس الانثى يطغي على كل هؤلاء؟ ما هو موقف السلطة الذكورية البطريقية منها؟ وما هو موقف رجال الدين منها؟ يبدو أنهم لا يعارضوها ولا يقفوا ضدها بل يشجعونها ويغذونها!!!!

هناك فرق جوهري بين التجار المستثمرين لجنس المؤنثة (في قوى استرقاق المؤنثة الظرفي والرجال الذين استغلوا المؤنثة الشمولي فالمتسيبين والمتطفلين على السياسة والتقاليد لهم سند ودعم وظهر قوي يدفعهم للاستغلال والاستعلاء والاستقواء على المؤنثة وهو الدين بالنسبة لرجال الدين والقانون بالنسبة للمتطفلين على السياسة والمحافظين التقليديين مسنودين من قبل الثقافة الاجتماعية الموروثة. بينما تجار الصناعة الجنسية ومحترفي القانون والدين والتقاليد يكون استرقائهم ظرفي ومقطعي بينما الرجال الذين هم من قوى الاسترقاق الشمولي يكون استغلالهم دائم ومستمر لا ينقطع.

بعد هذا الاستهلال أعرض القوى الظرفية والمقطعية المختلفة الشمولية وهي:

- أ – اغتصاب الحرب لها.
- ب – اغتصاب الرجل لها.
- ت – اغتصاب العولمة لها.
- ث – اغتصاب الصناعة لها.
- ج – اغتصاب العصابات الإجرامية لها.



## 6 / أ - اغتصاب الحرب لها

### الاغتصاب الجماعي وليس الفردي Rape Against Woman

لقد تمت ممارسة اغتصاب جماعي للنساء اللواتي وقعتن بلاهتً في حروب مدنية - أهلية بعد منتصف القرن العشرين لإرهابهم وتفكيك مجتمعهم المحلي لا بدافع جنسي أو شخصي. حدث هذا في الصومال والبوسنا والهرسك وكشمير، إذ تم اغتصاب 10,000 لغاية 60,000 امرأة في الفترة الواقعة ما بين 1992 - 1995 ثم هناك بنغلاديش وليبيريا وجنوب السودان وأوغندا حصل فيها اغتصاب للنساء واثاء الحرب فيها كان هناك ما بين 250,000 و500,000 امرأة تم اغتصابها خلال عام 1994 وفي راوندا حصلت إبادة جماعية genocide للنساء. انه العنف الجماعي على شكل اغتصاب جماعي على شكل اغتصاب جماعي أبان الحروب الأهلية والمدنية ناهيك عن الأثار النفسية للناجين من الاغتصاب الذي تطلب معالجته طبيياً ونفسياً بشكل مستمر لهم. هذا على صعيد الاغتصاب إنما هناك عنف ضد النساء كان على شكل استخدامهم بالأعمال بدون أجور (أعمال سخرة) وإصابتهم بأمراض الإيدز كل هذا يُعدّ عنفاً جماعياً ضد النساء وهم لم يشتركوا في الحرب ولم يقاوموا القوة العسكرية. فالاغتصاب هنا وفي هذه البلدان كان يُستخدم كسلاح حربي لكسر شوكة المجتمع نفسياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً. وحسب إحصاءات الأمم المتحدة فإن هناك بالتقريب 19% من العنف الكوني وصل الى حالة الموت ففي عام 2002 كان هناك 301,000 حالة وفاة بسبب الحروب الأهلية حصلت في البلدان الفقيرة ذات الاقتصاد الواطئ وأنه ما بين 60 لغاية 70% من الوفيات لم يشتركوا في القتال بما فيهم النساء والأطفال. [ Thomson. ] [2007. P. 26

ثم هناك اغتصاب جماعي للنساء الالمانيات عام 1945 من قبل القوات السوفيتية فكانت النساء فريسة سهلة للجنود السوفييت كنوع من أنواع الانتقام فكانت المانيا مسرحاً لأكثر من 1,4 مليون عملية اغتصاب عرفها التاريخ البشري. وللمزيد من المعلومات عن هذا الاغتصاب نقدم هذه المعلومة، ما بين شهري يناير وأغسطس سنة 1945، عاشت ألمانيا على وقع أكبر عملية اغتصاب جماعي عرفها التاريخ فخلال تلك الفترة وتزامنا مع تقدمها داخل الأراضي الألمانية أقدمت القوات السوفيتية على اغتصاب أعداد كبيرة من النساء الالمانيات، فضلا عن ذلك لم يتردد الجنود السوفييت لحظة واحدة في إعدام أية امرأة رفضت الرضوخ لمطالبهم.

مطلع سنة 1945 كانت النسبة الساحقة من الرجال الألمان مجنّدة في صفوف الجيش الألماني وتقاتل على مختلف الجبهات ولهذا السبب كانت المدن الألمانية شبه خالية من العنصر الذكوري، في الأثناء كان العنصر النسائي متواجدا بكثرة داخل المدن الألمانية وتزامنا مع حلول الجيش السوفيتي بالمنطقة كانت النساء الألمانيات فريسة سهلة للجنود السوفييت.

مع بداية تدخل الجيش السوفيتي بمنطقة بروسيا الشرقية عاشت النساء الألمانيات على وقع كابوس مرعب فتزامناً مع ذلك لم يتردد الجنود السوفييت في اغتصاب العنصر النسائي الألماني كنوع من أنواع الانتقام، خلال تلك الفترة وبسبب جرائم الاغتصاب بمنطقة بروسيا الشرقية كسب الجيش السوفيتي سمعة سيئة سبقته أينما حلّ فضلا عن ذلك وبناء على تقارير عديدة لم تتردد العديد من النساء الألمانيات في الانتحار لتجنب الوقوع في قبضة الجنود السوفييت من خلال حادثة شبيهة بتلك التي شهدتها مدينة دمين.

ما بين شهر يناير وشهر أغسطس سنة 1945 وعلى مدار ثمانية أشهر تعرضت ما لا يقل عن مليوني امرأة ألمانية للاغتصاب على يد الجنود السوفييت، فضلا عن ذلك وعلى حسب شهادات عديدة تعرضت بعض النساء إلى عمليات اغتصاب متكررة بلغت أحيانا سبعين مرة. ما بين منتصف شهر إبريل وأواخر شهر مايو سنة 1945 شهدت العاصمة الألمانية برلين لوحدها أكثر من مئة ألف عملية اغتصاب بناء على تقارير المستشفيات المحلية فضلا عن ذلك كانت مناطق بروسيا الشرقية وبوميرانيا وسيليزيا (مناطق ألمانية خلال فترة الحرب العالمية الثانية) مسرحا لأكثر من 1,4 مليون عملية اغتصاب.

وحسب العديد من التقارير تعرضت ما لا يقل عن مليوني امرأة ألمانية إلى الاغتصاب خلال فترة لم تتجاوز الثمانية أشهر وقد تراوحت أعمار الإناث اللواتي تعرضن للاغتصاب بين عشر سنوات (أصغرهن) وثمانين سنة (أكبرهن) فضلا عن كل هذا فارقت ما لا يقل عن 200 ألف امرأة ألمانية الحياة بسبب الأمراض والالتهابات التي تلت عمليات الاغتصاب المتكررة.

خلال الأشهر التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية على الساحة الأوروبية أجبرت نسبة كبيرة من النساء الألمانيات على التوجه نحو المستشفيات من أجل إجراء عمليات إجهاض فضلا عن ذلك ووفق تقارير الأطباء كانت عمليات الإجهاض تجرى بشكل يومي ومتواصل في مختلف المستشفيات الألمانية.

مع حلول شهر أغسطس سنة 1945 تراجعت نسبة عمليات الاغتصاب بشكل تدريجي وجاء ذلك على إثر اتخاذ القيادة العسكرية السوفيتية إجراءات صارمة ضد جنودها المتهمين بعمليات اغتصاب، في أثناء ذلك ومع بداية شهر يناير سنة 1948 عرفت عمليات الاغتصاب نهايتها بشكل تام على إثر عودة الجنود السوفييت نحو معسكراتهم ومغادرتهم للمناطق السكنية.

[<https://www.alarabiya.net>]

ثم هناك نماذج أخرى من الاغتصاب الجماعي التي دارت في بقاع العالم المختلفة في هذا القرن. نجد من المفيد الاطلاع عليها لأنها تمثل روح الانتقام والتحقير والإذلال للمجتمع المتحارب معه من خلال اغتصاب نسائه لأنها تمثل شرف الأمة ورفع كرامتها، إضافة إلى ضعفها الجسدي وعدم تدريبها على حمل السلاح الغاصب.

## 6 / ب - اغتصاب الرجل لها من خلال العنف ضدها Marital Violence

العنف كسلوك يرتبط بتصرف الفرد، إلا أن مثيراته عادةً ما تكون لفظية أو جسدية، ولما كان بهذه الشاكلة فإنه لا يحدث بشكل عفوي أو تلقائي ما لم تكن هناك استجابة لمثيرات ليس بالضرورة أن تكون مساوية له بالقوة والاتجاه، بل أحياناً تكون أكثر وأحياناً أخرى أقل. بمعنى يتطلب من حدوث العنف وجود علاقة اجتماعية سلبية بين فردين وهذا يعني أنه مكتسب وليس موروث يتعلمه الفرد من أسرته أو مدرسته أو مجتمعه أو طائفته، لا يكن للعقل أثر في حركته أو تحركه إذ يغيب (العقل) أثناء أدائه (العنف) لأنهما متناقضان لا يلتقيان إنما يلتقي مع العاطفة لأنهما سيان فكما استخدم الفرد عقله قلَّ عنفه والعكس صحيح، وكلما كان عاطفياً زاد عنفه.

وعندما يرتبط الجنس بالحب عند أحد الشريكين فإنهما يولدان ردود فعل سلبية متطرفة، إذا واجه هذا الشريك (الذي لديه علاقة عاطفية أو جنسية مع شريك آخر) هجوماً لفظياً من الشريك يمسي شعوره أو جماله أو اخلاصه أو سلوكه أو اخلاقه أو أفكاره مسبباً جرحاً في مشاعره وإثارته تدفعه إلى ردود فعل عدوانية عنيفة عندها تحول الشريك إلى ضحية. فمثلاً إذا عرف الزوج بأن زوجته قامت بخيانته عاطفياً أو جنسياً فإن ذلك يدفعه إلى الاقدام على فعل إجرامي انتقاماً منها لأن الزوج أدرك بأن زوجته لم تكن صادقة ووفية وصريحة في عواطفها نحوه الأمر الذي يعد ذلك أكبر إغظة وإثارة له فيسبب عنده كرهاً وحقداً ونقمة عالية عليها فيحولها إلى ضحية تدفع ثمن ما جنحت به. إن النساء معرضات للعنف الأسري الذي يمارس عليهنّ اما اغتصاباً من قبل معتدي غريب وإما قهراً من قبل زوجها أو ضرباً أو اضطهاداً. إن سبب العنف الأسري هو انعدام أو ضعف التوافق بين

الزوجين في حياتهم الزوجية، أو الغيرة أو عدم محبة الزوجين بعضهما البعض أو الخيانة الزوجية من قبل أحد القرينين أو المعاملة الخشنة اللفظة التي تقوم بها الحموات أو الأزواج أو كلاهما. هذه هي الأسباب الرئيسية التي تسبب ظهور سوء التوافق بين الزوجين أو أحدهما للحياة الزوجية أو علاقة متوترة بشكل حاد بينهما أو عدم قيام أحدهم أو كليهما بالتوقعات الدورية الزوجية أو النزاع حول الملكية والارث. ويزداد تأثير هذه الأسباب إذا اقترن معها التحمس العاطفي (الحماسة) وإلغاء العقل واستخدام الأمزجة الذاتية واستمرار الضغوط والاحباطات على الزوج مع طبيعة شخصيته المتزمنة من كل شيء (بسبب أو بدون سبب) مع ميله على التسلط والهيمنة على زوجته وهي لا ترغب بذلك فيؤدي ذلك الى استخدام العنف اللفظي أو الجسدي أو كلاهما.

يقع هذا العنف داخل أصغر وأهم خلية مجتمعية في الجسد الاجتماعي (المجتمع) وهي الأسرة أي سوء معاملة الزوج لزوجته بسبب عدم تكافئ مستوياتهم الثقافية أو التعليمية أو العمرية أو الجمالية أو الأخلاقية أو الشخصية أو المزاجية أو العقلية. علماً بأن هذه الإساءة العنيفة تحدث نحو زوجته بقصد: -

- 1 - محاولة التسلط عليها.
- 2 - فرض سيطرته عليها.
- 3 - بعث الخوف والرغبة عندها.
- 4 - فرض الطاعة والاذعان عندها.
- 5 - التلذذ السادي النرجسي في ذاته.
- 6 - الغيرة الشديدة.

أما أساليب الإساءة العنيفة فتأخذ بعض التصرفات التالية: -

- |                                             |                                  |
|---------------------------------------------|----------------------------------|
| 10 - دفعها نحو الانطواء                     | 1 - التهديد                      |
| 11 - افقادها الثقة بنفسها                   | 2 - الغضب                        |
| 12 - الإذلال الجنسي                         | 3 - التقييد                      |
| 13 - عزلها عن المحيط الأسري                 | 4 - الارغام                      |
| 14 - مراقبة حركاتها وفعالها                 | 5 - التحريم                      |
| 15 - حرمانها من التفكير                     | 6 - الطرد                        |
| 16 - حرمانها من ابداء الرأي                 | 7 - الضرب                        |
| 17 - استخدامها كوسيلة لتحقيق اغراضه الذاتية | 8 - الإهانة والحط من قيمة الزوجة |
|                                             | 9 - الاشعار بالخجل               |

وإزاء هذه الإساءات العنيفة فإنها تتخذ أحد الردود الفعلية التالية:

- 1 - الخنوع
- 2 - البكاء
- 3 - التوسل
- 4 - اللجوء الى الأهل
- 5 - المشاكسة
- 6 - الهجر الجنسي
- 7 - الضرب
- 8 - الكره
- 9 - الانتقام
- 10 - اللجوء الى القضاء

من نافلة القول إزاء هذا العنف ام الزوجة تعكس معاناتها على باقي الأسرة والمجتمع المحلي على السواء أو بحيث لا تجعل الأسرة تقوم بوظائفها التنشئيه وإذا حصل ذلك فإن المجتمع سوف يستلم عناصر بشرية معلولة في سلوكها (منحرفة أو جانحة أو مريضة نفسياً).

لا جرم من الإشارة ان ذلك يجعل موقع ومكانة الزوجة داخل المعادلة التفاعلية غير متوازنة أو متكافئة تقبل - مكرهة - التسلط عليها والتحكم في تصرفاتها والتدخل في حياتها الشخصية مما يجعلها تعاني من هذه الإساءات العنفيه طيلة حياتها الزوجية معه انه اغتصاب متعدد الأوجه (جنسياً ونفسياً واجتماعياً) إلا انه مشرعاً من قبل الثقافة الاجتماعية البطريقية.

### 1 - الصاق وجودها بوجود الرجل

الرجل هنا المحرم في المجتمع السعودي الذي اغتصب حقوق البنت السعودية (اخته أو زوجته أو ابنته أو قرييته) في حرية سفرها ومغادرة المنزل ومتابعة معاملاتهما في الدوائر الحكومية والتبضع. انه الظل الذكوري الذي سلب شخصيتها الاعتبارية قهراً وظلماً وفرض عليها نرجسيتها معتدياً عليها فكراً وسلوكاً وتعبيراً التي يفترض ان تكون حقوقها موازية لحقوقه ولا تؤيد الثقافة العربية ما يقوم به المحرم اتجاه البنت وهي بنت مجتمعه.

كتبت الكاتبة والناقدة السعودية " مليحة احمد الشهاب " التي لها عمود اسبوعي في جريدة الوطن السعودية في كتابها "المرأة السعودية صوت وصورة" 2010 عن ظاهرة المحرم قالت فيها: "المحرم هو الشيء الوحيد الذي يمنح المرأة السعودية صفة الوجود وحق ممارسة الحياة والتمتع بمباهج الدنيا وان تكون عضواً فعالاً في بناء المجتمع. وفي حالة انعدامه فهذه المرأة شيء زائد وامام المؤسسات الحكومية تعامل ككائن ليس له شخصية اعتبارية وبالتالي لا يمكن انجاز أي معاملة لها ... فمن تفقد الظل الذكوري تغدو شخصاً لا وجود له ولا قيمة، وبالتالي ليس لها أي متطلبات حياتية او ضرورات وجودية ... ولكي تملك المرأة حق الاعتراف

بوجودها فهي بحاجة الى ظل ذكر في كل مراحل حياتها، ومهما بلغ بها العمر عتياً ومهما حققت من انجازات علمية ، وبرهنت على انها تمتلك عقل قادر على التفكير والتميز والابداع، وكشفت عن نفس طاهره ونقية ... فلا شيء يشفع لها سوى ذلك الظل وان كان اقصر من ان يغطي اصغر اناملها.

هذا ليس نمط تفكير اجتماعي يمكن السكوت عنه بل هو تشريع وقانون تقوم عليه مؤسسات الحكومة في تعاطيها مع المرأة وهو نظام يحكم تحركات المرأة ويشل حركتها ويقعدها عن الحصول على ابسط حقوقها.

إن من شرع هذا القانون، تعاطى على ان المحرم شخص يتوفر لكل امرأة ومفترضاً (بحسن نية) إن هذا المحرم لا بد وان يكون إنساناً عادلاً ليس له ام يمتد بظلمه الى محارمه، لذا لم يقم بسن تشريع يحمي المرأة من ظلم محرمها، او يحدد إجراء يحفظ حق المرأة في حال تجاوز المحرم غاية التشريع، وقام بهضم حقها ولم يضع حلاً للمرأة التي حرمتها الحياة من وجود محرم في حياتها.. لذا نجد المرأة التي ليس لها محرم تواجه تعقيدات في كل شؤونها الحياتية، فاستخراج جواز سفر والحصول على بطاقة احوال او الزواج فضلاً عن حق الدراسة والتوظيف، كلها حقوق ومكتسبات لا يمكن للمرأة الحصول عليها إلا بموافقة محرم .... وعدم توفره يترتب عليه توقف مصالح المرأة ... ومن المؤكد ان هذا خارج اهداف التشريع لذا نحن في مسيس الحاجة لإعادة النظر في بعض التشريعات التي تخص المرأة والعمل على تحديثها بما يرفع الضرر الذي يحول بينها وبين حقها في الحياة " .

اما فيما يخص حرمانها من سيطرة السيارة في بلدها فقد قالت فيه: "إن المرأة السعودية هي الوحيدة بين نساء العالم الممنوعة من قيادة السيارة لذا ما ان تغادر الحكومة ارض الوطن وتطأ بلاد الغرب حتى تواجه بالسؤال المزمّن المحرج، لماذا تحرمون وتمنعون المرأة من قيادة السيارة؟ ومتى ستسمحون لها بذلك؟

أجاب سمو الأمير سعود الفيصل في القناة الرابعة بالتلفزيون البريطاني حينما سُئل عن قيادة المرأة للسيارة حيث قال "بالنسبة لي شخصياً اعتقد ان من حقهن ان يقدن السيارات لكننا لسنا الجهة التي تقرر ذلك، العائلات هي التي يجب ان تقرر ذلك ولا ينبغي ان تفرضه الحكومة فالحكومة لا تفرض على النساء قيادة السيارة ولا تمنعهن". [الشهاب، 2010. ص. 129]

في الآونة الأخيرة ارتفع منسوب المطالبة بمنح المرأة حقها في قيادة السيارة وهذه المطالبات تعلنها وتقدمها الفئة المتضررة من المنع وهنّ النساء وذلك في ظل غياب مساندة ودعم مباشر من النصف الآخر (المتضرر ايضاً بشكل او بآخر) وهو الرجل. هذا الرجل وعلى وجه الخصوص ذاك الذي يكرر في كل أحاديثه

الاجتماعية انه مع ضرورة ان تمنح المرأة حقها في قيادة السيارة هو نفسه حينما يسمع اصوات النساء ومحاولتهن الجادة للحصول على هذا الحق، يتعالى صوته مثبّطاً في اقل تقدير تلك الجهود فيقول متعجباً: وهل أكبر همّ للمرأة في بلادنا هو قيادة السيارة؟

يا سيدي الحريص على حقوق المرأة، ألا تعلم بأن المرأة تُهان وتُذلل لأنها محرومة من القيادة بنفسها ... المرأة تموت لأنها ممنوعة من القيادة ... المرأة تتعرض للاغتصاب لأن العادة حكمت ان لا تقود المرأة السيارة ... المرأة تعطل طاقاتها وتبقى حبيسة اربعة جدران شبيهة الخلوة لأن ليس امامها غير ذلك لقضاء حاجاتها. ومن يتوفر لها تلعب بها الهواجس فهي في كل مرة تذهب فيها الى الجامعة برفقة محرّمها الذي لم يتجاوز السبع سنوات وكانت تتساءل بذعر لو قرر هذا السائق الأجنبي ان يستدّئب وينحرف بالسيارة الى طريق الجريمة كيف بمقدور هذا الصغير ان يمنعه؟ وتتصور نفسها وهي مشطورة بين مقاومة هذا الذئب وبين رغبتها في ضم هذا الطفل الى صدرها كي توقفه عن البكاء وتسكن روعه وتذهب عنه الخوف ويذهب خيالها الى العقد النفسية التي ستصيب هذا الطفل وستظل مصاحبته طوال ايام حياته. لتنتهي باتخاذ قرار عدم الذهاب الى الجامعة وايقاف مسيرة تعليمها. اما فيما يخص التعامل معها على انها كيان قاصر ومشروع فتنه فيه. منذ حمورابي والقوانين تسن لحماية الحقوق وضبط حركة المجتمع، ومنع الضرر والاعتداء على الآخرين، إلا هنا في السعودية فالكثير من القوانين والتشريعات تعيق حركة المجتمع وتسهل الاعتداء على حقوق الاخر، وتظهر كمظلة لكثير من التجاوزات الإنسانية وهذا يتجلى بشكل واضح (لدرجة رؤية الاعمى له) في التشريعات التي تتعلق بالمرأة ... وتكفي زيارة واحدة لأي دائرة حكومية لتُصدم بمدى الضرر الواقع على المرأة بسبب تشريع سن منذ عقود ولم يعاد النظر فيه ومحاولة تحديثه وتطويره بما يتناسب مع الحالة الاجتماعية الجديدة، فغدا عاجزاً عن تلبية الحاجة والمتطلبات الحياتية المتطورة مما كان سبباً في كثير من التجاوزات الإنسانية التي يندي لها الجبين ... ولقد رأيت ذلك بأعيني حينما ذهبت الى مديرية الجوازات في الدمام واول شيء استقبلني هو صوت بكاء وصراخ كأنه نواح يصدر من امرأة تجاوزت السبعين من العمر وتردد بإصرار : لن اخرج من هنا حتى تخلصون لي جوازي ... كانت صورتها مزيجاً من الفجيعة والالام والحيرة والغضب العاجز ... حتى ذاك الموظف الذي تستجد به ولا تجد عنده جواباً سوى: اخرجي واحضري ولي امرك ليعطينا الأذن بتجديد جوازك، لقد كانت ملامح هذا الموظف تطفح بالتعاطف مع هذه المرأة العجوز، وتمنى لو يجد

في القانون المحكم ولو ثغرة يستطيع من خلالها ان يساعد هذه المرأة في استخراج جوازها وينقذها من الذل الذي يسومه لها ولي امرها وما هو إلا ابنها الوحيد من بين ثمانية بنات .

أي قانون هذا الذي يعين الولد على عقوق امه...!!! أي قانون يمنح الأبن حق التسلط والولاية الكاملة على من كانت سبباً في وجوده ومن أفنت عمرها في تربيته...!!! أي قانون يتعامل مع المرأة على انها قاصر ومشروع فتنه وتخريب حتى بعد ان بلغت من العمر عتياً...!!! أي قانون هذا الذي يُسنّ على اسأ ان المرأة قاصرة عقل وهي من يناط لها أصعب مهمة حياتية وهي تربية الأجيال.

[الشهاب. 2010. ص. ص. 145 - 146]

## 2 - استغلال مواردها

يتجلى اغتصاب حق الزوجة في استيلاء الزوج على راتبها الذي تستحقه من عملها خارج المنزل ليصرفه هو على احتياجاته دون رضاها والاعتداء على حقها المهني والمالي لأنه حصلت عليه عبر جهدها اليومي وهو حقها المشروع لكنه سلب منها قهراً وظلماً في مصادرة رزقها دون الاكتفاء بسلب حقها في بناء أسرتها. هذا الاغتصاب لا يُعد اغتصاب ثقافي بل شخصي وفردى لا يشترك فيه جميع الرجال بل فقط التقليديين الممارسين للسلطة الذكورية بكل دقائقها.

راتب الزوجة من حقها شرعاً ولا يجوز تهديدها للحصول عليه. بالرغم من إن المرأة تقلدت العديد من المناصب واصبحت تنافس الرجل في الكثير من الاعمال إلا انها ما زالت تتعرض الى الظلم من قبل زوجها، وذلك باستيلائه على راتبها وأخذه بالقوة واحياناً يصل الامر الى التهديد وللأسف بعض الأزواج اعطوا انفسهم الحق بالتصرف براتب زوجاتهم ولا يعلمون حكم ما يرتكبونه في حقهن من الناحية الدينية، اوضح الداعية الشيخ محمد الماجد الذي تحدث بالتفصيل عن هذا الموضوع وبين حكم اخذ راتب الزوجة بالقوة وحكم تصرفها براتبها دون الرجوع للزوج ومطالبتها بمصروف خاص لها وكذلك اخذها من مال الزوج دون علمه وقدم وصايا للزوج بعدم أخذ مالها .

## حكم اخذ راتب الزوجة بالقوة والتهديد

يقول الداعية الشيخ محمد الماجد: "لا يجوز اخذ راتب الزوجة بالقوة والتهديد مهما كانت الاسباب وذلك استناداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه." والزوجة التي تريد اعطاء زوجها او مساعدته بجزء من مالها فلها الحرية الشخصية بذلك ولكن بشرط ألا يكون غصباً او كرهاً".



وأضاف "إن راتب المرأة من حقها لأنها هي من تتعب لأجل الحصول عليه وأحياناً تضحي بوقتها وتحاول ان توفق بين عملها والمنزل من اجل المحافظة على البيت والعمل وهذا يكلفها الكثير من الوقت والجهد." وكذلك نصّح ان لا يكون المال دائماً نقطة خلاف بين الزوج والزوجة كما يحدث مع الكثيرين وبسبب الحساسية الزائدة والخلافات المستمرة التي تعكر صفو الحياة بينهما. وقال: "هناك رجال – هداهم الله – يفضلون الزواج من موظفة وذلك لاستغلالها واخذ راتبها وهذا لا يجوز بالطبع".

### حكم تصرف الزوجة براتبها دون الرجوع لزوجها

أوضح الداعية محمد الماجد انه يحق للزوجة ان تتصرف براتبها كاملاً دون نقصان كإنفاقه على اسرتها بالكامل. او اعطائهم جزءاً منه كمساعدة او هبة منها لهم دون العودة او الاستئذان من زوجها لأنه حق من حقوقها حتى وان ارادت ان تقوم بعمل مشروع تجاري، او تغيير ديكورات خاصة بالمنزل يجوز ان تقوم بذلك دون الرجوع اليه ولكن من باب الذوق والعشرة بينهما يفضل ان تسأله وتستشيريه حتى يكون هناك تقارب فيما بينهما. أما إذا استدان زوجها منها مالاً وطلب منها ان تقوم بصرف المال في امور تخص المنزل بحيث انه سيعيده لها بعد فترة من الزمن فيصبح ذلك المال ديناً برقبته ويجب ان يسدده وحتى ولو توفى وجب على ابنائه تسديده. ويجوز للمرأة من باب التسامح بين الزوجين والعشرة والمحبة مسامحته بالمال الذي استدانه منها فقد تسامح الزوجة بحقها في سبيل زوجها. كما ان النبي صلى الله عليه وسلم عندما حث النساء على التصدق ألقين بالخواتم والحلي في حجر بلال ولم يسألهن النبي هل استأذنن أزواجهن في ذلك ام لا؟ وهذا دليل على ان الزوجة حرة بمالها وكانت زينب ام المؤمنين تدبغ وتحرز وتتصدق بما تكسبه كله على المساكين وأخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها اطول زوجاته يداً بسبب كثرة تصدقها ولا يمنع ذلك من تطلع الزوجة زوجها إذا رغبت على حالتها وتصرفاتها المالية حتى لا يدخل الشك قلبه ومن باب العشرة التي بينهما. فكثيراً ما تدخل الشكوك والريب قلوب الأزواج من هذه الناحية كذلك الزوجة الحق بأن تتصرف في مالها الخاص بالأمور المشروعة دون إذن الزوج ما لم يكن بينهما اتفاق. اما إذا كان هناك اتفاق مشروط او معروف على ان مال الزوجة يكون كله او قدر معين منه في مصاريف الأسرة فلا بد تنفيذ الاتفاق التي التزمت به والمؤمنون عند شروطهم.

## مطالبتها بمصروف

كما بين الداعية (محمد الماجد) ان من حق الزوجة - حتى لو كانت امرأة عاملة وتستلم راتباً جيداً كل شهر - ان تطلب مصروفاً شخصياً لها من زوجها لأن هذا حق من حقوقها وعلى الزوج اعطاؤها اياها وهي نفقة خاصة من الزوج وهو حق كفه الشرع لها. ولا يجوز للزوج ان يتهرب او يتذمر من او يتكاسل ويماطل في دفع ما تطلبه منه الزوجة لأنه حق وواجب شرعاً وقضائاً وهو مطالب به.

وأوصى الداعية الماجد الأزواج بالابتعاد عن أخذ اموال زوجاتهم بالقوة ويقول: "أوصي الأزواج ان يتقوا الله سبحانه وتعالى في زوجاتهم وتعاملهم معهن فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أني أخرج حق الضعيفين، المرأة واليتيم" وهنا من خلال الحديث الشريف يتضح لنا ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرّن الزوجة باليتيم لأنها إذا تعرضت الى ظلم من قبل الزوج مثلاً - فهي قد لا تجد من تشتكي اليه إلا الله سبحانه وتعالى وقد يتخلى عنها اقرب المقربين من أب او أخ او ابن وغيره فتلجأ الى الله - عزّ وجل - حتى يكون لها ولياً ونصيراً". وطالب الماجد الأزواج بأن لا يظلموا نساءهم بأخذ حقوقهنّ بالقوة وقال: "ينبغي على المسلم ان يتقي الله في جميع اموره ويكفي ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى بالنساء وهو في حجة الوداع ويجب على المسلم تنفيذ ما اوصى به رسول الله".

وشهد (الماجد) على ان المرأة كائن ضعيف يحتاج الى العطف والمساندة فهي إذا ظلمت وارادت ان تأخذ حقها وتخاصمت مع زوجها فقد تقف في البداية في وجهه لكنها لا تستطيع ان تكمل فهي عاطفية وبمجرد قول كلمة فأنها تبدأ بالبكاء ويقول: "انصح الازواج بأن يتقوا الله فيهنّ لأنهنّ امانة في اعناقهم كما ان هناك ازواجاً - مع الاسف - يحاولوا ان يستغلوا المرأة لأنها ضعيفة فيستولون على اموالها وراتبها ويهددونها بالطلاق او اخذ الابناء إذا لم تمنحهم الراتب أو جزء كبير منه وهذا الأمر لا يجوز لأنه يعد تسلطاً على الزوجات وإيذاء وقهر لهنّ ويجب على الازواج الاقتداء بكلام الرسول عليه الصلاة والسلام حيث اوصى خيراً بهنّ وامر بذلك ، وراتب المرأة لها لأنه بالأصل هو عناؤها وكدها وشقاؤها وهو حق من حقوقها وليس من حق الزوج ان يطالبها به . او ان ينزعه منها بالقوة كما يفعل البعض كذلك لا يحل له من مالها إلا ما طابت نفسها اما إذا لم تطب نفسها بشيء فيجب ان يتجنب اخذ مالها". كما اوصى الزوج بأن راتب الزوجة من حقها شرعاً، ولا يجوز للزوج الحصول عليه دون وجه حق سواء كان ذلك بالضغط عليها او مساومتها على حقها الشرعي في العلاقة الزوجية كما يفعل بعض الازواج مع الاسف، وشدد على عدم جواز هجران الزوجة في الفراش من باب

الضغط عليها حتى تعطيه راتبها. كذلك بعد المال الذي يأخذه الزوج من زوجته دون رضاها او علمها حراماً حيث قال الله تعالى " ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقاً من اموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ". [مجلة سيدتي، العدد 1704، سنة 2013، 2 نوفمبر]

### 3 - زنا المحارم Incest

أنه أبغض أنواع الاغتصاب التي تصيب البنت من أحد أفراد أسرتها من الذكور يقوم باغتصابها جنسياً معتدياً على عذريتها سواء كان هذا الاغتصاب في الأسرة الفقيرة أو الغنية أو الحضرية أو الصناعية بسبب تنفيذ الرجل عليها وتسلطه على حياتها الشخصية وكأنها أحد أجزاء ممتلكاتها المادية لذلك أطلق عليه "سفاح القربى" لأنه يغتصب بنت قاصر - في أغلب الأحيان - يعتدي على أنوثتها وكرامتها وبرائها ومستقبلها. نعكف الان الى الخوض في تفاصيله

أنها مشكلة تنطوي على علاقة جنسية كاملة بين شخصين (ذكر وانثى) تربطهما قرابة تمنع وتحرم العلاقة الجنسية بينهما. تزداد شيوعاً بين الأب وأبنته والأخ واخته. هي مشكلة اجتماعية تفرزها القرابة الدموية بين الذكور والاناث، بحيث كلما اقتربت القرابة الدموية بينهما وقعت الواقعة وكلما تباعدت تقلصت عندهما.

أنها ليست حديثة العهد بل حدثت سابقاً إنما بشكل غير منتشر لكن في العقود الزمنية الأربعة الماضية زادت وتفاقت بسبب بطالة الشباب عن العمل وتدني المستوى المعاشي وازدحام المسكن بأفراد الأسرة مع ارتفاع عدد الأرامل والمطلقات. هذه الأسباب تمثل متغيرات ذات مدى قريب تصيب كل المجتمعات بالذات الفقيرة والمزدحمة بسكانها مثل مصر والمغرب. وقد اعتبرناها مشكلة اجتماعية لأنها تحدث داخل الأسرة مختزقة تعاليم دينها (الإسلامي) وضوابطها العرفية وتدنس علاقاتها الدموية وتترك آثار نفسية على الضحية في أغلب الأحيان تظهر على شكل عقد نفسية عسيرة العلاج فضلاً عن تشويه العملية التنشئية التي تقوم بها الأسرة فلا تبقى خلية اجتماعية صحية يعتمد عليها في تنشئة جيل سوي وخالي من الاضطرابات النفسية والعلاقات الأسرية المحصنة.

وقد درجناها تحت باب المشكلات الاجتماعية المعاصرة لأن من خصائصها الاستحداث هو تفاقم وانتشار المشكلة بين الشرائح الاجتماعية أكثر مما كانت من قبل إذ أن بعض المشاكل لا تبرز بدون سوابق لها أي هناك حالات معدودة جداً بسبب صرامة الضوابط العرفية لكن مع تزايد سرعة تغير المجتمع المصاحب بمشاكل حادة مثل بطالة الشباب وتوسع دائرة الفقر وتأثير العوامل المادية على

المعنوية وضعف الوازع الديني، كل ذلك يؤدي الى توهين الروادع الدينية والأخلاقية مما تدفع بالخاضعين لها بممارسة سلوكيات شاذة لاسيما وأنها تمارس في بيئة أسرية جاهزة لها مثل ازدحام سكان المنزل بأفراده وبطالة رجالها وطلاق أحد نساؤها أو ترملها مع استخدام المخدرات داخل المنزل في جو مكتوم وخفي مثل هذا الجو يشجع على ممارسة زنا المحارم تقع بين رجل يمتلك النفوذ والتسلط مع انثى لا تملك النفوذ والسلطة بين المتسلط والخائعة بين القوي الضعيفة.

الملاحظ على هذه المشكلة إن الرجال هم الذين يقومون بالاعتداء الجنسي على البنت أو المرأة ولا يصل الى اعتداء النساء على الرجال وذلك راجع الى تنشئة الرجل تكون مختلفة عن تنشئة الانثى بمعنى إن الرجل يريد اثبات ذكوريته وانه هو المبادر في العملية الجنسية وهو الذي يجذب الجنس الآخر من خلال ذكوريته على عكس المرأة التي تنشأ على الخنوع للذكر والاعجاب بقوته واستقلاله المالي بذات الوقت انجذاب الرجل نحو المرأة المطاوعة والخنوعة له.

ولا ننسى إن المصدر الرئيسي لزنى المحارم يكمن في شعور الأب أو الأخ أو العم أو الخال بنفوذه داخل الأسرة فيتصرف مع أناث أسرته وكأنهن جزء من ملكيته المادية فضلاً عن ضعف وازعه الديني والأخلاقي ومسئوليته كأب أو كأخ أو القريب نحوها.

ولا جرم من الإشارة الى إن هذا الاتصال الجنسي يمارس في غاية الكتمان والسرية، لا يتم الإفصاح عنه لأي شخص ولا حتى للسلطات الأمنية أو القضائية أو الدينية خوفاً من الفضيحة والتشهير بها لأنها من المحرمات التي توصم صاحبها أو الممارسين لها بوصفات مشينه ومعيبه تنتشر بسرعة بين الناس تسيء لسمعة العائلة بكاملها وتسري حتى بعد ممانت ممارسيها على اسرتها.

أخيراً نقول عن هذا الزنى بان له مسمى آخر يدعى (سفاح القربى) الذي يعني علاقة جنسية بين البالغين مع الأطفال ضمن الأسرة الواحدة لا يقرها الشرع ومخالفة للطبيعة البشرية وتمثل شذوذ جنسي وانحراف سلوكي وتحلل أخلاقي وتوهن ديني وخرق قانوني.

أما أسباب زنى المحارم فيمكن حصرها في الأسباب التالية: -

- 1 - بطالة الشباب من الرجال وتدني مستوى تعليمهم.
- 2 - الفقر المالي.
- 3 - غياب الوازع الديني والروادع القيمية الأخلاقية.
- 4 - تأخر سن الزواج بالنسبة للبنت.
- 5 - ازدحام المنزل بعدد كبير من أفراد الأسرة الواحدة.

6 – النساء من المطلقات والأرامل.

7 – الشعور بالتعاسة والكآبة.

8 – غياب الثقافة الجنسية في المدارس والجامعات.

9 – عدم وجود نص قانوني في القوانين العربية وبالذات في مصر ينص على معاقبة الزاني.

بعد هذا المدخل الاستهلاكي نقدم بعض الدراسات التي أقيمت عن هذه المشكلة لنؤكد معاصرتها وهي: -

**زنا المحارم (بالإنجليزية incest):** هو أي نشاط جنسي بين شخصين من نفس العائلة أو شخصان تربطهما صلة عائلية قريبة. فأي نشاط جنسي بين شخصين تربطهما قرابة تمنع العلاقة الجنسية بينهما طبقاً لمعايير ثقافية أو دينية، وعلى هذا تعتبر العلاقة بين زوج الأم وابنة زوجته علاقة محرمة على الرغم من عدم وجود رابطة دم بينهما، كما قد تُعتبر العلاقة الجنسية بين شخصين من نفس القبيلة زنا محارم إذا ما اعتبرت الأعراف التقليدية الخاصة بتلك القبيلة كذلك.

كانت هذه الممارسة شائعة لدرجة كبيرة بين الأسر الملكية القديمة، كالفراعنة في مصر القديمة، للحفاظ على نقاء الدم في السلالة الحاكمة. وهناك أنماطاً لزنى المحارم وأكثر الأنماط شيوعاً هو علاقة الأب بابنته حيث تشكل 75% من الحالات التي تم الإبلاغ عنها ومن الأنماط الأخرى هي:

#### **النمط المرتبط بالظروف**

وهو يحدث بين أخ وأخت ينامان في سرير واحد أو في غرفة واحدة فيقتربان جسدياً أكثر من اللازم، وخاصة في مرحلة ما قبل البلوغ والبلوغ.

#### **النمط المصحوب باضطراب مرضي شديد**

كأن يكون أحد الطرفين سيكوباتياً أو يتعاطى الكحوليات أو مصاباً بالفصام أو أي اضطرابات ذهانية أخرى.

#### **النمط الناتج عن تعشق الأطفال**

أو الغلمان. (Pedophilia)

النمط الناتج عن نموذج أبوي مضطرب

حيث يشاهد الولد أباه يفعل ذلك أو يعرف أنه يفعله فيتقمصه أو يقلده.

#### **النمط الناتج عن اضطراب العلاقة الزوجية**

حيث ترفض الزوجة العلاقة الجنسية فيبحث عنها الزوج في غير محلها (لدى أحد المحارم).

## النمط الناتج عن الاضطراب المرضي الشديد في العلاقات الأسرية

بحيث تصبح هذه العلاقات ممزقة بما لا يعطى الإحساس بأي حرمة في أي علاقة. وقد وجد أن ثلث من وقع عليهم اعتداءات جنسية كانوا تحت سن التاسعة من عمرهم، وأن أكثر الحالات قد تم رصدها كانت في الأماكن الأكثر ازدحاما والأكثر فقرا والأدنى في المستويات الاجتماعية، وهذه الزيادة ربما تكون حقيقية بسبب التلاصق الجسدي في هذه البيئات المزدحمة أو تكون بسبب وجود هذه الفئات تحت مجهر الهيئات الاجتماعية والبحثية أكثر من البيئات الأغنى أو الطبقات الاجتماعية الأعلى والتي يمكن أن يحدث فيها زنا محارم في صمت وبعيدا عن رصد الجهات القانونية والبحثية.

المهم أن هناك عوامل اجتماعية وعوامل نفسية وعوامل بيولوجية تلعب دورا في كسر حاجز التحريم الجنسي فينفلت هذا النشاط ويتجه اتجاهات غير مقبولة دينيا أو ثقافيا. فزنا المحارم يرتبط بشكل واضح بإدمان الكحول والمخدرات، والتكديس السكاني، والأسر المعزولة عن المجتمع (أو ذات العلاقات الداخلية بشكل واضح)، والأشخاص المضطربين نفسيا أو المتخلفين عقليا.

والمبادرة غالبا ما تأتي من ذكور أكبر سنا تجاه أطفال (ذكور أو إناث) ومن هنا يحدث تداخل بين زنا المحارم وبين الاغتصاب (المواقعه الجنسية ضد رغبة الضحية)، وإن كان هذا لا يمنع من وجود إغواء من الإناث أو الأطفال أحيانا.

ويمكن رصد ثلاث أنماط أساسية في حالات زنا المحارم بناء على المشاعر الناتجة عن هذا السلوك كما يلي:

### النمط الغاضب

حيث تكون هناك مشاعر غضب من الضحية تجاه الجاني، وهذا يحدث حين تكون الضحية قد أجبرت تماما على هذا الفعل دون أن يكون لديها أي قدرة على الاختيار أو المقاومة أو الرفض، ومن هنا تحمل الضحية مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام من الجاني. وربما يعمم الغضب تجاه كل أفراد جنس الجاني، ولذلك تفشل في علاقتها بزوجها وتنفر من العلاقة الجنسية ومن كل ما يحيط بها، وتصاب بحالة من البرود الجنسي ربما تحاول تجاوزها أو الخروج منها بالانغماس في علاقات جنسية متعددة، أو أنها تتعلم أن السيطرة على الرجال تتم من خلال هذا الأمر فتصبح العلاقة الجنسية برجل نوع من سلبه قوته وقدرته، بل والسيطرة عليه وسلب أمواله. وقد تبين من الدراسات أن 37% من البغايا كنّ فريسة لزنا المحارم، وهذا يوضح العلاقة بين هذا وذاك.

## النمط الحزين

وفي هذه الحالة نجد أن الضحية تشعر بأنها مسؤولة عما حدث، إما بتهيئتها له أو عدم رفضها، أو عدم إبداء المقاومة المطلوبة، أو أنها حاولت الاستفادة من هذا الوضع بالحصول على الهدايا والأموال أو بأن تتبوأ مكانة خاصة في الأسرة باستحواذها على الأب أو الأخ الأكبر، وهنا تشعر بالذنب ويتوجه عدوانها نحو ذاتها، وربما تقوم بمحاولات لإيذاء الذات كأن تحدث جروحا أو خدوشا في أماكن مختلفة من جسدها، أو تحاول الانتحار من وقت لآخر أو تتمنى الموت على الأقل، وتكون لديها كراهية شديدة لنفسها.

## النمط المختلط

وفيه تختلط مشاعر الحزن بالغضب.

## الانتشار

وقد تبين هذا بشكل أكثر دقة في البحث الذي أجراه معهد Unicri، ومقره في روما عن ضحايا الجريمة وشمل 36 دولة منها دول عربية والذي نشر ملخص له في التقرير الدولي الذي أصدره المعهد عام 1991، حيث تم إجراء مقابلات مع إناث تمثل كل منهن أسرة، تبين من الإجابات أن 10% من العينة الكلية تعرضن لزنا المحارم. وإن كان هذا يستحق بحثا علميا مدققا. وربما يقول قائل بأن النسبة ربما تزيد عن ذلك حيث أن كثير من الحالات تتردد في الإفصاح عما حدث، وهذا صحيح، ولذلك يستلزم الأمر الحذر حين نتحدث عن نسب وأرقام تخص مسألة مثل زنا المحارم في مجتمعاتنا على وجه الخصوص، ومع هذا تبقى النسب التقديرية مفيدة لتقريب حجم الظاهرة من أذهاننا بشكل نسبي يجعلنا نتعامل معها بما تستحقه من اهتمام.

## العوامل المساعدة

### عوامل أخلاقية

ضعف النظام الأخلاقي داخل الأسرة، أو بلغة علم النفس ضعف الأنا الأعلى (الضمير) لدى بعض أفراد الأسرة أو كلهم. إضافة إلى اعتيادهم التفاعل الجسدي في معاملاتهم اليومية بشكل زائد عن المعتاد، مع غياب الحدود والحواجز بين الجنسين، وغياب الخصوصية واقتحام الغرف المغلقة بلا استئذان. وفي هذه الأسر نجد أن هناك ضعفا في السلطة الوالدية لدى الأب أو الأم أو كليهما، وهذا يؤدي إلى انهيار سلطة الضبط والربط وانهيار القانون الأسري بشكل عام.

## عوامل اقتصادية

مثل الفقر وتكدس الأسرة في غرفة واحدة أو في مساحة ضيقة مما يجعل العلاقات الجنسية بين الوالدين تتم على مسمع وأحيانا على مرأى من الأبناء والبنات، إضافة إلى ما يشيعه الفقر من حرمان من الكثير من الاحتياجات الأساسية والتي ربما يتم تعويضها جنسيا داخل إطار الأسرة. ويصاحب الفقر حالة من البطالة وتأخر سن الزواج، والشعور بالتعاسة والشقاء مما يجعل التمسك بالقوانين الأخلاقية في أضعف الحالات. وإذا عرفنا - من خلال تقرير الجهاز المركزي للتعبة العامة والإحصاء - أن 30% من الأسر في مصر تقيم في غرفة واحدة بمتوسط عدد أفراد سبعة، فإن لنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث بين هؤلاء الأفراد والذين يوجد فيهم الذكور كما توجد الإناث.

## عوامل نفسية

كأن يكون أحد أفراد الأسرة يعاني من مرض نفسي مثل الفصام أو الهوس أو اضطراب الشخصية، أو التخلف العقلي، أو إصابة عضوية بالمخ. **الإعلام:** وما يبثه ليل نهار من مواد تشعل الإثارة الجنسية في مجتمع يعاني من الحرمان على مستويات متعددة.

**الإدمان:** يعد تعاطي الكحوليات والمخدرات من أقوى العوامل المؤدية إلى زنا المحارم حيث تؤدي هذه المواد إلى حالة من اضطراب الوعي واضطراب الميزان القيمي والأخلاقي لدرجة يسهل معها انتهاك كل الحرمات. الإنترنت (بشكل خاص): ووجود المواقع الاباحية تحت استخدام القصر والبالغين بدون حدود واضحة مما يسبب تولد صورة ذهنية عن جنس الفتاة يختلف عن التصرف الطبيعي.

## الآثار النفسية والاجتماعية

حاول باحثان هما آدم ونيل (1967) أن يدرسا هذا الأمر من الناحية البيولوجية البحتة فقاما بمتابعة حالة 18 طفلا كانوا ثمره زواج محارم فوجدا أن خمسة منهم قد ماتوا، وخمسة آخرين يعانون من تخلف عقلي وواحد مصاب بانشقاق في الشفة وسقف الحلق، وهي نسبة مفرعة خاصة إذا عرفنا أن العيوب الخلقية في عامة الأسوياء حوالي 2% وأغلبها تكون عيوب غير ملحوظة.

لذلك خلص هذان الباحثان إلى أن زنا المحارم لو انتشر فإنه يمكن أن يؤدي إلى انتهاء الوجود البشري من أساسه، وربما يكون هذا جزء من الحكمة من التحريم الديني والتجريم القانوني والوصم الاجتماعي.



تداخل الأدوار واضطرابها كما ذكرنا آنفا مع ما ينتج عن ذلك من مشاعر سلبية مدمرة لكل العلاقات الأسرية كالغيرة والصراع والكراهية والاحتقار والغضب. ولنا أن نتخيل فتاة صغيرة تتوقع الحب البريء والمداعبة الرقيقة الصافية من الأب أو الأخ الأكبر أو العم أو الخال أو غيرهم، فحين تحدث الممارسات الجنسية فإنها تواجه أمرا غير مألوف يصيبها بالخوف والشك والحيرة والارتباك، ويهز في نفسها الثوابت، ويجعلها تنظر إلى نفسها وإلى غيرها نظرة شك وكراهية، ويساورها نحو الجاني مشاعر متناقضة تجعلها تتمزق من داخلها، فهي من ناحية تحبه كأب أو أخ أو خال أو عم، وهذا حب فطري نشأت عليه، ومن ناحية أخرى تكتشف إن أجلا أو عاجلا أنه يفعل شيئا غريبا أو مخجلا أو مشينا خاصة إذا طلب منها عدم الإفصاح عما حدث أو هدها بالضرب أو القتل إن هي تكلمت. وهذه المشاعر كثيرا ما تتطور إلى حالة من الكآبة والعزلة والعدوان تجاه الذات وتجاه الآخر (الجاني وغيره من الرجال)، وربما تحاول الضحية أن تخفف من إحساسها بالخجل والعار باستخدام المخدرات أو الانغماس في ممارسات جنسية مشاعيه مبالغه في الانتقام من نفسها ومن الجاني (وذلك بتلويث سمعته خاصة إذا كان أبا أو أبا أكبر).

**اهتزاز الثوابت:** بمعنى اهتزاز معاني الأبوة والأمومة والبنوة والأخوة والعمومة والخولة، تلك المعاني التي تشكل الوعي الإنساني السليم وتشكل الوجدان الصحيح صعوبة إقامة علاقات عاطفية أو جنسية سوية حيث تظل ذكرى العلاقة غير السوية وامتداداتها مؤثرة على إدراك المثيرات العاطفية والجنسية، بمعنى أنه يكون لدى الضحية (بالذات) مشاعر سلبية (في الأغلب) أو متناقضة (في بعض الأحيان) تجاه الموضوعات العاطفية والجنسية، وهذا يجعل أمر إقامة علاقة بأخر خارج دائرة التحريم أمرا محطاً بالشكوك والصعوبات. أو يظل طرفا العلاقة المحرمة أسرى لتلك العلاقة فلا يفكرا أصلا في علاقات صحية بديلة.

**اضطراب التكيف:** حيث تضطرب صورة العلاقة بين الشخصين وتتشوه فتبتعد عن تلك العلاقة بين الأخ وأخته أو بين الأب وابنته وتستبدل بعلاقات يشوبها التناقض والتقلب وتترك في النفس جروحا عميقة. إضافة إلى ذلك فإن كلا الطرفين المتورطين يجدان صعوبة في إقامة علاقات زوجية طبيعية مع غيرهما نظرا لتشوه نماذج العلاقات. ولا يقتصر اضطراب التكيف على العلاقات العاطفية أو الجنسية فقط وإنما يحدث اضطراب يشمل الكثير من جوانب الحياة للطرفين.

الشعور بالذنب وبالعار والخجل مما يمكن أن يؤدي إلى حالات من الاكتئاب الشديد الذي ربما يكون من مضاعفاته محاولة الانتحار.

فقد البكارة أو حدوث حمل مما ينتج عنه مشكلات أخلاقية أو اجتماعية أو قانونية خطيرة. كثيرا ما يتورط أحد الطرفين أو كليهما بعد ذلك في ممارسة الجنس بشكل مشاعي فتتجه الفتاة التي انتهكت حرمتها مثلا إلى ممارسة البغاء.

## الوقاية

إذا كانت الوقاية مهمة في كل المشكلات والأمراض فإنها هنا تحظى بأهمية استثنائية، حيث أن وقوع زنا المحارم سوف يترك آثارا ربما يصعب تماما معالجتها، لذلك يصبح من الضروري بمكان وضع الوسائل الوقائية التالية في الاعتبار:

**1 - الاهتمام بالمجموعات الهشة:** مثل الأماكن المزدهمة والفقيرة والمحرومة، خاصة في حالة وجود تكديس سكاني، أو أشخاص مضطربين نفسيا أو مدمني خمر أو مخدرات. والاهتمام هنا يعنى اكتشاف عوامل الخطورة والعمل على معالجتها بشكل فعّال.

**2 - إشباع الاحتياجات:** خاصة الاحتياجات الأساسية من مسكن ومأكل وملبس واحتياجات جنسية مشروعة، حيث أن المحرومين من إشباع احتياجاتهم (خاصة الجنسية) يشكلون مصادر خطر في الأسرة والمجتمع، وهذا يجعلنا نأخذ خطوات جادة لتشجيع الزواج على كل المستويات بحيث نقلل - قدر الإمكان - عدد الرجال والنساء الذين يعيشون تحت ضغط الحرمان لسنوات طويلة كما هو الحال الآن. وطبقا للبيان الصادر عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء فإن حوالي تسعة ملايين مواطن تجاوزوا الخامسة والثلاثين دون أن يتزوجوا منهم حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون أنثى والباقي ذكور، فلنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث نتيجة لهذا الوضع غير الطبيعي حيث أنهم قضوا نيفا وعشرين عاما منذ أن دخلوا مرحلة البلوغ التي يبدأ فيها إحساس الإنسان بحاجة جديدة هي الجنس دون أن تتاح لهم الفرصة للحصول على الإشباع المشروع أى عن طريق الزواج. والمشكلة تتضاعف إذا عرفنا أن في مصر خمسة ملايين شخص يعانون من البطالة، وهؤلاء العاطلون المحرومون من الزواج يتعرضون ليل نهار لمثيرات جنسية عنيفة في البيت والشارع ووسائل الإعلام، وهم في نفس الوقت يفتقدون الحاجز الأخلاقي الذي يمنعهم من تجاوز الحدود الدينية والأخلاقية.

**3 - مراعاة الآداب العامة داخل الأسرة:** مثل الاستئذان قبل الدخول، ومراعاة الخصوصيات في الغرف المغلقة، والتفرقة بين الأولاد البنات في النوم، وعدم ظهور الأم أو البنات بملابس كاشفة أو خليعة تظهر مفاتن الجسد أمام المحارم،

والتزام قدر معقول من التعامل المحترم بعيدا عن الابتذال والتساهل. كما يجب تجنب المداعبات الجسدية بين الذكور والإناث في الأسرة.

**4 - تقليل عوامل الإثارة:** من تبرج في البيوت أو الشوارع، ومن مواد إعلامية على الفضائيات أو قنوات أو مواقع إباحية تثير الغرائز وتخفض حاجز الحياء وتغتال حدود التحريم.

### العلاج

**أ - الإفصاح:** إن أول وأهم خطوة في علاج زنا المحارم هي تشجيع الضحية على الإفصاح وذلك من خلال علاقة علاجية مطمئنة ومدعمة من طبيب نفسي أو أخصائي نفسي أو اجتماعي. وقد وجد أن الإفصاح عن تلك العلاقة يؤدي في أغلب الحالات إلى توقفها تماما لأن الشخص المعتدى يرتدع خوفا من الفضيحة أو العقاب، إضافة إلى ما يتيح الإفصاح من إجراءات حماية للضحية على مستويات أسرية ومهنية وقانونية. وعلى الرغم من أهمية الإفصاح إلا أن هناك صعوبات تحول دون حدوثه أو تؤخره ومنها الخوف من العقاب أو الفضيحة، أو الإنكار على مستوى أفراد الأسرة، ولذلك يجب على المعالج أن يفتح الطريق وأن يساعد على هذه الخطوة دون أن يوحي للضحية بأشياء من تخيلاته أو توقعاته الشخصية، وربما يستدعي الأمر (بل غالبا ما يستدعي) تقديم أسئلة مباشرة ومرتجة تكشف مدى العلاقة بين الضحية والمعتدى في حالة وجود شبهات أو قرائن على ذلك. وتتفاقم المشاكل النفسية التي تصيب الضحية بسبب عدم قدرتها على البوح بهذا الأمر، فتكتم كل الأفكار والمشاعر بداخلها وتنكمش على نفسها، ومن هنا يكون العلاج بإعطاء الفرصة لها للحديث عن كل ما بداخلها مع تدعيمها ومساندتها وطمأنتها أثناء استعادة تلك الخبرات الصادمة ثم محاولة إعادة البناء النفسي من جديد بعد تجاوز هذه الأزمة.

**ب - الحماية للضحية:** بمجرد إفصاح الضحية بموضوع زنا المحارم أو انتهاك العرض يصبح على المعالج تهيئة جو آمن لها لحمايتها من تكرار الاعتداءات الجنسية أو الجسدية أو النفسية، ويمكن أن يتم هذا بالتعاون مع بعض أفراد الأسرة الأسوياء، وإن لم يكن هذا متاحا فيكون من خلال الجهات الحكومية المتاحة. وقد يستدعي الأمر عزل الضحية في مكان آمن (دار رعاية أو مؤسسة صحية أو اجتماعية) لحين بحث أحوال الأسرة ومعالجة ما بها من خلل ومراجعة قدرة الوالدين على حماية أبنائهما، وفي حالة استحالة تحقيق هذه الأهداف يحتاج الضحية لتهيئة مكان إقامة آمن لدى أحد الأقارب أو لدى أي مؤسسة حكومية أو خيرية. وفي حالات أخرى يعزل الجاني بعيدا عن الأسرة خاصة عند الخوف من تكرار

اعتدائه على أفراد آخرين داخل الأسرة، أو إذا كان مصابا بمرض يستدعي العلاج. وبعد الاطمئنان على سلامة وأمن الضحية علينا بذل الجهد في محاولة معرفة ما إذا كان بعض أفراد الأسرة الآخرين قد تعرضوا لأي تحرشات أو ممارسات جنسية.

**ت - العلاج النفسي الفردي:** ويقدم للضحية لمداواة المشاكل والجراح التي لحقت بها من جراء الاعتداءات الجنسية التي حدثت. ويبدأ العلاج بالتنفيس ثم الاستبصار ثم القرار بالتغيير ثم التنفيذ، وكل هذا يحدث في وجود دعم من المعالج وفي وجود علاقة صحية تعيد فيها الضحية رؤيتها لنفسها ثم للآخرين (خاصة الكبار) من منظور أكثر صحة تعدل من خلاله رؤيتها المشوهة التي تشكلت إبان علاقتها بالمعتدى. والمعالج يحتاج لأن يساعد الضحية في التعبير عن مشاعرها السلبية مثل الغضب وكراهية الذات والاكئاب والشعور بالذنب وغيرها من المشاعر المتراكمة كخطوة للتخلص منها أو إعادة النظر فيها برؤية أكثر إيجابية. وكثير من الضحايا يصبحون غير قادرين على إقامة علاقات عاطفية أو جنسية سوية فيما بعد نظرا لإحاطة تلك الموضوعات بذكريات أليمة أو مشاعر متناقضة أو محرمة فيصلون في النهاية إلى حالة من كراهية العلاقات الجنسية مما يؤدي إلى فشلهم المتكرر في الزواج، وهذا كله يحتاج للمناقشة والتعامل معه أثناء الجلسات العلاجية. وربما يحتاج المعتدى أيضا إلى مثل هذا العلاج خاصة إذا كان لديه اضطراب نفسي أو اضطراب في الشخصية أو احتياجات غير مشبعة أو كان ضحية للإغواء من جانب الضحية.

**ث - الوالدين:** يتم تقييم حالة الوالدين نفسيا واجتماعيا بواسطة فريق متخصص وذلك للوقوف على مدى قدرتهم على القيام بمهامهم الوالدية، وفي حالة وجود خلل في هذا الأمر يتم إخضاعهم لبرنامج تأهيلي حتى يكونوا قادرين على القيام بواجباتهم نحو أطفالهم، وفي حالة تعذر الوصول إلى هذا الهدف يقوم طرف ثالث بدور الرعاية للأطفال حتى لا يكونوا ضحايا لاضطرابات والديهم.

**ج - العلاج الأسري:** بما أن زنا المحارم يؤدي إلى اضطراب الأدوار والعلاقات داخل الأسرة لذلك يستوجب الأمر إعادة جو الأمان والطمأنينة وإعادة ترسيم الحدود وترتيب الأدوار والعلاقات مع مداواة الجراح التي نشأت جراء تلك العلاقة المحرمة، وهذا يستدعي جلسات علاج عائلي متكررة يساعد فيها المعالج أفراد الأسرة على التعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وصراعاتهم وصعوباتهم، ثم يساعدهم على محاولة إعادة التكيف مرة أخرى على مستويات أفضل. وربما يحتاج المعالج لأن يقوم بدور الأنا الأعلى (الضمير) لهذه الأسرة خاصة إذا كانت القيم مهتزة أو

غامضة أو ضعيفة لدى هذه الأسرة، ويستمر هذا الدور إلى أن ينمو الجهاز القيمي داخل الأسرة من خلال توحدهم مع المعالج وقيمه، ويكون المعالج هنا رمزا للأبوة الصالحة أو الأمومة الرشيدة إلى أن يتعافى أحد أفراد الأسرة ويأخذ هذا الدور من المعالج ليحمي بقية الأسرة من السقوط.

**ح - العلاج الدوائي:** ويقدم للحالات المصابة باضطرابات نفسية كالقلق أو الاكتئاب أو الإدمان أو الفصام أو الهوس. وهذا العلاج يمكن أن يوجه نحو الضحية أو نحو المعتدى حسب حاجة كل منهما. النظر في احتياجات أفراد الأسرة وكيفية إشباعها بطرق صحيحة فوجود أفراد في الأسرة يعانون من حرمان جنسي لفترات طويلة وليست لديهم علاقات أو نشاطات كافية تستوعب طاقتهم يعتبر عامل خطورة يمكن أن يؤدي إلى مشكلات جنسية داخل الأسرة، ومن هنا يأتي التشجيع على الزواج لأفراد الأسرة غير المتزوجين، أو إصلاح العلاقة بين الزوجين المبتعدين عن بعضهما لسنوات (حيث لوحظ زيادة احتمالات تورط الزوج المحروم جنسياً من زوجته في علاقات زنا المحارم)، أو فتح آفاق لعلاقات اجتماعية ناجحة وممتدة خارج نطاق الأسرة أو توجيه الطاقة نحو نجاحات عملية أو هوايات مشبعة.

[<https://ar.wikipedia.org>]

وهناك صورة أخرى عن هذا الموضوع مفادها أب يشبع رغبات ابنته وأخر يطلب يد أخته كارثة تهدد المجتمع

انتشرت في المجتمع المصري والعالم بأكمله ظاهرة خطيرة جداً منذ عدة سنوات ليست بقليلة ألا وهي ظاهرة زنا المحارم والتي تتمثل في إقامة علاقة جنسية كاملة بين شخصين تربطهما قرابة تمنع العلاقة الجنسية بينهما طبقاً لمعايير دينية أو اجتماعية أو ثقافية وعلى هذا تعتبر العلاقة بين زوج الأم وابنة زوجته علاقة محرمة على الرغم من عدم رابطة دم بينهما ومن أهم ما وصل إلى مسامعنا هو وقوع أحد الأشخاص هائماً في حب شقيقته مما يجعله يلزم البيت ويرفض الخروج والتعامل مع الآخرين ويمارس معها الفاحشة. ولم يكتف بذلك بل ذهب إلى والده وطلب يد شقيقته منه فما كان من الأب إلا أن قام بإطلاق الرصاص على ابنه وسلم نفسه للشرطة التي حكمت عليه بالبراءة، والآخر الذي يغتصب زوجة أبيه الحسناء بعد أن وضع المخدر لأبيه في العصير، والآخر الذي يمارس الزنا مع ابنته وبعد القبض عليهم في حالة تلبس أوضح الأب بأنه ليس متهم لكنه يريد إشباع رغبة ابنته العانس بدلاً من ممارستها مع آخرين حتى لا تتلوث سمعتها، وآخر هذه المآسي تلك الواقعة التي حدثت بإحدى قرى مركز السنطة وذلك عندما قام أحد الأشخاص بممارسة الرذيلة مع زوجة ابنه وهي في نفس الوقت ابنة شقيقته

وبعد افتضاح الأمر جاءت المفاجئة المدوية عندما علمت الأم بهذه الأحداث لم تبدى أي دهشة حيث أنها اعتادت على ممارستها مع شقيقها قبل زواجها. وهناك أيضا مثال آخر حدث في مدينة المحلة الكبرى وذلك بعدما تقدم شاب لخطبة إحدى الفتيات وبعد إتمام الخطبة وأثناء زيارته لمنزل أسرته لاحظ نظرات الحرمان في عين والدة عروسه فما به إلا أن لعب على أوتار أنوثتها وغازلها مرات عديدة حتى أصبحت لا تقوى على صده وسقطت في برائته وسلمت نفسها تاركة خلفها عادات وتقاليد أهل الريف غارقة في المتعة المحرمة واستمرت في هذا المنوال حتى حملت بين أحشائها جنين "سفاح" لم يمنعها من ظهور علامات الحمل عليها من إتمام زفاف هذا الشاب الخائن على ابنتها المخدوعة وحاولت التخلص من هذا الجنين إلا إن الوقت وخوفها من الفضيحة لم يسعفاها حتى أكمل الجنين شهره التاسع، وبعد عملية الوضع استغرب الجميع مما حدث لأن زوجها متوفى فسرعان ما تم الضغط عليها لمعرفة تفاصيل ما حدث ولكن نزل الخبر كالصاعقة على الجميع خاصة الابنة المخدوعة في زوجها وامها وانهارت قواها في الحال ولا تدري ماذا تفعل وهي حامل في أربعة أشهر.

وبعد هذه الأمثلة الواقعية التي تقشعر لها الأبدان ويشيب لها الغلمان لابد من إلقاء الضوء على هذه الظاهرة التي تفتشت في مجتمعنا الشرقي الأمن وما السبب فيها ومن وراء انتشار تلك الفاحشة، فبسبب شدة خطورة هذه الظاهرة بدأت وسائل الإعلام في البحث وراء هذه الظاهرة ومعرفة عدد الذين وقعوا ضحايا لهذه الظاهرة ووجدوا أن كثير من الحالات تتردد في الإفصاح عما حدث، ولذلك يستلزم الأمر الحذر حين نتحدث عن "زنا المحارم" في مجتمعاتنا على وجه الخصوص، ومع هذا تبقى النسب التقديرية مفيدة لتقريب حجم الظاهرة من أذهاننا بشكل نسبي يجعلنا نتعامل معها بما تستحقه من اهتمام.

ومن خلال تقرير الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء وجدنا أن 30% من الأسر في مصر تقيم في غرفة واحدة بمتوسط سبعة أفراد فإن لنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث بين هؤلاء الأفراد من الذكور والإناث.

وهناك عوامل أخلاقية تتمثل في ضعف النظام الأخلاقي داخل الأسرة، أو بلغة علم النفس ضعف الأنا الأعلى لدى بعض أفراد الأسرة أو كلهم، وفي هذه الأسرة نجد بعض الظواهر ومنها اعتياد أفرادها خاصة النساء

والفتيات على ارتداء ملابس كاشفة أو خليعة أمام بقية أفراد الأسرة، وفي هذه الأسر نجد أن هناك ضعفاً في السلطة الوالدية لدى الأب أو الأم أو كليهما، وهذا يؤدي إلى انهيار سلطة الضبط والربط وانهيار القانون الأسري بشكل عام.

أما عن رأى علماء الدين فقد أبدوا استيائهم الشديد لهذه الظاهرة التي تهدد جميع الأديان بالخطر المحدق بأبنائهم وأوضحوا أن سبب انتشار هذه الظاهرة هو نقص الوعي الديني لدى الكثير من الأفراد ويمثل ثمرة البعد عن الشريعة الإسلامية، يقول الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية الأسبق: أن الزنا من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي التي وعد الله تعالى فاعلها بالعقاب العظيم بل نهانا عن مجرد قربانه وأضاف أن حدوث هذه الفاحشة يبدأ من خلال التحرش الذى يكون في أول الأمر غير مقصود كالنظر إلى أماكن العورة أو الاحتكاك أو التلطف بعبارات خادشه للحياء في صورة مزاح الأمر الذى يجرنا لأمر أكبر وهى معصية الله تعالى والمعاصي التي يرتكبها الإنسان هي التي تثير غرائزه لفعل هذه المصائب حيث يكون في حالة لا يفرق فيها بين المرأة الأجنبية وأمه أو أخته، مثل اعتياده على مشاهدة العرى والفسوق في شاشات التلفزيون أو إظهار المرأة لعورتها أمام المحارم وهذه مصيبة أكبر نغفل عنها فنجد الكثير من النساء يعتقدن أن ليس هناك حدود لعورة المرأة أمام محارمها رغم أن عورة المرأة أمام محارمها هي بدنها كله إلا ما يظهر غالباً كالوجه والشعر والرقبة والذراعين والقدمين.

وعن رأى الدين المسيحي يقول (الأنبا كيرلس): إن كافة الشرائع والأديان في كافة المجتمعات ترفض هذه الغريزة البهيمية التي لا ينظر فاعلها إلا إلى رغباته فقط فهو بهذا يشبه الحيوان الأعجمي الذي بلا عقل. ولا فرق بين مسلم ومسيحي حيث أن الفطرة السوية ترفض مثل هذه الأفعال.

أما عن طريق الوقاية والعلاج فهي:

**1 - الاهتمام بالموضوعات الهشة:** مثل الأماكن المزدحمة والفقيرة والمحرومة، وخاصة في حالة وجود تكديس سكاني، أو أشخاص مضطربين نفسياً أو مدمني خمر أو مخدرات، والاهتمام هنا يعنى اكتشاف عوامل الخطورة والعمل على معالجتها بشكل فعال.

**2 - إشباع الاحتياجات:** خاصة الاحتياجات الأساسية من مسكن ومأكل وملبس واحتياجات جنسية مشروعة، حيث أن المحرومين من إشباع احتياجاتهم خاصة "الجنسية" يشكلون مصادر خطر في الأسرة والمجتمع.

وطبقاً للبيان الصادر عن الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء فإن حوالي تسعة ملايين مواطن تجاوزوا الخامسة والثلاثين دون أن يتزوجوا منهم حوالي ثلاثة ملايين ونصف المليون إناث والباقي ذكور.

والمشكلة تتضاعف إذا عرفنا أن في مصر حوالي سبعة ملايين شخص يعانون من البطالة، وهؤلاء العاطلون المحرومون من الزواج يتعرضون ليل نهار لمثيرات جنسية عنيفة في البيت والشارع ووسائل الإعلام.

**3 - مراعاة الآداب العامة داخل الأسرة:** مثل الاستئذان قبل الدخول، ومراعاة الخصوصيات في الغرف المغلقة، والتفرقة بين الأولاد والبنات في النوم، وعند ظهور الأم أو البنات بملابس كاشفة أو خليعة تظهر مفاتن الجسد أمام المحارم.

**4 - تقليل عوامل الإثارة:** من تبرج في البيوت أو الشوارع، ومن مواد إعلامية على الفضائيات أو قنوات أو مواقع إباحية تثير الغرائز وتخفف حاجز الحياء وتغتال حدود التحريم.

**أما عن طريق العلاج: -**

فإن أول خطوة في علاج زنا المحارم هي تشجيع الضحية على الإفصاح وذلك من خلال علاقة علاجية مطمئنة ومدعمة من طبيب نفسي أو أخصائي اجتماعي، وقد وجد أن الإفصاح عن تلك العلاقة يؤدي في أغلب الحالات إلى توقفها تماماً لأن الشخص المعتدى يرتدع خوفاً من الفضيحة أو العقاب، ولذلك يجب على المعالج أن يفتح الطريق وأن يساعد على هذه الخطوة دون أن يوحى للضحية بأشياء من تخيلاته أو توقعاته الشخصية.

وتتفاقم المشاكل النفسية التي تصيب الضحية بسبب عدم قدرتها على البوح بهذا الأمر، فتكتم كل الأفكار والمشاعر بداخلها وتنكمش في نفسها. وقد يستدعى الأمر عزل الضحية في مكان آمن "دار رعاية أو مؤسسة صحية أو اجتماعية" لحين بحث أحوال الأسرة ومعالجة ما بها من خلل ومراجعة قدرة الوالدين على حماية أبنائهما.

**العلاج الدوائي: -**

يقدم للحالات المصابة باضطرابات نفسية كالقلق أو الاكتئاب أو الإدمان أو الفصام أو الهوس، وهذا العلاج يمكن أن يوجه نحو الضحية أو نحو المعتدى حسب حاجة كل منهما. النظر في احتياجات أفراد الأسرة وكيفية إشباعها بطريقة صحيحة فوجود أفراد في الأسرة يعانون من حرمان جنسي لفترات طويلة وليست لديهم علاقات أو نشاطات كافية تستوعب طاقتهم يعتبر عامل خطورة يمكن أن يؤدي إلى مشكلات جنسية داخل الأسرة، ومن هنا يأتي التشجيع على الزواج لأفراد الأسرة الغير متزوجين، أو إصلاح العلاقة بين الزوجين المبتعدين عن بعضهما لسنوات "حيث لوحظ زيادة احتمالات تورط الزوج المحروم جنسياً من زوجته في



علاقات زنا المحارم"، أو فتح آفاق لعلاقات اجتماعية ناجحة وممتدة خارج نطاق الأسرة أو توجيه الطاقة نحو نجاحات عملية أو هوايات مشبعة.

[<https://www.masress.com>]

#### 4 – التحرش الجنسي Sexual Harassment

هو أحد أشكال الابتزاز والاستغلال والتخويف والترجيع الذي يحصل بين الرجل والمرأة أو بين المرأة والرجل في مكان العمل أو في الشارع يمارسه مالك السلطة أو النفوذ أو المال أو الجاذبية على فاقد هذه الملكيات، وغالباً ما يكون مكلفاً اعتبارياً ومهنياً ومالياً. لأنه ينتهي بالطرد ومن العمل أو عدم الترقية أو الترفيع إذا رفضت المرأة الاستجابة للتحرش. وغالباً ما يقوم به الرجل نحو المرأة العاملة تحت مسؤوليته الرسمية في المكتب أو حتى تقوم به المرأة وتجاه الرجل. معنى ذلك إن الجاذبية الجنسية ليست وحدها تسبب التحرش الجنسي بل ممارسة النفوذ والسلطة والعدوان على امرأة ضعيفة لا تملك هذه الممتلكات، الأمر الذي يجعلها الاستجابة لما هو مطلوب منها أو تركها للعمل لأنه يتضمن التخويف والتهديد والوعيد والرعب.

إذ بعض الرجال لديهم قدرة على التحرش لأنه تعمل تحت سلطته نساء مثل المدير أو المشرف أو رئيس قسم لديه صلاحية الترقية والترفيع يستخدم هذه الصلاحيات لابتزاز الموظفة واستغلالها جنسياً، وآخرين لهم القدرة على التحرش الجنسي لأنهم مدعومين من قبل معتقدات واعتبارات معنوية ثقافية أو من خلفية ثقافية متميزة بارزة في المجتمع مثل شاغلي المواقع الدينية أو القبلية أو الحزبية أو الأمنية تدعمه على الاغتصاب والممارسات الجنسية مع النساء اللواتي ينتمون الى نفس الخلفية الثقافية.

من الصفات البارزة في التحرش أنه لا يقوم على معرفة أو علاقة سابقة بين المتحرش والمتحرش بها، إذ يبدأ من المصادفة الغريبة أو المفاجئة لا يتم التخطيط لها أو التفكير بها في أغلب الأحيان تثيرها المغريات الجنسية وتحفزها الدوافع النفسية المتطفلة والمتعطشة للممارسة الجنسية.

ففي المكاتب الرسمية يتحرك أصحاب النفوذ والسلطة أو شاغلي لمناصب العليا (المسؤولون) للتحرش بنساء يتمتعنّ بنفوذ أقل وسلطة أضعف وموقع رسمي أدنى. أما في الحياة الاجتماعية العامة مثل الشوارع والأسواق والأماكن الترفيهية وفي الأحرمة الجامعية وحدائق الحيوانات والمستشفيات، يتحرش المتعلمون والمتقنون بالجنس الآخر من أجل الحصول على صداقة بريئة أو علاقة زواجية أو علاقة جنسية أو مداعبات عاطفية.

لا جرم من القول بأن التحرش الجنسي يبدأ من المبادرة الوقحة والجرأة الصارخة لتصل فيما بعد الى تحقيق هدف التحرش لكنها لا تخلوا من رقة مهذبة وحاذقة وماهرة منطوية على التلميح والترميز للجانب الإيثارى الجذاب للمظهر الجسدى الخارجى (اناقة، تبرج، تعطر أو حركات الجسم عن المشى) مقترنة مع عبارات معسولة ورومانسية منمقة تُعبر عن أعجاب كاذب (في معظم الأحيان) وانبهار مبالغ فيه وغير صادق لكي يصل الى مبتغاه الجنسي. وإذا لم يستطيع الوصول الى مبتغاه في المكاتب الرسمية يتحول هذا التحرش الى إيقاع عقوبات إدارية أو مالية على المتحرش بها مثل تأخير الترقية أو قطع راتب لعدة أيام أو نقلها الى مكان سيء لا ترغب العمل فيه. لكن مما لا شك فيه تكون العقوبة الورقة الأخيرة التي يلعبها المتحرش على الرغم من ابتدائه باللطافة واللباقة والاناقة الكلامية.

لا جرم من الإشارة الى ان التحرش الجنسي يتضمن ما يلي:

1 – اسماعها عبارات تُعبر عن الاعجاب والمحبة.

2 – ملامسة جسد المرأة وبالذات المناطق المثيرة جنسياً.

3 – التقبيل.

4 – الحضن.

5 – التودد المفتعل.

6 – الغيرة المصطنعة.

7 – المضايقة الكلامية المشاكسة أو الجارحة.

نأخذ مثال على التحرش الجنسي السائد في المجتمع الغربى وهو التحرش فى النادلة التى تعمل فى البار أو المطعم، يكون صلب عملها خدمة الزبون بلطف ورقه فى الحديث معه بود وشفافية وعدم ازعاجه أو الحديث معه بجفاء أو جفاف لكي تحصل على البقشيش ولكي تكسب زبائن يعجبون بها ويعملها، حتى تستمر فى عملها وهذا المتطلب يجعلها تخضع للعديد من المضايقات والتحرشات الجنسية من قبل الزبائن الذين يترددون على المطعم أو البار.

حرّى بنا أن نميز بين الرغبة الصادقة فى إقامة علاقة اجتماعية نزيهة والتحرش الجنسي لا سيما فى المجتمع الغربى الذى تسوده صفة المجهولية بين الأفراد بسبب كبر حجمه وتشابك شبكاته العلائقية والبعيدة عن الصلات الرحمية – القرابيه التى تستدعى بدء الفرد علاقته مع الآخر بكلام لطيف وعبارات مجاملة ومعسولة لكي تمهد الطريق لإقامة الزوجية وهذا لا يعنى تحرشاً جنسياً. فى الوقت

ذاته لا جناح من الإشارة الى التقرير الذي ظهر عام 1985 في المملكة المتحدة بان هناك 10/7 من الموظفات البريطانيات قد تعرضن للتحرش الجنسي في أماكن عملهن وقد انتهى بهن الأمر الى ان يأخذن إجازة مرضية من العمل أو يتركن عملهن نهائياً تخلصاً من الضغوط والازعاجات أو التحرشات الجنسية التي يلاقينها في عملهن. [Giddens. 1994. P. 188]

من هذا نستطيع القول بأنه سلوك منحرف لأنه خرج عن العلاقة الودية النزيهة وتطبع بالطابع الغريزي الحيواني وشوة المعايير الصادقة الدافئة وإساءة الى الآداب الأخلاقية الرفيعة المستوى وأفسد الثقة بالناس.

لا جناح من الاستعانة بحالة التحرش بالنساء التي تحدث في الشارع المصري التي باتت معتادة الى حد أنها وصلت الى حالة الآفة الاجتماعية بعدما كانت تمثل انحرافات سلوكياً. فجريدة الجزيرة السعودية الصادرة في 2007/10/28 ذكرت ما يلي: التحرش يتم بصورة يومية وتعرض له كل المصريات وأمام انظار الأمن من خلال نظرات بشعة وتعليقات جنسية ولمسات. صار التحرش بالنساء معتاداً في الشوارع المصرية الى حد ان المراقبين باتوا يعتبرونه آفة اجتماعية يمكن أن تعرقل عملية التنمية. ويُعرف المركز القومي لحقوق المرأة التحرش بأنه (أي سلوك غير لائق له طبيعة جنسية يضايق المرأة ويعطيها احساساً بعدم الأمان) ويؤكد المركز الذي يصف هذه الظاهرة بأنها سرطان مجتمعي. إن التحرش يتم بصورة يومية في الأماكن العامة وليس مقصوراً على فئة عمرية أو طبقة اجتماعية بعينها.) ويشير المركز المصري لحقوق المرأة الى أن كل النساء المصريات معرضات للتحرش سواء كنّ محجبات أو لا. وقالت "رشا شعبان" وهي شابة في الثالثة والعشرين تقطن مدينة الإسكندرية لوكالة فرانس بريس [بمجرد أخرج الى الشارع أشعر بأنني محاطة بنظرات شبقية] وتضيف [لا أشعر بالأمان والمشكلة تتزايد يوماً بعد يوم وأصبح الأمر لا يطاق الى حد انني أفكر بمغادرة البلد]. وطبقاً لتقرير المركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية وهو مؤسسة تابعة للدولة فإن الجرائم ذات الطابع الجنسي في تزايد مستمر ولا توجد إحصاءات رسمية حول التحرش ولكن جريمتي اغتصاب تقعان كل ساعة بحسب دراسة لهذا المركز إلا ان 90% من مرتكبي هذه الجرائم من العاطلين عن العمل وتقف عوامل عدة خلف اتساع ظاهرة التحرش الجنسي الى جانب البطالة من هذه العوامل تأخر سن الزواج وصعوبته بسبب ارتفاع تكاليفه في المجتمع غالبية تدين بالإسلام الذي يحرم العلاقات الجنسية بدون زواج. وتعتبر "إنجي غزلان" وهي المسؤولة عن الحملة ضد التحرش في المركز المصري لحقوق المرأة، إن الرجال يفرغون كل كبتهم

الجنسي وكل احباطاتهم أياً كانت مسبباتها في النساء ويؤكد المركز المصري لحقوق المرأة ان التحرش بات مؤثراً بشكل متزايد على التنمية الاقتصادية. وتقول غزلان هناك نساء وشابات يتوقفن عن الذهاب الى العمل أو الجامعة بسبب التحرش فكيف يمكن تحقيق تنمية إذا لم تحدث تعبئة شاملة في المجتمع. وتضيف، إذا أرادت وزارة السياحة الاحتفاظ بالسائحين فينبغي على الأجهزة الأمنية أن تكون أكثر صرامة مع الأشخاص الذين يتحرشون بالنساء في الشوارع، وتؤكد أنها لو ذهبت الى بلد لا تحظى فيه بالاحترام فإمناها لن تعود اليه أبداً. وتأسف هذه الناشطة لأن المشكلة ليس معترفاً بها من قبل المسؤولين الذين ينكرون الظاهرة أو أحسن الأحوال تقول الحكومة نعم يحدث تحرش ولكن أجهزة الأعلام تبالغ جداً في حجمه وحسب دراسة المركز فإن 12% فقط نت النساء اللاتي يتعرضن للتحرش يقدمن بلاغات للشرطة وهو دليل على فقدان الثقة التام في أجهزة الأمن وفي النظام القضائي. وقال مدونون مصريون إن مجموعات من الشباب تحرشت العام الماضي ثاني يوم عيد الفطر بالنساء في وسط مدينة القاهرة أمام أعين الشرطة. وقال أحد هؤلاء المدونين وهو "وائل عباس" الذي كان موجوداً بالصدفة عندما وقعت الحادثة: لقد كانوا يتحسسون السيدات الموجودات سواء كنّ محجبات أم لا وحتى المنقبات لم يفلتن، ونفت وزارة الداخلية هذه المعلومات مؤكدة أنها لم تتلق أي شكاوى. [جريدة الجزيرة السعودية بتاريخ 2007/10/28]

نلاحظ على هذا الخبر المهم انه يتضمن عدة قضايا اجتماعية نستطيع استخدامها لمعرفة الكثير عن التحرش الجنسي في أحد المجتمعات العربية وهي:

- 1 – انه على الرغم من كونها مشكلة مزعجة ومسيئة للنساء والفتيات إلا إن الأجهزة الأمنية غير عابئة بها، بل أنها غير مهتمة بها ولا تعترف بوجودها وهذا شيء مخجل جداً لأنه يمثل مشاهدة التحرش في الشوارع والمحلات أمام أعين الناس.

- 2 – لكون التحرش له مساس بسمعة وشرف البنت فإنها لا تُبلغ الشرطة أو الأمن أو المسؤولين عما حصل لها لكيلا تتحول الى فضيحة تنعكس سلباً عليها وعلى أسرتها لكون المجتمع العربي ينظر الى المتحرش على انه لبق وجريء وجسور ويتصرف بفحولة وجاذبية وسواها من الصفات التي يفتخر بها الشاب ويعززها المجتمع العربي.

- 3 – عدم ثقة الناس التامة بالأجهزة الأمنية والنظام القضائي عند نظرها الى مثل هذه الإساءات الأخلاقية لأن المجتمع بشكل عام لا يراها كذلك.

4 - عدم انحصار التحرش بشريحة عمرية واحدة بل أكثر من ذلك (عند الشباب وغيرهم) ولا تقتصر على أبناء الشوارع بل تشمل الطلبة والموظفين والعسكريين وجميع الشرائح الاجتماعية وهذا يعني أنها مقبولة اجتماعياً بين الذكور أكثر من الإناث، تعكس معاييرها الاجتماعية الذكورية المتفوقة والمتسلطة على الإناث وحتى على الأخلاقية العامة والسلوك الشفاف الراقى والمجهولية في العلاقات الاجتماعية المدنية (المدينة).

5 - ضعف الضوابط الاجتماعية العرفية داخل المجتمع المدني وعدم اهتمام الضوابط الرسمية بها بشكل جدي.

6 - التحرش الجنسي يمثل سلوكاً لا يليق بالإنسان المتحضر والمتمدن لأن هدفه الدافع الجنسي وليس شيئاً آخر.

7 - يعطي انطباعاً للمرأة المتحرش بها الإحساس بعدم الأمان عندما يتحرش بها الشاب وإنها بحاجة إلى من يحميها من أسرتها أو أقاربها عندما تخرج من منزلها.

8 - أغلب المتحرشين يكونون من العاطلين عن العمل أو من المتسربين مدرسياً.

9 - وهناك سبب وجيه لهذا الانحراف السلوكي الجمعي إلى تأخر سن الزواج عند الشباب بسبب ارتفاع تكاليفه في المجتمع الأمر الذي يجعله ينفس طاقته الجنسية بالتحرش الجنسي والانحراف في ممارسات انحرافية أخرى.

10 - وهناك الكبت الجنسي الذي يكون دافعاً آخر في دفع الشباب إلى انحرافهم وتحرشهم بالجنس الآخر.

11 - ولما كانت البطالة وتأخر سن الزواج موجودين في حياة الشباب فإن الوسيلة الأسهل عنده تفرغ كبتة الجنسي وكل احباطاته على النساء اللواتي لا يعرفهنّ وهنّ كثيرات يجدهنّ في الشوارع والمحلات التجارية والمنتزهات ومحطات القاطرات والحفلات.

هذا النموذج عن التحرش الجنسي التقليدي الذي يحصل في المجتمع المصري، لكن هناك نوع جديد من التحرش الجنسي يؤدي من خلال الانترنت حصل في المجتمع البريطاني يوضح استغلال وابتزاز الشاب للشابة البريطانية الذي لا يعكس استغلال مالك السلطة والنفوذ على فاقدتها بل يعكس حالة جديدة اسمها (الانتقام الإباحي أو الثأر الإباحي الذي ينطوي على حالة الابتزاز والاستغلال في تشويه صورة الجنس الآخر والاعتداء عليها) بمعنى ان التحرش يمثل العدوان المبني على عدم المساواة بين المراهقين وليس بين المسؤول والتابعة، يعكس قوة الذكر

على الانثى. انه تحرش الاقران وليس تحرش الموظفين والعاملين في مكان العمل. انه تحرش مراقبين لمراهقات عبر الانترنت في لندن وهو ما يلي:  
أثارت دراسة علمية قامت بها مؤسسة Child net الإنجليزية الخيرية ردود فعل كبيرة في أوساط المجتمع البريطاني وأحدثت كثيراً من اللغط بعد ان خلصت الدراسة الى ان حوالي ثلث الفتيات المراهقات في بريطانيا يتعرضن للتحرش الجنسي عبر مواقع التواصل الاجتماعي ومن الأولاد المراهقين من اعمارهن نفسها.

اختارت الدراسة عينة من (1559) فتاة مراهقة تتراوح اعمارهن بين 13 الى 17 عام وقد أكدت الدراسة أن 31% منهنّ تعرضنّ للتحرش الجنسي الذي يشمل الاقارب التي تتناول سلوكهنّ والضغوط التي يتعرضنّ لها من أجل تبادل الصور الفاضحة مع الصبيان والإيذاء النفسي من خلال التعليقات غير اللائقة على الصور العادية التي يضعنها على صفحاتهنّ وايضاً مواجهة ما يعرف بالانتقام الإباحي المؤلم والجرح. فيما قالت 10% منهنّ إن الأمر الذي قد تعدى كل هذا ووصل الى حد التهديد بالاعتداء. توصلت الدراسة الى ان حالات التحرش الجنسي عادةً ما تحدث عبر مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة عبر (الواتساب) و (السناب شات) وقد صرح مسؤول في موقع فيسبوك على ان الشركة تأخذ هذه المسألة على محمل الجد وأنها تقوم حالياً بتدريب الشباب في المدارس الثانوية بإنكلترا من أجل دعم ومساعدة المراهقين الذين يعانون من المضايقات عبر الانترنت.

ومن نتائج الدراسة هذه إن 23% من المراهقين كانوا شهوداً على نشر صور غير لائقة لمراهقات دون أخذ موافقتهنّ. 8% منهم اعترفوا بقيامهم بهذا العمل. 53% يحاولون تجاهل هذه الأمور و56% يجدونها محرجة جداً و49% يخافون من رد فعل الوالدين وحرمانهم من استخدام الانترنت و47% قلقون حول ما ستصل اليه الأمور مستقبلاً.

هذا على صعيد النتائج، أما على صعيد المداواة لهذه الجروح والإيذاء النفسي المُعبّر عن (الانتقام الإباحي) المؤلم والجرح فقد قامت الحكومة البريطانية بحضر (الثأر الإباحي) أو ما يعرف بمصطلح Up skirting والذي يعني مشاركة صور أو مقاطع فيديو غير لائقة لشخص آخر دون موافقته، وقامت ايضاً بملاحقة الأشخاص المزييفين الذين ينتحلون أسماء وهمية للتعدي على المراهقين. وتعكس الحكومة في الوقت الحالي على اعداد دليل ارشادي جديد يوضح كيفية تعامل المدارس بالتحرش وتطوير الموارد التعليمية بالمدارس لكي تتمكن من منع

التحرش بالتلاميذ عبر الانترنت وتطوير تطبيق (سناي شات) كي يتعامل مع الشكوى بفترة لا تتعدى بضع ساعات. [مجلة سيدتي عدد 1956 بتاريخ 2018/6/23]

عندما لا تكن هناك مساواة في الحقوق بين المرأة والرجل فإن الأخير يقوم بالتجني عليها. وذلك لضعفها أو لجاذبيتها وعدم قدرتها بالدفاع عن نفسها من قبل الآخرين ممن لديهم حقوق وهي فاقدة لها. ففي المجتمع البريطاني برزت حالة (الانتقام الإباضي) أو (الثأر الإباضي) يقوم به الذكر (الجاني) على الانثى (الضحية) في مجتمع حضري وتمدن وديمقراطي في حكمه ومتعلم. إلا ان المراهقة البريطانية لم تسلم من الأقاويل الجارحة واستخدام الصور الفاضحة للضغط عليها والتعليقات غير اللائقة.

لكن في مجتمع يفترض ان تكون فيه المساواة الجندرية قائمة مع ذلك فقد حصلت هذه التحرشات الجنسية ضد المرأة المعاصرة، وما قامت به الحكومة البريطانية هو مداواة وقائية لهذا الجرح العاطفي والتجني على سمعة وكرامة الانثى من قبل الذكر فقامت بما يلي:

1 - ملاحقة الأشخاص المزيفين الذين ينتحلون أسماء وهمية للتعدي على المراهقات.

2 - تطوير الموارد التعليمية بالمدارس لكي تتمكن من منع التحرش بالمراهقات عبر النت.

3 - تطوير تطبيق (سناي شات) كي يتعامل مع الشكاوى بفترة لا تتعدى بضع ساعات.

4 - اعداد دليل إرشادي جديد يوضح كيفية تعامل المدارس مع التحرش. هذه في الواقع مداواة وقائية وليست علاجية لكنها لا تساوي بين الجنسين لأن المساواة تتطلب توعية المراهقين من الذكور بعدم التحرش بالأنثى لأن ذلك يعني توهن في الضوابط الأخلاقية الراقية لأن التحرش الجنسي يعني استغلال وتعدي وابتزاز وتجني وتمادي القوي على الضعيف.

## 6 / ت - اغتصاب العولمة لها - عولمة الصناعة الجنسية

أحدث اغتصاب للأنثى في تاريخ البشرية هو الاغتصاب الكوني (العولمة) الذي برز مع بداية القرن الحادي والعشرين عبر الصناعة الجنسية للمؤنثة المستخدمة جسد الانثى وجاذبيتها الجنسية كسلعة بيولوجية - بشرية تستثمرها في الحياة العصرية المترفة من قبل الشركات الفندقية والسياحية والنوادي الليلية وصلات

التدليك ولعب القمار وشركات بطاقات الصرف الالي الفوري في معظم مدت العالم الثري والمتقدم صناعياً وحضرياً، متجاوزة الحدود الجغرافية والقوانين الجمركية. هذه الشركات أصحابها من الذكور اغتصبوا كرامة المؤنثة وانسانيتها واغتصبوا رغبتها في الزواج وأموميتها واستقرار حياتها، الذي بدوره حولها الى عبدة مستعبدة مسترقة لملاك الشركات الفندقية والسياحية والنوادي الليلية وصالات القمار والتدليك، فاجتثوها من النسيج الاجتماعي لتعيش وحيدة في مستنقع الرذيلة بعيداً عن الأجواء الأسرية والعفة الأخلاقية والايمان الديني.

بعد هذا الاستهلال نوضح ماذا تعني الصناعة الجنسية المعولمة؟

الملاحظ والمتابع للتطورات الكبرى التي تسود المجتمع الإنساني في العالم المتحضر يجد إن من أحدها والأكثر انتشاراً واهتماماً بين المجتمعات المتعدنة هي (البغاء) الذي أضحي التعامل معه منذ ثلاثة عقود من الزمن بشكل جديد وعصري ومنظم. أي بات البغاء منتشراً بشكل سريع وحر لا تعيقه حوائل قانونية بين دول العالم بل ومنظماً يثير الانتباه وليس كما كان قبل نصف قرن (مجرماً ومطاراً وسرياً) بل أصبح يمارس بشكل واسع وكاسح مما ألفت انتباه العاملين في الأسواق التجارية الذين يتعاملون مع بضائعهم ومناشطهم التجارية بشكل مادي لتسهيل نقل بضائعهم وتبادلها عبر وكالات خدمية تخدم نشاطهم مثل (الفنادق وشركات الطيران والنوادي الليلية وحانات الشرب وصالات التدليك وشركات بطاقات الصرف المالي الفوري وكل ما يحتاجه التاجر في تجارته العالمية)

ومن نافلة القول الإشارة الى ان البغاء كان يتم عبر التعامل الفردي في بيوت الدعارة دون استخدام الوكالات التجارية أعني تعامل شخصي ومباشر. لكن قبل ثلاثين عاماً أي بعد سقوط جدار برلين والأنظمة الشمولية في أوروبا الشرقية حدثت البطالة والفقر والهجرة ولجوء الأفراد لهذه المجتمعات مما دفع بنسائهم الاتجار بأجسادهن من أجل الحصول على لقمة العيش. وكعادة التجار ورجال العصابات الإجرامية فقد تم استغلالهن لكي يتاجروا بها عندها تم استخدامهن وكذلك الأطفال كسلعة جنسية للاتجار بها لاسيما عدم وجود عوائق قانونية في ظل الانهيار البنائي (البناء الاجتماعي) لنصف القارة الأوروبية فأمسى (العمل الجنسي) وكأنه عمل تجاري يخضع للعرض والطلب لاسيما وانه يقدم التسلية والترفيه.

ولما حدث ذلك في ظل العولمة فإن البغاء بات يمثل صيرورة متسلسلة ومترابطة في حلقاتها تنتقل بين دول العالم وكل حلقة تدعم الحلقة المتصلة بها فتم بلورة حلقة تمثل الفنادق المتسلسلة (أي وجود شركة فندقية لها عدة فروع في عدة مدن من العالم) كذلك ظهرت حلقة لشركة طيران تجارية لها عدة فروع في العديد من



عواصم ومدن العالم. أيضاً برزت حلقة خاصة بالنوادي الليلية ذات الفروع المنتشرة في العالم الغربي، فضلاً عن وجود نوادي جنسية تقدم خدماتها في المدن الكبرى والشهيرة، بجانب ذلك وجود حلقة لصالات التدليك (المساج) وصالات للعب القمار وشركات لبطاقات الصرف المالي الفوري التي لها مصالح اقتصادية في الصناعة الجنسية. مع استحداث صناعة السياحة الجنسية Sex tourism industry

## البغاء

إذن أضحت البغاء يمثل نشاطاً اقتصادياً جنسياً على النشاط الجنسي يتطلب الخدمات المستخدمة في تجارة السلع والبضائع في الأسواق التجارية متجاوزاً الحوائل القانونية التي تمنع ممارسة الجنس كسلعة وهذه حالة مستحدثة ظهرت في الربع الأخير من القرن الماضي لذلك اعتبرناها من المشاكل الاجتماعي المعاصرة أي جديدة في صيرورتها بسبب خضوعها لمتغيرات عالمية ذات خضوع آلي وتقني سريع وللتجارة العالمية المتخطية للحدود والقيود والمتفاعلة مع الاحداث الكبرى التي تحدث في دول العالم مثل حرب أهلية وإقليمية ودولية وهجرة دولية جماعية وانهيار أنظمة سياسية وتنتشر الآلاف من أصحاب المواقع الحكومية العليا الذين كانوا يحكموا ويديروا مؤسساتهم. ولما كان علماء الاجتماع يمثلوا المجسدة الحساسة الشاعرة بما يحصل من غرائب الأمور والاحداث في المجتمع سواء السلبية منها أو الإيجابية فإن هذه الحالة تم رصدها من قبل الباحثة الاجتماعية (كاتلين باري Kathleen Barry) عام 1991م التي نبهت الدراسين في علم الاجتماع الى هذه الحالة التي أسمتها بـ (الصناعة الجنسية المعلومه). [Kendall. 2012. P. 13] ومن أجل توضيح قولنا هذا نسجل الأسباب المتزايدة على الباغيات تحت ظروف أخرى غير التي ذكرناها آنفاً وهي: -

- 1 – الأزمنة التي فيها حرب طويلة والبعيدة عن مواطن الجنود وأسرههم.
- 2 – التجارة البعيدة عن مواقع إقامة وعيش التجار أي بعيدة عن أسرههم.
- 3 – وجود ثكنات عسكرية للجنود.

مثل هذه المتغيرات الإضافية جذبت رجال الجريمة المنظمة لسوق النخاسين واستخدام العاهرات كسلعة جنسية يتم استثمارها وقد وجدنا هذا الترعرع والطلب على العاهرات أبان حرب فيتنام وحروب السلفادور والبوسنة التي ظهرت على شاشات التلفاز للعديد من الحانات التي أجبر أصحاب هذه الحانات العديد من الكوريات على تقديم الجنس للجنود الأمريكيان يعود ريعها لصاحب الحانة.

بمعنى إن البغاء لم يبرز كصناعة ولا علاقة له بالعوامة التجارية، بل أنه موجود قبل ذلك بقرون إنما تم إدخاله في صيرورة الصناعة من قبل المنتفعين منه كالمهربين (المحليين والدوليين) والجماعات الاجرامية المنظمة وتجار الحروب والأسلحة ومُلاك الحانات والنوادي الليلية والأعمال العسكرية والتجارية الممارسة بعيداً عن مواطنها المعاشية فضلاً عن آليات العوامة المستخدمة في الاتصالات الفورية الإلكترونية وقوانين التجارة الدولية الجديدة التي كسرت الحدود والقيود الجغرافية كل ذلك ساهم في جعل البغاء يدخل في صيرورة الصناعة الجنسية التجارية لا لخدمة البشرية بل لخدمة العالمين فيها من تجار ومهربين ومجرمين وأصحاب نوادي ليلية وفنادق خمسة نجوم وأكثر ومناطق سياحية.

لا جرم من الإشارة في هذا المقام هي انتشار الآثار السلبية للصناعة الجنسية المعوامة هي انتشار مرض الإيدز وضعف جهاز المناعة عند طالبي المتعة الجنسية في ساحتهم الجنسية وقد التفت الى هذا الأثر الفتاك المؤسسات الصحية اليابانية وقد نشرت هذا الأثر القاتل بين الناس إلا انها لم تستطع السيطرة عليه. ليس فقط هذا الأثر السلبي للصناعة الجنسية المعوامة بل هناك أثر التفاوت الواسع بين الأقاليم الفقيرة والغنية حيث يتم في الأقاليم الفقيرة الاتجار بالنساء والأطفال يستخدموهم كسلعة تجارية خاضعة للبيع والشراء في الأقاليم الغنية (مثل أوروبا وأمريكا الشمالية) التي تزوج فيها الصناعة الجنسية المعوامة يئمها الكثير من الزبائن الباحثين عن المتعة الجنسية.

ومن نافلة القول إن بعض النساء العاملات في التجارة الجنسية يعلقن آمالاً على إقامة علاقات مع زبائنهم طمعاً بالخروج الى بلدان أخرى ليعيشوا بمستوى معاشي أفضل لكن غالباً ما تحبط آمالهم ويصابوا بخيبة مساعيهم ولا تتحقق طموحاتهم الشخصية.

إن للصناعة الجنسية المعوامة آثار سلبية على المجتمع العام الذي تتواجد فيه مثل الأثر الصحي الفتاك (الإيدز) وتوسيع الفجوة الاقتصادية بين البلدان الفقيرة والغنية في العالم. معنى ذلك أنها صناعة مدمرة للجنس البشري – صحياً وأخلاقياً وإنسانياً – لخدمة مصالح التجار والجماعات الإجرامية المنظمة. وإزاء كل ذلك اعتبرناها من المشاكل ذات المدى البعيد لأنها كونية ومتشعبة الآثار الاجتماعية والصحية والسياسية والثقافية.

## 6 / ث – اغتصاب الصناعة التكنولوجية الفنية – الفن الإباحي Pornography

الذي يعرض نماذج من الصور الداعرة والفاحشة للبننت وهي عارية وأوضاع مثيرة للشهوة الجنسية للذكر، تستخدمها شركات فنية وتصويرية من أجل التكسب

المالي عبر استخدام البنت كمادة لإثرائهم وشهرتهم. لكن هذا الفعل التجاري لا يتضمن احترام كرامة المرأة وانوثتها وانسانيتها وحشمتها وحياتها، بل تحصل على اغراءات مادية أو استخدام العنف والقسوة والاجبار على قيامها بالتعري والمعاشرة الجنسية المصورة مع الرجل. انها صناعة سينمائية وتلفزيونية وصورية رائجة في أسواق خاصة، إنما لهذه الأفلام والصور انعكاسات سلبية على الانثى منها: -

- 1 - إثارة الشهوة الجنسية الذكرية.
  - 2 - تحفيز العنف الذكري ضد المرأة.
  - 3 - اذلالها انسانياً.
  - 4 - تحقيرها اجتماعياً.
  - 5 - تجني على حقوقها المدنية.
  - 6 - تعبير عن سوء معاملتها كإنسانة.
  - 7 - جعلها عاملاً مشجعاً على الانحلال الخلقي والانحطاط المعنوي.
  - 8 - تأكيد على خنوعها وخضوعها للرجل وجعلها وعاء مغرياً لشهوته الجنسية.
- هذا على صعيد المرأة، أما على صعيد الرجل فإنه تحفزته على أداء السلوك العنفي والاعتداء ضد المرأة وتغذية الميول الجنسية عنده وعنفه لها. هناك من النساء المثقفات والواعيات والناشطات نسوياً يرفضن هذا الفن الداعر لأنه يُسيء الى مكانة ودور المرأة بالمجتمع ويضاعف متاعب التنظيمات النسوية الجندرية في مطالبتها للمساواة بين حقوق المرأة مع حقوق الرجل فضلاً عن موقف رجال الدين المتعصبين لهذا الفن الذي شجبه وعابوه. كانت هناك دراسة حصلت في الدنمارك عام 2006 على عينة من الشباب والشابات من أعمار تتراوح ما بين 18 - 30 عام، عينة قوامها 200، 100 من الشباب و100 من الشابات. عرضت على المجموعة التجريبية صوراً وافلام اباحية تعرض الاغتصاب والنمطية الجندرية والتمايز الجنسي والعنف، وعند مقارنة نتائج المشاهدة للمجموعة التجريبية مع الضابطة وجدوا أن التجريبية تأثرت بها عاطفياً ووقفت موقفاً سلبياً. أي خضعت لمؤازرتها وأكدت على ان هذه الصورة تبلور عنفاً وعدواناً على جنس الانثى. وهذا هو هدف رفض الأمم المتحدة لهذه الأفلام لأنها تؤدي الى العنف والعدوان الجنسي من قبل الذكر على الانثى. [Thomsen. 2007. P. 27]
- بعد هذا الاستهلال عن هذا الاغتصاب الفريد من نوعه والمختلف عن اغتصاب الثقافة الاجتماعية والفرد اتحول الى تقديم التفاصيل عنه.

عندما بدأ علماء الآثار اثناء العصر الفيكتوري ينقبون بشكل منظم عن الآثار القديمة في بومبين صدمهم ما وجدوه. فبين الرسوم على الجص والاعمال الفنية الجميلة توزعت هنا وهناك ورسوم ومنحوتات كثيرة فاضحة جنسياً وإذ أثارت طبيعتها المخزية اشمئزاز السلطات وضعوها في متاحف سرية وابتكروا الاسم (الفن الإباحي) المؤسس على الكلمتين اليونانيتين، (بورني و غرافوس) اللتين تعنيان (الكتابة عن البغايا) لتصنيف هذه المكتشفات الفاضحة. واليوم يُعرف الفن الإباحي بأنه تصوير السلوك الجنسي في الكتب والصور الفوتوغرافية والتمثيل والأفلام السينمائية على نحو يستهدف آثاره الشهوة الجنسية.

إن الفن الإباحي واسع الانتشار في هذه الأيام ويبدو انه مقبول في معظم المجتمعات العصرية لقد كان يقتصر سابقاً على دور السينما السيئة السمعة واحياء البغاء إلا انه الان سائداً جداً في مجتمعات كثيرة ففي الولايات المتحدة وحدها بَدَّر الفن الإباحي أكثر من عشرة بلاين دولار سنوياً.

ويشجع بعض أنصار الفن الإباحي عليه باعتباره طريقة لتستعيد العلاقة الزوجية المملة حيويتها. تقول إحدى الكاتبات أنه يحفز على الخيال الواسع ويقدم تعليمات من أجل المتعة الجنسية ويدعي آخرون انه يشجع على الصراحة والانفتاح بشأن المسائل الجنسية. [wol.Jw.org]

### مضمون الفن الإباحي

إنها مشكلة اجتماعية معاصرة في العصر الحديث (عصر التقنية المتطورة والحرية الشخصية والتعبير الحر) المنطوية على الصور الداعرة والفاحشة المعبرة عن الفن الإباحي Pornography المتألف من نوعين من الشبكات هما: -

1 - شبكة التأمّلات ذات الفكر التأملي الممكن ادراكه ومعرفته.

2 - شبكة ذات مغزى أدبي - أخلاقي.

تشير الشبكة الأولى (التأمّلية) الى الوقائعية للوضعية الاجتماعية المعبرة عن المشكلة وإن ماديّات هذه الشبكة تعتمد على الادب والفن الإباحي الداعر والفاحش معبراً عن سلوك الأفراد ومواقفهم.

2 - أما الشبكة الأدبية فإنها تمثل الممانعة الأخلاقية لآلية الأدب والفن الخيالي لأنه يمثل صور وهمية باطلة - غير حقيقية - تسمح للفرد بالتعبير عما هو ممنوع ومحرم دون الانخراط في سلوك محظور منهي عنه هذا هو مضمون الفن الإباحي. ومن أجل استجلاء أكثر عما تقدم نركز على ما تفعّله وتأثره وسائل الاتصالات الفورية مثل الحاسوب (الأنترنت) الذي بات متاحاً ومنتشراً بين الناس مما جعل ألوان الفن الإباحي في متناول أيدي الجميع بغض النظر عن مستواه التعليمي أو

انحداره الطبقي أو العرقي أو الديني إذ وصل الى منازلهم ومكاتبهم مما جعلهم يستطيعوا مشاهدة صور جنسية إباحية صارخة وهو جالس في منزله عبر قنوات تلفازية خاصة تعرض مشاهد جنسية بأوضاع مختلفة مغرية فضلاً عن وجود غرف للدردشة الشبائية وتبادل الصور الإباحية والداعرة مثل التعري والأوضاع الجنسية. مثل هذا الميل والاتجاه نحو هذه الصناعة الجنسية الصورة تدفع بالكثير من أصحاب رؤوس الأموال باستثمار أموالهم في هذه الصناعة بغض النظر عن تفويضها للضوابط الأخلاقية والدينية. إذ تمّ تقدير ميزانية صناعة هذا النوع من الأفلام بمبلغ (50%) بليون دولار في العام الواحد هذا ما عدا تكلفة المجالات الإباحية الورقية.

وإن شبكة التواصل الاجتماعية الخاصة بأفلام التعري والجنس الإباحي تعرض بجانب ذلك منتجات صناعية متعلقة بالعملية الجنسية مثل الزيوت والعمور والمنشطات الجنسية والأعضاء الجنسية الاصطناعية بالدعاية لها وترويجها لذا فإن العاملين في هذه الصناعة يكسبوا ثروة مالية هائلة وبالذات عند العاملات فيها (من النساء) اللواتي يكسبن (50%) أكثر من الرجال وإن مكسبها يعتمد على مظهرها الخارجي وقوامها وجمالها ورشاقة جسدها. أما الرجال فإن مكسبهم المالي يعتمد على قدرتهم وطاقتهم الجنسية وادائه الجنسي مع ذلك فإنهم يروا أنفسهم مستغلين من قبل هذه الصناعة.

أما المحللين الاجتماعيين فإنهم يرون ازدهار هذه الصناعة يكمن في ازدياد الطلب عليها من قبل الشباب والمراهقين المتصفين بالرغبة في مشاهدة كل ابتكار تقني جديد يتناول موضوع الجنس واغراء المستثمرين نحو هذه الصناعة والاستمرار في البحث عن تقنيات جديدة لإنتاج ابتكارات أحدث لكي يستمر وجودهم في سوق الفن الإباحي.

فضلاً عما تقدمه أجهزة التواصل الاجتماعي من ممارسات جنسية تجلب انتباه ورغائب الشباب والمراهقين أكثر مما تقدمه المجالات والكتب المصورة.

إن سياق الحديث يلزمنا ان لا أغفل اهتمام المسؤولين الحكوميين في أمريكا بهذه الظاهرة الصناعية – الجنسية التي اعتمدت على الابتكار التكنولوجي في دخوله على مناشط خاصة ومحافظة كانت من الممنوعات. ففي بداية الأمر وتحديدًا في العقد الثامن من القرن العشرين بحثت في علاقة الفن الإباحي بالجرائم الجنسية والسلوكيات المعادية والمضادة للمجتمع، في ذلك الحين لم تجد صلة قاطعة وجازمة بينهما. لكن بعد العقد الثامن من نفس القرن وجدت هذه السلطات صلة بين الجريمة الجنسية وتفاقم عدوانية الذكور على الاناث واكتشفت ايضاً إن الفن الإباحي يثير

شهوة الذكور للإناث كذلك يزيد من ميل المراهقين من الشباب نحو الانخراط في علاقات جنسية مع الأطفال عندها قالت هذه السلطات بأن الفن الإباحي يمثل خطورة على صحة المجتمع. أما علماء الاجتماع الأمريكيان لا يتفقون مع القول بوجود صلة بين الفن الإباحي والعنف وسيطرة الذكور على الإناث لأنهم يرون إن مثل هذه السيطرة لا تتم عبر مؤثر خارجي. [Keenall. 2012. P. 142]

فضلاً عن ذلك فإن أكثر من 80% من الأفلام الإباحية تعرض سيطرة الرجال على الإناث واستغلالهم بنحو عنفي وان أغلبها تعرض العنف الجسدي من قبل الرجال للنساء وأن نصفهم تم اغتصابهم وممارسة العنف الجسدي، والفن الإباحي يساهم في السلوك العدواني عند المشاهدين لها بذات الوقت لم يطرح وضع رقابة على مشاهدة الأفلام الجنسية وشراء مواردها المصطنعة.

ومن نافلة القول إن مشاهدة الفن الإباحي لا يتم بنحو علني بل بشكل سري ومتخفي وهذا ما يجعل دراسة هذه المشكلة أمراً صعباً لذا فإن المعلومات الميدانية الواقعية عن هذه المشكلة تكون شحيحة ومحدودة والتي تم الحصول عليها تكون قد جمعت من خلال ملاحظة المرتادين على محلات بيع المنتجات الصناعية الجنسية من مجلات وافلام ومنشطات. اغلب هؤلاء المرتادين هم من الجنس الأبيض من ذوي التعليم النسبي ومن المتزوجين ومن الطبقة الوسطى من الرجال التي تتراوح أعمارهم ما بين 25 – 65 عاماً. بذات الوقت هناك دراسة أخرى وجدت ان الشباب اليافع أكثر تعليماً يكونوا أكثر من النساء مشاهدةً للأفلام الجنسية والاستمتاع بها وذلك راجع الى نوع التنشئة الأسرية للدور الجندي لها. فالمجتمعات التي تكون ثقافتها (بطريقة – رجولية) تنشئ أبنائها على رجولة وفحولة الرجل وانوثة البنت. أي سيطرة الرجل على المرأة خنوعها له كأحد معايير الثقافة. مثل هذا النوع من المجتمعات يتقبل مشاهدة الافلاك الجنسية التي تعرض خنوع المرأة للرجل جنسياً وتقبلها لكل أنواع القهر والعنف الجنسي وتتمن فضاضة وقساوة الرجل الجنسية في جنسه معها وتتمن خنوع وانصياع المرأة لقساوة الرجل. أما المجتمعات التي لا تأخذ بالثقافة البطريقية فإن المرأة لا تتشوق لمشاهدة الأفلام الجنسية احتراماً لكرامتها وأنوثتها. لكن في السنتين الأخيرة أظهرت المرأة ميلاً نحو اقتناء المجلات الجنسية والادب الخلاعي، لكنها أقل افصاحاً عن علاقتها الجنسية وصراحتها فيها.

أما على الصعيد الطبقي فإن تقبل الفن الإباحي يكون أكثر عند أبناء الطبقة الفقيرة من الغنية وذلك راجع الى تنشئتهم الأسرية التي تفتقر الى الثقافة الجنسية والصحة البيولوجية للرجل والمرأة.

## هل الفن الإباحي فعلاً يمثل مشكلة اجتماعية؟

على الرغم من ادعاءات الكثير بتبرير جودة الحياة العصرية إلا انه يشكل مشكلة اجتماعية على الصعيد الفردي والأسري والمجتمعي والأمني. إذ يؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر الى اغتصاب الرجل للمرأة ويغذي السلوك العنفي اثناء العلاقة الجنسية. ولما كانت مشاهدة الفن الإباحي من قبل الشباب بالسر وليس بالعلن فإنه مشاهديه يعيشوا في خوف دائم من أن يكتشف والديهم أو اصدقائهم ما يفعلون وهذا الخوف لا يسبب القلق في الحاضر فقط ولكنه يمنع أيضاً المتعة الجنسية في المستقبل – وعندما يتلوث عقل الشاب أو الفتاة بالصور الجنسية فإنه يؤدي ذلك الى وجود ذكريات واضحة لهذه الصور أو المشاهد التي تطفو على السطح بأوقات غير مرغوب فيها ولا يمكن التنبؤ بها أو السيطرة عليها. فضلاً عن ذلك إن الشاب الذي ملئ ذهنه بصور الفتيات الجميلات والغير واقعية لا يمكنه عندما يرتبط في المستقبل أن يقدر جمال زوجته مهما كانت جذابة ولن يشعر في علاقته الجنسية معها. ليس هذا فحسب بل ينظر الى المرأة بأنها أداة جنسية لا يشبع منها مما يؤدي الى ان يصبح أكثر عدائياً نحو المرأة. أخيراً إن التعاطي مع الفن الإباحي تجعل للشباب رغبة في الحصول على هذه المواد والصور تزداد حتى يصبح مدمناً عليها بسبب الإثارة الجنسية التي تقدمها هذه المواد وبعد ذلك يزداد شوقه للحصول على المواد الشاذة والغريبة قد تدوم عدة أسابيع أو أشهر أو حتى سنوات وقد تستثمر أيضاً بعد الزواج.

ولا جرم من الإشارة الى مشكلة الاستحواذ الثقافي الذي يغذيه الفن الإباحي على كل ما هو جنسي مما تصبح الثقافة كأنها تصادق وتؤكد على كل ما هو منحرف. فضلاً عن مساهمتها في انحطاط لقيم الأخلاقية والادمان على الجنس التي تؤدي الى الأمراض الجنسية وعدم احترام النساء والنظر إليهم على أنهم وسائل استمتاعه لا غير وهذا تدني في أخلاقية الرجل نحو المرأة.

نتحول بعد ذلك الى تحديد من المتضرر من هذا الفن لكي نستطيع أن نقول عنه يمثل مشكلة اجتماعية. في الواقع برز هذا الفن في نهاية القرن الماضي ومازال مزدهراً في عصرنا الحالي. المتضررين منه هم المشاهدين له بالدرجة الأساس لأنهم يذهبوا الى الإدمان على ممارسة الجنس والإصابة بأمراضه وعدم احترام المرأة بل النظر اليها على انها وسيلة استمتاعه التي قد تبلور مشاكل زواجية بين الزوجين حول عدم الاتفاق حول ما يعرض في الأفلام الجنسية من ممارسات تقوم بها محترفات (عاهرات) بالجنس لا تقوى عليها الزوجة العفيفة التي لا خبرة لها

في التنوع الجنسي، بل سوى مع زوجها فضلاً عن توليده تشويشاً جنسياً شاداً عند مشاهديه.

هذا على الصعيد الفردي أما على الصعيد الأسري فإنه يحوّل العلاقة الرومانسية الوجدانية والعاطفية بين الزوجين الى غاية جنسية صرفه خالية من المشاعر والاعجاب والحب والاحساس الروحي بينهما فتمسي زوجته بمثابة مفرغة للطاقة الجنسية ليس إلا مما يوّلد كرهاً عندها للجنس وهبوط لمكانة زوجها عندها لأن علاقتهما تضحى مصلحية - جنسية فارغة من المشاعر الرومانسية. أما على الصعيد الثقافي فإن الفن الإباحي عندما يغذي الثقافة الاجتماعية بطرقه وابتكاراته الميكانيكية لا الروحية عندها تتجرد الثقافة الاجتماعية من عناصرها التي تنظم الرباط الزوجي والتنشئة الأسرية للأبناء إذ يحصل تميعاً أو انتهاكاً فتأفل ويهفت تأثيرها على الروابط الزوجية والأسرية وقد يدخل الفن الإباحي عاملاً خارجياً في إثارة الشهوة الجنسية عند المراهقين والشباب اليافع فيندفع نحو العلاقات الجنسية الشاذة مثل العادة السرية أو اللواط أو التحرش بالمحارم أو الاغتصاب.

فهو إذن (الفن الإباحي) عامل مفكك للحياة الاجتماعية السوية على الصعيد الفردي والأسري والثقافي. لذا نعتبره يمثل مشكلة اجتماعية ذات المدى القريب (لأن حجمها لا يتعدى شرائح الشباب والمستثمرين والعاشرات). أما المنفعين من هذا الفن فهم من المستثمرين في الحقل الفني وصناعة الجنس والمومسات والمتاجرين بالنساء والأطفال. غني عن البيان إذن هي مشكلة اشتراكية محصورة في المجتمعات الحديثة تسببت بتأثير التطورات التكنولوجية ويتذمر منها أصحاب العقول الراشدة والمتقفين والمسؤولين والمحافظين وأفراد الجيل المتقدم في السن وبسبب تنافر آثاره مع الضوابط الاجتماعية العرفية والوضعية... وطالما هي تفرز ايلاًماً للناس وتؤثر على صحة المجتمع في تغذيته للاغتصاب الجنسي والزنا بالمحارم والسلوك العنفي بذات الوقت إننا لا ننكر بان هذه المشكلة هي احدى افرازات التغيير الاجتماعي التي تغذت من الابتكارات التقنية الخاصة بالاتصالات الالكترونية (النت) وآلات التصوير الحديثة في ظل العلاقات المجهولة في المجتمع الحديث أو اتساع الفجوة بين الفقراء والاغنياء وعدم تنشئة الأبناء بتنشئة مبنية على الثقافة الجنسية الصحية وتعزيز المعايير القيمية للسلوك السوي. كل ذلك يبلور مشكلة اجتماعية افرزها الفن الإباحي.

**6 / ج - اغتصاب العصابات الإجرامية لها**

**1 - الاتجار بها**



انها جريمة كونية معاصرة تحدث ابان أزمنة الحروب (الاهلية والإقليمية والعالمية) والحصار الاقتصادي على بلد معين وفي الركود الاقتصادي العالمي وشيوع الإرهاب وسقوط أنظمة سياسية. أي عندما تحدث اضطرابات عنيفة تغيب فيها الضوابط الرسمية والحكم السياسي الوطني فتؤثر على انساق البناء الاجتماعي فتفككها (مثل النسق الأسري والسياسي والتعليمي والإداري والمالي والقضائي والأمني) بحيث يحصل انفلات أمني وسياسي وعسكري وعرفي. هذه الحالة اللامعيارية واللامستقرة تستغلها العصابات المنظمة والمافيات العالمية للاستفادة من غياب الشرعية القانونية والضبط الأمني في سرقة الأطفال والبنات والنساء وتهريبهم عنوةً وجبراً الى بلدان أخرى واغتصابهم ثم بيعهم الى تجار وعصابات متخصصين بتجارة الرقيق الأبيض (لكن هذا لا يعني ان هذه التجارة لم تكن سائدة في التاريخ البشري بل كانت سائدة إنما ليست بهذه الكثافة) وحسب إحصائية الأمم المتحدة في عام 2006 كان عدد المتاجرين بهنّ يتراوح ما بين 700.000 الى 2 مليون بنت وامرأة في كل عام ويتراوح أرباح التجارة بهنّ ما بين 5 – 7 بليون دولار كل عام. ففي عام 2006 تم تسفير 50.000 ألف بنت الى الولايات المتحدة والى أوروبا الغربية، ايضاً 50.000 بنت تم اجبارهم على التجارة الجنسية كانت نسبة النساء المتاجر بهنّ 87% ومن البنات 54% [Thomsen. 2007. Pp.]

تعني هذه الجريمة تحويل المرأة الضعيفة نفوذاً ومالياً والمضطهدة اجتماعياً وسياسياً عن طريق الاحتيال أو القوة والإجبار الى سلعة بشرية جزيلة الاستثمار لأجل طويل وذلك عن طريق استغلال جسدها في هذا الاستثمار أو تسخيرها لأعمال منافية لقيمتها البشرية. لذا وقفت الدول المتقدمة والمنظمات الإنسانية التي تدافع عن حقوق المرأة الى محاربة هذا التحويل اللاإنساني والاسترقاقي والاستعبادي لأنه لا يمثل المرحلة التطورية التي يمر منها الانسان في الوقت الحاضر. فمثلاً النساء والبنات والأطفال الباحثين عن مقصد غير بلدهم للعيش فيه لا يستطيعوا الوصول اليه بالطرق الشرعية (الهجرة الشرعية) فإنهم يخضعوا للاستغلال المادي والجنسي وإجبارهم على العمل المهين للقيمة الإنسانية وانتزاع استقلالية شخصياتهم وحرمانهم من حريتهم الفردية. كل ذلك يحولهم الى أرقاء خانعين ومنصاعين لاضطهاد قاسي لا يعرف الرحمة الإنسانية من أجل الحصول على أموال طائلة بطرق غير مشروعة من قبل تجار متخصصين بالبحث عن هذه الشرائح الاجتماعية التي تظهر بشكل سريع وجلي في المجتمعات الفقيرة

(اقتصادياً) أو المنهارة سياسياً أو المنحدرة عسكرياً (الخاسرة في حربها مع دولة قوية) أو التي يسودها الفساد الإداري والمالي والسياسي أو المحاصر اقتصادياً. ولا غرو من القول أيضاً بأن هؤلاء التجار لا يعملوا بتجارتهم بمفردهم بل لهم صلات تجارية مع جماعات إجرامية منظمة تساعدهم على انجاز تجارتهم والحصول على أموال طائلة مع التعرض لغرامات مالية أو قضائية قليلة إذا ما قارناها بتجارة الأسلحة والمخدرات. انها تجارة رائجة في وقتنا الراهن بسبب انهيار العديد من الأنظمة السياسية والشيوعية وذات الحزب الأوحد الحاكم بعد الحرب الباردة والحروب الإقليمية – في الشرق الأوسط – مع ازدهار أنشطة العولمة وما جاءت به من تسهيلات اتصالية ومواصلاتية وتفوق المعايير المالية وسيطرتها على المعايير الأخلاقية التقليدية والقيومية، فضلاً عن وجود أنظمة سياسية طاغية تستخدم القوة والقسوة والبطش في تعاملها مع مواطنيها.

### كل ذلك جذب أطماع

بعض التجار الخارجين عن القانون والباحثين عن الربح السريع والهاربين من المسؤولية القانونية والمتعاملين مع جماعات وعصابات محلية وإقليمية ودولية متخصصة في الدعارة واستغلال الجنس والصناعة الجنسية (أفلام خلاحية). مثل هذا العمل الجسيم يتطلب نظام تقسيم عمل تنفذه عدة جماعات إجرامية (محلية وإقليمية ودولية) لها خبرة بالاستدراج والخطف والتهريب والتسفير وقوانين الهجرة ولها علاقة بإصحاب النفوذ في دول المصدر والمقصد، تجارة ذات ضرر أقل بالعاملين فيها لكنها تدر مالياً وفيروساً لفترة طويلة من الزمن لأن التجار فيها يتعاملوا مع الأطفال والبنات والنساء وعليها طلب مستمر ولها مواسم (سياحية) وموسمية في البلدان الثرية.

جدير بذكره إن تجار النساء يجندوا ويُسفروا البنات والنساء عنوة من دول أوروبا الشرقية بعد سقوط المعسكر الاشتراكي والصين وتايلند وأفريقيا ونيوزلندا وأستراليا. [Thomsen. 2007. P. 28]

هذا ولا بد لي بعد هذا الاستطراد أن أشير الى ان المهتمين بالجنس والجنس والبنات والبنات الذين يعيشون في مثل هذه الظروف ويتم تجنيدهم للاغتصاب والاستغلال الجنسي والاتجار بجنسهم فاستندت هذه النسوة على قرارات الأمم المتحدة التي صدرت عام 1945 التي دعت فيه الى حماية الحقوق الإنسانية للمرأة فطرحت 20 آلية ترفع بها مقام وشأن المرأة والتعامل معها على أنها إنسانة لها قيمة نفس قيمة الرجل وعدم تحويلها الى ضحية تتجنى عليها العصابات الإجرامية مستغلة

ضعفها وفقرها وعوزها لتمارس عليها شتى أنواع العنف (الجسدي والجنس واللفظي والمعاشي) فضلاً عن جني مبالغ مليئة هائلة من وراء استغلالهم الجنسي في الدعارة التي تصل الى ما بين 7 - 12 مليون دولار. هذا سبب واحد من بين أسباب تهافت العصابات الإجرامية بالاتجار بهم فضلاً عن ضعف وتخلف القواعد القانونية السائدة في معظم دول العالم في معاقبة وتجريم التجار الذي يتاجرون بالبشر ورفد أسواق الدعارة والبغاء بعناصر جديدة وإن خطورة العمل فيها أقل بكثير من الاتجار بالأسلحة والمخدرات.

كل ذلك دفع المدافعين عن حقوق المرأة الوقوف موقف المدافع عليها ومحاربة الاتجار بها لكن هناك جماعتين من هؤلاء النساء: الجماعة الأولى قبلت قرار المرأة في اختيار عملها بالدعارة لكنها أدانت الاتجار بجنسها، والجماعة الثانية أدانت إجبار وفرض عمل المرأة بالدعارة وحسبته عملاً وحشياً وهمجياً. إذن هذا موقف المدافعين عن حقوق المرأة نحو الاتجار بها وبنسها وهو مؤيد لقرارات الأمم المتحدة في هذا الشأن ومناصر للقوانين الوضعية في معظم دول العالم.

أخيراً نوضح ارتباط الاتجار بالنساء بالاستغلال الجنسي والصناعة الجنسية والدعارة وباقي الخدمات الجنسية التجارية. أي ان هذه التجارة دالة على الاتجار بالنساء والبنات إذ هناك 700.000 ألف ضحية من النساء والبنات وقعن عام 2002 في أوروبا واسبيا وكانت عوائد هذه التجارة تتراوح ما بين 150 الة 200 مليون يورو. [Lehti and Aroma. 2002. P. 1]

## 2 - استرقاقها

يشترط الاسترقاق حق التملك بعد الاتجار بالنساء المتضمن الاستغلال والاستثمار وما يتبعه من قمع واقهار وعنف واستغلال جنسي في الدعارة والصناعة الجنسية. بمعنى استثمار مالي في الدعارة والصناعة الجنسية التي تتم في بلد المقصد (بلد الاستثمار) وهذا يماثل حق التملك في العبودية والاسترقاق. ثم يشترط الاسترقاق اجبار النساء المتاجر بهم على العمل في بلد المقصد مخالفاً لرغبتهم وإرادتهم. أقول الزامهم بالعمل في اشغال صعبة وقذرة. فضلاً عن ممارسة العنف الجسدي عليهم وعزلهم عن محيطهم الأصلي الذي اتوا منه والاستغلال الجنسي للمتاجر بهن وإجبارهن على ممارسته من أجل الكسب المالي الذي يجنيه السمسار أو التاجر الذي يقوم بإجبارهم واستغلالهم. يجدر بنا أن نشير الى انطواء الاسترقاق على تجنيد النساء ونقلهن وإيوائهن واخفائهن وممارسة التهديد والقوة والقهر والإجبار مع الإجبار في أخذ الأجور من الشخص المتحكم بهن وابتزازهن في العمل القسري

أو تقديم خدمات بالقوة، أعني الاسترقاق والاستعباد مع القيام بأشغال شاقة والاذعان القسري للتجار الذين يتجارون بهم.

ومن نافلة القول استلزام الاسترقاق التملك والسيطرة والتحكم على الآخر لأن التعامل مع المتاجر بهنّ من قبل المتاجر بهنّ يتم على انهنّ سلعة أو بضاعة مملوكة لهم فضلاً عن فقدان شخصياتهنّ القانونية وللتاجر المُلْكِيَّة الدائمة مدى الحياة للنساء المتاجر بهنّ إذ يتم تجريدهنّ من حقوقهنّ الشخصية والمدنية والإنسانية أو لا يحقّ لهنّ بالانتقال من مكان الى آخر إلا بأمر التاجر وتجردهنّ من ممتلكاتهنّ إذا كنّ يمتلكنّ شيء، ليس هذا فحسب بل لا يحقّ لهنّ اقتناء أو شراء أي شيء ومن غرائب الأمور حتى أنفسهنّ لا يستطعنّ امتلاكها لأنها مرهونة بالتاجر.

لا جرم من القول بأن لكل جريمة ضحية أو ضحايا ولما كانت جريمة الاتجار بالنساء تتعامل مع عدد كبير منهنّ وبالذات من الضعيفات مادياً ونفوذياً فإن ضحاياها يكونوا من الاعداد الكبيرة ومن اعمار شابة. الملفت للانتباه على مسرح الجريمة هي وجود إعلانات في بلد المصدر عبر الصحف والمجلات والاعلانات على الانترنت وعبر سماسرة (وغالباً ما يكونوا من النساء أو وكالات مموهة أو مضللة تقدم وتعلن عن وجود فرص عمل بشكل قانوني في دول الاتحاد الأوروبي مثل العمل كخدمات أو مربيات أو عاملات في النوادي الليلية أو عارضات للأزياء أو راقصات متعريات أو مرشحات سياحية أو موظفات في الفنادق ومن خلال هذه الإعلانات يتم اصطياد فرائس الجريمة ويتم تجنيدهنّ منذ البداية بالدعارة ولكن حتى هذه الحالة لا يفي التجار بوعودهم التي وعدوهم بها. أي أقل وأدنى من التي تم وعدهنّ بها، أعني يختلف عما تم الاتفاق عليه في بلد المصدر.

إن سياق الحديث يلزمني أن أشير الى ان دول البلطيق تمارس التجنيد الشخصي بدلاً من اعتمادها على الإعلانات العامة. ففي هذه البلدان يتم تجنيد النساء بواسطة الخطف وهذا ما حصل في البانيا وكوسوفو والقسم الآخر أبلغوا بأنها باعت بناتها للتجار المتاجرين بالنساء.

لا مناص من القول بأنه عندما يتم تجنيد الضحية تمسي عندئذٍ مسيطر عليها ومتحكم فيها عند نقلها الى بلد المقصد أو عند مرورها من البلدان قبل وصولها الى بلد الملاذ (المقصد) بيد انه من خلال هذه المراحل (التجنيد والتسفير والنقل) يتم فيها استخدام شتى أنواع العنف والتعذيب وإساءة المعاملة والاغتصاب بل تصل أحياناً الى القتل (هذه الحالة تحصل بالذات في بلدان البلقان التي تم فيها ممارسة ابشع وأقسى أساليب العنف على الضحايا داخل وخارج بلدان البلقان فباتت هذه الحالة مألوفة فيها) ثم هناك أسلوب آخر يتبعه التجار والسماسرة مع الضحايا وهي

اجبارها على أخذ المخدرات لكي يتم من خلاله استغلالها بسهولة – دون مقاومة – والسيطرة عليها ببسر بذات الوقت تمسي الضحايا معتمدة على السماسرة والتجار بكل صغيرة وكبيرة وتلتجئ اليهم في سكنها وحصولها على المخدرات الأمر الذي يزيد من الدين الذي تم تسجيله عليها من قبل المستغل (السمسار أو التاجر) لأن بعضهن (الضحايا) تتفق مع المستغل بأن يدفع لهن تكاليف سفرهن واتعاب تجنيدهن ودفعها فيما بعد. أي يدفعون الدين الذي بذمتهم بعدما يحصلون على اتعابهم في المستقبل علماً بأن هذا الدين يتزايد بمرور الوقت ومع عدة تجار لغاية ما يصلون الى مرحلة الاسترقاق.

بلدان التجنيد	بلدان الاسترقاق (الجنسي والجسدي)
موسكو	المانيا والنمسا
جمهورية التشيك	الماني والنمسا
أوكرانيا	المانيا والنمسا
سلافيا	المانيا والنمسا
هنغاريا	المانيا والنمسا
الشرق الأوسط وتركيا	اليونان وإيطاليا
شمال أفريقيا	اسبانيا وإيطاليا
تركيا	إيطاليا والنمسا
جنوب ووسط أمريكا	البرتغال واسبانيا
العراق وإيران	المانيا والنمسا واليونان وهولندا
جورجيا	المانيا والنمسا والسويد والنرويج
الصين	الولايات المتحدة الأمريكية

أخذ هذا الجدول من كتاب جرائم مستحدثة. [العمر. 2011. ص. 93] ومن غرائب الأمور ظهور تجارة الرقيق الأبيض White slavery تجارة مربحة في جورجيا ساهم فيها المجرمين المحترفين والموظفين الحكوميين في ذوي المواقع العليا والحاكمة في جورجيا أطلق عليهم بلصوص القانون في جورجيا يمثلون اعداداً كبيرة ولهم شبكة واسعة من الاتصالات والمواصلات ولها علاقات مستمرة مع تنظيمات إجرامية خارج جورجيا وبالذات مع روسيا وأوكرانيا وحكومات غنية مثل الولايات المتحدة الأمريكية إذ عملت في الدعارة وهناك افراد أكثر من هذا العدد تم اجبارهم واستغلالهم في اعمال وضيعة كانوا ضحايا خداع واغواءات مادية قدرة. [Glonti. 2004. Pp. 70 – 71]

ويتعين عليّ أن اذكر ارتباط الاتجار بالنساء بالاستغلال الجنسي والدعارة إذ هناك أكثر من 80% من ضحايا هذا الاتجار هم من جنوب شرق أوروبا. فباتت منطقة رئيسية للاتجار بالنساء وتشغيلهم كبغايا وبتحذود 15% منهم يمثّلنّ مصدرًا للقيام بالخدمات الشهوانية والجنسية الأخرى أما أعمارهم بالتقريب فإنها تقع ما بين 15 - 18 عاماً وإن 10 الى 30% منهم تقع اعمارهنّ بأقل من 18 عام. بذات الوقت هناك اعمار اعلى من 18 من النساء فضلاً عن الأطفال. وفي السويد التي قدمت تقديرات سنوية عن النساء اللواتي يتم الاتجار بهنّ في بلدانهن التي قدرتهم ما يقارب 500.000 ألف امرأة لغرض الاستغلال الجنسي حيث يتم تصديرهنّ الى دول الاتحاد الأوروبي. واستناداً الى التقديرات الأخيرة التي قامت بها الأمم المتحدة فإن إجمالي الاتجار بالنساء في دول الاتحاد الأوروبي بلغ 20.000 ألف أما تقديرات الولايات المتحدة في هذا النوع من الاتجار في العالم الذي وصل الى 500.000 ألف ضحية من النساء. وإجمالي الاتجار بالنساء عبر البلقان 200.000 ألف وطبقاً لتقديرات وزارة الداخلية الامريكية فإن الرقم الذي طرحته كان 700.000 ألف ضحية. [Lehti and etal. 2004. P. 115]

أخيراً نقدم البنت العراقية التي تم الاتجار بها بعد خطفها (بعد عام 2003 أي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق) واستدراجها والاعراء بها من قبل نساء كنّ يعملنّ في الدعارة وعادةً ما تكون هذه الفتاة صغيرة في السن ومن أسرة فقيرة مالياً تبحث عن عمل من أجل عيشها. تعيش في مجتمع منهار بنائياً وقيماً وسياسياً، تم تجنيدها بعد خطفها أو استدراجها من قبل السماسرة الى الأردن وسوريا على شكل سائحات أو زائرات يتم إزالة عذريتها مع تصويرها لأكثر من مرة ومع أكثر من زبون حتى لا تستطيع التفكير بالعودة إذا أرادت وتهديدها إذا فعلت ذلك.

أما استرقاقها فيتم اسكانها في مبنى خاص في سوريا يحضر على الناس الاقتراب منها لأنها محمية من قبل حراسة شخصية يوفر لها الشخص الذي جلبها لتعمل معه ما تحتاجه. ولا يسمح لأحد بالوصول لمكان سكنها أو الخروج معها أو سؤالها عن شيء يتعلق بها أو بطبيعة عملها. ثم العمل في عدة نوادي ليلية وتقدم برنامجاً في كل نادي ويبلغ ما تحقّقه احياناً في الليلة الواحدة من أرباح تصل الى 500 دولار هذا عدا (الرشه) وهو ما يقوم به الزبون (رشه) عليها أو إعطائها من المبالغ اثناء قيامها بالرقص الاستعراضى وإذا أراد أحد الزبائن أن يتصور معها يدفع 6 دولارات. أما العمل في الشقق المفروشة فإن أجور كل فتاة عراقية تعمل كعاهرة يتراوح ما بين 10 الى 20 دولار في الساعة. وعادةً ما يأمرها السمسار

بتحقيق المتعة الجنسية والجسدية للزبائن وعليها الزعم والادعاء بأنها سعيدة ومتمتعة معهم مهما بدر منهم من إساءة أو تجريح أو عنف نحوها وهذا يعني أنها تم تحويلها الى سلعة بشرية تُستثمر مادياً لصالح العصابة الاجرامية وحرمانها من أبسط مستلزمات الحياة الطبيعية الخاصة بالأنثى مثل الزواج والانجاب ومصادرة غريزتها الجنسية لصالح الزبائن وتجريدها من مشاعر الأمومة وبتن (قطع) رباطها الدموي بوالديها واخوانها واقاربها. أقول تُمسي جسداً بلا روح يُستخدم للاتجار الجنسي لصالح السمسار والعصابة البشرية للأنثى. تم تحنيطها اجتماعياً ونفسياً وغريزياً لجعلها ماكينة للاستثمار غير المشروع وإنها واقعة بين فكي رحي الأولى يمثل التهديد بالقتل إذا لم تستجب لأوامر العصابة، والثاني يمثل تقديم المتعة الجنسية للزبائن مهما كان مزاجهم أو شخصيتهم أو شكلهم. هذا هو الاسترقاق البشري في القرن الحادي والعشرين للمرأة.

## الفصل السابع النوع الثالث من الجندر

- 7 / أ – عدم وضوح نوع الجنس وغموض معرفته
  - 7 / ب – التوجيهات الاجتماعية للجنس
  - 7 / ت – واقع النوع الثالث من الجندر في بعض مجتمعات العالم
  - 7 / ث – المخصيون
  - 7 / ج – الخصيان والمرجلة في الدول العربية والإسلامية
- تعقيب وتعليق



## الفصل السابع النوع الثالث من الجندر

### 7 / أ - عدم وضوح نوع الجنس وغموض معرفته

تأتي من الطبيعة الفسيولوجية للجنين إذ هناك حالة الخنثى hermaphrodites تتمثل في أن 3/1 الأطفال الذين يُولَدون ولديهم أعضاء جنسية انثوية وذكورية أو ممن ليس عندهم وضوح في أعضائهم التناسلية مثل البضر الذي يشبه العضو الذكري عند الذكر. انه انحراف في قواعد الازدواجية لهيئة وشكل الجنين الذي يتطلب فصل الجنس الى صنفين مختلفين ومتميزين غير متشابهين. يعني تحويل الفرد بيولوجياً من جنس الى اخر وهذا يجب ان يكون قبل مرور ثلاثة أعوام من عمر الطفل.

بتعبير آخر، من أجل معرفة نوع الجنس للطفل يتطلب اجراء عملية جراحية لتشخيص نوعه ومن خلالها يتم تغيير نوع الجنس من نوع الى اخر وهذا يتوجب ان يجري قبل بلوغ الطفل سن الثلاث سنوات من عمره لأن هذه الفترة العمرية يتم فيها تحديد هوية نوعه الجنسي. إذ من خلالها يتم تعلم الطفل السلوك الخاص بنوع جنسه المختلف عن الآخر ومنها ايضاً يبدأ إدراك ذاته وعندما يستقر هذا الإدراك الذاتي يبدأ التصرف حسبها. بمعنى إذا تم تعلم تعليم الطفل سلوك البنات واستمر في تكرارها عبر تفاعله مع والديه واخوته عندئذٍ يتصرف بتلقائية وانسيابية بالسلوك الخاص بالبنات التي تعلمها من والديه واخوته.

إن إقرار الوالدين في تغيير أو تبديل الأعضاء التناسلية لطفلهم امر في غاية الحرج والجدل لأن الطفل ليس له رأي أو قرار في تغيير أعضائه التناسلية فضلاً عن إن العملية الجراحية في التغيير بعد اجرائها لا يمكن إعادة ما تم تغييره. إنما بالإمكان اجرائها بعد ان يكبر الطفل ويصبح ناضجاً وأكثر رشداً ليقرر بنفسه عن موعد اجراء عملية التغيير لأعضائه التناسلية لا سيما وإنها تحتاج الى علاجات هرمونية لكي تتم العملية بنجاح وهذا مهم جداً لمكونات تنمية هوية الجندر (النوع

الجنسي). [Spriggs, Merle and Julian, Savalescu. 2006. P. 25]

نأتي الان الى التمييز بين المصطلحات العلمية للتحويل الجنسي Transsexual. فالتحول جنسياً يختلف عن الفرد الذي تتداخل عنده الصفات الذكورية والانثوية معاً Intersex الذي يطلق عليه اسم (بيجنبي) أي جامع بين جنسين بينما المتحول جنسياً يكون في الأصل ذكراً أو انثى لكنه يعتقد نفسياً بأنه منتمي الى الجنس الاخر

(بتعبير اخر إذ كان ذكراً ويحمل صفات انثوية بنفس الوقت فإنه يشعر بأنه انثوي أو إذا كان الفرد انثى وتحمل صفات ذكورية فإنها تشعر بأنها مسترجلة أي منتمية الى الذكورية) سواء كان هذا (البيجيني) ذكراً أو انثى فإنه يشعر بأنه واقع في فخ أو شرك هذا الفخ عنده هو الخطأ الجسدي وبسبب شعوره هذا يدرك بضرورة اجراء عملية جراحية له لتصحيح هذا الخطأ الجسدي الذي وقع فيه لكي تكون هويته الجندرية وجنسه البيولوجي متناغمين ومنسجمين. جدير بذكره المتحول جنسياً لا يُعد وليس هو بمنحرف جنسياً Homosexual ولا يكون مشتبه للمثل من جنسه. لكن (البيجيني) يمثل نوع جنسي آخر وإن حبه النموذجي يكون للجنس الاخر Heterosexual يطلب منه المودة الحميمية على الصعيد والواقعي.

ولا يطالب بتحويل جنسه، هؤلاء الواقعين في هذا الشرك ممن هم (بيجين) معظمهم من الذكور وعندما يلبسوا ملابس نسائية يبدوا أكثر إثارة وجاذبية لكنهم ليسوا بمتحولين جنسياً. وعندما يكون الجنس البيولوجي مطابق وملائم للهوية الجندرية عند المتحول جنسياً فإنه يمارس دوره الجندري الجديد بكل ثقة وكبرياء. من اجل تمحيص ما تقدم ولكي أجول طرداً معه أذكر الخلاصة التالية عنه: هناك المتحول جنسياً عبر عملية جراحية للأعضاء الجنسية وهناك الفرد الذي تتداخل هذه صفات الانثى والذكر في نفس الوقت أي خنثى وهناك المنحرف جنسياً. إذن هناك ثلاثة أنواع من الجنس وهي الذكر والانثى وهي حالة طبيعية، والمتحول جنسياً عبر عملية جراحية للأعضاء التناسلية وهناك الحامل للصفات الأنثوية والذكورية معاً. ونفهم مما تقدم بضرورة وجود انسجام وتطابق السلوك الذكري مع جنس الذكر وتمائل السلوك الانثوي مع جنس الانثى لكي يطرح هذا الانسجام الذي يبعث على التصرف بثقة في النفس معبراً عن جنسه ونوع هويته الجنسية (الجندرية) وغير ذلك، أعني عندما يكون جنسه البيولوجي ذكراً ويحمل صفات انثوية كالتخنت والتميع ورخامة الصوت والحركات المثيرة فإنه لا تكن ثقته بنفسه معبرة عن كونه ذكر وذلك راجع الى عدم تطابق وتمائل سلوكه التعبيري مع جنسه البيولوجي.

## 7 / ب - التوجهات الاجتماعية للجنس

هذه التوجهات تعبر عن المفاضلة الجنسية والميل اليها. إذ هناك نوع يُعرف بالميل نحو حب الجنس الآخر يطلق عليه Heterosexual وآخر يميل نحو حب نفس الجنس يطلق عليه Homosexual هذا ما هو معروف وسائد في الثقافات الغربية. لكن هذا الميل للحب الجنسي لا يكون مقررأ أو محددأ من قبل نوع الجنس البيولوجي (ذكر أو أنثى) فمثلاً محب للجنس الاخر يُعبر عن الانجذاب الشهواني

لا لجنسه بل للجنس الثاني (بمعنى حب الذكر للأنثى وحب الأنثى للذكر) والمحب لنفس الجنس يكون مشتبهى لممارسة الجنس مع نفس الجنس (بمعنى شهوة الذكر للذكر ويسمى gay وشهوة الانثى للأنثى تسمى lesbian. وهناك أفراد يفضلون في شهوتهم الجنسية كلا الجنسين يطلق عليهم بالخنثى Bisexual خنثوي – ثنائي – لأنه يستجيب لكلا الجنسين في شهوته الجنسية.

صفوة القول، إن ميول الأفراد الشهوانية في إشباع جنسهم واحدة ولهم نفس القدرة في التمتع الجنسي، إنما هناك تباين كبير في اشباعهم لأنها تخضع للتنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي ومدى انسجام الهوية الجندرية مع الجنس البيولوجي وبالذات وفقاً لتنشئتهم حسب ما هو سائد وطاغي لأدوار الجندر. بتوضيح أكثر، تخضع شهوة الفرد الجنسية بشكل كبير الى المؤثرات الاجتماعية الممارسة على تفاعلاته مع الآخرين وتنشئته الأسرية والرفقية ومحددات صفات الرجولة والأنوثة التي تحددها ثقافة المجتمع في ممارسة دورها أو دوره. بمعنى سواء كان الفرد محباً للجنس الآخر أو لجنسه أو لكلاهما فإنه يخضع للعديد من المؤثرات الاجتماعية وليس لنوع جنسه البيولوجي (أنثى أو ذكر).

لإيلاء اهتمام وعناية أكثر في خوض موضوع التنشئة الاجتماعية وما تصغه من صياغات جندرية (ذكورية وانثوية) لكي تساعدنا على الاطلاع ومعرفة لماذا يفضل المحب المثلي ممارسة شهوته الجنسية مع نفس جنسه (أي الذكر مع الذكر والانثى مع الانثى) وتتناسب مع معايير الثقافة الاجتماعية فيما يخص الذكورية المسترجلة المتسمة بالخشونة سلفاً والعضلية والأنوثة النسوية الرقيقة والناعمة المحددة سلفاً. ولأجل تمحيص ما ذكرناه انفاً نقول بان التماثل الجندري يخضع بشكل كبير للتبدلات التي تحصل عبر الزمن. بمعنى انه ليس بثابت ومستقر لا يتغير ولا يتطور في خواصه الأنثوية أو الذكورية. فمثلاً نذكر ما كانت عليه التوجيهات الجنسية في أواسط القرن التاسع عشر في المجتمع الغربي. إذ كان الدور الذكوري العضلي مقترناً مع عمله الوظيفي الذي كان يتضمن الاعمال الإدارية والتعليم في المدارس الابتدائية وليس للإناث إلا ان هذا التوجه لم يستمر على وضعه الان بل يتبدل فأصبحت هذه الاعمال (السكرتارية والتعليم الابتدائي والاعمال الكتابية) تدار من قبل الانثى أي ان دورها الجندري أصبح يقوم بما لم تكن تقوم به قبل قرنين من الزمن وذلك راجع الى احتياجات المجتمع لها وليس لمجاملتها أو لمحابتها وبفضل المؤثرات العلمية والثقافية والإعلامية. والحالة ذاتها في المجتمع العربي إذ باتت العربية تقوم بالاعمال القضائية والعلمية والتربوية

والهندسية والطبية بعدما كانت قبل قرن من الزمن مقتصرة على الرجال فقط ونشهد الان التغيير الحاصل في التوجيهات الجندرية الحاصلة في المجتمع السعودي بالنسبة للمرأة التي سمح لها سيطرة السيارة واستلام مناصب تجارية وقيادية وتربوية وطبية بعدما كانت مقتصرة على الرجال فقط. بتعبير آخر، إن دور المرأة العربية الجندري قد تطور قلم يبقّى محافظاً على دوره القديم المنحصر في الشؤون المنزلية وتربية الأبناء. يحسن بنا ان نشير الى ان يوم 2018/10/10 يوم تاريخي في السعودية بعد أن أصدر الملك سلمان بن عبد العزيز امراً سامياً بالسماح بإصدار رخص قيادة للسيارات للنساء في السعودية واعتماد تطبيق احكام نظام المرور ولائحته التنفيذية بما فيها اصدار رخص القيادة على الذكور والإناث على حد سواء. هذا القرار أسعد كثيراً من النساء فذلك الرجال. التقت مجلة (سيدتي) من النساء للتعرف على خططهنّ وماذا أعددنّ للانطلاق في الموعد المحدد لهنّ وهل سيقدنّ السيارة فور تطبيق القرار أم انهنّ سينتظرنّ قليلاً؟ سارا ويارا طاهر طالبتان في المرحلة الثانوية تنتظران هذا اليوم بفارغ الصبر، بالفعل هو يوم مرتقب وتاريخي للمرأة السعودية ستكون بإذن الله من أوائل النساء في قيادة السيارة وهناك زوج لولوا يحيى، فهد يحيى يقول لا مانع من أن تكون زوجتي لولو من أوائل السائقات. أما أمينة أبو الحسن فنقول انا متشوقة ومتحمسة جداً لقيادة السيارة في السعودية وكذلك الانطلاق فوراً، انتظر ساعة الصفر بفارغ الصبر. [مجلة سيدتي عدد 1938 بتاريخ 2018/4/28] يوضح هذا الأمر السامي الصادر من الملك سلمان بتوجيه رسمي من الحكومة لكي يسمح للمرأة السعودية أن تسوق السيارة بعد ان كانت غير مسموح لها مطلقاً وهذا يعني ان التوجيهات الرسمية أو الثقافة تقدر أت تغييره وتعديل صفات الجندر ولا تبقى ثابتة وجامدة.

أقول حصل تبدل في مفهوم الأنوثة الرقيقة والناعمة ومفهوم الرجولة الذكورية والخشنة في مجال الوظائف والاعمال التي لم تبق مقتصرة على العضلات والقوة والخشونة بل التحصيل العلمي والذكاء والدقة في العمل. كل ذلك أدى الى تغيير في الأدوار الجندرية سواء كانت في الثقافة الغربية أو العربية إنما الفارق بينهما بالدرجة لا بالنوع.

في الواقع ما يصيب الجنس البشري من مؤثرات واختلافات يصيب التوجيهات الجنسية ايضاً. إلا ان الاختلافات الحاصلة بين الهوية الجندرية (الذكورية والأنثوية) والتوجيهات الجنسية لا تكن واضحة بل مضببه نوعاً ما وذلك لأنهما يمثلان المفاهيم الإجرائية وليست النظرية، أعني مفاهيم ميدانية تختلف باختلاف الثقافات والتطورات الزمنية مثل مفهوم المثقف والنفوذ والطبقة والتحيز والاعتبار

الاجتماعي بينما المفاهيم النظرية فهي شبه ثابتة وعامة وشاملة في اغلب المجتمعات مثل مفهوم البناء والنسق والدور والمكانة والأسرة وسواها. فالمتحول جنسياً Transgender يوصف على انه غير متماثل مع المحددات الثقافية التقليدية الخاصة بأدوار الجندر المقترنة مع نوع جنسهم لكنهم (المتحولين) يتماثلوا مع المثليين Homosexual أي يروا أنفسهم على انهم مثليين محبين لممارسة الجنس مع مثلهم من الذكور أو اناثاً.

لا جرم من الإشارة في هذا السياق الى حالة تاريخية قديمة كانت سائدة في المجتمع الاغريقي القديم أبان الإمبراطورية اليونانية حيث كان مجتمعهم يتقبل المثليين والغير محبين لنفس الجنس Heterosexuals إذ يعدوهم ممثليين لعلاقات طبيعية غير منحرفة. بمعنى أنهم لا يفرقون بين النوعين باستثناء بعض الايحاءات الأدبية. ليس هذا فحسب بل كان هذا المجتمع يرى مفاضلة الرجل للذكر أو للأنثى يرجع الى ذوق ورغبة الفرد الاغريقي في استمتاعه بنوع معين دون الاخر. وكان يصنف الرجال طبقاً لمفاضلة الجندر في تفاعله مع الجنس الاخر فالرجل الذي يلاحق الذكر من اجل الاستمتاع جنسياً مع لا يرى نفسه بأنه مختلف عن الأخر الذي يلاحق البنت ولا يرى نفسه بأنه منحرف جنسياً أو اجتماعياً. هذه الحالة كانت سائدة وشائعة عندهم ليس هذا فحسب بل عندما يريد الرجل أن يتحول في متعته الجنسية من الصبي الى البنت بعد ان مضلا وقتاً ممتعاً في حبه له هو شيء طبيعي لا انحراف فيه.

في الواقع بالنسبة للجندر الاغريقي وهويته كانت قائمة وسائدة إلا ان التوجيه الجنسي لم يكن موجوداً آنذاك لأن العديد من ذكور الاغريق يصفون المفاضلة الجنسية بأنها متنقلة بين أدوار الجندر بطرق متناسبة مع مفاضلتهم الجنسية ونمط عيشهم آنذاك. أقول ان الرجولة والأنوثة كانت موجودة في المجتمع الاغريقي إلا ان التوجيه الجنسي من قبل الثقافة الاجتماعية لم تكن موجودة أي انها لا تفرق بينهم لأنها ترى المساواة بينهما لذلك لا ترى ضيراً في تغير متعة الرجل الجنسية مع الصبي أو مع الفتاة لأن كلاهما متساويين في مكانتهم الاجتماعية. فما يمتع المرأة يمتع الرجل وما يمتع الأخير يمتع الأول. بمعنى عدم وجود فواصل ثقافية واجتماعية بين الجنسين البيولوجيين. باختصار شديد إن هوية الأنوثة والرجولة موجودة إلا ان الاختلافات البيولوجية قائمة وان تنقل الرجل بين الانثى والذكر حالة تخضع للذوق الفردي والرغبة الشخصية ليس إلا. وهذا يحصل في المجتمعات المترفة والمرفهة والمتمدنة والمتحضرة وهذا ما كان عليه المجتمع الاغريقي أبان امبراطوريته. والحالة مشابهة في المجتمعات الرأسمالية الغربية المعاصرة

والمرفهة والمترفة والمتمدنة التي ترى التمتع الجنسي مع نفس الجنس يمثل متعة فردية ورغبة مزاجية وذوقية لا تعارضها الثقافة المادية فلم تبقى مكانة للرجولة والأنوثة في العلاقات الجنسية في مثل هذه المجتمعات. [ Foucault Michael. ]  
[1990. P. 221

### 7 / ت - واقع النوع الثالث من الجندر في بعض مجتمعات العالم

قبل البدء بشرح هذا النوع من الجندر نوضح الاختلاف الجوهرى بين المحول جنسياً - بيولوجياً والمتحول جندياً - اجتماعياً فالأول هو من خلال عملية جراحية لأعضائه التناسلية أما المتحول جندياً هو من اكتسب دوراً اجتماعياً مخالفاً لجنسه البيولوجي. يطلق على هذا النوع من المتحولين مصطلح (جندر من النوع الثالث Third gender). من جملة الأمثلة عليه ففي سلطنة عُمان يطلق على هذا النوع من المتحول جندياً اسم (خنيث) الذي يكون في الأصل البيولوجي ذكراً يعمل كباغي في ممارسة اللواط إضافة الى عمله في الخدمات المنزلية ويحمل اسماً ذكرياً ويلبس ملابس مميزة وقصة شعر خاصة لا تشبه ملابس وقصة شعر الذكور والاناث الأسوياء في السلطنة. فالمخنث في السلطنة ليس برجل لأنه لا يستطيع ان يتفاعل مع النساء (جنسياً) وهو ليس بامرأة لأنه غير محجب بوضع حجاب على وجهه مثل المرأة العمانية.

أما في تاهيتي، فالمحول جندياً يطلق عليه اسم (ماهوس تاهيتي) وهو في الأصل من الصبية الذكور الصغار ممن تبني دوراً جندياً انثوياً منذ نعومة اظفاره أي منذ صغر سنه ووجد عملاً نسوياً تقوم به النسوة. أما مكانته فهي مكتسبة وليست موروثية ويمارس العلاقات الجنسية مع الذين يمارسون الجنس لكن ليس مع الماهوس إذ انه يفضل الجنس مع نوع آخر أي من الذكور والمجتمع التاهيتي يقبلهم كأعضاء فيه.

ننتقل بعد ذلك الى المجتمع الهندي لمعرفة واقع النوع الثالث من الجندر الذين هم من الرجال ممن يرتدون ملابس نسائية يتم استدعائهم في المناسبات الخاصة بالولادات الجديدة للوليد الجديد في احياء احتفال طقسي بهذه المناسبة العائلية. يطلق على هذا الرجل اسم (هجراس). جدير بذكره في هذا السياق أن معظم الهجراس يكونوا من المخصيين أي الذين تمت إزالة خصيتهم إلا انهم ليسوا بلواطين شاذين لأنهم يروا أنفسهم بأنهم من الاناث لذا يفضلون مضاجعة الجنس الاخر أي من الرجال كشرىك حياة لهم. عموماً هم يلبسون ملابس نسائية كالنساء ويمثلوا ثقافة فرعية منعزلة. اما وضعهم في الريف الهندي فهم يمارسوا عملهم الجنسي وهويتهم الجندرية بكل حرية دون فصل واهتمام مثير من قبل الناس، بذات الوقت

فالهجراس صور ورموز اجتماعية متناقضة في المجتمع الهندي إذ هناك من يسخر ويستهزأ بهم ومنهم من يرى أنهم يمثلوا قيمة محترمة لأنه لديهم دور جندي مشروع وان وظيفتهم التي يقومون بها عند ولادة الأطفال مقدسة وغير مرفوضة معبرة عن إيجابية اجتماعية مرغوبة.

ثم هناك في اندونيسيا في جزيرة سولايسي خمس هويات للجنس عن الأثنية (البوجية) وهي من المسلمين. إذ هناك الرجال والنساء إضافة الى (كالالاي من الاناث الذين يمارسون ادواراً ذكورية ويلبسون ملابس رجالية) ثم هناك (كالاباي من الذكور الذين يمارسون ادواراً انثوية ويلبسون ملابس نسائية) وهناك (بايو من المتحولين جندياً ويملكون ويمنحون المتعة والسعادة للآخرين) كل ذلك يحصل وهي مخالفة للتعاليم الإسلامية إلا انها متسامح معها ومقبولة من قبل المجتمع البوجي. جدير بذكره انه لا توجد عبارة للجنس في لغة البوجي. وبالنسبة للبوجيين فإن الجنس تُفهم من قبل مدركاتهم المختلفة حول الجنس على الصعيد البيولوجي والذهني حيث هذه المدركات مهمة جداً لتفهم ثقافة وحرية جميع البوجيين.

وإذا انتقلنا الى قرنين من الزمن لمعرفة حقيقة الجنس عن الأصليين من أمريكا فإننا نجد دور (بيرداجي) موجود عندهم ومألوف لا يُعبر عن الأدوار الجنسانية التقليدية. ففي قبيلتهم هناك الوسيط الذي يتوسط بين الرجل والمرأة وبين العالم الواقعي والروحي يتصرف بعيداً عن شروط وحدود أدوار الجنس التقليدية ويمتلك نوعين من الأرواح. جدير بذكره في هذا السياق الى ان كل من الهجراس والخنثى والماهوس والبرداجي والأنواع الثلاثة عند جنس البوجي هي أدوار مقترنة مع الاستحسان والرضى والفخر والاعتزاز أكثر من السخرية والازدراء والسفالة والفجور. جميعهم يمثلوا مزدوجي الجنس (مزدوجي الجنس الذكورية والأنثوية) أنهم متحولين جندياً على الرغم من انتهاكهم ومخالفتهم لأسس ازدواج الهوية الجنسية إلا انهم يوضحوا بجلاء عن قوة تأثير الثقافة الاجتماعية على الهوية الجنسانية والتوجهات الجنسية البيولوجية. [Lindsey. 2011. Pp. 35 – 36]

ومن أجل تمييز هذا الموضوع ومن باب الإغناء والإفاضة والتوسع العميق نقدم أمثلة وصور اجتماعية تاريخية سادت ثم بادت في مجتمعات العالم القديم مثل (المخصيين) هذا النوع من الجنس الثالث كان مألوفاً في الإمبراطورية الاثورية حوالي 850 حتى 622 سنة قبل الميلاد كذلك في الصين واليونان القديمة وروما وبيزنطة والامبراطورية العثمانية (تركيا) والهند وجنوب اسيا مع وجود اخصاء ديني وفني خاص بالمطربين. الخصي Eunuch رجل يتم استئصال خصيته في وقت مبكر من عمره يُستخدم كخادم أو عبد من أجل جعله أكثر أماناً من موظفي

الديوان الملكي ليكون إذن الحاكم أو السلطان أو الخليفة ويتمتع بثقة عالية وأقل رغبة في إقامة سلالة ويكون حارساً للحريم.

هذه مجرد مقدمة تعريفية عن المخصي باعتباره نموذج آخر عن الجنس الثالث والجندر الثالث، حيث يكون ذكراً تم استئصال اعضاءه التناسلية ليقوم بإعمال حريمية يمارس أدوار غير رجولية - ذكورية ولا يكون موصوماً بوصمة مخزية أو محتقرة من قبل النخبة الحاكمة والطبقة الميسورة، فهو اذن نتاج اجتماعي طبقي تحكمي لصبية لا قرار لهم في اخصائهم بل يتاجر بهم. أنها جريمة أخلاقية لا إنسانية ضد الصبية الفقراء لتحويلهم الى الجنس الثالث وبالذات في الامبراطوريات العظمى والحكومات القوية والمتنفذة والغنية. إنها ممارسات استغلالية لعناصر بشرية ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ولا تمثل وزناً اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً. وللتوضيح أكثر عن هذه الظاهرة الاجتماعية الا إنسانية نقدم ما يلي:

**الخصيان** أو **السكوبتسي** هي طائفة سرية انتشرت في الإمبراطورية الروسية. اشتهر الخصيان بممارساتهم الإخصاء للرجال واستئصال للنساء وفقاً لتعاليمهم الراضة للشهوة الجنسية. نشأت الطائفة كامتداد لطائفة معروفة باسم "شعب الله" التي أشير لها لأول مرة في أواخر القرن 18. تم اضطهاد الخصيان من قبل الحكومة الإمبراطورية ومن ثم من قبل الإتحاد السوفيتي، وحصل لهم نمو كبير قبل أن يتلاشون في الغموض في منتصف القرن العشرين.

الخصيان هي صيغة جمع من جمع "خصي" وأصل الكلمة باللغة الروسية هو "skopets" وتعني "الإنسان المخصي". وكما يشير الاسم فإن السمة الأساسية للطائفة هي الإخصاء. لديهم اعتقاد بأنه بعد طرد آدم وحواء من جنة عدن، كان لديهم النصف المتبقي من الفاكهة المحرمة والتي غرست في أجسادهم مكونه كلاً الخصيتين والثديين. لهذا، فإنه عند إزالة هذه الأعضاء الجنسية فإن المخصي يعود بعد ذلك إلى حالة الصفاء والنقاء إلى ما قبل الخطيئة الأصلية. يعتقد الخصيان أنهم عندما يقومون بذلك فإنهم يوفون إلى المسيح تمام الإيفاء حسب ما ورد في انجيل متي 19:12 و 18:8,9 .

هناك نوعين من الإخصاء: ختم أصغر وختم أكبر (أي إخصاء جزئي وإخصاء كامل). بالنسبة للرجال، فالختم الأصغر يعني إزالة الخصيتين فقط، بينما في الختم الأكبر يتم إزالة كلاً من الخصيتين والقضيب. الرجال الذين قاموا بالختم الأكبر يستخدمون قرن البقر عند عملية التبول. يتم إجراء الإخصاء باستخدام وسائل بداية مثل موس الحلاقة ولا يتم استخدام أي مواد مخدرة أثناء العملية.



أول عملية إخصاء لأنثى تعود لعام 1815. يتم في العادة إزالة الثديين، ووفقاً لموسوعة 1911، فإن بعض الروايات تشير إلا انه يتم إزالة شفرات المهبلين، مما يجعل العملية شكل من أشكال ختان الإناث.

يعتقد الخصيان أن الشر الرئيس في هذا العالم يكمن في (الجمال الجسدي، سلوك الإنسان الجنسي، الرغبة الجنسية، الخ) والذي بدوره يمنع البشر من التواصل مع الله. الطريق إلى الكمال يبدأ باستئصال السبب ومن ثم تحرير الروح. يضمن الإخصاء أنه لا سبيل إلى ارتكاب أي من الذنوب التي تسببها الرغبة الجنسية.

### تاريخ الإخصاء

تم اكتشاف الخصيان لأول مرة من قبل السلطات الروسية المدنية عام 1771 في منطقة أوريول. أدين فلاح روسي اسمه أندريه إيفانوف بإقناع ثلاثة عشر فلاحاً بأن يقوموا بإخصاء أنفسهم. وقام بمساعدته فلاح آخر اسمه كوندراتي سيليفانوف. أجري تحقيق على إثر تلك الأحداث. تم اعتقال إيفانوف وإرساله إلى سيبيريا. بينما هرب سيليفانوف، لكن تم القبض عليه في عام 1775.

انتشر مذهب الخصيان مع هروب سيليفانوف من سيبيريا وإدعائه أنه المتجسد في شخص المرحوم بيتر الثالث الروسي. ادعى سيليفانوف أيضاً أنه "ملك الملوك وإله الآلهة"، وأعلن أن مهمته هي تخليص المؤمنين من خلال عملية الإخصاء.

لمدة ثمانية عشر عاماً عاش سيليفانوف في سانت بطرسبرغ، في بيت أحد تلاميذه، وتلقى ولاءً مضاعفاً كذلك الذي يحصل عليه المسيح والقيصر. في عام 1797، تم اعتقاله مجدداً بأوامر القيصر بافل الأول وأودع في مستشفى المجانين. وتم الإفراج عليه تحت حكم ألكسندر الأول، ولكنه ما لبث أن ألقى القبض عليه مجدداً عام 1820 ولكن هذه المرة أودع في دير سوزدال، حيث توفي هناك عام 1832 عن عمر يناهز المائة عام. لم يتم القضاء على مذهب الإخصاء على الرغم من جميع التحقيقات الغاضبة التي قام بها القسم الثالث في المستشارية (الشرطة السرية للقيصر) واستمرت الشائعات في الازدهار.

لم تقتصر الطائفة على طبقة الفلاحين فقط. فقد كان من ضمنهم أتباعها النبلاء، الضباط العسكريين والبحريين، موظفو الخدمة المدنية، الكهنة والتجار، وكانت أعدادهم في تزايد مستمر حتى انه تم نقل 515 من الذكور و240 من الإناث ممن ينتمون إلى الجماعة إلى سيبيريا كعقاب بين عامي 1847 و1866 ولم يؤثر ذلك بأي شكل من الأشكال على وجود الجماعة. في عام 1874 كان تعداد الجماعة

حوالي 5444، منهم 1465 من الإناث. من هؤلاء كان هنالك 703 من الرجال و100 من النساء ممن أشترك في أعمال تشويه جسديه. مورس ضد الخصيان العديد من الممارسات القمعية إلى جانب السخرية منهم. حيث كان يتم إلباس الذكر منهم ملابس أنثى ويُطاف بهم حول القرية وهم يرتدون قبعات الحمقى. في عام 1876، تم ترحيل 130 شخص منهم. وللهرب من تلك الأوضاع، قرر العديد منهم الهجرة إلى رومانيا حيث أختلط العديد منهم مع المؤمنين القدامى الذين تم نفيهم من قبل والذين يعرفون باسم لييوفانز. يقول الكاتب الروماني المعروف أيون لوكا كاراجياله انه في أواخر القرن التاسع عشر، كان أغلب من يقودون عربات الأحصنة المعدة للأجرة في بوخارست هم من الخصيان (الروس) يطلق عليهم Scopiți باللغة الرومانية. (مع أن القانون الروسي كان صارماً تجاههم، حيث كان يجب على كل خصي ان يسجل نفسه، إلا ان ذلك لم يؤثر على شعبية المذهب.

بدأ الخصيان يعرفون باسم المرابين وكان هناك مصطبة في سانت بطرسبرغ معروفة باسم "مصطبة الخصيان".

أصبح أتباع هذا المذهب ما يقارب من 100,000 تابع في مطلع القرن العشرين، على الرغم من جميع انواع القمع والمحاكمات التي تتعرض له اتباع الطائفة بفضل المزيد من الضغوط التي مورست ضدهم وبفضل مشروع الزراعة الجماعية في إطار الاتحاد السوفيتي، أمكن تخفيض أعداد أتباع الجماعة ليصلوا إلى بضعة الاف في عام 1929، ويعتقد ان الطائفة لقيت حتفها تقريباً في أيامنا هذه.

### ممارسات ومعتقدات أخرى

طائفة الخصيان لا تدين مبدأ الزواج تماماً، حيث سمح لبعض أعضائها ان يكون لديهم ولد واحد، وأولئك الذين في بوخارست سمح لهم بولدين، وذلك قبل انضمامهم للجماعة بشكل كلي. الجماعة لم تكن متشائمة، كما لم يكن لديها رغبة في الوصول إلى نهاية الجنس البشري، بل كانت تهدف إلى الوصول بالفرد إلى درجة الكمال. طقوسهم الدينية تشمل الغناء، الرقص المحموم الذي يفضي إلى النشوة، كذلك الذي يقوم به المولوية الصوفية. يطلب من جميع الأعضاء المنتمين إلى الجماعة القيام بأداء قسم سري صارم، ومن ثم يشكل هؤلاء الأعضاء ما يعرف بالجمعية تعاونية تبادلية.

يتم عقد الاجتماعات الخاصة بالطائفة في وقت متأخر من الليل داخل أقبية، وتستمر هذه الاجتماعات حتى الفجر. يرتدي الرجال في هذه الاجتماعات قمصان بيضاء

طويلة وواسعه ومقصوصة بشكل معين مع حزام وسراويل بيضاء كبيرة. ترتدي النساء أيضاً ملابس بيضاء. يرتدي جميع الحضور جوارب بيضاء ومن لم يستطع منهم فإن يأتي حافي القدمين. يشيرون إلى أنفسهم باسم "الحمام الأبيض".

يؤمن الخصيان بالسيد المسيح والذي بدوره سيقوم بتأسيس إمبراطورية من القديسين، أي الأنقياء. كما يؤمن الخصيان بأن المسيح لن يأتي إلا عندما يصبح أتباع المذهب [144,000 رؤيا يوحنا، 14:1] حيث قاموا بتوحيد جميع جهوداتهم للوصول إلى هذا العدد. في عام 1911، كان هناك ميل لدى بعض أفراد الجماعة إلى انه يمكن الإيفاء بتعاليم عقيدتهم من خلال العفة والعيش الانفرادي المعزول.

[https://ar.wikipedia.org]

"الخصيان" أو "المخصيين" لمن لا يعرفهم هم فئة من الرجال منقطعو النسل.. إما لأنهم ولدوا من دون أعضاء تناسلية أو أعضاء معطلة، أو ممن اخضعوا إلى عملية خصاء متعمد لتعطيل طاقتهم الجنسية بهدف العمل داخل قصور السلاطين والتجّار ورجال الدولة.

وعلى مستوى كل الشعوب والحضارات يخدم جزء من "المخصيين" - كما كان في عهد الخلافة - في دواوين الرجال، ويخدم آخرون في (الحراميك) - أي قصور الحريم - ويماتل هؤلاء (الآغوات) الذين يوكل إليهم حراسة ومراقبة الحرمين الشريفين وبيت المقدس، ويؤدون عملاً خاصاً لا يستطيع تأديته غيرهم، ومنها فرز الرجال عن النساء في الطواف والمسعى وعند إقامة الصلاة.

### تاريخ الخصي

يعود تاريخ "الخصي" للإنسان بعرقه الأبيض والأسود إلى العصور القديمة جداً، وعلى مستوى كل الحضارات منذ العصور البيزنطية والـآغريقية، بل العصر الفارسي والبابلي، ويعتقد أن الفراعنة هم أول من استخدم "الخصيان" للخدمة في قصورهم، ويقال إن (يزيد بن معاوية) أول من استخدمهم في قصره، واتخذ منهم حاجباً لديوانه اسمه "فتح".

"آغوات الحرمين" توارثوا المهنة ولهم تقاليدهم وأوقافهم الخاصة بعضهم متزوج على قاعدة "أملكك عليك مكحلة بدون مرود"!!...

أما في أوروبا فكان تجار الرق يبتاعون الأسرى من جهات ألمانيا عند ضفاف الراين والألب، وأماكن أخرى، وكلهم بيض البشرة على جانب كبير من الجمال ذكوراً وإناثاً، ثم ينقلون إلى إسبانيا (الأندلس)، فكان المسلمون يشترون الذكور للخدمة في القصور والإناث للتسري، ولما تحولت إلى تجارة مربحة عمد تجار

الرقيق وأكثرهم من اليهود إلى خصاء كثيراً من هؤلاء الأرقاء، وبيعهم بأثمان غالية، فراجت تلك البضاعة وكثر المشتغلون بها، وأنشأوا ما كان يعرف بـ "معامل الخصيان" في أوروبا، وتحديداً في (فردون) بمقاطعة (اللورين) بفرنسا.

### خصي المطربين!

وفي إيطاليا كانوا يعمدون إلى خصي المطربين والفنانين لصقل وتحسين وترفيه أصواتهم عندما يتحول بين صوت الانوثة والذكور، وحتى لا تُفتن بهم النساء، فينشغلوا عن الطرب. ويُذكر أنّ أحد خلفاء بني أمية في القرن السابع -كما ذكر الـاصفهانى- أمر والي المدينة بـ "إحصاء المختنّين" من المطربين؛ فرأى الوالي نقطة على الحاء تركتها ذبابة لتتحول الكلمة إلى "إحصاء" بدلاً من إحصاء، فأمر الخليفة بإحصائهم جميعاً، وكان "الدّلال" - وهو من أشهر مطربي المدينة وأكثرهم ظرافة وجمالاً وحسن بيان - ضمن قائمة المخصّيين.

### طريقة الخصي

في عصر الدولة الإسلامية وعلى أثر فتوى شرعية تحرّم الخصي، وتبيح استخدام المخصّيين إذا قام غير المسلمين بخصيهم، حيث كان يتم ارسالهم إلى مصر لخصيهم من الأقباط، وكانت عملية الخصي تجري غالباً في مدينتي (جرجا وأسيوط) في مصر، ويقوم عليها جماعة من المسيحيين، ويختارون هؤلاء الضحايا من بين صغار السن الذين تراوح اعمارهم بين ثلاث وتسع سنوات، ممن تأتي بهم قوافل الجلابة من مختلف البقاع، ثم تتم عملية الجب عادة في فصل الخريف لاعتبارات صحية، ولا يكتفي القائمون بها على بتر عضو التذكير وحده، بل يبترون بالموس جميع الأجزاء البارزة المرتبطة به، ثم يصبون في الحال على مكان البتر الزيت المغلي، ويتبعونه بإلقاء مسحوق الحناء، ويثبتون أنبوباً في الجزء الباقي من مجرى البول، ثم يدفنون الضحية في الأرض إلى ما فوق بطنه، وبعد أن يتركوه في هذه الحالة يوماً إلى يومين يستخرجونه من التراب، ويدهنون مكان الجرح بعجينة من الطين الإبليز والزيت.

### كافور الاخشيدي

ولما كان "الخصيان" يشكلون حلقات الوصل بين قصور النساء وقصر الملك، وينقلون الأسرار من وإلى النساء، فإنهم بهذه الطريقة اكتسبوا معلومات هائلة عن القصر وما يدور خلف الجدران، خولتهم لتبوء أرفع المناصب سواء في القصر أو خارجه، ومنها مناصب قيادية مثل الرحالة الصيني المسلم (تشنغ) الذي قاد اسطولاً صينياً حتى سواحل افريقيا، ولا زالت الصين تخلد ذكرى رحلته عام 1405م، ومن هؤلاء العلماء والشعراء والعباقرة وأصحاب المواهب الخارقة.

وهناك من "الخصيان" من وصل الى سدة الحكم مثل كافور الاخشيدي الذي استعبد من النوبة، ثم علمه ودرّسه وأكسبه كل علوم السياسة وفنون الحرب والي مصر آنذاك (الاخشيدي) قبل أن يعينه مريباً لأولاده، إلا أن "كافور" صرف الأبناء عن الحكم بالملاهي والملذات بعد موت والدهم، ليظفر بالحكم، ثم قاد حروباً شرسة وصل بها إلى حلب في سوريا، وكانت له قصة مخلدة مع الشاعر المتنبي بعدما خذله كافور الذي وعده بالعطايا والهبات، فهجاه أبو الطيب المتنبي بواحدة من أشهر قصائد الهجاء في التاريخ التي طافت ارجاء المعمورة ولا تزال تحفظ وتردد حتى يومنا هذا، ونورد بعض ما جاء فيها (غير مرتبة):

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عَيْدُ  
بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ  
أَمَّا الْأَحْبَةُ فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ  
فَلَيْتَ دُونَكَ بِيَدًا دُونَهَا بِيَدُ  
أَكُلَّمَا اغْتَالَ (...) السَّوِّءِ سَيِّدَهُ  
أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ  
صَارَ الْخَصِيَّ إِمَامَ الْأَبْقَيْنِ بِهَا  
فَالْحُرَّ مُسْتَعْبَدٌ وَ (...) مَعْبُودُ  
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً  
أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيِّدُ  
أَمْ أَدْنُهُ فِي يَدِ النَّخَاسِ دَامِيَّةً  
أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفُلْسَيْنِ مَرْدُودُ  
أُولَى اللَّئَامِ كُؤَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ  
فِي كُلِّ لَوْمٍ، وَبَعْضُ الْعُذْرِ تَفْنِيدُ  
وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً  
عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخِصِيَّةُ السَّوْدُ؟

### أغوات الحرمين

يمائل هؤلاء كما أشرنا (الأغوات) الذين يعملون في خدمة الحرمين الشريفين، وتوارثوا هذه المهنة منذ مئات السنين، وكلمة (أغا)، لقب تشريفي استعمل في اللغة الكردية والتركية والفارسية، ويطلق على الرؤساء والشيوخ وعلية القوم، وينسب إلى معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - انه أول من استخدمهم لخدمة الكعبة، وإن كان هناك رواية أخرى أن أبا جعفر المنصور هو أول من فعل ذلك.

وذكرهم المستشرق الانجليزي "بيركهارت" إبان مكوثه في مكة والمدينة عام 1814م، عندما وجد زعيم "الخصيان" هو شيخ الحرم وزعيم المسجد والشخص الرئيس في المدينة، وقد أرسل منفيًا كنوع من العقاب من الخليفة (سليم) بعد أن كان مشرفاً على نساء الخليفة - إحدى الوظائف الأولى في البلاط - وذكر أن "الخصيان" في الحرم يرتدون زياً خاصاً، ومنها الأثواب المقصبة والقاووق القسطنطيني يمارسون مهام الشرطة في الحرم ويمنعون الإخلال بالنظام، إضافة إلى غسل الحرم، وإضاءة المصابيح وفرش السجاد، ويظهر لهم عامة الناس كل الاحترام والتقدير، خصوصاً شيخ الاغوات الذي يستوقفونه كلما رأوه لتقبيل يديه، الذي يتمتع أيضاً بشخصية مهمة، ويسمح له بالجلوس في حضرة الباشا والشريف، مشيراً إلى أن عدد "الخصيان" في الحرم كان 40 آغاً معظمهم يرسلون من النبلاء وأهل الخير هدية للحرم، مبدياً دهشته أن المرشدين منهم جميعهم متزوجون من جاريات زنجيات ويحتفظون بعدد من الخدم والجواري في منازلهم!.

### ضحايا الحرب الإيطالية

ويقول بعض أغوات الحرمين الشريفين الباقيين - وأغلبهم من الأحباش - أنهم من ضحايا الحرب الإيطالية الحبشية 1936-1948م، عندما قام الغزاة الإيطاليين أثناء غزوهم على الحبشة، وأجزاء من أفريقيا بمطاردتهم، والقبض عليهم، ومن ثم خصيهم في الاسر، وذلك بقطع أعضائهم التناسلية، وفعلوا ذلك مع الأطفال والصبيان، حيث كان خصي الأعداء تعبيراً عن الرغبة في قطع نسلهم وكبت الشعور الجنسي والعدوانية؛ ليعملوا في دور النساء دون خوف عليهن؛ ومع ذلك فهم يتزوجون بالواحدة والاثنتين والثلاث، كما هو حال أغوات مكة والمدينة، حيث يجد كثيراً منهم من تقبل به مع علمها الكامل بوضعه، ويذكر ذلك كأحد شروط عقد النكاح - حسب عرفهم - عندما يقول لها (املكت عليك مكحلة بدون مرود)، ويعني ان لديها هي المكحلة اما المرود فهو لديه الا انه معطل، والمكحلة عبوة أو زجاجة الكحل، والمرود العود الذي تكحل به العين.

### أثرياء

"الخصيان" يحظون بتقدير واحترام الجميع، كما يعدون من الاثرياء ويمتلكون أوقافاً في المدينتين المقدستين مكة والمدينة والمغرب واليمن والبصرة، ومن بينها عقارات وأبراج وفنادق خمس نجوم، ومجمعات سكنية بملايين إن لم تكن مليارات الريالات، ووفرت لهم عيشة كريمة، ووضعتهم ضمن قائمة أثرياء البلد. وفي عرف هؤلاء أن الآغاء يرث الآغاء في هذه الأوقاف، إلا إنه أرث مكاني، بمعنى أن الآغاء في المدينة المنورة لا يرث الآغاء في مكة، وينحصر نصيبه فيما

خصص لهم من أوقاف ضمن آغوات المدينة، وهم أيضاً مراتب من خلال السلم الهرمي لأسماء ووظائفهم في الحرمين يبتدئ بشيخ الأغوات، وينتهي بولد عمل، وهو الذي ينام في الحرم سبع سنوات متوالية حتى يترقى إلى مرتبة (شيخ بطال) ويستحق لقب (أغاء)، وضمن هذه الرتب (خبزي) و(نصف خبزي).

### تقاليدهم الخاصة

وهم أيضاً محميون بحصانة تخصهم وحدهم دون غيرهم من الجنس البشري - منذ عهد الخلافة - لا تجيز لأحد من السالفين أو اللاحقين أن يتدخل في شؤونهم الخاصة والعامة، وجعلتهم فئة مستقلة في نظامهم الداخلي وعاداتهم وتقاليدهم وأملاكهم وأوقافهم وفي عتقائهم.

### عاد بدون خصيان!

وكان عرب الجزيرة يعمدون إلى خصي غلمانهم الذين يعملون قرب النساء، فهناك قصة ثلاثة خرجوا من نجد لشراء طعام من العراق سرقت دراهمهم فاتفقوا مع الشخص الثالث أن يدعوا أنه مملوكا جيء به لبيعه في العراق، وباعوه بثمن يكفي لشراء طعامهم على أساس أن يتدبر أي فرصة ويهرب، لكن ما حصل أن المشتري اقتاده إلى خشبة الخصي، وقام يخصيه وتمكن بعد ذلك من الفرار لكن عندما جاء اصدقاؤه يباركون له بالسلامة قال "عدت لكم لكن بدون خصيان".

[www.alriyadh.com]

## 7 / ج - الخصيان والمرجلة في الأديان الثلاث

### الخصاء في الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى.

ظهر لفظ الخصي او الخصيان او رئيس الخصيان في الحقبة البابلية اذ وردت نصوصاً تتحدث عن الخصيان في الكتاب المقدس ومن هذه النصوص القول التالي: "ودخل كل رؤساء ملك بابل وجلسوا في الباب الاوسط ترجل شراصر، وسمجرنبو، وسرسخيم رئيس الخصيان... وكل بقية رؤساء ملك بابل"، ونص آخر جاء بالقول: قال نبوخذنصر ملك بابل... "فأرسل نبوزرادان رئيس الشرطة، ونبوشزبان رئيس الخصيان... وجميع رجال ملك بابل".

وتناولت نصوص أخرى في الكتاب المقدس كلمة: الخصيان او رئيس الخصيان، وهي تتحدث عن اليهود كالنص الاتي: "واستدعى الملك (يوشيا) جميع شيوخ يهوذا... وعزل كهنة الاصنام... الذين كانوا يحرقون الذبائح للبعل (صنم يمثل آلهة اليهود) وللشمس والقمر... وأزال الخيل التي كرسها ملوك يهوذا لعبادة الشمس، واحرق المركبات... وهذه كلها كانت عند مدخل بيت الهيكل قرب مسكن نثملك رئيس الحجاب...".

أما عند الفرس فإن طبقة الخصيان لا تقل أهمية عن غيره من الممالك والشعوب الأخرى إذ جاء في الكتاب المقدس نصوصاً تثبت أهمية تلك الطبقة إذ تناول سفر أستر عدة نصوص احتوت كلمة الخصيان أو رئيسهم مثل: "في اليوم السابع لما طاب قلب الملك (احشويرش) بالخمير امر لمهومان وبزتا وحربونا وبغتا وأبغتا وزيتار وكركس، وهم الخصيان السبعة الذين كانوا يخدمون بين يديه (الملك أحشوير) ...".

يذكر ان الرومان هم أول من ابتدع الخصاء، وبالتأكيد هذا القول غير دقيق لأن ما مر علينا من الكلام السابق يوضح ان الخصاء معنىً ومصطلحاً يرجع تأريخه إلى عصور أقدم من تاريخ الرومان.

وممن قال ان الرومان أول من قام به الجاحظ، إذ قال: "وكل خصاء في الدنيا فإنما أصله من قبل الروم، ومن العجب أنهم نصارى، وهم يدعون من الرأفة والرحمة، ورقة القلب والكبد، ما لا يدعيه أحد من جميع الأصناف... ولا جرم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخصيان، من طلب الطوائل وتذكر الاحقاد... ولم نرَ عداوة (الخصيان للنصاري) قط تجوز عداوتهم لهم".

نظر الخصيان نظرة الكره والبغضاء للرومان، إذ يعتبرونهم المسببين بخصائصهم لأنهم ابتدعوا الخصاء حسب رأيهم هذا من جانب، ومن الجانب الآخر لأنهم يمارسون ويباشرون اخصاء بأنفسهم ويوضح الجاحظ مدى بغض الخصيان للروم بالقول: "ولرجال كل فن وضرب من الناس، ضرب من النسك إذ لا بد لأمدهم من النزوع، ومن ترك طريقته الأولى: فنسك الخصي غزو الروم، لما ان كانوا هم الذين خصومهم، ولزوم اذنة والرباط بطرسوس وأشباهاها، فظن عند ذلك الذي خصومهم كانوا مغتاظين عليهم، وكانت متطلبة للتشفي منهم، فأخرج لهم حب التشفي شدة الاعتزام على قتلهم، وعلى الانفاق في كل شيء يبلغ منهم".

مارس النصاري الخصاء وتكسبوا منه، وكانت مدينة هدية في الحبشة يعتقد أهلها الديانة النصرانية وكانوا يمارسون الخصاء دون غيرهم من أهالي المناطق الحبشية الأخرى حتى القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، وفي الصعيد بمصر يوجد دياران قبطين دخلهما الأساسي مصدره الخصاء الذي يمارس بشكل كبير، حتى أنه يكفي لتمويل مصر كلها ومناطق أخرى بالخصيان، وعمل عدد من الأقباط النصاري على شراء صغار العبيد السود والاتجار بهم وخصائهم، إذ كان يموت الكثير منهم اثناء عملية الخصاء، إذ ينجو واحد من كل سبعة، إلا أن الباقي يباع بعشرين ضعفاً من ثمن شراءه، وكانت هذه العملية تقلل عدد الخصيان وترفع من أثمانهم، ففي بيزنطة فان الخصي يباع بأربعة أمثال العبد غير المخصي



(العادي)، وكان بعض الرومان يعملون على خصاء أبنائهم وهم صغاراً ويوقفوهم للخدمة في دور العبادة لجعله سادناً، إلا أنهم يحرصون على عدم الأضرار بالقضيب إذ أنهم يتعرضون للأنثيين (الخصيتين) فقط، حتى لا يستطيع أولادهم من احبال نسائهم وراهباتهم، ولكن بإمكان أولئك الأولاد المخصيين قضاء الوطر مع النساء وبلوغ اللذة إذ انهم يعتقدون أنهم يبلغون مبلغاً لا يبلغه الفحل، ووصف الجاحظ ذلك بالقول: "كأنهم يزعمون انه يستقضي جميع ما عندها (المرأة) ويستجلبه لفرط قوته على المطاولة".

والخصي الذي يوقف للعمل في دور العبادة فأن من الأعمال التي يقوم بها هو: (الغناء)، ولا يمكن للخصي أن يتدرج بالمناصب الدينية في الكنيسة اللاتينية بحسب تعليمات بابوات تلك الكنيسة، إلا أن الكنيسة الارثوذكسية فيمكن للخصي ان يقوم بعمله داخل الكنيسة كالغناء، كما يمكن أن يتدرج بالمناصب الدينية حتى يصبح قساً، ولدينا مثال على ذلك في الكنيسة الارثوذكسية فأن اثنان من الخصيان في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي، توليا منصب بطريرك كنيسة القسطنطينية الواحد بعد الآخر.

### موقف الدين الإسلامي من الخصاء.

إن الخصاء وباختصار هو عملية إذابة بيضتا الذكر في الصغر أو الكبر، ويبقى قادراً على ممارسة الجنس وإتيان النساء عاجزاً عن الإنجاب. اختلف الفقهاء والمفسرون في مشروعية الخصاء أو عدمها، فمنهم من منع الخصاء مطلقاً، وغيرهم رخص خصاء البهائم للحاجة، وتحريم خصاء غير المأكول مطلقاً وإباحة خصاء صغار المأكول دون الكبير.

اشارت العديد من الآيات القرآنية ضمناً الى مفهوم الخصاء، الامر الذي اوضحه المفسرون في تفاسيرهم للآيات القرآنية، فجاء في قوله تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"، ذكر الطبرسي ان المراد منها معنى الخصاء وقوله تعالى: "وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ"، اختلف العلماء في معنى كلمة التغيير في الآية فقالت طائفة منهم هو الخصاء، ونقل الهندي رواية أسندها إلى احد أصحاب النبي (ص) قال: "كنت جالساً مع النبي [ص] في عصابة من أصحابه فجاءت عصابة فقالوا: يا رسول الله: انا كنا قريبي عهد بالجاهلية وكنا نصيب الآثام والزنا فأذن لنا في الخصاء، فكره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مسألتهم..." ونقل المناوي حديثاً برقم (9697) يقول: "لا اخصاء في الإسلام".

وقال الرسول الأكرم (ص) ينهى عن الخصاء فقال: "لا تخصوا ما ينمي خلق الله"، كما ان الخصاء فيه من الألم البدني والنفسي ما قد يؤدي إلى هلاك الإنسان

أو جعله عالة على المجتمع، ويُعدُّ الخصاء نوع من أنواع التمثيل والإسلام نهى عن التمثيل فقال(ص): "... إن المثلة حرام ولو بالكلب العقور"، وهذا دليل على إن موقف الإسلام من الخصاء موقفاً غير مؤيد وموقف الناهي عنه، والاختصاص في الإسلام مكروه.

ووردت احكام فقهية بخصوص الخصيان والمحبوبين من بني البشر ومن هذه الأحكام: قطع ذكر الفحل بذكر الفحل الخصي الذي سلت بيضتاه وبقي ذكره، والدليل على ذلك قوله تعالى: "والجروح قصاص"، وقوله: "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" وقوله: "وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به".

### الخصيان في المجتمعات الإسلامية

تحدثنا فيما مر من صفحات البحث عن الخصاء باللغة والاصطلاح مع اهم المزايا التي يتمتع بها الخصيان والوسائل المستخدمة في إجراء عملية الخصاء، إضافة إلى تاريخ الخصاء وألويات ظهوره والقدم الموهل في التاريخ لظهور الخصاء، وفيما يتعلق بالخصاء خلال عصور الدولة العربية الإسلامية فلا بد لنا من القول أن هذه الظاهرة كانت موجودة في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، إذ إن عرب قبل الإسلام استخدموا الرقيق والعبيد السود لخدمتهم في بيوتهم وفي الأعمال المنزلية وأعمال الرعي والتجارة فكان العبيد طبقة من الطبقات المكونة لمجتمع عرب قبل الإسلام، ومن جملة هؤلاء العبيد الخصيان، الذين كثر استخدامهم في مكة قبل الإسلام استحباباً لخدمتهم وطاعتهم لأسيادهم باعتبارهم مملوكين عندهم، وفي أيام النبي الأكرم (ص) عندما كان في المدينة المنورة قد أهدى له مقوقس مصر جاريتين ومعهما خصي، والجاريتان هما مارية القبطية أم المؤمنين رضوان الله تعالى عنها، واختها سيرين وخصي اسمه مأبور الذي اختلف في كونه كان خادماً لهما، وقيل أنه أخيهما مع هدايا جزيلة أخرى، كان ذلك سنة 8هـ/629م وأسلمت مارية وأختها رضوان الله تعالى عنهما، اما مأبور فقد اعتنق الإسلام في عهد النبي (ص) بعد ان تأخر في ذلك مدة من الزمن.

وينبغي القول هنا عن النبي (ص) عندما تقبل هذه الهدايا التي بضمنها خصي لا يعني ذلك أنه يبيح او يشجع الخصاء لكن هو من باب قبول الهدية، لأن موقف الإسلام الرفض لعملية الخصاء واضح تماماً تجاه هذه الظاهرة الاجتماعية السلبية. وورث العصر النبوي الشريف ظاهرة العبيد الذين كان الخصيان ضمن مجتمع الجاهلية، ذلك المجتمع الذي اعتمد الطبقة في التقسيم الاجتماعي، وأسلم عدد من اولئك الخصيان واصبح لهم دور فاعل فيه، وتفقهوا في الدين الإسلامي وسهموا

في علومه المختلفة لاسيما علم الحديث إذ ان ابا مريم الخصي ممن اعتنق الإسلام وأدرك رسول الله (ص) وروى عنه الحديث، أما في العهد الراشدي (11-40هـ/632-660م) فقد وردت روايات تشير إلى وجود الخصيان والذين كان لهم دور في قيادة الجيوش، إذ تشير الرواية أنه في معركة اليرموك بين الروم والمسلمين كان قائد جيش الروم قد تم اخصائه ولقب بـ: (شعلاب الخصي) الذي قاد مئة ألف جندي، وخصياً آخر كان يملكه هرقل الروم يلقب بـ: (القيقلان الخصي) وفي سنة 25هـ/645م بعث هرقل الروم إلى الإسكندرية في مصر خصياً أسمه معويل وقيل منديل، يقود مراكب بحرية بيزنطية فتصدى لهم عمرو بن العاص. ولكن يبدو ان العمل الرئيسي للخصيان هو خدمة الحريم ونساء القصر عند الخلفاء وأرباب الدولة وأسيادهم، وكانوا يأتنونهم لأنهم من غير ذوي الأربة بالنساء (من غير ذوي الحاجة للنساء)، هذا يدل على مدى النفوذ الممارس من قبل الخصيان في القصور وفي الدولة، إذ أصبح لهم دور في عزل وتولية العديد من شاغلي المناصب الذين لا يعملون بمؤسسات الدولة العالية الحساسة، فأصبحوا يرفعون ويخفضون حسب القول الدارج.

والدليل على ذلك هو أن كلمة الخصي في العصور الإسلامية المبكرة لفظة مهينة فيها الكثير من نزول القدر لمن تطلق عليهم، وكلمة الخصي في بادئ الأمر تعني: الخادم، كان يطلق عليهم اسم الخصيان من باب التشهير والاستخفاف بهم، حتى أن عوام الناس كانوا يهزئون بهم دائماً ويسمعونهم ألفاظ تدل على السخرية منهم والاستخفاف بهم، وأكد ذلك المسعودي الذي ذكر إن العامة كانوا يستهزئون بهم في الشوارع ويصيحون عليهم استخفافاً ويقولون: "يا عقيق، صب ماء واطرح دقيق، يا عاق، يا طويل الساق"، إلا أنهم شيئاً فشيئاً وبحسب النفوذ الذي مورس من قبلهم داخل البلاط أطلق عليهم في العصور العباسية المتأخرة أسم: المعلم أو الشيخ، بل تجاوز الأمر أكثر من ذلك حتى أصبحوا يسمون بالطواشية ويطلق على كبيرهم وصاحب النفوذ منهم لقب: الاستاذ.

وقد اهتم القصاص بموضوع الخدم لما فيه من المواقف المضحكة والنوادر الجميلة حتى أصبح أولئك الخدم موضوعاً لأولئك والأدباء أو القاصّة، مثل تقليد حركاتهم وأصواتهم والمواقف الملفتة للنظر بالظرافة والطرافة.

## المرجلة

تناولت المعاجم اللغوية مصطلح المترجلة بمدلولات لغوية عديدة منها: المرأة المذكورة، والرجلة، والمترجلة، ولكن بنهاية المطاف يأتي التعريف اللغوي بنتيجة

واحدة، وهي: ان المرأة المترجلة هي تلك المرأة التي تحاول التشبه بالرجال من خلال الزي والهيئة والحركات والفعال، ومن التعريفات اللغوية للمترجلة، قال ابن منظور: "ترجلت المرأة: صارت كالرجل"، ويقال: "امرأة مذكرة، إذا أشبهت شمائلها الرجل لا في خلقها"، ويقال رجلة للمرأة إذا كانت متشبهة في بعض احوالها، وقيل: "... امرأة ذكرة ومذكرة ومتذكرة: متشبهة بالذكور".

ووردت كلمة المترجلة او المذكرة في المعنى الاصطلاحي بانها المرأة التي تتشبه بالرجال وتحاول الدخول الى عالمهم وممارسة فعالهم، وقال العيني: "والمترجلات أي: المتكلفت في الرجولة المتشبهات بالرجال في حمل السيف والرمح".

### موقف الشرع الإسلامي:

يعد الشرع الإسلامي الراصد والضابط والمنظم لحياة الأفراد والمجتمعات الإسلامية، ووضع ضوابط العيش التي يمكن من خلالها تنظيم حياتنا بشكل سليم، وخط الخطوط التي اذا تم تجاوزها فان ذلك التجاوز يعد في حالات معينة مسموحا ومباحا وحالات اخر مكروها وثالثة محرما وغير جائز العمل بها، لان القيام بالعمل المحرم من شأنه التأثير سلبا على المجتمع برمته ناهيك عن التأثير على الشخص المخالف للقاعدة الشرعية الموضوعة، وظاهرة الترجل واحدة من الظواهر السلبية التي تصيب المجتمعات؛ لذلك وقف الشرع الإسلامي موقفه المصحح لها والراصد والمنبه لمساوئها، فوردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية مباركة ضد هذه الظاهرة، فجاء في الكتاب العزيز: "وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُّبِينًا"، قال الاندلسي: "وقيل تغيير خلق الله هو ان كل ما يوجده الله لفضيلة فاستعان به في رذيلة فقد غير خلقه... والفتاة اذا ترجلت متشبهة بالفتيان. وكل ما حلله الله فحرموه".

وقال تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"، واريده بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام، وفي الحديث: "انه (ص) لعن المترجلات من النساء، يعني اللاتي ينتسبن بالرجال في زيهم وهيئاتهم، فأما في العلم والرأي فمحمود، وفي رواية: لعن الله الرجلة من النساء، بمعنى المترجلة".

### الجدور التاريخية للترجل:

تعد ظاهرة الترجل من الظواهر الاجتماعية التي سجلت حضورا في المجتمعات المختلفة ومنذ العصور القديمة، حيث ان هذه الظاهرة الاجتماعية مورست بأشكال مختلفة تارة عن طريق التزيي بملابس الجنس الآخر، وتارة عن طريق الفعال والتصرفات التي تقوم بها المرأة، والتي تحاول من خلالها الدخول الى عالم الرجال، مثل: خشونة الصوت وطريقة المشي، وعملية استعراض العضلات

محاولة من خلال ذلك ايهام الاخرين بانها رجل، ولا بد من القول بان هناك فرق بين ان نقول ان هذه المرأة شجاعة، وبين القول عنها انها مترجلة، فالمرأة الشجاعة لا علاقة لفعالها والعمل الذي تقوم به بظاهرة الترجل، والمرأة الشجاعة ينظر لها المجتمع باجلال واحترام واكبار، اما المترجلة فان المجتمع لا يتقبل فعالها ولا يحترم وجودها بهكذا هيئة.

### **الترجل المسموح به في المجتمع الإسلامي.**

كان المجتمع الاسلامي واحدا من المجتمعات الكثيرة التي سجلت حضورا بارزا في تاريخ العالم، ولم يكن بعيدا عن الامراض الاجتماعية التي تصيب المجتمعات، فهو مجتمع لا يختلف عن غيره من المجتمعات الانسانية، فالأفراد الذين يتكون منهم هذا المجتمع متعددي الثقافات والقدرات والامكانيات والاجناس والاصول العرقية، متأثرين بعوامل بيئية ووراثية تساعد هذه العوامل على تكوين وتشكيل شخصية كل فرد، ومن هذا يمكن القول بان المجتمع الاسلامي ظهرت فيه مظاهر اجتماعية سلبية ومن هذه المظاهر هي ظاهرة الترجل عند النساء. ولكن هناك حالات يكون فيها الترجل مسموح به في المجتمع الإسلامي فمثلاً كانت نساء الخوارج يخرجن بزي الرجال إلى الحرب مع أزواجهن متقلدات السيوف مدربات على القتال يقاتلن عدوهن ويخضن المعركة جنباً الى جنب مع أزواجهن وذويهن دون أن يعرفهن الخصم متشبهات بالرجال من حيث اللباس والفعال. واستخدمت النساء في بعض الأحيان لخداع العدو اثناء الحروب وامرن بالتشبه بزي الرجال لإيهام العدو بكثرة العدد، وذلك من خلال لبس النساء ملابس الرجال والظهور على الأسوار بأسلحتهن فيخدع العدو ويعتقد بأنهن رجالاً، الأمر الذي يزيد من إرباك العدو الذي سيتوقع بان خصمه قد تاهب واعد العدة للمواجهة.

### **الترجل غير المسموح به في المجتمع الإسلامي.**

تناولت العديد من الروايات الترجل الذي مارسته عدد من النساء، ولكن يصعب الفصل حينها إن كانت المرأة بالفعل مذكرة مترجلة أو متهمة بالترجل، فالنصوص التي وصلتنا تصف المرأة بأنها سليطة اللسان، ولديها القدرة على مواجهة الرجال ومضاهاتهم، أو عندما تتصرف بحرية وتعيش نمط حياة من المفترض انه خاص بالرجال، كما انها تعد مذكرة إذا أصبحت أنوثتها غير خالصة وغير متلائمة مع تصوّر المنظومة الاجتماعية لها، كأن يكون لها لحية أو صوت خشن وأجش خالٍ من الرخامة، وهذا دليل على ان مفهوم المترجلة والترجل يعمل على حالات عديدة، من شأنها أن تكون بها المرأة في حالات غير محمودة فيها ومحمودة عند الرجال.

ومن الجدير بالذكر ان ظاهرة المترجلات من النساء كانت موجودة في عصر ما قبل الإسلام، إذ كانت شائعة في جزيرة العرب، وبقيت معروفة في الإسلام، والترجل ظاهرة معروفة في الثقافات الأخر وانتقلت من بلاد فارس ومن القسطنطينية عن طريق ما يُجلب من الوصائف والجواري من تلك البلاد ولاسيما أيام العصر الأموي. ولكن يبدو ان ظاهرة الترجل عملت بها الفتيات الشابات وحاولن الخروج من المنظومة الاجتماعية، ولكن هذه الظاهرة عندهن مؤقتة، فغالباً ما تنتهي المترجلة من الفتيات إلى قفص الزوجية حيث تروض من رجل شديد الغلظة، يردها إلى نصابها الأول.

وباعتبار ان المجتمع الإسلامي مجتمع نبذ النساء اللائي يحاولن التشبه بالرجال حتى وان كان مع ذلك التشبه محافظة على خصائص أنوثتها وجمال وجهها وبضاضة وليونة جسمها إلا أن المجتمع رفض كل فعل من شأنه أن يخرج المرأة إلى صفات الرجولة، فالقوة والشجاعة والجلد إذا ظهرت من الرجال فهو المطلوب وإذا ظهرت منه هذه الفعال فهي حسنة بالنسبة إليه، وتعد فضائل، وان ظهرت هذه الفعال من النساء فأنها من العيوب لعدم تناسبها مع النساء لأنها خاصة بالرجال بحسب العرف الاجتماعي في المنظومة السائدة.

اما التعليل الاجتماعي لوجود مثل هذه الظاهرة عند المرأة المذكرة، أو المترجلة، فقد عزاه البعض بأنه تمرد وخروج من الضغوط نحو التحرر، إذ أنها ترى ان الرجل لديه القدرة على التمتع بالحياة دون قيود مثل القيود المفروضة عليها من الحجب والتستر والمنع، لذلك فأنها ورغبة منها للخروج من الواقع الحاجر لها إلى حياة الدعة وعدم التحكم بها من قبل الغير، تعمل على تقليد أفعال الذكور وتصرفاتهم وحركاتهم وأقوالهم، وتستعمل الحيلة للحصول على دور في الحياة أفضل من الدور الذي هي عليه، إلا أن ذلك مؤقتاً بطبيعة الحال بالنسبة للمرأة المترجلة فبمجرد اكتشافها فأنها سرعان ما ترجع إلى ما هي عليه سابقاً، وما قيامها بهذا الفعل الا تمرد على الانوثة، وبهذا يكون التذكر والترجل تهمة موجهة إلى كل من فارقت وضعها الأنثوي الطبيعي محاولة للارتقاء إلى منزلة أفضل، وهذا الوضع أشد تأثيراً على المرأة نفسها من التشكيك بأنوثتها.

والى جانب هذا الترجل الاختياري وهو التحرر والتمرد على الأنوثة والخروج من طورها إلى عالم الرجولة والذكورة للحصول على المتعة بالخلاص من عالم الحجب والتستر، وهذا النوع مؤقت إذ سرعان ما تزوج المرأة المذكرة المترجلة فترجع إلى الانخفاض والخضوع لممارسة دور الزوجة الأم الحنون، فان هناك نوع ثاني من الترجل يتمثل بالنساء اللواتي لم تكن انوثتهن كاملة لسبب تكويني

فسيولوجي من خلال ظهور علامات ودلائل الرجل عليهم مثل نمو الذقن والشارب، والشعر بالأماكن التي بنبت فيها الشعر عند الرجال، أو الصوت الخشن الرجولي، ومتى ما اكتشفت المترجلة التي من هذا النوع وضعت بموضع الحرج وأوقعت بأزمة العلاقات الاجتماعية، لذلك فإن المترجلات من هذا النوع ومحاولة منهن الحفاظ على السر الذي عندهن فإنهن يخترن سلوك التجنب والانزواء وعدم الاحتكاك، لان الاحتكاك حركة والحركة تحدث الخطأ الغير مقصود، ربما توقعها بالمحذور ويتم كشفها وبالتالي يقع الحرج المصحوب بنظرات الاستغراب والتعجب والاستنكار، لذلك فالمترجلة من هذا النوع تلجأ اضطراراً إلى القيام بدور الرجل للتخلص من غير المألوف فتضطر للدخول إلى عالم الرجال وتعد نفسها واحدة منهم، إذ ليس كل ما في الجسد الأنثوي جميل فهناك أشياء مضادة للأنوثة مثل اللسان السليط والطول المفرط بالقامة والشعر الكثيف والعضلات التي هي رمز القوة فهذه العلامات ذكورية، إذا وجدت في المرأة فيجب رفعها وإزالتها في ظل مجتمع يسعى جاهداً لإبقاء المسافة الموضوعية بين الجنسين ثابتة تستبعد أي سبب يولد التقارب بين الجنسين، فليس كل النساء إناثاً كما انهن لسن دائماً في أنوثة كاملة، فالفقر والعوز والحزن وغيرها من العوامل، التي تؤدي إزالة ملامح الجمال من المرأة لعدم اكتراثها بجمالها، فتجدها بعيدة عن الاهتمام بجسدها وجمالها، فالمرأة بحاجة دائماً إلى المباشرة بالاهتمام بأنوثتها وإخضاع الجسد باستمرار لشروط العادات والتقاليد السائدة في المجتمع، فكلما زادت ملامح الترجل عند النساء وبدت واضحة كلما زاد استهجان واستنكار المجتمع واصبح أشد، كأن تنبت لحية للمرأة فهو أمر مريب منقر للرجال لأن اللحية من دلائل ورمزيات الذكورة والتي يتباهى بها الرجال. ان التركيز على المرأة الشعرانية التي تظهر في وجهها علامات ذكورية لا يعني عدم وجود علامات أخرى نحو استهجان صوت المرأة وشدته وغلاظته والقامة المفرطة بالطول، وعزى البعض ان دوافعه يعود لعوامل فيزيولوجية مثل اضطراب الهرمونات وعدم التوازن بين نسبة الانثوية منها والذكورية، الأمر الذي يؤدي إلى تغلب الخصائص الذكورية على الأنثوية، وبين ما هو مرتبط بالظروف الاجتماعية كشدة الحجاب أو النبذ أو العوز خصوصاً إذا كان العوز عند امرأة مرملة فانه يساعد أحياناً إلى تبني القيم الذكورية والاضطلاع بدور الذكر والقيام بمهامه كتأمين العيش لأبنائها والدخول إلى عالم الرجال الأمر الذي يتطلب منها حماية نفسها بان تكون متشابهة معهم بتصرفاتهم، كذلك للاضطرابات النفسية دور في جعل المرأة مذكرة مثل طريقة التنشئة كتفضيل الذكور على النساء في المجتمعات القبلية، الأمر الذي يؤدي أحياناً إلى لجوء الأهل

الذين لم يرزقوا بولد ذكر إلى تربية بناتهم ذكورية محاولين إفهامهن بأنهن ذكر وإفهام القبيلة بانهن ذكور، خصوصاً إذا كانت الأم لا تلد إلا البنات، فتحاول ان تربي ابنتها تربية ذكورية لتحل محل زوجها المتوفى في البيت، ونتيجة للتعود على العوز وشطف العيش وصعوبة الحياة فان المترجلة وبعد اندماجها مع مجتمع الذكور على أنها رجل فأنها وبعد مرور الوقت تتنكر لجسدها الأنثوي وتتطبع على الوضع الجديد فتتحول مشاعر الأنوثة والخجل عندها إلى شعور بالراحة والإحساس بالانتصار والزهو، فتشعر باللذة والمتعة بتمثيل دور الرجل ونجاحها في ذلك يزيد لها إصراراً على التمسك بالترجل وتتحول إلى مذكرة.

ومع كل ما تفعله المرأة المترجلة من فعال وانطباعات الذكور، فان المنظومة الاجتماعية لها بالمرصاد ولا يمكن للمرأة ان تتحول إلى رجل، بل هي صورة غير واضحة للرجولة والذكورة، فخرج المرأة عن الحجاب والخدر الذي فرضه عليها النظامين التشريعي والاجتماعي وأصبحت نشيطة وسريعة بحركتها وتمتطي الفرس وتقطع الفيافي، فان ذلك وصف مذموم ومعيب على المرأة ويعد خللاً واضحاً، وعند مواجهتها المصاعب والشدائد فإنها لا يقال عنها امرأة شجاعة بل يصح القول: "رجل شجاع ولا توصف به المرأة".

وهنا لا بد من القول بان ترجل المرأة سواء أكان اختيارياً أو إجبارياً اضطرارياً فإنها بكلتا الحالتين لا يمكنها مواجهة المنظومة الاجتماعية والحصول على الموافقة منها على ذلك الفعل، ولكنها تعمل بترجلها متخفية ومنتكرة، وما ان يكتشف أمرها حتى تجبر على التزيي بزي النساء وإحاقها بهن قصراً، وإلا فان بقاءها على ترجلها مع معرفة المنظومة الاجتماعية وعلمها بذلك فأنها بهذه الحالة لا يمكنها التعايش مع المجتمع بل تهتمش وتلفظ منه بقوة، وبالتالي فان المجتمع يفهمها بخروجها عن وظيفة الأنوثة والتمرد عليها رافضة القيام بواجبها كامرأة وبطبيعة الحال لا يمكن لأحد من الرجال ان يقبلها كزوجة، لعدم توفر الصفات المحمودة التي يبحث عنها الرجل في المرأة، وقد حذر المجتمع من الزواج والاقتران بالمرأة المذكرة، كما ان التراث الإسلامي نقل روايات تحذر وتنتهي عن الاقتران بالمرأة المترجلة او المذكرة، ومن هذه الأقوال ما انتهى عن الزواج بالمرأة المترجلة او (المذكرة)، فقالوا: "إياكم وكل ذكرة مذكرة".

ويمكن القول ان المذكرة من النساء تفرط بالكثير من خصال الأنوثة وتكسب الكثير من فعال الرجال فتبقى ذات شخصية متأرجحة بين الرجال والنساء، وبالتالي فان هذا ينعكس على فعالها وتصرفاتها ويصعب إخضاعها وإعادتها إلى نصاب الأنوثة من جديد؛ لذلك فان النظرة إليها هي نظرة الذم والاستقباح لتطلعها إلى قيمة



ليست لها، وهكذا تجد نفسها لا مكان لها بين الرجال ولا حتى في عالم النساء، إذ أن عالم النساء يخشى المرأة المذكرة ويخاف على النساء من المرأة المترجلة أو المذكرة خوفاً من تسرب العدوى إلى الأخريات. [www.uobabylon.edu]

## تعليق وتعقيب

لكيلا يحصل التباس في استخدام المصطلحات العلمية الحديثة عن النوع الثالث للجنس الذي يسمى بالانترسكس أو بيجيني يجمع بين جنسين، المختلف عن المتحول جنسياً عن طريق عملية جراحية للأعضاء التناسلية والذي يعتقد بأنه منتمي الى الجنس الآخر وهذا لا يعتبر منحرفاً جنسياً لأنه يميل للجنس الاخر. غالباً ما يكون الانترسكس من الذكور وتم تحويله الى الانثى ويلبس ملابس نسائية ويتصرف تصرفاً مطابقاً لدوره الجندي المتحول اليه بدون تردد أو خوف أو وجل أو استنكاف. أما شهوة الفرد للجنس الاخر أو لجنسه في ممارسة علاقة جنسية فإنها لا تخضع لمؤثرات بيولوجية (ذكية أو انثوية) بل الى المؤثرات الثقافية التي يخضع لها، مثل التفاعل الاجتماعي ومستلزمات الدور الذي يلعبه وتنشئته الأسرية والرفقية عندها يحصل تماثل جندي لجنسه لأن الأول يمثل خصائص دورية ثقافية (متغيرة من ثقافة الى أخرى) والثاني يمثل خصائص بيولوجية ثابتة لا تتغير في كل المجتمعات البشرية. ويخضع لتوجيهات المجتمع التي تتغير بين الفينة والفينة حسب سرعة تطوره وتقدمه وتأثره بمجريات الحياة العامة والخاصة الكونية والإقليمية وفي ظل ذلك تتغير مفاهيم الانوثة والرجولة بحيث لا تبقى على شاكلتها وطابعها بل تتغير تبعاً فلم تبقى القوة الجسدية والجرأة يتميز بها الرجل عن المرأة ولم تبقى النعومة والرققة والخجل ملتصقة بالأنثى بل باتت الرجولة مقترنة بالرققة في التعامل والاناقة والذوق في المظهر الخارجي والقيام بالشؤون المنزلية وتربية الأبناء داخل المنزل، وأضحت المرأة تعمل خارج المنزل وتكسب المال لتجلبه لأسرتها وتساهم في ميزانية الأسرة وتجادل الرجل في حقوقها وواجباته فتغيرت المفاهيم الأنثوية والذكورية فلم تبقى مقتصرة على الخصائص البيولوجية لكن هذا لا يرتبط بالنوع الثالث من الجنس بل أصبحت هناك هوية ثالثة بالجنس تخضع لترف ورفاهية المجتمع المادية التي تؤثر على ذوق الأفراد فتغيرها من حال الى حال وقد شاهدنا ذلك في الإمبراطورية اليونانية في الماضي والغربية الرأسمالية المعاصرة وفي مدنيات سادت ثم بادت في العصر العثماني والروماني

التي لم تلتزم بثوابت جندرية واحدة بل حسب توجيهات المجتمع لها إذ يتحول جندياً وليس بالضرورة أن يتحول جنسياً مثل الخنيث في عُمان الذي يتحدد جنسه من خلال تعامله وتفاعله مع الآخرين. وطالما لا يتعامل مع النساء جنسياً فهو إذن ليس برجل على الرغم من كونه رجلاً إلا ان لبسه وهيئته الخارجية نسائية فهو إذن ذكر لابس لباس انثوي ويتصرف تصرفاً انثوياً ويمارس اللواط معه. هذا هو الشكل الأول من النوع الثالث للجندر.

إذن نصل الى خلاصة تختزل موضوع النوع الثالث من الجندر الذي وجدناه في دراستنا هذه الاشكال الخمسة التالية: -

1 - الخنيث في المجتمع العُماني

2 - الماهوس في تاهيتي

3 - الهجراس في الهند

4 - البوجي في اندونيسيا

5 - المخصي في العصور القديمة والغابرة

هذه الاشكال جميعها لا تعتبر موصومة بالوصمة السيئة أو المنحرفة أو التي يسخر منها أو الاستهزاء بها بل معترف بها في مجتمعهم ويستخدموهم في مناسبات اجتماعية مهمة داخل منازلهم وقصورهم هذا على صعيد المكانة الاجتماعية وأدوارهم الموقعية التي يمارسوها في مجتمعهم.

إن سياق الحديث يلزمني ان لا أغفل الى إبانة واستجلاء حقيقة اجتماعية غريبة اللون ألا أنها جوهرية في واقعها وهي ان المجتمع هو الذي افرز هذه الأنواع التي أطلق عليها بالنوع الثالث من الجندر وليس العامل البيولوجي الوراثي (ذكر أو انثى) ولم يفرزه العامل التكنولوجي بل الحاجة المجتمعية لإداء بعض المناشط الترفيهية التي ارادتها التوجيهات الاجتماعية. ثم هناك الطبقة الثرية والنخبوية السلطانية والحاكمة التي تحتاجها في قصورهم وأسورهم فممنحوهم منزلة متميزة في عملهم وحياتهم الشخصية كما هو الحال عند المخصيين في كافة العصور التاريخية فكان دورهم وطورهم بارز ومتميز فلم يهمشوا ولا يستبعدوا من الحياة الاجتماعية. ومن نافلة القول إن الترف والرفاهية والرقي الرأسمالي المعاصر في المجتمع الغربي قد حوّل مهام الرجال والنساء التقليدية الى المعاصرة فجعلت المرأة تتزيا بزّي الرجال وتتصرف وتعمل بعمل الرجال ويتزين الرجل بزينة النساء فظهرت الملابس المزدوجة للجنسين دون خجل أو حياء لأن الثقافة الاجتماعية المادية المعاصرة جعلت هذا الازدواج الجندي شائعاً ومحبباً ومقبولاً بشكل علني. إذن بات واضحاً ما جاء به هذا الفصل عن النوع الثالث من الجندر ليس في الشواذ ولا

من المحقق أن المجتمع وثقافته أفرزته وأعلنت عنه في اعلامها وتقنياتها ومصانعها وإداراتها وكتبها فضلاً عن كونها حالة قديمة قدم العصور مرّاً بكل الاطوار والاهوال الاجتماعية.

إن أهمية الولوج الى هذا الموضوع يجعلني أميط اللثام عن حالة كانت غائبة في اعمال وبحوث ونظريات علم الاجتماع القديم والحديث وهي انه لم يتناول دراستها أو الالتفات اليها أو الحكم عليها سلباً أو إيجابياً على الرغم من أنها تمثل تصرف إجرامي لا تقره السنن السماوية ولا الاخلاق البشرية وهي إخصاء صبية قبل بلوغهم سن الرشد من قبل تجار الرقيق والحكام والسلاطين والاعوات والخلفاء لكي يستخدموهم في خدمتهم.

هذا من جانب ومن جانب آخر هناك الصبية الذين لم يتم اخصائهم بل يمثلوا شريحة اجتماعية مستغلّة لا نفوذ سياسي أو اقتصادي لها يستخدمها المجتمع في أداء ممارسات احتفالية مُسلّية لعامة الناس وتجعلهم مغايرين لجنسهم البيولوجي في لبسهم وسلوكهم. أي يقوموا بتغيير جنسهم الثقافي. علماً بأن ظاهرة الاخصاء موجودة قبل ميلاد علم الاجتماع بقرون عديدة من الزمن وسادت كافة الحضارات والامبراطوريات القديمة.

لكن لولا ولادة علم اجتماع الجندر لما تمّ الالتفاتة الى هذه الظاهرة التي أفرزها المجتمع نفسه وبالذات من قبل النخبة الحاكمة والثرية فلم يدافع عنها علم الاجتماع ولم يدين الذين استغلّهم ويستغلّهم ولا الثقافة الاجتماعية التي البستهم دوراً جندياً جديداً ولم يشكّلوا مشكلة اجتماعية لعامة الناس لكنها تمثل عملية جنائية اشبه بعملية ختان الاناث التي تقرها الثقافات الاجتماعية التقليدية والمتخلفة في القارة الأفريقية والآسيوية في بترها لأعضاء تناسلية لصبية قبل بلوغهم الجنسي دون أخذ رأيهم أو تلبية طلبهم من أجل الاستمتاع بهم جنسياً وترفيهياً وتغيير ملامح اشكالهم وملبسهم دون رغبتهم وهذا إقهار نفسي وشخصي واجتماعي مرفوض انسانياً وأخلاقياً.

## الفصل الثامن

### كفاح المؤنثة ومناصريها ضد استرقاقها

استهلال

8 / أ – الحركات النسوية التي دافعت عن المؤنثة ضد استرقاقها

1 – موجات تطور الحركات النسوية

2 – مدارس الحركة النسوية

3 – كيف تعامل علم الاجتماع مع المؤنثة؟

8 / ب – مناصرة الأمم المتحدة للمؤنثة ضد استرقاقها

استهلال

1 – بيانات إحصائية عن عدم مساواة الجندر كونياً

2 – بيانات رسمية توضح الجحود والغموط لحقوق المؤنثة كونياً

3 – مقياس الفجوة الجندرية في عالمنا اليوم

4 – حقائق حيّة ومنعشة عن المساواة الجندرية

5 – من أجل تحقيق المساواة الجندرية

8 / ت – مناصرة منظمة الصحة العالمية للمؤنثة ضد استرقاقها

8 / ث – مناصرة اليونسكو للمؤنثة ضد استرقاقها

8 / ج – مناصرة الحكومات الغربية للمؤنثة ضد استرقاقها

8 / ح – مناصرة العلماء للمؤنثة ضد استرقاقها

استهلال

1 – مناقش الوسط الأكاديمي ضد الاسترقاق

2 – ميد في الطبيعة والتطبع

3 – واكلي في الثقافة الاجتماعية والجندر

4 – دارون في التطور والجينات والبيولوجي

8 / خ – مناصرة الزعماء الوطنيين للمؤنثة ضد استرقاقها

1 – الزعيم الصيني ماو تسي يونغ

2 – غاندي ونهرو في الهند

3 – سوهارتو في اندونيسيا

4 – لينين في الاتحاد السوفيتي (السابق)

8 / د – مناصرة حركات نسوية إصلاحية للمؤنثة ضد استرقاقها

- 1 - حركة جالارنغ الهندية
- 2 - منظمات هندية معاصرة
- 3 - جماعة (قوة الزوجة) معاصرة

## الفصل الثامن كفاح المؤنثة ومناصريها ضد استرقاقها

### استهلال

امام قوى الاسترقاق الذكوري كان هناك - بذات الوقت - حركات من قبل المؤنثة الواعية ومناصريها من الرموز الزعامية الوطنية للدفاع عن حقوقها المغتصبة من قبل الرجل المتستر تحت أغطية متعددة ومتنوعة (الدين، الثقافة، الحكومة، الحرب، التجارة، الصناعة، العولمة) لأنهم أدركوا وعانوا من ظلم الرجل عليها واجحاف مفاضلته المفتعلة التي استغرقت عدة قرون من الزمن.

يفضي هذا الموضوع الى اإبانة واستجلاء حقيقة مفادها أن تغيير معايير وقيم المجتمع لا تحصل فجأة ولا بقرار سياسي، بل بكفاح مرير ومتعدد الجوانب وذلك بسبب كونها موروثة وضعتها أجيال سالفة ونقلتها للأجيال الحاضرة. لذلك عندما لا تتسجم مع روح العصر الحاضر، لا نستطيع تغييرها بين يوم وليلة وليس عبر مواقع هرمية عالية لأن هناك شرائح اجتماعية محافظة ومتقدمة بالسن ومنتفعة منها وتخدم مصالحها الشخصية والاجتماعية، الأمر الذي يولد صراعاً جيلياً لعدة قرون حتى يتم المناداة بتبديلها أو تغييرها ولكي يحصل ذلك تتبناها منظمات عالمية ودولية واقليمية ومؤسسات أكاديمية ومراكز بحوث لكي تغير هذه المعايير والقيم الموروثة والتي لا تتسجم مع متطلبات العصر. فهي إذن مهمة وعسيرة وشاقة بالنسبة للأجيال المتضررة من آثارها ومقيدة بقيودها مما يجعلها تأخذ وقتاً طويلاً لكي تنجز التغيير فيها.

ولكي نحلل ما قدمناه آنفاً عن حقيقة التغيير المعنوي نورد الاحداث التاريخية التي حصلت في المجتمع الغربي. فمثلاً دخول المرأة الى ميادين التعليم والاستفادة منها في العديد من المهن التي كان الرجل يقوم بها بالصحافة والادب والتمثيل والفن والطب والهندسة والقانون الذي اقترن مع تعاطف بعض السياسيين (غير الصادقين بدعواهم بل للتكسب من اصواتها في الانتخابات البرلمانية) فضلاً عن ظهور حركات نسوية - عبر قرون - تطالب بتحررها من القيود الذكرية والدفاع عن حقوقها الزوجية والأسرية والمجتمعية. وإزاء ذلك برزت أصوات تنادي بعدم ضرب وإساءة المرأة من قبل الزوج بيد ان هذا المطلب أخذ قروناً من الزمن. استمرت فيها المطالبة بها لكيلا تبقى ضحية قهر النظام الاجتماعي والقهر الذكري الذي يمارسه الذكور عليها من خلال اشغالهم مواقع هرمية ريادية في الانساق

البنائية يوضح كفاح المرأة في العالم الغربي وعدم بقائها ضحية تتحكم فيها معايير وقيم الانساق البنائية لصالح الرجل. فمن أوجه التعبير كان من خلال: -

- 1 - دخول المرأة الى ميدان التعليم.
  - 2 - دخول المرأة لميدان العمل المهني.
  - 3 - استغلال المرأة اقتصادياً.
  - 4 - تعاطف بعض السياسيين مع وضع المرأة الخانع حياً في كسب صوتها في العملية الانتخابية لا دفاعاً صادقاً عنها.
  - 5 - تشكيل حركة نسوية تطالب بحقوق المرأة المغتصبة من قبل الذكور.
  - 6 - حاجة بعض المهن للأيدي الناعمة أكثر من الخشنة لها مثل طب الأطفال والنساء والهندسة المعمارية والفنون بكافة اصنافها وأنواعها والاعلام والأزياء والديكور والتعليم الأولي والابتدائي والتدبير المنزلي.
- هذا من جانب ومن جانب آخر نورد الوجه الآخر لهذا التغيير في معايير وقيم المجتمع من خلال السؤال الآتي: لماذا استجاب الرجل لنداء المرأة في عدم إساءة معاملتها؟ هل خوفاً منها؟ أم حياً فيها؟ ام وعياً منه؟ أم هناك شيء أو أشياء أخرى جذبتة ودفعته للاستجابة؟ في الواقع يرجع ذلك الى: -
- 1 - ارتفاع مستوى تعليم الرجل في الثقافات الأجنبية.
  - 2 - دخوله المعترك السياسي الديمقراطي الذي ينادي بالمساواة وحاجته لصوت المرأة.
  - 3 - حاجة التعليم للعنصر النسوي بعدما هجره الرجل ليذهب الى العمل في المعامل والمصانع.
  - 4 - استقلال المرأة اقتصادياً ومساهمتها في ميزانية الأسرة.
  - 5 - زوال نمط اختيار الأهل زوجة لأبنهم (أي الزواج المبني على اختيار الأهل) إذ بات يعتمد على اختيار الشريكين بعضهما لبعض دون تدخل طرف ثالث، الأمر الذي جعل المشاعر الوجدانية تخفف من حدة الإساءة والعنف.
  - 6 - صغر حجم الأسرة (الأسرة النووية) الذي يسمح للأبوين بالاعتناء بتربية أبنائهم من خلال تعاونهم في تنشئتهم لكي تتماشى مع روح العصر.
  - 7 - وجود مجلس المعلمين والأبوين P. T. A من أجل تدارس مشاكل الأبناء وعدم استخدام العنف او المعاملة السيئة في التنشئة السرية والمدرسية.

8 - مجيء الأجهزة الالكترونية الحديثة واستخدامها في تنشئة الطفل مثل التلفاز والفيديو وبلي ستيشن والألعاب الالكترونية والكمبيوتر التي جعلتهم يبتعدون التصادم مع والديهم ومنحهم ثقافة جديدة تختلف عن ثقافة الوالدين وحياناً تحجمها.

9 - تفاقم السلوك العنفي من قبل الزوج تجاه زوجته وتجاه أبنائه بسبب ضعف أو انفلات سلطته على زوجته وسلطتهما (الزوج والزوجة) على ابنائهما. الأمر الذي جعل الزوجين الشريكين يتصلبان ويزيدان من العنف حتى لا يفقد كل واحد منهما سلطته على الآخر كل ذلك اظهر أو عمل على اظهار أصوات صارخة تدعو أو تنادي بالحد من سوء معاملة الزوجة.

### 8 / أ - الحركات النسوية التي دافعت عن المؤنثة ضد استرقاقها

نتحول الان الى تعريف القارئ على الحركات النسوية التي دافعت عن المؤنثة وطالبت بحقوقها وما آل اليه ذلك من الدفاع عن الضحية النسائية في الربع الأخير من القرن العشرين. وقد دأب علماء الاجتماع على دراسة اهداف الحركة النسوية منذُ بدايتها التي حددها من عام 1600 لمدة 360 عام بعد أن استعرضوا اعمالها وأهدافها، وضعوا وحددوا ثلاث مراحل وهي:

1 - مرحلة الخنوع والخضوع

2 - مرحلة التذمر والنقد

3 - مرحلة التصدي والمعاراة

إذ وجدوا:

**1 - المرحلة الأولى مرحلة الخنوع والخضوع:** خضوع المرأة لسلطة الرجل وخنوعها لأوامره وتسلمته سواء أكانت في الأسرة أم في السوق أم في العمل التجاري أم الصناعي أم الطبي وفي المؤسسات الدينية (دور العبادة) أم في المؤسسات العسكرية والكليات والجامعات ودور النشر والمنتديات الفكرية. بتعبير آخر ، إذا كانت المرأة تمتهن مهنة الطب فإن مكانتها المهنية تخضع لإدارة وتوجيه زميلها الطبيب (الرجل) أو إذا كانت تشتغل مُدرسة في مدرسة فإن وظيفتها وجهدها يخضعان لإدارة وتعليمات الرجل بغض النظر عن كفاءة عملها وجدية اسلوبها ومثابرة جهدها ونجاح عملها. بتعبير آخر، انها في نهاية مطاف عملها تخضع لتسلط وهيمنة الرجل عليها في العمل وطريقة العيش. هذه الهيمنة الرجولية على النسوة تكون مدعومة من قبل النظام الاجتماعي القائم في جميع أنساق البناء الاجتماعي ومسحوبة على جميع طبقات التدرج الاجتماعي. استمرت هذه الهيمنة



الشاملة في المجتمع الغربي لغاية عام 1780م الى ان ظهرت أمور ومستجدات افرزت حالات جديدة.

**المرحلة الثانية مرحلة التدمير والنقد:** التي زادت فيها أعداد الكاتبات والمفكرات والأدبيات والطبيبات والمرضات في أوروبا، الأمر الذي شجعت على التصريح بمساوئ الهيمنة الرجولية الشاملة وابداء عدم رضاهن عن الاضطهاد الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع عليهن وإزاء ذلك طرحن نقدهن عن أوضاعهن الخانعة والمناهضة لهيمنة الرجل الشاملة في الأصعدة كافة. بيد ان هذه النداءات والطروحات والانتقادات لم تُطرح من كافة نساء المجتمع الغربي، بل من بعض الادبيات والكاتبات اللواتي يتمتعن بجرأة أدبية وجسارة فكرية فباتت محاولتهن تمثل دفاعاً عن الجماعة الأقلية **Minority group** داخل المجتمع على الرغم من كونهن يمثلن نصف المجتمع. المقصود هنا بالجماعة الأقلية: الفاعلية الاجتماعية وليس التمثيل الكمي – العددي. فالموقع العالي للرجل يمنحه سلطة على شاغلي المواقع الأدنى منه. إذ يكون بعضها مشغولاً من قبل النساء فيتغلب على أمرهن ويتسلط عليهن ويسلب حقوقهن وهذه الهيمنة تجعلهن واهنات في فاعلية فعلهن الاجتماعي بحيث لا يجعلهن متساويات ومتكافئات مع فاعلية فعل المتسيد عليهن (وهو الرجل) وهذا بدوره يجعلهن منسحبات من صراعهن معه فيجعلن منه قائداً وموجهاً وممثلاً لهنّ للأغلبية الواهنة اجتماعياً وبهذا الفعل يصبحن ممثلات لأقلية اجتماعية مستضعفة مهيمن عليها من قبل الرجل لكن حصل بعض التعاطف عند بعض الرجال الذين ينظرون الى تقدم المجتمع بأنه لا يتم إلا بإشراك المرأة في العملية الإنتاجية (الطبية، التربوية، الصناعية والتجارية) ومساهمتها كعنصر بشري مساعد للرجل وليس متسيد أو متسلط عليه ومقابل هذا الموقف هناك موقف آخر يتخذ طابع المحافظة الذي لا يرى ما يراه الموقف السابق بل يعتبرها معوقاً لتقدم المجتمع وتطوره.

### **3 – المرحلة الثالثة مرحلة التصدي والمعارضة:**

اول مناداة لعمل المرأة في العملية الإنتاجية ووقوفها بجانب الرجل في أوروبا كان ذلك عام 1780م وعام 1790م إذ كانت الدعوة منظمة بشكل محبك ودقيق ثم نضجت ثمارها في العقد الخامس من القرن الثامن عشر 1850م بعدها ازدادت بشكل ملحوظ فتشكلت حركات نشوية تحريرية فاعلة في العقدين السادي والسابع من القرن العشرين وعبر هذا السفر الكفاحي للمرأة والظروف التي صاحبته تشكلت ثلاث اتجاهات نظرية وهي:

أ – التركيز على الاختلافات الجنسية.

ب - التأكيد على عدم التكافؤ الجنسي بين الرجل والمرأة.  
ت - تسليط الضوء على الاضطهاد الجنسي.

ومن نافلة القول ان نشير الى حقيقة مفادها ان هذا التشكيل أدى الى بناء نظرية عن الانوثة معبرة عن مواضيع اجتماعية متعددة المناحي أهمها عدم العدالة الاجتماعية والتغير الاجتماعي والنفوذ والمصالح والمعتقدات الاجتماعية والمربي الأسري (التنشئة) والقانون والسياسة والدين والتربية.

هذا ما قدمته الباحثتان (باتريشا مادو لينجرمان أستاذة علم الاجتماع في جامعة جورج واشنطن وجل نايبيرج برانتلي أستاذة علم الاجتماع في كلية فرجينيا الشمالية) حول مراحل واقع المرأة في لمجتمع الغربي عبر 360 سنة في نظريتهما الموسومة (النظرية الانثوية المعاصرة). [العمر. 2009. ص. ص. 207 - 212]

### 1 - موجات تطور الحركات النسوية

لقد مرت الحركات بأطوار على شكل موجات Waves حسب فترات زمنية محددة من أجل ابراز المميزات التي تميزت بها كل موجة حيث استطاع الباحثون والباحثات في شؤون هذه الحركات الى تحديد ثلاث موجات (اطوار) رئيسية لها التي بدأت مع نهاية القرن الثامن عشر واستمرت لغاية القرن التاسع عشر ووصلت الى قمة نشاطها في القرن العشرين.

**الطور الأول (الموجة الأولى):** انطوت على الحملات النسائية في التصويت الانتخابي في الفترة الواقعة بين 1890 و 1920 التي تضمنت افكاراً جديدة ومنطلقات حديثة. ففي عام 1890 تم توجيه اسئلة للعديد من النساء في أوروبا والولايات المتحدة حول مكانتهن المتدنية في المجتمع المتصفت بشبابهن وتعليم متقدم ممن يصفن انفسهن على انهن يمثلن " نساء جديديات " يبحثن عن الحرية من الزواج والمسئوليات المنزلية أكثر من بقائهن في منازلهن يقوم الأب او الزوج بإعالتهن. المرأة غير المتزوجة والمنحدرة من الطبقة الوسطى والتي دخلت سوق العمل من زاوية المكاتب الرسمية كموظفات وضاربات على الآلة الطابعة فكانت حياتهن الجديدة عاكسة وظاهرة على ملابسهن ومناشطهن في كيفية اشغال اوقات فراغهن أي مختلف تماماً عن ملابس ربة المنزل وانغمارها بالتنظيف والترتيب المنزلي.

وفي عام 1895 برز مصطلح الحركة النسوية مصاغاً ومستخدماً لوصف الأفراد الذين يدعون حقوق المرأة، لا جرم من الاشارة الى المصلحين الاجتماعيين الذين سيروا حملات لتحسين حياة المرأة من اجل تعليم افضل وفرص عمل لإصلاح

الزواج والطلاق وقوانين امتلاك العقارات والمساواة الاجتماعية مع الرجل. النساء كنّ ناشطات في دعم حركاتهنّ المعتدلة التي تكافح وتناضل ضد شرب المسكرات الكحولية معتبرته شر اجتماعي رئيسي ضدها وضد اطفالها وهم بهذا الكفاح رسموا صورة حيوية عن كيفية تصرف الرجال في مداخيلهم ورواتبهم على شرب المشروبات الكحولية لكي يتجنبوا جوع اسرتهن وعدم ممارسة العنف مع زوجاتهم ولكيلا تتفكك اسرهم عن طريق الطلاق او الهجر.

اما بالنسبة للمرأة الفقيرة فوضعها كان جافاً إذ كانت مرثياتهنّ متدنياً مع عدم وجود ضمان لهنّ والعيش في منازل رديئة مع وجود عنف أسري وتعصب عنصري. لكن في عدة اقطار انخرطت المرأة العاملة في حركات نقابية عمالية معارضة لقيادتها واحتقارها من قبل الموظفين وقد برز هذا بشكل ملحوظ الذي ظهر في اضرابهنّ في معامل شرق لندن عام 1888 لكن مع ذلك فقد بقيّ معظم النساء بدون حماية نقابية. وهناك بعضاً من أنصار المرأة ممن عملوا او انخرطوا في احزاب اشتراكية جديدة تسمح لهنّ ارسال ممثلين للبرلمان أي يكون لهم ممثلين في البرلمان. اما اللواتي كنّ أكثر تطرفاً فقد انخرطنّ في الحركات الثورية التي تهدف انهاء الحكومات الظالمة والمستبدة في روسيا وأوروبا الشرقية. هذا من جانب ومن جانب اخر برزت حركة ناشطة لأنصار المرأة وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى بسنة التي نادى بالتصويت لانتخاب المرأة ومنحها الحق في التمثيل والانتخاب لأعضاء الحكومة حالها حال الرجل وكان ذلك مع بداية القرن العشرين. اما الشباب من الرجال فكان لهم الحق في التصويت في معظم الاقطار الأوروبية، البلدان الوحيدة التي فيها النساء قادرات او يستطعنّ التصويت هي نيوزيلاندا التي منحت المرأة حق التصويت في عام 1895 ثم جاءت استراليا فمنحت المرأة هذا الحق في عام 1902 وفي عام 1905 اصبحت فلندا البلد الأول في أوروبا الذي منح المرأة هذا الحق جميع هذه البلدان كانت ديمقراطية في حكمها وتتضمن نقابات عمالية قوية وتقبل بتصويت المرأة في الانتخاب. اما البلدان ذات الحجم السكاني الكبير وفيها فجوة واسعة بين الأغنياء والفقراء فكانت السلطات فيها معارضة بشكل صريح لتصويت المرأة في الانتخابات واستمرت هذه الحالة لعدة عقود من الزمن.

نعكف الآن الى العالم الأفضل الذي دخلت اليه المرأة وهو مسألة التصويت في الانتخابات الذي كان يمثل امراً مهماً وملحاً بالنسبة لها اكثر من استمارة الانتخابات التي توضع في صندوق الاقتراع السري وذلك راجع الى الاعتراف العلني بحقوقها ومشاركتها في المجتمع لأنها كانت مهملّة في هذا الأمر ولا احد

يلتفت الى صوتها ويعني ايضاً ان الحكومة سوف يتم انتخابها من قبل الرجال والنساء وليس الرجال فقط الذي كان يمارس فيما مضى بل ويعني ايضاً ان لصوت النساء بات له قوة ونفوذاً يجب ان يُستمع اليه وان الرجال عليهم ان يحترموا اصوات النساء وانهم بحاجة لها وهذا اعتراف واضح وصريح بوجودها واتكأً على ذلك فإن الحكومة سوف تكون اقل انانية في اتخاذ قراراتها واكل تعصباً ضد واكل تعصباً للرجل كل ذلك يقول لنا بأن الخطوات بدأت تتقدم نحو مساواة المرأة بالرجل . ولم تبقى المرأة ام منجبه وربة بيت بل اصبحت عنصراً فعالاً في حياة المجتمع خارج المنزل والاستماع اليها في قضايا السلام لا سيما وان لديها اهتمام به أكثر من الحرب ولها تعاطف مع الضعيف أكثر من القوي لأنها تتصف بنقاء التفكير وصفاء العقلية – الذهنية وبطهارة اجسامهنّ كل ذلك سوف يجعلها ان تسمو فوق الرجل الأناني والفاقد عندما يكون في مواقع سلطوية ونفوذية.

اما المعارضين لأنصار المرأة anti-feminists فإنهم استخدموا لغة مشابهة لهذا الطرح في رسمهم لخلاصات معارضة حددوا فيها ما يفكرون به عن النساء حيث قالوا عنهم بأنهنّ ذكيات ونابهايات في الإساءة الى انفسهم في المسائل السياسية التي لا تمثل اختصاصهم بل من اختصاص الرجل .

اما المتطرفين من هؤلاء المعارضين للمرأة يروا ان الممنوحة في التصويت الانتخابي تكون أخطر النساء لأنها سوف تدمر صفاء ونقاء الأنثى وذلك من خلال تفويض سلطة الرجل وبلورة نزاعات وخلافات بين النساء أنفسهم التي تؤول بالتالي الى كسر النظام الاجتماعي الذي ينسق الانشطة الاجتماعية فتسمي بعدئذ الحياة فوضوية لا ناظم ينظمها بسبب منح المرأة حق التصويت في الانتخابات.

من أكثر الحملات الانتخابية شهرة كانت في بريطانيا تحديداً تلك التي قادتها النقابة الوطنية للانتخابات النسوية في عام 1903 حيث استخدمت هذه النقابة تصرفات مباشرة. وما بين الاعوام 1905 و1914 تم توقيف وحجز أكثر من ألف امرأة العديد منهنّ اضربوا عن الطعام تم اجبارهنّ على الاكل من قبل حراس السجن لأنهنّ كن يهدفنّ الى اشعال فتيل الثورة الواسعة النطاق.

ومن نافلة القول في معرض هذا السياق الى ان الحركة الامريكية قد تأسست بفترة ابعد من تاريخ تأسيس الحركة النسوية البريطانية وذلك راجع الى العمل الرائد لمنظمة الانتخابات النسوية الوطنية. استمر هذا في الاصلاح الى ان وصل الى اصلاح القوانين الامريكية، انما بدون فائدة ونجاح. إذ هناك خمسة عشر ولاية من اصل اربعين ولاية امريكية في عام 1915 حصل فيها تصويت للنساء الامر الذي دفع بالشابات الامريكيات الى التعبير عن ضجرهم وعدم ارتياحهم لهذه الحالة

الناقصة من خلال ممارسة اساليب تكنولوجية اكثر من انخراطهم في توقيفهم او سجنهم كان ذلك على شكل اعلان عن اجتماع عام لهم مستخدمين فيه وسائل اعلامية جديدة و ( آنذاك ) وهي الراديو والتلفاز والاعلانات العامة في الشوارع لكنهم نسوا الاتصال بالحركات العمالية والمهاجرين والمرأة الملونة (السوداء) في المدن الكبرى الذين هم ايضاً يكافحوا من اجل المساواة العرقية . لكن عندما وقعت الحرب العالمية الأولى في أوروبا 1914 اثرت كثيراً على نشاط المرأة الذي غاب عن الساحة السياسية والاجتماعية.

يحسن بنا ان نطرح في هذا الموطن تأثير الحرب العالمية الأولى الذي لم يكن متوقفاً على المناصرين والمدافعين عن حقوق المرأة، ففي السنين التي سبقت 1914 بدأ المدافعين عن حقوق المرأة النشاط خارج القارة الأمريكية من اجل توسيع نشاطهم وجعله نشاطاً عالمياً فأمست الصلات بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا قوية جداً في مجال الحركة النسوية و ثم ترجمة دعوات ومطالب واهداف هذه الحركة الى عدة لغات اجنبية فدخلت المعسكرات السياسية مثل المعسكر الاشتراكي والباسيفيكي وسواها من دول العالم. بيد ان الحرب العالمية الأولى اجبرت المدافعين عن الحركة النسوية اختيار أحد الأمرين اما حب الوطن والوطنية Patriotism او الانخراط في الاتصالات العالمية. فالمجتمعات ذات الحجم السكاني الكبير اختاروا الولاء للوطن لدرجة ان حتى المتطرفات تخليين عن الحملات الانتخابية ودفنن الى الدفاع عن بلادهن معارضين الحرب فاشترك ألف امرأة في حملة سلام من اثنتي عشر دولة التقوا في هولاندا (التي كانت محايدة في الحرب) وفي شهر نيسان 1915 طالب الكل من الحكومات بإيقاف الذم ومنح المرأة حق التصويت في الانتخابات.

لقد أجملت فيما تقدم عن مطالبة النساء الملح والمركزة على حق الانتخابات والترشيح بيد ان حركة المجتمع لا تكن على وتيرة واحدة بل تتعرض لمؤثرات وعقبات تفعل فعلها على تفاعل المجتمع معها فالحرب العالمية الاولى التي استمرت اربعة سنوات طبعت مستوى عيش المرأة الاوربية بمختلف المؤثرات مثال على ذلك هناك الشاب المندفع في الدفاع عن بلده وعند انخراطه في هذا الاندفاع شكّل فراغاً في سوق العمل الذي فسح المجال للمرأة الى الولوج اليه لملء هذا الفراغ المهني وحدث نفس الشيء في خطوط المواصلات العامة والخدمات المدنية الأمر الذي تطلب من المرأة ان تنزل الى هذه الاحتياجات والعمل فيها لساعات طويلة فضلاً عن اشتغالها في خدمة التمريض كمرضة في المنازل والمراكز الصحية هذا كان بسبب ما فرضته ظروف الحرب القاسية التي سحبت الرجال من الاعمال

الخدمية والعامّة التي كان يقال عنها بأنها خطيرة على المرأة ولا تصلح للإناث لأنها منحطة وذات منزلة مهينة متدنية ، بيد انه امسى في ظل ظروف الحرب اصبح العمل ابانها مسألة وطنية وواجب وشرف وطني وهذا ما غيّر ميزان الحكم القيمي والشعبي على الاعمال التي كانت محجوبة على المرأة لكن على الرغم من هذه الظروف الغير طبيعية لم تحصل المرأة على اجور عملها مثلما يحصل عليها الرجل أي اقل بكثير من الاعمال الخاصة بالطبخ والتنظيف ورعاية الاطفال ومن نافلة القول فذ هذا السياق ان الحرب جعلت من قضية حق المرأة في الانتخابات قضية ثانوية وقليل الحديث عنها او المطالبة فيها لأن الجميع مشغول بالحرب وآثاره المدمرة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وهذا يقول لنا ان قضية حق المرأة في الانتخابات تنتعش في اوقات السلم والرخاء والرفاهية ، بذات الوقت وجدنا المرأة قد اخذت ادواراً جديدة لم يسبق لها وان لعبتها او مارستها قبل الحرب وهذا ما ادى الى كسر بعض التعصبات حول قابليتها ومكانتها داخل المجتمع معترفة الحكومة بهذا الكسر الاجتماعي وإزاء هذا التغير المحدود لدور المرأة ضمنت بعض الحكومات المحايدة في الحرب مثل النرويج والدنمارك حق تصويت المرأة بشكل نسبي في الاعوام 1913 و 1915.

لا اريد ان ابرح من هذه التطورات التي حصلت في هذه الموجة، الحركة النسوية ومناصريها مالم اشير الى حصول ثورات داخل اوروبا مثل الثورة الروسية التي من خلالها حصلت المرأة الروسية على حق التصويت عام 1918 مباشرة بعد ظهور الأمم النمساوية والجيكية والبولندية إذ ان بعض الحكومات استخدمت حق التصويت بمكافئة المرأة بسبب الخدمات التي قدمتها في الحرب العالمية الأولى مثل كندا التي منحت حق التصويت للممرضة العسكرية في عام 1917 ومن ثم شملت جميع نساء كندا في عام 1918. اما المرأة البريطانية التي تجاوز عمرها الثلاثين عاماً فقد حصلت على حق التصويت في عام 1918 بينما كان على الشابة ان تنتظر لغاية 1928 حتى تصوت بشكل متساو حالها حال الرجل عندما يصل عمر الواحد والعشرين. أي بعد 1928 كل من وصل الى عمر الواحد والعشرين من الشباب والشابات في بريطانيا يحق لهما الانتخاب اما المرأة الامريكية فقد تم منحها حق التصويت في عام 1920.

لا مريّة من القول بأننا لا نريد ان نلبث في هذه الموجة وما حصل فيها من تمخضات غيّرت وحوّلت دور المرأة في الحياة الانتخابية من طرح السؤال التالي: هل حصول المرأة على حق التصويت يقوم بتغيير المجتمع؟ ويجعل من المرأة ان

تعيش عيشه أفضل؟ وهل الحروب والثورات اعاققت ام دفعت المرأة نحو الاشتراك في الانتخابات؟ وهل الحكومات البرلمانية والاشتراكية واليسارية جعلت من المرأة التأثير على الحياة السياسية؟ في الواقع على الرغم من التحولات الدورية للمرأة في الانتخابات السياسية لم تحقق التأثير الكبير في الحياة السياسية سواء كانت في الدول البرلمانية او الاشتراكية. النساء كنّ مثل الرجال صوتوا طبقاً لمعتقداتهم السياسية واستناداً لانحدارهم الطبقي بيد ان التصويت في الانتخابات اوصل الرسالة التي مفادها انه عندما تدخل النساء الى عالم السياسة والحياة العامة تمسي الحياة أكثر انتظاماً وحرصاً واكل انانية إلا ان بعض الساسة أصبحوا أكثر حساسية للاهتمام بالنساء فنسوا قوانين لأرقاء تعليم النساء ومساواتها بالرجل في الحياة العامة مثل الدنمارك. على العموم القليل من النساء وصلوا الى المكاتب السياسية والقليل منهنّ ثم انتخبهنّ طبقاً للتصويت وما زلنّ يخططنّ كيف يمضون الى مستقبل أفضل.

### الطور الثاني (الموجة الثانية)

حملت عنوان الحركة النسوية تحولت الى تحرير المرأة، في عام 1960 كانت الحركة النسوية تعيش في عقب الماضي ومرتبطة مع احداثه وتراثه التاريخي، وفي عام 1970 اضحى هدف الحركة النسوية يقوم باتخاذ مواقف صريحة ويُدخل في مناظرات ومناقشات حادة. سميت هذه الفترة - فيما بعد - بالموجة الثانية للحركة النسوية في حين كانت الموجة الأولى تكافح من اجل الحصول على حق التصويت، إنما كان مصطلح الحركة النسوية نادر الاستخدام، في عام 1970 حلّ محلّه اسم تحرير المرأة. وفي عام 1960 شملت هذه الحركة اسباباً جديدة قدمت اليها من القارة الافريقية والقارة الاسيوية وبعض الاقطار التي تكافح من اجل الحصول على استقلالها من الحكم الاوربي. اما في الولايات المتحدة الامريكية فكانت هناك حركة الحقوق المدنية التي لم تستخدم الحملات العنيفة لكي تجلب او تلفت انتباه الناس حول التمييز العرقي والفقر السائد عن الأفارقة الامريكان. بعض الحملات ذهبت الى ابعد من ذلك داعمة الاساليب العنيفة من اجل تحقيق تحرير العبيد، إضافة الى خروج العديد من الأفراد على شكل تظاهرات ضد انخراط الحكومة الامريكية في حربها مع فيتنام (1964 - 1975).

بعض الأفراد من الناس امثال Hippies (الخنفوس الوجودي) رفضوا هذا الاتجاه السائد في المجتمع (أي حركة الدفاع عن حقوق المرأة) فأسقطوه محاباة وتحيزاً للعيش اللامادي البسيط - الوجودي لكن هناك العديد من الناس ممن أيدوا

وساندوا هذه الحركة واستمروا لفترة طويلة من الزمن. وقد ظهر موقف الخنافس – الوجود بين هذا على موسيقاهم وجنسهم ومخدراتهم وملابسهم التي باتت جزءاً منظماً من معيشتهم. في حين برزت هذه الحركة في امريكا الشمالية وانتشرت بشكل واسع وسريع في غرب أوروبا واستراليا على السواء مدعومة من قبل البرامج التفاضلية الفاعلة.

اللافت للانتباه انه منذ البداية انضم النساء الى هذه الحركة من اجل التغيير وترجموا انضمامهم هذا في مسيراتهم المطالبة بالحقوق المدنية وتظاهراتهم ضد الحرب مع فيتنام ثم يتبع ذلك طريقة الخنافس في عيشهم كل ذلك ادى الى احتمالهم بأن كفاحهم ونضالهم سوف يحقق النجاح في مطالبتهم بالمساواة مع الرجل إلا انهم اكتشفوا بأن النساء في الجماعات المتطرفة تواجه نفس المفاضلة وعدم المساواة وغياب الاحترام لهم في العديد من بقاع العالم فأيقنوا بأن الرجال يفكرون ويتحدثون ويكتبون والنساء يستمعنّ ويطنخنّ وينظفنّ ويخدمنّ ويستجبنّ للمعاشرة الجنسية . وإزاء هذا التيقن اصيبت النساء بخيبة امل وتحررنّ من الوهم الذي كان مسيطر عليهنّ عندما واجهنّ التمييز في الحركات التي تنادي بالمساواة والعدالة بالنسبة للجميع. اقول أدرك النساء ان حتى الحركات التحررية والتقدمية التي ترفع شعارات انسانية مثالية ونموذجية وطوبائية هي من باب التكسب الزائف والكذب والرياء وان في حقيقة امرها تمارس التمييز ضد النساء ايضاً الأمر الذي صدمها وحررها من الوهم الذي كانت معشعش في مخيلتها فخاب املها ولم تعد تصدق مناداة الحركات بالعدالة والمساواة بين الرجل والمرأة. بمعنى اخر واجهت الواقع الصادق والممارس في الأنشطة الاجتماعية والسياسية والمهنية.

نخرج الآن الى موضوع كيف ومتى ظهر مصطلح حركة تحرير المرأة The liberation movement بداية انها اشبه بحركة الملونين والتظاهرات التي خرجت معادية للحرب تهدف تحقيق التغيير في المجتمع وعدم ابقائه على وضعه الذي لا يتناسب مع تطورات العصر وهذا ما قامت به المرأة اسوة بالملونين والمعترضين عن الحرب مع فيتنام أي لا يوجد شخص او حادث مسؤل عن تشكيل او تأسيس حركة تحرير المرأة. وفي هذا السياق ومن نافلة القول انه بعد منتصف العقد السادس من القرن المنصرم بدأ النساء بتشكيل جماعات صغيرة تقوم بمناقشة مشاكل عامة وكتابة بيان رسمي خاص بالأهداف والدوافع ووجهات النظر الخاصة بهم إضافة الى التخطيط لاتخاذ افعال ومواقف تعكس طموحهنّ وخلال عدة سنوات برزت جماعات نسوية في عدة اقطار من العالم تقوم بهذه الممارسات عندها تبلور مصطلح تحرير المرأة الذي امسى يمثل نداءً عالمياً شبيهاً بالتصويت الانتخابي



حاولت عدة جماعات تحقيق التغيير. جدير بذكره في هذا المقام الى ان حركة تحرير المرأة تضم اقلية متطرفة واغلبية معتدلة. ترى الجماعة الأولى (المتطرفة) بأن النساء سوف لا يتحررن إلا عن طريق الثورة وغير ذلك لا يحصلن على تحريرهن بذات الوقت هناك العديد من النقاش حول ما هو نوع الشكل الذي سوف يأخذ طابعه في هذا المضمار؟

لا جرم من القول بأنه بالنسبة لبعض الجماعات يعني هذا ممثلاً للعنف السياسي الذي يريد قلب او اسقاط او الاطاحة بالنظام الرأسمالي. لا سيما وأن الحركة النسوية المتطرفة حاولت ارساء صلات وروابط مع النقابات العمالية والاحزاب السياسية ذات الجناح اليساري. وفي عام 1968 ظهرت احتجاجات وشغب واحداث سياسية متصاعدة ومتلاحقة في أوروبا وامريكا الشمالية بيد انها لم تستمر بفترة طويلة فبقي النظام السياسي قائماً.

ثم هناك نساء اخريات رفضن الانظمة الشيوعية والرأسمالية معاً وشاهدوا نفوذ الرجل والنظام الابوي البطريقي يمثل لهم مشكلة قائمة فحاولن التلفيق في قولهن بان المجتمع مبني على حاجات النساء حتى لو كان هناك العديد من الرجال والأولاد فيه. ليس هذا فحسب بل ان هذه الجماعة وكأنها تطالب بالانفصال عن الرجل عندما تركز في حديثها على الاغتصاب والعنف المنزلي والتمييز ضد السحاقيات واستغلال النساء في الفن الإباحي.

بعد هذا الاستهلال والاستطراد أخرج الى موضوع التنظيم الوطني للمرأة National organization of women لا جناح من الإشارة الى ان معظم المؤيدين والداعمين لتحرير المرأة غير منتمين الى أي جماعة لكنهم يطالبون بالتغيير ضمن النظام السياسي والاقتصادي القائم. فالتنظيمات مثل التنظيم الوطني للمرأة المكنى بـ (Now) في الولايات المتحدة والجماعة الضاغطة الالكترونية للمرأة في استراليا ضغطوا او مارسوا ضغوطاً على حكوماتهم من اجل تغيير القوانين الجائرة التي تفضل الرجل على المرأة وتميز بينهم وطالبوا ايضاً بتوسيع الفرص للمرأة في العمل. ممارسي هذه الجماعات منحدره من الطبقة الوسطى ومن البيض دعموا الاف النساء في حقوقهم في عدم المفاضلة الأمر الذي ادى الى استجابة الحكومة لهم فألغت القوانين المفاضلة بأخرى جديدة وسياسات داعمة لحقوق المرأة.

لا أجد بأساً من الإشارة الى ان تحرير المرأة لم يكن ابدأ ممثلاً لحركة موحدة إذ ان العديد من النساء الملونات شعرن بأن التركيز مُسلط بشكل رئيسي على مشاكل الطبقة الوسطى والنساء البيضوات وعدم الدفاع عن النساء السوداوات

وبالذات المنحدرات من الطبقة الفقيرة التي تزرح تحت الفقر والمعاناة العنصرية ولسكن رديء والمدارس البائسة ونظام اجتماعي معقد واضطهاد يومي مستمر. وفي هذا الصدد قال أحد الكتاب انه في عام 1967 كانت المرأة السوداء في الولايات المتحدة تكسب فقط 40% من معدل راتب الرجل الأبيض بينما المرأة البيضاء تكسب 60% ومن ذلك الحين باشرت المرأة السوداء بتأسيس حركة نسوية خاصة بها سميت بحركة النساء السوداء.

أدركت النساء بأنه إذا اردن ان يعبرن عن مصالحهن وحقوقهن عليهن الاعتماد على انفسهن قبل كل شيء وعدم الاعتماد على غيرهن ومن هنا بدء بزوغ وعيهم بمصيرهن من خلال اجتماعاتهن ومناقشة معاناتهن والعقبات التي تقف امام مسيرتهن وكانت تضم هذه الاجتماعات جماعات صغيرة متميزة بوعي لامع يتحدثن بحرية عن لماذا يشعرن بأنهن مضطهدات ومنزعجات وماذا يريدن ان يعملن. كانت اجتماعاتهم هذه تحصل في محلات لبيع الكتب والمقاهي العامة والأماكن التي يشعرن بأنهن في مأمن وارتياح، وكانت هذه باكورة العمل النسوي الواعي بحركتهن.

ولا غرو من القول بأن المرأة في موضوع تحريرها ركزت على الخبرات الشخصية الخاصة بها مثل علاقاتها الجنسية وحبلها ورضاعتها لأطفالها لكن العديد من النساء يقين يشعرن بأن لديهن القليل من التحكم بأجسادهن وحياتهن. وفي العديد من البلدان كانت هناك صعوبة الحصول على وسائل مانع الحمل او الحصول على الاجهاض الرسمي والحمل غير المرغوب فيه تجد المرأة صعوبة بالغة بالتخلص منه والمرأة القانطة والبائسة ترى الاجهاض غير قانوني. أي لا تفكر بالتخلص منه لأنه يمثل مشكلة قانونية وعندما يكون غير قانوني فإنه لا يخلوا من مضاعفات صحية تدفع ثمنه الحامل الذي يصل احياناً الى الوفاة بسبب عدم استخدام الادوات المعقمة والصحية. لذا فإنه ليس من المفاجئ ان يكون الاجهاض الأيمن والقانون او المطلوب يصبح أحد الاسباب الرئيسية لحقوق المرأة في رفع شعارها المطالب بتحكمها بجسدها دون تدخل الحكومة او الكنيسة او الأسرة او شريك الحياة او الموظفين في المكاتب الرسمية.

ومن نافلة القول ان تحرير المرأة لم يغفل او ينسى اجور العمل التي تتقاضاها المرأة إذ انها نادراً ما تحصل على عمل يتسم بمكانة متساوية مع مكانة عمل الرجل او ان قيمة اجورها مثل قيمة اجور الرجل ببساطة يرجع هذا الاختلاف الى ان معظم الاعمال والاشغال كانت مصنفة استناداً للجنس أي اعمال خاصة بالرجال وذلك أنها تتصف او تتطلب مهارة خاصة لا توجد إلا عند الرجال واعمال نسائية

لا يعمل فيها الرجال بل النساء وذلك لأنها تتمتع بمهارة مهنية والنساء لا تتوفر عندهن مهارة متقدمة وبناءً على ذلك فإن اجور اعمالهن تكون ادنى من اجور الرجال . بتعبير ادق ان مكانة عمل الرجل ومهارة المرأة وهذا جعل من مسيرة التغير بطيئة جداً. هذا من جانب ومن جانب اخر فإن الناس كانوا ينظروا الى الرجل على انه كاسب الرزق لأسرته لذا يتم دفع اجور له أكثر من المرأة وان اجورها اقل لأن عملها كان يتم النظر اليه على انه فائض عن الحاجة. الحالة لم تبقى على هذه الوتيرة إذ تبدلت نوعاً ما بسبب زواج المرأة وتفاقت معدلات الطلاق مع دعم وتعزيز حركة تحرير المرأة للمرأة التي تقوم بالإضراب او تدعوا اليه.

لا بد لي بعد هذا الاستطراد ان طرح اسئلة او سؤال محدد مفاده هل المطالبة بالمساواة رغبة فيه او قابل للتطبيق؟ ولماذا تصّر المرأة بتقليدها للرجل؟ ولماذا تدخل معركة خاسرة في نهايتها؟ الا تعلم ان الرجل يقوم بتحكيم عملها في نهاية الامر؟ الا تعلم المرأة ان المجتمع متحيز لصالح الرجل؟ الم تدرك المرأة بأنها لا تملك مهارات وقدرات مثلما يملكها الرجل؟ الم تشاهد المرأة مناشط الحياة متطبعة بطابع التمييز بين الرجل والمرأة؟ هذه الأسئلة مجاب عليها في الكتب والمقالات التي تصدرها منشورات أنصار المرأة وتعترف بها على لسان كل من جيرمن جرير وكات ميلت وكلوريا سنتنيم وشيلا روبرتهام وأخريات.

ولكي نجول طرداً مع حركة تحرير المرأة نقول بأنها كانت هذه الحركة نشطة جداً ومثيرة للجدل وإنها ارست دعماً كبيراً من الرجال والنساء، بذات الوقت واجهت معارضة كبيرة من الطرفين الذين يرون بأنها مقوضه للنظام الطبيعي والقيم النسوية فضلاً عن خروج الملايين من النساء بمسيرات وتظاهرات من اجل التغيير. في الواقع ان حركة تحرير المرأة كانت تمثل حركة كبيرة للمرأة الفاقدة للقيادة وكان هناك القليل من الاسباب التي توحد النساء الثريات والفقيرات والبيضاوات والسوداوات والمتزوجات والعازبات والسحاقيات والطبيعيات. ففي العقد الثامن من القرن العشرين انشطرت الحركة الى عدة شعب وانقسامات ففقدت الكثير من حيويتها.

بقي ان اشير في هذا المقام الى انه بغض النظر عن حركة تحرير المرأة من القول بأن المرأة وتجمعاتها لعبت دوراً حيوياً في تاريخ انصار المرأة الذي لم يكن منظماً بشكل منسق على الدوام بل كان مشوشاً لكن على الرغم من ذلك فإنها طرحت افكار نسوية تخدم الملايين من النساء في كفاحهم وتسجيل احداث مهمة في تاريخ الإنسانية بأن الرجال ليس وحدهم صنعوا تاريخ المجتمعات بل ساهمت

النساء في ذلك وقد مارسنَّ ضغوطاً على العديد من الحكومات في تغيير قوانينها المتميزة والمفضلة للرجل عليهنَّ وهذا ما حدث في العديد من الاقطار الغربية ثم تبنيها ثقافات اخرى ومواقع مختلفة مثل حركات حقوق المرأة التي برزت في اسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا والشرق الاوسط وباقي الحركات النسوية بغض النظر عن الوانها واشكالها إذ انها اصبحت جزءاً من صلب العديد من حياة النساء في العالم .

لا جرم من تقديم ملخص عن الطور الثاني (الموجة الثانية) للحركة النسوية: الذي بدأ في العقد السادس من القرن العشرين ، الذي اتسم بالملهمات والمبدعات سجلنَّ في مؤلفاتهنَّ كفاح المرأة ونضالها ضد ظلم الرجال امثال سيمون دي بيفوار في مؤلفها الموسوم "الجنس الثاني" 1953 وبتي فريدان في كتابها المعنون " الغموض النسوي " 1963 وكات ميلت في اصدارها الموسوم " السياسات الجنسية " 1970 و جيرمي جرير في كتابها المعنون " الأنثى المخصية " 1970 صدور هذه الكتب عملت تحولاً جوهرياً في مناقشات ومحاورات الناس الكامل مما اثر ذلك على كتابات الحقول المعرفية مثل العلوم السياسية والنفسية والثقافية والانثروبولوجيا وهذا بدوره وسع من نشاط الحركة فدفعها الى حدود ابعد مما كانت عليه في الخطاب السياسي واوضح عرضاً متحدياً وسافراً لمعظم الاحتمالات الاساسية للثقافة والمدنية . وقد جاءت هذه الكتب في وقت احتياج النساء للتعبير الاجتماعي المتطرف وتحرير السياسات الذي كانوا يتمنوه ويطلبوه من اجل التحرر من ظلم الرجال طيلة الاف السنين. إذ ان التحرير والانعقاد بالنسبة للحركة النسوية المتطرفة يمثل مطلبها الملح لتحسين نصيبها في الحياة القانونية والسياسية والاجتماعية من اجل تغيير مواقف الناس من النوع الاجتماعي (الجندر) وانصاف ميزان النفوذ بينها وبين الرجل.

اما في بريطانيا فقد حصل هناك تحول قانوني وتشريعي واسع النطاق حقق الكثير من المساواة بين الرجل والمرأة حين صدر اصلاح قانون الاجهاض 1967 واصلاح قانون الطلاق 1969 وقرار لائحي خاص بمساواة اجور العمل 1970 وقرار لائحي خاص بالتمييز الجنسي 1975 وقرار لائحي لحماية الموظفين 1975 وقرار لائحي خاص بالعنف المنزلي 1977. وعلى الرغم من كل هذه التشريعات القانونية فإن التقدم في التعامل مع قوى بنية المفاضلة الجندرية في المجتمع مازالت ضعيفة. لكن التمييز البيولوجي بين الاثنتين مازال قائماً فالمرأة متصفة بالعاطفة والتعاون وتقديم الخدمة والتضحية التي اكتسبتها من الامومة بينما

اتسم الرجل بالقوة والتنافس والعاطفة المحدودة. هذه ثوابت توضح المفارقات البيولوجية بينهما. علماً بأن تاريخ البشرية سجل الكثير من الكفاح المتصارع بين الذكور والاناث بذات الوقت شاهدنا انخراط الحركة النسوية في الحركات السلمية و ضد تدمير البيئة والحرب النووية أكثر من مواقف الحركات الذكورية.

### الطور الثالث (الموجة الثالثة)

الذي بدأ في العقد التاسع من القرن العشرين ناقش انصار المرأة في هذه الفترة الزمنية مواضيع جديدة تختلف عن تلك التي تم مناقشتها في الطور الثاني مثل التحرر المدني وسبباً للتقدم القانوني للمرأة والابتكارات الطبية والتقنية التي تستخدمها المرأة في منزلها مثل وسائل مانع الحمل والادوات المطبخية والمنزلية التي تستخدمها ربة المنزل في المطبخ ومرافق البيت في التنظيف والتجميل التي تساعدها في رفع اعباء مسؤولياتها في تنظيف وترتيب منزلها وتيسير طبخ طعامها والعناية بأطفالها الذين ولدوا دون تخطيط في انجابهم فلم تبقى نفس متاعب المنزل وتربية الاطفال شاقة ومرهقة كما كانت تعاني منها المرأة قبل هذا التاريخ . هذا من جانب ومن جانب اخر فقد برزت كاتبات ركز اهتمامهن على شؤون المرأة وطلباتها في المساواة مع الرجل أمثال: -

1- جيرمين جرير: التي صدرت كتاب بعنوان "الجنس والقدر" 1985 الذي تناول التعاطف مع المرأة في حياتها الأسرية وتربية الأطفال.

2- جين كاميليا باجليان: التي كتبت عن الجنس والفن والثقافة الامريكية 1990 تساءلت فيه عن مكانة المرأة المخصية.

وازاء هذه التحولات التطورية تم تسمية المرأة بـ "الأنثى الجديدة" وذلك بعد إزالة الاجحاف الذي كان جاثماً على صدرها في عدة مجالات من الحياة الاجتماعية. وفي هذه الفترة ايضاً كان الجو الاجتماعي والسياسي يتقبل فكرة المساواة بين الرجل والمرأة لكن لم تنتهي مشكلة التمييز الجندري بشكل تام وكامل. ففي المجتمع البريطاني بقي دفع اجور المرأة على ما هو عليه إذ كان اجور النساء اقل بكثير من اجور الرجال ويعملنّ بعمل جزئي لا كامل وذات مكانة متدنية وغير مضمونة وذات مهارة واطئة وعمل مؤقت اكثر من الرجل ، إنما على الرغم من ذلك فقد كانت هناك نساء ممن هنّ في قمة المهن الرئيسية في المهن القانونية والطبية والجامعات الاكاديمية ووسائل الاعلام والخدمات المدنية الرئيسية ، اضافة الى ذلك ففي عام 2001 كان هناك 40% من الشركات ممن اكدوا بعدم وجود نساء في شركاتهم يعملنّ فيها وقد هبط معدل اشتغال النساء في عام 1999 من 69%

الى 57% في عام 2001 . انها موجة او طور يختلف عن الطور السابق (الطور الثاني) في حركته النوعية والكمية.

اما الجندر فإنه يتطبع بالطابع الثقافي الذي يقوم بتحديد الأدوار المختلفة بين الرجل والمرأة بشكل عام مفروضاً على الانماط السلوكية التي لا صلة لها بالفوارق البيولوجية او الطبيعية التي تنص على تحمل المرأة في مسؤولياتها الرعائية للأطفال.

اما النوع السياسي فهو يمثل عقيدة تعكس الظلم والجور الممارس من قبل أحد الانواع الاجتماعية (الرجل والمرأة) على الأخر وعادةً تكون غير قابلة للتغير لذا فإنها تشبه العقيدة الاستعمارية التي يمارسها الرجل على المرأة (بمعنى الرجل يستعمر المرأة فيستغلها استغلالاً كبيراً ويسخرها لصالحه على حساب مصلحتها) تعكس قوى الرجل على المرأة في مجتمع يكون فيه الرجل متحكماً بالمرأة في كل مناشط الحياة الاجتماعية كافة. [العمر. 2017. ص. ص. 162 – 179]

## 2 – مدارس الحركة النسوية

لما كانت للنساء حركة جماهيرية فإن ذلك يعني او يتوجب ان تتضمن عقيدة تعكس اهدافها وطموحها وفكرها ومنطقها وهذا ما اوضحه العديد من المهتمين بدراسة الحركات الاجتماعية الذين قالوا عنها بانها حركة عقائدية حالها حال الحركات الجماهيرية التي يتضمنها المجتمع. إنما الفرق بينها وبين عقائد الحركات هو الاختلاف بالدرجة لا بالنوع وهذا ما يجعلها ذا صعوبة بالغة في تحليلها ونقدها وذلك لكونها تتضمن العديد من الاغلفة العقائدية ذات الخبرات المميزة للمرأة في المجتمع فضلاً عن تعاملها مع العديد من الحقول المعرفية مثل القانون والحكومة والاقليم والدولة والشرعية والانساق الاقتصادية والتفاسير التاريخية واللغة والافكار والإحداث المستخلصة من حقول اخرى مثل علم النفس وعلم الاحياء الاجتماعي وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ، لكن مع ذلك فإن هناك انتقادات موجهة لها بأنها تمثل حركة ادبية والبعض الآخر يقول عنها بأنها عقيدة غير متكاملة ساهمت الحركات الاخرى مثل الليبرالية والاشتراكية والمحافظة . مع كل ما قيل ويقال عنها فإنها تتضمن اهداف حادة ولاذعة ومنهج ونظريات وطموحات. وازاء هذه التوطئة نستطيع ان نحدد مساراتها التي عرّفت اهدافها كحركة جماهيرية وهي الحركة النسوية الليبرالية والاشتراكية والمحافظة والمتطرفة.

## 1 – الحركة النسوية الليبرالية

نشأت هذه المدرسة الحركية في احضان الموجة الاولى (أو الطور الأول) من نشوء الحركة، تحديداً من بداية القرن التاسع عشر وانتهاءً مع بداية القرن العشرين.

لمعت فيها أسماء رائدة امثال، ماري ولستونكرافت وهاريت تيلر و ج. س. ميلز وجميعهم ساهموا وشاركوا في نشوئها وبنائها مركزين على الطموح الكامل للحقوق المدنية والقانونية للمرأة معززة في تركيزها على القواعد القانونية. اما طابع هذه الحركة فهو ليبرالي بالدرجة الأساس مؤكداً على مكاسب ومطالب مساواتيه بين الرجل والمرأة من حيث العمل والمنافسة في سوق العمل والأجور. وفي الموجة الثانية (الطور الثاني) برزت كل من بيتي فريدان وأخريات قالوا عن المرأة بأنها موجهة من قبل اسطورة الثقافة التي جعلت منها عضوة اسرية لها دور مناسب في الحياة وان تعليمها يمنحها دوراً كبيراً في الحياة العامة. اما الحركة النسوية في بريطانيا فقد اضافت العامل السياسي الى مطالبات المرأة السابقة فتم تشريع العديد من التشريعات مثل تشريع حق الاجهاض 1967 وتشريع الأجور المتساوية 1970 وتشريع التميز الجنسي 1975. في الواقع مثل هذه التشريعات تمنح المرأة حقوقاً تساعدها - كإنسانة - يصبح لها حرية الاختيار حول عيشها في الحياة الاجتماعية خارج منزلها.

هناك انتقادات وجهت الى الحركة النسوية تشير الى انها اهتمت بنساء الطبقة الوسطى واهملت نساء الطبقة العاملة. لكن مع ذلك فقد تم تحقيق العديد من مطالبهين في العالم الغربي وبالذات في مجال الحقوق المدنية والحقوق السياسية.

## 2 - الحركة النسوية الاشتراكية

يرى بعض الاشتراكيين الطوبائيين (المثاليين) ابان القرن التاسع عشر امثال فورير وسانت سيمون وروبرت اوين بأن افكارهم تتضمن تطبيقات مهمة خاصة بالمرأة فيما يخص السماح الواسع النطاق للبيئة الجنسية التي تكون فيها متحررة من مسؤولية وعبئ الرعاية بالأطفال والشؤون المنزلية عبر تحويل معظم الوظائف الأسرية الى المجتمع المحلي. أبون بالذات قال بأن الدين هو الذي اخضع المرأة للرجل وذلك عبر زواجها منه وإذلالها له حيث جعلها عبدة للرجل تخدمه وتهتم بمنزلة وسعادته ورفاهيته.

ماركس كان ايضاً مهتماً بتحرير المرأة على الرغم من انه كان يعيش عيشة محافظة داخل اسرته مع ذلك فإنه يرى بأن الثورة الاشتراكية سوف تحرر المرأة وان النظام الشيوعي لم يكن فعالاً في منح المرأة المساواة مع الرجل لذلك اخذ موقفاً محافظاً منها وبالذات دورها السياسي لذلك كانت النساء أكثر تطرفاً في مناداتهن للتحرر عندما شاهدن الاشتراكيين والشيوعيين محافظين في نظرتهم وغير جادين في تغيير دورها في السياسة والعمل. في حين دافع انجلس عن المرأة في كتابه المعنون "أصل الأسرة" 1884م الذي حدد جذور ظلم المرأة المستكن في

النظام الاقتصادي المبني على الملكية الخاصة والمتسلطة من قبل الرجل فأمست المرأة مملوكة للرجل حالها املاكه الاقطاعية فنزلت مكانتها لمستوى أدنى من مكانة الرجل. لكن بالإمكان إزالة الظلم الواقع على المرأة من خلال كفاحها الطبقي الذي هو جزء من الكفاح العام لها وان إزالة النظام الرأسمالي يعني نهاية اضطهاد المرأة إذ انها مستغلة من قبل النظام الرأسمالي بشكل كبير مع تدني اجورها ونفوذها وسماحها للرجل بتحقيق متطلبات النظام الرأسمالي من خلال رعايتها لأطفالها ومساهمتها في ميزانية الأسرة فهي إذن داعمة للنظام الرأسمالي من خلال خنوعها وعبوديتها للرجل وللنظام الرأسمالي لكن تستطيع ان تحصل على طلباتها في المساواة فقط إذا تحررت من سيطرة الرجل وهيمنة النظام الرأسمالي. ناشطة ماركسية جوليت ميتشيل في كتابها الشأن النسوي او شأن المرأة 1971م وكتابها الاخر "التحليل النفسي والحركة النسوية" 1974م قالت فيهما بأن جور وظلم النساء في المجتمع الرأسمالي ليس فقط يمثل الاستغلال الاقتصادي إنما ينطوي على عدة اوجه نفسية وثقافية التي يمكن تغييرها.

### 3 - الحركة النسوية المحافظة

تؤكد هذه المدرسة على الادوار المتساوية بين الرجل والمرأة وبشكل مختلف لأنها تخضع لتقسيم الطبيعة البشرية التي يقوم بها الرجل والمرأة داخل الحياة الخاصة (المنزل) والعام (خارج المنزل) وهي بذلك تعزز القيم الذكورية ومصالح الرجل وهذا ما يمثل استغلالاً واسعاً للمرأة وتبعيات ذليلة يمكن مشاهدتها في علاقتها الجنسية مع الرجل ورعايتها للأطفال فهي إذن مستعبدة للرجل وخير مثال على هذه المدرسة المجتمع العربي الذي يقيد المرأة بمسئوليات عديدة بذات الوقت بمنحها احتراماً ومكانةً ظاهرة مع قسطاً من الحرية الشخصية.

لذا فإن الأسرة تعد خير مثال على مناقش الأنثى وانجازاتها وهناك من النساء المحافظات ممن يدافعن عن دورهن المحافظ في تربية ابنائهن والاهتمام بشؤون منزلهن ويفضلن ان يكونوا محور ومركز الأسرة وانهن سعيدات بهذه المسؤولية بشكل أكبر وأكثر من عملهن خارج الأسرة وحصولهن على اجور عملهن. من امثال هذا النوع من النساء المحافظات جين بيتك م 1981 في كتابها الموسوم " في الرجل العام والمرأة الخاصة " نشرت فيه العديد من وجهات النظر التي فيها خبرة المرأة في الحياة تستقى من الأمومة والحنان والرقّة والتنظيم والنظافة كصفة عامة تشترك فيها جميع النساء.

### 4 - الحركة النسوية المتطرفة



نشأت هذه المدرسة في احضان الموجة الثانية (الطور الثاني) وتركز فحوى هذه الحركة على الظلم والقمع الذي مورس على المرأة كان سائداً في الماضي والحاضر الذي منشئه ظلم الانظام الأبوي الذي غطى مساحة السياسة والثقافية والاقتصادية والدينية والاجتماعية عبر دور المرأة في النوع الاجتماعي (الجندر) مستغلاً المرأة من قبل الرجل الذي تغلل الثقافة بكاملها ومتحدى من قبل السياسة والاقتصاد والثقافة والفن والفلسفة والعلم واللغة.

ومن غرائب المطالب التي طالبت به هذه الحركة هي ان تكون هناك لغة خاصة للرجل بالتحدث للمرأة. أي على الرجل ان يبتكر مفردات تعبر عن احترامه وتقديره للمرأة عندما يتحدث معها تمثل لغة جديدة لأنها تختلف عنه، لغة تعبر عن الرقة المهذبة والغير عنيفة، فيها الرومانسيات المحببة للمرأة وهذه الرؤية تقول إذا تم تحرر المرأة فإن ذلك يعني تحرر الرجل وإذا استعبدت المرأة فإن ذلك يعد استعباداً للرجل وهذا يؤدي الى بلورة علاقات صحية بين الإثنين.

## تعقيب وتعليق

مما لا جدال فيه ان اطوار الحركة النسوية هدفت في نهاية مناشطها تغيير دور ومكانة المرأة في المجتمع، ولما كان الفرد سواء كان رجلاً او امرأة لا يستطيع تغيير المجتمع، بل الحركات الاجتماعية عبر تنظيمها وفعاليتها المستمرة وحصولها على تأييد من بعض شرائح المجتمع تحقق جزء من التغيير الاجتماعي، على ان لا ننسى حدوث تغييرات كبرى في المجتمع فسحت المجال لهذه الحركات بالتقدم والتأثر على حركة المجتمع وتغيير بعضاً من توقعاته والتزاماته نحو ذلك الفرد المراد تغيير وضعه الاجتماعي.

ولما كان المجتمع يتألف من نوعين رئيسيين من الافراد من الناحية البيولوجية (ذكر وانثى) فإن أي تغيير يبتغيه أحدهما يكون على حساب الطرف الاخر لانهما متلازمان ومتناسجان اجتماعياً واحياناً دموياً (داخل الأسرة) فإن تضررت مصالح وحاجات ذاك الطرف فإنه سوف لا يقف - الطرف الثاني - مستسلماً بل يقاوم التغيير الذي أضر بمصالحه وحاجاته الخاصة والعامة. ولما كانت الخلية الأولى والأهم في المجتمع (الأسرة) قائمة عليهما بالدرجة الأساس فإن مصلحة الأسرة يكون لها الاهتمام الأول والأكبر في موقفها من هذا التغيير الذي سوف يُصيبها ايضاً (بنائياً ووظيفياً ووجودياً).

ديدني من هذا الاستطراد هو القول بأن الحركة النسوية وحركة تحرير المرأة مآلها لا يكون سهلاً او مرحباً به من قبل الرجل والأسرة لأنهما سوف يتضررا مصلحياً وحاجياً من ذلك التغير إلا ان حدوث تغيرات كبرى تحصل للمجتمع الإنساني مثل الثورة الصناعية وما قامت به من سحب الرجال من العمل الحقلي والمنزلي الى المعمل والمصنعي ادى الى الاستعانة بالمرأة في التوظيف في سلك التعليم والتمريض الذي تركه الرجل لها. وما جلبته الثورة الاتصالية والمعلوماتية من سرعة في الاتصالات جعلت المرأة تتفاعل مع كل نساء العالم في افكارها التحررية والدفاع عن نفسها ومكانتها الاجتماعية.

بيد ان الحرب والنظام الأبوي (البطريقي) والرأسمالي لم يسمح لها بالتحرر من مسؤولياتها بل اجبرها على الاعمال الوطنية في التمريض العسكري والاهتمام بالأسرة والتعليم.

بدأ تغيير دور ومكانة المرأة عبر حركتها النسوية من خلال مطالبتها بالتصويت الانتخابي الذي كان يعني بالنسبة لها الدخول في مجالات غير مسموح له لأنها كانت مقصورة او مقتصرة على الرجال فقط مثل التنظيمات السياسية والدوائر الرسمية والاحزاب السياسية وسوق العمل. فكان همها الأول والأخير هو دخولها الى ميدان الانتخابات البرلمانية والبلدية الذي بدأ في عام 1890م وكانت هذه الخطوة الأولى لها بالخروج من وضعها التقليدي (في المنزل والأسرة) لتتحول الى مرحلة المرأة الجديدة التي تبحث عن التحرر من الزواج والمسئولية المنزلية والاعتماد على الرجل في الصرف على عيشها وأول ما ظهر هذا التغير كان على ملابسها التي اضحت مختلفة عن ملابسها التي ترتديها في المنزل من حيث الألوان والأزياء والاناقة والتنوع ليس هذا فحسب بل استغلت وقت فراغها فأملتته بالأنشطة الترفيهية المسلية تقضيه في المقاهي والمنتجعات والمنتزهات العامة والسفر في رحلات عائلية بعيداً عن المنزل والاستمتاع بممارسة الرياضة والرشاقة الجسدية والاهتمام بصحتها بعدما كانت تقضي وقت فراغها بالخياطة والحيافة والتطريز وطبخ الطعام .

هذا الحراك الذي بدأت به المرأة جلب انتباه المصلحين الاجتماعيين فأبدوا بعضاً من مطالبها فساندوها بدخولها الى سلك التعليم والتمريض وسوق العمل والمطالبة بحقوقها الزوجية والدفاع عنها وعدم استخدام العنف الاسري عليها. الملفت للانتباه هو انهن كن يعارضن ادمان الرجال على المسكرات الكحولية لأنه كان يهدد كيان الأسرة في ميزانيتها وتفكيكها وتتصل الزوج من مسؤوليته الأسرية وتبذير ماله واهمال زوجته فضلاً عن كونه مؤدي الى إفقار أسرته.

لم يقتصر نشاطها على هذه المعارضة بل عارضت ايضاً التمييز العرقي ضدها الامر الذي ادى الى انخراطها في حركات نقابية عمالية معارضة لقيدها واحتقارها من قبل الموظفين في الشركات والدوائر الرسمية، وأدى ذلك الى انخراط قسماً منهم في حركات ثورية متطرفة لإسقاط حكومات ظالمة ومستبدة مثل الحكومة الروسية وحكومات أوروبا الشرقية.

بيد ان نشاطها لم يستمر بنفس الاندفاع والهمة بل تعرقل بسبب حدوث الحرب العالمية الأولى فتوقفت مناداتها بالتصويت والانتخابات والمساواة مع الرجل بسبب انشغال الجميع بالحرب والدفاع عن البلد والنفس.

إن مطالبتها بالتصويت يعني بالنسبة لها الاعتراف بحقوقها كمواطنة لا كزوجة فحسب وكعضوة في المجتمع وليس فقط في الأسرة، كمنتجة صناعياً واقتصادياً لا بس كمنتجة بشرياً – عن طريق الولادة – وكراعية سياسية لا كمربية أسرية، وكناشطة اجتماعية لا كمنظمة منزلية وككاتبة لا كمستمعة وكمفكرة لا كمهرجة وكمخدومة لا كخادمة، وكانسانة لها صوت مسموع من الآخرين لا كفرد لا صوت لها، وكعضو في عملية اتخاذ القرار لا كمتابعة بعملية القرار وكصوت يجب ان يُسمع لا كأذان صاغية، وكمساهمة في بناء النظام الاجتماعي لا مكسرة له.

مثل هذه المطالبات والمناداة ادت الى محاربتها وتوقيفها وسحبها من قبل السلطات الحكومية لأنها اعتبرت مثل هذه التصرفات كسراً للنظام الاجتماعي وإساءة الى انوثة المرأة. هذا على الصعيد الظاهري، لكن على الصعيد الحقيقي والواقعي هو تحجيم سلطة وتفويض أنانيته وجشعه بالتسلط عليها (شعوره) والتدخل في شؤونه الخاصة برجولته التي اعتاد عليها ومارسها عبر قرون من الزمن.

لا جرم من القول ان مثل هذا التغيير في ميزان القوى الاجتماعية داخل الخلية الأولى والبناء الاجتماعي ومكانة الرجل وسياسة النظام الاجتماعي والسياسي لا يصب في صالح الرجل والسياسة التي يمتلكها منذ امد بعيد معتبراً هذه المطالب مخالفة للطبيعة البشرية التي خلقها الله. بيد انها في الواقع لا تعزز نفوذه وسلطته وسيادته التي تربي عليها وخدمت اهدافه. لكنه نسي ان الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لا تستمر على هذا المنوال طيلة الوقت بل اتت احداث كونية كبرى اجبرته على ان يتخلى عن بعضاً من سلطاته ونفوذه في الأسرة والمجتمع والسياسة لتدخل المرأة وتأخذ مكانه وتساعد في مهامه الاجتماعية والسياسية لا كمنافسة له ومتصارعة معه بل كشريكة في العملية السياسية والاجتماعية والأسرية.

آيتي من هذا العرض هو القول بأن التغيير الاجتماعي لم تحدثه المرأة ولا مكانتها الاجتماعية بل الاحداث الكبرى مثل الحروب والثورات والابتكارات جميعها خلقت احتياج المجتمع الى النصف الثاني من المجتمع للمساهمة في دفع عجلة التغيير من خلال حركتها التي قادتها الى: -

- تحقيق بعضاً من المساواة في الحقوق والواجبات.
- الدخول في عالم السياسة والانتخابات والتصويت.
- الدخول في المؤسسات التربوية واكتساب التعليم.
- محاربة التمييز العرقي والقومي والطبقي بينها وبين الرجل.
- الحصول على بعض المكاسب المالية التي تقربت من اجور الرجل الذي يحصل عليها في العمل خارج المنزل.
- استقلالها اقتصادياً وعدم اعتمادها على الرجل في اعالتها.
- تقليل عدد الانجاب في الأسرة.
- الحصول على حقوقها في الزواج والطلاق.
- دفاعها عن العنف الممارس عليها من قبل الرجل.
- دخولها الى سوق العمل لكنها لم تحصل على مواقع مهنية قيادية مثلما حصل عليها الرجل.

- تحررت من قيود الماضي الصارمة التي كانت تقيدها خارج المنزل.  
حري بنا ان نشير الى ان التغيير الذي حققته المرأة لم يكن بمفردها بل بمساعدة ومساعدة حركات الحقوق المدنية وحركات ضد التمييز العرقي وتحرير العبيد وحركات ضد الحرب في فيتنام.

ان سياق الحديث يلزمني ان اقول ان الحركة النسوية وحركة تحرير المرأة لم تهدف الى انفصال المرأة عن العمل في الحياة العامة والخاصة بل رمت وترمي الى مواكبة ومتابعة التطورات الاجتماعية الدائرة الاجتماعية من خلال تحويل وظيفتها المحدودة بحدود الأسرة (الانجاب والتنشئة والطبخ والاهتمام بالزوج) الى المساهمة في العملية الانتاجية والسياسية وميزانية الأسرة وارقاء مستوى عيشها وعيش ابنائها لكيلا تتخلف وتسحقها عجالات التغيير. اقول ان مطالبها لا تعني المنافسة مع الرجل ولا الصراع معه ولا استحواد على سلطانه ولا سحب نفوذه ولا جعله تابعاً لها، بل المساواة في العيش وادراكها او احساسها بأنها انسانة لها حقوق مثل حقوق زوجها وان يُسمع صوتها ويتفاعل مع تفكيرها وتقول قولها لا على ابنائها فحسب بل في عملها المهني وان تُجزى كما يجزى الرجل في العمل

وان يُسمع صوتها في حبلها وتربية ابنائها وتحكمها في جسدها وان لا تكن المهن مصنفة على اساس الجنس (اعمال خاصة بالنساء واخرى خاصة بالرجال).

اخيراً لا اريد ان ابرح من هذا الموضوع حتى اقول قولي في ان مطالبة النساء بتساوي حقوقهن مع الرجال مطلب قابل للتطبيق إذا أرادت ان تتحمل مسؤوليات الرجل الذي كان يتحملها قبل المطالبة بالمساواة وإذا تقبل الرجل التخلي عن تلك المسؤوليات هذا على صعيد التحمل والتخلي من قبل الطرفين من الناحية المنطقية والنظرية لكن على الصعيد الواقعي لا تحصل المساواة بينهما بشكل تلقائي وانسيابي بل ان تطورات المجتمع وتحولاته المفصلية داخل الانساق البنائية هي التي تجبر الرجال والنساء (على السواء) بتغيير مواقعهم وادوارهم و مناشطهم عندئذ تلزمهم بالخضوع لهذه التطورات والخروج عن النظام الأبوي والرأسمالي والولوج الى عالم جديد يتطلب التخلي عن الكثير من المسؤوليات والواجبات التقليدية والتخلي بالعديد من المسؤوليات والواجبات العصرية التي تتطلبها روح العصر وليس ما يتطلبه الرجل او المرأة لأن كلاهما يخضعان لهذه الروح الجديدة والمتجددة فلا خوف من صعود المرأة الى مستويات جديدة كان الرجل يحتلها ولا خوف الرجل من يؤخذ منه من قبل روح التجديد .... انها مسؤولية اجتماعية يدفع ثمنها الرجل والمرأة لصالح المجتمع شأوا ام أبوا. [العمر. 2007. ص. ص. 180 - 190]

### 3 - كيف تعامل علم الاجتماع مع المؤنثة؟

أخذ هذا التعامل مساحة زمنية تبدأ من 1840م وتنتهي لغاية عام 1960م. في الواقع ان الحركات النسوية ليست جديدة العهد في المجتمع الامريكي بل ترجع جذورها الى المرحلة الكولونية، تحديداً في 13 مارس في عام 1776م أي قبل استقلال امريكا. وكانت اولى الحركات قد ظهرت في مدينة نيويورك في بلدة سينكافالس صيف 1848م. في 19 تموز هدفها الدفاع عن حقوق المرأة مطالبة بالمساواة السياسية والقانونية بين الرجل والمرأة، ومع تقدم الزمن وزيادة الوعي السياسي عند المرأة وانخفاض معدل الامية بين النساء وتكاثر عددهن في المواقع المؤسسية الرسمية طالبت الحركة بالسماح للمرأة في انتخاب رئيس الجمهورية وكان ذلك عام 1920م، إذ بات هذا المطلب هدفها الأساسي وتركت مناداتها برفع المظالم عنها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية.

بعبارة اخرى، لم تصل هذه الحركة الى الحالة الفاعلة والماضية في دفع عجلة التغيير الاجتماعي للمجتمع الامريكي وسميت هذه الحالة بالموجة الأولى للحركة النسوية.

ثم جاءت الموجة الثانية في العقد السادس في هذا القرن وتعاضمت قوتها بشكل كبير في العقد السابع من القرن نفسه إذ تجلت بإصدار ثلاثة كتب تعبر عن ارادتها واهدافها ونشاطها من خلال مناقشتها لحقوق المرأة المهضومة وهي ما يلي: -

1 - الجنس الثاني ليسمون دي بوفار.

2 - صوفية الأنثى لبيتي فرايدان.

3 - السياسة الجنسية لكات جيليت.

لم تكثف هذه الحركة بالدفاع عن حقوقها في التميز الجنسي بل ذهبت الى الدفاع عن حقوق السود ( الزنوج ) المهضومة من قبل البيض وحددت موقفها المعادي من حرب امريكا مع فيتنام وكان هذا التوسع راجع بالأساس الى اختبار ممارسة نفوذهم الحركي وعندما نجحت في ذلك ولدت حركة نسوية متطرفة اسمها "حركة التحرر النسوية" التي طالبت فيها بإزالة الادوار الخائفة والراكعة والراضخة والمستضعفة في جميع مؤسسات المجتمع الامريكي، فضلا عن هدفها الآخر المتضمن مناهضة الهيمنة الشاملة التي يمارسها دور الرجل عليها لكي تتحرر منه ليكون دورها شامخ لا راعق وقوي لا مستضعف، فاعل لا هامل يتموقع في الصدارة لا في الظل، اولي لا ثانوي حاله حال دور الرجل في المنزل والمكتب والقانون والسياسة والاقتصاد والإدارة.

فلا غرو من تنامي الوعي الاجتماعي عند النساء المتأتي من حركتهن الذي بدوره دفعهن الى اتخاذ موقف صراعي مع النظام الاجتماعي للحصول على العديد من الحقوق المهدورة والمسلوبة منهن وخاصة فيما يخص التضامن الاجتماعي والصحي والتمثيل في مجالس الحكومة لإزالة التميز الجنسي في التعليم والتوظيف، بل طالبين بإجازة الاجهاض وإدانة الاعتداء على المرأة من قبل الرجل في اسرتها ومناهضة فرض استخدام وسائل منع الحمل على الاقليات والطبقات الفقيرة في المجتمع الامريكي. وهذا يعني ان الحركة النسوية باتت آلية ماضية وفاعلة في دفع عملية التغيير الاجتماعي بواسطة تغيير بعض مكونات النظام الاجتماعي العرفية والرسمية.

لم يكن موضوع الأنوثة قد اخذ مكانه في ادبيات علم الاجتماع بشكل منتظم وجاد في الفترة الواقعة بين 1840م - 1860م بسبب مناهضة المجتمع لها آنذاك. بيد ان الامر تبدل في الفترة الواقعة بين 1890م - 1920م بسبب الاحداث التي

شجعت وأنعشت هذا الموضوع. وازاء هذه التحولات الاجتماعية ظهرت ثلاث معالجات سوسيولوجية بسبب اختلاف فترات معالجاتها وهي ما يأتي: -

1 - الفترة الواقعة بين 1840م - 1960م: ظهرت كتابات تدافع عن الأنوثة في المجالات المهنية والسياسية. ولما كان علم الاجتماع في بداية نشؤه وتطوره فقد دخلت كتابات باحثاته عن وضع المرأة المهني والسياسي وليس منظور علم الاجتماع فكانت كتابات تعبويه وإعلامية أكثر من كونها منهجية منتظمة.

2 - احتواء موضوع الأنوثة بشكل هامشي وليس جوهرى بوساطة النظريات التي تناولت دور الرجل والمرأة في المجتمع.

3 - اعمال بعض الاجتماعية المهمة بالمهن والعمل الوظيفي امثال هربرت سبنسر وماكس فيبر واميل دوركهايم وتالكوت بارسونز التي كانت تمثل الطابع المحافظ. وقد كانت معالجاتهم لموضوع الذكورة والأنوثة تنقصها الافكار المترابطة والمنطق السليم الذي يعتمد عليه علم الاجتماع. أي انهم لم يتعاملوا معها بأسلوب نقدي بل بشكل عام وعائم وحسب ما تملي عليهم ظروفهم، بعبارة اخرى لم تكن كتابات جادة ومتسلسلة بل متقطعة وغير متعمقة.

فضلاً عن ذلك فإن الكتابات الأولى عن الأنوثة في علم الاجتماع اتت من الرجال وليس النساء لأن المؤسسين لهذا العلم كانوا من الرجال وكانت طروحاتهم سياسية أكثر من كونها تربوية او اقتصادية او نفسية او اجتماعية.

اما الجيل الثاني من علماء الاجتماع فقد كتبوا عن الأنوثة بشكل هامشي وليس جوهرى ومستقل امثال جورج زمل ووليم اسحاق توماس وانجلز وكارل ماركس بيد ان الفعل الفاعل الذي اظهر موضوع المرأة في حقل علم الاجتماع برز مع معارضتها للمجتمع ومطالبتها بالمساواة في الحقوق والواجبات مع الرجل. فظهرت كتابات تالكوت بارسونز عن الأسرة كمؤسسة اجتماعية. أي تعامل معها كموضوع جوهرى واساسي في علم الاجتماع وليس عبر مواضيع اخرى واكد ايضاً على انها القاعدة الاساسية لكل استقرار اجتماعي بل انها وكالة حيوية في عملية المربي (التنشئة) الاجتماعي التي فيها يكتسب الادمي كافة كوابح المجتمع (آليات الضبط الاجتماعي) التي يعتمد عليها التوازن الاجتماعي ومنحهم الحنان العاطفي والدفء الاجتماعي

ثم اوضح بارسونز نظام تقسيم العمل في الأسرة ودور كل من الرجل والمرأة فيه فالرجال يربطون وحدة الأسرة بالنظام الاجتماعي ويغذون افرادها بالطموح والدوافع والتوجيهات الاخلاقية السوية وكبح ذواتهم، بينما تقوم المرأة بإنجاز

الوظائف الأسرية الداخلية مثل تربية الابناء وانماء نوازح المحبة والتعاطف عندهم ومساعدتهم على استخدام الاساليب التعبيرية عن عواطفهم ومرادهم.

هذا العمل السوسيولوجي الذي قام به بارسونز اوضح لنا تشابه الرجل والمرأة في وظائفهما الأسرية ورعايتهما لأبنائهما وان منافستهما وصراعهما يعني تمزيق حياة اسرتهم او اضعاف روابطهما الذي لا يؤدي الى الاستقرار الاجتماعي. [العمر. 2007. ص. ص. 207 – 211]

لم تكتفِ هذه الحركة بالدفاع عن حقوقها في التمييز الجنسي بل ذهبت الى الدفاع عن حقوق السود (الزواج) المهضومة من قبل البيض وحددت موقفها المعادي لحرب أمريكا مع فيتنام وكان هذا التوسع راجعاً بالأساس الى اختيار ممارسة نفوذهم الحركي وعندما نجحت في ذلك ولدت حركة متطرفة اسمها (حركة التحرر النسوية).

## 8 / ب – مناصرة الأمم المتحدة للمؤنثة ضد استرقاقها

### استهلال

الأمم المتحدة كتنظيم دولي يراعى المصالح الإنسانية ضد التطرف والتمييز والتعصب والاسترقاق والمفاضلة وعدم العدالة بين الفئات الاجتماعية وجماعته وطبقاته وأجناسه (الأعراق والارساس والأديان والطوائف والذكورية) وقفت راعية ومناصرة لحقوق المرأة في العالم والدفاع عنها ضد التعصب والتحيز والاسترقاق ناصرة حركتها في عدة مؤتمرات عالمية مطالبة حكومات العالم بعدم مفاضلة الذكر على المؤنثة ووقف العنف ضدها واسترقاقها.

ولتأكيد مناصرة الأمم المتحدة للمؤنثة نقدم بيانات إحصائية عن عدم مساواة الجندر كونياً لكي تغذي الوعي الجندري عند كافة المجتمعات ليطلعوا عليها ويقفوا على التعسف والاجحاف الممارس على المؤنثة في العالم.

السؤال الذي يتبادر الى الذهن في هذا السياق هو، هل الاختلافات البيولوجية تشكل مشكلة اجتماعية كونية تلزم الأمم المتحدة كمنظمة عالمية الاهتمام بها وتكليف أجهزتها المتخصصة بالتحري والاستقصاء عن حجم هذه المشكلة في العالم وتبيان آثارها على المجتمع الإنساني؟

الجواب نعم، لأنها سببت تعصب بيولوجي من قبل الرجل ضد المرأة في جميع المجتمعات، كذلك بلورت تحيزاً عرقياً بين الجنس الأبيض والأسود والأصفر في المجتمع الأمريكي. أيضاً حققت مفاضلة مهنية من قبل الرجل ضد المرأة في جميع المجتمعات علاوة على ذلك أحدثت مكانتين متنافرتين في التدرج الاجتماعي عبر المكانة المتعالية (للذكر) والمتدنية (للأنثى) في جميع المجتمعات بل أحدثت معضلة



اجتماعية في المجتمع الأمريكي على الرغم من أنه تعداد النساء السكاني يبلغ 51% ويُعد من الأقلية المتعصب نحوها. [Kendall. 2012. P.70]

بغيتي هنا توضيح بأن هذا الاختلافات المتنوعة التي أبرزت الانثى متدنية المكانة والواهنة (على الرغم من حيويتها الفعالة في عدة أدوار أسرية واجتماعية) فأضحت مضطهدة ومستعبدة ومستعبدة من قبل الرجل. كل ذلك راجع الى عدم امتلاكها الثروة والنفوذ والسلطة والهيبة الاعتبارية التي يمتلكها الرجل. هذه المصادر المادية والمعنوية هي التي أهدرت أو أضعفت استحقاقها بحقوقها المشروعة مع عدم وجود داعمين ومناصرين لحقوقها من قبل زعماء أو مصلحين أو منظمات عالمية.

إذن لا جناح من تناول هذه المشكلة التي تمثل ظاهرة اجتماعية ذات إشكالية حديثة في حركة تغيير المجتمع، تعيق تقدمه وتشل حركة نصف المجتمع فضلاً عن عدم انصاف الفرد (المرأة) التي تقدم خدمات وتحقق وظائف دورية ونسقية جوهرية للمجتمع ولثقافة الاجتماعية، مثلت جوراً وجحوداً وغمطاً لحقوقها المشروعة مسببة عدم توازن دينامية ومسيرة القوى الفاعل في عجلة التغيير. نبدأها بتقديم ما يلي: -

### 1 - بيانات إحصائية عن عدم مساواة الجندر كونياً

طرحت الأمم المتحدة بيانات إحصائية تشير الى وتعبّر عن المفاضلة الذكورية على المؤنثة في العالم عام 2013م صادرة من قسم الشؤون الخارجية والأجنبية والتجارة في استراليا في أهم مجالات الحياة والعالم في المجتمع وهي: -

- 1 - الصحة.
- 2 - التعليم.
- 3 - التصويت الانتخابي.
- 4 - المساهمة في الإنتاج الاقتصادي الغذائي.
- 5 - العنف.

هذه المجالات الخمسة تعكس استمرارية المفاضلة النوعية المعاصرة في حضارات حاضرة (في الوقت الراهن 2013) على الرغم من ارتفاع وعي المرأة الحاضرة وتبوؤها مناصب قيادية في مجتمعات متقدمة ومتطورة لكن بقت نسبتها عالية محافظة على اميتها مع استبعادها عن الاعمال الحيوية، ومع مساهمتها الغنية في إطعام نصف سكان العالم بالغللات الزراعية إلا أن العالم الذكوري مازال مستمراً في اعتدائه عليها جسدياً وجنسياً بنسبة 3/1 و 3/2 هذا جحود (انكار) لجهود انسانة تقدم نصف غذاء العالم للبشر لكنها تجابه بالعنف والعدوان وعدم التكريم والتقدير مع السماح لها بشكل جزئي وبعد كفاح مرير مع الرجل والسلطة الذكورية والتقاليد البالية والنظم السياسية غير الديمقراطية. انه حراك اجتماعي

نسوي لا بأس فيه إلا انه ما زال محتاج للمزيد والمزيد لكي تقترب من المساواة الجندرية.

أعكف الان على تقديم هذه البيانات الإحصائية: -

### أ - في مجال الصحة والتعليم

1 - هناك ثلثي من 774 مليون امرأة راشدة أميات لا يعرفنّ القراءة والكتابة في كافة انحاء العالم. هذه النسبة هي نفسها كانت قبل عشرين عاماً.

2 - هناك 61 مليون طفل لم يسجلوا في المدرسة الابتدائية منهم 32.1 مليون من البنات.

3 - هناك فجوات جندرية في التعليم والعمل أعاقت النمو الاقتصادي. هناك بلدان لم تصل الى المساواة الجندرية في مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي تركوا ما بين 0.1 لغاية 0.3 بالمائة لكل شخص في معدل النمو.

### ب - اتخاذ القرار قيادياً وإقرار السلام

1 - مع نهاية شهر نيسان عام 2013 شغلت المرأة 21.2 بالمائة مقاعد في المجالس البرلمانية في العالم لإشغال مقاعد فردية وذات أهمية أولية.

2 - هناك فقط 150/7 تم انتخابهم رئيسات للحكومة في العالم من النساء و فقط 192/11 رئاسة الحكومة (أي سبعة من أصل 150 و 11 من أصل 192).

3 - هناك أربعين من أصل 271 رئاسة للبرلمان من النساء. أي أربعين امرأة مقابل 271 رجل).

### ت - تفويض اقتصادي وأمن الأرزاق (سبل العيش)

أنتجت الفلاحات أكثر من نصف غذاء العالم ما بين 60 - 80 بالمائة كانت من الدول النامية.

### ث - العنف ضد المرأة

1 - كونياً واحد من كل ثلاثة نساء (تقريباً) ممن وقع عليهنّ العنف الجسدي والجنسي من قبل شريك قريب ومحّب لهنّ، واثنان من أصل ثلاثة شريك دائم (مثل الزوج) في بعض البلدان الواقعة في المحيط الهادئ.

2 - لدى تنظيم العمال العالمي إحصائية تشير الى ان أكثر من 43 بالمائة من الأفراد تم تهريبهم عبر الحدود ثم استخدامهم عنوة في ممارسة التجارة الجنسية وكان نسبتهم 98 بالمائة من النساء والبنات. [Healey. 2014]

لم تكنفي الأمم المتحدة بهذه البيانات الرسمية، بل قدمت بيانات أخرى تعبر عن الجحود والغموط لحقوق المؤنثة كونياً لكي توضح عدم منحها الأهمية الإنسانية وعدم الاعتراف بعطائها البشري في الانجاب والاقرار بجدارتها الاقتصادية.

## 2 - بيانات رسمية توضح الجحود والغموط لحقوق المؤنثة كونياً

تفضي البيانات التي سنقدمها الى إبانة واستجلاء حقائق صدرت عن الأمم المتحدة معبرة وموضحة عن الجحود (الانكار) والغمط (الاهمال) لحقوق المرأة في عملها وأجرها وتمثيلها الذي يؤكد على عدم منحها الأهمية الإنسانية والاعتراف بعطائها البشري (في الانجاب) والاقرار بجدارتها الاقتصادية بل احتقار شأنها في المجالس التمثيلية، كل ذلك يعني: -

أ - خسارة جسيمة للطاقة البشرية في عملية التنمية والبناء.

ب - خسارة مالية تفوق بلايين البلايين.

ت - ضعف رعاية جيل المستقبل صحياً وتربوياً وأسرياً.

ث - الحرمان الذوقي والجمالي والإنساني في الإنتاج والنماء.

ج - تعزيز نزعة التعصب الجنسي الذي لا يخدم توازن المجتمع.

ح - دعم الميول المتحيزة التي تغذي الذات النرجسية عند الرجل.

خ - تشجيع السلوك العنفي في تغذية النزعة المتعصبة والميل المتحيز.

د - الابتعاد عن التمثيل الديمقراطي في المجالس الشعبية والبرلمانية.

ذ - توسيع دائرة التصحر الثقافي والمعرفي.

ر - تضحى ممارسة التسلط والظلم والقمع من الضوابط الاجتماعية العرفية المألوفة والمستحبة في ظل الجحود والغمط.

أدلف بعد هذا الاستطراد الى طرح البيانات الرسمية التي توضح الجحود والغمط

الذكوري والمجتمعي والسياسي والاقتصادي في العالم عام 2013م وهي: -

1 - ايسلندا: هي أكثر دول العالم تقدماً في موضوع المساواة الجندرية (بالذات في زيادة المشاركة السياسية للمرأة ومساهماتها في تقليص الفجوة الجندرية الكونية وعلى منبر الاقتصاد العالمي).

2 - في عام 2011م كان هناك 40 من كل 100 عمل مدفوع الأجور في القطاع غير الزراعي مشغول من قبل المرأة على الصعيد الكوني.

3 - هناك بحث صار من (51) بلد كشف عن نسب مديرات الاعمال من النساء في القطاع الخاص يتراوح ما بين 10% و43% في معظم البلدان التي يتراوح تسلسلهم في الأمم المتحدة من 20% و35%.

- 4 - على المستوى السنوي، إن عدم المساواة الجندرية كلف إقليم اسيا وإقليم الباسفيك 47 بليون دولار أمريكي كل عام.
- 5 - هناك 3/2 من 774 مليون فرد راشد في العالم جميعهم من النساء، ونفس النسبة كانت قبل 20 عام في العالم.
- 6 - في نهاية شهر نيسان من عام 2013 شغلت المرأة 21.2% مقعداً في المجالس البرلمانية (جميعها من المرتبة الدنيا في المجلس).
- 7 - تنتج الفلاحات أكثر من نصف غذاء العالم في الأقطار النامية بالضبط ما بين 60 - 80%.
- 8 - هدف برنامج المساعدات الأسترالية هو مساعدة لإرقاء الجندر في مستواها ورفع معنوية المرأة في الأقطار الصديقة لها.
- 9 - نسبة النساء في البلدان غير الزراعية أدت الى زيادة تشغيل من 35% في القوى العاملة عام 1990م الى 40% في عام 2011م.
- 10 - تم اعتبار المؤتمر حول إزالة كافة اشكال التعصب ضد المرأة الذي تبنته الهيئة العامة للأمم المتحدة عام 1979م "اعلاناً عالمياً لحقوق المرأة".
- 11 - بالمجمل، تجاوزت الاناث في ادائهنّ المدرسي على أداء الذكور.
- 12 - في عام 2013م كان معدل النساء ضعيفاً في الكسب المالي من معدل كسب الرجال بنسبة 17.5%.
- 13 - تعيش المرأة الأسترالية أطول عمراً من عمر الرجل الأسترالي مع توقع الحياة 84.2 سنة عند مقارنتها بعمر 79.7 سنة
- 14 - للنساء الحوامل والعائدات من الولادة ومن المسؤوليات الأسرية حقوق تحت بند التعصب الجنسي (أي لهنّ حقوق بالعودة للعمل بعد انقطاعهنّ).
- 15 - في الشهر السادس من عام 2013م تمت المصادقة على اعلان 2013 القاضي بالإصلاح وتقويم التعصب الجنسي (الهوية الجنسية والمكانة المزدوجة والتوجيهات الجنسية).
- 16 - على مستوى المناصب القيادية، عدد الذكور أكثر من عدد الاناث في القطاعات الخاصة والعامة والبرلمانات.
- 17 - تشكل النساء نصف سكان أستراليا أي 50% وفي عام 2012 /1/1 كان هناك أقل من 3/1 (29%) حيث كان هناك 66 من أصل 226 في البرلمان الأسترالي.

- 18 – في عام 1966 أجبرت المرأة الأسترالية بالاستقالة من الخدمات العامة حال زواجها وبناءً على ذلك مُنعن من التقدم والتدرج في وظائفهنّ.
- 19 – تم تشغيل المرأة بدوام كامل عام 2006 وصرف 6 ساعات و39 دقيقة كل يوم لرعاية أطفالها بالمقارنة مع عمل الرجل بالدوام الكامل الذي يصرف له 3 ساعات و43 دقيقة (في استراليا).
- 20 – على الصعيد الكوني، تم تصنيف استراليا على انها فقيرة جداً في موضوع المرأة في البرلمان المتساوية مع كندا.
- 21 – سجلت المرأة الأسترالية في عام 2008 بصرف 72% على مصاريف البيت من دخلها.
- 22 – دخل المرأة الأسترالية التي يصل دخلها السنوي 80 ألف دولار كانت نسبتها 26% بينما نسبة الرجال الأستراليين ممن دخلهم السنوي 80 ألف وصلت 74%.
- 23 – في الشهر الثالث من عام 2013 وصل دخل المرأة الأسترالية التي تعمل بدوام كامل في الأسبوع (1,252,20) بينما وصل دخل الرجل الأسترالي في الأسبوع الواحد الى (1,518,40). [Healey. 2014. P 57]

من غرائب الأمور، أننا الآن في القرن الحادي والعشرين ومع تأثير العولمة والتجارة الحرة والأسواق العالمية وانتشار المبادئ الديمقراطية وما زالت الحكومات الرأسمالية والديمقراطية والصناعية والمتحضرة تمارس المفاضلة الجنسية في العمل ودفع الأجور والتمثيل السياسي. أقول ما زالت السلطة البطريقية متسلطة على هذه الأنواع من الحكومات في هذا القرن. إذن لماذا ننتقد المجتمعات المتخلفة والمحافظّة والتقليدية (الشرقية والغربية) على مطابقة الاختلافات الجندرية مع الاختلافات إلا انها لا تتناسب مع الطفرة النوعية التي حققتها الأنظمة الحكومية الرأسمالية والديمقراطية، ومع ازدياد الحاجة للعنصر البشري والنشاط المتزايد للحركات النسوية في العالم وتأثيرات الأمم المتحدة، إلا ان المرأة ما زالت مغموط ومجحود حقها في العمل والأجور والتمثيل. هل نحن ما زلنا في العصر الأبوي – الذكوري المطلق؟ أم يُفترض أن تكون في عصر المساواة الديمقراطية واحترام الرأي الآخر وتممين الكفاءات الإنسانية لا الذكورية فحسب. هل العيب في المرأة المعاصرة أم في الرجل المعاصر؟ أم في المعايير والقواعد القانونية؟ أم في الطبيعة البشرية؟ اين التغيير المعرفي؟ والتطور الفكري؟ اين موقعهما من التطور التكنولوجي؟ لقد اخترق المجرمين والمحتالين والقراصنة البرامج الالكترونية الحديثة لصالحهم بذات الوقت استفاد أصحاب الاعمال الإدارية والمالية والمصرفية

والصناعية من هذه البرامج الالكترونية الذكية والدقيقة لخدمة أعمالهم في تصريفها. إلا ان النساء ما زلنَّ غير قادرات على تسخير هذه المبتكرات الالكترونية في رفع الظلم والتسلط والقمع الواقع عليهنَّ من قبل مختلف الجهات (البشرية والثقافية والسياسية والاقتصادية) لكن وحدها غير قادرة على ذلك بل تحتاج الى عون ومساعدة الواعين والمناهضين للتعصب والتحيز الجنسي ضدها.

نحن لا نطالب بالصراع الجنسي أو التمرد الثقافي أو العصيان المجتمعي أو العنف المضاد، لا بل بتقليص الفجوة بين مكانة الرجل ومكانة المرأة والاعتراف بجهودها واحترام دورها وتقدير مشاركتها مع الرجل في بناء الأسرة الخلية الأولى للمجتمع. ثم عززت ظروفها بوجود فجوة جندرية في العالم مقدمة محكات ومعايير لقياس الفجوة بين الذكر والانثى كونياً.

### 3 - مقياس الفجوة الجندرية في عالمنا اليوم

كثيراً ما يتم تناول هذا الموضوع في الدراسات الجندرية وأغلبها كانت نظرية واستنتاجية، إلا ان الأمم المتحدة ومن خلال أجهزتها الرسمية في العالم استطاعت ان تحصل على تقرير مكتوب من قبل (136) دولة يمثلون أكثر من 93% من سكان العالم في عام 2013. تضمن ها التقرير كيف تعمل المشاركة السياسية على تقليص هذه الفجوة عبر تقسيم الفرص والموارد والثروة بشكل منظم وعادل بين الرجل والمرأة، وقد صنفَ هذا التقرير أربعة كقول رئيسية لقياس حجم أو سعة الفجوة المعبرة عن المفاضلة الجندرية (مفاضلة الرجل على المرأة) وهي ما يلي: -

- 1 - المجال الاقتصادي: أي المشاركة في فرص العمل والأجور والرواتب والمشاركة المساهمة والمهارة المتقدمة والفائدة بالعمل.
- 2 - المجال التربوي: أي الاحراز التربوي من خلاله تم معرفة نيل وبلوغ المرأة والرجل عبر المراحل التربوية الأساسية والعليا.
- 3 - المجال السياسي: أي التمثيل الفعلي في اتخاذ القرارات.
- 4 - المجال الصحي: المتمثل في المحافظة على الصحة ورعايتها وديمومتها.

من أجل استجلاء أكثر عما تقدم ونجول طردياً مع التطورات التي حصلت في العالم التي التزمت بردم الفجوة الجندرية في الأعوام المنفرطة من قبل الإصلاحات الواعية المستشرفة لمستقبل المجتمع الإنساني في دولها، دأبت على تحقيق المساواة الاقتصادية والمشاركة السياسية بين الجنسين. فقد صدر التقرير السنوي (في عامه الثامن) الذي ضمَّ (136) دولة استطاعت أن تردم الفجوة الجندرية في أربعة

مجالات وهي: المشاركة الاقتصادية للمرأة في المساهمة الإنتاجية وتمثيلها الفعلي في الأنشطة السياسية والرعاية الصحية واحرازها التربوي. حيث تم قياس الفجوة الجندرية في (136) دولة في عامي 2012 و2013 ثم التأكد من حصول الإصلاح في ردم الفجوة الجندرية في (86) دولة خلال هذه الفترة، فوجد هذا التقرير بالمجمل ان ايسلندا هي الأكثر تفوقاً على دول العالم في مجال المساواة بين الجنسين على مدار خمسة سنوات متتالية ومعها فنلندا التي أتت بالدرجة لثانية وتبعتهما النرويج فكانت درجتها الثالثة والسويد بالدرجة الرابعة. إذ تم ردم الفجوة الجندرية بنسبة 80%. هذه البلدان قد اشتركت في مجموعة العشرة الأولى أي في القمة أما الفلبين فدخلت المرتبة الخامسة لأول مرة وايرلندا في المرتبة السادسة ونيوزلندا في المرتبة السابعة والدنمارك في المرتبة الثامنة وسويسرا في المرتبة التاسعة ونيكارغوا في المرتبة العاشرة.

في بلدان أخرى مثل المانيا فقد احتلت المرتبة الرابعة عشر إذ يتمتع الفرد فيها بأعلى مكانة اقتصادية ومع ذلك فقد هبط تسلسلها مرتبة واحدة في عام 2012 ثم هناك جنوب أفريقيا التي احتلت المرتبة السابعة عشر، والمملكة المتحدة قد احتلت المرتبة الثامنة عشر وكندا في المرتبة العشرين في حين احتلت الولايات المتحدة المرتبة الثالثة والعشرين التي هبطت مرتبتها في عام 2012 أما روسيا فقد احتلت مرتبة الحادي والستين وبعدها البرازيل التي احتلت المرتبة الثاني والستون واحتلت الصين التاسعة والستون. أما الهند فاحتلت مرتبة الواحدة بعد المائة. أما في قاع التدرج فكانت تشاد التي احتلت مرتبة المائة وأربعة وثلاثون وباكستان احتلت مرتبة المائة وخمسة وثلاثون واليمن احتلت مرتبة المائة وستة وثلاثون.

على المستوى الكوني كشف التقرير بأن في عام 2013 كانت هناك 96% في مجال الصحة ورعايتها أي ان الفجوة الجندرية في مجال الصحة قد تم ردمها. انها فقط واحدة من أصل أربعة قائمة مرتقبة ومتسعة منذ بداية تصنيف الدول في هذا التقرير أي منذ عام 2006م.

أما في مجال التعليم فإن الفجوة الجندرية الكونية قد توقفت عن 93% مع بلد إذ ردموا الفجوة التعليمية بالكامل. ثم هناك الفجوة الاقتصادية إذ وصلت فقط الى 60% تم ردم 21% منها كذلك التقدم الذي أحرزه العالم في هذا المجال مع المشاركة السياسية قد تقلصت بنسبة 2% في السنين الأخيرة في البلدان النامية والمتقدمة إذ ظهرت مستويات متشابهة بين الذكور والاناث في مرحلة ما بعد

الثانوية وفي قوى العمل لكن ظهرت قيادات اقتصادية محدودة العدد. (انظر جدول رقم - 1 -)

تسلسل الدول المساوية في جندريتها لعام 2012	تسلسل الدول في جندريتها لعام 2013	أسماء الدول
1	1	ايسلندا
2	2	فنلندا
3	3	النرويج
4	4	السويد
8	5	الفلبين
5	6	ايرلندا
6	7	نيوزلندا
7	8	الدنمارك
10	9	سويسرا
9	10	نيكارغوا
12	11	بلجيكا
15	12	لاتفيا
11	13	هولندا
13	14	المانيا
19	15	كوبا
14	16	ليسوثاو
16	17	جنوب افريقيا
18	18	المملكة المتحدة
20	19	استراليا
21	20	كندا

أخذ هذا الجدول من كتاب Healey. 2014. P. 1 الملاحظ على محتويات هذا الجدول ان الدولة الواحدة لم تحقق المساواة الجندرية على وتيرة واحدة بل ترتفع وتهبط حسب التزامها بشروط ردم الفجوة الجندرية. مثال على ذلك سويسرا وصلت مرتبتها في المساواة الى الترتيب العاشر في عام 2012 لكن حصل تقدم في مساواتها عام 2013 فارتفعت الى المرتبة التاسعة. أما الفلبين فكان تسلسلها في المساواة عام 2012 المرتبة الثامنة فارتفعت عام 2013 الى المرتبة الخامسة، بينما بلجيكا كانت في المرتبة الثانية عشر عام 2012 فهبطت



في عام 2013 الى المرتبة الحادية عشر. اما ايسلندا وفنلندا والنرويج والسويد هذه الدول حافظت على تسلسلها في المساواة في العامين 2012 و2013م. إذا أدلنا الى القارة الأوروبية لتتعرف على البلدان التي ردمت الفجوة الجندرية وكيف أخذت طريقها وذلك لأن أوروبا تعد قارة متقدمة علمياً وثقافياً، لكن مع ذلك فإن ردم الفجوة الجندرية لم يأخذ مستوى واحداً وطريقاً متشابهاً. إذ ظهرت تباينات في ذلك مثال على ذلك كشف التقرير بأن هناك استقطاب ردمي في بعض البلدان الأوروبية مثل النرويج ودول غرب أوروبا التي اختلفت كثيراً عن دول شرق وجنوب أوروبا فمثلاً اسبانيا أتت بالمرتبة الثلاثين حيث ردمت 72% من الفجوة الجندرية وأتت فرنسا بالتسلسل الخامس والأربعين إذ ردمت 70% بينما جاء تسلسل إيطاليا الواحد والسبعين.

ترينا هذه النسب الأوروبية ان التقدم العلمي والتقني لا يلغي أو يزيل أو يردم الفجوة الجندرية لأنها مرتبطة بالمصالح الشخصية والمعرفة الذهنية وحيوية الانثى في خلايا النسيج الاجتماعي وعقلية نخبة المجتمع وصفوته ومرئيتهم نحو استشراق مستقبل مجتمعهم. إذ كلما كانت متمسكة بالليبرالية المتحررة والسلم الإنساني والرؤية المتمدنة في تطبيق الديمقراطية الموجهة، تم ردم الفجوة الجندرية في مجالاتها الأربعة لأن الردم لا يأتي من قبل الرجال المتنفذين وحدهم بل من النساء الواعيات والناشطات والناهضات في بناء أسرهم ومجتمعهم بعيداً عن تفككها بنائياً وضبطياً.

وعندما نتناول تسلسل الدول الآسيوية (في قارة آسيا) نجد الفلبين وحدها وصلت الى أعلى مرتبة في ردم الفجوة الجندرية في مجال الصحة والتعليم والمشاركة الاقتصادية، بينما بقيت باقي الدول الآسيوية في مراتبها غير العالية وهذا يرينا بان الثقافة الاجتماعية الموروثة والديانات في الصين والهند وكوريا وباقي الدول لها الأثر الفعال في عدم تقليص الفجوة الجندرية مما جعلت السلطة الذكورية مستمرة في تسلطها وتحجيمها لسلطة ونفوذ الانثى.

نأتي الان الى دول أمريكا اللاتينية حيث كانت نيكارغوا البلد الوحيد في أمريكا اللاتينية في ردم الفجوة الجندرية التي حصلت على المرتبة العاشرة واستمرت فيها لمدة عامين وبالذات في المشاركة السياسية. بعدها جاءت كوبا التي احتلت المرتبة الخامسة عشر وبعدها أتت الاكوادور التي احتلت المرتبة الخامسة والعشرين ثم تسلقت المكسيك ستة عشر مرتبة لتصل الى المرتبة الثامنة والستون وذلك راجع الى زيادة عدد الاناث في البرلمان وعدد أدوار المهنيات المحترفات، بينما احتلت البرازيل المرتبة الثانية والستون في ردم الفجوة الجندرية في دول أمريكا اللاتينية.

أما دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا فهو الإقليم الوحيد الذي ليس لديه تقدماً وتطوراً في مقياس حجم الفجوة الجندرية الذي تم تطبيقه عام 2013م. أعلى مرتبة حصلت عليه في هذا الإقليم هي دولة الإمارات العربية المتحدة فيما يخص مجال المساواة التعليمية ف جاء تسلسل مرتبتها التاسع بعد المائة، مع ذلك فإن معظم البلدان في هذا الإقليم بضمنها البحرين التي أتى تسلسلها الثاني عشر بعد المائة وجاء تسلسل قطر بالمرتبة الخامس عشر بعد المائة والباقي ما زالوا في طور النمو.

أخيراً إفريقيا فقد جاء تسلسل ليستو السادس عشر ومرتبة جنوب إفريقيا السابع عشر وبوروندي مرتبتها جاءت الثاني والعشرين وموزمبيق جاءت مرتبتها السادس والعشرين، جميعهم في مجموعة الثلاثين. المرأة في هذه الدول كانت في سوق العمل في النشاط الاقتصادي ولها موقع في اتخاذ القرارات الاقتصادية والدخل إلا أنها لا تملك المهارة المهنية العالية ولا تحصل على أجور عمل عالية.

[Healey. 2014. Pp. 1 – 2]

لم تكنفي الأمم المتحدة بذلك بل قدمت حقائق حيّة ومنعشه عن المساواة الجندرية.

#### 4 – حقائق حيّة ومنعشه عن المساواة الجندرية

قدّمت الأمم المتحدة إحصائية كونية عن المساواة الجندرية في العالم تنعش الأمل في نشاط كفاح المرأة الواعية بالخروج من مظلوميتها المقموعة وجحود (انكار) مهارتها وكفاءتها لتتنفس عقب التحرر من القيود التراثية المتكلسة وادعاءات المتدينين الصوريين (الشكليين) السطحيين والمتشدين بالسلطة البطريقية.

هذه الحقائق هي ما يلي: -

1 – المساواة الجندرية أضحت قريبة من إنجازها على المستوى الابتدائي فقط في بلدين من أصل (130) بلد.

2 – على الصعيد الكوني هناك (40) عمل من أصل (100) في القطاعات غير الزراعية مشغولة من قبل المرأة.

3 – بتاريخ 1/31 / 2013 كان معدل مشاركة المرأة في العضوية البرلمانية في

العالم أكثر من (20) بالمائة. [Healey. 2014. P. 5]

لاحظ هنا ان المحكاة أو المعايير التي تستطيع أن تنعش كفاح المرأة الحديثة هي: عملها خارج القطاع الزراعي ومشاركتها في العضوية البرلمانية وتحررها من السلطة البطريقية. هذه إرهاصات حيّة توضح نجاح كفاح المرأة الماهرة والكفوة في سعيها لتحقيق المساواة وتقليص فجوة التفاوت الجندري في الحياة العصرية ذات الايقاعات السريعة والتفوق العلمي.

وبالتالي من أجل تحقيق المساواة الجندرية قدمت الأمم المتحدة مقترحات لمعالجة اخطار مساوى المفاضلة الجندرية على المجتمع الإنساني.

## 5 - من أجل تحقيق المساواة الجندرية

عبر تقوية عزيمة البنت وتثمين ارادتها من خلال الغاء التفاوت الجندري في التعليم الابتدائي والاعدادي. بمعنى جعل التعليم الزامي للإثنين (البنت والولد) منذ عام 2005 في المرحلة الابتدائية والاعدادية. أما باقي المراحل التعليمية فهي ايضاً تم اخضاعها للإلزام على ان لا يتعدى الزامها بعد عام 2015م. ففي الدول النامية أصبحت المساواة الجندرية واحدة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية وعلى الرغم من مواجهة البنت من عقبات في شمال أفريقيا والصحراء الغربية وغرب آسيا إلا ان معدل دخول البنات للمدرسة قد ارتفع بشكل كبير حيث كان معدلها 47% وصل الى 75% في الفترة الواقعة بين عام 1990 - 2011 وارتفع معدل الذكور في هذه الفترة ايضاً من 58% الى 79% وكان بنات الصحراء الأفريقية اللواتي سجلن في المدرسة 93 بنت مقابل 100 ولد.

هذه الخطوات الأساسية التي تم الأخذ بها في الدول النامية يجعل تعليم البنات الزامي أسوة بالزامية الذكور في التعليم. في الواقع لا يمكن تحقيقها لولا تدخل الأمم المتحدة في إلزام الدول النامية والأخذ بها من أجل تحقيق المساواة الجندرية منذ بداية التنشئة التعليمية لكي ترقى من وعيها وإدراكها وتفكيرها واشعارها بعدم مفاضلة الذكر عليها على الأقل خارج اسرتها في المدرسة.

ثمة حقيقة توضح بان غرب آسيا هي المنطقة الوحيدة التي فيها الاناث أكثر من الذكور في ذهابهم الى المدرسة الابتدائية، أما في الأقاليم الأخرى مثل القوقاس واسيا الوسطى ودول أمريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي وجنوب شرق اسيا وجنوب آسيا فإن المساواة فيها بين تعليم الاناث والذكور في المرحلة الابتدائية متقارب يتراوح ما بين 0.97 و 1.03.

لكن هناك تفاوت جندري يمثل أكثر مفارقة في التعليم الاعدادي حيث استمر معدل تعليم الاناث في الهبوط. أي أقل من معدل الذكور في الصحراء الأفريقية وغرب آسيا وجنوبها. مع ذلك فإن غرب وجنوب آسيا قد حققوا تقدماً في التعليم الثانوي في الفترة الواقعة ما بين عام 1990 - 2011 ففي غرب آسيا ارتفع مستواها من 0.66 الى 0.90 لكن المعدل هبط في الصحراء الأفريقية إنما هناك استثناء لغامبيا وغانا وملاوي والسنغال إذ حققوا تقدماً في الفترة الواقعة ما بين عام 1990 - 2011 حيث ارتفع معدلهم من 0.5 الى 0.9.

هناك تفاوت أكثر سعة على مستوى المرحلة الثانوية (ما بعد المرحلة الإعدادية) عندما نقارنها مع مستويات المرحلة الدنيا في التعليم فيما يخص تعليم الاناث الذي يكون تسجيلهم أكثر من تسجيل الذكور في مرحلة ما بعد الاعدادية في دول أمريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي والقوقاس ووسط آسيا وشرق آسيا وشمال أفريقيا وجنوب شرق اسيا.

على نقيض الفتاة الشابة التي تكون أقل من الفتى الشاب في متابعة المرحلة ما بعد التعليم الاعدادي في غرب آسيا وجنوبها، والوضع أكثر تطرفاً في الصحراء الأفريقية التي فيها فجوة جندرية Gender gap بشكل واسع في الفترة الواقعة بين عامي 2000 و2011. جدير بذكره انه هناك فقط اثنان من أصل 130 بلد متاحة فيه معلومات وصلت الى هدف المساواة Parity على كافة المستويات التعليمية. وعند تحليل التوزيع الجندري في المشاركة المدرسية على مستوى الأقطار ترينا التحاليل بأن البنات ليسوا دائماً متضررين إنما بشكل عام ان التفاوت يعد قوة مؤثرة على البنات بشكل متطرف أكثر من تأثيرها على الذكور. فالبنات في عدة بلدان مازلنّ ينكرون حقهم في التعليم (من قبل الرأي العام) وبالذات على المستوى الابتدائي والثانوي.

ومن وجه آخر أصبح التفاوت الجندري أكثر اتساعاً وتباعداً كلما تقدمت المرأة على السلم التعليمي مما غيرَ الصورة العامة لمستوى ما بعد التعليم الثانوي إذ وصلت النسبة الى 3/2 في البلدان ذات المعدل الواطئ من التسجيل في التعليم الثانوي. وهذا أدى الى دفع المرأة للعمل في الأسواق الاقتصادية وحصولها على دخل مالي منظم واستقلال اقتصادي وشخصية أكثر اعتماداً على ذاتها في التدبير المنزلي والشأن العائلي وتنمية شخصيتها في اتخاذ قرارات ذات قوة مؤثرة.

على الصعيد الكوني، هناك 40 من كل 100 عمل مدفوع الأجر في القطاعات غير الزراعية مشغولة من قبل النساء كان ذلك في عام 2011. في الواقع هذا تقدم ملحوظ إذا ما قارناه مع عام 1990 عندما كان هناك 35 عن كل 100 عمل مشغول من قبل امرأة. مع ذلك هناك اختلافات مهمة يمكن ملاحظتها في بلدان مثل شرق اسيا والقوقاس ووسط آسيا ودول أمريكا اللاتينية ودول البحر الكاريبي في مساواة اعداد النساء مع الرجال في اشغال اعمال مدفوعة الأجر قد تم تحقيقه لكن هناك مشاركة للمرأة في اعمال غير زراعية مدفوعة الأجر في الدول النامية كان أقل من 40 بالمائة، مثال على ذلك في غرب آسيا وشمال أفريقيا وجنوب آسيا كانت المشاركة تحت 20% لكن في أغلب البلدان مشاركة المرأة في القطاعات

العامة والعمل فيها عالية كثيراً أكثر من مشاركتها في القطاعات غير الزراعية وهناك تشابه لهذه المشاركة إذ تشترك المرأة في أعمال المجتمع المحلي أكثر من عملها في الدوائر الحكومية. عندما تحصل زيادة في الفرص المتاحة لعمل المرأة وتمنحها دخلاً جيداً فإن ذلك لا يعني بأنها حصلت على عمل مضمون ومناسب ولا يعني ايضاً انها على قدم المساواة مع الرجل. وانه من نافلة القول بأن البيانات المتوفرة لدى الأمم المتحدة تقول بأن المرأة في الأقاليم النامية أكثر من الرجال في أعمالهم في الاعمال المنزلية مثل الزراعة أو حياكة السجاد أو الخياطة أو الصناعات اليدوية أو الحدادة يكون مردودها المالي ضئيل مع شحة في الضمانات الاجتماعية. هذا النوع من الفجوة الجندرية يكون مستوطناً في غرب آسيا وشمال أفريقيا والصحراء الأفريقية التي يتم فيها دفع الأجور بشكل محدود جداً.

لا جناح من القول ايضاً بأن الفجوة تشرح حقائق عديدة منها ما تقوم به الحكومة والحياة الأسرية من إجراءات وممارسات تكون فيها مسئولية المرأة خاصة بالرعاية غير المدفوعة الأجر ونقص في التجهيزات الرعاية الخاصة بالأطفال وباقي الحقوق الاجتماعية فضلاً عن عدم مشاركتها في القوى العاملة والنقابة العمالية.

ثمة حقيقة برزت في عام 2012 عبّرت عن الزيادة النسوية البسيطة بنسبة 1% في العالم في عدد النساء في المجالس البرلمانية (مناصب عليا ودنيا) ففي 1/31/2013 كان معدل مشاركة النساء في المجالس البرلمانية قد وصل الى 20.4% وفي عام 2012 كانت النسبة 19.6% مع استثناء عام 2007 حيث كان المعدل السنوي في الزيادة للسنتين الأخيرتين وصل الى 0.5% هذا جانب ومن جانب آخر هناك ستة دول في العالم ليس لديهم عضويات نسوية هي: هايتي، ميكرونيسيا، نارو، بلاو، قطر، فانوتو وفي عام 2013 تم تعيين المرأة في المملكة العربية السعودية في مجلس الشورى لأول مرة في حياتها وكان عددهم 30 امرأة أي بنسبة 20%.

ومن بين 22 بلد من أصل 48 بلد تم انتخاب المرأة ففي عام 2012 كانت الانتخابات اختيارية أو قانونية. في حالة الحصة الاختيارية كانت هناك 22% والحصة القانونية 24% وعندما لا تكن هناك حصة تحصل المرأة على 12%. جدير بذكره في هذا السياق هو ان أعلى نسبة حصلت عليها المرأة في عام 2012 كانت في السنغال والجزائر وتامور، ثلاثتهم استخدموا الحصة القانونية لأول مرة.

ففي السنغال حصلت المرأة على 43% وفي الجزائر حصلت المرأة على 32% وفي تانزانيا حصلت على المرأة على 39%.

عن سياق الحديث يلزمنا ان لا أغفل السؤال التالي: هل اتخاذ المرأة في اتخاذ قراراتها غير مرتبط بدورها في البرلمان أو المجالس الشعبية أو الرسمية أو العائلية بل يخضع لخلفيتها الثقافية والتاريخية المتشعبة بالجمع واخماد صوتها بشكل متعمد أو من قبل المعايير الثقافية المصنّرة على عدم السماح لها بإبداء الرأي وهذه عادةً ما تؤثر على تقنين التنمية البشرية وتطور المجتمع. لقد حققت المرأة في العقود الزمنية الأربعة الفارطة تقدماً ملحوظاً في تعليمها ما بعد المرحلة الإعدادية مما ضاعف اعدادها في التعليم العالي، إلا انه وللأسف لم يُترجم هذا الإنجاز بشكل كامل في سوق العمل واجور العمل أي عمل فجوة إجورية wage gap أي إعطاء الاعمال الهامشية والأجور الواطئة لها وعدم السماح لها بالتمثيل النقابي.

لدى الأمم المتحدة بحثاً مسحياً لـ (51) بلد كشف لنا بان نسبة النساء كمديرات اعمال تتراوح ما بين 10% و43% وعندما يكون للمرأة نفوذاً في اتخاذ قراراتها فإن ذلك ينعكس على تحسين تغذية أطفالها ومحاربتها للأمية وارتفاع مستوى معيشتها. لكن هذا المسح شمل بعض الدول الأفريقية فكشف عن 37 بلد فيه نساء يكون نفوذ قراراتهم في بيوتهم واطى جداً فيما يخص المصاريف والزيارات العائلية للأصدقاء والأقارب والاهتمام بالصحة والمشاركة في ميزانية الأسرة. هذا التفاوت في اتخاذ القرارات ناتج بشكل مباشر عن الاختلافات بين الرجل والمرأة فيما يخص الدخل والملكية المتأثرة بالقوانين والمعايير المرتبطة بالإرث والملكية وجميعها تأخذ الموقف المتعصب ضد المرأة. [Healey. 2014. Pp. 5 - 10]

باختصار شديد نقول بان قرارات المرأة لا تخضع لمرحلتها التعليمية ولا للمناصب الرسمية التي تشغلها ولا للمجالس الشعبية التي تمثلها حتى في اسرتها فإن قراراتها مرتبطة ليس فقط بالرجل بل بالمعايير الثقافية والاجتماعية والملكية المادية لهما. كلها تؤثر على قراراتها في ميزانية الأسرة وزيارتها للأهل والأقارب والأصدقاء وتربية الأطفال ورعايتهم وتعليمهم. لكن مع كل ذلك وعلى الرغم من ذلك فإن المرأة في المجتمعات النامية مقموعة ومضطهدة بسبب تاريخها وخلفيتها الثقافية السائدة فيه.

إن مهمة إزالة الفوارق والتفاوتات والاختلافات بين طبقة وأخرى أو طيف وآخر وجنس وثاني الذي زرعه مسارات تاريخية وثقافية ومصالح فئوية ومؤثرات داخلية وخارجية تمت ممارستها بكل المراحل التنشيطية الأسرية،

المدرسية، الكتب، الاعلام، النظام السياسي والديني على مرّ الزمن لعدة قرون لا يمكن ازالتها بقرار سياسي أو مصلح اجتماعي بل بتخطيط مدروس وصبور متأنى ومتدرج يبدأ من الحلقة الأسهل مثل المدرسة الابتدائية أو رياض الأطفال. فالتعصب والتحيز ضد الانثى استطاعت منظمة عالمية مثل الأمم المتحدة أن تتخذ هذه المهمة الإنسانية على عاتقها فبدأت بإلزام الدول المتخلفة والنامية (الريفية والاقطاعية والتقليدية والمحافظه والعنصرية) ان تجعل التعليم ملزماً على الاناث والذكور وقد حصل ذلك واعطت ثمارها الطازجة في العديد من الدول المتخلفة والنامية ورعايتهم صحياً وغذائياً ورفع مستوى معاشهم ووعيهم الاجتماعي ويطور ذاتية المرأة ويزيد من الإنتاج الاقتصادي ويقلص الفجوات الجندرية والمهنية والأجورية. هذه الاستراتيجية التي اتخذتها الأم المتحدة لا تؤدي الى إزالة الفوارق بين الانثى والذكر بل كخطوة أولية لتضييق وتقصير الفجوة بينهما (إن ما قامت به الحكومة الإسرائيلية في عزل الطفل عن والديه في الكبوتز ليعيش في مزرعة جماعية حكومية لكيلا يمارس الأبوين عليه التفاضل الجنسي!!! انها عملية غير إنسانية اولاً ولا تعالج الاختلافات الجندرية، أنها مجرد تبرير تافه لا يمكن تصديقه). مبادرة الأمم المتحدة ألزمت الحكومات النامية بالسماح للمرأة الدخول الى المجالس النيابية لأول مرة في حياتها وكانت هذا انجاز مثمر توصلت اليه الأمم المتحدة في تقليص الفجوة الجندرية ليس هذا فحسب بل ساعدتها على تثمين اتخاذ قرارات المرأة بنفسها ولو من حيث المبدأ فيما يخص اسرتها اولاً وهذا حراك أسري لها في نشاطها الجندري وميزانية الأسرة والتسوق. أي باتت ركناً ركيناً في اتخاذ قرارات الأسرة كخطوة أولى نحو خارج الأسرة في الدول المتخلفة والنامية وتحرير المرأة نسبياً من هيمنة الرجل والثقافة التقليدية والسلطة البطريقية.

**8 / ت - مناصرة منظمة الصحة العالمية للمؤنثة ضد استرقاقها**

تختلف المرأة عن الرجل فيما يتعلّق بالصحة والمرض، وذلك بسبب الظروف البيولوجية (الأحيائية) والاجتماعية والسلوكية الفريدة، حيث تتنوّع الاختلافات البيولوجية (الأحيائية) بدءاً من النمط الخلوي وحتى الظاهري، ويظهر أن للمرأة احتمال أكبر للإصابة عند الحديث عن بعض الأمراض والاعتلالات الصحية. تُعرّف منظمة الصحة العالمية الصحة بأنها "حالة من اكتمال السلامة بدنياً وعقلياً واجتماعياً، لا مجرد انعدام المرض أو العجز." وتُعتبر صحة المرأة مثلاً عن الصحة العامة، من حيث كونها "صحة مجموعة محددة ومُعرّفة من السكان."

وُصِفَت صحة المرأة بأنها كـ "لحاف (كشكول) مليء بالفجوات." ورغم أن العديد من القضايا المتمحورة حول صحة المرأة ترتبط بالصحة الإنجابية بما في ذلك صحة الأم والطفل وصحة الأعضاء التناسلية وصحة الثدي وصحة الغدد الصم) الهرمونات (بما في ذلك الحيض وتحديد النسل وانقطاع الطمث، فقد تم توسيع مجال صحة المرأة ليشمل جميع جوانب الصحة بالنسبة للمرأة، مما حدا باستبدال مصطلح Women's Health في اللغة الإنجليزية بمصطلح The Health of Women. ترى منظمة الصحة العالمية بأن التأكيد غير المبرر على الصحة الإنجابية مثلاً حاجزاً رئيسياً أمام ضمان حصول جميع النساء على رعاية صحية جيدة المستوى. كما أن الحالات التي تؤثر على الرجال والنساء كالأزمات القلبية الوعائية وهشاشة العظام تظهر بشكل مختلف عند النساء. تتضمن كذلك قضايا صحة المرأة الحالات الطبية التي تواجه خلالها المرأة مشاكل مرتبطة بشكل غير مباشر ببيولوجيتها كالتمييز بين الجنسين في الحصول على العلاج والعوامل الاجتماعية الاقتصادية الأخرى. تشكل صحة المرأة مصدر قلق خاص بسبب انتشار التمييز ضد المرأة بشكل واسع في العالم، مما يترك المرأة محرومة من بعض الحقوق يدعم عدد من البحوث الصحية والطبية كمنظمة Society for Women's Health Research في الولايات المتحدة هذه التعريف الأوسع، بدلاً من الاقتصار على القضايا المتعلقة بالبنية التشريحية الأنثوية البشرية وذلك بغية شمل المناطق التشريحية التي يظهر فيها اختلاف بين الجنسين. تحتاج المرأة كذلك للرعاية الصحية وإتاحة الوصول لأنظمة الرعاية الصحية بشكل أكبر مما يحتاجه الرجل. فبينما يعود جزء من هذا إلى احتياجاتها الصحية الجنسية والإنجابية، فإن المرأة تُصاب أيضاً بمشكلات صحية غير إنجابية مزمنة بشكل أكبر كالأزمات القلبية الوعائية والسرطان والأمراض العقلية والسكري وهشاشة العظام. وثمة منظور آخر مهم وهو إدراك أن الأحداث خلال كامل دورة الحياة) أو مسار الحياة (بدءاً من الحياة في الرحم وحتى الشيخوخة تؤثر على النمو والتطور والصحة. ويُعتبر منظور مسار الحياة أحد المفاتيح الإستراتيجية لمنظمة الصحة العالمية.

### منظور عالمي

تُعتبر الفروقات بين الجنسين فيما يتعلّق بقابلية التعرّض وأعراض الأمراض والاستجابة للعلاج في العديد من المجالات الصحية صحيح جزئياً عند النظر إليه من منظور عالمي. تأتي معظم المعلومات المتاحة من البلدان المتقدّمة،



ولكن هناك فروقات ملحوظة بين البلدان المتقدمة والنامية فيما يتعلّق بدور المرأة وصحتها. تُعرّف وجهة النظر العالميّة بأنها "مجال الدراسة والبحث والممارسة الذي يضع الأولوية لتحسين الصحة وتحقيق العدالة الصحيّة لجميع الناس حول العالم." في عام 2015 حدّدت منظمة الصحة العالمية القضايا العشر الأولى في مجال صحة المرأة على أنها السرطان والصحة الإنجابيّة وفيروس العوز المناعي البشريّ والأمراض المنقولة جنسياً والعنف والصحة العقليّة (أو النفسيّة) والأمراض غير المعدية والشباب والشيخوخة .

### متوسط العمر المتوقع

تمتلك المرأة متوسط عمر متوقع أعلى من الرجل، كما أن للنساء معدلات وفيات أقل في حياتهنّ عموماً، بغض النظر عن العرق والمنطقة الجغرافية. وعلى الرغم من ذلك، مرّت النساء تاريخياً بمراحل كانت خلالها معدّلات وفياتهنّ أعلى، وفي المقام الأول وفيات الأمومة. في البلدان الصناعيّة، ولاسيّما المتقدّمة منها، ضاقت الفجوة بين الجنسين بل وتم عكسها بعد الثورة الصناعيّة. وعلى الرغم من هذه الاختلافات، ما تزال المرأة تعاني في العديد من المجالات الصحيّة، من الأمراض بشكل أبكر وأشدّ. على الرغم من هذه الاختلافات، تتماثل أسباب الوفيات في الولايات المتحدة بشكل ملحوظ بين الرجال والنساء، والتي تعتبر أمراض القلب أبرزها، حيث تحصد ربع الوفيات، يتبعها السرطان وأمراض الرئة والسكتة الدماغية. وبينما تمتلك النساء معدّل وقوع وفيات بسبب الإصابات غير المتعمدة (الحوادث) والانتحار أقل، فإنهنّ يمتلكن معدّل حدوث خرف أعلى.

تكمن الاختلافات الرئيسيّة في متوسط متوقع العمر عند النساء بين البلدان المتقدّمة والنامية في سنوات الإنجاب، فإذا ما نجت النساء خلال هذه الفترة، ستصبح الاختلافات أقل بشكل واضح، وباعتبار أنه في سنوات الحياة الأخيرة تصبح الأمراض غير المعدية أسباباً رئيسية لوفيات النساء في جميع أنحاء العالم، حيث تبلغ وفيات الأمراض القلبيّة الوعائيّة (أحد أهم أشكال الأمراض غير المعدية) حوالي 45% من وفيات النساء كبيرات السن، يتبعها السرطان (15%) ومن ثم أمراض الرئة (10%). يخلق هذا أعباءً إضافيّة على قدرات وموارد البلدان النامية. يساهم تغيير أنماط الحياة كالنظام الغذائي والنشاط البدني والعوامل الثقافية التي تفضل الحجم الأكبر لجسد النساء، تساهم في زيادة مشكلتي السمنة والسكريّ بين أوساط النساء في هذه البلدان، كما وتزيد مخاطر الأمراض القلبيّة الوعائيّة وما سواها من الأمراض غير المعدية .

تكون النساء المهمشات اجتماعياً أكثر عرضةً للموت في أعمار أصغر من النساء غير المهمشات. كما تمتلك النساء اللواتي يعانين من اضطراب تعاطي مادة ما و، أو المشردات و، أو المشتغلات بالجنس و، أو السجينات أعماراً أقصر بشكل ملحوظ ممن سواهن من النساء. وفي أيّ عمر، تكون النساء في هذه المجموعات المتداخلة أكثر عرضة بما يقارب 10 إلى 13 مرة للموت ممن سواهن من النساء في العمر ذاته.

### العوامل الثقافية والاجتماعية

يُوضع موضوع صحة المرأة ضمن مجموعة أوسع من المعرفة ذكرتها منظمة الصحة العالمية، وهي التي تسلط اهتماماً على النوع الاجتماعي (الجنس) باعتباره محددًا اجتماعيًا للصحة. ففي حين تتأثر صحة المرأة ببيولوجيتها، فإنها تتأثر أيضاً بظروفها الاجتماعية كال فقر والعمالة ومسؤوليات العائلة ولا ينبغي طمس هذه الجوانب .

لطالما كانت المرأة محرومةً تقليدياً عند الحديث عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية والسلطة، مما قلل بدوره من حظوظ النساء بالوصول لضروريات الحياة بما في ذلك الرعاية الصحية. وعلى الرغم من التحسينات التي طرأت على حياة المرأة في البلدان الغربية، ما تزال النساء محرومات بالمقارنة مع الرجال. وتصبح الهوة بين الجنسين فيما يتعلّق بالصحة أكثر اتساعاً في البلدان النامية حيث تكون النساء أكثر حرماناً. وبالإضافة لعدم المساواة بين الجنسين، ترتبط الإصابة بالكثير من الأمراض بالجنس، أي إذا ما كان الشخص ذكراً أو أنثى. يخلق ما سبق تحديات إضافية في وجه توفير الرعاية الصحية للمرأة.

وحتى بعد النجاح في الحصول على الرعاية الصحية، تتعرّض المرأة للتمييز، وهي عملية أطلق عليها (إريس يانج) "الاستبعاد الداخلي"، وهو مصطلح يُعكس مصطلح "الاستبعاد الخارجي" الذي يصف العوائق والحوجز التي تمنع من الوصول إلى موارد الرعاية الصحية. تبقى هذه القضايا غير ظاهرة، مما يمنع من بروز مظالم المجموعات المحرومة مسبقاً بفعل عدم المساواة في القوة، مما يزيد من ترسيخ الظلم .

كما تلعب الاختلافات السلوكية أيضاً دوراً، حيث تتعرّض المرأة لمخاطر أقل، بما في ذلك استهلاك كميات أقل من التبغ والكحول والمخدرات، مما يقلل من مخاطر الوفاة بسبب الأمراض المرتبطة بهذه الأنماط السلوكية، بما في ذلك سرطان الرئة والسل وتشمع الكبد . كما تتضمن عوامل الخطورة الأخرى (التي تكون أقل

لدى المرأة) حوادث المرور. كما تتعرض المرأة لإصابات صناعية أقل، على الرغم من أن من المرجح أن يتغير هذا الأمر، كما هو الحال في إصابات أو وفيات الحروب، وقد ساهمت هذه الإصابات بشكل عام بما يقارب 3.5% من وفيات النساء بالمقارنة مع 6.2% من وفيات الرجال في الولايات المتحدة عام 2009. بالإضافة إلى ما سبق فإن معدلات الانتحار أقل عند النساء مما هو عليه عند الرجال.

تساعد النظرة الاجتماعية لمفهوم الصحة مقترنةً مع معرفة أن الجندر محدد اجتماعي للصحة على تقديم خدمات صحية أفضل للمرأة حول العالم. فمراكز الخدمات الصحية الموجهة للنساء كمركز صحة مجتمع النساء في ليكهاردت والذي أُسس في 1974 وكان أول مركز لصحة النساء يتأسس في أستراليا مثالاً عن نهج تقديم الخدمات الصحية للنساء تناول العديد من نشطاء النسوية قضية صحة المرأة، ولاسيما عند التركيز على الصحة الإيجابية وكانت الحركة النسائية الدولية مسؤولةً عن الكثير من تبني أدوات تحسين صحة المرأة.

[<https://ar.wikipedia.org>]

## 8 / ث – مناصرة اليونسكو للموئثة ضد استرقاقها

المساواة بين الجنسين هي مسألة اساسية من أجل تحقيق التنمية البشرية، وعليه فان منظمة اليونسكو تسعى الى تحقيق هذا الهدف وتعتبره من اولوياتها. كما ان هدف المساواة هو واحد من اهداف الالفية للأمم المتحدة والذي يسعى الى تحقيق المساواة بين الجنسين وخلق التكافؤ من أجل المشاركة في التنمية وبناء المجتمع. تشير اتفاقية انهاء كافة اشكال التمييز ضد المرأة للدول العربية بالرغم من بعض التقدم في مسألة المساواة الا ان التمييز وعدم المساواة ما زال متأصلاً في الإطار القانوني ولا زالت الفتيات والنساء تعانين من ظروف معيشية سيئة ونظرة اجتماعية متدنية ويمارس ضدهن التمييز لأنهم نساء.

واستجابة لاحتياجات المنطقة العربية، قام مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية بزيادة التركيز على قضية مساواة المرأة بالرجل ومنحها كافة الحقوق والامتيازات. على المستوى الاقليمي ينفذ المكتب مشاريع خاصة برفع مستوى الوعي لدى الناس والتركيز على أهمية تحقيق المساواة. يتم التعاون في هذا المجال مع باقي منظمات الامم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني.

على الرغم من المؤشرات المشجعة المتوفرة، لا تزال المرأة ممثلة تمثيلاً ناقصاً في مجال العلوم، أكان على صعيد البحوث العلمية الأساسية أو على صعيد صنع

القرارات الأعلى. ومواجهة تحديات التنمية المستدامة في الوقت الحاضر وفي المستقبل تعتمد على حشد القوى العلمية كاملة. ولا يمكن للعلوم أن تستمر في حرمان نفسها من الطاقات العلمية الكامنة في أكثر من نصف سكان العالم. والعلوم تشكل مفتاحاً للمعرفة؛ ولكي تتمكن المرأة من الوصول إلى المعرفة وتحقيق المساواة بين الجنسين، عليها أن تتمكن من الانتفاع بالعلوم.

ومؤتمر اليونسكو العالمي للعلوم الذي عقد في بودابست في عام 1999 أولى اهتماماً خاصاً لمسألة المرأة في البحوث العلمية. وأشار أحد البنود التي انبثقت عن المؤتمر إلى أن التحضير غير الملائم في المرحلة الثانوية لا يزال يشكل عائقاً أمام النساء الشابات اللواتي يسعين إلى ممارسة مهنة في مجال العلوم؛ وإلى أن الطريقة المعتمدة لتقييم البحوث تستخف بالنساء اللواتي غالباً ما يضطعن بمسؤوليات كبيرة على الصعيدين الشخصي والمهني، وإلى أن ثقة النساء بقدراتهن الأكاديمية غالباً ما تُقوّض في سياقات دراسية غير ودية في حين لا يتم تشجيع وجهات النظر النسائية فيما يتصل بالمسائل البيئية تشجيعاً كافياً.

والفروقات بين الجنسين هي أيضاً نتيجة عدم الإقرار بمعارف النساء ودرائتهن، أي بعبارات أخرى عدم الإقرار بالمسؤولية التي يضطعن بها فيما يتصل بنصف المعارف البشرية والخبرات الفنية كمزارعات، وجنائيات، ومرّيات للحيوانات، ومستخدمات للغابات، ومسؤولات عن إدارة موارد مجتمعاتهن المحلية واحتياجاتها على صعيد المياه، وأخيراً وليس آخراً كمبدعات على الصعيد التكنولوجي وكمحفزات للتغيير.

ولطالما كانت اليونسكو رائدة في تعزيز المساواة بين الجنسين، وتضعنا استراتيجية المنظمة المتوسطة الأجل للفترة 2008-2013 في طليعة وكالات الأمم المتحدة التي تضع المساواة بين الجنسين في أعلى سلم أولوياتها الاستراتيجية. واعتمدت مقاربة ثنائية تتمثل في: تعميم مراعاة المنظور الجنساني وتمكين النساء في الدول الأعضاء وضمن المنظمة. ويفرض "تعميم مراعاة المنظور الجنساني" بذل جهود منتظمة للنظر في التجارب والتطلعات المحددة للنساء والرجال معا وإيلائها اهتماماً خاصاً في جميع مراحل برنامج اليونسكو، بدءاً من التخطيط ووصولاً إلى التقييم. والشراكة بين اليونسكو ولوربال من أجل "النساء في العلوم"، وبرنامج توأمة الجامعات والكراسي الجامعية لليونسكو والأنشطة المنفذة في مجال العلوم الأساسية والهندسية تركز بشكل خاص على دعم العالمات الإناث، ولاسيما الشابات منهن. وتشمل أمثلة محددة أخرى في هذا الإطار تشجيع النساء على تقديم طلبات للاستفادة من المنح التي يقدمها برنامج الإنسان والمحيط الحيوي للعلماء الشباب، والمساعدة

المتزايدة المقدمة لرابطة عالمات الأرض الأفريقيات لتشجيع النساء على عرض أعمالهن في المؤتمرات العلمية، والجهود التي تبذلها لجنة اليونسكو الدولية الحكومية لعلوم المحيطات لتحقيق التوازن بين الجنسين في أنشطة بناء القدرات في مجال علوم المحيطات. [http://www.unesco.org]

## 8 / ج - مناصرة الحكومات الغربية للمؤنثة ضد استرقاقها

لم يكن هدفها بالدرجة الأولى والأساس مناصرة المرأة بل كشف حجم ضحايا الإجرام في بلدانهم ومن بين هذه الضحايا المرأة وبالذات ربوات المنازل والموظفات الذي يتم التحرش بهم من قبل مدراءهم.

ففي عام 1966 تم اجراء أضخم مسح اجتماعي لضحايا الإجرام في تاريخ الولايات المتحدة الامريكية من بينهم البنات والنساء حيث عمل تغييراً في اتجاه مسار الدراسات الإجرامية نحو دراسة الضحايا بشكل مفصل ودقيق. واليك تفصيلاته: اول مسح شامل لضحايا الإجرام كان في عام 1966 في الولايات المتحدة الامريكية قامت به هيئة منبثقة عن رئاسة الجمهورية مكلفة بتطبيق القانون والعدالة الجنائية ومن ثم بات اجراء مسح ضحايا الاجرام مستمراً بشكل دوري كأحد المسوحات المهمة في المجتمع الأمريكي وكان الهدف من هذا المسح هو قياس حجم الضحايا (على الأقل ضد الافراد) عبر الزمن أي تغيراته وتبدلاته - هبوطه وارتفاعه - وتأثره بالمؤثرات المحلية والإقليمية وذلك لأن الإحصاءات الرسمية التي تسجلها أجهزة الشرطة غير كافية بسبب وجود ثغرات فيها وبسبب عدم ابلاغ جميع الضحايا مراكز وأجهزة الشرطة بما حصل لهم أو وقع عليهم. ففي عام 1972 أُقيم مسح على بات المنازل وكان عددهنَّ 60.000 ألف وزعنَّ على ثلاث سنوات تم فيها مقابلهنَّ وطرح أسئلة عن الاعتداءات وسرقات المنازل التي وقعت عندهنَّ بعدها تم تطبيق هذه التجربة في بلدان أخرى ليتم حصر حجم ضحايا الإجرام مثل استراليا وكندا والسويد وهولندا واليابان وبريطانيا. ثم قامت بريطانيا بمسوحات محلية في بعض مناطق مدينة لندن ومدينة شيفيلد عام 1981 وفي مدينة برمنغهام في عام 1982 إذ قدمت هذه المسوحات تفاصيل دقيقة وصوراً عامة عن مجتمعات الدراسة وتمت مسوحات أخرى في اسكتلاندا في عام 1982 وويلز في عام 1984 وفي ليفربول واسلنغتون في عام 1988 بينت فيها الضحايا في المناطق الحضرية. [Mawby. 1989. P. 6]

وفي العقد السابع من القرن العشرين نشطت جماعات نسوية متطرفة تدافع وتعالج المعتصبات جنسياً بشكل متطرف فأسسوا مراكز خاصة تعالج أزمة الاغتصاب

فتحت فيها خطوطاً هاتفية ساخنة Hotlines للاتصال بها حال او بعد وقوع الاغتصاب وفتحوا أماكن لإيواء المغتصابات اسموها المأوى shelter وأماكن لإيواء اللاجئات لتقديم المعالجة الطبية والنفسية والاجتماعية وذلك من أجل تدعيم موافقهن ورفع معنوياتهن وتقليل الآمهن النفسية والشخصية وذلك بتوفير مرشدين ومعالجين نفسانيين وعقليين من قبل متخصصين متبرعين متطوعين، الأمر الذي جذب انتباه الرأي العام الأمريكي الذي تعاطف معهم وأيدهم. ليس هذا فحسب بل كانت ترفض المساومة مع أية جهة على موضوع اغتصاب النساء ولا تطلب الاستعانة بالشرطة، ومراكزها المتنقلة تعبر عن مصالح النساء المغتصابات. هذه الاعمال التي تقوم بها مراكز أزمة الاغتصاب لم يتولاها أو يتبناها الاتحاد القومي بل ان مراكز الاغتصاب تولت أسلوباً خاصاً بها للدفاع عن ضحايا الاغتصاب تجاه الحكومة من خلال استخدامها وكالة تحكم وسيطرة (وبالذات على الشرطة) تدافع بأسلوب متطرف عن حقوق المرأة لدرجة تتيح لها الحق في اتخاذ قرارها في كل مرحلة من مراحل القضية وعدم الاعتماد على قرارات المحكمة أو الشرطة وهذا أسلوب غير متبع من قبل الاتحاد القومي بل تفردت به مراكز أزمة الاغتصاب في حين لجأ الاتحاد القومي الى أسلوب الاقناع والاستعانة بالشرطة واشراكها في تسوية الأمر.

## 8 / ح - مناصرة العلماء للمؤنثة ضد استرقاقها

### استهلال

لم تصدر هذه النصرة والنجدة من خلال تصريحاتهم ومقابلاتهم الإعلامية بل من خلال بحوث علمية ميدانية وتحليلية من قبل باحثات وباحثين متمرسين في الاستقصاء الاجتماعي أمثال: (ماريجريد ميد، وأن واكلي، وكلاود ليفي شتراوس ومالينوفسكس وبنديكت) مؤكداً على التطبيع التنشئي الذي يطبع كلا الجنسين بشكل مختلف وينمطهم بأنماط سلوكية مختلفة ليس لها علاقة بالاختلافات البيولوجية موضحين المؤثر الثقافي في تطبيع القاعدة الوراثية - البيولوجية. ف (واكلي) برهنت على العامل البيولوجي بأن ليس له أثر أو صلة بأدوار المرأة. هؤلاء العلماء برهنوا على ان الاختلافات البيولوجية لا تفصل أو تفرق بين الرجل والمرأة في نظام تقسيم العمل، بل ثقافة المجتمع تعمل على ذلك. بمعنى الثقافة هي التي تحدد عمل المرأة وعمل الرجل وليس الاختلافات البيولوجية. بعبارة أدق وكما ترى (واكلي) ان الأدوار الجندرية محددة ثقافياً وليس بيولوجياً.

أما (جارلس دارون) فإنه أكد على ان الاختلافات الخاصة بالأداء والتفكير والعمل تكون عاملاً مساعداً على اكتساب الجينات الانثوية والذكورية وتعزز

الجينات في اختلافهما الذكري والانثوي. بمعنى ان الاكتساب الثقافي في أدوار الفرد تساعده على اكتساب الجينات الذكرية والانثوية والاختلافات بينهما وربط السلوك بالجينات.

بذات الوقت هناك قسماً من النسوة الاكاديميات قاموا: -

## 1 - مناشط الوسط الأكاديمي ضد الاسترقاق

قامت النساء الاكاديميات ببحوث تعلن فيها عن المفاضلة الذكرية على المؤنثة في العالم الغربي وكان ذلك في العقد السادس في القرن العشرين حاولوا فيها توضيح واقع المرأة في المجتمع من أجل توعية الناس حولها. أي حول المؤنثة فكانت أهدافهم تصب في المواضيع التالية (التي عكست الموجة الأولى من الأبحاث النسوية).

أ - التصدي للتحيز الذكوري المتعصب ضد المرأة.

ب - تحديد الموقع الاجتماعي للمرأة من خلال قراءة النصوص القانونية والوثائق الاقتصادية.

ت - تعريف اسهامات المرأة في التاريخ وتاريخ الفن.

ث - كشف الأوجه القمعية والتبعية في القيود القانونية والأعراف المجتمعية التي حالت دون وصول المرأة الى عالم الرجل.

ج - توضيح النظام البطريقي بأنه منظومة كونية سرمدية في السيطرة الذكورية يتحكم فيها الرجل بجنسانية المرأة ونشاطها الانجابي وبحياته عموماً.

ح - إن التقسيم البيولوجي (رجل وامرأة) مدعوم ثقافياً من قبل المعايير المجتمعية. هذه المواضيع الرئيسية كانت متمثلة في الموجة الأولى للأبحاث النسوية في الوسط الأكاديمي.

**الموجة الثانية:** بدأت هذه الموجة في أواخر السبعينات من القرن العشرين عبّرت عن المواضيع والاتجاهات والتنظير الأكاديمي السائد بين الأكاديميين في الغرب وكيفية تناولهم لموضوع الجندر فكانت كالاتي:

أ - بدأت بدراسة تركيبية الجندر.

ب - طرح مشكلة الاضطهاد الذي كانت تعيشه المرأة في المجتمعات.

ت - صياغة أساليب لتحديد علاقات الجندر بالمجتمع.

ث - اعتبار الجندر فئة مركزية في التحليل التاريخي.

ج - اعتبار مفهوم الأدوار المجندرة هويتان مركبتان اجتماعياً مفروضتان على الجنس البيولوجي هوية جوهرية متموضعة داخل الجسد الطبيعي.

ح - التأكيد على سلطة الرجل وتبعية المرأة.

كانت هناك هيمنة انثوية سابقة لنشوء النظام البطريقي حين كان العالم يعيش حياة وادعة متناغمة مع الطبيعة. كانت النساء آنذاك يعشن حياة خالية من الاضطهاد الى جانب كونهن يتحكمن على نحو طبيعي بالمجتمعات التي توصف بانها مجتمعات أمومية النسب أو مجتمعات أمومية. وكانت المرأة في عصر ما قبل التاريخ تهيمن على تراتيبات الجندر.

**الموجة الثالثة:** التي بدأت في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين

1 – كشفت هذه الموجه عن طبيعة البطريقية واضطهاد المرأة وفي ترسيخ فضاءات خاصة بها فقط، أشبعت كل تلك المفاهيم تنظيراً بوصفها التجربة المشتركة والموحدة للنساء.

2 – ترى الأبحاث الخاصة بالموجة الثالثة ان الفصل الذي نشأ بين المنزل والعمل والذي جرى بموجبه تحليل العائلة والزواج والى ما هناك بوصفها مجال المرأة لا يقتصر على كونه غير كافٍ لفهم تعقيد العلاقات المجندرة، بل انه قد يسهم ايضاً في إدامة التركيبية الثنائية لتراتيبات ذكر/ أنثى.

3 – لجوء النسويون الى خلق إشكالية من التراكيب المذكورة وتحويلها الى علاقات قوة وبدأت مفاهيم من نوع اضطهاد وبطريقية وجنسانية وهوية، بالمعنى المستخدم من نسويي الطبقة المتوسطة البيضاء تواجه تحديات متعاضمة مصدرها نقاط تقاطع النسوية الجديدة مع النظرية الثقافية ونظريات ما بعد الحداثة وخصوصاً منها ما بعد البنيوية ونظرية التفكيك.

4 – ان فئة الجندر بحد ذاتها بوصفها كينونة منفصلة مشكلة اجتماعياً جرت مُراكبتها فوق الجنس الطبيعي السابق لأي خطاب تعاني بعض النواقص.

5 – لا يوجد جنس سابق لوجوده أو منفصل عن تركيبته الاجتماعية التي يمكن مراكبة معايير مجندرة عليها بما ان التمايز المورفولوجي دائماً أمر عارض تاريخياً.

6 – كشفت هذه الموجه المفاهيم الخاصة بالجنس والجندر. [البحراني. 2013.

ص. ص. 48 – 66]

## 2 – ميد في الطبيعة والتطبع

ينطوي هذا العنوان على معرفة كم من سلوكنا اليومي والمعتاد مقرر ومحدد من قبل الطبيعة nature (الوراثة والجينات والبيولوجي) وكم منه محدد ومقرر بواسطة التطبيع التنشئيي nurture (البيئة المحيطة والثقافة التي ولدنا وعشنا فيها)؟ لكن تذهب تفاسير وتحاليل علماء الاجتماع المهتمين بدراسة النوع الجنسي



(الجندر) الى مدار التطبيع التنشئي هو الذي يطبع الذكور والاناث بشكل مختلف وينمطهم بأنماط سلوكية مختلفة، وان الاختلافات بينهم لا يرجع فقط الى التأثير الفسيولوجي بل ايضاً الى الاختلافات السكانية (الديموغرافية) والمواقف والاتجاهات والسلوك المرتبطة جميعها بالجنس. هذه الاختلافات كافية بشكل وافي في هيمنة التسلط البطريقي (الذكوري - الأبوي) ذا التسلط المحتوم والمطلق. بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو هل هذه الاختلافات تفوق التشابهات بينهم؟ وما هو الدور البيولوجي الذي يقرر هذه الاختلافات؟ وغزاء هذه التساؤلات ظهر جدال ونقاش بين العلماء حول أيهما أكثر تأثيراً على سلوك الأفراد؟ الطبيعة الموروثة أم التطبيع المكتسب في تحديد هذه الاختلافات البيولوجية؟ سوف نفصل ونسلط الضياء على الجانب البيولوجي في هذا الفصل الذي سيغطي التفسير البيولوجي لهذا الاختلاف بين الذكور والاناث.

### دراسة مارجريت ميد Margaret Mead

لكن قبل أن ندلف الى مدار التفسير البيولوجي نعكف على دراسة قديمة ترجع الى قرن من الزمن لعالمة الانثروبولوجيا (عالمة الإنسان) الأمريكية المعروفة (مارجريت ميد) لنوضح الخلفية الاجتماعية للنوع الجنسي وكيف يؤثر المتغير الثقافي في تطبيع القاعدة الوراثية - البيولوجية الذي يختلف تأثيره من جماعة لأخرى ولا دخل للقاعدة البيولوجية أثر على المتغير الثقافي، لذا جعلنا هذه الدراسة توطئة لما سنعرضه لاحقاً. انصبَّ اهتمام (ميد) العلمي والبحثي على استكشاف وارتياح موضوع الاختلافات النوعية بين الذكور والاناث في مجتمع نيوجيني New Guinea وكان ذلك عام 1930 (مجتمع يعيش في جزيرة تقع في المحيط الهادئ) سافرت الى هناك من أجل دراسته ميدانياً كمتطلب لدراسة الدكتوراه في جامعة كولومبيا - الأمريكية فتعاملت مع ثلاثة قبائل تقطن فيها وهي قبيلة (ارابش Arapesh) فوجدت إن افرادها يتصرفون بـ:-

- 1 - العلاقات الدافئة والودودة ودمائة الاخلاق والرقعة.
- 2 - تطبيع رجال هذا القبيل بالطابع السلمي والمطيع والمتمائل مع قيمه الثقافية وتقاليد واعرافه الاجتماعية.
- 3 - يصرف افراد القبيل معظم اوقاتهم بالزراعة وصيد الأسماك ورعاية الأطفال.
- 4 - تمتع افراد القبيل برضى عميق وواسع في أعمالهم التي يقومون بها إذ يؤدوها بكل حماس وشوق ورغبة مندفعة.

5 – رعرعة أطفال القبيل في ظل هذه السجايا والاطباع، بمعنى متطبعين على التعاون والاستجابة التلقائية.

6 – رغبة الشباب والشابات ونزعتهم في تلبية حاجات الأفراد الضعفاء من كبار السن والأطفال من صغار السن.

وإزاء هذا الاستكشاف توصلت (ميد) الى خلاصة مفادها ان أفراد هذا القبيل لا توجد فواصل دورية تفصل بين دور الذكور ودور الاناث إذ كلاهما متطبعين بطابع التعاون والاستجابة التلقائية في الحقول الزراعية وصيد الأسماك ورعاي الأطفال ليس مثل باقي المجتمعات التي تحصر تربية الأطفال عند المرأة فقط لكن عند الارابش يقوم الرجل بتربية اطفاله بجانب المرأة ولا يترك هذا الشأن للمرأة فقط.

بتعبير آخر، يشترك رجال هذا القبيل في سلوكهم المتصف بالأنوثة ويميلوا (الرجال) والنساء المساواة والتعاون وليس للعدوان والمنافسة. ويستجيب الواحد منهم لحاجات الاخرين وتكون قمة السعادة في هذا القبيل ان يتزوج الرجل اللطيف المرأة اللطيفة وكلا الجنسين أي الرجل والمرأة عاجزان أمام اغراء الواقع الجنسي لذلك يحذر الإباء أبنائهم الذكور من الانغمار في مواقف تتضمن عشق الاخرين لهم ولا يوجد هذا التحذير للفتيات.

القبيل الثاني في هذه الجزيرة هي قبيلة (الموندجومور Mundugumor) فهي على خلاف الارابش فالرجال والنساء على السواء يتميزون بالسلوك الذكري كما يتميزون بالسلوك العدواني وقمة السعادة ان يتزوج الرجل العدواني المرأة العنيفة العدوانية ولا يوجد هناك اغراء جنسي أو ملاطفة جنسية وكل ما يحدث إنما هو عنف وعدوان لذلك فإن أبناء هذا القبيل يتميزون بالعدوانية الواضحة والصريحة. فضلاً من ذلك وجدت (ميد): -

- 1 – إن أبناء هذا القبيل عنيفين وقساء وشرسين.
- 2 – لا يساهموا مع المرأة في تربة الأطفال بل يتركونهم لحالهم بعمر مبكر.
- 3 – تعليم الأطفال السلوك العدواني والتنافس والشك بالآخرين.
- 4 – يتصرف الأبوين بمرونة بسيطة وقليلة مع أبنائهم في اكسابهم السلوك الاجتماعي، وذلك لأنهم يستخدموا العقاب الجسدي القاسي عند كل تصرف يقوم به أبنائهم عندما لا يروق لهم وهنا يصبح الأطفال مكتسبين بسرعة العادات القبلية القاسية والعدوانية – العنيفة وتعد القبيل ذلك التصرف مقبولاً ويعتبرونه الحل

الأسلم والأفضل في حل العديد من مشاكلهم الأسرية والاجتماعية لأن كلا الجنسين من الرجال والنساء يتصفون بهذه الخاصية.

القبيل الثالث هو قبائل (تشامبولي Tchumbuli) إذ يتصرف أبنائها بارتداد وانعكاس لدور النوع الجنسي يتميز رجالها بقلّة الشعور بالمسؤولية بل بالاتكالية والانفعالية في حين تميل نساءهم نحو السيطرة وغلبة الروح العمل عليهنّ والتجافي في النواحي الشخصية والإنسانية. والرجال يرقصون ويلبسون اقنعة نسائية وفي الحياة العادية يتزين الرجال بالعقود الملونة ويطلقون شعورهم ويتزينون لنساءهم فهم (الرجال) سادة الأسرة ومالكو الزوجات. وتترك الأم طفلها الرضيع يأخذ حلمة ثديها في فمه لدقائق معدودات ثم تلقي به بعيداً عن الثدي ومن هنا يتولد عنده النزعة العدوانية في كبره، بينما ترضع الأم طفلها في قبيلة الارابش من ثديها ويبقى هذا الثدي في فم الطفل الى المدى الزمني الذي يناسبه فإذا مسك الطفل الثدي من الصباح الى المساء فلا تبدي الأم أي ضيق من هذا التصرف ولا تحاول تعنيف طفلها. إن نساء (تشامبولي) لا تتزين بالزينة والتبرج للرجال ولا يتأنقوا لهم لكنهم خنوعات للرجل المغرور والمختال الذي يصرف وقته بالتجمل والتزين. في وقت يصرفنّ النساء جلّ وقتهنّ في حياكة الحصران والسلال والاطباق من ورق الأشجار وصيد الأسماك وبيع منتجاتهم في السوق من أجل كسب لقمة العيش بعيداً عن الرجل الذي لا يساهم في هذه الأنشطة بل يبقى مقيماً في القرية يمارس الرقص والغناء والتزين. بينما تكون النساء مستمتعات بصحبة بعضهم البعض (أي في مجالس النساء) في حين يقوم الرجال بألفات نظر النساء والتأثير عليهنّ الذين يستجيبوا لهذه المداعبة باللطافة والدمائة دون صدّهم أو ردّهم وهذا نقيض معتقدات القبيل التي تؤكد على الاختلافات الطبيعية للجنس.

أي إن ثقافة القبيل لا تسمح بالمساواة بين الجنسين بل تؤكد على الرجولة الذكورية Masculine وفحولة الذكر والانوثة Feminine والرقّة والخنوع والمطاوعة أمام الرجل.

هذه ما توصلت اليه (ميد) في دراستها الاستكشافية عن التمايز الجنسي.

[Lindsey. 2011. Pp. 23 – 24]

لا جناح من تعريف القارئ على هذه عالمة (مارجريت ميد 1901 – 1978) أنها عالمة أمريكية في علم الإنسان الثقافي درست اختصاص رعاية الأطفال في الباسفيك وساهمت بشكل فعال بإقامة مناظرة وحوار حول التنشئة والطبيعة ودراسة الثقافة والتنشئة الاجتماعية مع الأخذ بعين الاعتبار وعدم إنكار الأهمية البيولوجية والمحيط الطبيعي. كانت دراستها عن الثقافة في كتابها (العمر القادم الى سماوي

(1928) والتنشئة في غيني الجديدة 1930 new guinea والجنس والمزاج في ثلاث مجتمعات بدائية 1935 مهمة جداً لأنها أكدت على أهمية التنشئة على الطبيعة. وأعطت أفكارها الأنثروبولوجيا دعماً مهماً للحركة النسوية ومشاركتها في بلورة سياسات جنسية التي تم تعزيزها فيما بعد من قبل الذكور والإناث على السواء 1949م وكشفت دراستها الواقعية تسامح المجتمعات البدائية تجاه السلوك الجنسي للمراهقين والمراهقات ثم قارنت ذلك بشكل دقيق مع القلق والتوتر المصاحب لمرحلة المراهقة في المجتمع الغربي (بشكل خاص عند البروتستانت) تجاه النمو الجنسي. ساهمت تفاسيرها وشروحها الميدانية في مجال الثقافة والالتزام عام 1970م تفهماً أكثر وتعاطفاً أوسع مع موضوع صراع الأجيال. [العمر. 2000. ص. ص. 293 - 294]

لا أريد ان اترك هذا الباب مالم أسبر غور موضوعه لكي أصل الى كبده الذي أجده يتمثل في موضوع اطلاقنا على النماذج الثلاثة التي قدمتها لنا (ميد) فإننا نستطيع القول بأنه لا يوجد نمط سلوكي واحد لكل النساء في كافة المجتمعات وجميع الأزمنة والأمكنة، لكن لا يتصف كل الرجال بصفات واحدة في كل المجتمعات ولا تتصف جميع النساء بصفات واحدة في كل المجتمعات وذلك راجع الى لباس ثقافة المجتمع الذكورية بلباس خاص بها والنساء بلباس خاص بها، لذا هناك ثقافة ذكورية وأخرى انثوية لكن لا يوجد أحد يحدد الثقافة الاجتماعية بخصائصه البيولوجية - الوراثية - الجينية. أي لا توجد انوثة ثقافية أو ذكورية ثقافية بل هناك ثقافة ذكورية وثقافة انثوية.

فقد وجدنا قبيلة ارباش رجالها وديعين ومسالمين غير عنيفين يستجيبوا لحاجات المرأة ومتعاونين معها في تربية الأطفال لكن لا يشبه الرجل في قبيلة الموندوجمور الذي يتصف بالعدوانية وكذلك المرأة التي تكون العدوانية صفة مشتركة عند الرجال والنساء. وقد وجدنا المرأة في قبيلة تشامبولي خنوعة للرجل المغرور والمختال وتقوم بكافة المناشط الاقتصادية خارج المنزل إضافة الى تنشئة أطفالها داخل المنزل ولا تتبرج على عكس الرجل الذي يقضي جلّ وقته في القرية يرقض ويغني ويتبرج.

هذه الاختلافات لا ترجع الى العامل البيولوجي - الوراثي الجيني بل الى الثقافة الاجتماعية التي ألبست العامل البيولوجي بلباسها. هذا هو حال النوع الجنسي عند القبائل البدائية قبل قرن من الزمن بيد أن الان تبدلت المعادلة فلم تعد الثقافة ملبسة لباسها للوراثة الجينية بل حصل تبدل في الثقافة الانثوية والذكورية حيث بدأت تطالب الانثى بحقوقها السياسية والاقتصادية والأسرية والمهنية أكثر بكثير

من الأزمنة السابقة بذات الوقت تحولت الذكورية الى التقلص في تسلطها على الأسرة والمجتمع بسبب استقلال المرأة اقتصادياً وصغر حجم الأسرة وقلّ الانجاب فيها مع ارتفاع مستوى العيش والتقدم التقني والعولمة وسواها.

زبدة القول وعلى الجملة، ان التطبيع يغلب على الطبيعة في المجتمعات البدائية والتقليدية والريفية والاقطاعية والفلكلورية.

### 3 - أوكلي في الثقافة الاجتماعية والجندر

يمثل الجنس اختلافاً بيولوجياً لا يتبدل ويمثل الجندر تحديداً ثقافياً لكنه يتبدل من مجتمع لآخر وهو ليس بالمطلق والجامد والثابت في كل المجتمعات والثقافات. وان عمل المرأة لا ينحصر في البيت فحسب بل في المزارع والمصانع والمناجم والجيش والشرطة والرياضة والفن والهندسة والطب وكافة الاعمال التي يقوم بها الرجل في الوقت الحاضر. وان ما كان يقال عنها بان المرأة قاصر وطاقتها محدودة لا تتحمل الأعباء والاعمال الشاقة. لكن هذه خرافة أطلقها الرجل لكي يحصر الاعمال له ويجني أرباحها ويستبعد المرأة ويهمش دورها خارج المنزل ليجعلها سجيناً المنزل ومحبوسة فيه. وقد ثبت الاستغناء عن الام البيولوجية للأطفال بمرضعة أو مربية أو دور حضانة وهذا ما هو سائد في المجتمعات الحضرية والصناعية.

مرادي من هذا الطرح هو الوصول الى مقولة مفادها الان الاختلافات البيولوجية لا تقرر ولا تحدد المهام والاعمال النوعية (الجندرية) ولا الاعمال الجندرية تحدد وتدعم الاختلافات البيولوجية لأن للمرأة نكاء وطاقة مثل نكاء وطاقة الرجل وان احتياجات المجتمع لا تفرق بينهما بل قيام الرجل بإطلاق قصص وأقاويل وخرافات ضد المرأة لجعلها مقعده في المنزل لخدمته وراحته طيلة حياتها. والحياة العصرية أثبتت خرافة هذا الادعاء الذكوري وجدارة وكفاءة المرأة في اثبات وجودها في العديد من الفضاءات والمجالات التي حرمت عليها من قبل الرجل مثل القوة الجوية والبحرية والعسكرية والأمنية والرياضية والفنية والفكرية والصعود للقمر.

إذن الثقافة الاجتماعية هي الوعاء التفسيري لكل ما قيل عنها من قبل الرجل عن الاختلافات البيولوجية لكي يبقى في برجه العاجي متسلطاً ومتحكماً ومتحذلقاً في دوره الذي وصفه لنفسه ليحجب المرأة من اثبات جدارتها وحكمتها وذكائها وتنافسها في عمله خارج المنزل. لم يُظهر هذا الاستبعاد بنفسه بل مستخدماً معتقدات وخرافات وأساطير وهمية وماورائية (ميتافيزيقية) غير واقعية في ثقافته الاجتماعية التي وضعها. أقول استخدم الرجل الوعاء الثقافي لدعم وتعزيز مكانته ونفوذه ودوره في المجتمع. وأنه لا يوجد تفسير ثقافي واحد يؤكد على استعلاء

الرجل على المرأة وعدم مساواتهما في الحقوق والواجبات بل يختلف من ثقافة الى أخرى وانه تفسير ثابت لا يتغير مثل ثبوت الاختلاف البيولوجي بين الرجل والمرأة.

بيد أن الباحثة (آن أوكلي Ann Oakley) 1974م عندما رجعت الى الدراسات الانثروبولوجية التي قام بها كل من (مالينوفسكي وبنديكت وميد) وجدت عدم وجود الحتمية الثقافية التي تفصل نظام تقسيم العمل والادوار والمواقع الاجتماعية على أساس الاختلاف الجنسي. وضربت مثال طرحه عالم الانثروبولوجي الفرنسي الحديث (كلاود ليفي شتراوس) 1956 عندما قال بأنه لكل ثقافة لها تنظيم خاص بالعمل يتساير ويتوافق مع الحاجات المجتمعية وليس للاختلاف البيولوجي. إذ لا توجد حدود وفواصل تفصل عمل المرأة عن الرجل أو عزل عمل الرجل عن عمل المرأة. ثم طرحت أوكلي امثلة عديدة من مجتمعات مختلفة توضح وتبرهن على ان العامل البيولوجي ليس له أثر أو شرط على أدوار المرأة وهي ما يلي: -

- في مجتمع الكونغو القائم على الصيد والالتقاط في الغابات المطرية ليس لديه قوانين تحدد تقسيم العمل على أساس الجنس فالرجال والنساء يصطادون معاً وان دور الأم والأب واحداً في رعاية أطفالهما.
- وعند قبائل الأبروجينال في تسمانيا تكون المرأة مسؤولة عن صيد الفقمة والأسماك من البحر وجمع الغلات النباتية الموجودة هناك.
- وفي الوقت الرهان لاحظت أوكلي اشتراك المرأة في القوى العسكرية المهمة في الصين والاتحاد السوفيتي (السابق) وكوبا واسرائيل.
- وفي الهند هناك 12% في القوى العاملة من النساء يعملن في قطاع البناء.
- وفي دول أمريكا اللاتينية وآسيا هناك ربع القوى العاملة من النساء يعملن في قطاع المناجم.

بالنسبة لـ (أوكلي) ترينا هذه الأمثلة بوضوح بعدم وجود مانع أو حائل يمنع أدوار المرأة وأن ما تم الإعلان عنه من إن القاعدة البيولوجية للمرأة تجعلها عاجزة وغير قادرة على تحمل مشاق العمل وارهاقه ما هي سوى بدعة وخرافة وهمية لا أساس لها من الصحة وانه مجرد كلام لا سند له.

أخيراً ترى (أوكلي) إن الأدوار الجندرية محددة ثقافياً ليس إلا ولا لها علاقة بالتحديد البيولوجي وإن الاحداث الاجتماعية المتطورة ترينا بأنه لا يوجد فرض أو شرط يؤكد على استغناء عن عمل المرأة وعدم الاعتماد على طاقتها وكفاءتها حتى دور الام ما هو سوى تحديد ثقافي لأن ما يحتاجه الأطفال منها هو الحب

والحنان والمودة والدفء والاستمرار في الرعاية وهذا ما يقدر ان يقوم به اشخاص آخرين ليس الأم البيولوجية بل من دور رعاية الأطفال والحضانات. [Van Krieken and (etal.). 2006. P. 310

ولكي نحيط علماً بشكل أغزر عن أثر الثقافة على الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة، نقول عندما كان المجتمع بدائياً كانت المرأة تعمل داخل وخارج المنزل في الزراعة والصيد والالتقاط وهذا ما أكد عليه علماء الانسان (الأنثروبولوجي) في دراساتهم للمجتمعات البدائية في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وأستراليا بل وحتى في المجتمع العربي البدوي والريفي إذ لا يقتصر عملها على رعاية الأطفال بل بالرعي (الأغنام والأبل) والزراعة والتجارة (بيع المنتجات الحيوانية والزراعية في أسواق المدينة) وفي المرحلة التطورية التقنية هناك اشتراك واضح وناشط للمرأة في الجيش كما هو الحال في الصين وأمريكا والاتحاد السوفيتي (السابق) وكوبا وإسرائيل وفي المناجم والبناء. إذن الجانب البيولوجي لا يكون عائقاً لحجب المرأة عن التنمية والتخطيط الاقتصادي والاجتماعي والتربوي. بل الاحتياج المجتمعي هو الذي يؤثر على ذلك ومن ثم ينعكس على ثقافة المجتمع. وقد وجدنا كلما تعمل المرأة خارج المنزل كلما صغر حجم اسرتها تبعاً، وإن الأسرة الممتدة نجدها في المجتمعات الاقطاعية والدينية والقبلية والتقاليدية المحافظة لذلك يمكن استخدام دور المرأة في المجتمع بمثابة الزئبق في المرواز (البارومتر) يرتفع ويهبط حسب حاجة المجتمع لها خارج المنزل. فإذا كانت الحاجة ماسة لها خارج المنزل لتعمل في المصنع أو المنجم أو الجيش تصبح مكانتها عالية في المجتمع فيرتفع الزئبق في المرواز. وإذا كانت حاجة الأسرة لها في الرعاية والتدبير المنزلي عالية هبطت مكانتها وهبط الزئبق معها ومن ثم يتم استبعادها من قبل الرجل. بتعبير آخر يؤدي خروجها من المنزل للعمل الى استقلالها اقتصادياً وتحريرها اجتماعياً وتنويرها ادراكياً ومعرفياً، وعند عدم خروجها من المنزل للعمل تضحى معتمدة على الرجل اقتصادياً ومقيد بقيوده بدعوى القيم والأعراف الثقافية ومتبلده ادراكياً من أجل خدمته واشباع تسلطه عليها.

#### 4 - دارون في التطور والجينات والبيولوجي

غالباً ما يتم النظر الى علاقة الطبيعة بالتطبيع وأثرهما على السوك البشري من زاوية نظرية (جارلس دارون) التي ترى الاختلافات الجنسية (مثل الجنس والقدرة الادراكية والأبوة والأمومة) واختلاف النوع الجنسي (في أداء اللعب والاختصاص المعرفي واختيار المهنة) لها إيجابية وفائدة في اكتساب الجينات الأنثوية والذكورية

لأنها تكشف وتعرض عطاء الإنسان وامكانيته في الأنشطة وتعزيز الجينات في اختلافاتها الذكرية والأنثوية.

علم الاحياء الاجتماعي Sociobiology انه حقل علمي يجمع بين اختصاصيين الأول علمي - بيولوجي (احيائي) والثاني مجتمعي ينطوي على شرح التنظيم الاجتماعي للحيوان والإنسان من خلال الإشارة الى الصفات البيولوجية مثل التكوينات الجينية والمؤثرات السكانية من أجل تفهم الطبيعة الحيوانية، طارحاً أسئلة حول الاختلافات الجنسية متتبعاً الجذور البيولوجية للسلوك الاجتماعي مستفيدين من دراساتهم للحيوانات للوصول الى خلاصات عن طبائع وسلوكيات الإنسان وذلك لاشتراكهم بقاعدة واحدة وهي القاعدة الاحيائية (البيولوجية) المنطوية على دوافع داخلية تؤكد على جيناتهم المرتبطة بكافة انماط سلوكهم هذا الارتباط أشبه بارتباط الأم بوليدها التي لا تريد الانفكاك عنه بل السيطرة عليه ورعايته. فالإنسان والحيوان يشتركان بغريزة العدوان والتنافس. إذ هناك منافسة بين الرجل والمرأة في كفاحهما الحياتي فالمرأة تريد ان تسيطر على رعاية الأسرة والرجل يكافح في عمله خارج الأسرة، بل ويتنافس مع أخيه الرجل من أجل ان يكسب موقعاً أفضل حالاً ومالاً والحيوان كذلك يكافح من أجل العيش وكلاهما يعمل على تكاثرهما من أجل ضمان عيشهما في الحياة. هذا الكفاح يمثل أرث تطوري يدفع بهما نحو تنظيم حياتهما الاجتماعية.

**الإدراك البيولوجي:** في الواقع المنشط الذكوري Androgens هو اللاعب الرئيسي في تحديد الذكورية والانثوية عن الإنسان بما فيه دماغه. إن النوع الجنسي ودماغ الإنسان يتحددان من قبل المنشط الذكوري وإن النوع الراقى لهذا المنشط يمارس النوع الذكري أكثر من الانثوي. وإن اختلاف الإدراك الجنسي يكون مرتبطاً بالقدرة الذكورية بشكل قوي أكثر من الانثوي. بينما الغدة التناسلية هي التي تحدد النوع الجنسي وإن عقل الانثى أكثر نمواً وتطوراً من عقل الذكر مع ذلك فإن هناك طفرات جينية تختلف عما يقوم به المنشط الذكوري. إذن يكون الإدراك البيولوجي مرتبطاً بالمنشط الذكوري.

**لغز الهرمونات:** الهرمونات عبارة عن افرازات داخلية تطرحها الغدد الصماء التي تسري مع الدم في جسم الإنسان مؤثرة على كافة اعضاء الجسم، لأن كلا الجنسين (الذكر والانثى) يحملان نفس الهرمونات لكنها تختلف في كميتها عندهما. فمثلاً الهرمون الانثوي يسيطر على الهرمون الجنسي الانثوي estrogen عند الانثى حيث يفرز بكمية كبيرة بواسطة المبايض لكن بكمية قليلة من قبل الخصية. أما الهرمون الموجود في الخصية الذي يُفرز بكمية كثيرة بواسطة الخصية لكن بكمية



قليلة من قبل مبيض الانثى. لذا يكون اختلاف الغدد الصماء عند الذكور والانثى ليست حتمية بل متباينة عندهما حيث تكون عند الذكور أكثر من الانثى.

أما الكروموسوم (الذي هو جسيم خيطي يظهر في نواة الخلية عن الانقسام X و Y إذ كلا الجنسين لديهما على الأقل كروموسوم X واحد لكن عند الاناث تمتلك اثنان من كروموسوم X بينما عند الذكور لديهم كروموسوم واحد X وكروموسوم واحد من Y أيضاً. لذا يكون غياب أو نقص كروموسوم Y الذي هو المحدد لنوع الجنين هل سيكون ذكر أو انثى لأن كروموسوم X لديه خلفية جينية أكبر من الكروموسوم Y، بمعنى له أفضلية مفيدة لصالح الانثى التي لديها كروموسوم XX الكروموسوم الإضافي من X يكون مشترك مع نسق مناعي عالي في الحصانة أو زوالها (أي الزوال الانثوي الواطئ عند جميع مراحل دورات الحياة). أما باقي الكروموسومات فإن جميعها متشابهة في شكلها لكنها مختلفة في هويتها الوراثية للفرد حيث تكون الكروموسومات عاملاً مؤثراً على الاختلافات الجنسية. علماً بأن هناك تفاعل مهم بين الهرمونات الجنسية والمؤثرات النفسية الاجتماعية على سلوك النوع الجنسي (الجنس) ونحن نعلم ان الهرمونات الجنسية لديها وظيفتان رئيسيتان يجب احتسابهما والأخذ بهما في عين الاعتبار معاً وهما: -

1 - انهما يصوغان نمو الدماغ والأعضاء الجنسية.  
2 - ويحددان كيف تنتشط هذه الأعضاء. لأن الهرمونات تغذي وظائف أعضاء الجسم لكن تأثيرهم يكون مختلف باختلاف نوع الجنس.

**العدوانية Aggression:** انه سلوك يشترك فيه الانسان والحيوان على السواء عندما يتعرض للإيذاء والاعتداء والعنف والتجني. بل يشترك فيه الذكور والاناث إثاره بل يحدث أيضاً عندما يريد التعبير عما وقع عليهما من تجني أو اعتداء أو عدوان. ومن البارز للعيان عن كلا الإنسان والحيوان ان الذكور أكثر عدوانية من الاناث، حيث يبرز عند ذكور البشر في السنة الثانية من عمرهم وكلا الجنسين من الذكور والاناث متساويين في تعلمهم واكتسابهم للعدوانية إلا ان عدوانية الاناث لا تبرز بشكل علني وجلي أمام الناس مثلما يبرزها الذكور فالأنثى تكون أكثر ميلاً للكبت وكظم حنقها وغضبها وعنفها، او تقوم بتصريفه شفويًا (أي بالكلام) بجانب ذلك استخدامها للسلوك العدواني يكون بقصد وتعمد في إيذاء الاخر الذي أساء اليها أو اعتدى عليها وغالباً ما يكون ذلك المعتدي من بني جنسها مستخدمة استغلالها لأصدقائها أو زملائها أو معارفها أو أفراد أسرتها في أداء انتقامها من المعتدين عليها. لكن هذه العدوانية الانثوية لا تصدر عبثاً أو لا تصدر بدون سبب أو لا

تصدر بدون سبب أو إثارة بحدوث أسباب مؤذية جسدياً أو اعتبارياً أو مالياً أو مهنياً أو اجتماعياً.

أما الذكور من الصبية فهم أكثر تعبيراً عن عدوانيتهم وتنفيذها بطرق جسمانية بالضرب والرفس واللكم والكلام الفظ والقاسي وغالباً ما يكون الخصم من الذكور الذين يكونوا من شريحة عمرية معينة أو عرق محدد أو قومية خاصة تحصل (العدوانية) في مكان العمل أو المنزل أو المدرسة أو الحانة أو الشارع أو المقهى وهناك عدوان يكون على شكل تحرش جنسي. ثم هناك عدوان القوارض من الحيوانات التي يكون سببه تأثير الهرمون الذكري المنشط ذكورياً في عدوانه.

هذا على صعيد العامل البيولوجي أما على صعيد التأثير الثقافي فإنه يكون أكثر وضوحاً وجلاءً لأنه يُكتسب في المرحلة الأولى في تنشئة الطفل ولا يغفل تأثير الهرمون الذكري الذي يتنشط عندما يتغلب الفرد أو ينتصر أو يفوز على خصمه ويقل نشاطه (الهرمون الذكري) عندما يخسر. هذه الحالة تظهر بشكل واضح عند الذكور. وعلى الجملة، يمكن القول بأن الهرمون الذكري يلعب دوراً حيوياً في تأثيره على السلوك العدواني وعلى التعبير العاطفي والعلاقات الجنسية وأنه من الواضح أيضاً أن نقول أن العدوان والثقافة مهمين في بروز أي ميول أو نزعات بيولوجية للاعتداء.

جدير بذكره أن الخيبة والفشل يؤديان إلى العدوان أيضاً للتعبير عن النقص الذي يحمله الفاشل. كذلك يصدر السلوك العدواني من قبل أفراد (ذكوراً أو إناثاً) لا يملكون مؤهلات أو مهارات تسمح لهم بالارتقاء على السلم الهرمي الاجتماعي فيسبب لهم دافعاً في اتجاه العدوان على الآخر الذي يملك ما لا يملكه هو. بتعبير آخر لا يقتصر العدوان وقوعه بدافع الهرمون الذكري فقط بل من قبل الإحباط أو الخيبة أو الفشل أو الحرمان من امتلاك نفوذ أو مال أو موقع اجتماعي أو اعتبار معنوي أو خلفية جسدية (يدوية أو ساقية) ولا يقتصر على الذكور فقط بل يشمل الإناث أيضاً، إنما يختلفوا في اظهاره والتعبير عنه فالأنثى لا تظهره بشكل علني في أغلب الأحيان تحسباً لسلبات اجتماعية ومادية على نقيض الرجل الذي يمارسه علناً أمام الآخرين لإبراز قوته العضلية ورجولته المرتبطة مع نوع جنسه.

**الأمومة Motherhood:** إنها غريزة تتصف بها انثى الإنسان والحيوان من الثدييات. حيث تنطوي هذه الغريزة على هرمون امومي وهرمون يهبيئ الرحم لقبول البيضة الملقحة والهرمون الفص الأمامي من الغدة النخامية التي تقوم بتنظيم افراز الحليب من الثدي ويدفع بالمرأة نحو الأمومة. تظهر هذه الهرمونات في فترة الحمل التي تفرز افرازات تربط الأم بجنينها داعمةً غريزة الأمومة لا تقف مشاعر

المومة عند هذا الحد بل تأتي مرحلة ما بعد الحمل وهي المخاض والولادة. كل ذلك يبلور رغبة عند الانثى لأن يكون لها طفل وتستجيب لرغبة الرجل في أن يكون أباً. فلا جرم من القول بأن الأبوة مكتسبة إلا أن الأمومة متبلورة من قبل عوامل ومراحل تطورية تخضع لها الأم المنجبه (وهي إفرازات الهرمون الأمومي والهرمونات الأخرى التي تفعل فعلها في مرحلة الحمل لتربط الأم بالجنين ومن هنا تبرز غريزة الأمومة فضلاً عن المخاض والولادة والكآبة بعد الولادة أو الإجهاض ورعايته وارضاعه) كل ذلك يعمل على بلورة مشاعر الأمومة عند الأم التي لا تتوفر عند الأب لأنه لا يحمل ولا يتأثر بمؤثرات هرمونية ولا يحصل عنده مخاض أو اجهاض أو كآبة بعد الولادة وسواها، بل يكتسب دور الأب بعد ولادة زوجته. لذا فإن المرأة العاقر تعتقد بأن الأمومة تعتمد وتنبني على غريزة الأمومة وإن عدم قدرتها على الانجاب مرتبط بفشلها في الحمل.

ومن نافلة القول ان نشير الى الرابط الأمومي الذي يحمي ويرعى الجنين مباشرة بعد أسابيع من الولادة، ومع تكرار ارضاعه ورعايته تتبلور مشاعر الأمومة بشكل جلي. أما مشاعر الأبوة تتبلور بعد ولادة الوليد والاهتمام به وبأمه وتحمله أعباء الرعاية الصحية والطبية للوليد ومشاركة الأم في الاهتمام بوليدها. زبدة القول وعلى الجملة، ينطوي مفهوم الأمومة على مشاعر متطورة فسيولوجياً مع جسم الأم تدفع ثمنها صحياً وجسدياً معبراً عن رباط دموي صرف نشأ في احشائها وترعرع في احضانها وشرب من حليب ثديها وتفاعل مع رعايتها النفسية والصحية والجسدية. انه مفهوم مشاعري وفسولوجي متطور لا يملكه مفهوم الأبوة المختلف في تكوينه عن مفهوم الأمومة. وهذا ما يجعل الانثى ترغب في ان تكون أم لطفل ينشأ في احشائها وإزاء ذلك فإنها تستجيب لرغبة زوجها في ان تحمل منه وأن يكون هو أباً لوليدها. فهي غريزة انثوية لا يمتلكها الرجل وهذا تميز فريد في نوعه تتباهى به المرأة أكثر من الرجل وتشعر بنقص في انوثتها عندما تكون عاقر وكذا الحال مع الرجل عندما يكون عقيم. فالأمومة إذن تشير الى الوجود والخلود البشري للأم والأب ولولا الأمومة والأبوة لما حصل وجود انثى في الأسرة ولا وجود للرجل فيها بل ولا يحصل خلود لها ولا لزوجها، أقول الأمومة هي المصدر الطبيعي لخلود الإنسان.

## 8 / خ - مناصرة الزعماء الوطنيين للمؤنثة ضد استرقاقها

إن أهمية الولوج الى هذا الموضوع يجعلنا أن نشير الى ان الحكومات عندما تقوم بتأسيس منظمة نسوية أو تنظيم أو اتحاد يضم النساء فإن تأسيسهم هذا لم يكن حياً فيهم أو منحهم حقوقهم المهذورة أو استغلال طاقتهم أو لمساواتهم مع الرجل،

بل هي واجهة حكومية لدعم حكمها وحاكمها من قبل شريحة من بعض النساء الانتهازيات والمتطفلات فنوياً والغير ماهرات مهنياً يستخدموهم كأبواق دعائية لحكم الحاكم وليس للدفاع عن حقوق المرأة أو مساواتها مع حقوق الرجل. انه تنظيم غير صادق في دعوته لمصالح المرأة. نجد مثل هذه المنظمات النسوية في الأنظمة الشمولية والدكتاتورية ولم نجدها في الأنظمة التي تتحكم فيها الأسرة الحاكمة أو القبيلة الحاكمة أو الطائفة الحاكمة فهي إذن بدعة مفبركة ليس إلا. أقول استغلال هذه الأنظمة للمرأة لتبويض وجه الحاكم وحكومته مقابل دفع بعض الدراهم لهنّ على حساب ظلم المرأة وعدم انصافها في الحقوق والواجبات ومنحها حقها في الأسرة وإزالة العنف الأسري والقانوني الممارس عليها.

وقد وجدنا (لينين) في الاتحاد السوفيتي السابق الذي منح العديد من حقوق المرأة باستثناء دخولها في القيادة الحزبية والمناصب السيادية. كذلك (سوهارتو) في اندونيسيا الذي شرّع العديد من الإيجابيات للمرأة الاندونيسية لكي يمنع ممارسة الحركات النسوية المتطرفة والواعية من ممارسة نشاطها ضد الحكومة والحالة مشابهة في الدول العربية مثل العراق الذي أسس رابطة الدفاع عن حقوق المرأة أبان (حكم عبد الكريم قاسم) والاتحاد النسائي أبان حكم البعث و(صدام حسين) وتنسحب الحالة على سوريا ومصر وتونس وغيرها من الدول العربية التي تعيين عملائها في تأسيس منظمة نسوية لدعم حكمها وحكامها فقط وتجميد وعي المرأة وتطلعاتها الحقوقية وليس للدفاع عن حقوقها وعدم ممارسة العنف ضدها أو منحها حقوقها في الزواج والأسرة والتعيين والأجور والعمل وما الى ذلك. لأن الحقوق تنتزع من الثقافة الاجتماعية الموروثة التي يستخدمها الحاكم لدعم حكمهم الأسري. فهل تساوت أصوات ومناصب النساء مع الرجال في المجالس الشعبية والبلدية والنقابية والبرلمانية والحزبية؟ وهل تم أخذ رأيها في اتخاذ القرارات الإصلاحية؟ كل ذلك لم يحصل لأن مكانتها ودورها لم تمارسه في كافة أنماط وانساق البناء الاجتماعي لأن الرجل لا يريد ذلك وليس من مصلحته ان تتحجم سلطته الرجولية والأسرية والثقافية وإذا حصل وان دخلت المرأة ميدانه (مثل ما حصل في التعليم والتمريض والخدمة الاجتماعية) فإنه كان بسبب تركه لهذه الميادين بمحض ارادته والذهاب الى ميادين تدفع أجور أعلى من التعليم والتمريض والخدمة الاجتماعية ليس حياً في المرأة أو انصافاً لحقها. لذلك هناك فجوات متعددة ومتنوعة بينهما مثل: الفجوة الأجرية والفجوة المهنية والفجوة الاحترافية والفجوة التعليمية والفجوة الاعتبارية والفجوة التعبيرية اللغوية (التي تفاضل الرجل على المرأة في التعبير الكتابي والشفوي) جميعها مازالت قائمة في جميع المجتمعات الإنسانية على الرغم

من أخذها عنوة وبإلحاح مستمر وبجدارة فائقة فحصلت على مناصب عليا في المجتمعات المتقدمة اعترف بها الرجال والنساء والاعلام والمنظمات الدولية والأمم المتحدة والسياسيات الدولية، ولم يكن استحلالها لما فازت به كان بسهولة ويسر أو بالواسطة أو عطفاً عليها من الرجل بل بمنافسة حادة وجادة ومثابرة ففازت على الرجل ونجحت بامتياز وأكدت على انوثتها ورقتها ونزاهتها وحيها لخدمة المصلحة العامة هي التي أوصلتها الى ما وصلت اليه في قيادة وريادة وحصافة ولوذعية دون غرور أو تعالي على الرجل الذي غمط حقوقها لقرون من الزمن أمثال: (انجيلا ميركل) في المانيا، و (تريزا ماي) في بريطانيا، و (ميليندا غيتس) في تكنولوجيا المعلومات، و (كرستين لاغارد) في باريس و (يوشيو هوا) في الصين، و (سيرينا وليامز) في أمريكا، و (جاسيندا ايردين) في نيوزلندا وسواهم.

**1 - الزعيم الصيني ماوتسي يونغ:** اعتبر الأسرة البطريقة ذات التسلط الذكوري صورة مصغرة للمجتمع الرأسمالي الظالم وعدّ المؤنثة اليد اليمنى في التنمية والبناء الأسري والاقتصادي والزراعي، وجعل مكانتها وعملها متساويات ومتكافئان لعملها داخل أسرتها فجعلها عنصراً منتجاً اقتصادياً في النظام الاشتراكي. بمعنى انه حررها من عبودية المجتمع ورفع من مكانتها الاقتصادية مؤكداً على ان الإصلاح المجتمع يجب ان يبدأ من المساواة بين الرجل والمرأة وعند تحقيق ذلك يأخذ الإصلاح مكانه في المجتمع.

وفي عام 1950م أصدر قوانين إصلاحية للأسرة الصينية أزال فيها الضوابط العرفية والوضعية التي ظلمت المرأة واستعبدت حريتها كإنسانة لكي يجعلها مثل الرجل الصيني في حقوق الجندر فمثلاً: -

- 1 - ألغى تدخل الأسرة في اختيار شريك الحياة للمرأة وللرجل.
- 2 - منح المرأة حق تطليق نفسها.
- 3 - عدم السماح للرجل بالزواج بأكثر من زوجة واحدة في وقت واحد.
- 4 - عدم السماح للرجل بالتسلط على المرأة.
- 5 - منع المعاشرة الجنسية دون وجود عقد زواج شرعي.
- 6 - عدم الزواج من قاصر.
- 7 - إلغاء مهر العروس.
- 8 - إلغاء القيود المفروضة على إعادة زواج الارملة.

ثم أصدر قانون عام 1980م أضاف العديد من إلغاء القيود المقيدة للمرأة في حقها بالعمل والدراسة والاشتراك بالأنشطة الاجتماعية كذلك منع ممارسة العنف ضد المرأة.

وفي عام 2001م أصدر (ماو) قانوناً اعتبر المضاجعة الجنسية غير المشروعة خارجه عن القانون ومنح تقسيم المُلْكِيَّة عند طلاق المرأة وخصص لها راتباً شهرياً للمطلقة.

## 2 - غاندي ونهرو في الهند

- 1 - منح (غاندي) اعتباراً وطنياً متألماً للمرأة في الحركات والجماعات السياسية المعارضة لكي تلعب دوراً حيويًا خارج المنزل.
- 2 - منح (نهرو) المرأة حقها في الإرث والطلاق والتصويت في الانتخابات.
- 3 - جعلت (اندريا غاندي) المرأة أم الهند رمزاً قومياً في التقاليد الهندية.
- 4 - عملت (اندريا غاندي) على مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل.
- 5 - منح (غاندي) المرأة مساواتها بالرجل في جميع الطوائف الهندية والمناطق والاقليم.

6 - منح (غاندي) المرأة اشتراكها في حركات المعارضة السياسية وقيادتها.

## 3 - سوهارتو في اندونيسيا من عام 1966 - لغاية 1989م

- 1 - وضع برنامجاً تنموياً في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسكاني لخدمة مصالح المرأة.
- 2 - طرح العديد من فرص العمل لها.
- 3 - تقديم خدمات طبية وصحية وتربوية لها.
- 4 - اعتبرها رمز الأم في عملها على تماسك افراد الأسرة والمحافظة على روابطها واعرافها التقليدية.

## 4 - لينين في الاتحاد السوفيتي السابق: منذ عام 1917م عمل (لينين) على: -

- 1 - ارقاء مكانة المرأة من خلال إلغاء كافة اشكال التمييز والتعصب ضدها التي كانت تمارسها القيصرية الروسية عليها.
- 2 - ضمان مساواتها بالكامل في فرص العمل والتعليم وحقوق الملكية والشؤون الأسرية وتنافسها مع الرجل في إدارة المؤسسات الحكومية مثل النقابات العمالية والمناصب السياسية.
- 3 - تشغيلها في سوق العمل وصل نصيبها الى أعلى نسبة في القوى العاملة أكثر من أية دولة صناعية في العالم.

4 - وصل دخل المرأة 3/2 من معدل دخل الرجل.

5 - ردم فجوة الأجور بينها وبين الرجل.

6 - الغاء التعصب والتحيز ضدها في العمل.

### 8 / د - مناصرة حركات نسوية إصلاحية للمؤنثة ضد استرقاقها

إزاء الجور والظلم الذي عانته وتعانيه المؤنثة في استرقاقها من قبل رجال الدين والسياسة والثقافة الاجتماعية والسلطة الذكورية تشكلت تنظيمات نسوية إصلاحية لتوعية المجتمع بما هو واقع من حيف وجحود وإذلال عليها في العمل وأجورها والأسرة والارث والزواج من عنف فظهرت جماعات نسوية تعارض هذه الممارسات الجحودة والجائرة عليها في كل من الهند واندونيسيا وهي ما يلي: -

**1 - حركة جلارنغ Glaring الإصلاحية الهندية:** التي ظهرت في القرن التاسع عشر: -

أ - هاجمت وانتقدت زواج القاصرات وغمط حقوق المرأة في الملكية.

ب - هاجمت حجب وعزل الأرملة عن الحياة الاجتماعية العامة.

ت - توعية المرأة في دورها كأم.

ث - حث المرأة على التعليم وإزالة أميتها.

ج - قللت من ضغوط حياة الأسرة عليها.

### 2 - منظمات نسوية معاصرة في الهند قامت: -

أ - بمعالجة ارتفاع معدل وفاة النساء في الهند.

ب - القضاء على أمية النساء.

ت - تطبيق التوعية الصحية والجمع بين العلاج الحديث والعلاج التقليدي.

ث - نشر التثقيف الطبي لمحاربة مرض الايدز.

### 3 - جماعة "قوة الزوجة" حركة نسوية إصلاحية في اندونيسيا: انها أكثر

الجماعات النسوية تأثيراً في العالم التي تضم زوجات ازواج الخدمة المدنية اللواتي يعملن خلف الستار أو خلف المشهد. تتمتع بقوة متنفذة بسبب عضويتها الإلزامية ولها شبكة واسعة من الاتصالات مما يجعلها ممارسة ضغوطها على قرارات الحكومة كجماعة ضاغطة وبالذات على المواضيع والشؤون الأسرية مثل تعدد الزوجات بالنسبة لموظفي الحكومة. أي عدم تعيين الرجل المتزوج من أكثر من زوجة واحدة في مؤسسة حكومية. تضم هذه الجماعة ستة ملايين زوجة لها تأثير على سياسة الحكومة في المجتمعات المحلية هدفها ما يلي: -

- أ - ارقاء مستوى المرأة الاندونيسية وبالذات الزوجة وتخليعها من أعباء الأسرة في تقنين الانجاب والرعاية الصحية لها.
- ب - منع ممارسة العنف ضدها.
- ت - منحها العضوية النقابية.
- ث - استلامها مواقع قيادية في المؤسسات الحكومية.
- ج - ممارسة ضغوطها على إدارة المعامل والمصانع لصالح المرأة.
- ح - مشاركتها في الإضرابات والاعتصامات الشعبية من أجل استحصال حقوقها.

## الفصل التاسع

### أطوار المونثة في الحضارات الغابرة (المعبودة التي أصحبت عبدة)

- استهلال
- 9 / أ - عصر المونثة الذهبي (عصر تقديسها عند الفراعنة وبلاد ما بين النهرين بابل وسومر)
- 9 / ب - عصر استعبادها (عند الحضارة اليونانية والرومانية والفارسية والصينية)
- 9 / ت - حكيمات عربيات عبر التاريخ



## الفصل التاسع

### أطوار المؤنثة في الحضارات الغابرة (المعبودة التي أصبحت عبدة)

#### استهلال

عند استعراضنا للحضارات القديمة، البابلية والسومرية والفينيقية والرومانية والفرعونية وجدنا طورها (حالتها أو نوعها أو صنفها أو كينونتها) يمثل الالهة المعبودة والأم الأولى المنجبة للحياة والفائقة الجمال والأكثر كمالاً من الرجل. هكذا كانت كينونتها عند هذه الحضارات العريقة والاصيلة فأسمينا طورها بـ (الطور الإلهي).

وعندما استعرضنا الحضارات اليونانية والرومانية والهندية والعرب في الجاهلية والفارسية واليهودية والصين القديمة وجدنا اعتبارها كسلعة خاضعة للتعامل في البيع والشراء وكائن منحط وشيطان رجيم يسوس بالبشر وخاضعة للرجل بشكل محتقر ومهين ومسلوبة الحقوق. فاسمينا حالتها أو نوعها أو كينونتها بـ (طور العبدة).

لذا يكون عنوان هذا الباب بـ (المؤنثة في طورها الإلهي المعبودة وطورها في العبودية) لأنه كانت معبودة من قبل رجال ست حضارات قديمة وعريقة في تاريخ الإنسانية بذات الوقت كانت عبدة مملوكة من قبل رجال في سبع ثقافات عريقة في تاريخ البشر باختصار شديد كانت المؤنثة معبودة تارة وعبده تارة أخرى من قبل الرجال!!!

ومن باب الاغناء والافاضة والتحديد ومن أجل استجلاء أكثر عما تقدم نثير الاستغراب إزاء هذين الطورين لمخلوقة واحدة لم يتغير جنسها ولم تتبدل جيناتها البيولوجية بل حتى أدوارها الاجتماعية في كافة الحضارات القديمة والحديثة (احدى عشر حضارة) وعند ملايين البشر المختلفين ثقافياً ودينياً وعرقياً وتطورياً من حيث كونها بنت وزوجة وأم منشئة لأطفالها. أربعة أدوار رئيسية، تارة تعتبرها حضارات الهة تعبدها وتعددها الأم الأولى المنجبة للحياة (مثل عشتار، أنا، عشاروت، افروديت، فينوس) لها الحق في الإرث والتملك والانتساب أطفالها لها لا لأبائها وقوامه على زوجها وتولى الحكم وان تكون ملكة. كان ذلك في حضارة الفراعنة والبابلية والسومرية والفينيقية واليونانية والرومانية، إلا انها لم تتغير في نوعها البيولوجي بقت هي هي لكن تم التعامل معها على انها: -

- 1 - من فصيلة الحيوانات (في الحضارة اليونانية الاغريقية).
- 2 - مبعث الشر (في الحضارة الرومانية) تدفن مع زوجها عند وفاته وهي على قيد الحياة.
- 3 - تغرق في الماء حتى الموت (في الحضارة البابلية) إذا خالفت أوامر زوجها.
- 4 - يتم تملكها للوريث الشرعي بعد وفاة زوجها (عند العرب في الجاهلية).
- 5 - تعزل كلياً عند أدوارها الطبيعية كالحيض والنفاس (في الحضارة الفارسية).
- 6 - تخدم زوجها وتباع ويتم التبرع بها (عند الديانة اليهودية).
- 7 - تحرق (عند الهندوس) بعد وفاة زوجها.
- 8 - تباع عند ولادتها في الصين القديمة.
- 9 - يتم وأدها في الجاهلية.

ومن نافلة القول ان نشير الى ان لو كانت هذه المواقف والتعامل تصدر من شخص واحد لقلنا بانها مواقف شخصية أو مصلحة ذاتية لكنها تصدر من ثقافة اجتماعية موروثه وشعوب وأمم مختلفة في مراحل تطورها ولها مدنيات وثقافات يُشهد بها تتعامل مع مخلوق يمثل نصف مجتمعها ويغذيها بالعناصر البشرية الجديدة، بل وحتى الديانات مثل اليهودية والهندوسية والمجوسية تحتاج الى عنصر بشري يغذي حجمها السكاني كانت تتعامل مع المؤنثة تعاملاً حيوانياً!!! لماذا هذا التقلب المتطرف تجاه نفس المخلوقة التي لم يتغير بنائها البيولوجي؟ إذ تارة تُعبد وتارة أخرى تُستبعد!!! وهي تقوم بأعمال خدمية للرجل (الأخ والأب والزوج والأبن) لماذا هذا الاحتقار الجمعي للإنساني؟ هل العلة عندها؟ إذن لماذا يقبل الرجل ان تخدمه مخلوقة معلولة؟ وناقصة؟ وما هو السبب في جعل ست حضارات عريقة تعبدها وتمنحها الحكم والارث واللقب العائلي؟ وهل هناك بديل لها في المجتمع؟ ولماذا يظهر هذا البديل عبر عدة قرون من الزمن؟ لماذا انصفتها حضارات عريقة وجحدتها وظلمتها حضارات أخرى؟ هل يصح ان تقع حضارات بخطأ ثقافي أو انساني؟ ولماذا كانت هناك حضارات تعبد نفس المخلوقة وتعددها الأم المنجبة؟ هل هناك سوء تقدير وفهم حضاري - ثقافي للمؤنثة؟ لماذا هذه الحيرة عندهم؟ ولماذا بقت المؤنثة تقوم بنفس الأدوار عبر قرون من الزمن (زوجة، أم ، مربية)؟ إذن هي الثابت في وظائفها الدورية والبيولوجية والأسرية ولولاها لما تأسست الأسرة ولم تكن هناك خلية اجتماعية ولم يحصل انتقال الثقافة الاجتماعية من الجيل السابق للجيل اللاحق عبر تنشئتها لأطفالها في تعليمهم لغة ودين وعادات وقيم أجدادها واسلافهم؟ لماذا حضارة الإنسان تظلم الشريك الدائم للرجل في بناء الأسرة

والمجتمع؟ إذا كانت هناك مؤثرات خارجية تفعل فعلها في هذا الشأن فهل يعقل ان تكون هذه المؤثرات مستمرة لعدة قرون من الزمن تعمل على احتقار المرأة وتهميش مكانتها وتحميل دورها احمالاً واثقالاً في التدبير المنزلي والانجاب والتنشئة؟ متى تتساوى وتتعدل حقوق وواجبات المؤنثة مع الذكر؟ لأن هذا التطرف بين اطوارها (العبدية والمعبودة) لا يمثل النضج الحضاري والثقافي والإنساني وعدم توازن العلاقات البشرية التي خلقها الله عزّ وجل بين الرجل والمرأة، لماذا ينكر المجتمع خدمات المؤنثة له ولخلائه الاجتماعية؟ ولماذا يبالغ في خدماتها ويعتبرها الالهة ويعبدها كما عبد عشتار؟

إذن هناك اعتلال في احقاق واختلال في الرؤية لها لهذا السبب نرى ان عصرنا الحالي تجري محاولات لأنصاف المؤنثة وعدم تبخيس مكانتها في الأسرة والمجتمع وانكار دورها الخدمي والمنتج فيهما أو جحود في ثقلها الأسري ووظائفها النسقية في البناء الاجتماعي.

أنا نناقش واقع المؤنثة ثقافياً وليس فردياً، حضارياً وليس شخصياً لأن هذا الواقع يشكل معضلة اجتماعية – حضارية علينا في علم الاجتماع تناولها كمعضلة ماكرويه عميقة وبعيدة المدى Macro - dilemma لا تهم المرأة فقط بل المجتمع والمصلحين والزعماء القادة السياسيين المهتمين في الشؤون الإنسانية والاجتماعية وتحرير عبودية المرأة من قبل الإرث المتكلس الموروث الذي لا يخدم المجتمع في عصر الاتصالات السريعة الفورية وثورة المعلومات.

بعد هذا التحديد لمفاهيم الموضوع والاستهلال ندلف الى مدار الحضارات الغابرة التي مثلت عصر المؤنثة الذهبي في تلك الحضارات القديمة وهي ما يلي:

## 9 / أ – عصر المؤنثة الذهبي

**(عصر تقديسها عند الفراعنة وبلاد ما بين النهرين بابل وسومر)**

لقد مرت المؤنثة بعصر ذهبي، كانت فيه مثلاً للتقديس والعبادة وذلك ما قبل التاريخ في المرحلة الطوطمية ثم المجتمعات الزراعية حيث قدسوها وجعلوها رب، آلهة ترمز الى الخصب والنماء والحب. [الخاقاني. 2013. ص. 126] ففي الحضارة الفرعونية: تبوأَت الحضارة الفرعونية المرتبة الأولى بين الحضارات الإنسانية من حيث معاملتها وتقديرها للمرأة فكانت المرأة الفرعونية لها الحق في الوراثة وكانت تملك وتتولى أمر أسرتها في غياب زوجها وكانوا يعتقدون ان المرأة أكثر كمالاً من الرجل وكان الزوج يكتب كل ما يملك من عقارات لزوجته. وكان الأطفال ينتسبون لأمهاتهم لا لأبائهم كما كانت القوامة للمرأة على زوجها لا للرجل على زوجته وعلى الزوج أن يتعهد في عقد الزواج ان يكون

مطيعاً لزوجته في جميع الأمور وكان من حق المرأة ايضاً في عهد الفراعنة هو ان تتولى الحكم وذلك أن لم يكن هناك حكام ذكور وعلى الرغم من هذا فلم تتولى حكم مصر إلا خمس ملكات وذلك مقابل اربعمائة وسبعين ملكاً وذلك يرجع الى شعور المرأة بأنوثتها. [ويكيبيديا. نظرة المجتمعات للمرأة في الحضارات المختلفة] ليس هذا فحسب فهناك الهة عشتار في بلاد ما بين النهرين (العراق حالياً) التي تمثل الحب والأمومة والخصوبة والتعاطف والحنان فكأنها كون في شخص ورمز وقناع يلخص أجمل ما في الوجود الكوني من تجليات النبل والعطاء والفتنة المقطرة وكانت هي الأم الكبرى والقائدة والرائدة وغارسة بذور النماء والمحبة ف (إنانا السومرية) وهي أولهن هي (عشتار البابلية وإيزيس المصرية وعشتروت الفينيقية وارتميس اليونانية وديانا الرومانية وحتى عرب الجاهلية كان عندهم عشتارتهن وهي الفري التي لا زمتهم بضعة قرون قبل أن تتركهم وتتحول الى كوكب الزهرة) وهناك قصة مثيرة في كتاب الاصنام لأبن الكلبي عن تحطيم خالد بن الوليد لتمثال عشتار العربية بوادي حراض. [اللاذقاني. 2012. ص. 24]

انها (عشتار) الهة الجنس والحب والجمال والتضحية في الحرب عند البابليين ويقابلها لدى السومريين (إنانا)، و (عشاروت) عند الفينيقيين و (أفروديت) عند اليونان، و (فينوس) عند الرومان. وهي نجمة الصباح والمساء (كوكب الزهرة) رمزها نجمة ذات ثماني أشعة منتصبه على ظهر أسد، على جبهتها الزهرة وبيدها باقة زهرة. وقد تعددت تصويراتها ورموزها وظهرت في معظم الأساطير القديمة وتغنى بحبها الشعراء وتفنن بتصويرها الفنانون بالرسم والنحت.

و (عشتار) من الهة الأنوثية لدى كل الديانات البدائية كانت ترمز ويشار اليها برموز مثل الشعلة الأبدية النجمة الخماسية والوردة والقمر. وهي الالهة الأم: ترمز بشكل عام الى الالهة الأم الأولى منجبة الحياة وكان أحد رموزها الأسد ومعبدتها الرئيسي كان في نينوى قرب مدينة الموصل. وكان السومريون يطلقون عليها عناة والغرب يسمونها عثتر والاغريق يسمونها افروديت.

عشتار عند السومريين: ابنة الاله سين إله الشمس واختها الالهة (ارشكيجال) الهة العالم السفلي عالم الموت وهي أعظم الالهات اسماهن منزلة وكان مركز عبادتها الأصلي مدينة اوروك (الوركاء) عاصمة بلاد سومر.

ويقال ان (عشتار) ذات جمال باهر لم يشهد له مثيل حاي (اوزيس) عشقها ولم يكن أهل الأرض بعيدين عن ذلك العشق. كانت (عشتار) تدور بين عالم البشر بحثاً عن الضحايا حتى وصلت الى ملوك البشر فكانت تأخذ كل ما يملكون وتعددهم

بالزواج حتى إذا ما أخذت أعز ما يملكون تركتهم وهم يبكون ليلاً ونهاراً.  
[ويكيبيديا، الموسوعة الحرة]  
وللمزيد من المعلومات عن المجتمع الأمومي نوضح المجتمع الأمومي وعشتار  
الأم الكبرى.

كان الاعتقاد سائداً حتى أواسط القرن التاسع عشر ان المجتمع الذكوري هو  
الذي كان سائداً حتى في المجتمعات القديمة، و قدّمه من قَدَم المجتمع الانساني، الا  
ان هذه الفرضية قد تهاوت امام النقد العلمي الذي وجه اليها من قبل عدد من رواد  
الانثروبولوجيا والعلوم الانسانية ، حيث قاموا بتقديم الادلة الكافية على وجود شكل  
اقدم من المجتمع الذكورية و هو المجتمع الامومي، الذي لا يقوم على قيم الذكورة  
وسلطة الاب بل على القيم الانثوية ومكانة الام، حيث ان التجمع الانساني الاول  
لم يؤسس بقيادة الرجل المحارب الصياد بل تبلور حول الام التي شددت من خلال  
عواطفها ورعايتها، الابناء حولها في اول وحدة انسانية متكاتفه وهي العائلة  
الامومية التي تُعد خلية المجتمع الامومي الاكبر، وان اهم ما يميز هذا المجتمع  
هو:

1 – أن الرجل سلم القيادة للمرأة لا لتفوقها الجسدي بل تقديراً لخصائصها الانسانية  
وقواها الروحية وقدراتها الخارقة وايقاع جسدها المتوافق مع ايقاع الطبيعة، فكانت  
الكاهنة الاولى والعرافة والساحرة الاولى، وهي المسؤولة عن حياة الاطفال وتأمين  
سبل العيش لهم، وكانت المسؤولة عن تحضير جلود الحيوانات وتحويلها الى  
ملابس ومفارش واغطية، وكانت النساجة الاولى والخياطة واول من صنع الاواني  
الفخارية، وبسبب قضائها وقت طويل في البحث عن الجذور والاعشاب الصالحة  
للأكل تعلمت خصائص الاعشاب السحرية في شفاء الامراض، فكانت الطبيبة  
الاولى، وكانت من يبني البيت ويصنع اثاثه ، وكانت تاجرة تقايض بمنتجاتها  
منتجات الاخرين، ومن وجود شعلة النار المقدسة في معابد الحضارات المتأخرة  
وقيام عذراوات المعبد بحراستها والابقاء عليها مشتعلة نستنتج بأن شعلة النار  
الاولى قد اوقدتها المرأة وكانت اول حارس عليها و حافظ لأسرارها، حتى توجت  
المرأة دورها الاقتصادي في هذا المجتمع باكتشاف الزراعة ونقل الانسان من  
مجتمع الصيد الى مجتمع الانتاج الغذائي، بينما حافظ الرجل طيلة هذه المرحلة  
على دوره التقليدي في الصيد والتنقل بحثاً عن الطرائد الكبيرة.

2 – رجال المجتمع الامومي كانوا أكثر عزة وأنفة وفروسية من رجال المجتمع الذكوري (الابوي)، حيث انهم قد اعطوا المرأة مكانتها احتراماً وتقديراً لا خضوعاً ولا خوفاً.

3 – بتتبع اشكال العائلة الامومية ونمط العلاقة الجنسية بين المرأة والرجل، نستنتج ان العلاقات الجنسية كانت حرة تماماً دون ضابط او قانون، حيث كل امرأة لكل رجل وكل رجل لكل امرأة.

4 – في هذا المجتمع لا يمكن معرفة والد الطفل لأن الاطفال كانوا ينسبون الى امهاتهم، ويعرف كل طفل بأمه لا بأبيه، وهذا ما أطلق عليه (حق الام)، والاولاد لهم الحق في الميراث والتركة من امهم لا من أبيهم، لأن الاب يعتبر غريب، وميراث الاب وتركته تذهب لأخوته.

5 – كانت للمرأة الحق بالانفصال عن زوجها متى شاءت، ويعود الاولاد اليها لا الى الزوج الذي يخرج من البيت صفر اليدين.

في بابل مثلاً لم يستطيع الرجل وحتى فترات متأخرة جدا من تاريخ المجتمع الذكوري هنا، ان يضع تحت وصايته حياة المرأة الجنسية قبل الزواج، فكانت بكارة المرأة ملكاً للالهة عشتار، لا لزوجها المقبل، وكانت تهب عذريتها في المعبد حيث تمارس الجنس المقدس تحت رعاية الالهة قبل ان تلتزم حياة الزوجية. وكذلك كان المجتمع الامومي كان واضحاً عند المصريين القدماء وكذلك لباقي الحضارات الشرقية، حتى اننا نلاحظ بقايا المجتمع الامومي واضحة لليوم.

<https://www.facebook.com> بوابة بابل الالهة

نذهب الان الى المرأة بين العصر الأمومي والعصر الأبوي، في المجتمع الأمومي، كما يقول الكاتب (فراس السواح) ينتسب الأولاد إلى أمهم وعشيرتهم لا إلى أبيهم الذي كان ينظر إليه دوماً كأنه غريب. وبناء على (حق الأم) لم يكن الأولاد يرثون إلا ثروة أمهاتهم. ويتضمن المبدأ الأمومي في هذا المجتمع حياة المشاع والعدالة والمساواة، وهو يوحد الناس مع الطبيعة ويجعلهم يخضعون لقوانينها. أما المجتمع الأبوي الذي يستلم قيادته الرجل، فهو يعتمد على التملك والتسلط والتمييز، كما أنه خروج عن مسار الطبيعة وخضوع لقوانين مصطنعة: (فالمبدأ الأمومي يجمع ويوحد، والمبدأ الأبوي يفرق ويضع الحواجز والحدود).

في المجتمع الأمومي، أسلمت الجماعات قيادتها للأمهات وذلك نظراً لخصائصها الإنسانية الهامة وقدراتها الخلاقة. ولقد تعززت مكانة المرأة بسبب دورها الاقتصادي الهام، فهي المنتج الأول في الجماعة، لأنها هي المسؤولة الأولى عن حياة أطفالها لتأمين سبل عيشهم، فكانت أول مَنْ زرع وأنتج الغذاء ونسج

وصنع الأواني الفخارية والمفارش والأغطية، وأول مَنْ عرف خصائص الأعشاب الطبية في شفاء الأمراض؛ أما الرجل، فقد حافظ على دوره التقليدي في الصيد واللحاق بالطرائد.

ولقد أسست المرأة في المجتمع الأمومي لروح العدالة والمساواة بين الجماعة، إذ إنها بثت المحبة والعاطفة المتساوية بين كل أطفالها وكل جماعتها الذين هم أخوة في أسرة كبيرة. كما بثت روح السلام والمسالمة لأنها كرهت العنف الجسدي وابتعدت عنه، مما أشاع السلام بين جماعات المجتمع الأمومي، أما حين حلّ المجتمع الأبوي الذكوري، الذي مازلنا نعيش فيه حتى اليوم فقد ضاع السلام وخسرنا فردوسنا الجميل. وهناك مَثَلٌ شعبي نستشهد به إلى يومنا هذا، فنقول: (الأم بِنْتِمْ) أي أنها تجمع أطفالها دائماً من حولها وتلمّ شمل العائلة.

تعاني المرأة حالياً من أشكال كثيرة من التمييز ضدها تبدأ بطريقة اللباس وتنتهي بأدق التفاصيل المتعلقة بحياتها الشخصية وحريتها في التعبير. وهنا سوف أورد بعض الحالات على سبيل المثال لا الحصر. فلنبدأ بالأسرة وكيفية التعامل مع الإنجاب:

كل أسرة ترغب في أن يكون لديها صبي، فهو الذي سيحمل اسم العائلة وهو الذي سيخُذ اسم أبيه أو جدّه عندما يكبر ويتزوج وينجب أطفالاً. وحتى اليوم هناك رجال يتزوجون على نسائهم في حال لم تنجب زوجاتهم لهم أو في حال أنجبت البنات فقط. ومن لم يطلق زوجته أو لم يتزوج عليها من أخرى من أجل إنجاب الصبي، فيحاول معها تكرار الإنجاب إلى أن يأتي الصبي أخيراً، وقد لا يأتي فيزداد عدد أفراد الأسرة بشكل كبير، وهو أمر غير مستحبّ في الزمن الحالي الذي يعاني منه معظم الناس من صعوبات اقتصادية واجتماعية كبيرة، إضافة إلى أثره الكبير على زيادة عدد السكان والانفجار السكاني الحاصل في العالم الثالث، والذي يصاحبه نقص هائل في الموارد الطبيعية والغذائية لسدّ حاجات الأعداد الهائلة المتزايدة للسكان ولا حاجة بي هنا إلى أن أذكر النسب والإحصائيات في ازدياد عدد السكان وخاصة في وطننا العربي وفي العالم الثالث.

لو كانت الفتاة تستطيع حمل اسم عائلتها الأولى ونقلها إلى أطفالها، وبالتالي تخليد اسم الأب أو الجدّ في أسرتها، هل كانت الحاجة ملحة إلى صبي في هذه العائلة؟! لا تستغربوا، فهناك نموذج واضح في البلاد الأوروبية، مثلاً إسبانيا: الفتاة في هذا البلد الأوروبي، كالشاب تماماً، كنيته تتألف من كنية والدها ووالدتها على السواء، وحين تتزوج يضاف إلى هاتين الكنيتين كنية الزوج، وعليها أن تختار كنية واحدة

إضافة إلى كنية زوجها: إما كنية أبيها أو كنية أمها، وتستطيع أن تحملها لأطفالها حين تنجب...

وهكذا، صحيح أنها حين تتزوج تضطر للاختيار بين كنية أبيها وأمها التي ستضاف إلى كنية الزوج، ولكن إذا طبّقنا هذه الممارسة عندنا هنا في الشرق، فإن الفتاة تستطيع مثلاً اختيار كنية الأب، طالما أن نظامنا أبوي، ليحملها أطفالها إضافة إلى كنية زوجها، في حال كانت أسرتها الأولى خالية من الأشقاء الذكور... وبهذا يمكن للأب أن يطمئن بأن كنية عائلته ستستمر ويكتفي بإنجاب الفتيات إن حصل ذلك، ولم تنجب زوجته له الذكور وهكذا لا يُضطر الأهل إلى إنجاب العديد من الأطفال البنات وعدم التوقف عن الإنجاب إلاّ عندما يأتي الطفل الذكر، وبهذا نساهم في تحديد النسل وعدم زيادة نسبة السكان، وهي عالية كما قلت سابقاً في عالمنا الثالث. من الأمثلة الأخرى التي توضح التمييز ضد المرأة، هو أن الكثير من المناطق الريفية في سورية والتي مازالت تتحكم بها الروح العشائرية، في شمال شرق سورية ووسطها وفي جنوبها أيضاً، تتم في حالات كثيرة مخالفة الشرع الإسلامي بعدم إعطاء الفتاة إرثها الشرعي من والدها أو من والدتها، وذلك لأنها إن تزوجت، فستتزوج من (الغريب) الذي ستُنجب منه أطفالاً (غرباء) عن العشيرة وعن العائلة وبالتالي سيؤول إرث أبيها إلى هؤلاء الأطفال (الغرباء). أما إن لم تتزوج، فيكفيها أن تبقى في بيت أبيها وكنفه، ثم في كنف أخوتها الذكور وعائلاتهم لتأكل وتشرب وتنام و"تخدم" أيضاً أولاد إخوتها، ولا حاجة بها لأن تستقلّ اقتصادياً أو أن يكون لها إرثها من أبيها لتتصرف به!!

وهذا، ليس فقط مخالفة للشرع الإسلامي الصريح المطبق في بلادنا العربية، إنما هو إذلال للمرأة وعدم اعتبار لكيانها الإنساني، ونحن نعلم أهمية الاستقلال الاقتصادي للمرأة في أيامنا هذه، خاصة وأن الإسلام قد أعطى المرأة الذمة المالية المنفصلة عن زوجها، وكان بهذا قد كرّمها.

والغريب في الأمر، أنه يتم الحديث كثيراً في الفضائيات والبرامج الدينية عن أمور كالطهارة واللباس الإسلامي وكيفية أداء العبادات حتى لا تقع المرأة والرجل في مغبة مخالفة الشريعة الإسلامية، ونادراً ما يأتي أحد من المختصين على ذكر مثل هذه الممارسات المخالفة قطعاً وبشكل صريح وواضح للشريعة الإسلامية!!! علماً بأن عدة مفسرين معاصرين قد فسّروا الآية الكريمة "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ" (النساء - 11) ضمن سياقها، بأن توريث الأنثى النصف يمثل الحد الأدنى الذي يمكن تحريكه إلى أقصاه وهو حد التساوي.



ولو أن تطبيق الشريعة الإسلامية يتم في هذه الأمور الواضحة والصريحة والتي تحافظ على كيان المرأة وكرامتها، لأمكن إلغاء مثل هذه الممارسات التمييزية ضدها، والمتمثلة ببيت الشعر التالي، والذي يردده الكثيرون استشهاداً وتفاخراً: بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبعد.

مثال آخر، ومرة أخرى على سبيل المثال لا الحصر، هو مشكلة الجنسية. فالمرأة في سورية، على الأقل، لا تستطيع أن تعطي جنسيتها لأبنائها، وهذا أمر يعتبر تمييزاً فاضحاً ضد المرأة.

فالمرأة الفرنسية مثلاً، والأوروبية والأمريكية بشكل عام تعطي جنسيتها لزوجها وأبنائها، وهذا أمر طبيعي في بلاد العالم الواسع.

أما نحن، فالأم التي تلمّ شمل العائلة، ولولاها لما كانت هناك عائلة، لا تستطيع أن تعطي جنسيتها لأبنائها ولا لزوجها. فلماذا هذا التمييز الذي يصل إلى حدّ الاضطهاد؟! كما أنه في بعض البلدان العربية ما زال الجدل الحاد قائماً حول السماح للمرأة بالانتخاب والترشح، وقد أثير مجدداً، وللأسف، تحت الضغط الأجنبي تطبيقاً لما يسمى "بتمكين المرأة".

أما بالنسبة لعمل المرأة، فعمل المرأة في هذه الأيام لم يعد كمالياً، إنه ضرورة اقتصادية وثقافية واجتماعية. وتحمل المرأة عبء العمل داخل البيت وخارجه، دون عون لها في الغالب داخل البيت، بحجة أن هذا هو مجالها الذي تمرّست فيه، علماً أن معظم شباب اليوم لن يستطيعوا تحمّل أعباء الأسرة وحدهم، وأن عمل المرأة ضروري للقيام بهذه الأعباء، أفلا يحق لها إذاً أن يساعدها الرجل في تحمّل أعباء العمل المنزلي، كما تساعده هي في تحمّل أعباء العمل خارج المنزل من أجل الأسرة؟!

إلا أن الناس، على ما يبدو، ما زالوا ينظرون إلى عمل المرأة وكأنه غير ضروري، كما أن بعضهم يدّعي بأن المرأة إن عادت إلى منزلها، لخلّت مشكلة البطالة في البلاد. طبعاً هذا تفكير خاطئ، ويتضح فيه التمييز ضد المرأة، لأن أسباب البطالة متعددة جداً.

هنا أذكر مثلاً حصل معنا عندما كنا نعمل في إحدى المؤسسات الحكومية الثقافية في دمشق، ومن المفروض أن تكون مؤسسة رائدة في مجال الثقافة والفكر. ففي نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من القرن الماضي تسلّم شخص كهل إدارة أكبر المديرية في هذه المؤسسة التي يغلب عليها عنصر النساء في عدد العاملين. وكان هو بالذات يضطهد أي فتاة تعمل، خاصة إذا رآها لسبب ما، صحي أو جسدي، قد توقفت للحظات عن العمل للاستراحة قليلاً، فكان يباردها بنخصم 5%

من راتبها لأشهر عديدة... وهذه طبعاً معاملة غير إنسانية، لا سيما وأن الرعيل الأول في هذه المؤسسة الثقافية قد بذل جهوداً جبّارة في تأسيسها.

وفي إحدى المرات، احتجّت إحدى الموظفات النشيطات على الخصم من الراتب الذي لحق بها، لمجرد أنه رآها جالسة بسبب وعكة صحية مفاجئة ألمت بها، فبادرته قائلة: "أستاذ، نحن مثل بناتك، فلماذا تقسو علينا هكذا؟ هل تعامل بناتك هكذا؟!" فأجابها على الفور ودون تفكير: "أنا لا أسمح لبناتي بالعمل خارج البيت مطلقاً!!!" وهنا استنتجنا بأنه يضطهد النساء فقط لأنهنّ تخرجن إلى العمل. تُرى، كم مديراً ورئيس قسم مازالوا على رأس عملهم في الدوائر والمؤسسات الثقافية والرسمية في بلادنا ويحملون مثل هذا التفكير المريض؟

وفي موضوع الزواج واختيار شريك الحياة، فإن المرأة في بلادنا ما زالت حتى الآن تقع، بشكل عام، تحت ضغط الأب أو الأخ في الزواج، دون أن يترك لها حق اختيار شريك حياتها. وإذا حدث واختارت زوجاً من خارج طائفتها أو بيئتها الاجتماعية، فقد يكون مصيرها النبذ أو الموت في كثير من الأحيان.

وفي الإسلام، أعطى الشرع الإسلامي المرأة الحق في أن تكون العصمة في يدها حتى الطلقة الثالثة، إلا أنه من النادر أن تستخدم المرأة هذا الحق مهما علا شأنها الاجتماعي والاقتصادي، فلا يليق "بالرجل" أن تحمل زوجته العصمة في يدها.

مع أن الإسلام قد فرض في عقد الزواج مبدأ (العقد شريعة المتعاقدين)؛ ويرد في كتاب الدكتور نصر حامد أبو زيد (دوائر الخوف) نموذج عن وثيقة زواج من القرن الرابع الهجري أي من القرن الحادي عشر الميلادي بالأندلس، وفيها، قطع الزوج وعداً ألا يتزوج على زوجته ثانية وأن يكون مسؤولاً عن نفقتها وكسوتها وهناك شروط لمسكنها ومكانه؛ وفيما لو تغيرت كل هذه الشروط يوماً ما، أو فيما لو لم يحترمها الزوج، فيصبح أمر الزوجة بيدها وتستطيع تطليق نفسها مباشرة. وفي بعض الحالات في الحياة الزوجية، قد يتنكر الزوج لنضال زوجته كتقاً بكتف في تحمّل أعباء الأسرة، فيهملها ويهمل آراءها أو يتزوج بأخرى بحجة أنها لم تعد تواكب متطلبات حياته المادية الجديدة مثلاً.

أخيراً، سأورد مثلاً نجده في حياتنا اليومية في الإعلانات الطرقية والمتلفزة وفي "الفيديو كليب"... فالمرأة تبدو سلعة لتسويق المنتجات وهذه الأغاني "العجيبة"، التي لا طعم لها ولا لون ولا نكهة. في هذه الأغاني مثلاً، نجد عشرات النساء يرقصن بثياب "عجيبة" لا تمتّ إلينا بصلة ومغنياً يصدح بكلمات تافهة لا معنى لها. ويبدو أن مخرجي "الفيديو كليب" يعرفون أن بضاعتهم ستكسد إذا لم يطعموها بهؤلاء النسوة اللاتي يرقصن ويلبسن ثياباً "عجيبة" كما قلت، فتغدو المرأة سلعة

لتسويق هذا المنتج كائناً ما يكون. وأنا أرى أن في هذا اضطهاداً ومذلة للمرأة التي ما زالت بالنسبة للكثيرين رمزاً سامياً في الحياة.

وأعود هنا إلى كتاب الأستاذ الباحث فراس السواح "الغز عشتار" الذي يعلمنا بأن كل الديانات بدأت عشتارية، وبذلك لعبت المرأة دور المعلم الأول في تاريخ الحضارة الإنسانية. ولا بد لرقى أي مجتمع من أن يعطي المرأة حقها ودورها السامي ويلغي التمييز ضدها.

لقد ورثنا المجتمع الذكوري من الديانة اليهودية التي اعتبرت المرأة وبالأعلى على الرجل وفي بعض الأحيان حقرت من شأنها الإنساني، كما ورثناه أيضاً من الديانة المسيحية التي تطالب بخضوع المرأة للرجل لأنه رأس المرأة. أما في الدين الإسلامي، الذي كان ثورة اجتماعية عظيمة، فقد خاطب القرآن الرجل والمرأة بخطاب متساوٍ في الإنسانية: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً." (الروم/ 21). "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا. صدق الله العظيم." (الأعراف/ 189).

وحين ذكر القرآن الكريم القوامه فإنه ذكرها ضمن سياق غالباً ما يُهمل ولا يُذكر: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ... (إلى آخر الآية) صدق الله العظيم" (النساء/ 34). لكن الإسلام وللأسف لم يستطع منع عادات جاهلية تسللت إلى المجتمع الإسلامي وما زالت متأصلة في مجتمعاتنا العربية. صحيح أن وأد البنات هي عادة منبوذة، إلا أن وأد المرأة ما زال مستمراً في قهرها الاجتماعي والاقتصادي والفكري والروحي... إنه "وأد" من نوع آخر.

إذاً، ما هو الحل للخروج من هذه الحال؟!!

الحل هو القانون الوضعي العادل الذي يعتبر المرأة إنساناً والرجل إنساناً وهما يخضعان لحقوق وواجبات متساوية في جو حر من العدالة والديمقراطية والعلمانية التي تعتبر المرأة شريكاً للرجل في الأسرة.

إنه قانون يعترف بالآخر ولا ينفية بغض النظر عن دين الآخر أو جنسه أو لونه. إنه قانون يحفظ كرامة الإنسان في مجتمع صحيح متماسك وحرّ.

إذ لا يجوز أن تعامل المرأة بهذا التمييز المهين لكرامة الإنسان... علماً بأن الأمثلة التي ذكرتها ما هي إلا غيض من فيض، وما علينا إلا التأمل وبإمعان من حولنا!!! قد تكون هذه الأفكار المطروحة هنا مخالفة أو غير ملائمة لأفكار أخرى عند بعض الناس أو كلهم... لا بأس، إذ إن "الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية"، وجمال

الربيع في تنوع ألوان أزهاره... فما أقبح أن يكون الزهر كله بلون واحد، وما أجمل تعدد ألوان الزهور وتنوعها!! [http://www.rimalattrache.com]

إن النظام الأبوي - البطريركي هو بنية اجتماعية وسيكولوجية متميزة ومتجذرة في الذاكرة الجمعية تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع في العالم العربي، وتكون علاقة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللاعقلاني التي تتعارض مع قيم الحداثة والمجتمع المدني واحترام حقوق الإنسان نتجت عن شروط وظروف تاريخية واجتماعية واقتصادية وعبر سلسلة من المراحل التاريخية والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية المترابطة فيما بينها، حيث ترتبط كل مرحلة منها بمرحلة تسبقها حتى تصل إلى مرحلة النظام البطريركي الحديث الذي هو نمط معين من التنظيم الاجتماعي والاقتصادي السابق على الرأسمالية الذي يختلف في بناء الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن بنية النظام العربي البطريركي الذي اتخذ نوعاً متميزاً باعتباره مجتمعا تقليديا يقابل المجتمع الحديث الذي يتصف بالتقدم العلمي والتقني الذي من خصائصه قابليته على مقاومة التغيير لبنيته الأصلية منذ العصر الوسيط حتى الآن وقابليته على الاستمرار للحفاظ على قيمه التقليدية كالانتماء إلى القبيلة والطائفة والمنطقة وارتباطه بالبيئة الصحراوية التي أفرزت نظاماً أبوياً بطريركياً ذكورياً سيطر على المنطقة العربية قروناً عديدة وما يزال. وإذا كانت أغلب المجتمعات السائدة في العالم اليوم، ديمقراطية كانت أم اشتراكية أم رأسمالية أو غيرها، هي مجتمعات أبوية بطريركية، فإن المجتمع العربي هو أكثر أبوية من غيره من المجتمعات، لأنه مجتمع تقليدي ماضوي راكد ويفتقد إلى القوة الداخلية التي تحركه.

وعلى الصعيد الاجتماعي يهيمن النظام الأبوي على العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التي تغلب عليها الانتماءات القبلية والطائفية والمحلية، لأن المجتمع الأبوي هو نوع من المجتمعات التقليدية التي تسودها أنماط من القيم والسلوك وأشكال متميزة من التنظيم. وهو يشكل لذلك، كما قلنا، بنية نوعية متميزة تتخذ أشكالاً مختلفة من بينها بنية المجتمع الأبوي العربي، الذي هو أكثر ذكورية من غيره من المجتمعات وأشد تقليدية وأكثر محاصرة لشخصية الفرد وثقافته وترسيخاً لقيمه وأعرافه الاجتماعية التقليدية وتهميشاً للمرأة واستلاباً لشخصيتها، لأنه ذو طابع نوعي وخصوصية وامتداد تاريخي يرتبط بالبيئة الرعوية الصحراوية والقيم والعصبية القبلية التغالبية. فمن المعروف أن العالم العربي هو أعظم موطن للبداءة مثلما هو أكثر مناطق العالم تأثراً ومعاناة في الصراع بين قيم

البداءة وقيم الحضارة، كما أشار إلى ذلك (علي الوردي) في كتابه (طبيعة المجتمع العراقي)، ذلك الصراع الذي ما يزال يؤثر في بنية الثقافة والشخصية العربية.

### النظام الأمومي

يمثل النظام الأمومي مرحلة سحيقة في الزمن سادت فيها سلطة المرأة – الأم في المجتمع واحتكرت القيادة الاقتصادية والسياسية وكذلك السلطة الدينية. وهو ما يقابل النظام الأبوي الذي حلّ محلّ سلطة الأمّ فيما بعد.

وبالرغم من أن المرأة من الناحية الفسيولوجية هي أضعف من الرجل إلا أنها كانت قد احتلت مكانة اجتماعية عالية في العائلة والمجتمع والسلطة وأن تتبوأ مكانة روحية عالية في مرحلة تاريخية قديمة سادت فيها علاقات جنسية متحررة تم فيها الانتساب إلى خط الأم، أي انتساب الأولاد إلى أمهاتهم وذلك لعدم إمكانية معرفة الأب الحقيقي للأولاد. وقد أطلق الأنثروبولوجيون على هذا النظام مصطلح النظام الأمومي (Matriarchal)، أي سلطة المرأة في المجتمع.

وكان الأطفال في تلك المرحلة ينتسبون إلى أمهاتهم وليس إلى آبائهم، لأنه لم يكن بالمستطاع حينذاك تحديد الأب لعدم وجود نظام قرابي يحدد العلاقات الجنسية، ولهذا أيضاً تمتعت النساء، بوصفهن الوالدات الوحيدات المعروفات بكل ثقة وتأكيد للأطفال، بقدر كبير من الاحترام واكتسبت المرأة بذلك مكانة اجتماعية ودينية عالية.

اكتسبت المرأة مكانتها الاجتماعية والدينية العالية في بدايات استقرار الإنسان واستمدت مكانتها العالية من الطبيعة، لأن المرأة هي أول من استقرّ في الأرض واكتشفت الزراعة ودجنت الحيوانات، ولأن مبدأ الخصوبة في الأرض هو نفسه مبدأ الخصوبة عند المرأة. وهكذا تطورت سلطة المرأة في المجتمع التي هي في الحقيقة حق طبيعي لها. وبسبب اكتساب المرأة أهمية روحية، نتج الدين، واجب العطاء عند الولادة. ولذلك قدس الإنسان الأرض مثلما قدس الأنثى، فالأنثى هي صورة وخليفة للأم الأصل – الأرض. فلم تقلد الأرض الأنثى، بل قلدت الأنثى الأرض وأصبحت مقدسة مثلها وأصبح الاحترام الديني والتقديس لها الأساس في سلطتها وارتفاع مكانتها الدينية والاجتماعية وسياستها للدولة وإدارتها للطقوس الدينية.

والأنثى هي الأصل، لأنها تتقدم على الرجل بعطائها ولأن الرجل هو نتيجة ذلك العطاء. فالأبن هو زوج المستقبل الذي يخصّب بدوره المرأة ويصبح أباً. كما أن

التنظيم القرابي يجد مكانه في أحضان المرأة وعنه تطورت جميع التنظيمات الاجتماعية الأخرى. وبهذا يصبح حق الأم هو حق طبيعي لها.

### التحول إلى سلطة الرجل

إن سلطة المرأة لم تدم طويلا بعد أن سيطرت حق الدولة على حقها الطبيعي وذلك بعد تطور دولة المدينة الذي أوجد أول تنظيم اجتماعي جديد للحياة الجنسية والذي أخذ شكل منظومة الزواج وتطور فيما بعد إلى شكل الزواج الأحادي وارتبط بنظام ديني كان قد حدد العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء وتطور مرحلة أخرى هي مرحلة سلطة الرجل والانتساب في خط الأب بدل الانتساب في خط الأم وتحول العلاقات الجنسية التي تنظم الزراعة والزوج والقرابة. وفي هذه المرحلة تم انتقال النظام الديني من عبادة القمر إلى عبادة الشمس.

كانت بدايات تنظيم العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة هي بدايات قيام الدولة التي أعطت السلطة بيد الرجل وأجبرت المرأة على أن تفقد حقها الطبيعي بالتدريج عن طريق اكتشاف المعادن وتطور نظام الملكية وانتشار الزراعة المنظمة ونشوء المدن وبدأت على أنقاض ذلك النظام بدايات مرحلة حضارية جديدة في تاريخ تطور المجتمعات البشرية هي مرحلة «سلطة الأب»، وبذلك فقدت المرأة الأم عصرها الذهبي التي ارتفعت فيها مكانتها الاجتماعية والدينية من خلال سحر الأمومة ووظيفتها البيولوجية.

إن مرحلة حق الأب هي مرحلة (الحق الميتافيزيقي) كما يطلق عليها (باخوفن) والتي تمثلت في انحسار حق الأم، وهو الحق الطبيعي لها، الذي ظهر مع سيادة النظام الأبوي – البطريركي في أعلى أشكاله في الدولة الرومانية وقبلها في الدولة البابلية والذي مازال قائما حتى اليوم في اغلب المجتمعات في العالم.

### جذور النظام الأبوي العربي

تمتد جذور النظام الأبوي العربي إلى مرحلة ما قبل الإسلام حيث سيطر نظام (المشيخة) على المجتمع العربي الذي هو نتاج علاقات اجتماعية – اقتصادية خاصة بنمط الإنتاج الرعوي في الصحراء العربية القائم على العصبية القبلية التي تستند على نظام القرابة وصلة الدم وحيث يتماهى الفرد مع القبيلة التي تبادله الولاء وتحميه باعتبارها مسؤولة على صعيد اجتماعي وسياسي عن كل فرد من أفراد القبيلة، وهو ما يؤدي إلى تعزيز النظام القبلي القائم على العصبية القبلية الذي يجعل من العائلة حجر الزاوية في البنية الاجتماعية التي تتوسع دائرتها لتشمل العشيرة فالقبيلة باعتبارها عائلة موسعة تبسط سيطرتها على الجميع وتعزز كيانها

بسيطرة مزدوجة: سيطرة الأب على العائلة والرجل على المرأة والشيخ على القبيلة ويصبح الخطاب المهيمن هو خطاب الأب وأمره وقراراته.

بالرغم من أن الإسلام حاول تغيير البنية القبلية وجاء بمفهوم (الأمة) بديلا لمفهوم العصبية القبلية، إلا أن النظام القبلي بقي مهيمنا على المجتمع والدولة حيث استمرت القيم والتقاليد.

تمتد جذور النظام الأبوي العربي إلى النظام القبلي الذي يقوم على صلة الدم والقربى والعصبية القبلية، وتكون من شروط تاريخية وجغرافية وثقافية وذلك عن طريق سيطرة الثقافة البدوية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عن طريق نظام القبيلة (المشيخة) الذي كان بديلا للدولة وإدارتها كتنظيم اجتماعي يقوم على القيم والعصبية والعلاقات العشائرية التغالبية.

وبالرغم من أن الإسلام حاول تغيير البنية القبلية وجاء بمفهوم (الأمة) بديلا لمفهوم العصبية القبلية، إلا أن النظام القبلي بقي مهيمنا على المجتمع والدولة حيث استمرت القيم والتقاليد في تأثيرها على العلاقات الاجتماعية. كما استمرت الصحراء العربية برفد القرى والأرياف بموجات بدوية مستمرة خضع لها سكان الأرياف والمدن وتأثروا بقيمتها وأعرافها وعصبيةاتها وذلك بسبب ضعف الدولة المركزية، بعد سقوط الدولة العربية الإسلامية وعاصمتها بغداد على يد هولاكو عام 1258 مما سبب هيمنة النظام القبلي والمحلي على المجتمع وبصورة خاصة على بنية العائلة الممتدة في علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية واستمرت حتى العصر الحديث بشكل أو بآخر، بالرغم من دخول كثير من عناصر التحديث إليه، لأن الدولة الحديثة ما زالت لم تكتمل وتنضج، وكذلك مفهوم الوطن والمواطنة والهوية، التي ما زالت مفاهيم هلامية أولا، ولأن تركيب بنية العائلة العربية في شكلها الأولي لا يختلف كثيرا عن تركيب بنية القبيلة العربية لعصر ما قبل الإسلام إلا في بعض مظاهرها الخارجية التي تأثرت بالتحديث، وليس في سلوكها ومضامينها وقيمتها وذهنيتها ثانيا. كما أن النظام الأبوي هو بنية سيكولوجية ناتجة عن شروط تاريخية وحضارية نوعية تكوّنت من مجموعة من القيم والأعراف وأنماط من السلوك التي ترتبط بنظام اقتصادي تقليدي له خصوصية وبواقع اجتماعي حي، وليس مجرد خاصية من خواص نمط إنتاج معين بالعالم العربي.

#### العصبية القبلية

ومن أهم خصائص النظام الأبوي العربي التقليدي إنه يقوم على العصبية القبلية وتماهي الفرد مع القبيلة التي تبادله الولاء بوصفها مسؤولة عن حمايته على الصعيد الاجتماعي والسياسي وهو ما يؤدي إلى تعزيز النظام القبلي القائم على العصبية،

الذي يجعل من العائلة حجر الزاوية في البنية الاجتماعية كما تفترض أن بنية القبيلة هي (كلّ) لا يمكن تجزئته باعتبارها عائلة موسعة أو عشيرة أو مجموعة من العشائر التي تكون القبيلة، التي تعزز كيانها بسيطرة مزدوجة: سيطرة الأب على العائلة وسيطرة الرجل على المرأة والولد على البنت، بحيث يبقى الخطاب المهيمن هو خطاب الأب الذكر وأوامره وقراراته.

وقد اتخذت (الأبوة) صفتها من صلة القربى والدم وضرورة احترام الابن لأبيه والقيام على خدمته. ولا زالت تقاليد تقديم الابن فروض الطاعة لأبيه واحترامه مستمرة حتى اليوم. كما أن احترام الابن لأبيه هو الاحترام نفسه لعشيرته مركزاً في شخص واحد يمثلها هو شيخها. وفي الحقيقة فإن سلطة الأب ما هي إلا مظهر فرديّ لسلطة القبيلة. ورغم مرور مئات السنين بقي المجتمع العربي مجتمعاً قبلياً يتكون من وحدات اجتماعية أساسها القرابة التي تتمثل بالعائلة، التي هي جزء من الحمولة فالخذ فالعشيرة فالقبيلة فاتحاد القبائل الذي يشكل المجتمع بأوسع صورته. وتتكون الأسرة العربية من عدة عوائل عموماً، وهي أسرة ممتدة كبيرة الحجم والتي تشكل السمة الأساسية لبنية العائلة العربية حتى منتصف القرن الماضي وتضم كل المتحدرين من جد ذكر واحد وينصهرون في وحدة واحدة ويحمل جميع أفرادها اسم الجد الأول للأسرة.

في الحقيقة فإن سلطة الأب ما هي إلا مظهر فرديّ لسلطة القبيلة. ورغم مرور مئات السنين بقي المجتمع العربي مجتمعاً قبلياً يتكون من وحدات اجتماعية أساسها القرابة التي تتمثل بالعائلة

وفي الأرياف العربية ترتبط بنية العائلة ارتباطاً وثيقاً بأسلوب الإنتاج الاقتصادي السائد والعلاقات الاجتماعية التي تشكل الأرض والزراعة ركيزتها الأولى والأساسية، وتعكس بشكل واضح بنية النظام القرابي الذي يقوم على التضامن والتماسك والتعصب العائلي في مواجهة المشاكل والأعباء والصراعات مع العوائل الأخرى ومع الحكومات وغيرها. ولذلك تحتاج العائلة إلى تكثير النسل لرغد الأرض بأيدي عاملة ذكورية كثيرة والزواج المبكر ومن داخل العائلة (ابن العم وابنة العم) وكذلك تعدد الزوجات التي تفرضها وحدة العمل في الأرض. وهكذا بقيت العائلة العربية الممتدة حتى وقت قصير تشكل وحدة اجتماعية إنتاجية بفعل استمرار الظروف والشروط البنوية لتطورها حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ويلاحظ المرء بقاء مظاهر سلوكية ما تزال تفعل فعلها في إعادة إنتاج العلاقات القرابية، التي تظهر في الميل إلى التقارب السكني في منطقة واحدة أو مدينة واحدة وتوثيق علاقات القرابة بحضور المناسبات العائلية المختلفة وبخاصة في مناسبات



الزواج والأعياد والوفيات وغيرها. وما زال الزواج الداخلي يشكل النموذج المفضل لدى كثير من العوائل العربية الممتدة. كما يمتد النظام الأبوي-البطريكي العربي إلى تشكيلات السلطة التي ما زالت تعتمد على النفوذ العائلي، وما زالت التكتلات العائلية والعشائرية تلعب دورا هاما وبارزا في كثير من القرى والأرياف وحتى في كثير من المدن العربية.

### النظام الأبوي والمرأة

يقوم حجر الأساس في النظام الأبوي على هيمنة الذكر على الأنثى واستبعاد المرأة واضطهادها ونفي وجودها الاجتماعي وذلك لأنه مجتمع أبوي يسيطر فيه الرجل على المرأة لأنها أقل درجة منه ويكوّن ذهنية ذكورية ذات نزعة تسلطية ترفض النقد والحوار وتعاقب كل من يخرج على هذا النظام الأبوي البطريكي. فمذ فجر الحضارات العليا الأولى في التاريخ كانت المرأة ضحية المجتمع الأبوي/البطريكي-الذكوري الذي قنن قيما وأعرافا وتقاليد جعلت المرأة أدنى من الرجل درجة، وهو ما جعلها مضطهدة، ومن يضطهدها هو الرجل، مع أن الحياة لا تكتمل إلا بهما.

ويأخذ الاضطهاد أشكالا ثلاثة وهي:

أولا – الاضطهاد النوعي الذي يقوم على تفوق الرجل على المرأة وهيمنته عليها من أجل تحقيق مصالحه الخاصة والعامة التي أدت إلى طمس شخصية المرأة والتقليل من أهميتها ودورها الاجتماعي واستلاب شخصيتها في الأخير، مما سبب عدم التكامل والتكافل الاجتماعي بين الجنسين.

ثانيا – الاضطهاد الأبوي – الذكوري، الذي يظهر في هيمنة الرجل على الأنثى في العائلة والمجتمع والسلطة. ويتم التعبير عن هذه الهيمنة وهذا الاضطهاد بتسلط الذكر على الأنثى والأب على الأم والأولاد، تسلطا لا عقلانيا يوجب خضوعهم وطاعتهم له طاعة عمياء، مثلما يسيطر الولد على البنت حتى لو كانت أكبر منه سنا وأرزن منه عقلا.

ثالثا – الاضطهاد القانوني الذي ينبثق من الاضطهاد الأبوي والذي ينعكس في القوانين الوضعية والعرفية التي تضطهد بدورها المرأة في حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما يعيق تقدمها ومساواتها مع الرجل في الإنسانية. والواقع لم يكن اضطهاد المرأة واستلابها بسبب العامل البيولوجي أو الديني أو النفسي، وإنما بسبب العوامل الاجتماعية والطبقية والقيم الذكورية التي نتجت عن

مصالح الرجل في الهيمنة عليها والاستحواذ بها وإخضاعها لمشيئته، وهو أساس عدم المساواة بين الجنسين والصراع الأزلي بينهما.

### النظام الأبوي والتسلط السياسي

ليس من النادر أن نجد أفراد قبيلة واحدة أو طائفة واحدة أو مدينة واحدة أو منطقة واحدة يسيطرون على السلطة والدولة والنفوذ ويتحكمون في رقاب الناس، كما في أغلب الدول العربية. وهذا دليل على أن السلطة الأبوية تركز على العائلة الممتدة، التي هي النمط القرابي السائد، الذي يمتد إلى النظام السياسي الحديث ويستمد شرعيته من كونه نظاماً قرابياً أبوياً يطرح الحاكم نفسه فيه على أنه (الراعي) و(الأب القائد) وأن جميع أفراد الشعب هم أبنائه، وهو يخاطب رعاياه بـ (أولادي) وعليهم جميعاً واجب تقديم الولاء والطاعة والخضوع له دوماً، وفي ذات الوقت ينتظر (الأب القائد) من أبنائه الولاء المطلق له. وهو بهذا يجسد النظام الأبوي-الذكوري المسيطر على المجتمع العربي. والأب الحاكم في الحقيقة هو المستفيد الأول من هذه (الأبوة) التي تساعد على السيطرة على رعيته وإخضاعها لمشيئته واستبداده.

وتدعم النزعة الأبوية من جهة أخرى فكرة الجماعة المتشابهة المطيعة التي تساعد على الخضوع للنظام الاجتماعي والسياسي، مثلما تساعد على تغييب مفهوم المواطن الفرد واستقلاله الفردي عن الجماعة وكذلك تغييب خصوصيته وتذويب شخصيته في الجماعة. وكلما يفقد المرء فرديته واستقلالته، كلما يشعر بعدم أهميته وضعف مسؤوليته، لأن المسؤولية الجماعية تقع على عاتق العائلة والعشيرة والتي تطغى على كل مسؤولية فردية.

إن الشخصية، التي تهتم بالوسائل أكثر من الغايات، ترسخ هيمنة (الراعي) وتمنع الأفراد من إقامة أيّ تعاقد اجتماعي بينهم والتسليم بما هو موجود بحيث تصبح عاجزة ومشلولة ولا تستطيع الرفض وقول (لا). وتقف جميع المؤسسات التقليدية خلف هذا العجز وتدعمه وترسخه.

والحقيقة فإن الحضارة الحديثة تقوم على عقد اجتماعي وعلى مفهوم التخصص وتقسيم العمل الاجتماعي بين الأفراد حيث يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب، وهو ما يتعارض مع قيم العائلة والعشيرة والقرابة والطائفة والجيرة وما يشبه ذلك، التي لا تضع للفرد من أهمية سوى كونه واحداً من الجماعة، بعكس الحضارة الحديثة التي تعطي للشخص مكانه المناسب حسب إمكانياته وكفاءته ومقدراته. وهذه الحوافز هي التي مكّنت المجتمعات المتقدمة من التطور والرقي الحضاري.

إن العلاقة التي تتحكم بين الرئيس والمرؤوس، في العائلة والقبيلة والطائفة والمجتمع والدولة، هي شكل من السيطرة الأبوية الهرمية التي تقرر ثنائية من التسلط والخضوع، ليس بين الفرد والعائلة فحسب، بل بين الحاكم والمحكوم، حيث ما زال الحاكم العربي يستبد برأيه. فهو الخليفة والوالي والأمير والشيخ والرئيس والأب القائد، الذي يصدر الأوامر والنواهي وعلى الرعية والسكان والشعب أن يخضعوا لأوامره ونواهيهم ويقولوا دوماً: سمعاً وطاعة!

هذه العلاقة غير المتكافئة بين الرئيس والمرؤوس لا بد وأن تولد صراعاً اجتماعياً من شأنه تضخيم الذكورة وتبخيس الأنوثة وتجعل من الولد الأكبر (البكر) رجلاً متسلطاً حتى على أخته التي تكبره سناً وثقافة. وهي علاقة تسلطية هرمية تنمو في ظل تربية أخلاقية صارمة تعلم الأفراد الطاعة العمياء، حيث يمثل الأب القوة والسلطة والأم الطاعة والخضوع. وحينما ينمو الولد يقوم بتقليد أبيه وأخذ دوره التسلطي وتقوم البنت بتقليد أمها وأخذ دورها في الخضوع والانصياع. وينتقل التسلط والخضوع من العائلة إلى المدرسة والشارع والوظيفة والمصنع والمؤسسات الأمنية والعسكرية وحتى إلى أعلى قمة في هرم السلطة. وهي علاقة استبدادية تسلطية قد تؤدي إلى استجابات متعارضة، فهي إما أن تؤدي إلى الخضوع الزائد عن اللزوم للمتسلط، أو النبذ التام لسلطته والتمرد عليه. كما أن هذه العلاقة التسلطية تلغي الحرية مثلما تلغي الحوار والتفاهم في الأسرة وفي المجتمع وكذلك في السلطة، أي تلغي السياسة، من حيث هي فعل حوار بين أفراد مستقلين يتخطى العائلة إلى السلطات الحاكمة التي هي أساساً سلطات عائلية أيضاً، تهتم بمصالح العائلة لا بمصالح الشعب والوطن. وهكذا ينتقل الاستبداد والتسلط من العائلة الأبوية إلى السلطة الحاكمة.

كما تقوّي العلاقة التسلطية التنظيم البيروقراطي، الذي يقوم على القمع والطاعة والخضوع ويحوّل الأفراد إلى مجرد آلات بحيث تمسح شخصياتهم وتغتصب حقوقهم وتمتلخ إنسانيتهم. وبهذا المعنى فإنّ هذا النوع من الاستبداد لا يعني بلوغ الرشد، وإنما اللا رشد، الذي لا يحرّر الإنسان، وإنما يقيدته بسلاسل من الجهل والخوف والخضوع، بحيث يفقد المرء الثقة بنفسه والاحترام المتبادل مع الآخر وكذلك مع المجتمع. وهكذا يكشف النظام الأبوي الذكوري عن وجهه الاستبدادي القمعي وترسيخه لقوة الموروث التقليدي.

ويرتبط بالنزعة الأبوية الاستبدادية عوائق وتحديات واجهت المسألة السياسية التي ما زالت مطروحة حتى الآن، حيث بقيت الحرية وأزمة الدولة والسلطة دونما حلّ لتحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبقيت مجرد أمنية بعيدة عن التحقيق منذ

استقلال الدول العربية والسعي لتحقيق الدولة القومية ذات المضمون الاجتماعي-السياسي وتأسيس قواعد قانونية ثابتة تقوم أساسا على الفصل بين السلطات والعدالة والمساواة أمام القانون وتحقيق المواطنة الحرة، وما زال العالم العربي يشهد تغيبا شبه كامل لمثل هذه القواعد القانونية والدستورية، بل وانحسارا كبيرا في شرعية السلطة والتفرد بها وبصنع القرار، مما يفسح المجال إلى إعادة إنتاج، بل وترسيخ ما قبل الدولة القومية بمكوناتها الإثنية والقبلية والطائفية وتحول الولاء إليها على حساب الوطن والدولة والهوية.

إن من نتائج (الدولة الأبوية) الاستبدادية والتخلف وقمع الحريات هذه الردة الحضارية التي يعيشها العالم العربي اليوم، التي أنتجت دولا تتسلط بالقوة والبطش على جميع مؤسسات الدولة والمجتمع بأيدولوجيتها الشمولية وتحنكر السلطة للهيمنة على المنظومات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وكذلك القوى الاجتماعية باسم الأمة والشعب والقانون وكذلك تماهي الرؤساء إلى رموز تأليهية تعلق على المراقبة والمحاسبة، مستخدمة جميع أدوات القوة والقهر لإخضاع الأفراد وإجبارهم على الطاعة والخضوع.

وتشكل العائلة في المجتمعات الأبوية – البطريركية، كما في المجتمعات العربية عموما، بنية أبوية – ذكورية تعمل على بناء شخصية تابعة تميل إلى الخضوع للكبار والإذعان للعائلة وكذلك للسلطة عبر تربية أبوية صارمة تعلم الأفراد التلقين والخضوع والطاعة العمياء. وحينما ينشأ الأولاد، يقوم الولد بتقليد الأب ومحاكاته وأخذ دوره في التسلط على أخته أولا ثم على عائلته بعد الزواج ثانيا. وتقوم البنات بتقليد الأم وأخذ دورها التابع والانصياع إلى أوامر الذكر ونواهيها. وينتقل التسلط من العائلة إلى العشيرة ومنها إلى المدرسة والشارع والدوائر والمصانع وإلى جميع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

إن الخضوع وعدم مخالفة الأوامر تجعل الفرد ينفذ تلك الأوامر دون أي تفكير أو رفض أو احتجاج. وبذلك يكون الطفل المطيع (ولدا طيبا يسمع الكلام دائما). ولكن عندما يكبر الولد المطيع ويتكيف مع ضرورات المواقف تحدث عنده ردود أفعال متناقضة ويبدأ بتطوير عدوانية مكثفة ضد الأب وضد المعلم وكذلك ضد الموظف والشرطي وغيرهم، كما يضطر، بسبب الخوف والاحترام الزائد للقيم والأعراف، إلى كبت هذه العدوانية، التي من الخطر عليه إظهارها، غير أنها تتحوّل بالتدرج إلى عامل ديناميكي في بناء شخصيته وتكون لديه قلقا واضطرابا وتدفعه إلى أن يخضع إلى أكثر من جهة، وفي ذات الوقت، تخلق له تحديات وردود أفعال عدوانية أحيانا موجهة إلى الآخرين وإلى الحياة نفسها بصورة عامة. كما أن ردود الأفعال

هذه تؤثر سلبا على شخصيته وتطوّر بمرور الزمن سمات جديدة وتصبح جزءاً من شخصيته.

ومن المعروف أن السلطة الاستبدادية غالباً ما تبحث عن الإنسان الضعيف الخاضع وتحاول تطويع عقله ضمناً لتطويع جسده وتستخدم لذلك آليات مختلفة من بينها قتل البعد العقلاني النقدي وتحريفه وتطوير مسلمات تبريرية، كنظرية المؤامرة والأعداء الجدد وغيرها لخلق مسوّغات تساعد على فرض قيود ومحرمات وعوائق تقيد الفكر وتصب عادات وأنظمة جديدة في قوالب جاهزة في البنية الذهنية تقف سدا منيعاً أمام أيّ مقاومة تبديها الفئات الاجتماعية المقهورة، التي تفضي بمرور الوقت إلى تطويع الجسد وإخضاع العقل وإضعاف الإحساس بالمسؤولية، التي تسهل عملية الخضوع.

إن الإنسان الضعيف والعاجز أمام القوة الأبوية المتسلطة التي يفرضها الحاكم أو الشرطي أو الشيخ أو المعلم أو الموظف الذي يمتلك صنع القرار إذا لم يستطع التملص من التسلط فليس أمامه سوى الرضوخ وبذلك يفقد السيطرة على مصيره ومستقبله. وبدلاً من المقاومة والرفض يقوم بسلوكيات تعويضية كالنزلف والاستسلام والمبالغة في احترام المتسلط وتبجيله، اتقاء لشره من جهة، والطمع في رضاه من جهة ثانية، والأمل في العيش بسلام لأنه لا يستطيع الرفض والتمرد والمجابهة من جهة ثالثة. وفي هذه الحالة تنعدم علاقة التكافؤ لتحل محلها علاقة التشيؤ، وذلك لعدم وجود اعتراف بـ «أنا كقيمة إنسانية». وهكذا تتطور علاقة جديدة ومن نوع آخر حيث يصبح «الآخر هو الجحيم». وكلما تتضخم ذات المتسلط تفقد ذات العاجز أهميتها واعتبارها وفعاليتها حتى لتكاد تفقد إنسانيتها مثلما تفقد الإحساس بمعاناة الآخرين والتعاطف معهم وكذلك تزداد المخاوف من الآخر والحاجة إلى الأمن والطمأنينة ويصبح الإنسان نهبا للقلق واللامبالاة، بحيث ينطبق عليه قول المتنبي (مَنْ يَهْنُ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ)

[<https://aljadedmagazine.com>]

بقي أن نذكر في نهاية مطاف المجتمع الأمومي إلى الأسباب التي أدت إلى زوال هذا المجتمع وظهور المجتمع الذكوري والسلطة البطريكية وهي ما يلي: -  
1 - تطور دولة المدينة الذي أوجد أول تنظيم اجتماعي جديد للحياة الجنسية والذي أخذ شكل منظومة الزواج وتطور فيما بعد إلى شكل زواج أحادي.  
2 - قيام الدولة أعطى السلطة بيد الرجل وأجبرت المرأة على أن تفقد حقها الطبيعي بالتدريج عن طريق اكتشاف المعادن.

3 - تطور نظام الملكية.

4 - انتشار الزراعة المنظمة.

5 - نشوء المدن.

تلك هي الأسباب الجوهرية التي أدت الى فقدان المرأة عصرها الذهبي.

9 / ب - عصر استعبادها

### (عند الحضارة اليونانية والرومانية والفارسية والصينية)

لم تسلم المؤنثة من الظلم والعدوان، ففي الحضارة اليونانية - الإغريقية على الرغم من تقدمها العلمي كانت تعد المؤنثة من فصيلة الحيوانات التي يحتاج اليها الانسان كما يحتاج الى الفرس والحمار. والحضارة الرومانية على رغم تقدمها الديمقراطي فقد كانت تعتقد بان المرأة مبعث الشرور وكانوا يقفلون فيها لئلا تتكلم فيقع الشر، والحضارة الهندية إذا مات الزوج دفنوا امرأته معه حيه. والحضارة البابلية على الرغم من تقدمها وتشريعها الأول الذي شرعه (حمورابي) كانت شريعته تحكم على المرأة بالإغراق في الماء حتى الموت إذا خالفت بعض أوامر زوجها.

وعند القبائل العربية هناك ثلاثة منها تأد البنات خشية الاملاق أو العار وعموماً في الجاهلية كانت المرأة سلعة، بضاعة خاضعة للتعامل. وإذا مات الرجل فنسائه ملك لولده الأكبر أن شاء باع وان شاء أبقى أو نكح. [الخاقاني. 2013. ص. 128] لقد اعتبر الرجال قبل الاسلام المرأة على مر العصور كائناً منحطاً وايضاً شيطاناً رجيماً ويوسوس بالشر وقد أهينت كثيراً في تلك العصور حيث انها كانت تشتري وتباع في الأسواق كالسلع أو كالمواشي والمتاع. وكانت تُكره على الزواج وعلى البغاء وتورث ولا ترث وتُملك ولا تمتلك وكانت دائماً خاضعة للرجل اباً وزوجاً يملك زوجها مالها وأقام عليها وصياً قبل موته بينما الرجال فقد كانوا لهم السلطة والسيادة في كل شيء واعتبروا المرأة بالنسبة لهم لا شيء تتعامل كالمتعاق في المنزل وليس لها اية حقوق ولكن عليها واجبات كثيرة.

اختلف الرجال في بعض البلاد على كنية المرأة هل هي انسان له روح خالدة وتدخل الجنة كالرجل أم لا؟ وفي النهاية قرر أحد المجاميع بروما انها حيوان نجس أو انها بلا روح ولا خلود ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وان يُكمم فيها كالبعير أو الكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها كانت في نظرهم احبولة شيطان. أما مكانة المؤنثة في حضارة الاغريق: فقد كانت عندهم شجرة مسمومة وكانت محنقة مهينة حتى سموها رجس من عمل الشيطان وكانت تباع وتشتري في الأسواق، مسلوبة الحقوق محرومة من حق الميراث وحق التصرف في المال وكانت في غاية الانحطاط حتى لم تسلم من فلاسفة الاغريق.

رأي الفيلسوف أسطو في المؤنثة: حيث قال عنها بأن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يُعتدّ به ولذلك يجب ان تقتصر تربيتها على شؤون التدبير المنزلي والأمومة والحضانة، وما الى ذلك ثم يقول ثلاث ليس لهنّ التصرف في أنفسهنّ العبد ليس له إرادة والطفل له إرادة ناقصة والمرأة لها إرادة وهي عاجزة. وقد قال إن المرأة رجل غير كامل وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من سلم الخليقة، وهو القائل إن المرأة للرجل كالعبد للسيد والعامل للعالم والبربري لليوناني وإن الرجل اعلى منزلة من المرأة.

أما الفيلسوف سقراط فقد قال عنها: ان وجود المرأة هو أكبر منشئ ومصدر للأزمة والانهيال في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً.

وكان الرومانيون يمنعوا المرأة من الكلام حكموا عليها بأن تضع على فمها قفلاً كانوا يسمونه (الموزلير) فكانت النساء جميعهم من أعلى الأسر وادناها تسير في الطرقات وفي فمها قفل وتروح وتغدو في دارها وفي فمها قفل من حديد هذا عدا العقوبة البدنية التي كانت تتعرض لها المرأة لأنها أداة الاغواء يستخدمها الشيطان لإفساد القلوب، وكانوا يسكبون الزيت الحار على جسم المرأة ويربطونها بذبول الخيول ثم يجرونها بأقصى سرعة كما يربطون الشقيات بالأعمدة ويصبون الزيت الحار والنار على أبداهنّ. [ويكيبيديا. نظرة المجتمعات للمرأة في الحضارات المختلفة. <https://ar.wikipedia.org>]

أما موقع المؤنثة عند الفرس فكانوا يفضلون الذكر على الانثى لأن الذكور عماد الجيش في الحرب وأما البنات فأنهنّ يتنشان لغيرهنّ ويستفيد منهنّ غيرهنّ وخضعت المرأة الفارسية القديمة للتيارات الدينية الثلاث فمن الزرادشتية الى المانوية الى المزدكية وقد تركت كل ديانة من هذه الديانات بصمتها الواضحة على كيان الأسرة، تعيش المرأة في ذل وقهر واستعباد وكانت النساء تحت سلطة الرجل المطلقة الذي يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة طبقاً لما يراه وتطيب له نفسه. فكانت كالسلعة بين يديه، كما كانت بخسة في الأدوار الطبيعية كالحيض والنفاس يُعدنّ في وقته عن المنزل ويقمنّ في خيام صغيرة تُضرب لهنّ في ضواحي المدينة أو البلدة ولا يجوز مخالطتهنّ قطعاً بل كانوا يعتقدون انهم ينتحسون إذا مسوهنّ أو مسوا الخيام أو الأشياء المحيطة بهنّ.

أما المؤنثة عند الهنود: ففي شرائع الهندوس انه (ليس الصبر المقدر والريح والموت والجحيم والسم والافاعي والنار أسوء من المرأة).

أما عند اليهود: فأن بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم وكان لأبيها الحق في أن يبيعه قاصر وكانت تراث إلا إذا لم يكن لأبيها من البنين وإلا ما كان يتبرع لها به ابوها في حياته. والمرأة في الشريعة اليهودية تورث كجزء من تركة الميت فإذا مات زوجها ورثها وارثه مع بقية المتروكات وله ان يبيعهها أو يعزلها. ثم ان المرأة غير طاهرة عندهم في اليوم الذي تبدأ فيه بالشعور بأن عاداتها الشهرية قد اقتربت وحتى إذا لم يكن هناك اثر ظاهر وعلى الزوج عدم ملامستها ولا حتى بأصبعه الصغير ولا يسمح له بمناولتها أي شيء ولا حتى شيئاً طويلاً ولا يأخذ منها شيئاً من يدها اليه او العكس غير مسموح به ايضاً ولا يسمح لها بالأكل مع زوجها على مائدة واحدة ولا يسمح له بشرب ما تفضل منها في الكوب ولا يسمح لهما المبيت في السرير نفسه ولا في الركوب معه في عربة واحدة. [مكانة المرأة في بعض الحضارات القديمة والأديان الأخرى – شبكة الالوكة. <https://www.alukah.net>]

وقد كانت المؤنثة في الصين تتجرع كؤوس المهانة صباحاً ومساءً ورسمت أغنية صينية قديمة صورة وضع المرأة الحقيقي في الصين وقد تضمنت (إلا ما أتعس حظ المرأة ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها. إن الأولاد الصبيان يقفون متكئين على الأبواب كأنهم الهة هبطوا من السماء. أما البنت فإن احداً لا يسر بمولدها وإذا كبرت اختبأت في مجرتها تخشى ان تنظر وجه انسان ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها. ولقد كان الأب الصيني مثلاً إذا بُشر بالأنثى ذهب الى السوق عارضاً إياها للبيع ببخس الاثمان فإن لم يجد من يشتريها أعطاها لأول عابر سبيل بدون مقابل أو عمد الى قتلها خنقاً في مكان مهجور أو اغرقها أو وأدها في التراب والتي لم يتم التخلص منها بوسيلة من الوسائل يصار الى تشويه اقدمها لمنعها من الخروج من بيت ابيها أو زوجها. وكانت المرأة دائماً تحت الوصايا ان كان من ابيها أو زوجها أو حتى من ابنها أو من رجل من أقارب زوجها في النسب. <https://said.net> المرأة عبر العصور]

بقي أن اشير في هذا السياق الى ظاهرة (الحرملك) التي تعني عزل النساء عن الرجال الذي كان مستخدماً في العصور القديمة حيث استخدم هذا العزل الاغريق في القرن الثالث قبل الميلاد. فالرومانيات كنّ يشغلن عادة الحجرات الأولى من المنزل والأكثر تعرضاً للرؤية حيث يستقبلن كثيراً من معارفهنّ. أما اليونانيات فالأمر على النقيض فنساؤهم لا يشتركنّ في مأدبة إلا إذا كانت لدى اقاربهنّ وهنّ يشغلنّ دائماً الجزء الأكثر انزواءً بالمنزل والذي دخوله محرم على كل الرجال. أي كانوا يحتقرون المرأة وكان أرسطو يعتقد ان سبب اضمحلال



اسبارطه وانهيهاها يعود الى تساهل رجال تلك المدينة مع نسائهم والسماح لهنّ بالخروج الى الأسواق لشراء حاجاتهنّ على عكس نساء أثينا اللواتي لم يكن يخرجنّ من البيت إلا الى القبر.

أما سقراط، فهو القائل بأن وجود المرأة هو أكبر منشأ للأزمات ومن الأسباب المؤدية الى انهيار العالم انها تشبه الشجرة المسمومة ظاهرها جميل ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت.

وفي الحضارة الأكديّة (في بلاد ما بين النهرين – العراق الان) كان الملك الأكدي سرجون يطلق اسم (حرمتمو) على كاهنات المعبد اللواتي كنّ يخدمنّ إله القمر في مدينة (اور) وكان يُسمح للرجل الأكدي والبابلي بالزواج من ثلاث فقط منهنّ لكنه لا يحق له أن ينجب من الزوجة الكاهنة. أي لا يجوز لها ان تنجب ممن تتزوج وتحب. [اللدقاني. 2012. ص. ص. 121 – 122]

اخيراً تقول (زينب البحراني) أستاذة الفنون القديمة وعلم الاثار في جامعة كولومبيا، في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشرق الأدنى القديمة عموماً لم يكن من النادر أو المستغرب ان تكون امرأة أو فتاة هي الوريثة الأساس وان ترث فعلاً فقد كانت النساء في الشرق الأوسط ومصر في العصور القديمة يتمتعنّ بحقوق قانونية وبحريات اجتماعية أفضل مما لا يقارن بما كانت تتمتع به شقيقاتهنّ في بلاد الاغريق وروما وعندما حكمت السلالات الهلنستية التي ورثت الاسكندر المقدوني في مصر وبلاد الشرق الأوسط كانت النساء اللواتي انتقلنّ للعيش في المنطقة المذكورة يُفضلنّ الزواج حسب القوانين المحلية وليس حسب القوانين الاغريقية لأن الأخيرة كانت صارمة في حماية حقوق النساء واستقلاليتهنّ ومنحتهنّ حق تقرير شؤونهنّ الحياتية وأنشطتهنّ. كما كان باستطاعتهنّ حيازة الممتلكات والمراكز الاجتماعية والتنقل في المدن من دون أي قيود على السفر أو على الحركة. وقد وفرّ ذلك الوضع لهنّ مساحة من الحرية أوسع بكثير مما كان متاحاً للنساء في العصور الاغريقية والرومانية القديمة وبالتالي فإن القيود المفروضة على حياة النساء وظهرت في وقت متأخر من العصور القديمة. وقد جاءت من خارج المنطقة ومن ثقافات دخيلة لم تكن تلك القيود لتمثل المواقف المحلية الاصلية من النساء تُظهر لنا مدونات النصوص القديمة. إن الظروف الاصلية التي عاشتها نساء الشرق الأدنى القديم تتيح لهنّ استقلالية وحقوقاً قانونية أفضل بكثير مما كان يتوفر للنساء في مجتمعات أخرى قديمة بل وفي العديد من المجتمعات المعاصرة.

[البحريني. 2013. ص. 18]

أخيراً لا أريد ان اترك هذا الباب مالم اشير الى السبب الرئيس لاختلاف مكانة المؤنثة في المجتمع الإنساني الذي لا يرجع الى أدوارها الانثوية في الأسرة والعمل به الى المرحلة التطورية العلمية التي يعيشها المجتمع والى الحاجة البشرية لها خارج المنزل. فعندما يكون المجتمع في حالة حروب مستمرة فإن حاجته للرجل أكثر من المرأة ولما كانت تمثل المخلوق الأضعف في الحرب فإن المحاربين يخافون عليها من السبي والأسر فلا يعيروها أهمية بالغة بل يعيروها فقط في الانجاب والتدبير المنزلي حيث كان الرومان والاغريق والفرس والصينيين من الشعوب المحاربة المحتاجة للرجال أكثر من النساء لذلك كانوا يحتقروها ويستعبدوها لأنها غير محاربة بل تكون صيداً سهلاً عند العدو لذلك لا تكن مكانتها الاجتماعية عالية في المجتمع أما في حالة السلم والاستقرار فإن مكانتها تكون عالية ومحترمة ترمز الى الحب والجنس والجمال وهذا ما حصل للبابليين والسومريين والفينيقيين والفراعنة الذين احتاجوا اليها في بناء الأسرة والحضارة والرفاهية والترف. ويرجع (اللادقاني) تحول المؤنثة من طور المعبودة الى العبدة الى اسقاط حق الأم في النسب والتوريث وكان ذلك الهزيمة الكبرى لعشتار. [اللادقاني. 2012. ص. 27]

ونضيف الى ما تقدم ونقول إن حاجة المجتمع الى وظائف مهنية تكنولوجية تُستخدم في الصناعة والزراعة مع تشكيل تنظيمات رسمية جديدة مثل الأحزاب والجيوش العسكرية الضخمة أدى الى احتياج المجتمع الى القوة العضلية فبرز الرجل في استثماره المستمر واستقلاله لصالحه على حساب المرأة فتحول من التابع الى المتبوع ومن المذعن الى الذاعن فتحولت المعبودة الى عبدة.

## 9 / ت - حكيمة عربيات عبر التاريخ

الحديث عن التغيير الذي حصل للهوية الجندرية التقليدية يجعلنا تناول موضوع حكيمة عربيات في الجندر القديم لكنهن كنّ من الأقليات المغمورة أعمالهنّ إلا اننا وللأمانة العلمية والموضوعية نتناولهنّ لكيلا نغمت حقهنّ ويعتقد القارئ بان نساء الجندر القديم (العربي) يخلو من النساء اللوذعيات والمبدعات والحكيمة، بذات الوقت يمثلنّ الخلفية التاريخية لمؤهلات وكفاءات العربية في العصور القديمة في التاريخ العربي، أما وضع المرأة العربية الان في هويتها الجندرية فهو بانس ومقموع بسبب عدم الاستقرار السياسي والحروب الأهلية والدولية والثورات والعقلية المتحجرة للحكام المتحكمين في المجتمع العربي جعلت منهنّ يمثلنّ التناقض بين الهوية الجندرية والجنسية وهذا شيء مخجل لا يتناسب مع روح العصر

الحالي المتصف بالتحري والاحتكاك الحضاري وسيطرة العلوم التكنولوجية في الحياة العامة والخاصة.

الحكمة: هي القدرة على التفكير والعمل باستخدام المعرفة والخبرة والفهم والحس السليم والبصيرة. لذا ترتبط بسمات مهمة مثل العاطفة والمعرفة الذاتية المبنية على التجربة وفضائل الاخلاق والخير. فالحكيم الحق: هو الذي يمتلك القدرة على التعامل مع المسائل المتعلقة بالحياة والسلوك، ويتميز بسلامة الحكم واختيار الوسائل والغايات التي تؤدي الى انسب الحلول. وقديماً اعتبر الاغريق القدماء الحكمة من أهم وأسمى الفضائل، فالشخص الحكيم لديه القدرة على التغلب على مساعر العجز والغضب والكره وتعزيز بصيرته لذا كان له شأن كبير بين قومه نظراً لرأيه السديد وحيادته. وقد حفظ التاريخ كذلك أسماء عديدة من النساء (الحكيماوات) نذكر بعضهن فيما يأتي: -

## 1 - شجرة الدر

لُقبَت بعصمة الدين أم خليل، تولت عرش مصر لمدة 80 يوماً بعد وفاة السلطان (الصالح أيوب) عام 1250م كانت تتسم بالذكاء والقوة والحكمة لذا كان الملك الصالح يسند اليها مقاليد الحكم لتتوب عنه عندما يكون خارج مصر. ومن أبرز مواقفها التي تثبت ذلك دورها التاريخي المهم اثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر فخلال معركة المنصورة أخفت خبر زوجها في ذلك الوضع الحرج حتى لا تضعف معنويات العسكر وأخبرت الجميع بان السلطان مريض ولا يستطيع مقابلة أحد لذا كانت تدخل الطعام الى الغرفة التي من المفروض ان السلطان نائم فيها حتى لا يشك أحد في شيء واستطاعت بحكمتها قيادة الجيش ومحاصرة القوات الصليبية وانتهت المعركة بهزيمة الصليبيين وأسرَ لويس التاسع ملك فرنسا.

## 2 - حتشبسوت

عاشت في الفترة 1479 - 1458 ق. م. وهي من أشهر الملكات اللاتي حكمن قصر الفرعونية وأقواهن نفوذاً. تعود سلالتها الى الأسرة الـ 18 التي حكمت مصر، حكمت البلاد بعد وفاة زوجها الملك تحتمس الثاني، وقد كان حكمها نقطة بارزة في تاريخ مصر. تعلمت حتشبسوت علوم الاخلاق والسلوك الصحيح والقراءة والكتابة والحساب والفلسفة والطقوس الدينية وقواعد اللغة والانشاء، واتسمت فترة حكمها بالسلام والرفاهية وتميز عهدها بقوة الجيش ونشاط البناء والرحلات البحرية العظيمة التي أرسلتها للتجارة.

### 3 - زنوبيا

ملكة تدمر عاشت بين 240 - 274م قادت مع زوجها عصياناً على الإمبراطورية الرومانية وتمكنها من السيطرة على معظم سوريا. استطاعت (زنوبيا) بحكمتها أن تقود قومها الى نهضة شاملة وقوة عسكرية طامحة ولعبت دوراً كبيراً في الشرق وفي روما ذاتها وكانت عالية الثقافة تتكلم اللغة التدميرية وهي لغة آراميه وكذلك اليونانية والمصرية. أصدرت الملكة (زنوبيا) العملة الخاصة بتدمر وصكت النقود وما لا يعلمه أغلب الناس انها تولت الحكم وعمرها 14 عاماً فقط لكنها استطاعت بناء امبراطورية عظيمة هزت العرش الروماني.

### 4 - بلقيس

ملكة مملكة سبأ ورد ذكرها في القران الكريم حيث تلقت (بلقيس) رسالة من نبي الله (سليمان عليه السلام) طالبها فيها بعبادة الله والكف عن تقديس الشمس، من مظاهر حكمتها انها رفضت الاستبداد برأيها وطلبت المشورة من الملأ الذين أكدوا لها ثقتهم في قدراتهم العسكرية وتركوا القرار النهائي لها. "قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ" (آية 34 من سورة سبأ) ومن ثم بعثت بهدية من الطيب والاحجار الكريمة والذهب الى (سليمان عليه السلام) فرفضها وقرر الخروج بجيشه ومقاتلة سبأ فأدركت (بلقيس) حقيقة أنها أمام (نبي) يدعوا الى عبادة الله تعالى وحده ولا تغريه الهدايا ولا يؤثر فيه المال فلعبت بذكائها وفطنتها وقدرتها على التمييز بين الحق والباطل دوراً كبيراً في تحول شعبها عن السجود للشمس الى عبادة الله تعالى وحده.

### 5 - كليوباترا السابعة

ملكة مصر عاشت بين 69 - 30 ق.م. وحكمت في الفترة ما بين 51 - 30 ق.م. كانت جميلة وساحرة وتتميز بالذكاء والدهاء وتملك من الحكمة القدر الكافي الذي جعلها تتولى عرش مصر فقد تغلبت على شقيقها الذي استأثر بالحكم ولتقوى شوكتها تزوجت من قيصر روما كيلا بغزو البلاد وبعد وفاته عززت موقفها بزواجها من (ماركوس انطونيوس) وسوء حظها انتهى الأمر بهزيمتهم وانتحارها.

### 6 - زرقاء اليمامة

شخصية عربية قديمة، هي امرأة نجدية من جديس من أهل اليمامة يقال انها كانت ترى الشخص من على مسيرة 3 أيام. تميزت بالحكمة والمعرفة والكهانة حذرت قومها من شجر يسير وكان الأعداء والكهانة حذرت قومها من شجر يسير وكان الأعداء قد علموا بقوة بصرها فقطعوا الأشجار واستتروا بها حتى لا تكشفهم فلما

أخبرت قومها بذلك لم يصدقوها وسخروا منها وعندما أطبق اعدائهم عليهم وباغتوهم أدركوا صدقها لكن بعد فوات الأوان.

#### 7 - هند بنت خنس بن حابس

كانت من حكيمات العرب ذات فصاحة ومنطق عذب لا تبارى ببيانها وسلطة لسانها كذلك كما كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والكمال والفصاحة لذا كان العرب يتحاكمون عندها فيما ينوبهم من مشاجرات في الانساب وغيرها، فكانت من أهل اللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الفصيح والامثال السائدة.

#### 8 - صحر بنت لقمان بن عاد

هي ابنة لقمان الحكيم أخذت الحكمة من أبيها وقيل أنها اشتهرت بالعقل والكمال والفصاحة والحكمة وإن العرب كانوا يتحاكمون عندها فيما ينوبهم من مشاجرات وخلافات في الانساب وغيرها. [مجلة سيدتي. عدد 1915. بتاريخ 2017/1/18] هذه النماذج الثمانية من النساء العربيات اللواتي اثبتن حكمتهن ولوذعيتهن في اتخاذ القرارات الصعبة في إدارة شؤون المجتمع وهذا يعني انه على الرغم من وجود السلطة الذكورية (البطريقية) المتسلطة على المرأة فإن هناك من النساء العربيات في قديم الزمان بعيدات عن العولمة والانترنت والتقدم التقني وحرية التعبير والتفكير. كان لها الكفاءة في الإدارة واتخاذ القرار السديد في توجيه المجتمع عند الأزمات، فما بالك لو فتحت لها أبواب السلطة البطريقية وأسواق العمل والقيادة وتنازل الرجل عن نرجسيته الانانية؟ عندئذ يستطيع الرجل أن يعتمد عليها خارج المنزل أكثر من داخله وان يتفرغ لأعانتها في مهامها الجديدة!!!

هذه صورة تدوينيه فردية للمرأة وليس تدوينيه للنساء كنصف الهرم السكاني المدونة من قبل مؤرخين رجال وليس نساء ومما يدعنا أن نقول إن ذلك مثلبة تاريخية ونسوية على السواء.

## الفصل العاشر مكانة المونثة في التاريخ

استهلال

10 / أ – المواضيع التاريخية الخاصة بالمونثة

10 / ب – المجتمعات البائدة

1 – المجتمع اليوناني – الإغريقي

2 – المجتمع اللاتيني

3 – المجتمع الاسبارطي

4 – المجتمع اليوناني

10 / ت – مكانة المونثة في العصور الوسطى

1 – المسيحية

2 – مطاردة الساحرات

3 – الاقطاع

4 – عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني

## الفصل العاشر مكانة المؤنثة في التاريخ

### استهلال

يتناول هذا العنوان مسألة مفقودة وغائبة في تدوين تاريخ النساء كمجموعة وليس كأفراد. لن الاهتمام بهنّ وليس بها بدأ من خلال تنظيم حركة نسوية تم تأسيسها عام 1960م في الغرب الذي كان بمثابة (مهماز) محرك للعديد من المهتمات والمختصات بعلم الاجتماع والتاريخ أن يلتفتوا إليها (للحركة) ويبدأوا باستولاد حقل معرفي جديد خاص بدراسة النساء (وليس المرأة) لأن هناك فرق شاسع بين دراسة المرأة كفرد والنساء كمجموعة. وعند استعراضنا للتاريخ المدون نجد إشارات جانبية وهامشية للمرأة والنظر إليها كملحق للرجل وأن تم الإشارة إليها فيتم على أنها (بارعة الجمال أو الذكاء أو الدهاء أو المكر أو التنفّذ أو التأثير على القادة والملوك) وليس كما يتم تدوين الرجال في اعراقهم وطبقاتهم وحركاتهم، وأحياناً تدون انحرافاتهم وعبثهم والاتجار بهم ولم يذكروا مثالبهم في الحياة العامة ومساهماتهم في الحركات الاجتماعية الخاصة وأن كتب في بعضها فإنها كتبت من قبل الرجل وخدمة أهدافه الخاصة.

ديدني من هذا الاستهلال هو القول بأنه لا توجد مؤرخة أرخت بنات جنسها ولم يوجد تاريخ خاص بالنساء قبل عام 1960م إذ كانت الكتابات عنها تحصل بشكل هامشي وجانبي (إشاراتي) ثم هناك كتابات عن النخبويات برزنّ من خلال مؤرخين رجال واعتبروهنّ ملحقات بالرجل طبقياً أو عرقياً أو دينياً وهذا هو موقعها في المجتمع وهويتها في التاريخ وان لم يكتب بل يستنتج.

لا جناح من القول بأن نفوذ النساء كقوة اجتماعية يمثل تاريخ النساء فمثلاً عندما كان يؤرخ المجتمع الأمريكي بأنه يتم النفور والابتعاد عن تدوين الأمريكان من أصول افريقية ولاينية. وكانت هناك ثنائية تتناول الرجل والمرأة تكتب بشكل مزور ومشوه. ولما كان المجتمع الأمريكي متعدد الثقافات والاعراق فإن الكتابة عن المرأة من خلال عرقها وطبقتها وثقافتها تكون ملحقة بالرجل وعدم الكتابة عن كونها ترجع الى أصول افريقية ومقارنتها مع المرأة البيضاء. أن لم يكن للنساء نفوذاً سياسياً او اقتصادياً، لا يكتب عنهم في التاريخ ولا يكون لهم تاريخ مكتوب. لكن عندما نظموا أنفسهم وبدأوا ويطلبوا بحقوقهم بدأ التاريخ يكتب عنهم لأن نفوذهم يمثل مفتاح كتابة تاريخهم في الوجود الإنساني.

## 10 / أ - المواضيع التاريخية الخاصة بالنساء

ليس الهدف من كتابة هذا الموضوع هو الانتقام وتصفية حسابات مع المؤرخين الذين قصرُوا في اهتمامهم عند تدوين الأحداث النسوية ونشاطهم وإرقاء وعيهم. ديدني ومرادي في هذا الطرح هو مراجعة المراحل التاريخية لأطوار الفعل النسوي ومرافقهم المؤثرة وسلوكهم التابع للرجال لأن مردّ هذه التبعية يعود إلى كراهية الرجال للنساء والازدراء والاحتقار لها وكان هذا يمثل المهماز (الدافع) لظلمهم واخضاعهم واذعانهم لهنّ (للنساء) وتمسك الرجال بالسلطة البطريقية لتقوية تسلطهم عليهنّ وجعلهنّ ضحايا المجتمع. هذا الموضوع يمثل محور اهتمام النساء في الوقت الراهن بغض النظر عن اختصاصهنّ العلمية.

إن سياق الحديث يلزمني أن اتناول باقي المواضيع التاريخية الخاصة في المجتمع الغربي ألا وهو موضوع (الثنائيات) الذي يتبلور من خلال مقاومة النساء للسلطة البطريقية مع تركيزهم على قصص الجسارة والبسالة والشجاعة والاقدام والنضال والانجاز الذي حققته النساء لاسترجاع حقوقهنّ المغصوبة.

في الواقع هذه المرئية البديلة تشير إلى تاريخ النساء بأنه مازال لم يكتشف ولم تحصل إزاحة الاغطية عنه لأنه ينطوي على قضايا ذات تحدي جريء وسافر للتفكير التقليدي المتكلس حول أدوار الجندر. هذا من جانب ومن جانب آخر هناك تحدي صارخ واجهه رموز الحركة النسوية في بلورة ثنائية جندرية لا صلة لها بالطبقة ولا بالعرق بل ثنائية تعكس طرفين متناقضين مثل: الطبيعة مقابل التطبع، والعمل مقابل الأسرة، والشأن العام مقابل الشأن الخاص، ومحيط الرجل مقابل محيط المرأة. شبيهاً برموز الحركة النسوية في علم الاجتماع. هناك موضوع يعكس تداخل عناصر عدة ميادين في حقل واحد مثل (حقل التاريخ الاجتماعي) الذي استخدم نظريات ومناهج لعلم الاجتماع ليتفهم الصلة الرابطة بين الأنماط التاريخية والاجتماعية، هذا بدوره بلور ثنائية إضافية تدعى (التعددية الثقافية مقابل الثقافة الواحدة) التي تسلط الضياء على صلة الجندر بالطبقة والعرق والدين والاقليم. فثقافة الجندر مرتبطة بثقافات متعددة مثل الثقافة الطبقيّة والعرقية والدينية والإقليمية. هذا تعدد الثقافات المرتبطة بثقافة الجندر.

إن التغيير الاجتماعي غالباً ما يكشف المظالم والتحيزات والتعصبات التي تواجهها المرأة عند مساهمتها في الحياة اليومية وعلى الرغم من أغفالتها والتغاضي عنها من قبل التاريخ إلا ان حركة المجتمع تكشف ذلك مهما تم التعقيم عليها من قبل الرجل أو سلطته البطريقية.



## 10 / ب - المجتمعات البائدة

يقصد بها المجتمعات التي عاشت قبل ميلاد المسيح بألاف السنين وإن جلّ المعلومات المعروفة عنها والمستحصلة منها عن تلك المجتمعات مأخوذة مما كتبه الرجال عن تلك الحقبة الزمنية في الفنون والفلسفة والسياسة والدين وتحديدًا بدأت حياة تلك المجتمعات من العصر البرونزي (النحاسي) في الفترة الواقعة (3000 - 1200 قبل الميلاد) هذه الفترة أصبحت شاهد على ما قدمته المجتمعات عن الديمقراطية ومعرفة القراءة والكتابة والجمال والصحة أنها متناقضات متعاكسة عن أدوار المرأة التي كانت تعيش في تلك الفترة، فضلاً عن وجود جانب مظلم طغى على هذه الفترة كالحروب والعبودية والمنافسة القاتلة والعيش المتوحش بجانب الديمقراطية والعقائد الفلسفية. أنها حالة متناقضة استمرت لغاية عصر النهضة.

### 1 - المجتمع اليوناني - الاغريقي

هناك عدة صور متناقضة عن المرأة في المجتمع اليوناني وذلك راجع الى المكان والزمان الذي يتم تفسير تلك الصور. حيث هناك الامازون والمجتمع الأمومي فالآخرون يشير الى المرأة من عرف خرافي من المحاربات زعمت الأساطير الاغريقية بأنهن كنّ يقمنّ قرب البحر الأسود، طويلة ومسترجلة نزاعة للحرب وقوية. أما الأسرة الأمومية فهي جماعة نسوية من الأمهات، تُسلم السلطة بيد الأم وحتى النسب والوراثة يرجع اليها أنها مرحلة من مراحل تطور المجتمع الإنساني. يعد تاريخ اليونان بالغاز وأساطير تعرض الأمزونية كمحاربة قادرة على حمل القوس والسهم في الحرب. أما المحاربين اليونانيين فيتم إرسالهم الى أماكن نائية بعيدة عن بلدهم في العوالم البربرية لاختبار شجاعتهم وقوتهم ضد الأمزونيين لكن الأمزونيات خسرنّ قوتهنّ بعد الزواج وإن المحاربين اليونانيين يتدربوا على السلاح والصراع من أجل اقهار وهزيمة الأمزونيات.

اليونان: من أرقى الأمم القديمة حضارةً، وأكثرها تمدناً، خرج منهم العلماء والمفكرون والفلاسفة أمثال: أرسطو وأفلاطون وغيرهم ممن أسسوا مدارس فكرية، ومناهج فلسفية، حتى بلغوا من التقدم مكانة كانوا فيها قبلة العلماء والمفكرين، وتتلذذت على مناهجهم هذه أجيال من أهل العلم والفكر.

ولكن إذا أمعنا النظر في عصرهم الأول، وجدنا أن حالة المرأة فيه كانت غايةً في الانحطاط في جميع مجالات حياتها فلم يكن لها في ذلك المجتمع منزلة أو مقام كريم، بل كان يعتقد أن المرأة هي سبب جميع آلام الإنسان ومصائبه، وأنها مخلوق في الدرك الأسفل من المكانة، لذلك فقد كانت في غاية المهانة والذل وإهدار

الكرامة، إلى حد أنهم كانوا لا يجالسونها على مائدة الطعام، وبالأخص إذا كان عندهم ضيوف غرباء، فشانها شأن العبيد والخدم.

استمر الأمر هكذا، ثم تبدلت الأحوال، وارتفعت مكانة المرأة في المجتمع، وأصبحت أحسن حالاً، وأرفع منزلةً من ذي قبل، حيث أصبحت ربة بيت، لها فيه نفوذ تام، وكان عفافها وشرفها من أغلى وأنفس ما يملك، ومما ينظر إليه بعين التقدير والتعظيم، وكان يعد زواج المرأة وملازمتها لزوجها دون غيره من أمارات النجابة والشرف.

وكانوا ينظرون إلى حياة العهر والدعارة والفجور: نظرة كره وازدراء، هذا في عصر كانت الأمة اليونانية في أوج مجدها وحنفوان قوتها وشبابها، وكان ما عندهم من مفاصد خلقية منحصرة في نطاق محدود.

ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على أهل اليونان، ويجرفهم تيار الغرائز البهيمية والأهواء الجامحة فتبوات العاهرات والمومسات مكانةً عاليةً في المجتمع لا نظير لها في تاريخ البشرية كله، وأصبحت بيوت العاهرات مركزاً يومه سائر طبقات المجتمع، ومرجعاً يلجأ إليه الأدباء والشعراء والفلاسفة.

ثم زادهم حبهم للجمال والافتتان به تمادياً في الغي، وارتطاماً في حمأة الرذيلة، وأضرم في قلوبهم ناراً للشهوة لا تخدم.

فالتماثيل العارية – والتي تفننوا في إتقان صنعتها – كانت هي التي تحرك فيهم الشهوات دائماً، وتمد في غرائزهم البهيمية، ولم يخطر لهم ببال أن الاستسلام للشهوات شيء ذميم في قانون الأخلاق، كما أن الاندفاع وراء تيار الأهواء عار وهجنة.

وتبدلت مقاييس الأخلاق عندهم إلى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الأخلاق عندهم لا يرون في الزنى وارتكاب الفحشاء غصاصةً يُلام المرء عليها أو يُعاب.

وقد صاحب هذا التحول في الفكر صياغة الأساطير حول المرأة، كما اتخذوا إلهاً للحب أسموه: الإله كيوبيد إله الحب (KUPID)، وأصبح عامة أهل اليونان ينظرون إلى عقد الزواج نظرة لا مبالاة وعدم احترام، لأن المرأة أصبحت عندهم في متناول كل يد، وباستطاعة أي رجل أن يخادنها علناً دون خوف أو وجل، ودون عقد ولا نكاح.

استمر الأمر بهم على هذا المنوال، وأحجم كثير من الناس عن الزواج هرباً من الارتباط العائلي وتحمل مسؤولياته وتبعاته.

وكانت انعكاسات هذا الانحلال الخلقي، والفساد الاجتماعي، وتقطع الروابط الأسرية في غاية السوء، وفي كل يوم يمر ينهدم جزء من هذه الحضارة العريقة، حتى بادت بعد أن سادت، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك:

" سنة الله في الذين خَلُّوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً " صدق الله العظيم

[<https://islamsyria.com>]

لقد كانت المرأة عند اليونان الأقدمين، مسلوقة الحرية والمكانة، في كل ما يرجع إلى الحقوق الشرعية، وكانت تحل في المنازل الكبيرة محلا منفصلا عن الطريق، قليل النوافذ، محروس الأبواب، واشتهرت أندية الغواني في الحواضر اليونانية، نظرا لإهمال الزوجات، وأمهات البيوت، وندرة السماح لهن بمصاحبة الرجال في الأندية والمحافل المهيبة، وخلت مجالس الفلاسفة من جنس المرأة، ولم يشتهر منهن امرأة نابهة إلى جانب الشهيرات من الغواني، أو الجواري الطليقات.

فالأثنيون من اليونان ينظرون إلى المرأة كمتاع، وربما يعرضونها في السوق للبيع فيبيعونها، وكان لك ضمن حقوق الزوج المألوفة لديهم، فضلا عن ذلك فقد كانوا يعتبرون النساء عامة رجس من عمل الشيطان، وعلى ذلك المبدأ كانوا يحرمونهن من حقوقهن الشرعية والإنسانية، كما كان قدماء اليونان يعتقدون: أن المصائب في الآمال، والفشل في نيل المطالب إنما يأتي من غضب الأصنام المعبودة لديهم، ولذلك فعند حلول أو نزول نكبة أو مصيبة أو فشل بالمجتمع كانوا يقدمون البنات قربانا لتلك الآلهة الباطلة، من أجل أن تدفع الضر عنهم.

فقد روى التاريخ: أنه عندما وقع الخلاف بين اليونان وأهل تروا (أناطولية) واضطروا إلى الدخول في الحرب، وقاموا بإعداد قواهم، وسفنهم الحربية، ولكن الجو لم يساعد على حركة السفن، ومكثوا في الساحل منتظرين ثلاثة أشهر تقريبا، ولم يأتي فرج لهم حتى ضاقوا ذرعا، وشكوا حالهم إلى رئيس الكنيسة، وطلبوا منه معالجة الأزمة، فحكم بتقديم ابنة – أجا ممنون – إمبراطور اليونان في عهده قربانا إلى الآلهة.

كما كان اللاتينيون من اليونان يبيحون للرجل الزواج بمن شاء من الزوجات، دون تحديد للعدد، وفي أيام تغلب اليونان على مصر – زمان الملك فيلوباتور – منعت المرأة من التصرف في المال إلا بإذن زوجها، وصار كل شيء للرجل، ولا حق للمرأة في التملك، نظرا لأن الرجل هو مصدر الثروة، وصاحبها الأول، ومهما يكن لها من حق فهي عندهم دون الرجل.

فلم يكن من حق المرأة اليونانية مباشرة التصرفات القانونية، وكانت تخضع لنظام الوصاية أو القيامة الدائمة لأبيها قبل الزوج، ثم لزوجها بعد الزواج، ثم لابنها

الأكبر بعد وفاة زوجها، كما كان من حق الزوج أن يختار من خلال وصيته وصيا أو قيما على زوجته، كما حُرمت المرأة اليونانية من الميراث، وكانت الدوطة اتلي تحصل عليها من أبيها قبل زواجها في مقابل ذلك الإرث، هذا بخلاف العزلة التي كانت تعيش فيها المرأة بعيدا عن المجتمع كأنها من متاع المنزل. ومن أبرز ما وصفت به المرأة على يد الفلاسفة اليونانيين، ما قاله: (يوستين) خطيب اليونان الشهير – حيث قال: إننا نتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين فقط

أرسطو: المرأة رجل غير كامل، وقد تركتها الطبيعة في الدرك الأسفل من الخلقة، وأن المرأة للرجل كالعبد للسيد، والعامل للعالم، والبربري لليوناني، وأن الرجل أعلى منزلة من المرأة. إن الطبيعة لم تزود المرأة بأي استعداد عقلي يعتقد به. أفلاطون فقد كان يرى في مدينته الفاضلة: أن تكون النساء ذوات الأجسام السليمة الخاليات من العيوب البدنية متاعا مشاعا للرجال الأصحاء الأقوياء لإنجاب أطفال أصحاء. كما كان يرى: أن المرأة رجس من عمل الشيطان، بعيدة عن رحمة الله، لحملها خطيئة أمها العليا حواء.

كلوريتلوس: لقد اندهش (كلوريتلوس) وهو أحد المؤرخين الكبار في الحضارة الرومانية، اندهش من الرجال في الحضارة الإغريقية، كيف إنهم كانوا يشعرون بالعار إذا اصطحب الزوج زوجته إلى مأدبة طعام.

أما الطائفة الإمبراطوية من اليونان: فكانوا يمنعون الرجل من تعدد الزوجات، ولكنهم يسمحون للمرأة أن تتزوج بأزواجها متعددين كماء تشاء، فكن نساء اليونان من هذه الطائفة يزاوون هذه العادة المرذولة، ويُقبلن عليها بكل حرية، هذا وقد كانت معاملة المرأة في اسبراطة أكثر إنسانية منها في أثينا، فكانوا يمنحونها حق الإرث، وحق الظهور والحرية، وهذا ما كان أرسطو يعيبه عليهم، ويعزو سقوط اسبراطة واضمحلالها إلى هذا الإسراف في الحرية الممنوحة للمرأة في اسبراطة. وإن كانت هذه الحرية الممنوحة للمرأة في اسبراطة، ليست وليدة حق مكتسب لها، وإنما جاءت نتيجة اضطرارية لأن الرجال كانوا يعملون في القتال، ومشغولون به عن غيره، فكانوا يتركون ما عاداه لتصرف المرأة في غيبتهم، الأمر الذي أفسح الطريق أمام المرأة للخروج للمجتمع المدني والتحرر من عزلتها.

ولقد أدى تدهور وضع المرأة في اليونان، واحتقارها، وإهمال الرجال لها إلى انتشار الشذوذ الجنسي بين الطرفين أو الجنسين حتى أن عشق الغلمان كان يعترف به القانون اليوناني

ولأن حواء في اسبراطه حصلت على مكاسب عديدة بخروجها إلى الحياة العامة فقد لمعت النساء من خلال التردد على الأندية والاختلاط بالرجال الأمر الذي أدى إلى شيوع الفواحش، وكثرت العلاقات الغير سوية بين الرجال والنساء.

فنظرة الإغريق للمرأة كانت مليئة بالاحتقار حيث تستعمل المرأة كأداة للإنجاب فيما يتفرغ الرجل لعشيقاته وجواريه وغلمانه ويدفنها تحت الحجاب ليقلل حركتها، فكان حجاب المرأة اليونانية حجاب كامل لا يظهر فيه سوى العين.

فقد كانت المرأة الإغريقية مسلوبة الإرادة في كل شي وخاصة المكانة الاجتماعية، فقد كانت محرومة من القراءة والكتابة والثقافة العامة وقد ظلمها القانون اليوناني فمنعها من الإرث كما إنها كانت لا تستطيع الحصول على الطلاق من زوجها وعليها أن تظل خادمة مطيعة لسيدتها ورب بيتها.

وكان الإغريق ينظرون إلى المرأة كما ينظرون إلى الرقيق ويرون أن عقلها لا يعتد به، وقد كانت الفتاة الإغريقية لا تغادر منزلها حتى يتم زفافها، ولم تكن الزوجة ترى وجه زوجها إلا ليلة الزفاف وكانت الزوجة تختفي من المنزل إذا استضاف الزوج صديقاً له

ورغم أن الحضارة الإغريقية تقدمت ولمع اسم المرأة في نهاية عهد الإغريق إلا أن المرأة لم تنل حريتها أو تحصل على حقوقها بالمفهوم الصحيح بسبب انشغال القادة والمفكرين بحياة الترف وانتشار الانحلال الأخلاقي.

وحتى تقدمها كان على حساب تكوينها الجسماني ومظهرها الخلقي لا غير، فنحنوا في نحت التماثيل الفاضحة ونقش الصور المكشوفة وجعلوا من المرأة رمزاً للجمال والحب والعشق ومصدراً للشهوات الحيوانية والأهواء الوحشية، وبهذا فقد حصروا النظر إلى المرأة كأنها إنسانة ساقطة لا تعدو عن كونها صورة خليعة أو تمثال من البرونز، يركعون بين يديه إكباراً لنواحي الجمال التي يبرزونها فيه.

وكان من جراء جريهم وراء الشهوات الحسية أن تغلبت عليهم المادة، وجرفهم تيار الغرائز البهيمية وسيطرت عليهم الأهواء الجامحة، ولم يبق من تاريخ المرأة عندهم إلا صورة فاضحة نقشها رسام مبدع أعجبت ريشته كل من كان يفضل الخلاعة والتي انتشرت بشكل كبير جدا في الحضارة اليونانية القديمة.

هذا ولم تتغير النظرة إلى المرأة اليونانية في العصر الحاضر، فما زال ينظر إليها على أنها صاحبة اللسان، الذي يشبه السيف، ولا يلحقه الصدا.

[mrx540.blogspot.com]

الشريكة: كتب علماء الآثار المختصين في العصر الحجري الحديث ولغاية العصر البرونزي عن ولادة المدينة اليونانية وسيادة الإرث الأمومي Matrilineal المبني

على نسب الأم والرجوع اليه و ثم اعتبارها الهة ذات شأن عالي ومعبودة من قبل الجميع وذات قوة نافذة تمثل الكهنوت والملكة. فلم تكن هناك سلطة متفردة بالسلطة الامومية ولا سلطة متفردة بالسلطة البطريقية ولما كانت المرأة تتمتع بمكانة عالية فإن الرجل كانت مكانته أوطئ لكنها غير تابعة لمكانة المرأة وكانت ذروة المساواة بين الرجل والمرأة هي عندما يكونوا في عبادة الالهة في جزيرة كريت التي كانت فيها حضارة مينوين Minoan في الفترة الواقعة بين 3000 – 1100 قبل الميلاد هي من أقدم الحضارات اليونانية وفي أوروبا عموماً تعود الى العصر البرونزي موطن الحضارة وأصبحت في ذروة شهرتها في الالف الثالث قبل الميلاد ازدهرت فيها الفنون والآداب والتعقيدات الاجتماعية والازدهار العلمي والتقني وسيادة السلام فيها. اتسمت حضارة المينوين في جزيرة كريت بما يلي:

- 1 – بناء اجتماعي قائم على المشاركة السلوكية بين الرجل والمرأة.
- 2 – كلاهما مسموح لهما – جزئياً – بممارسة العلاقات الجنسية.
- 3 – عند ازدهارها انخرطت المرأة بشكل أكثر في ممارسة حريتها الجنسية.
- 4 – بسبب قلة القيود المفروضة على حشمتها وعفتها.
- 5 – ركزت هذه الحضارة على التفاعل والتواصل أكثر من الانفصال والانعزال بين الجنسين.
- 6 – غياب الحروب والملكية الخاصة والبناء الطبقي والعنف والاعتصاب.
- 7 – لا يوجد تدرج اجتماعي مبني على الجندر الذي لم يكن معروفاً فيها.
- 8 – تم وصف زمن هذه الحضارة بالعصر الذهبي وهذا ما أكدته الاساطير اليونانية.
- 9 – يعمل الرجل مع المرأة كمشاركين وليس كرئيس ومرؤوس وكلٍ منهما يدعم ويساعد الآخر في العمل.
- 10 – استمرار نفوذ المرأة لا يعني أو يمثل السلطة الأمومية – الانثوية المتسلطة بل المعتدلة.

لكن عبر الزمن بقي النسق مستمراً في الخط الانثوي الذي تم استبداله فيما بعد بالخط الابوي والالهة هي التي حددت العالم القديم لكنها لم تستمر في مركزيتها بل انهارت وحل محلها الخط الذكوري.

يرى اليونانيون مكانة المرأة متدنية وإنها منحطة في المجالات السياسية والاجتماعية والقضائية. إلا أن الفيلسوف افلاطون دعا الى تعليم البنات أسوة بتعليم الذكور وان تفتح كافة المدارس لهن لكي يصبحوا فيما بعد حكاماً لأن

للمرأة وسامية وهي بهذا السمو أفضل من الرجل ذا منزلة المتدينة والدنيء وإن المرأة والرجل خلقوا باستعدادات فطرية واحدة متساوية.

أما أرسطو فقد قال عنها يجب على الزوج ان يتحكم بزوجته وبأطفاله ولما كان العبيد مستعبدين من قبل الرجل الحر فإن على المرأة أن يتم التحكم بها من قبل الرجل وخلاف ذلك يعني حصول انتهاك للنظام البشري لأن الرجل مبدع بالسياسة والإدارة والثقافة، بينما المرأة في الجانب الآخر سلبية يجب ان تقبع في المنزل لأنه هو مكانها الطبيعي وهي مجرد كائن تنتظر الرجل الحيوي والنشط ليحولها الى كائن منتج ولولاه فإنها لا تعني شيء.

في الواقع هذه أفكار متعصبة ومتحيزة للرجل تدل على الجور والظلم الذي يمارسه الرجل على المرأة وكفيلسوف مثل أرسطو كان عليه ان يدافع عن المظلومين مثل النساء ويبرز فاعليتها وجدواها في المجتمع وهو يعيش في أرقى حضارات العالم في ذلك الزمن.

## 2 - المجتمع الأثيني (مجتمع أثينا)

يمكن وصف المرأة الاثينية بالصفات التالية: -

- 1 - يُنظر اليها وكأنها سلعة أو قطعة أثاث منقولة.
- 2 - تحتل المحظيات مكانة أفضل من الزوجة ومربية الأطفال عند الزوج.
- 3 - طلاق الزوجة نادراً ما يحدث إلا انه ممكن وقوعه.
- 4 - تصنف المرأة الاثينية تحت صنف القاصر حالها حال الأطفال والعبيد.
- 5 - يملك الزوج قوة الحياة والموت على الزوجة.
- 6 - هناك طبقة من النساء زوجات المحاربين يتمتعن بثروة وأملاك أزواجهن عندما يكون بعيداً عنها في مهمة حربية أو حكومية تطول مدة غيابه عنها.
- 7 - يقمع الاثينيين المرأة بشدة لدرجة ان لا الثروة ولا الأملاك تعوضهم عن تلك القسوة المفرطة عليهم.
- 8 - يحق للرجل ان يستولي على أملاك نساء اقاربه وتُجبر بالتنازل عنها له.
- 9 - تمثل النساء طبقة متدنية ومنحطة ومستغلة اقتصادياً واجتماعياً.

[Loraux. 1998. Pp. 25 – 29]

ولكي نجول طردياً مع ما أسلفنا عن المجتمع الاثيني نشير الى انه كان يمارس المراقبة المشددة والمباشرة على المرأة خارج المنزل وداخله. إذ لا يتسامح معها أمام الناس وفي الأماكن العامة باستثناء في المناسبات العزائية - الجنائزية الخاصة بالنساء فقط. أما داخل المنزل فهي قابعة فيه بشكل منعزل وتلبس ملابس

الحداد ولهنّ ركن أو قسم خاص بهنّ داخل المنزل تقيدّ فيه حركتهنّ ويخضعنّ لمراقبة مباشرة ومستمرة وبالذات مراقبة سلوكهنّ الجنسي لدرجة ان حكومة أثينا لديها شرطة خاصة بمراقبة النساء والتركيز على عفتهنّ.

لكن على الرغم من هذه القيود المشددة هناك صنفين من الجماعات النسوية في المجتمع الاثيني وهما:

الجماعة الأول – مجموعة من النساء يرسمنّ ويخططنّ للدسائس والمؤامرات السياسية للرجال من أجل إيصال ابناءهم أو أزواجهم لمواقع نفوذية متسلطة. الجماعة الثانية – متألفة من المحظيات اللواتي يمتلكنّ درجة عالية من الجمال والذكاء والاناقة والرشاقة وخفة الدم والدعابة المرحلة من المحظيات.

هذا على صعيد النساء، أما على صعيد الرجال فقد انتشرت حالة الشذوذ الجنسي كموضة عندهم فذهبوا الى اصطحاب صبية صغار السن يمارسوا اللواط معهم. بذات الوقت يستطيع ان يحوّل متعته الجنسية من الصبية الى النساء.

ليس هذا فحسب فقد ظهرت ظاهرة أخرى عند الرجال في القرن الرابع قبل الميلاد وهي مفاضلة المحظيات على الزوجات لكيلا يتحمل الرجل مسؤولية عائلية مع زوجته وأطفاله فكان لدى الرجال محظيات من صاحبات الخبرة في اللهو والمرح والدعابة فكانت مكانتهنّ عند رجال الاثينيين أفضل من مكانة زوجاتهم.

### 3 – المجتمع الاسبارطي

مجتمع عسكري في حياته العامة حيث يُنشئ اطفاله من الذكور على التدريبات العسكرية والحربية لدرجة أنه يستخدم (وأد الأطفال) إذا كانوا لا يتحملوا أو يمتلكوا اللياقة البدنية والصحة الجسدية عندها يقتل (وأداً). وأما البنت فهي كذلك إذا كانت لا تتصف بالصفات الجسمانية والجمالية تُقتل ايضاً وهي طفلة.

يتم تدريب الذكور على فنون القتال والحرب مستمراً هذا التدريب لحين بلوغه الثلاثين عاماً من عمره يُعزل عن زوجته لكن تتخللها بعض الزيارات التي تقوم بها الزوجة لزوجها. أما في حالة غياب الزوج عن زوجته وهو في ميدان التدريبات العسكرية او في مهمات حكومية خارج بلدته فإن النساء (الزوجة والبنات) يتمتعنّ بحرية شخصية إنما لا يمنه ذلك من الاستمرار بمسؤوليتهم في تربية الأبناء والتدبير المنزلي لكي يستمروا في تربيتهم ليتهيؤوا الى المرحلة التدريبية العسكرية وكذا الحال مع البنات لكي يكونوا اصحاء وجميلات. بيد أن نساء اسبارطة يتمتعنّ بحرية أكثر من نساء أثينا وهذا ما جعل (نساء أثينا) توجيه النقد لنساء اسبارطة حيث قالوا عنهم بأنهنّ يصطحبهم الشباب



الى حلبات المصارعة وهنّ شبه عاريات وورك عاري تماماً وهذا شيء مخجل ومعاب. للأسبارطة امتيازات متفوقة على الاثنية وهي لها الحق في الإرث أي ارث الملكية والمهر (الصدّاق) لكن تبقى تحت مراقبة زوجها وأخيها وأبيها. أخيراً فإن البارز على النساء الاسبارطيات بأنهنّ تابعات للرجل ومجموعات من قبله.

#### 4 - المجتمع الروماني

يبدأ تاريخ روما من عام 753 قبل الميلاد حيث كانت امبراطورية متجاوزة تطور القبائل الجرمانية وبالذات في القرن الخامس قبل الميلاد حيث وصلت روما في تطورها وهي مكتسبة المقومات الثقافية والاجتماعية والسياسية واستمرت في تأثيرها على أدوار الجندر عكست صور تتحدث عن ثراء ومحن الإمبراطورية لدرجة ان حقوق وصلاحيات المرأة في أواخر أيام الإمبراطورية كانت على نقيض صلاحياتها التي صدرت في بدايتها لكن مع كل تلك التطورات بقت المرأة تابعة للرجل لا يمكن فصل صورتها عن صورته لأنه متسلط عليها وهي معتمدة عليه. وعلى الرغم من ذلك فإنه عند مقارنتها مع المرأة الاغريقية تكون الرومانية ذات معدل عالٍ ومذهل في الحرية يفوق معدل حرية الاغريقية. هذا من جانب ومن جانب آخر هناك سلطة الرجل التي كانت في بداية عمر الإمبراطورية داعمة بقوة لمكانة ودور المسنين من الرجال في العائلة إذ له سلطة مطلقة ونفوذ يفوق على كافة أعضاء الأسرة ذكوراً وإناثاً لدرجة ان سلطته تصل الى إيقاع الموت أو الإعدام لأحد افراد اسرته إذا كان هائماً على وجه الأرض أو متمرداً أو عاقاً على سلطته ليس هذا فحسب بل إذا تعرضت الأسرة الى ضائقة مالية فلا يوجد أحد يردعه من بيع الأطفال كعبيد لتسديد احتياجات الأسرة المالية. أما البنات فهنّ تحت سلطة أبو الأسرة طيلة حياته لكن عندما يتوفى يتحرر الأبناء من سلطته وتسلطه إنما إذا كان على قيد الحياة فإن الأبناء والبنات يبقوا تحت سلطته حتى بعد زواجهم وخروجهم من المنزل ليعيشوا في منزل منفصل. إن الأب أو الزوج أو العم أو الأخ تكون لهم مكانة أبو الأسرة على النساء. وهذا يعني إن للأزواج تحكم يمارسوه بمعدل محدود في السيطرة على زوجاتهم لأن كبير السن مازال على قيد الحياة وهو صاحب السلطة المطلقة بيد أن لهذه السلطة المطلقة إيجابيات تعود للنساء على المدى البعيد وهي عند الوسايا وتقديم المساعدة المالية لهنّ إذا تطلب الحال أو أن زوجها تصيبه أزمة مالية تعيق عيشتها برفاهية ويسر.

وفي ظل الأوضاع هذه كان أبو الأسرة يمارس مسؤوليته الرعائية بحذر شديد وبالذات مع وصايته ورعايته للمرأة. هذه المسؤولية المطلقة سببت له اعباءً كثيرة ومتنوعة المسؤوليات وعند القرن الأول قبل الميلاد تمت المصادقة على تشريعات سمحت للمرأة أن تتحرر وتتعق من رعاية الرجل إذا كانت مسئولة عن رعاية ثلاثة أطفال وكان هذا مقياساً لاستقلالها فيما بعد. لكن روما مثل اسبارطة كثيرة الحروب مما أدى ذلك الى انخفاض معدل الولادات والتخلي عن أبوة الأسرة مقابل وظيفة جديدة للمرأة وهي أن تكون لديها ثلاثة أطفال ترعاهم.

### نفوذ المرأة وقوتها في روما

المرأة الرومانية حالها حال كل امرأة في التاريخ القديم لديها نفوذ عالٍ لكنه خالٍ من ممارسة السلطة على الرجل لكن عند مقارنتها مع الاغريقية نجدها تمتلك دوراً واسعاً في الحياة المدنية فقط لا يتجاوز المجال الديني إذ بقت متحجرة من قبل العبادة الدينية من خلال عذراء فيستال (Vestal virgin) (هي عذراء مكرمة لخدمة فيستل ربة النار الموقدة عند الرومان) ومن خلال هذه العذراء المكرمة يتم اختيار عدد قليل من النساء ليقيمن بالمهام العامة. أنها تعلم بإنها في نهاية المطاف ستكون زوجة وأم وربة بيت عندما يكون زوجها مشغول في المهام العسكرية والحربية وترث الميراث. وإن نساء الطبقة العليا لديهن فرص كبيرة في التعلم والأداء الموسيقي والرقص والفن لأنهن يتحدين النظام بشرط ان يكون معهم الزوج أو الأب. أخيراً مُنحت الرومانية حق الطلاق ومنحت مسؤوليات افقرت اليها الاغريقية لها الحرية في معظم المجالات باستثناء المجال الديني مع بقاء وجودها مرتبطاً بوجود الرجل. [Lindsey. 2011. Pp. 104 – 108]

نستشف من العرض الأنف الذكر أن الرجل مرتبط بالمرأة والمرأة مرتبطة بالرجل، غنما هذا الارتباط يتسع ويضيق حسب المؤثرات الزمانية والتطورات الاجتماعية والعسكرية والدينية تتحول هذه الرابطة من البيولوجية بين الرجل والمرأة الى الاجتماعية عبر الأدوار والمكانات والنفوذ والطبقات والتدرج والمهن والدين وجميعها تخضع لنظام تقسيم العمل في الأسرة والمجتمع.

البارز للعيان في أدبيات النساء في التاريخ البشري بأنه مفقود وغير مدون وموثق لكونه (التاريخ البشري) مكتوب من قبل الرجال اولاً وإن اهتمامهم يتركز على مصالحهم وسلطتهم وقوتهم وثروتهم ونشاطهم. أما النصف الثاني من التاريخ فلا يهتم به ولا يشار اليه (عن دور ومكانة الزوجة وتنشئتها لأبنائها ومساعدتها له في الحقل والورشة والمصنع والحروب) أي لم يدونوا موقعها في تاريخ المجتمع لا كرهاً لها بل لأنها بعيدة عن الاحداث الساخنة في السياسة

والحروب والاكتشافات بسبب انشغالها في التدبير المنزلي والأنجاب. فالقصور يقع بالدرجة الأساس على المرأة قبل الرجل إذ لم تكن هناك مؤرخات مقابل المؤرخين قبل نشوء الحركات النسوية بعد منتصف القرن العشرين. ثم ان التاريخ يُكتب عن العظام من الزعماء والاقوياء والمتنفذين والأثرياء وليس عن الضعفاء أو المهودور حقهم. أقول ان التاريخ لا يكن موضوعياً في تدوينه أو محايداً في رصده للأحداث وهذا سبب ثاني في غياب تاريخ النساء عبر الزمن.

لا جناح من القول بأنه ليس بمثلبة ان تقوم المرأة بالتدبير المنزلي وأن تكون زوجة وأم تساعد زوجها في عمله (الحقل أو الورشة) بل هي مقدره فائقة ومتميزة تتمتع بها المرأة لولا هذه الأدوار الأربعة الرئيسية لما استمرت الأسرة في عيشها. فهي منقبة وليست مثلبة للمرأة أكثر من إيجابيات الرجل.

إنما هناك كتابات تطالب المرأة أن يكون لها دور في السياسة والاقتصاد والتمثيل النيابي لكي يتم كتابة تاريخها، إلا أنى قول ان هذا المطلب يكون على حساب أدوارها الأربعة البناءة للأسرة (أي تقتصر في تدبيرها المنزلي وتكون زوجة ظرفية أو وقتية وأم بيولوجية أكثر مما لو تكون مربية اجتماعية ومنفصلة عن زوجها في عمله) وهنا يحصل تفكك أسري غير حميد متجهاً نحو الانفصال ليصل الى الطلاق والى انحراف الأبناء أو الادمان على المخدرات والمسكرات من قبل الأبناء أو الأبوين.

بل حتى الحضارة الرومانية كانت فيها مكانة المرأة في بداية نشوء الإمبراطورية أعلى من مرحلتها النهائية وهذا يعني ان المعادلة كانت تخضع الى المؤثرات التي تمنح المرأة مسؤوليات سياسية واقتصادية وتمثيلية لتكن أوسع من الأسرية والزوجية والامومية وهنا تكون المسافة بينهما واسعه لكن مواقعهما تكون مختلفة وإذا يكون موقع المرأة أعلى من موقع الرجل.

زبدة الحديث وعلى الجملة (حسب تعبير ابن خلدون) مهما كانت أطراف المعادلة الجندرية سواء كان موقع المرأة أعلى أو أوطى من موقع الرجل يكون كلاهما مرتبطين جنسياً وأسرياً وثقافياً إلا انهما مختلفان موقعياً وهذا ما شاهدناه في الحضارات القديمة الاغريقية والرومانية.

بتعبير آخر، الجمع بين الأدوار الأسرية الطبيعية مع تحملها أعباء ومسؤوليات المجتمع الحديث الثلاثة في السياسة والاقتصاد والتمثيل النيابي هي اثقال وأعباء لا يتحملها الإنسان الطبيعي والعادي، بل يحصل تجاوز أحدها على الآخر. أقول أما أن تكون ناشطة سياسياً أو نيابياً لكن لا تكن مكانتها لأدوارها الزوجية والامومية والمنزلية عالية بل معوقة أن لم تكن متعثرة وغير موفقة.

(وهنا تكون المسافة بين الرجل والمرأة متباعدة وشاسعة وتكون مكانة المرأة أعلى من مكانة الرجل) فالسياسية أو الموظفة ذات المكانة العالية بسبب أدائها الدوري المتميز لا يساير ويتماشى مع مكانتها كزوجة وكأم وربة بيت أي أدنى وأقل درجة. لذلك وجدنا في الاحداث التاريخية ان موقع المرأة يتراوح كبندول الساعة (رقاصها) يتراوح ما بين طرفين مختلفين ومتنافرين سميت بـ (الثنائيات) (الطبيعية مقابل التطبع، العمل إزاء الأسرة، عالم الرجل أمام عالم المرأة) إذن إذا برزت المرأة في الطبيعة خسرت في التطبع وإذا نجحت في العمل أخفقت في الأسرة. بل حتى الرجل لو قام بذلك لفشل أيضاً لأن طاقته لا تختلف عن طاقة المرأة لأنهما خلقا باستعدادات واحدة ان لم تكن متشابهة.

فلما كانت مكانة المرأة عالية في المجتمع الأمومي كانت مكانة الرجل أوطئ منها إنما هناك استثناء في حضارة المينوي في جزيرة كريت (3000 – 1100) قبل الميلاد كانت هناك مشاركة بين الجنسين في المعمل والمنزل بيد أن هذه المشاركة لم تستمر بسبب متطلبات التغيير الاجتماعي والحروب والديانات التي قبلت ميزان المشاركة لصالح الرجل والانغمار في الحروب واستخدام القوة والصراع من أجل الملكية والسلطة مما دفع ذلك بالمرأة لتعمل طول وقتها في المنزل وتدبير شؤونه فحصل فيض في عدد النساء من جراء الغزو والحروب فظهرت المحظيات استخدمها الرجل بديلاً لزوجته وفضلاً إياها على زوجته طلباً للاستمتاع الغريزي ليس إلا. وبرزت قوة الرجل كسلاح ضد المرأة لكيلا تنافسه في السلطة فاعتبرها قاصرة أو سلعة وعنده له مستغلاً إياها في الانجاب والخدمة وجعلها تمثل طبقة متدنية أدنى من طبقته وكان هذا في أثينا ومما زاد من غروره وسموه منح للاستمتاع الجنسي مع الصبية قبل زواجه من المرأة. الصورة باتت واضحة في المجتمع العسكري – الاسبارطي – الذي وأد كل بنت ولا يحمل الصفات الجسمانية اللائقة للقتال.

### 10 - ت - مكانة النساء في العصور الوسطى The middle ages

تبدأ هذه المرحلة من عام 306 – 337 قبل الميلاد عندما كانت الإمبراطورية الرومانية أبان حكم قسطنطين في حالة يرثى لها تعاني من سكرات الموت والتفسخ والانحلال. وإزاء هذه الحالة المتردية طرح قسطنطين قراراً بزواج بين الإمبراطورية والمسيحية لإنقاذ الأولى من خلال دعم المسيحية التي تمثل القوة المساندة لعدم تفكك الإمبراطورية الرومانية، غلا ان الأخيرة كانت في حالة انهيار متسارع وكانت بصيرة قسطنطين في التأثير على المسيحية ذات الدور الفعال والمتميز. انه لم يغزو أوروبا وكانت قبضته عليها محكمة، وهنا

جاء الدور المشترك بين عصر النهضة والاقطاع إذ لم يكونا متطرفين في تقليص نفوذ المسيحية وتنقذها إنما كانت مؤثرة على دور المرأة بالمقارنة مع دورها القديم الذي كان متدهوراً مما كُنَّبه الموقف الذي ساد أوروبا عندما سيطرت المسيحية على أوروبا أبان العصور الوسطى.

## 1 - المسيحية

عندما حصل الانحلال والتفسخ للإمبراطورية الرومانية والاعريقية حصل ما يلي: -

أ - أضحت الكنائس والأديرة مستودعاً للمسروقات والمسلبات والمنهوبات أبان الفوضى التي أعقبت انهيار الامبراطوريتين الرومانية والاعريقية.

ب - فأصبحت الكنائس والأديرة أماكن موثوق بها ومؤمنة.  
ت - تفتت قوى المثقفين فتركوا الساحة الثقافية مما وقع القراء والكتّاب والتعليم بيد القائمين على الكنيسة التي امتلكت الثقة في المعرفة وتفسير وترجمة الاحداث والقضايا.

ث - عندها باتت الكنيسة شاهد على مجريات الاحداث لا يمكن الطعن فيها أو الشك بمشاهدتها، أعني أضحت المطلق عند الناس آنذاك.

ج - اعترف كهنوت المسيح بالمساواة الروحية للجنس.

ح - لم يأخذوا بكرهية النساء التي كانت سائدة في التعاليم اليهودية.

خ - قدمت النساء خدمات خيرية ذات قيمة انجيلية ومعلمة للخدمات الاجتماعية للمؤسسات الحديثة النشوء.

د - وإزاء هذا الانفتاح على المرأة تمّ فتح الباب أمامها بالدخول الى التدرج الكنسي واشغال مناصب فيه عند اللواتي اختاروا الحياة الدينية كمنهج في حياتهنّ.

لعبت الرهبنة والأديرة دوراً فعالاً في خدمة النساء وبالذات أولئك المنحدرات من الطبقة العليا من اللواتي لا يرغبنّ بالزواج، تمثلت هذه الخدمة في تعليمهم وتوجيههم للعبادة دون شروط وقيود فأصبح الموهوبات منهنّ شاعرات وملحنات وفنانات إذ منحتهنّ الأديرة حرية الاستقلال والتقدير بعدما كانت النظرة اليهم عليها الشك، لكن تعليم الراهبات تأكل واضمحلاً عند وضع القيود على تملك المرأة للأرض لكن نساء أوروبا الكاثوليكية خدمنّ قطاع الراهبات في استقلالهم، أما نساء أوروبا البروتستانتية فقد تم تركهنّ بدون بدائل مقبولة للزواج.

أما كراهية النساء، فقد ظهرت اخيراً كلعبة كنسيّة معتمدة من قبل اللذين اكتسبوا التقاليد القديمة ذات القيود الصارمة على المرأة عندما تم الاستغناء عن

النساء في الميثاق الجديدة وعدم تعليمهم القراءة والكتابة وتفسير الكتاب المقدس الذي بات يتضمن معتقدات ثقافية تعرض انحطاط المرأة ووضع اللوم على حواء عندما وسوس الشيطان لها في أكل التفاحة فأنزلت البشرية الى الأرض.

بقي أن أشير في هذا السياق الى ان المسيحية غيرت موقفها من الزواج والطلاق بشكل مغاير لما كان سائداً في المجتمعات القديمة. إذ إن الزواج لا يمكن الغاءه أو قطع رباطه لأن الطلاق لا يمكن الحصول عليه ولا تسمح الكنيسة انتهاك حرمة الزواج مهما كان السبب (حقيقي أو غير حقيقي) لأنه رباط مقدس في نظرها وان الرجل لا يقدر ان يغادرها حتى – ولا أطفال عندهم فالطلاق لا يقع وهذه حماية للمرأة وحصانة لها من قبل الكنيسة.

## 2 – مطاردة الساحرات

هناك فترة زمنية اتصفت بالأكثر توحشاً في تاريخ النساء ألا وهي فترة القرون الوسطى التي سادت فيها كراهية النساء وبرزت على شكل مطاردة الساحرات. غ انحرفت النساء عن المعايير الاجتماعية السائدة فتبلورت معايير اجتماعية أخرى تعبّر عن معتقدات خرافية لا وجود لها في الحياة الواقعية مثل إذا بقت المرأة عازبة غير متزوجة بعد طلاقها (أي مطلقة) وليس لديها أطفال، فإنه يُنظر اليها على انها مستفزة جنسياً لا تبعث على الاطمئنان كذلك يُنظر اليها على انها متحررة ومستقلة جداً ومتنفذة في رأيها، فهي إذن ساحرة إنما متكررة. والنساء اللواتي منحدرات من طبقة اجتماعية عليها ويحبون خواتهم في المجتمع القديم فأنهنّ يكنّ متسلطات على باقي المكانات الأخرى للأخوات.

إذن يمكن تحديد مطاردات الساحرات في تلك الفترة الزمنية لكل من يملك: -  
أ – المال والجاه والسلطة.

ب – المعالجات والقابلات والمستشارات.

ت – المطلقات ممن لا أطفال عندهم.

ث – المنحدرات من طبقة اجتماعية عالية.

هذه هي اهداف الساحرات في مطاردتهنّ للأخرين لذا تكون مكانتهنّ (أي الساحرات) محترمات في مجتمعاتهنّ المحلية ويتجنّبوهنّ لأنهنّ يرمزنّ الى الشيطان وسخط الإله. معنى ذلك أن المال والجاه والمهنة لا تحمي المرأة أو الرجل من الساحرات بل يكونوا هدفاً مباشراً لمطاردتهنّ ومن هنا برزت كراهية الناس لهنّ أي لنساء لأن ارتبط اعتبارهم بالسحر والشعوذة المنافية للتعاليم الدينية المسيحية. نفوذ الاناث مبني على الممارسات العلمية الخاضعة للرغبة والمزاج المعزرة من قبل اللاهوت المسيحي ونظرتة الى الشغف الجنسي والشهوة عند

المرأة الذي لا يمكن العقلانية عندها وهذا ما سبب كراهية النساء (لأنها غير عقلانية وخضوعها لمزاجها وعاطفتها) واستخدامها السحر في مطاردة الآخرين فاقتربت مكانتها مع هذه الممارسات اللاعقلانية. وغن معظم ضحايا الأوروبيين كانوا من النساء إذ تم حرق الاف الساحرات لأنهنّ معادات للإله وإرادته ويثيرون غضبه وأن اعتراف الساحرة بسحرها يستوجب حرقها أو تعذيبها أو قتلها.

### 3 – الاقطاع Feudalism

يرتبط واقع الاقطاع واستمراره على دوام حدوث حروب ومالها من آثار عدوانية مؤسرة للعديد من الأسرى لخدمة المنتصر. يتألف المجتمع الاقطاعي من الاقطاعيين (السادة – مُلاك الأراضي) الذين يملكون الأرض وما عليها من عمال ووكلاء وعبيد، يقوم الاقطاعي بحمايتهم وإعالتهم من كلا الجنسين وهنا تصبح النساء خاضعات خانعات للدخول فيهنّ من قبل الاقطاعي في ليلة زفافهنّ قبل دخول ازواجهنّ عليهنّ، والاقطاعي هو الذي يختار زوجات وكتلائه وليس هم لأن زواجهم يعني اتحاد عائلتين ونسبين. وعند زواج المرأة تركع أمام زوجها تعبيراً عن طاعتها وخضوعها له، بعد ذلك تصبح هذه المرأة مشتركة في معاشرتها للإقطاعي والزوج لأنه (أي الاقطاعي) مالك الأرض ومن يعمل فيها ويعيش عليها. وهناك حالة تقديم الأب أو الأخ ابنته أو أخته وتقديمها كبديل للمهر لقاء زواجه من فتاة يريد الزواج بها يقدمها لوالد أو أخ الفتاة التي يريد الزواج منها. لأن الزواج عندهم عبارة عن وحدة أو اتحاد اقتصادي ونسبي وليس ارتباط – حبيبين – إذ تكون الزوجة مملوكة للزوج. وهناك فئة تأتي بعد الاقطاعيين وهم الوكلاء أو النبلاء الذين ينوبون عن الاقطاعيين ويمثلونهم أمام العبيد. وان المرأة (الزوجة) تكون ملك للزوج وللإقطاعي معاً بمعنى انها سلعة مقتنية لا وجود لها كإنسانة لها رأي أو قار أو مكانة بل أدوار خدمية للزوج وللإقطاعي للاستولاد وتربية الأبناء والتدبير المنزلي وهذا كله لا يتم بمشيئتها أو باختيارها بل مفروضة عليها من قبل السلطة الذكورية المستعبدة لها والمتحكمة فيها وبعذريتها وكرامتها وطاقاتها.

واستنتاجاً عما تقدم نقول بأن خنوع وركوع المرأة وانحطاط مكانتها تخضع لعدم امتلاكها للملكية والمال (فقرها المادي) واستمرار الحروب التي تطلب الرجال كقوة ضاربة وتأسير النساء وجلبهم للمجتمع المنتصر واستخدامهم كسلعة للأثراء في سوق النخاسين الذي بدوره يحط من مكانة زوجة المحارب كل ذلك

يقترن مع عادات وضوابط عرفية تخدم صالح الرجل التي من خلالها يتعالى على المرأة ويحط من مكانتها.

إذن الفقر والضوابط العرفية الذكورية والحرب تمثل فواعل قاهره وضاغطة على مكانة المرأة في استخدامها كسلعة معروضة للبيع والشراء والاستخدام والاستمتاع والأثراء (البشري والمادي والمعنوي). أقول انها هنا ضحية مكعبة المؤثرات يمارسها جاني مكعب الاستعلاء، بمعنى يقوم هذا المجتمع بالحط من مكانة المرأة بذات الوقت يرفع من مكانة الرجل ليجعلها متعالية وشامخة.

#### 4 - عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني The Renaissance

عصر النهضة الأوروبية كانت حركة انتقالية في أوروبا بين القرون الوسطى والعصر الحديث نشأت في القرن الرابع عشر في إيطاليا واستمرت الى القرن السابع عشر وقد تمزيت بالتأثير بالمفاهيم الكلاسيكية وازدهار الأدب والفن وانبلاج فجر العلم الحديث. انها حركة أو حقبة من النشاط الفني والعقلي الشديد، كانت لها منافع وامتيازات عامة استفادت منها المرأة على كافة المستويات في تعليمها الأرسطراطي وأصبحن نماذج مثالية في الادب والفنون وكان العديد منهن مرجعاً في حياته حقوقهن لا سيما النساء اللواتي برزن كعالمات وكاتبات وفنانات ومثقفات - ذات دماء نبيلة. كل ذلك اكسبهن اعتبارات وهيبات لإنجازتهن بذات الوقت كان هناك من النساء من يقاومن التحدي للتقاليد القديمة. **مارتن لوثر وإعادة التشكيل**

مع إعادة التشكيل Reformation (حركة الإصلاح الديني أو البروتستانتية في القرن السادس عشر) برزت فكرة مذهلة أصابت التدرج الكنسي وهي استثناء الناس من العبادة ووعظهم لعلم اللاهوت والتحرر من الكنيسة لأنها كانت مقيدة وصارمة جداً. ثم طرح مارتن لوثر دعوته الصريحة مفادها أن المسيحية تستقبل كل الناس على أساس العقيدة ثم انتقد (توماس الاكوينى) لأنه كان يرى المرأة بأنها غير ناضجة وغير كاملة واتهمها بإنها وحش. قام (لوثر) بالدفاع عن المرأة فقال عنها بأنها من خلق الله فهي إذن جميلة وليست وحش فرفع من مكانتها بذات الوقت طرح مفارقه لها فقال عنها ليست مسيئة للرجل إنما لها مكانة أدنى من مكانته لأنها منحطة وهو متعالى ليسوا متساويين في كرامتهما ومجدهما. أما نصوص اللاهوت فأكد على انها تتحمل العبء الأكبر من الخطايا بسبب اغواء الشيطان لها كحواء. وان النظام الطبيعي الإلهي حدد وظيفتها المنحصرة في الانجاب والقيام بالواجبات المنزلية والزوجية ومرافقة الرجل ومعاشرته. لكنها قلبت النظام الطبيعي واسقطته وشوهت صورته عندما زنت وهذا لا يتم تبريره





هؤلاء فسروا النصوص الكهنوتية لخدمة مصالحهم ومطامعهم وسلطتهم في استعباد المرأة جنسياً وانجابياً وتربوياً وتدبيرياً. ولأنها لم تملك السلطة ولا المال بل تملك الجاذبية الجمالية والمتعة الجنسية، إنما هي مجردة من السلطة والتسلط على الرجال وعلى الأبناء وإزاء ذلك استمسكوا (الرجال) بالنصوص الدينية أطلقوا عليها "النظام الطبيعي للآلهة" في المعاشرة والعشرة مع الرجل والانجاب منه وتربية ابناءه فابتكروا سبباً ماورائياً (ميتافيزيقياً) لإذلالها واحتقارها بعد مرور قرون من الزمن وهي ما قامت به حواء في أكل التفاحة والهبوط للأرض الذي وسوس الشيطان لها في ذلك. هذا تأويل لا يقبله العقل ولا الإنسانية بل المصلحة الغائية النرجسية ولم يعاقبوا الرجل عندما يخون زوجته. أي دين يقر ذلك؟ هذا تحريف في تعاليمه واجحاف في حقوق المرأة، كذلك استخدام رجال الدين ظاهرة الساحرات في المجتمع لإصاقها بمكانة المرأة مأولين ذلك بأنه عمل مدبر من أعمال الشيطان الذي لا يستطيع أن يقوم به إلا النساء وهذا ما زاد من كره الرجال للنساء ومعاملتهم معاملة منحطة ومحتقرة. السؤال هنا ألم يكن هناك سحره من الرجال؟ وألم يكن هناك منحرفين عن الحياة الزوجية من الرجل؟ لماذا لم يتخذ رجال الدين نفس الموقف معهم مثلما وقفوا ضد النساء؟ ألم يكن هذا تحيز وتعصب منفعل ومختلق معادي للمرأة ومعزز للرجل؟ لكونها لا تملك مالاً ولا أرضاً بل مجردة من النقود والنفوذ. وهذا عامل آخر على استرقاق النساء في فترة الاقطاع. يعني أنها عندما تتخلص من استعباد رجال الدين لها ووصمها بأسوأ وأتعس الوصمات المذلة باسم الدين الذي تحرّف تفسير نصوصه يأتي بعده استرقاق الاقطاعيين لها ولا ننسى المحاربين الذي يأسرون النساء في كل حرب ويستعبدوهم في سوق النخاسيين ويستخدموهم كمحظيات. هذه المؤثرات الثلاثة استولدت السلطة البطريقية الذكورية المعززة لمكانة الرجل عليها.

لكن عندما جاء عصر النهضة الأوروبية وحركة الإصلاح البروتستانتي تم عتق النساء من قبضة رجال الدين وهيمنة الاقطاعيين عندها استفادت النساء من هذين العصرين فبرزن في العلم والادب والفن.

أخيراً نقول، بأن التعصب والتحيز ضد المرأة المنفعل والمختلق من قبل رجال مالكي السلطة والمال لاستعباد المرأة في الاستمتاع الجنسي وإنجاب الأولاد لهم وتربيتهم وتدبير منزلهم. إنما هذا لا يتم إزالته تلقائياً ولا من قبل الرجل بل من قبل قوى نسوية منتظمة ومتماسكة وباهرة في إداء عملها خارج

المنزل وفي ورش ومعامل عندئذ يتم استبعاد الرجل عن تعصبه وتحيزه ويتحقق استرجاع حقوق المرأة في المواطنة وهذا يتطلب جهداً مكثفاً وذكياً ووقتاً طويلاً.

## الفصل الحادي عشر أطوار الجندر في المجتمعات الحاضرة

استهلال

- 11 / أ – الضحية المطحونة في الجندر الروسي
- 11 / ب – الجندر الصيني.... وانتكاس إصلاحه
- 11 / ت – الجندر الياباني.... سلعة مؤقتة غير دائمة وثابتة
- 11 / ث – تخضيب الجندر الهندي لجعله رمزاً وطنياً
- 11 / ج – الحكمة في الجندر الاندونيسي
- 11 / ح – الجندر اللاتيني.... الأكثر جنواً وانصياعاً
- 11 / خ – الجندر في العالم الإسلامي.... بين حجابين
- 11 / د – الجندر العربي.... المستسلم لنمطه الثقافي
- 11 / ذ – الجندر الإسرائيلي.... مساواته على ورق فقط
- 11 / ر – الجندر الاسكندنافي.... النموذج الأمثل في مساواته

## الفصل الحادي عشر أطوار الجندر في المجتمعات الحاضرة

### استهلال

تبدأ مساحة هذا الطور بداية القرن العشرين ولغاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين التي ستغطي فيه العوامل المعززة والمغذية للاختلافات الجنسية (بين المؤنثة والمذكر) ومحاربتها للمساواة الجندرية في المجتمعات الحاضرة وهي ما يلي: -

1 - العولمة الثانية التي أدت الى الاستغناء عن عمل المرأة في المصانع والمواقع التكنولوجية المتقدمة والى بيع مزارعها، وتخلي الرجل عن اسرته والبحث عن مكان عمل آخر خارج بلده مع دفع المرأة الى داخل المنزل والعمل التطوعي بدون أجر.

2 - انهيار المعسكر الاشتراكي وزوال الاتحاد السوفيتي الذي أفقد المؤنثة نفوذها الاقتصادي والسياسي في العمل والحكومة وتوقف اجورها مما زاد من ساعات عملها داخل المنزل مع تآكل وتفنتت حقوقها الانثوية لدرجة لم يعد له أي نفوذ أو اعتبار كما كانت عليه قبل الانهيار والزوال.

3 - حكم القيصرية الروسية قبل عام 1917.

4 - المبادئ الكونفشيوسية في الصين التي كانت تنظر الى المؤنثة نظرة دونية وتعدّها غبية وساذجة وضيقة التفكير.

5 - السلطة البطريقية في اليابان واندونيسيا وإسرائيل والبلدان العربية والإسلامية.

6 - قوانين "المانو" في الهند وطائفة البراهمة التي تفضل الرجل على المرأة وجعلها معتمدة عليه.

7 - تسلط الديانة الكاثوليكية الرومية والارث الاستعماري الاسباني والبرتغالي في دول أمريكا اللاتينية التي تسمح بتسلط الرجل على المؤنثة والتذرع بالقيود الاجتماعية في إذلالها وتمجيد دور الأمومة وتحمل تعاسة الرجل وقسوته عليها دون تدمير.

8 - تسييس الدين في أفغانستان وإيران والعراق واليمن وليبيا.

9 - تعدد وتنوع الصراعات السياسية والحروب والثورات في البلدان العربية ودعمها للسلطة البطريقية.

10 - جهل المرأة الهندية في الثقافة الجنسية والصحية التي جعلتها خاضعة لتسلط الرجل عليها والتحكم فيها.

جميع هذه العوامل اعاققت تطبيق مساواة حقوق المؤنثة مع حقوق الرجل وداعمة لسلطته في الأسرة والعمل والانتخابات وكافة مناحي الحياة.

بقي أن نذكر بأن ليس جميع هذه المعوقات تعيق المساواة الجندرية في كل بلد، بل كل بلد له معوقاته الخاصة به النابعة من تاريخه وثقافته ومن المستويات التعليمية السائدة فيه إنما هي ليست فاعلة في الوقت الحاضر كما كانت قبل قرن من الزمن.

الملاحظ أيضاً ان المبادئ الدينية (الكونفوشيوسية والمانوية والكاثوليكية والطائفية) تدعم سلطة الرجل كذلك الاستعمار الأجنبي الاسباني والبرتغالي في دول أمريكا اللاتينية والأمريكي في العراق، وكافة أنواع الاضطرابات السياسية والعسكرية جميعها تصب في معين الرجل واستعباد المؤنثة لجعلها منجبه وربة بيت ومربية للأطفال.

لكن بعد عام 1917م حدثت تغيرات عميقة وواسعة مثل الثورات والحرب العالمية الثانية والاحتلال الأمريكي لليابان بلورت بروز قادة زعماء وطنيين لهم رؤى عصرية وحاجات بشرية لاستدعاء المرأة الى عملية البناء الجديد في كافة مؤسسات الانساق البنائية بدءاً من الأسرة ومروراً بالمدرسة وصولاً للقيادة السياسية أمثال (لينين) في روسيا عام 1971م الذي وضع سياسة ألغت كافة أشكال التمييز والتعصب ضد المرأة التي كان يحاربها القيصر الروسي في التعليم والعمل والإدارة والنقابات. ثم سياسة (ماوتسي يونغ) في الصين الذي طبق الإصلاح بين المؤنثة والمذكر في الزواج والتعليم والعمل، كذلك (غاندي ونهرو) في الهند الذين عملا على استقلال المرأة ومنحها اعتباراً وطنياً متألقاً في الحركات السياسية المعارضة كذلك هناك (سوهارتو) في اندونيسيا 1966 - 1998م الذي وضع برنامجاً تنموياً متكاملماً يخدم المرأة في العمل والتعليم والخدمات. ثم هناك تنظيم نسوي إندونيسي يدعى "قوة الزوجة" الذي يضم زوجات يعملن خلف المشهد ولهنّ شبكة واسعة من الاتصالات وذا قوة مؤثرة على قرارات الحكومة التي تمارس التعصب والتحييز ضد المرأة بتطبيق المساواة في حقوقها مع حقوق الرجل.

نستدل من كل ذلك أن المجتمعات الحاضرة الآن لم تقوم بالمساواة الجندرية بشكل تلقائي ولا إرادي بل بوجود زعماء شعبيين في قيادة الأمة لإيقاف السلطة الموروثة من أجيال عديدة سالفة وتقليص نفوذها وتسلطها على المؤنثة وبالمقابل تدعم دور المرأة من خلال إزالة اغتصاب حقوقها في اختيار شريك حياتها وطلاقها وارثها وانتخابها وحضورها في المجالس البلدية والبرلمانية والعمل خارج المنزل ورفع أجور عملها مع الاقتران بدعم من أكبر المنظمات الدولية (الأمم المتحدة) وحكومة قوية مثل الحكومة الأمريكية عندما احتلت اليابان. أقول لولا هذه القوى القيادية الفعالة لما تقلصت سلطة الرجل وتمددت سلطة المؤنثة في الحياة الأسرية والمهنية والسياسية. إنها حاجة البشرية للمرأة وليس الغاية في صراعها مع الرجل بل استحقاق حقها المغتصب ودفع أجرة اتعابها في العمل والتعامل معها على أنها كائن بشري مثل الرجل تقدم خدمات وانجازات مثله بل لولاها لما ولد الإنسان إذن لماذا هذا الإنكار؟

### 11 / أ - الضحية المطحونة في الجندر الروسي

عادةً ما يتضمن الجندر الرجل والمرأة لكن الحالة في لمجتمع الروسي لها أطراف مختلفة عن حالة الجندر في مجتمعات أخرى بسبب الفوضى العارمة التي أصابت المجتمع الروسي بعد سقوط النظام السياسي الشيوعي وحلّ محله نظام سياسي غير شيوعي وما بين سقوط والحلول حصلت فوضى اجتماعية فقدّ فيها المجتمع ضوابطه وأمنه وسيطرته على تنظيم المجتمع فحصلت تفككات متعددة ومتنوعة منها تحول المرأة الروسية الى ضحية أمام عدة جناة (الزوج والأسرة والمجتمع والنظام الاجتماعي وأرباب العمل والحكومة).

هذه مقدمة لما سنقدمه من تفاصيل حول هذه المعادلة الجندرية في المجتمع الروسي في العقد الأخير من القرن الماضي ولحد الآن.

لما حصل انهيار الاتحاد السوفيتي حصلت بشارة لانتشار الديمقراطية في العالم، وقد عمل رئيس الاتحاد السوفيتي السابق (ميخائيل غورباتشوف) على تطبيق سياسة الانفتاح (غلاسنوست) المرتبطة مع إعادة البناء (بيرسترويكا) التي كانت بمثابة مفتاح رئيسي لتحول الاتحاد السوفيتي الى الأمم الديمقراطية الرأسمالية المصاحبة لاقتصاد السوق الحر. بيد ان مرئية (غورباتشوف) الرأسمالية لم تكن متوفرة لديه. معنى ذلك حصل تحول للاتحاد السوفيتي الى حكومة الامة المستقلة بدون ديمقراطية. ولما كانت روسيا الأكثر تأثيراً على الحياة الاقتصادية والسياسية على الجمهورية السوفيتية السابقة بقت مستمرة بصلابة في طريق تحولها نحو الاقتصاد المزدهر. ومنذ عام 1998 التي حصلت

فيها الأزمة المالية مع طغيان العولمة الكونية حصل تغيير للعديد من الروس الذين كانوا متمتعين برخاء وتنعم ومستوى مالي جيد، إلا إن هذه الحالة الجيدة لم تستمر في مرحلة الانتقال والتحول لأنه تم اقصاء وإلغاء المساعدات والمعونات الصحية والمضان الاجتماعي لهم مما أثر على مستوى عيشهم وكان هذا التدني يشمل الجندر (هذا هو مهماز الجندر الروسي).

[Clements. 2004. Pp. 122 – 128]

وإزاء هذا التحول والالغاء أضحت المرأة الروسية متجه بسرعة نحو الفقر متأثرة بمؤثرات العولمة والتحول نحو اقتصاد السوق الحر حيث تأثرت جميع الجمهوريات التي كانت تحت مظلة الاتحاد السوفيتي مثل أذربيجان التي قطعت المساعدات التعليمية والرعاية الصحية وتم أيضاً تقليص الوظائف الحكومية وتم كذلك الغاء الوظائف التي كانت تشغلها المرأة مع قطع المساعدات الحكومية لرعاية أطفالها وكبار السن مما زاد فقر المرأة والأطفال والشيوخ فهبطت أذربيجان في ترتيب الأمم المتحدة للدول النامية من تسلسل 71 الى 90.

حرى بنا أن نشير الى القوانين والتشريعات السوفيتية أنصفت المرأة منذ عام 1917م إذ أعلنت سياسة (لينين) عن ارقاء مكانة المرأة من خلال الغاء كافة أشكال التحيز والتعصب ضدها التي كانت تمارسها القيصرية الروسية عليها إذ ضمن مساواتها بالكامل في فرص العمل والتعليم وحقوق الملكية والشؤون الأسرية وتنافسها مع الرجل في إدارة المؤسسات الحكومية. أي تم ضمان نصف المناصب والاعمال في التشريعات الحكومية لها مثل نقابة العمال. إلا أن المناصب السياسية المؤثرة كانت خالية من المؤنثات أعني لم يتم إشغال منهنّ لذا كانت سياسة المساواة بمثابة قناع حاجب على استمرار الظلم والجور الممارس عليها في الاتحاد السوفيتي السابق (هذا هو المرواز الجندري السوفيتي).

ينصب اهتمامنا في هذا المقام على اشتغال المؤنثة لدى الاتحاد السوفيتي ذات النسبة العالية من النساء في القوى العاملة أكثر من أي مجتمع صناعي آخر الذي برز ذلك من خلال نشاطها الحيوي السريع حيث لا يوجد بلد في العالم سنّ قوانين لصالح المؤنثة مثل ما حصل لقوى العاملة السوفيتية الذي تم تشريعه بوقت سريع. لا جرم من القول ان روسيا اليوم تضم الأغلبية العظمى من المؤنثات المستخدمات في الخدمة المدنية. إذ هناك أنماط جندرية منتشرة حول اشتغال المؤنثة المتنافسة مع الرجل ومفاضلتها عليه. إلا ان أصحاب المصانع ومدراء الاعمال يرون النساء أقل نفعاً وفائدة. فالأم العاملة تحصل على

مساعداً محددة لأطفالها في مجال الرعاية الصحية والاهتمام بالطفولة حيث يعتبرونها عبئاً على عملهم لأن الأم والزوجة العاملة لا يكون منجزاً بشكل تام وكامل مثل المرأة العزباء وفي ظل ذلك يقل الوقت المخصص لها في التدريب عندها لا تكن مهارتها فريدة وعالية الجودة لذا يُنظر إليها من قبل هؤلاء على انها عاملة من الدرجة الثانية. لكن في التشريعات القانونية للعاملات المحترفات مثل المهندسة والطبيبة والاعمال الفكرية انصفتهم ولم تبخس عليهم بيد ان أجورهن تكون متدنية وكذلك اعتبارهم المهني لا يكون متميزاً ورفيع المستوى لدرجة لا يُنظر اليهن نظرة معترفة بحرفيتهن وجدارتهن.

ديديني من هذا القول أن أجور المؤنثات العاملات واعتبارهن المهني غير متساوٍ مع أجور واعتبار العاملين من الرجال. بمعنى هناك تحيز وتعصب تجاههن على أرض الواقع. لكن أبان الحكم الشيوعي كانت النساء العاملات يكسبن 3/2 معدل دخل الرجل، أما الان فأنهن يكسبن أقل من 2/1 (نصف) ما يكسبه الرجل. بتعبير آخر، هناك فجوة أجورية في الرواتب المدفوعة للرجال والنساء وإنما ليست واحدة وذلك راجع الى التحيز والتعصب ضدهنّ والفجوة باتت أكثر سعة وعمقاً أبان الأزمة المالية التي حصلت عام 1998م وتضاعفت عند الركود الاقتصادي الذي حصل عام 2008م وازدادت في روسيا الحديثة. في الواقع برزت هذه الفجوة الاجورية بشكل جلي وبارز ومتعصب في الاعمال النسوية الخاصة بالتعليم والتمريض والاختصاصي الاجتماعي حيث تكون متدنية على الرغم من براعتهنّ بهذه المهن التطبيقية أكثر من الرجل والتعصب برز أكثر انتشاراً ورسوخاً ضدها في الاعمال غير الماهرة والمحترفة بها.

إن سياق الحديث يلزمنا ان لا أبتعد عن عدم المساواة في الجندر الروسي الذي ما زال قائماً ومستمراً حتى في أزمة البطالة. إذ فرزت العولمة حركة عمالية في المناشط الصناعية التي ذهبت الى مجالات جديدة واستخدام مبتكرات حديثة لم تكن معروفة من قبل. فبالنسبة للشركات ذات النفع السريع التي انتشرت في كافة الصناعات باتت بعيدة عن مراقبة الأجهزة الحكومية عليها وأضحت البيروقراطية الحكومية ومساعداتها الإغانية غير موجودة وهذا بدوره أثقل الرسوم المفروضة على المرأة مما أدى الى ارتفاع نسبة بطالتها في سوق العمل الروسي وبالذات في المرحلة الانتقالية التي عاشتها وسيا (أي عند انتقالها من النظام الشيوعي للرأسمالي الجديد) حيث لم تستطيع الحكومة من مراقبة الأنشطة التجارية والصناعية بشكل دقيق ومستمر فتضررت المرأة هنا أكثر من الرجال لأنها كانت تعمل في الشركات ذات النفع السريع أكثر من الرجل. لكن الفلاحة



الروسية استفادت في هذا الظرف الجديد وبلذات عندما تم استغلال الحدائق وتحويلها الى أماكن للعمل التجاري الصغير مما استطاع هذا الاستغلال الجديد امتصاص بطالة الفلاحات الروسيات في العمل فيها.

تعارض وتصادم الأسرة مع العمل وما آلى إليه (في المرواز الجندري) بجانب التفاوت الفاضح بين الذكر والمؤنثة في ميدان القوى العاملة إلا انه يشرح لنا العبء المضاعف double burden الذي ينتجه عدم انسجام الثقافة الاجتماعية مع السياسة الاجتماعية. فالنسيج الاجتماعي الروسي يضع عوائق صلبة ومنتفذة تكب عمل المؤنثة وتقدمها وتطورها إذا ما تم مقارنتها مع الرجل في المجتمعات النامية. إذ ان الرجل الروسي يتمتع بواجبات أسرية تمثل الحد الأدنى من المسؤوليات عندما تكون زوجته أو اخته أو أمه تستلم أجور من القوى العاملة حيث يعمل 30 ساعة في الأسبوع مع ساعات حره لا يعمل فيها أكثر من زوجته. والزوجة الريفية والحضرية لديها ساعات قليلة خارج المنزل لكن عملها داخل المنزل يأخذ ساعات طويلة كل يوم بمعنى أنهم مطحونات بين فكي رحي (مسئولياتهن المنزلية - الأسرية وما تركته حالة التحول التي خلقت فوضى عارمة في حياة الروس مما أثقل كاهلهم مع نقص في ساعات العمل خارج المنزل).

هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن الحكومة الروسية قلقة حول هبوط معدل الولادات وتزايد عدد الأسر ذات الحجم الصغير واعتماد الاقتصاد على عمل المرأة الرخيص الذي تحصل عليه من العمل الجزئي والاعمال المؤقتة والظرفية. وإزاء هذه المشاكل الصادمة أضحت المرأة محترمة في اختصاصها خارج سوق العمل على عكس المؤنثة العاملة يدوياً التي مازال الطلب عليها عالياً بسبب رخص يدها في العمل أي أجرتها متدنية، ثم هناك عدم تقديم ارباب العمل المعونات المالية للأم عند ولادتها أو ارضاعها لأطفالها مما أثقل وضاعف عبء الأم والزوجة الروسية، وهذا بدوره جعل الزوجين لا يرغبون بالأنجاب ولا بتكوين أسرة كبيرة الحجم بسبب ارتفاع كلفتها مع توفر وسائل مانع الحمل وبأسعار معقولة ومتوفرة. غلا ان حالات الإجهاض باتت عديدة وذات معدل عالٍ والأرقام الرسمية تقول بأنه لكل ولادة وليد هناك حالتين اجهاض هذا الرقم ليس بسر لأن الإجهاض غير القانوني يُقدر بأكثر من ذلك لكل ثماني حالات اجهاض هناك مولود واحد والحكومة غير جادة في ضبط النسل ولا في دفع الضمان الاجتماعي للأبوين الجدد في المجتمع.

## الضحية المطحونة

معنى ذلك ان الروسية باتت ضحية رسمية ومجتمعية تدفع ثمن الفوضى التي احدثتها مرحلة التحول السياسي والاقتصادي لم تنتشلها الحكومة من غرقها في بحر هائج ومائج بالتصادمات والتعارضات السائدة بين تكاليف العيش الجديدة وغلائها والمفاضلة الذكورية عليها واعبائها الأسرية واهمال الحكومة لها مع غياب منظمات نسوية تدافع عن ظلمها وبؤسها الجديد والمضاعف والمتنوع. فالاختلافات البيولوجية واضحة وحادة بين الذكر والمؤنثة لكن مما زاد من الفجوة بينهما هو تنوعها وتكاثرها مما أضحت متكررة أدت الى تطابق الاختلافات الجندرية مع الاختلافات البيولوجية فأصبحت في موقعها الاجتماعي ومتعددة ومتنوعة في أدوارها المتشعبة بسبب اضطراب الحياة الاجتماعية الناتج عن انهيار النظام السياسي القديم ونشوء نظام سياسي جديد مما أفقر الكثير منهم وأغنى القليل منهم فجعل الحقوق والواجبات الانثوية في تنافر واسع وعميق أكثر من الاختلافات البيولوجية فزاد من الظلم والجور عليها وافتقارها المهني والمادي وكدها المضاعف تعاني من التطاحن القائم بين المستلزمات الأسرية والفوضى السياسية والاقتصادية.

لنقترب قليلاً عما أوردناه انفاً لنصل الى كبد موضوعنا عن دور المرأة الاجتماعي ومقارنته مع دور الرجل الاجتماعي لنقول بأنه على الرغم من تحمل المرأة الروسية عملياً جميع المسؤوليات المنزلية (تنظيف وتنظيم وطبخ وغسيل ونشره وتصليح وتقتير) فإن لديها مسؤوليات أخرى مضافة مثل العشرة الزوجية وتربية الأطفال والاهتمام بصحتهم وتغذيتهم مما جعلها هذه المسؤوليات ان تكون اللاعب المركزي والمحوري في بناء الأسرة مركزاً اهتمامها عليها لأنها تعتبر المنزل والأسرة مملكتها فلا تسأل عن المساواة بينها وبين الرجل. بمعنى جسامه مهامها جعلها غير آبهة أو مهتمة بهذه المساواة بيد أن القرويات (الفلاحات) يكونون أكثر ميلاً للعلاقة الرومانسية مفضلها على المساواة بينهن وبين الرجال. لكن عموماً تضع المؤنثة الروسية قيمة عالية وثمانية على تربية أطفالها وعلى بناء الأسرة لأن المجتمع الروسي يضع قيمة مهمة جداً على تربية الأطفال وتشبيد الأسرة وعلى النظام الاجتماعي أكثر من أي شيء آخر. جميع هذه المسؤوليات الجسيمة لا تقابلها أجور عمل عالية بل منخفضة بشكل كبير لأن المجتمع الروسي رسم صورة زاهية للمؤنثة الروسية كربة بيت وأم بذات الوقت رسم صورة ممسوخة لها في مكان العمل رسمها وكأنها رجل خشن يتحمل الكد والتعب إلا انه من المؤسف والمحزن أنها تلام عندما تحصل لها

مشاكل اسرية وسلوكية مثل الطلاق أو الحمل اثناء العزوبية والمراهقة أو الإدمان على المخدرات أو انحراف سلوكها.

هذا من جانب ومن جانب آخر، فغن عملها يتطلب نوعية إنتاجية وطنية شاملة لكي تحصل على دخل مالي عالٍ للأنفاق على أطفالها وأسرتها على عكس المذكر الروسي الذي لم يرسم مجتمعه له صورة تمثل مسؤولياته الأسرية على زوجته وبنائه وللأسف مازال الاستهجان الاجتماعي للمرأة. لكن الحقيقة المرآ هي عندما تعمل خارج المنزل وتعمل في المصنع أو الورش فإنها تفقد انوثتها مما دفع بالرجل العصري ان يلومها لفقدان انوثتها وهذا عدم انصافها من قبل الرجل والمجتمع والثقافة الروسية.

تلك هي المؤنثة الروسية المعاصرة لأن المؤنثة كإنسانة لها حقوق وواجبات مثلها مثل الرجل متساوية في المواطنة وتشرّبها بالمعايير الثقافية عندئذ نسميها بـ (الضحية) أي ضحية المؤثرات التي سلبت منها حقوقها الاجتماعية وجردها منها وتم استغلالها كأيدي عاملة قبل كل شيء وتسخيرها كمُنْجِبِه بشرية وراعية للأطفال ولومها عندما تمارس حريتها الفردية والشخصية ويتم استهجانها إذا فقدت انوثتها. ومن خلال ما اطلعنا على واقعها الاجتماعي والثقافي وجدناها تنطبق عليها صفة (الضحية) أو مفهوم الضحية لأنها: -

- 1 - سُلِبَت من قبل المجتمع.
- 2 - جُرِدَت من قبل ثقافة مجتمعها.
- 3 - أُسْتُغِلَت من قبل الأسرة.
- 4 - سُخِرَت من قبل الزوج.
- 5 - مُنْشِئُهُ من قبل الأسرة والمجتمع.
- 6 - مُلَامَةٌ من قبل المجتمع.
- 7 - مُسْتَهْجَنَةٌ من قبل الرجل.

بتعبير آخر أنها أخضعت سبع مرات من قبل المجتمع وثقافته والزوج والأسرة والرجل فأصبحت ضحية سابعه. بمعنى انها طحنت طحناً صارماً وثقيلاً وهذه حالة شاذة كل الشذوذ لأن ما حصل للمجتمع الروسي هو سقوط أو انهيار نظام الحكم الذي كان سائداً لفترة ثمانية عقود من الزمن فتحول الى نظام آخر نقيض نظامه السابق مما أدى الى اضطرابه وازدهار الفوضى وغياب الضوابط الوضعية والأخلاقية في ضبط السلوك اليومي والأخلاقي فتم نداء العنصر البشري الرقيق واللطيف والمؤنس ألا وهو (الانثى) التي لم يرحمها الذي تعامل

معها بعيداً عن حقوقها المشروعة ولامها عندما لا تخضع له وأبّخس جهدها وعملها خارج المنزل فأفقدتها انوثتها ورقتها وجعلها في خدمة الرجل والزوج والأسرة والمجتمع فأصبحت ضحية مطحونة بحكم وقرار المجتمع وثقافته ليس لها رأي وقرار في مصيرها ولا في طموحها ولا يسمح لها بالمطالبة بمساواتها مع حقوق الرجل. فهي إذن مسلوّبة الإرادة ومستعبدة للرجل والمجتمع وثقافته وهي تعيش في القرن الحادي والعشرين عصر الحرية الشخصية والديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي الحر.

في نهاية مطاف حديثنا عن المؤنثة الروسية نوضح ردود الفعل السلبية والايجابية لاتجاه المساواة بين الجنسين نبدأها من المرحلة التقليدية للمؤنثة الروسية التي واجهت فيها العديد من القيود الاقتصادية وعانت الكثير من مفاضلة الرجل عليها داخل البيت وخارجه لكن غي مرحلة سياسة الانفتاح (غلاسنوست) كانت عبارة عن نافذة مفتوحة للمطالبة بحقوقها وبالذات حقوق المرأة الريفية التي بدأت تطبيقياً في الأحرمة الجامعية وفي الصحف اليومية بالحديث صراحةً عن حقوق المرأة وفي الصحف اليومية بالحديث صراحةً عن حقوق المرأة والحركة النسوية وانتقاد النظام السياسي السابق (الاتحاد السوفيتي) في حجب الحديث والمكالبة بالمساواة الجنسية بل كان يهملها بتعمد.

أما الثقافة الشعبية فكان لها موقف معارض للمساواة واعتبرتها حركة معادية ومناوئة للقيم الروسية بل انها حرب معلنة ضد الرجل الروسي لكن عندما ساء وضع الرجل مالياً ومهنياً انتفضت المرأة لترد الصاع صاعين على الرجل الذي كان يستغلها ويقمعها فكانت عنيفة ومؤذية له مما جعلها ان تسيطر عليه. لكن الحركة النسوية الروسية كانت تعاني بوضوح من افتقارها للعناصر الشابة والحيوية في استلام واشغال مواقع قيادية فيها وتنظيمها حسب القواعد الرصينة والحصول على موطئ قدم في الجامعات والاقاليم فمارست نشاطها خارج وداخل روسيا وكان نشاطها في الخارج أكثر حيوية من الداخل.

عموماً كان الرجال والنساء وكلاهما متشككين من صدق نوايا المساواة عندهم لأن المرأة التي تقوم بأعباء المنزل غير قادرة على العمل بوقت كامل (أربعين ساعة في الأسبوع) في وقت واحد. مع ذلك فإن الحكومة المركزية أصدرت مرسوماً يفرض المساواة بين الجنسين. أخيراً فإن سياسة الانفتاح (غلاسنوست) عبّدت الطريق أمام المرأة لكنها كشفت العديد من المشاكل التي لم تكن تعرفها قبل ذلك الوقت وان هذه السياسة كشفت حقوق المرأة التي كانت مُعَيبة عليها.

[Clements. 2004. Pp. 161 – 178]

زبدة القول: من خلال اطلاقنا على الجندر الروسي استنتجنا بان الفقر لا يجعل المرأة ان تطالب بحقوقها الانثوية لأنها لم تجد الزاد لتملئ بطنها وبطنون افراد اسرتها. فما قيمة المكالبة بالمساواة مع الرجل وهي جائعة وأطفالها يعانون من الأمراض وليس لديهم رعاية صحية أو مأوى سكني صحي لذلك يمكن القول بان الفقر يضحي جدار سميك وشاهق لعزل المرأة عن التفكير بحقوق مشروعة مثل التعصب والتحييز والعنف واشغال مناصب حكومية متنفذة وهي جائعة والفقر لا صوت له غير الجوع والعطش ولا يفكر بغير تغذيته.

وعادةً ما يرتبط الفقر بالبطالة والأخير يكون سببها داخلي وخارجي والثاني يكون أقوى من الأول في انتشارها فمثلاً الابتكارات التكنولوجية الحديثة سرحت الكثير من الأيدي العاملة التقليدية والعولمة والتجارة الدولية الحُرّه هذه مؤثرات عالمية تزيد من فقر وبطالة النساء قبل غيرهم لا سيما لا يوجد دعم سياسي أو اقتصادي لهم. ثم هناك "العبء المضاعف" على عاتق المرأة الناتج عن المسؤوليات الأسرية التقليدية وعملها خارج المنزل هذا المتغير كبلها وكممها وشدها من الطرفين الأسري والمهني وهذا لا يجعلها حُرّه في التعبير عن حقوقها ومساواتها مع الرجل.

ولكي نجول طرداً مع موضوع الجندر الروسي وما عانه من تأثيرات محلية وكونية مثل: -

- 1 - الثورة السوفيتية عام 1917م.
  - 2 - انهيار النظام السياسي وطغيان العولمة الكونية الثانية عام 1998م.
  - 3 - تأثيرات رجال الاعمال وأرباب المصانع والمعامل على العاملات.
  - 4 - عدم انسجام الثقافة الاجتماعية مع السياسة الاجتماعية في المجتمع الروسي. هذه المتغيرات أبرزت تقلبات احقاق حقوق المرأة وحرمانها منها كل حسب مصلحته وحاجته لها. فالثورة السوفيتية 1917م تمت فيها: -
- أ - الغاء كافة اشكال التمييز والتعصب ضد المرأة التي كانت تمارسها القيصرية الروسية قبل عام 1971م.
- ب - مساواتها مع الرجل في فرص العمل والتعليم وحقوق الملكية والشؤون الأسرية.
- ت - فتح المجال أمامها لكي تتنافس مع الرجل في إدارة المؤسسات الرسمية.
- ث - تسلمها مناصب متميزة في النقابات العمالية.
- ج - شمولها بالضمان الاجتماعي والرعاية الصحية والتعليمية.

ح - تقديم الرعاية الصحية لأكفاله.

خ - سن تشريعات قانونية تضمن حقها في العمل والخدمة المدنية.

د - أجورها المهنية أقل من أجور الرجل الذي يحمل نفس الخبرة والمهارة.  
(هذا هو المرواز السوفيتي لغاية 1989م)

استمرت هذه الحالة لغاية عام 1989م إذ كانت المؤنثة الروسية تتمتع بحقوق مقاربة من حقوق الرجل باستثناء عدم تشغيلها في المناصب السياسية العليا وهذا يوضح استمرار التمييز والتعصب ضدها. أي استمعت بحقوقها الممنوحة لها من الحكومة السوفيتية مدة (72) عاماً وهذا شيء جيد لا يستهان به.

لكن مع مجيء (غورباتشوف) وسياسته الانفتاحية والبنائية الجديدة ازدهرت حقوق المرأة إلا ان هذا الازدهار استمر لمدة تسعة سنوات عندها توقف هذا الازدهار بسبب حصول الأزمة المالية العالمية وطغيان العولمة عام 1998م وانهيار النظام السياسي تم فيها ما يلي: -

1 - الغاء المساعدات للمرأة وغيرها.

2 - الغاء المعونات الصحية لأطفالها.

3 - الغاء الضمان الاجتماعي لها.

4 - قطع المساعدات التعليمية لأطفالها.

5 - تقليص الوظائف الحكومية التي كانت تشغلها.

ثم جاء تأثير رجال الاعمال وأرباب المصانع والمعامل والورش المهنية الصناعية الذين أثروا تأثيراً كبيراً على الأم العاملة والزوجة العاملة بحيث لم يُنظر اليها على انها عنصر منتج من الدرجة الأولى بل الثانية أو الثالثة لذلك تم الاستغناء عنها ولم يُنظر الي المحترفات بعين احترافية ذات جدارة مهنية متميزة. فظهرت الفجوات التالية: -

أ - فجوة الأجور.

ب - فجوة ساعات العمل.

ت - فجوة مهنية.

أخيراً هناك عدم انسجام الثقافة الاجتماعية مع السياسة الاجتماعية في المجتمع الروسي. فالأول يضع كوابح معيقة لعمل المرأة ولم يضعها على الرجل. هذه المتغيرات الكونية والمحلية أفرزت مشكلات جديدة لم يكن يعرفها المجتمع الروسي مثل: -

- 1 - هبوط معدل الولادات.
- 2 - تزايد عدد الأسر ذات الحجم الصغير.
- 3 - اعتماد المرأة على الاعمال ذات الأجر القليل والعمل الجزئي والمؤقت.
- 4 - عدم تقديم أرباب العمل المساعدات للأم العاملة أو الزوجة العاملة عند الحمل والانجاب والرضاعة.
- 5 - ارتفاع معدل الإجهاض القانوني والغير قانوني.

هذا ما أنتجته عدم تكافؤ حقوق المؤنثة بحقوق الرجل الروسي فالاختلاف الجندي في حقوقه ليس له علاقة مرتبطة باختلاف البيولوجي بل بالظروف الاقتصادية والسياسية المحلية المرتبطة بالكون والعولمة والتطور التقني الذي يجب مستوى العيش المحلي على الخضوع لها والاستجابة لمؤثراتها. وهذا بدوره يغذي وينعش بعض المعتقدات والممارسات الشعبية الموروثة في المجتمع مثل أدوار الزوجة والأم في الأسرة مما يضاعف العبء الملقى على عاتقها من قبل المجتمع والثقافة الاجتماعية التي تعتبر البين والأسرة مملكتها مما يجعلها لا تعبر أهمية لنداء المساواة بينها وبين الرجل مع تأكيد العلاقة العقدية بينها وبين الزوج وعلى العلاقة الأمومية إذ تعدها علاقة ميكانيكية محبكة الترابط بينها وبين أبنائها، بمعنى تركيزها على (وحدة العائلة) بالدرجة الأساس أكثر من تركيزها على أجرة عملها المتدنية (إذا كانت تعمل) فضلاً عن عدم تشجيع المجتمع الروسي على عملها في المصنع والمعمل والدوائر البيروقراطية لذلك يلومها المجتمع: -

- 1 - عندما تفقد انوثتها عند عملها خارج المنزل.
- 2 - عندما تُطلق من زوجها.
- 3 - عندما تحمل اثناء عزوبيتها.
- 4 - عند انحرافها سلوكياً.
- 5 - عند معارضتها لأوامر زوجها.

سوف نجد لاحقاً بأن حقوق المرأة الروسية تأثرت كثيراً فخرت الكثير من حقوقها بسبب سقوط نظام الحكم الذي حقق لها الكثير من المكاسب الاجتماعية والمهنية والسياسية مع تأثيرات كونية خارجية مما حرمها من الكثير من حقوقها المشروعة.

## 11 / الجندر الصيني..... وانتكاس إصلاحه

للمرأة الصينية قيمة مرموقة وعالية في بناء النظام الاشتراكي هذا ما أكد عليه رئيس جمهورية الصين الشعبية (ماوتسي تونغ) كذلك الحزب الشيوعي الذي اعتبرها اليد اليمنى في التنمية والبناء حتى لثورة الفلاحين منحوها الأولوية في عملية البناء الأسري والاقتصادي وشغلت المساحة الكبيرة في تفكير الحكومة عند بناء مجتمعها الجديد.

يتمثل الهدف الصيني في دفع المرأة للعمل في مشاريع اقتصادية من أجل المنفعة المفيدة مثلما تفيد وتستفيد في اسرتها. وغن الأسرة البطريقية (ذات التسلط الذكوري) تمثل عالم مصغر للمجتمع الرأسمالي الظالم والجائر لذا فإن خروج المرأة من منزلها للعمل خارجه يعني انها أصبحت منتجة اقتصادياً في ظل النظام الاشتراكي الجديد وهذا بدوره يحررها اجتماعياً ويحسن مكانتها الاقتصادية ويوازئها مع الرجل. فالإصلاح يجب ان يبدأ من المساواة بين الرجل والمرأة وهذا بدوره يصلح المجتمع. هذه هي العقيدة الشيوعية الصينية المشابهة لعقيدة الاتحاد السوفيتي السابق.

### الإصلاح والعائلة (المهماز والمشكاة في المجتمع الصيني)

إذا رجعنا الى تقاليد العائلة الصينية نجدها قائمة على المبادئ الكنفوشية التي تمنح السلطة الكاملة للرجل ذات التحكم الذكوري (البطريقي) آخذةً بالنسب الأبوي والسكن مع الأب. ومن الكتابات الكنفوشية القديمة انها تنظر الى المرأة نظرة دونية وتعتبرها غبية ذات عقلية ساذجة ومحدودة وضيقة لا تتمتع بأي حكمة وغيورة لذا يحتقرها الرجال إذ ليس لديها شغل شاغل غير اغراء الرجال الأبرياء. هذه النظرة الدونية للمرأة للمعلم الروحي للديانة الكنفوشية ليست بغريبة ولا مفاجئة لحياة ومعيشة المرأة في المجتمع الصيني التي ترزخ تحت قيود صارمة وجامدة مترجمة على حياتها الأسرية التي لا تسمح لها بأبداء رأيها بشؤون الأسرة وليس لها الحق في ان ترث من الميراث العائلي من أملاك وماديات وعندما تتزوج وتذهب الى بيت زوجها تكون لخدمته تحت سلطته دون نقاش أو جدال. وان عدم مناقشتها لزوجها هو امتداد لمنع نقاشها وجدالها لوالدها أخيها أو عمها أو خالها أو أي رجل من اقاربها بل عليها طاعتهم والخنوع والانصياع لهم وتنفيذ ما تؤمر به من قبلهم، ليس هذا فحسب بل أن والدة زوجها تمارس عليها سيطرة مطبقة وتامة مع استخدام الضرب من قبلها لزوجة ابنها وفي حالات خاصة تستطيع أم الزوج ان تبيع زوجة ابنها إذا عصت أو امرها أو



هربت من منزلها لذا فإن زوجة الأبن تكون مكانته الأسرية واطئة على التدرج الأسري الصيني القديم.

هناك حالة ربط قدم المرأة تمثل إحدى ممارسات الطبقة العليا الملزمة عليها لتحديد حركة قدمها في المشي على ان لا تتجاوز خطوات مشيها ثلاث إنشات وهذا يعني ان المشي عندها مستحيل. هذه الحالة كانت سارية وسائدة لغاية العقد الأخير من القرن الماضي حيث كانت إحدى متطلبات الطبقة العليا على المرأة الأخذ بها باستثناء النساء اللواتي يعملن بالأعمال اليدوية أو في الحقول الزراعية. حريّ بنا أن نشير الى حالة البزوغ والافول الذي أصاب الزواج الصيني عام 1950م الذي صدر قانون إصلاح في هذا العام تخصص في إصلاح قوانين الأسرة الصينية من خلال بزوغ قانون يزيل الضوابط العرفية والوضعية التي ظلمت المرأة واستبعدت حريتها كإنسانة لكي تجعلها مثل الرجل الصيني في حقوقه الجندرية. هذا البزوغ الى أفول العديد من الممارسات الغير عادلة والمنصفة لحقوق المرأة في الأسرة. إذن هذا الأفول لم يأتي انسيابياً او تلقائياً بل بنصوص قانونية إصلاحية أدت الى الغاء ما يلي: -

أ - تدخل الأسرة في اختيار شريك الحياة للمرأة وللرجل بمعنى جعل الزواج حراً ومستقلاً عن والدي العروسين، أي منح المرأة حرية اختيار زوجها وليس للأسرة أو الأقارب دخل في اختيار شريكها الذي كان يسمى بالزواج الاقطاعي. هذا البزوغ أدى الى أفول العديد من الممارسات الأسرية التقليدية ذات المعتقدات القديمة منها: -

ب - عدم سماح للرجل أن يتسلط على المرأة.

ت - منح المرأة حق تطليق نفسها.

ث - عدم السماح للرجل بالزواج بأكثر من زوجة واحدة في وقت واحد، بمعنى لا يسمح القانون الجديد بتعدد الزوجات أو الأزواج.

ج - تمنع المعاشرة الجنسية من دون عقد زواج شرعي.

ح - عدم الزواج من القاصر التي لم تبلغ سن الرشد.

خ - الغاء مهر العروس.

د - الغاء القيود المفروضة على إعادة زواج الأرملة.

نعود ثانيةً لحقوق المرأة، ففي عام 1980م تم تنقية القانون الجديد الذي صدر عام 1950م من أجل تطويره وارقائه وبالذات لمؤسسة الزواج إذ جعل قانون 1980م الزوج والزوجة ان يحملوا مكانة واحدة ومتساوية داخل الأسرة، بذات الوقت تم منحهما الحق في العمل بأي عمل فيه أجر أو السماح لهما في التسجيل

في المدارس والجامعات والاشتراك في الأنشطة الاجتماعية. علاوة على ذلك منع هذا القانون الزوج والزوجة من فرض قيود وكوابح أو تدخل في شؤون الآخر. نرى مما تقدم ان قانون 1980م عزز مكانة المرأة وبالذات الحضرية في أسرتها، أما الريفية فكان نصيبها أقل من الحضرية بقليل. لكن بعد عقدين من الزمن أي بعد عام 2000م شهدت الأسرة الصينية العديد من الممارسات والسلوكيات والمشكلات غير المتوقعة مثل:

- أ – ممارسة العنف الأسري ضد المرأة.
- ب – ترك الأطفال من رعاية أحد الأبوين.
- ت – ارتفاع معدل الطلاق أربع مرات عما كان سابقاً.
- ث – ارتفاع مستوى الفقر.

وفي عام 2001م تمت مناقشة قانون 1980م من أجل ارقائه على الرغم من انه كان يحمي المرأة في أسرتها. فقد نص الارتقاء على اعتبار المضاجعة الجنسية غير المشروعة خارجة عن قانون وعد الإباحية الجنسية ايضاً خارجة عن القانون ومنح تقسيم المُلْكِيَّة عند الطلاق للمرأة أوسع مما كان من قبل إذ شمل كل الأملاك التي وردت بعد الزواج بضمنها الراتب الشهري والعلاوات المالية والارث جميعها تستحقها الزوجة بعد الطلاق وحرَم الزوج بأكثر من زوجة واحدة في وقت واحد واعتبر الزواج بالإكراه عملاً غير قانونياً لكنه على الرغم من كل ذلك بقي استخدام المحظيات والخيليات مستمراً في الممارسة كما كان في القانون القديم مع ذلك فقد واجهت هذه الإصلاحات مقاومة معارضة في تنفيذها.

لا يغيب عن بالنا من أن إلغاء قانون تقاليدي موروث مستند على اختيار الوالدين شريك لأبنائهم واحلال محله قانون نقيضه مستنداً على الاختيار الحر للشريكين ليس بالأمر البسيط والسلس بالذات عن العوائل الاقطاعية الصينية والريفية والقرايبية لأن مثل هذا الرباط الاجتماعي يتطلب تهيئة مزاجية وشخصية وفكرية للشباب الذين لم يتعدوا عليها فحصلت مقاومة لشروط المساواة بين الجنسين لا سيما وإنما تتطلب (المساواة) تكافؤ المكنات ووجود الوفاء والإخلاص بين وعند الشريكين. ومن نافلة القول تعرض الأغنياء الى تقليص حريتهم في الزواج من أكثر من واحدة في وقت واحد كذلك تعرضت العلاقات القرايبية للتصدع لذلك بقيت ممارسة الأبوين في اختيار شريك الحياة لأبنائهم مستمرة لفترة لأنها تتعارض مع علائقهم القرايبية وإن زيجات الاختيار الحر تعتمد على معرفة خصوصية الشريكين وهذا لم يكن متوفراً في المجتمع الصيني

بسبب صرامة القيود الثقافية على الشباب لأن الزيجات الاختيار الحر تتطلب إلغاء تدخل الأبوين في لقاءات الشريكين لكن الواقع الصيني لم يكن مهيباً لقبول شروط زيجات الاختيار الحر بسبب اعتماده على اختيار الوالدين لأبنائهم في الزواج وعلى العلاقات القرابية والتقليدية والقانون الجديد يلغي كل ذلك وهذه عقبة كأداء كانت في نجاح زيجات الاختيار الحر في بدايته.

### سياسة الطفل الواحد

لقد تركت التقاليد الصينية القديمة أهمية كبيرة على ولادة الأبن وقيمه متدنية على ولادة البنت مصحوبة بالانطباع المشؤوم على ولادتها لكن منذ ولادة الجمهورية الصينية الشعبية ركزت على إزالة مكانة المرأة وإزالة الحيف والظلم الملقاة عليها بذات الوقت طرحت برنامجاً صارماً لتقليص نمو حجم السكان الكبير في الصين. في الواقع كان هذين الهدفين متناقضين وعسير التطبيق. ففي عام 1979م بدأت الحكومة المركزية بتطبيق سياسة الوليد (الطفل) الواحد في العائلة تحت مسمى يمتلك طفل واحد أو السماح للأسرة بولادة وليد واحد مع وضع قيود عقابية قاسية ومشددة على المخالفين لهذه السياسة. ثم كان هناك قانون آخر وضعتة الحكومة الصينية على المخالفين لقيود النمو السكاني وكان أكثر صرامة وشدّة. في الواقع ان سياسة الطفل الواحد في الأسرة فريد من نوعه مع وضع قيود عقابية شديدة عند عدم الامتثال له لذلك شرعت الحكومة بطرح حملة شعبية شاملة لتطبيقها وجعل الأبوين عالمين ومدركين بها وبعواقب مخالفتها.

يستلم الزوجين وثيقة تنص على ولادة الوليد الأول يخولهم وطفلهم باستلام معونة مالية سنوياً ونقداً. لكن إذا حصلت ولادة ثانية بعد ولادة الطفل الأول فإنه يحصل خصم لمعونتهم المالية المقدمة لهم مما يفرض عليهم أعباء تعويضية تقع على تعليمه في المدرسة وتغذيته وتطبيبه لأن الحكومة لا تتكفل بمعونة الطفل الثاني فضلاً عن خصم المعونة التي قدمت للوليد الأول أما إذا كانت الأم موظفة ومعها وثيقة الوليد الأول وحملت ثانية فإنه يُفرض عليها ان تسقطه أي اجهاضها وإذا رفضت الإجهاض (الاسقاط) فإنها تواجه نقداً وسخرية واستهزاء من قبل زميلاتهن في العمل. هذا من جانب ومن جانب آخر هناك مفاضلة واستحسان كبير لجنس الذكر وقوة مثابرة للرجل بحيث يعفى من عقمه الجنسي أي لا يُطلب منه ان يقوم بعملية عقمه جنسياً. بذات الوقت لما كان المجتمع الصيني يتضمن أقليات عرقية وعرقية ودينية متعددة فإنها تُعفى من ولادة الوليد الواحد أي معفيين

من تطبيق سياسة الطفل الواحد، من هذه الأقليات هم المسلمون والتبتين واليوفيرس.

لهذه السياسة ثغرات وسلبات عديدة منها ان سياسة الطفل الواحد سيزداد عدد المعمرين بالسن في الفترة الواقعة بين 2006 – 2050 لترتفع نسبتهم من 8 الى 24% مع عدم ارتفاع عدد أطفال الطفل الواحد ضمن نفس الفترة الزمنية هذه. ثم ان هذه السياسة لا تكن ناجحة في المناطق الريفية لأن الأسرة الفلاحية لا تأخذ بها بشكل جدي ومستمر بسبب احتياجاتها للمعونات المالية الحكومية لا تكن ماسة لأنها تزرع الغلات الغذائية لنفسها وتحتاج للأيدي العاملة من أعضاء اسرتها لتساعدها في الفلاحة والزراعة. كذلك هناك اخفاق في تطبيق هذه السياسة عند الأغنياء الذين يسكنون في المناطق والمدن الحضرية مثل مدينة بكين وشنغهاي إذ لا يحتاجون للمساعدات الحكومية ولا لدفع رسوم أجور مدارس أبنائهم. ثم إن الأسر الفلاحية التي لديها طفلين من الاناث يريدوا ان يكون لهم طفل ثالث إنما من الذكور.

### **تفضيل الذكر على الانثى (كمهماز جندي)**

بغض النظر عن المكانة الاقتصادية والاجتماعية للشريكين فإنهما يفضلان الذكر على الانثى، وحتى في ظل سياسة الوليد الواحد بقيت هذه المفاضلة مقترنة مع عقلية الصينيين لأنها منحدره من بقايا التراث الصيني القديم والمقدس في العبادات القديمة التي سادت الصين فيما مضى. إذ ان للأجداد نفوذاً وسلطة مباركة في معتقد الأبناء ونظرة الأحفاد يتباركون فيها من أجل مباركة نعمتهم ورزقهم. ومن نافلة القول أن المرأة تكتسب مكانة اسلافها من زوجها وابنائها الذكور (وليس في أسرتها التي ولدت فيها) وعندما لا يكون هناك ذكور في الأسرة فإن الاحفاد ليس لديهم مكانة في الاخر بعد موتهم. جدير بذكره في هذا السياق إن حالة الشؤم الموحش والكئيب يظهر على نفسية وشخصية الزوجة التي لا تنجب ذكراً او تبقى بدون زواج أو الأرملة بدون طفل. لذلك نجد المرأة الصينية تهتم جداً بشجرة العائلة التي تمتد جذورها الى ثلاثة آلاف سنة لا تذكر فيها أسماء الاناث في الأسرة ولا يوجد فيها طفل ذكر ولم يتزوج أي امرأة أرملة بدون طفل. بل حتى في ظل سياسة الطفل الواحد هناك مفاضلة للذكر على الانثى وتاريخياً كان هناك في المجتمع الصيني وأدأ للبنات وقد تمت ممارسته لعدة قرون من الزمن إلا انها تضاعلت بعد قيام الثورة الصينية عام 1949م مباشرة لأنها ارتبطت بسياسة الطفل الواحد واعتبرت (الثورة) إن وأد البنات عملاً غير قانونياً كذلك اعتبرت اجهاض الأم

الحامل بجنين يُعرف نوع جنسه غير قانوني ايضاً. ليس هذا فحسب بل حتى الشركيين الذين يتبنون طفلاً من خارج الصين يفضلون تبني الذكر على الانثى.

[Potts. 2006. Pp. 333 – 361]

لا جرم من القول عن موقف الجيل الحديث في المجتمع الصيني بأنه لا يؤيد سياسة الطفل الواحد في الأسرة، على الرغم مما قيل عنها بأنها سياسة مؤقتة لقياس تعود الشريكين طواعية على تقليص حجم اسرتهم. وعلى الرغم من الحجم السكاني الهائل إلا ان التأثيرات الثقافية والمالية على الجندر تؤدي الى اضطراب الالتزام الموحد وعند الصينيين به إذا حصل عدم التزام اغنياء الصين ومشاهيرهم بالالتزام بها ودفَعوا غرامات عن مخالفتهم هذه كعقوبة عليهم شملت حتى الصينيين الذين أنجبوا أكثر من طفل واحد ولم يتم التغاضي عنهم عند عودتهم للصين.

لكن هناك الكثير من التغيرات حدثت منذ عام 1979م مثل: -

أ - هناك 75% ضمن ممن دعموا سياسة الطفل الواحد وبرروا دعمهم بأنه ضروري لبلدهم من أجل انمائه اقتصادياً وسكانياً.

ب - هؤلاء الداعمين لسياسة الطفل الواحد لم يفاضلوا الذكر على الانثى عند ولادة الأم وهذا يخدم مستقبل الانثى الأم والبنات معاً.

ت - صدر دعماً ايضاً من خريجي الجامعات الصينية على انه ليس فقط لسياسة الطفل الواحد بل على عدم مفاضلة الذكر على الانثى بل تفضيل البنات على الولد.

ث - لكن الوظيفة المستترة لسياسة الطفل الواحد انطوت على: -

1 - تقليص الاهتمام بالنسب الأبوي الموروث.

2 - تشجيع المرأة على العمل في الاعمال غير التراثية.

3 - دعمت سياسة الطفل الواحد مكانة المرأة في المجتمع ورفعت من قبضتها عالياً.

4 - أظهرت سياسة الطفل الواحد تحدي سافر سكانياً واقتصادياً للصين الحديثة.

5 - أفرزت هذه السياسة منفعة اقتصادية للأسرة والمجتمع والبلد.

أخيراً بقت نسبة كبيرة من سكان الريف وأطراف المدن الفقيرة ملتزمة بالمعتقدات التراثية القديمة فيما يخص مفاضلة الذكر على الانثى لكن عموماً إن هذه المفاضلة تخضع لمستوى ثقافة الأفراد واتساع افاق تفكيرهم.

## شعار صيني جديد مفاده (عندما تمسي غنياً تصبح مبعجلاً)

في ظل تطبيق الرأسمالية في الصين الحديثة تلهف الصينيين لتطبيقه والعيش في ظله واعتبروه شعارهم الملهم لهم فانتشر بسرعة فائقة متأثرين بالدافع المادي والعيش المرفه. هذا الشعار كان نتاج تأثيرات العولمة التي فتحت الأبواب على مصراعيها أمام المرأة بأجور مدفوعة نقداً بالدافع المادي والعيش المرفه. هذا الشعار كان نتاج تأثيرات العولمة التي فتحت الأبواب على مصراعيها أمام المرأة بأجور مدفوعة نقداً. بتعبير آخر كان هذا الشعار العولمي دافعاً ومحفزاً للصينيين (سواء للزوجين أو للمرأة) الذي ساد العقد الأخير من القرن الماضي تأثر فيه أبناء الحضر والريف معاً. وعلى الرغم من عمل المرأة المنزلي وأجرها المتدني فقد حصلت مرونة كبيرة في الشروط والقيود الممارسة على الهجرة من الريف للمدن وارتفعت أجور المرأة في الحقول الزراعية والمعامل الصناعية فحولت عملها بشكل سريع نحو الصناعات المنتجة في المعامل لأن الرأسمالية فتحت أبواب الاستثمار الصيني الذي صبَّ منافع جمةً عليها وحررها من العديد من قيود الهجرة الداخلية فكانت المرأة باحثة عن الاعمال الأكثر اجراً فشكلت الهجرة الداخلية لها أكبر شكل من اشكال الجرة الداخلية في تاريخ الشعوب والأمم.

## المفارقات الموهومة بالتناقض (العولمة والتنمية)

عبرت سياسة الحكومة واصلاحها الاقتصادي عن دعمها التعزيزي في المساواة بين الرجل والمرأة ونزاهة اقتصاد المرأة. إذ انها في كلا المنطقتين الحضرية والريفية ارتفاع وتزايد عملها بسبب هجرة وابنائها الى مناطق غير مناطق سكناهم فأضحت هي سيدة المنزل والأسرة معاً فدخلت سوق العمل لأنه بات مرناً في قيوده وشروطه نحوها مما حررها من تسلط الرجل عليها فأضحت حرة من السيطرة البطريقية (سلطة الرجل – الأب أو الزوج أو الأخ) وباتت حرية عملها أوسع من قبل تخضع لمستوى تعليمها ومهارة احترافها. كل ذلك ساعد على مساواتها بالرجل في حقوقه وواجباته.

هذا من جانب ومن جانب آخر، فقد ظهر في الصين عدم وجود فرق بين الأنماط القديمة والجوانب السلبية للعولمة والتنمية بالنسبة للمرأة حيث وسعت العولمة الفوارق الجندرية (بين الرجل والمرأة) في الدوائر الحكومية التي تستخدم نساء أكثر مما تأثرنَّ بسلبيات العولمة والتنمية حيث تم الاستغناء عن الكثير منهنَّ. ومن نافلة القول ان الحقول الزراعية تحولت الى أماكن عمل لكبار السن والأقل تعليماً من النساء لأن المرأة الماهرة مهنيّاً وصاحبة مستوى جيد من التعليم هاجرنَّ الى المدينة فأصبحنَّ عنصراً مساعداً في الاعمال الحضرية التي تفصل النساء عن

الرجال وتدفع لهنّ أجور أدنى من الرجل. في الواقع على الصعيد الرسمي والقانوني تقول الحكومة بأنها تؤكد على المساواة بين الجنسين لكن عملياً في أماكن العمل يكون وجودها ضعيفاً أو غائباً.

نأتي الآن الى المفارقات الموهومة الى المفارقات الموهومة بالتناقضات لإثار العولمة في الصين بالنسبة للمرأة حيث هناك مفاتيح عديدة ذات ابعاد مختلفة منها:  
1 – ارتفاع معدل عمل المرأة بذات الوقت حصل ارتفاع عالٍ في بطالة كلا الجنسين.

2 – هناك مكاسب رئيسية لمداخل ربات المنازل وبالذات في المناطق الريفية مع ذلك فإن مكسبها أقل من الرجل.

3 – أصبح مكان المرأة الأنسب يكون المنزل والمطبخ كوسيلة لحل مشكلة العاطلين عن العمل من الرجال.

4 – احتياج الصين للأيدي العاملة كبير جداً لأن حجم سكانه كبير ومصادره الطبيعية كثيرة ولذلك يحتاج للمرأة في تنمية أكثر من أي بلد آخر. [ Lindsey. 2011. Pp. 145 – 149

## تعقيب وتعليق

لا يختلف الجندر الصيني عن الجندر الروسي من حيث انهيار وسقوط النظام السياسي واستبداله بنظام سياسي آخر مختلف في عقيدته وطبيعته حكمه لكن اختلافاً في موعدهما، ففي الصين حصلت ثورة شعبية في عام 1949م وفي روسيا عام 1917م غيرتا في مكانة المرأة من عبوديتها للإرث الثقافي الجامد الى التحرر منه ودفعها في مشاريع اقتصادية خارج المنزل من أجل مساهمتها في عملية الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي وانتشالها من التعاليم الكونفوشيوسية التي تهضم وتظلم حق المرأة لصالح الرجل أسوء من النظام البيطري من خلال قانون عام 1950م الذي حررها من الكثير من القيود في اختيار شريك الحياة وحققها في الطلاق وعدم زواج الرجل بأكثر من واحدة في وقت واحد ثم حصل إصلاح مالم يتم إصلاحه عام 1950م في عام 1980م لكن مثل هذه الإصلاحات الجندرية لم تروق للكثير من رجال الصين وبالذات عند الأغنياء والاقطاعيين لأنها ضد عاداتهم التقاليدية إنما العقبة الكأداء التي واجهت الإصلاح الجندري هو سياسة الطفل الواحد من أجل تقليص الحجم السكاني الهائل في الصين وارقاء الاقتصادي الأسري بيد أن هذه

السياسة لم تنجح عند الكثير من المستويات الاجتماعية وبالذات عند الغنية والريفية المحافظة. وهذا يرينا ان تطبيق المساواة بين الرجل والمرأة في مجتمع كان ضد المرأة لقرون من الزمن لا يسلم معارضة متعددة الألوان من قبل ممارسيها ولأنها مخالفة للطبيعة البشرية والمعتقدات الروحية لمجتمع يمتلك عراقة في ثقافته الأخذة بالنظام البطريقي والمبادئ الكونفوشيوسية. فبقت مفاضلة الذكر على الانثى قائمة عند جميع الصينيين لأنها مرتبطة بعقلية الصين المنحدرة من الإرث الثقافي القديم والمقدس للتبرك بالأسلاف الذين يفضلون الذكر على الانثى. فالمطالبة بالمساواة بين الذكر والانثى في ظل هذه العقلية تكون شبه مستحيلة لأنها مرتبطة بنظرة الناس للذكر وبتاريخهم الذي كان يؤد البنت لعدة قرون. ومن غرائب الأمور في موضوع مساواة المرأة بالرجل جندرياً هو أن جميع قرارات الحكومة الصينية الإصلاحية في حقوق المرأة وانتشالها من قيود الإرث الثقافي القديم والمقدس وتحريرها من السلطة البطريقية والمبادئ الكونفوشيوسية وأشركها في الإنتاج الصناعي إلا ان العولمة وبرامج التنمية رجعت عجلة الإصلاح الجندري الى الوراء من حيث استغنائها عن خدماتها فوسعت الفجوة المهنية بين الرجل والمرأة كذلك وسعت الفجوة الأجورية بينهما فضلاً عن الفجوة الرسمية – الحكومية. إذن بعد مرور أكثر من نصف قرن من الزمن (خمسون عاماً) من تقليص الفجوة بين الرجل والمرأة وإصلاح وضعها الأسري والاقتصادي ومقاربتها مع حقوق الرجل جاءت مؤثرات خارجية وداخلية لتبلور ثلاث أنواع من الفجوات بينهما وهي: -

- 1 - فجوة مهنية. 2 - فجوة أجورية. 3 - فجوة حكومية - رسمية.

بتعبير آخر، إن مساواة المرأة مع الرجل لا تخضع لمؤثرات داخلية وإصلاحات حكومية فقط بل لمؤثرات عالمية - خارجية تفعل فعلها في تفضيل الرجل على المرأة في العمل والأجور والقوانين الرسمية بعدما كانت تخضع قبل عام 1949م في الصين الى مؤثرات تاريخية مقدسة وتعاليم احتقاريه ودونية لها ومتعالية عليها أرجعتها الى مفاضلة الرجل على المرأة معتقدياً واعتبارياً ومهنياً وأجورياً ورسمياً. فالمساواة لا تأتي بالدرجة الأساس من خروجها من المنزل للعمل وحصولها على دخل مادي هو الذي يساوي بها الرجل، بل بالذهنية الشعبية والمرئية الأسرية في التنشئة. فما قامت به الثورة الشعبية عام 1949م والإصلاحات القانونية عام 1950 و1980م لا يستهان بها من إصلاحات جندرية لكن هذا على صعيد الإصلاح الداخلي الذي أستمر خمسون عاماً يجاهد في تقريب حقوق المرأة مع الرجل فنجحت الى حد كبير إلا ان الضغوط الخارجية - العالمية أرجعت هذه المساواة الجندرية الى الاختلافات البيولوجية (بين الذكر والانثى) لأن



للمرأة واجبات أهم من المنافع المادية ألا وهي تكوين الأسرة وتنشئة الأطفال ورعايتهم والمساهمة في بناء المجتمع من الخلية الصغرى للمجتمع وهي الأسرة. لكن هذا لا يعني أننا ضد مساواة المرأة بالرجل بل إننا مع بناء الأسرة والمجتمع من قبل الجنسين ليس في مكان عمل واحد بل يلغي مكانين مختلفين لأنه عند ترك المرأة لأسرتها للعمل خارجها من الذي سيبقى فيها لإدارتها ورعاية أطفالها؟ يجب ان يكون هناك تقسيم عمل لكليهما في بناء الأسرة والمجتمع.

فقد حاولت الثورة الصينية الشعبية بقيادة (ماوتسي يونغ) عام 1949م جاهدةً أن تقرب حقوق المرأة من حقوق الرجل في إصلاحاتها العملاقة إلا انها في نهاية المطاف لم تحقق ما أرادت مساواته بينهما وذلك بسبب تأثير عوامل خارجة عن إرادتها وتخطيطها وهي العولمة والتنمية الشاملة فبقت الاختلافات الجندرية موازية للاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة في الصين الشعبية لكن أفضل بكثير عما كانت عليه قبل ثورة عام 1949م.

لا أريد ان أترك هذا الباب مالم أسبر غور موضعه لكي أصل الى كبده الذي أجده يتمثل في موضوع استعراضنا ومقارنتنا لما حصل للمرأة الصينية قبل عام 1049 (قبل نشوب الثورة الشعبية) وبعدها شرّعت قوانين إصلاحية لرفع الحيف والظلم عنها قبل المعتقدات الروحية والثقافية العتيقة وما تم إلغاء الكثير من الممارسات اللإنسانية عليها في الاصلاحين اللذين طرحتها الثورة الشعبية في عام 1950 وعام 1980م. إلا ان المرحلة الثالثة التي ظهرت فيها مؤثرات العولمة الكونية وما آلت عليه من حرية التجارة الدولية الحرّة ودمج الشركات التجارية العملاقة في العالم أدى الى انتكاسة الإصلاحات والعودة الى الاختلاف البيولوجي بين الذكر والانثى، أي بات الجندر الصيني يعاني من عدم المساواة وتبلور فجوات مهنية واجورية وحكومية بعدما نجحت الثورة في تخفيف مساواة حقوقها بحقوق الرجل في العمل والحياة العامة. ولكي نبرهن على ما قدمناه فسوف نضع هذه المقارنة بنقاط أمام القارئ يكشف عن الاختلافات الجندرية قبل الثورة والمساواة الجندرية بعدها واختلافها عند تأثرها بالعولمة والتنمية الشاملة. كل ذلك يوضح أن حقوق المرأة في العمل والأجور مرتبطة بحاجة المجتمع للأيدي العاملة في بناء المجتمع وعندما لا يحتاج المجتمع للأيدي العاملة فإنه يستغني عنها لأن لديها عمل آخر يستفاد منه داخل الأسرة والمنزل على عكس الرجل الذي لا يجد له مكاناً للعمل في المنزل والأسرة إذا تم تسريحه من العمل أو أصبح عاطلاً عنه وهذا إجراء طبيعي يخدم نظام تقسيم العمل المبني على النوع الجنسي (الذكر، انثى) لا علاقة له بالحقوق والواجبات الجندرية والبيولوجية. انها احتياجات مجتمع عند

تنميته وتطوره هي التي تقرر المساواة في الحقوق والواجبات بين الجنسين. فالثورة الشعبية كانت بحاجة ماسة الى أيدي عاملة كثيفة لبناء مجتمع نامي ومتطور فاستعان لها، ولما كان المجتمع الصيني خاضعاً لطقوس دينية وروحية مقدسة كان مجتمع يخضع لها وعندما يريد الاستغناء عنها كان يقتلها بـ (الوآد) أو الاستعباد والاحتقار. فالمجتمع الصيني هو هو لم يتغير في جنسه بل غيرته ثورة شعبية تريد بناء اجتماعي جديد فاستمر بذلك عندما جاءت عوامل خارجية تتعارض مع الكثافة العمالية مع استخدام الأجهزة التكنولوجية الحديثة في الإنتاج والاتصالات عندها تم الاستغناء عن العاملين في المصانع والمعامل فكان أول الاستغناء عن المرأة غير الماهرة والغير متعلمة فأرجعها الى المنزل والأسرة لتعمل فيها ولم يستغني عن الرجل ليس هذا بتحيز لصالح الرجل لكي لا تتضاعف المشاكل التي يعيشها المجتمع لأن الرجل إذا تم تشريحه عن العمل لا يكن مكانه في المنزل ويعمل فيه أو يحبل ويرضع ويرعى الأطفال لأنها مهمة بيولوجية صرفة. ولما كان الإرث الاجتماعي الموروث يوضح بأن الرجل هو الراعي للأسرة والمسؤول عن معيشتها وكاسب رزقها فإنه من باب تحصيل حاصل ان يستمر بالعمل خارج المنزل ويجلب الخبز لأفراد أسرته وتقوم المرأة بخدومتهم داخل المنزل. أنها حالة طبيعية تتناسب مع احتياجات المجتمع للأيدي العاملة وتوزيع الوظائف طبقاً للاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة.

- هذا ولا بد لي بعد هذا الاستطراد ان استند على فقرات المهماز الثلاثي لكي أحلل فقراته لأصل الى معطياته وهو ما يلي: -
- نبدأ بفقرات المهماز الجندري قبل عام 1949م  
المرأة الصينية قبل الثورة الشعبية عام 1049م
- 1 - الأخذ بالنسب الأبوي والسكن معه.
  - 2 - النظرة الدونية لها والاستعلاء عليها واعتبارها غبية وسانجة وغير حكيمة وغيورة تجيد الاغراء الجنسي.
  - 3 - عدم السماح لها بأبداء الرأي الخاص بشؤون الأسرة.
  - 4 - ليس لها الحق في الميراث العائلي أي ليس لها حصة بذلك.
  - 5 - عند زواجها تكون مهمتها الرئيسية خدمة الزوج وطاعته دون نقاش.
  - 6 - تنفذ ما تؤمر به من قبل زوجها.
  - 7 - يحق لوالدة زوجها ان تستخدمها كخدمة لها وتضربها وان تبيعها إذا عصت امرأها.

هذه في الواقع استعباد بشري لمخلوقة تمثل نصف أو أكثر من الحجم السكاني وتقوم بتربية الأبناء حسب مكانتها المتدنية، فكيف تكون تربية الأبناء على يد مستعبدة ومحتقرة؟ أتوقع تكون تربيتها مثلما يُعامل زوجها واسرته لها ولا تعرف غيرها وقد تنشأت على نفس النمط التربوي فيتطبع الطفل الذكر بطابع ذليل وخنوع لا يعرف الحرية التعبيرية أو التفاعل السوي مع الآخرين. ذلك يستولد الحرمان والخنوع والذل في شخصية الناشئة. وعلى الرغم من كونها تمثل مكانة الزوجة والأم في الأسرة الصينية التي بلورتها الديانات القديمة وعندهم تقاليد النظام البطريقي فإن ذلك يعزز ويدعم الفوارق البيولوجية ويجعل الفوارق الجندرية مطابقة للاختلاف البيولوجي بين الذكر والانثى.

أذهب الان الى تقديم النقاط التالية التي توضح واقع المرأة الصينية بعد الثورة الشعبية التي حصلت عام 1949م مع صدور قانون الإصلاح عام 1950م.

فقرات المرواز الجندري عام 1950م

- 1 – عدم السماح للأسرة باختيار شريك حياة البنت بل لها الحق في ذلك.
- 2 – تحرير الزواج من قيود الأسرة للشريكين.
- 3 – عدم السماح للرجل بأن يتسلط على المرأة أي عدم تعنيفها.
- 4 – منحها حق تطليق زوجها.
- 5 – عدم السماح للرجل بالزواج بأكثر من واحدة في وقت واحد.
- 6 – منع المعاشرة الجنسية بدون عقد زواج.
- 7 – عدم الزواج من البنت القاصر.
- 8 – إلغاء مهر العروس.
- 9 – إلغاء القيود المفروضة على إعادة زواج الأرملة.

جاءت هذه الإصلاحات لتقييد الرجل وتسلطه على المرأة لأنها تمنعه من الممارسات التي كان يقيد بها المرأة ويتجنى على حقوقها في الزواج وابداء الرأي والطلاق ومنعه من الزواج بأكثر من زوجة واحدة. هذا الإصلاح للمرأة من خلال تقييد الرجل الذي يمثل الطرف الأقوى في الاختلافات الجندرية الممنوحة له من التراث الموروث والسلطة البطريقية مع تعديل وإلغاء بعض الضوابط التقليدية الجائرة على العلاقة الزوجية. نستنتج من ذلك ان الإصلاح لا يتم من جانب المجني عليه فقط (المرأة) بل يبدأ من الجاني (أي الرجل) وقيم المجتمع وهذا عمل ليس بالهين ابدأً لذا يتطلب تطبيقه من قبل ثورة شعبية وقانون صريح وجريء في إرساء

المساواة الجندرية وليس قولاً فقط أو اعلاناً اعلامياً فحسب بل تطبيقاً عملياً على أرض الواقع.

نوضح الان ما حصل في عام 1980م باستدراك قانونين ليمنح المرأة حريتها في التعليم والعمل والأنشطة الاجتماعية واحترام خصوصيتها. هذا الإصلاح جاء لها وليس للرجل لكي تشعر بحق مكانته كإنسانة لها موقع في مجتمعها. ومن نافلة القول إن هذه الحالات قبل وبعد 1950 و 1980م و2000 خضعت للتطورات الكونية من حركات سياسية وتكنولوجية واجتماعية واقتصادية تؤثر على الجندر بشكل مباشر لذلك عندما جاءت احداث العولمة والتجارة العالمية الحرة والسوق الحرة وانتقال العمالة الدولية جميعها أثرت على ما قامت به الإصلاحات الصينية من المساواة بين الجندر فحصل انتكاساً فيها إذ تم الاستغناء عنها في المعامل والمصانع والشركات والاعمال الحكومية فرجعت الى المنزل وأسرتها تعمل فيها والتي بقت تعمل خارج المنزل كان أجرها متدني جداً أقل من أجور الرجل.

بات واضحاً إذن تأثر الاختلافات الجندري بالمؤثرات الكونية والتجارة العالمية والابتكارات التكنولوجية والسياسة الدولية لأنها (أي هذه المؤثرات) تخلق مصالح مهنية واقتصادية جديدة تجذب المهرة والمتخصصين والمبدعين وتستبعد غير العارفين بها فتكسب الرجال في الاعمال الجديدة وتدفع بالنساء ليذهبوا الى أماكن عملهم القديم (المنزل والحقل الزراعي) وعند الاستغناء عنهم يحصل انكماش وتقلص في حاجة النساء لهم في سوق العمل وهكذا. وإزاء ذلك نقول لا للسلطة البطرفيقية ولا للتقاليد الموروثة وحدها أثر في تحديد خصائص الجندر في المجتمع الحديث (الصناعي والحضري والمعلوماتي) بل فعالة في المجتمع الريفي – الزراعي والمحافظ والتقليدي والطائفي.

أما تفضيل الذكر على الانثى في الثقافة الصينية فهي انعكاس للطبيعة البشرية لصفة (التملك) عندما تحمل وتلد ذكراً فأنها (أي الام) تشعر بأن هذا الذكر جزء من احشائها وشرب من حليبها (صدرها) واحتضنته في حضنها وربته حسب تربيتها وطاعها أكثر مما يطيعها زوجها وتحبه أكثر مما تحب زوجها (لأن علاقته معها علاقة دموية عاطفية أو عقدية مثل علاقتها بزوجها) فضلاً عن ادراكها بأنه سيكون سنداً لها عند الكبر والحاجة والفاقة (وفي المجتمع العربي تُكنى الأم باسمه – أم فلان – أكثر مما تُكنى بأب فلانة – ابنتها) فهو ذكرها المتطبع بطبائعها ورغائبها فتجد حبها الأول فيه وانه مُلك لها لا لغيرها حتى ولو تزوج من زوجة

تبقى تشعر الأم بأنه ابن احشائها لا تستغني عنه ولا يستغنى عنها أو يفاضل أحدها عليها.

أخيراً اناقش سياسة الطفل الواحد، أنها سياسة ترقيعيه لمعالجة التضخم السكاني وكان الحكومة الصينية تعالج مرض السرطان باستخدام حبة بندول!!! غافلة التدرج الطبقي والعرقى والديني في لمجتمع الهائل ومهمله رغبة الأسرة الصينية في أن يكون لها ذكراً ومفاضلته على البنت حسب الطقوس الدينية الصينية القديمة، بل عندما تنجب الأم بنتاً فإن لديها رغبة في تجاوز الطفل الواحد رغبةً فيها في أن تنجي ذكراً وتتحمل العقوبات الحكومية التي تفرض عليها بعد إنجاب الطفل الثاني وهكذا فإن هذه السياسة لا تقلص الحجم السكاني الهائل بهذه الطريقة البائسة متناسيه الحكومة الصينية بأن الرجل والمرأة يريد من زواجه تخليده بعد مماته من خلال ولادة الذكر أكثر من البنت!!!

### 11 / الجندر الياباني..... سلعة مؤقتة غير دائمة وثابتة

عند مقارنة أنماط الدور الجندي في اليابان مع مجتمعات أخرى نجد سلسلة تناقضات بينهما. لكن خلال الحرب العالمية الثانية كانت المرأة اليابانية والأمريكية يشتركان في العديد من القواسم المشتركة بينهما إذ كلاهما رفضا اعتماد القادة من القواسم المشتركة بينهما إذ كلاهما رفضا اعتماد القادة الحكوميين والصناعيين عليهما لكنهما تحملا الاعتماد عليهما في رعاية الأسرة والشؤون المنزلية.

إنما تحت الاحتلال الأمريكي لليابان عام 1945م قررت القوى العاملة تطبيق سياسة تدعم الممارسة الديمقراطية المنسجمة مع قيم الثقافة اليابانية. وقد برزت نجاحات هذه التجربة الفردية في الميدان الاقتصادي والصحي والتعليم العالي فكان هناك ازدهاراً شاملاً يُعبّر عن النجاح المذهل لهذه التجربة في قيادة التغيير الاجتماعي الذي ساد خلال الاحتلال الأمريكي ليابان. بيد ان التحول الرئيسي في المواقف حول المساواة الاجتماعية الشاملة وبالذات في مساواة الرجل مع المرأة استفادت منه المرأة اليابانية بامتياز أكثر من الرجل الياباني.

اتسمت سياسة الاحتلال الأمريكي بفرض فوقي من قبل الحكومة الأمريكية في اتفاقية مبرمة في 1945 /7/26م المؤكدة على التطبيق الديمقراطي في حرية التعبير والتدين واحترام حقوق الإنسان وكانت هذه الفقرات مطلوبة ومدعومة من قبل اليابانيين أنفسهم التي تم الإعلان عنها في 1947/3/3م برز فيها الدعم الواضح لحقوق المرأة ومساواتها في ظل القانون بعيداً عن التحيز والتعصب لأي عرق أو قومية أو دين أو حزب سياسي أو مكانة اجتماعية إقليمية أو نسب عائلي علاوة على الكفالة العامة للشباب في مساواتهم التعليمية المعتمدة على الكفاءات مع ضمان

حقوق المرأة بالعمل في الدوائر الحكومية ومنحها الحرية في الزواج المعتمد على موافقة الشريكين. أخيراً فإن اتفاقية عام 1947م ضمنت حقوق المرأة اليابانية أكثر من الرجل الياباني بشكل غير مسبوق فعززت مكانتها في المجتمع هذا هو المرواز الجندري في اليابان بعد عام 1947م. [Brooke. 2005. P. 212]

ومن نافلة القول خضوع المساواة الجندرية للسياسة العامة المعبرة عن سياسة الحكومة والمعتمدة من قبلها في المواقع التالية: ساعات العمل الطويلة، فترة الحمل والولادة، اجازات الحيض الشهري. حيث أوضحت السياسة العامة أن اليابان الجديد يحتاج الى رفع مكانة المرأة ودعم مشروعاتها والاحاطة بخصوصيتها الأنثوية من الناحية البيولوجية لأنها المنجبه للفرد الياباني والمنشئة له. بتعبير أخ، أن صحة ونضج ورشاد الجيل القادم متوقف على رعاية أمومته ودعم راعيته (ألا وهي الأم) هذه المكاسب الانثوية طالت 30 عام لكي يتم المصادقة عليها فصدرت عام 1986م أطلق عليها "المساواة في دفع في الأجور والتوظيف".

أما سبب تأخير المصادقة على هذه المكاسب النسوية فإنها ترجع الى معايير الثقافة اليابانية العتيقة والى النظام الاجتماعي المتكلس والى مصلحة التدرج الياباني. بمعنى كانت هذه الحوائل بمثابة معوقات لظهور مثل هذه التغييرات لصالح المرأة اليابانية. تكشف لنا هذه الحالة حقيقة مفادها ان تغيير مصالح الجيل القديم الذي يحمل معايير زمانه ومحكات تنشئته الاجتماعية وضوابط ثقافته الموروثة لا تتحقق بقرارات رسمية أو قيادية أو بوليسية عسكرية بل تأخذ وقتاً طويلاً وصبراً جميلاً لكي يشاهدوا مرحلته الزمنية المختلفة عن جيل آبائه وأجداده المقترنة مع ضعف وتوهن سيطرة وتوجيه الجيل القديم للأحداث المستجدة والجديدة عليهم عندها تجعلهم ينسحبوا من طريق الجيل الصاعد. وهكذا كما ذكرنا انفاً تستغرق وسنين من الزمن وصبراً لا يخلوا من انفعالات وثورات وصراعات الى ان تُنهك قوى الجيل القديم وتأفل مكانته لتحل محلها نجومية الجيل الجديد الممتلئ بالحيوية والنشاط عندئذ يتحقق التغيير غير المتدرج والغير مقبول من قبل الجيل المعمر.

### **خطة المساواة الجندرية**

انتهبت الحكومة اليابانية لمسألة الجندر والمساواة بين الرجل والمرأة في العقد الأخير من القرن الماضي (العشرين) تحديداً عام 1994م إذ استحدثت دائرة متخصصة بالشأن الجندري ومساواة قطبيها (الرجل والمرأة) ثم أصدرت قراراً فيما بعد عام 1997م لإرقاء صلاحيتها في دعم مركز المرأة ودورها المستقبلي في القرن الحادي والعشرين. بمعنى وضعت خطة استراتيجية بعد ان حددت

قاعدتها في عام 1999م تضمنت هذه القاعدة سلسلة رؤى لتغيير القيم التقليدية المقيدة لمكانة المرأة في المجتمع وخصصت ميزانية للصرف على مناشطها واشركت فيها رجال من ذوي المقامات العالية ممن لهم افاق رحبة وواسعة في الشأن الأنثوي المعاصر. بجانب هذه الدائرة هناك تنظيمات أهلية – مدنية تطوعية دعمت عمل هذه الدائرة إضافة الى دعم الأمم المتحدة لها. جميع هذه المحاولات ساعدت المرأة على إرقاء اتخاذ قراراتها فيما يخص شؤونها ومشاكلها في المجتمع الياباني.

هذا ولا بد لي بعد هذا الاستطراد أن اشير الى دعم الحكومة لأوليات الخطة حيث شكل هذا الدعم حدثاً ايجابياً على الصعيد الرسمي والمدني، مثل هذا الدعم كان موجهاً بكل ما ترتبط بحقوق إنسان والعنف المدني ضد المرأة ومساواتها بالرجل وتدريب معلمين يعلمون مبادئ هذه القضايا. هذا الدعم الجدي والرسمي لاقى استحسان الرأي العام العالمي إذ وجد دعماً كونياً لتمويله بجانب مساعدة المرأة العالمية، كل ذلك الفت انتباه الشرائح والأطياف الشعبية والرسمية لترحاب العالم لما قاموا به من مساواة جندرية في الأسرة والمنزل ومكان العمل والجيرة والمجتمع المحلي بذات الوقت كشفت هذه الممارسات فجوات كانت سائدة فيما مضى، فجوات واسعة ومستمرة حصلت بين ربوات المنازل والعاملات من النساء (وهذه مشكلة جديدة تظهر على سطح الجندر التي لم تكن معروفة عند الجندر في مجتمعات أخرى، بل هناك تعاطف وتعاون وتنسيق بينهما).

ومن نافلة القول إن رجال اليابان أوضحو الأعباء الاقتصادية المعاشية الملقاة على عاتق المرأة العاملة وربوات البيوت وقد أيد هذا العبء العاملات في برامج الرعاية الاجتماعية لكبار السن والانساب (أي الأم وأب وزوج والزوجة) وإن ما تقوم به النساء هو تقديم الشاي والعمل السكرتاري للرجل المتعاليين ومعهم مستوى تعليمي ابتدائي وخبرة مهنية أولية. بمعنى ان العاملة اليابانية كانت أشبه بالخادمة أو الشغالة للرجل السبه أُمي والغير ماهر في العمل. بيد ان المشكلة الكبرى التي كان يعاني منها المجتمع الياباني تكمن في النقص الكبير في الأيدي العاملة فكانت معالجته لهذه المشكلة هو فتح باب الهجرة أمام الأجانب بالقدم لليابان ومليء هذه الثغرة الكبيرة عند القوى العاملة وهنا لم يخترق اليابانيين المحرمات الثقافية اليابانية. أي لم يتجاوزوا معايير القيم اليابانية.

وعلى الرغم من مرور عقود من الزمن على صدور التشريع القانوني المعبر المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات في التوظيف ودفع أجور العمل لهنّ ومساوتهنّ بالرجل لم يتم تطبيقه على أرض الواقع، فضلاً عن ظهور مواقف سلبية

ضد طموحات النساء وتحررهنّ (كرد فعل سلبي لهنّ) لأن هذه المواقف تمثل معارضة للمعايير الاجتماعية ولا تُعبّر عنها وإزاء هذه المواقف السلبية واهمال التشريعات القانونية الخاصة بالمساواة بقيت حبراً على ورق كان أحد أهداف صدور هذه التشريعات هو لإيقاد وارقاء الوعي بقضايا الجندر إلا ان الوعي لم يتحقق ولم تتم مشاهدته في الحياة اليومية بل وحتى لم يحصل إنقاضه أو إزالته. بتعبير ثانٍ لم تكن التشريعات القانونية مطابقة لمعايير المجتمع التقليدية بل متعارضة لها وهذا يقول لنا ان المعايير الاجتماعية لديها قوة مؤثرة فاعلة أقوى من التشريعات القانونية لأن الأولى متشربة في تفكير واحكام وسلوك اليابانيين لعدة عقود من الزمن، أما التشريعات القانونية فهي جديدة ولم تُمارس من أي جيل لذلك لا تؤخذ بها في الممارسات اليومية عند اليابانيين. أقول ان المعايير العرفية أقوى من التشريعات القانونية في اليابان وفي كل مجتمع انساني لأن الأولى أرسخ في الوجدان من التشريعات وهذا هو أحد أسباب عدم تطبيق المساواة الجندرية في المجتمع الياباني.

### **نظرة العمل للمؤنثة على انها سلعة مؤقتة غير ثابتة (مرواز جندي ياباني)**

هناك نظرة راسخة وسائدة في المعتقد الثقافي الياباني متعلق بعمل المؤنثة في سوق العمل مفاده انها تمثل سلعة طارئة ومؤقتة لحين زواجها على انها حقيقة ثابتة لا تمثل مشكلة عسوية سواء كان ذلك للمرأة أو للمجتمع لأنها تمثل سلوك واقعي في حياة المجتمع الياباني بالذات في سوق العمل والأسرة حيث تنزل الى سوق العمل وهي عزباء (بنت غير متزوجة) تبحث عن مصدر رزق تتكسب منه لكنها تتركه عندما تتزوج فلماذا يناقش هذا الموضوع المتكرر كل يوم وفي كل مكان في اليابان. انها سيرة عمل تمثل نمط سلوكي سائد ودائم وكأنها ضيفة مؤقتة غير دائمة فلماذا يُنظر اليها على انها مقيمة دائمة على أرض العمل؟! لكن بدأ الزوجين اليابانيين يعبروا عن ندمهم حول هذا الموضوع الذي سببه ترك المرأة للعمل بعد زواجها والمرأة المتزوجة تعرف ما هو دورها كزوجة وكأم الذي يحدد ويقنن فرص عملها خارج المنزل، بيد ان هذه القضية يتم حلها أو معالجتها لصالح المنزل والأسرة وتتفوق على مكان العمل في هذا الصدد تصرح المرأة وتقول بأن "المقصلة تنزل على رقبتها وتفصل رأسها عن جسدها حال زواجها) بمعنى تفصلها عن سوق العمل (هذه الحالة ليست يابانية فحسب بل سائدة في جميع المجتمعات النامية) إذ ان العاملة اليابانية مقيدة بقيود الأدوار النمطية الجندرية لذلك نجدهنّ يركزنّ على أنواع متدنية من العمل وذات شروط سيئة وردئية صحياً وغير آمنة. وإزاء ذلك فإن حالة الفصل الجنسي في مكان العمل (مصنع، معمل، شركة، ورشة عمل)



سائد وقوي (مع بعض الحالات القليلة من النساء لا يخضعن لهذا الفصل) وإن مساواة الجنسين في العمل ليس له اعتبار واحترام ولا يدفع لهنّ أجور عمل عالية بل ضئيلة لا يرغب ويقبل بها الرجال.

فلا غرو من القول بأن هناك فجوة أجورية كبيرة بين أجور النساء والرجال ليس هذا فحسب بل أن مناصب مدير الإدارة مستثنى من اشغاله من قبل المرأة لأن أصحاب العمل يرون بأنهنّ يمثلنّ إعاقة في الإنتاج وسهولة الحصول عليهنّ وسهولة طردهنّ من العمل والاستغناء عنهنّ فضلاً عن كون اشغالهنّ مكلفة وغير مستمرة. مع ذلك فإن عملهنّ يقدم منافع لإصحاب العمل عن طريق الأجور المتدنية وعدم حصولهنّ على منافع مهنية والمنافع الهامشية مثل العمل الثابت والدائم full time. لقد دخلت المرأة اليابانية الى سوق العمل بشكل واسع بعد اعادتهنّ للعمل بعد انتهاء فترة تربية اطفالهنّ وهنّ في منتصف اعمارهنّ وممن يركزنّ على العمل الجزئي part time والاعمال المتدنية والمتناسبة مع تحصيلهنّ الدراسي لذلك يواجهنّ تعصب وتحيز ضدهنّ كل ذلك راجع الى مجموعة أسباب هي التعصب الجندي والعمر والمكانة الاجتماعية للأسرة ورغبتهنّ بعمل دائم وكامل full time لكنهنّ يواجهنّ حوائل ثقافية دائمة وثابتة تحجب عليهنّ الدخول الى سوق العمل الدائم. والعائدات للعمل ما هم سوى سند مواقع مهنية دائمة لأنهنّ يتركنّ العمل عند زواجهنّ أو حملهنّ أو ارضاعهنّ لأطفالهنّ وهذا سبب قوي في جعل سوق العمل الياباني يأخذ بالفصل الجنسي بدون تحدي ولا هوادة. [Hori. 2009. Pp. 25 –

[30

لا أريد أن اترك هذه المعتقدات الثقافية مالم أسبر غور موضوع المساواة الجنسية لكي أصل الى ضرورة تقارب التطور العلمي والتقني مع تطور المجتمع لأن حركة الأول دائماً أسرع من حركة الثاني في تقدمه مما يسبب تخلفاً ثقافياً واجتماعياً لكن بالإمكان تقليص سعة فجوة التخلف بالوعي الاجتماعي. أبدأها من دور الزوجة ودور الأم، فالأول إذا كان دورها مؤدي بشكل متناسب مع دور الزوج فإن الأسرة ستكون غير مهددة بالتفكك والانحلال وإذا كان دور الأم مؤدي بشكل مسؤول تربوي وتنشئي أسري مسؤول فإن ذلك يخدم استواء الجيل القادم بعيداً عن الانحرافات والجنح السلوكية لهم، بمعنى إذا عاقبت المعتقدات الثقافية الموروثة ومصالح أرباب العمل ومصالح الرجال النرجسية فإن هذين الدورين في ظل التطور العلمي والتقني واعتبارها "سلعة مؤقتة في سوق العمل" فإن ذلك يبلور ما يلي (في المرواز الجندي): -

- 1 - اعتلال وظيفي لدور الزوجة.
  - 2 - اعتلال وظيفي لدور الأم.
  - 3 - انحراف وجنوح الأبناء.
  - 4 - تفكك وانحلال أسري (هجر، انفصال، طلاق)
  - 5 - ارتفاع معدل العنوسة.
  - 6 - استغلال الذكر للمؤنثة في علاقاته الجنسية.
  - 7 - تبلور فجوة جندرية لا تخدم التطور العلمي والتقني.
  - 8 - تبلور فجوة مهنية لا تخدم التطور العلمي والتقني.
  - 9 - تبلور فجوة أجورية لا تخدم التطور العلمي والتقني.
  - 10 - تشكيل حركات نسوية متمرده على الحوائل الجندرية يتم استغلالها من قبل رموز السياسة الانتهازيين لا لخدمتهنّ واحقاق حقهنّ بل لاستخدامهنّ كأصوات في الانتخابات لهؤلاء الرموز ليس إلا.
  - 11 - تمرد المؤنثات الواعيات بتلك المعايير المتكلسة والخروج عنها بشكل متطرف مما يُشكل مشاكل مستحدثة ومستجدة لا يستطيع التحكم بها من قبل المنافقين والمداهنين والمصلحين السياسيين.
  - 12 - تحجر وتكلس المعايير الثقافية المعارضة لمقاييس التطور الاجتماعي والوعي بقيمة المرأة في الحياة العصرية.
  - 13 - تصبح المرأة ضحية اجتماعية وثقافية جنى عليها الرجال المصلحين سياسياً والنرجسيين شخصياً والمتخلفين ثقافياً، كذلك من المعايير الثقافية الموروثة والسيطرة الذكورية (البطريقة) وأرباب العمل.
- أما كيف يتم معالجة هذه المعضلة القائمة بين (الأسرة والعمل) فإنها تتم عن طريق تدخل الحكومة من باب الضمان الاجتماعي والصحي بتقديم المساعدات للزوجة وللأم التي تركت عملها بسبب هذين الدورين المشروعين التي تقدم من خلالها خدمات إنسانية واجتماعية جمة ومثريه للجيل الحاضر والمستقبل. أي لجيلها وجيل أبنائها تخدم بها مصلحة الأسرة والمجتمع ولا تجعل للمؤثر المادي الذي يفرضه أرباب العمل على مستقبل الجيل القادم وعلى التنشئة الأسرية وعدم تفكك الأسرة. لذا أقول إذا أردنا مجتمعاً صحيحاً لا ستضمن امراض اجتماعية عديدة وذا معدلات عالية من العلل الاجتماعية مثل (الطلاق، الهجر، الانحراف، الجريمة، الإدمان على المخدرات والمسكرات، التسرب المدرسي، اشتغال الصبية المبكر، البغاء، التسول، التفكك الأسري) علينا ان نساوي بين الجنسين في حقوقهم

وواجباتهم وعدم التعصب لأحدهم بعيداً عن المؤثرات الثقافية الموروثة والسلطة الذكورية (البطريقية) لكي نضمن استواء سلوك الجيل القادم ومعاونة المجتمع من العلل التي بلورتها مصالح المصلحين ومعايير ثقافية وضعتها أجيال سادت ثم ماتت في توجيه سلوكيات الأحياء في أجيال لاحقة. أقول علينا أن نخطط للمستقبل في حياتنا الحاضرة ولا تخضع لقيود الماضي لأنها غير مناسبة ولا تابعة من واقعنا المتغير والمتطور البعيد عن الواقع المنصرم والبائد.

### الزواج والأسرة (المشكاة الجندرية)

قيل فيما مضى وما عُرف عن المؤنثة اليابانية بأن قدميها مبرمجة بالسير نحو المنزل ودخوله وليس للخروج منه وإن هناك جاذبية قوية تسحبها نحوه وإن هذه الجاذبية تعمل معاً مع الحياة الأسرية لاستقطاب المرأة، هذا هو واقع المؤنثة اليابانية في معظم أرجاء البلاد. إذ يتم تنشئة الفتاة منذ صغرها على اكتساب القيم الأسرية والمنزلية وكأنها ستعمل في المنزل طيلة عمرها ويتم تعليمها بشكل دقيق وكأنها ستخضع لاختيار شديد ودقيق كذلك تتعلم هذه المعايير في المدرسة والأسرة معاً لأن المجتمع يريد أن تكون ربة بيت ناجحة طيلة حياتها. لكن هذه الحالة عند مقارنتها مع نساء باقي المجتمعات نجد أنها شاذة في سوق العمل. إلا أن مع التقدم الذي حصل للمجتمع الياباني جعل أسلوب تنشئتها يقوما كانت عليه سابقاً كذلك تقلصت خصوبتها الجنسية في الانجاب.

استطاعت المؤنثة اليابانية أن تتحكم في خصوبتها الجنسية لتوصلها إلى أدنى حد إذا تم مقارنة حالتها مع خصوبة المرأة في دول العالم وهذه القدرة اليابانية النسوية تقول لنا إن المؤنثة المتعلمة تستطيع أن تتحكم بعدد إنجاب أطفالها وتهتم بشؤون منزلها ورعاية أطفالها في الان ذاته. بيد أن المعتقدات الثقافية اليابانية تركز على أو تتمحور حول هدف تنشئتي قبل كل شيء ألا وهو أن تكون اهتمامات الم حول تربية أطفالها بالدرجة الأولى. بمعنى هدف الثقافة الاجتماعية اليابانية هو الاهتمام بمسؤولية دور الأمومة الذي يشكل ويمثل الصورة العامة للهوية الاجتماعية والشخصية للأم اليابانية. بتعبير آخر تهتم الثقافة الاجتماعية اليابانية بدور الأم أولاً ومن ثم دور الزوجة وبعدهما دور العمل الوظيفي في المهنة هذا هو التدرج الدوري للأم اليابانية في هويتها الشخصية. وإذا كان الام تعمل خارج المنزل ولديها أطفال فإن أمها تساعد وتتهتم برعاية أطفال ابنتها أثناء عملها. أي انها لا تتخلى عن دورها الأمومي ودورها الزوجي لكنها تستطيع أن تتخلى عن عملها إذا تطلب دورها كأم أو زوجة، أسرتها قبل عملها.

وللإحاطة أكثر في هذا الطرح يضحى سبيلي مهتماً بتوضيح علاقة السكان بالتغيير الأسري. إذ إن التحولات السكانية تؤثر بشكل أو بآخر على الزواج والأسرة في اليابان بجانب تأثير الحد الأدنى لمعدل الخصوبة الجنسية (أي إنجاب الأطفال) حيث لدى اليابان معدل عالٍ من كبار السن (أي توقع الحياة بطول عمر الفرد) وفي عام 2030م سوف يكون في اليابان أعلى نسبة من كبار السن في العالم ممن تتراوح أعمارهم ما بين 85 عام وأكثر. وإن النساء اليابانيات الآن لا يرغبن بالزواج المبكر من أعمارهن بل الزواج المبكر من أعمالهم بل الزواج المتأخر من أعمارهم بذات الوقت إذا تزوجنَّ فأنهنَّ لا يقدمنَّ على الإنجاب مباشرةً بعد الزواج بل تؤجلنَّ ذلك لحين، ويفضلنَّ الذهاب للدراسة الجامعية على الزواج والإنجاب لأن الشهادة الجامعية تمنحهنَّ فرص عمل أكثر في أعمال مكتبية أو هندسية أو طبية أو مهنية بيروقراطية.

إذن نستطيع ان نستنتج مما تقدم من أن المؤنثة اليابانية المعاصرة تخضع لمؤثرين قويين في حياتها وهما: مؤثر ثقافي موروث لا يمكن تجاوزه وهو: الاهتمام بتربية أطفالها قبل اهتمامها بزوجها لأن ثقافتها تنظر الى مستقبل الجيل القادم على يد أم متفرغة له.

أما المؤثر الثاني وهو: خضوعها لمتطلبات العصر الجديد في العمل خارج المنزل الذي يتطلب الدراسة الجامعية لكي تستطيع أن تعمل أعمال مهنية حديثة وتقنية متطورة.

إن ضغوط هذين المؤثرين (الأول والثاني) على المؤنثة اليابانية أفرز عندها ما يلي: - أ - تأخر سن زواجها.

ب - تأخير إنجابها للأطفال.

ت - ارتفاع سن توقع عيشها (أي إطالة عمرها).

ث - مفاضلتها لدراستها الجامعية على رغبتها في الزواج والإنجاب.

كل ذلك أدى الى تقليص حجم الأسرة وخصوبتها والعمر المتوقع للحياة وهذه استجابة إيجابية تخدم مكانة ودور المؤنثة في الأسرة والمجتمع وعدم خضوعها للمؤثرات التقليدية التي تعيق تطورها وجعلها مستجيبة للمعايير والقيم التقليدية الموروثة وهذه حالة صحية لها.

نستشف من الاستهلال الأنف الذكر عن تأخر سن زواج المؤنثة اليابانية يؤدي وينتج اعداداً كبيرة من عزاب الذكور. ففي طوكيو مثلاً هناك 40% من الرجال ممن أعمارهم بالثلاثينيات من غير المتزوجين ويعيشوا مع والديهم وهم من حملة الشهادة الجامعية ويعملوا بدوام كامل full time ويفضلوا البقاء عزاباً وطفيليين

على حياة ومعيشة والديهم. ثمة حقيقة عن هؤلاء الرجال تقول بأنه على الرغم من عدم توقع الرجال بامتلاك مهارات مدنية ضرورية (مثل اعمال يدوية) لكي يعيشوا على كدهم فإنهم يفضلوا ان يبقوا هكذا أكثر من النساء علماً بأن نظرة اليابانيين لهؤلاء الرجال تكون محتقرة لأنهم يمثلوا العالة والكسل والطفيلية. وفي العقود القديمة كان الزوج الياباني يعمل طيلة حياته في عمل واحد لفترة كاملة full time بمعدل 10 – 14 ساعة في اليوم لكن هذا النوع من العمل قد اختفى وحل محله الرجل العصري الحريص على ان يعيش خارج حدود الوظيفة التقليدية والزواج التقليدي (اختيار الأهل زوجة له) وأضحى يساهم في الاعمال المنزلية لمساعدة زوجته على نقيض الزوج القديم الذي كان يُكنى بـ (salary man) [ Tsuya, ] [etal. 2005.P.174

بقي أن نشير في هذه الموضوع الى وجود تناقضات مرتبطة بدور المرأة داخل الأسرة اليابانية. إلا أن الحرب العالمية الثانية أزاحت الكثير من القوانين التي تطعن في كفاءة المرأة حيث كانت مكانتها متدنية في الأسرة وفاقدة النفوذ وينحصر دورها في الكر والكدح الأسري وتحمل خدمة الزوج والأطفال وأم الزوج وان تكون مطيعة وخانعة لهم. هذا ما كانت عليه الثقافية الاجتماعية اليابانية مثل الحرب العالمية الثانية لكن بعدها أصبح لها استقلال فعال وغير محدود وتحررت مكانتها ودورها مثل: 1 – موافقتها في زوجها.

2 – موافقة الطرفين عند الطلاق.

3 – تحصل على مناصفة حقوقها عند الطلاق.

هذا هو المستجد في المرواز الجندري بعد الحرب العالمية الثانية.

لا جناح من أن المرأة اليابانية بارعة وماهرة في التدبير المنزلي والرعاية الأمومية. لكن على الرغم من ذلك فإنها:

1 – متسلط عليها من قبل الرجل.

2 – واعتبارها الاجتماعي واطئ.

3 – ونفوذها وسلطتها وامتيازاتها قليلة عند مقارنتها مع الرجل.

4 – لكن النساء كمجموعة ليس لديهم قوة مؤثرة في المجتمع لأنهم معزولات ويشعرون بعقد نقص.

5 – بينما كفرد لها مكانة مؤثرة داخل اسرتها وصاحبة قرار مأخوذ به من قبل افراد اسرتها.

6 – ونشطة في بناء هويتها الزوجية والأمومية. [ Liddle and Nakajima. ]  
[2000. P. 22

نردف الان الى موضوع الأمومة **Motherhood**: إذ لا يُعلى شيء مقدس على قدسية الأم اليابانية من قبل أبنائها وأما لأنها منشئة منذ الصغر على رعاية الأطفال والاهتمام بهم (مع أخواتها أو أقاربها) لذا فهي (الأم) تضحى موقرة ومُبجَّلة أسرياً من قبل أولادها ولأن الثقافة اليابانية تنظر الى الطفل بأنه مخلوق مقدس فإن ذلك يعني ان كل من يراه يكون مُكتسب صفة التبجيل والتوقير. وعند مقارنة الطفولة اليابانية مع الامريكية يكون الأول أكثر اعتماداً وأقل استقلالاً من الطفل الأمريكي، وكلما يكون الطفل معتمداً على أمه كلما أضحت الأم مخلوقاً ضرورياً وملازماً له. هذا على صعيد الأطفال وأهمهم. أما على صعيد الزوج فإنه أيضاً تتم رعايته رعاية ملازمة للزوجة وكأنه أحد أبنائها. أما عن السلطة الأبوية (البطريقية) فهي موجودة إنما خراج المنزل والأسرة حيث هناك نظام تقسين عمل منزلي يتقاسم الزوج والزوجة القيام به لأنه لو قان الزوج بالتدبير المنزلي فإنه سوف يحرم زوجته من السلطة الأمومية. لذلك كلاهما يتقاسمان شؤون تدبير المنزل وإن الزوج يعمل خارج المنزل ويكسب المال للأسرة وتحمل الزوجة إدارة ميزانية الأسرة والشأن المنزلي والشأن المنزلي وتكمن سلطة الزوج في دفع فواتير الأسرة. [ Notter. ]  
[2002. P. 224

وقبل أن ننصرف عن الجندر الياباني نقدم صورة عن المؤنثة اليابانية من منظورها إذ يمكن تصنيف صورتها الى نوعين يتضمن الأول سلوكيات دورية أسرية – أمومية تعكس:

1 – تلك التي تحترم وتقيم الحياة الأسرية وتعطي لها اعتبار أسري واجتماعي عالٍ.

2 – لا تفكر بالطلاق حتى لو أصبحت حياتها الزوجية سيئة وتعيسة وغير منسجمة مع زوجها.

3 – مُعتزة بدورها الأسري عندما تتخذ قراراتها في الصرف المالي وتخطيط ميزانية الأسرة.

4 – اداركها بأنها أفضل من الأم اليابانية التي عاشت في العقد السادس من القرن الماضي في استقلالها وشخصيتها لكنها لا تصل الى المساواة بينها وبين زوجها في الحقوق والواجبات.

5 – تعمل خارج المنزل لغاية ولادة طفلها الأول ثم تعود للعمل ثانيةً بعد أن يدخل طفلها المدرسة الثانوية.

6 – ترى نفسها بإنها ربة بيت محترمة ومتمتعة بمكانة متصفة بالزوجة الجيدة والأم الحكيمة.

الصورة الثانية للمرأة اليابانية تنطوي على الشابة التواقه للاستقلال الشخصي والمالي واختيار زوجها بنفسها عن طريق الحب الرومانسي المتبادل وليس عن طريق اختيار الأهل. إلا ان هذا الحب ليس بسهل الاختيار والعثور عليه، لن بعد تخرجهن من الجامعة يدخلن سوق العمل الذي يفصل بين الجنسين وإزاء هذه العقبة ترجئ البنات زواجهن لحيان اختيارها لشخص تفتخر به مالياً ومهنياً وشخصياً. وامام هذه الصورة يرى الرجل الياباني ان هذه البنات لا تمتلك الحيوية الأنوثية ولا تليق بالرجل الياباني لأنه يريد أن يتزوج من ربة بيت بذات الوقت تريد المرأة أن تتزوج من رجل يعترف بالمساواة الجنسية وأن يكون مؤهلاً للزواج.

وعلى الجملة نقول بان الجندر الياباني مازال جنيناً أي في طوره الجنيني يُعبّر عنه كلامياً – لفظياً Vocal مُنادى به صوتياً يُهتف به ليس لأنه يواجه تحدي متعصب من قبل التميز العرفي والرسبي والثقافي حيث ما زالت المعايير الثقافية تتحكم في سلوك الرجل والمرأة وفي مكان العمل وأجور العمل. لذل عملت الحركات النسوية العالمية دعم وتعزيز الحركة النسوية اليابانية من أجل تحرير المرأة اليابانية من قبضة الثقافة الموروثة واستبداد الرجل وتسلطه عليها، أصبحت الان تمثل سلعة مؤقتة غير دائمة في سوق العمل يتم الاحتياج اليها عند افتقار السوق للأيدي العاملة الذكورية ويتم الاستغناء عنها عندما يصاب السوق بأزمات اقتصادية وبطالة الرجال.

### 11 / ث – تخصيص الجندر الهندي لجعله رمزاً وطنياً

عندما نتناول دراسة المجتمع الهندي فإننا لا نستطيع تجاوز ما يتحداه ويهدد استقراره اقتصادياً وسياسياً هذا التحدي يكمن في حجمه السكاني البالغ أكثر من مليون نسمة (ثاني حجم سكاني في العالم يأتي بعد الصين) الذي يمثل ساعة متنافية مرتبطة بالغذاء والسكن والبطالة والطبقات الاقتصادية (بين الفقراء والاعنياء) وغالباً ما ينظر الهنود الى مشاكلهم السكانية والاجتماعية والاقتصادية والصحية ويرجعوها الى عدم تجانس فئات مجتمعهم دينياً وعرقياً وثقافياً لكنهم نسوا أو تناسوا أن للمرأة حصة كبيرة في حل مشاكلهم هذه التي يمكن الاعتماد عليها في تخطيطهم لحل مشاكلهم.

### التراث الديني والسياسي (المشكاة الجندرية)

هناك تشابه بين المجتمعات الغربية والمجتمع الهندي من الناحية التاريخية والدينية. إذ يتضمن تناقضاً متخالفاً في دور المرأة الذي يمنحها صورة الالهة في ديانة الانثى ودورها الاقتصادي المتأزم في مرحلة ما قبل الفدية (نظام فلسفي هندوسي مبني على الفداء عند أهل سيلان الأصليين 2500 – 300 قبل الميلاد) يعرض مستوى عالٍ من الاعتبار الاجتماعي للنساء المقترن مع التغير التكنولوجي الذي يستثني المرأة. هذا ما كان سائداً عند الهندوس لكنه انقرض وتفتت بالتدريج فتحوّلت المرأة الى شبه أمتعة منقولة قابلة للتسوية عندما يكون الدين مالكاً موطئ قدم غير المؤسسة الدينية.

لكن مع بداية القرن الواحد للميلاد كانت السلطة في الهند غير مركزية. بمعنى كل ولاية أو إقليم يحكم نفسه بنفسه وكانت الطائفة الهندوسية العليا والمتنفذة في حياة الهنود هي طائفة (البراهمة) التي كانت تتمتع بنفوذ طائفي وسياسي واقتصادي قوي جداً لدرجة أنه وحدهم يترجموا قوانين الهند القديمة وهي قوانين (المانو Manu) الذي ساد ويسود الهند الذي جعل المرأة الهندية معتمدة كلياً على الرجل (الزوج، الأب، الأبْن) ليس هذا فحسب بل أن قانون المانو حرّم زواج الأرملة مرة ثانية بعد وفاة زوجها وحط من مكانتها يبيث طالب بطردها من المجتمع أو حرقها. علاوة على ذلك فقد شرع مفاضلة الرجل على المرأة وجعلها دون مكانة الرجل. كما دفع وصان مصالح طائفة البراهمة الحاكمة. [Mitter. 1991. P. 87]

### حركة الإصلاح الاجتماعي (المراوز الجندي)

لم تبرز حركة إصلاحية جديدة في افكارها عن المرأة إلا في القرن التاسع عشر مثل حركة (جلارنغ Glaring) التي هاجمت وانتقدت زواج القاصرات ونمط حقوقهن في الملكية وحجبتها وعزلها والظروف المحزنة والكئيبة التي تعيشها الارملة. لكن الإصلاحيين توفقوا أكثر عندما أخذوا بعين الاعتبار المحظورات الدينية والعادات المسؤولة عن ظروف المرأة من حيث تعليمها وإزالة أميتها فدفعتها نحو القراءة والكتابة وجعلت منها زوجة متفهمة لدورها وأم مثالية وقللت من ضغوط حياة الأسرة المؤثرة على المرأة. لكن ليس جميع نساء الهند شملتهم الحركة الإصلاحية بل بقت القرويات ونساء الطائفة الفقيرة – الدنيا لم تشملهم الحركة ولم تهتم بهم، وبقت المطلقة والأرملة والعازبة في وضع لا يحسدوا عليه وذلك لعدم وجود مصدر رزق يأتي به رجل يهتم بهم ويصرف عليهم وهي بذات الوقت لا تستطيع أن تعمل خارج المنزل وتحصل على أجر لأن التقاليد الثقافية الخاصة بالمرأة وبزواجها والنظام البطريقي في الهند مشترك مع الأسرة الممتدة في فرض أعباء اقتصادية جمة ومتاعب أسرية عليها.



## غاندي ونهرو (المهماز الجندري)

ركز (مهاتما غاندي) على دور المرأة في الاستقلال والعدالة الاجتماعية منطلقاً من أهميتها في تحرير المجتمع ومنحها اعتباراً وطنياً متألقاً في الحركات والجماعات السياسية المعارضة لكي تلعب دوراً حيويّاً في خارج المنزل وفي الشأن الوطني والسياسي بالذات عندما جاء (جواهر الانهرو) الذي ساند (غاندي) في مرئيته هذه وكان أول رئيس وزراء هندي بعد الاستقلال فمنح المرأة حقوقها في الإرث والطلاق والتصويت في الانتخابات. أما حركة النساء التحررية قبل الاستقلال فقد كانت موجودة 30 سنة قبل الاستقلال إلا انها كانت ضعيفة التأثير في المساواة الجندرية وذلك بسبب ضغوط ومعارضة الاستعمار البريطاني والوجود الوطني الهندي الذين كانوا يدعموا المرأة لفظاً وقولاً وليس عملاً وفعلاً فقط عندما يحتاجوا تأييد مصالحهم وليس مصالح المرأة. ثم كان هناك النظام البطريقي داعماً لعدم مساواتها بالرجل كل ذلك جعل المرأة الهندية ضحية نزاعات فتوية لا دخل لها فيها فلم تشعر بوجود أي تغيير في حياتها اليومية. بيد ان (نهرو) عمل على مساواتها بعد الاستقلال وعندما جاءت (اندريا غاندي) واشغلت منصب رئيسة وزراء عام 1966م كانت أحد أنصار وأركان حركة (نهرو) وقد عملت بطريقة ذكية لجعل أم الهند رمزاً قومياً وأحد تقاليد الهند فكانت رمزاً مخضباً (أم الهند) في التقاليد الهندية. بتعبير آخر منحت (اندريا غاندي) المرأة الهندية مكانة متميزة مستوحاة من التقاليد الهندية لأم الهند في العصر الجديد وقد دام هذا المنح لمدة خمسة عشر عاماً أي لحين اغتيالها على يد أحد حراسها عام 1984م.

اتسم ذكاء (اندريا غاندي) في موضوع مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل (مساواة جندرية) منطلقة من التراث الهندي القديم الذي كان يعتبر المرأة أم الهند المعطاة والمضحية في سبيل أسرتها ومجتمعها وبلدها فشربت دور المرأة الهندية المعاصرة بهذه الفكرة الوطنية لإرقاء مكانتها التي طمست معالمها السيطرة الاستعمارية البريطانية والنظام البطريقي ومصالح التجمعات الهندية الخاصة فكانت هي الأبرز بعد (نهرو) وفي تحريرها من القيود المفروضة عليها في الاث والطلاق والتصويت الانتخابي. هذه في الواقع شرايين تحررها حسب مرئية وقرار (نهرو) فالإرث منحها حقها في الميراث العائلي وحررها من قيود الزوج الظالمة إذا أرادت الخلاص منه فمنحها حق الطلاق بمعنى حررها زواجياً ثم منحها حق التصويت في الانتخابات لمن يمثلها في المجالس الحكومية هذه كانت القاعدة التحررية التي انطلق منها (نهرو) وثم جاءت (اندريا غاندي) ابنته فتوجت تحرير ابيها بتخضيب دور المرأة الهندية بالصاقه برمز تقاليدي عريق في التراث الهندي

وهو (أم الهند) وهذا تشريب ذكي قامت به (اندريا). وقد كان (المهاتما غاندي) القائد الفذ (الكاريزما) لأنه منح المرأة مساواتها بالرجل في جميع الطوائف الدينية والمناطق والاقاليم والاشتراك في حركات المعارضة السياسية وأدوار قيادية فيها واشراكها في المعارضة السياسية.

لا حظ هنا إن تحرير المرأة الهندية جاء من قبل زعماء وطنيين يريدوا النهوض بمجتمعهم من خلال عناصر وطنية متساوية في حقوقها وواجباتها وهي (المرأة والرجل) وليس فقط الرجل. لأن مجتمعهم متكون منهما وليس منه فقط، وهم القادرون على تغيير مواقع المرأة وتنشيط أدوارها خارج المنزل في السياسة والاقتصاد وحقوقها القانونية في الأسرة. اما الحركات النسوية فإن وحدها غير قادرة على تحقيق حقوق المرأة وحدها في المجتمع لأن مصالح الرجل تتعارض مع مصالحها لذلك تحتاج الى مواقع قيادية كرازمتيه تساعد على القيام بتحقيق المساواة في الحقوق والواجبات وهذا ما حصل مع جندرية روسيا والصين أبان حكم (ماو) وروسيا ابان حكم (لينين).

### الفجوة الجندرية في التنمية البشرية (المرواز الجندري)

لكي نوضح الفجوة الجندرية نستند على معطيات التنمية البشرية في المجتمع الهندي. إذ هناك 50% من الاناث الهنديات من المتعلقات عند مقارنتهن مع 75% من الذكور المتعلمين حيث هناك 20% من الأولاد مستمرين في دراستهم الإعدادية. هذه النسب المتعلمة تترجم لنا الاستخدام النسوي في العمل المدفوع الأجر وبالذات عندما نقارنها مع الاعداد الهائلة من النساء غير الماهرات في الاعمال الهندية إذ إن معظمهن يعملن في الحقول الزراعية والماهرات منهن - وهن الأقلية - يعملن في معامل صغيرة. لكن مع ذلك فإن هناك توسع في استخدام النساء بشكل عام، إنما هذا لا يؤثر على تقليل عدد المستخدمات غير الماهرات، حيث هناك اعمال غير رسمية تعمل فيها النساء. وهناك قسم التنمية البشرية في الأمم المتحدة لديه ثلاث مجالات لقياس منجزات المرأة وهي: قسم الصحة، وقسم التعليم، وقسم التوظيف ومن خلال هذه المجالات تم درج الهند في قائمة الدول الفقيرة لأن تسلسلها 128 من أصل 177 دولة.

لا جناح من الإشارة الى بعض الحقائق السكانية المتعلقة بالفجوة الجندرية والتنمية البشرية مثل ارتفاع معدل الوفيات وهبوط معدل توقع الحياة في بعض أقاليم الهند على الرغم من الجهود المبذولة في تنمية المجتمع هذه الحالة مشابهة للحالة الصينية في هذا الشأن. إذ ان معدل ولادة الذكور أكثر من ولادة الاناث لا سيما وان الهنود يفضلون الذكور على الاناث وهذا غالباً ما يساعد على ارتفاع

معدل الوفيات عند الإناث أكثر من الذكور بسبب الفقر لذي يؤثر على تغذية الأطفال المسبب لإهمال الاعتناء بالإناث الذي بدوره يؤثر على عدم استمرار بقائهن على قيد الحياة بسبب اهتمام الأم بالذكر المفضل عندها عند الولادة. هذه الحالة تفسر لنا ارتفاع مهر البنت عند الزواج الذي يشكل تدرج طبقي حاد وآليه اجتماعية - مالية للحراك الاجتماعي يستخدمه الرجال للتأثير على النساء واستنزاف حقوقهن من أجل الوصول الى مكانة اجتماعية أعلى. عن تبعية الصداق (المهر) للبنت ومفاضلة الذكر عليها يؤثر كثيراً على معدل وفيات الإناث.

لا جناح من الإشارة الى وجود مؤثرات تعكسها المعتقدات الثقافية تمارس فعلها بقوة على الزوجة في زيادة الانجاب وحق الزوج في الممارسة الجنسية مع زوجته، ثم هناك جهل الزوجة في استخدام الواقي في منع الحمل إذ هناك 4/1 من الزوجات يجهلن هذا الاستخدام ليس هذا فحسب بل إن أغلبهن لا يعرفن المدة أو الفترة الزمنية بين الولادات وهذا ما يؤدي الى ارتفاع وفياتهن عند الولادة الذي يتبعه وفاة الطفل المولود كل ذلك يؤثر سلباً على عدم نجاح التخطيط الأسري والرغبة في تقليل عدد الأطفال.

من أحد أسباب ارتفاع معدل الوفيات عند النساء الهند يرجع الى مرض الإيدز (ضعف جهاز المناعة AIDS) إذ تصاب به بشكل أسرع من إصابة الرجل به وانه منتشر في المناطق الريفية وعند الطوائف الدينية حيث الكثير منهن لم يسمعن بمرض الإيدز وأخريات أكثر من يجهلن به أي لم يشاهدن أزواجهن يستخدمون الواقي الجنسي condom وإن المصابات به تمت أصابتهن عن طريق أزواجهن لكنهن لا يستطعن الفرار والهروب من طلب الجنس من قبل أزواجهن حيث يتم أجابهن بالانصياع للمضاجعة لأنه هو رب الأسرة وهو صاحب السلطة العليا في الأسرة. بل حتى درايتهن ومعرفتهن بمرض الإيدز لا يقلل من الحتمية القدية الواقعة على الزوجة الهندية لأنها أما أن تستجيب لزوجها وتكسب عيشها وحياتها أو تموت بمرض الإيدز أو المجاعة إذا طلقها زوجها إذا عارضت مضاجعته هذا هو قدرها. [Roy. 1994. P. 22]

### الجنوسة (المساواة بين الجنسين) في نظر الهنود

هناك تنظيمات غير حكومية مهتمة بحركة المساواة بين الجنسين (الرجل والمرأة) من أجل الفات انتباه المسؤولين في المؤسسات الحكومية حول ضرورة ارقاء مكانة المرأة الهندية لكي تتم مساعدتها بالقضاء على المؤثرات السلبية والجانبية التي أفرزتها القيود الاقتصادية الممارسة على المرأة الفقيرة وعلى تلك اللواتي غرقن في بحر الفقر. هذه الحركة النسوية الهندية أضحت معروفة بين شرائح وطبقات

المجتمع الهندي والمجتمع المدني وتعريف عامة الناس بالعنف الأسري الممارس عليها من قبل الرجل وجذبت انتباههم نحو التباين النفوذ القائم بين الرجل والمرأة أكثر من مناداتها بتحرير المرأة في أسرتها وكانت هذه الحركات تراقب عن كثب القوانين الجائرة التي تصدر على المرأة في الحياة العامة. وإزاء هذه المناداة الصادرة من الحركات النسوية غير الحكومية تم طرح الحكومة لخطة خمسية (تطبيق خلال خمسة سنوات) تنفذ فيها الطموحات النسوية التالية: -

- 1 - معالجة ارتفاع معدل وفاة النساء.
- 2 - القضاء على أمية النساء من خلال تعليمهن.
- 3 - تطبيق التوعية الصحية والجمع بين العلاج الحديث والعلاج التقليدي بطريقة تتقبلها الأسرة الريفية.
- 4 - نشر التثقيف الطبي لمحاربة مرض الإيدز والتعريف بمخاطره من أجل التحكم فيه عبر توعية النساء والانتباه اليه وتجذبه.

أن أهمية الولوج الى موضوع الجندر الهندي يجعلن تناول نشاطها المتنوع في الميادين الاجتماعية والرعية والسياسية توعية للنساء الفقيرات والمهمشات والمستبعدات عن أعمالهم الإنتاجية من أجل تحسين طاقاتهم بالاعتماد على أنفسهم ودعم الأسرة الهندية التي تملك ورش عمل وتفعيل دورها في المجتمع المحلي. هذا على الصعيد الداخلي إنما على الصعيد الداخلي إنما على الصعيد الخارجي (أي خارج الهند) فإن نشاطها محدود جداً جداً. جدير بذكره في هذا السياق هو أن تأثير حركة المساواة بين الجنسين كان له تأثير على النساء الفقيرات لكنه لم يستطع سحب النساء بعيداً عن التأثيرات الطائفية والقيود الثقافية كما كانت تفعله الناشطات في بداية القرن العشرين ضد السيطرة الاستعمارية البريطانية. [Lindsey. 2011. Pp. 149 – 153]

## تعقيب وتعليق

لكي أجول طرداً وليس عكساً مع الفيض المعرفي عن الموضوع البكر في ميدان علم الاجتماع لأروي ميدانه بمعلومات متنوعة في عدة مجتمعات مختلفة في حجمها ونظورها وثقافتها وطوائفها وانظمتها للكشف عن النصف البشري الأول

(ألا وهو المرأة) في كل مجتمع المستحمل اعباءً مضاعفة أكثر ثقلاً مما يتحمله النصف الثاني في المجتمع البشري (ألا وهو الرجل).

لا أجد بأساً من الرجوع الى جذور القيود الهندية للمرأة في جعلها تابعة للرجل ومعتمدة عليه لا لضعفها بل للنظر اليها كمخلوق ثانوي في الوجود. نبدأها من قوانين "المانو" القديمة التي نصبت على ان تكون المرأة معتمدة على الرجل وحرمت زواج الأرملة للمرة الثانية بعد وفاة زوجها. بقت هذه القوانين متحكمة في المرأة طيلة قرون من الزمن لغاية القرن التاسع عشر للميلاد. إذ ظهرت أول حركة إصلاحية بشأن المرأة التي لم تتجاوز حدود الطوائف الدينية والقيود الثقافية في تحجيم حرية المرأة وحقوقها المشروعة بل اقتصرت على القراءة والكتابة وتوعيتها بدورها الأسري. وكان نشاط هذه الحركة مقصوراً فقط على المناطق الحضرية وليس الريفية لعدة أسباب منها بداية نشاطها في ظل قيود وضوابطه عرفية وطائفية عتيقة ومتجذرة في حياة المجتمع. نستطيع حصر القيود الطائفية والثقافية للمرأة الهندية لما قبل الاستقلال السياسي من قبل الاستعمار البريطاني بالنقاط التالية: -

- 1 - لا يحق للمرأة العمل بأجرة خارج منزلها.
- 2 - تحكّم قوانين (المانو) المحجمة لحريتها وحقوقها المشروعة.
- 3 - الزواج من البنات القاصرات.
- 4 - عدم زواج المطلقة والأرملة للمرة الثانية.
- 5 - خضوعها للسلطة البطريقية.
- 6 - اعتمادها على الرجل في كل تصرف تتصرف به.
- 7 - كانت ضحية لصراعات فئوية بين الجماعات الهندية.
- 8 - ارتفاع معدل الوفيات عند الاناث.
- 9 - هبوط معدل توقع الحياة للأنثى.
- 10 - مفاضلة المجتمع الهندي للذكر على الانثى.
- 11 - جهل الزوجة للثقافة الجنسية والصحة الجنسية.
- 12 - ارتفاع المصابين بمرض الإيدز عند النساء أكثر من الرجال.
- 13 - ارتفاع معدل الأمية عند النساء أكثر من الرجال.

لكن 30 سنة قبل استقلال الهند من الاستعمار البريطاني برزت الحاجة الى استخدام المرأة التي تمثل نصف المجتمع كعنصر بشري في مواجهة الاستعمار وتحرير بلدها منه فكانت بداية الاحتياج لها كعنصر وطني من الأجنبي. لكن الثابت

والمتمتع في جعل الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة مطابقاً للاختلافات الجندرية هي ما يلي: -

1 - قوانين المانو القديمة.

2 - السلطة البطريقية.

3 - القيود الطائفية الدينية.

4 - الضوابط الثقافية - العرقية الموروثة والتقاليدية.

5 - هيمنة الاستعمار البريطاني.

6 - الفقر والبطالة والامية.

لكن مع بداية حركة (جلارنغ) الإصلاحية في بداية القرن التاسع عشر طرحت الإصلاحات التالية: -

أ - معارضتها لإجبار البنات القاصرات على الزواج.

ب - معارضتها لعزل المرأة عن المجتمع.

ت - المطالبة بتعليمها وإزالة الأمية عنها.

ثم جاء الاستقلال على يد زعمائها (غاندي) و (نهر) الذين عملوا على تحويل المرأة الى رمزاً وطنياً يساعد على انهاض المجتمع من تخلفه وفقره وجهله وتحيزه الطائفي والجنسي فقام بالإصلاحات التالية: -

ث - تحريرها من قيود الإرث المحجفة والطلاق الصارم والتصويت الانتخابي المتعصب والمتطرف.

ج - ربط المرأة بالرمز الثقافي الهندي (أم الهند) الذي أرقى مكانتها وطنياً وسياسياً وثقافياً.

ح - معالجة ارتفاع معدل وفاة النساء.

خ - محاربة الأمية عندهن.

د - التوعية الصحية عندهن ضد مرض الإيدز.

لكن إذا أدنا أن نتبحر في معرفة لماذا المرأة تمّ فرض القيود عليها؟ ومن الذي أخذ بيدها وكسر قيودها المقيدة لها؟ وما الفائدة المرجوة من تحريرها؟

بدون شك للمرأة قوة لا تقل عن قوة الرجل الجسدية وذكاء يقل عن ذكاء الرجل لكن طبيعتها البيولوجية التي تقوم بها في الحمل والرضاعة والتنشئة هي التي اشغلتها في منافسة الرجل في كسب الرزق وهذا ما جعل تركيزها أكثر على ما تنجبه وما يحيط بها في مكان عيشها قبل كل شيء. بمعنى الاهتمام بحملها وطفلها وتربية وتنظيم وتنظيف مكانها وترتيب محتوياته. هذا تأثير بيولوجي لكنه ليس

بقيد بيولوجي بل بميزة بيولوجية لا يحملها الرجل تعطي وتمتخ للمرأة الخصوصية البنائية والوظيفية لبناء أصغر خلية بشرية – اجتماعية في نشوء المجتمع ويكون الرجل عنصراً مساعداً ومكوناً في هذا البناء وليس الوظيفة لأن وظيفته خارج المنزل، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن القيود المقيدة لها جاءت من الطوائف الدينية التي تركز على مصالحها الطائفية من خلال تكثيراً أعداد عناصرها البشرية عن طريق الانجاب وتعليمهم تعاليمها التي تتم عن طريق المرأة الأمر الذي جعلها (أي الطوائف) أن تضع قيوداً صارمة عليها لا اعتزازاً بها بل لحاجتها في انجاب عناصر بشرية جديدة لها وتطبيعهم بطابعها الديني وأن تتبع الرجل وتخضع له. بذات الوقت هذا اعتراف بأن عملها التنشيطي لا يقدر عليه الرجل لأنه لا يملك نوع العاطفة التي تملكها المرأة التي حملت وانجبت وأرضعت الطفل وتفاعلت معه على مدار طفولته ووجوده داخل اسرتها وهذا ما لم يفعله الرجل.

ثم هناك الثقافة الاجتماعية المتمثلة بالسلطة البطريقية المعززة لسلطة الرجل التي قيدت بها المرأة وجعلتها لخدمته فكانت هذه السلطة معبرة عن انانية الرجل ونرجسيته وامتلاكه لها.

أما من أخذ بيدها وحررها من القيود التي حجبت عنها حقوقها المشروعة وهي العنصر المضطهد والمظلوم والخانع الذي تكالبت عليه أكثر من قيد وحاجز كتلي وليس فردي مثل (القيود الطائفية الدينية والثقافية الاجتماعية والنظام الأبوي) استمرت هذه القيود لعدة قرون من الزمن فأضحت لا تعرف حقوقها الشرعية لأنها منطسة في عبودية الرجل وثقافة مجتمعه وطائفته الدينية ونظامه السياسي.

لكن مع تعلمها القراءة والكتابة وتأثيرات التقدم التكنولوجي واحتكاكها الحضاري ومغادرة الرجل لبعض اعماله اليدوية واحتياجه لها في بعض اعماله الحرفية وبطالته مع المؤثرات المالية والاقتصادية والتغيرات السياسية الدولية أوقدت وعي المرأة بحالتها ووضعها الدوري والموقعي والانتاجي والإنساني. جاءت هنا حاجة القادة والزعماء الوطنيين (وليس الحزبيين أو الطائفيين أو الإقليميين) بحاجتهم الى نصف المجتمع من أجل انهاضه من سياته وتكلس حيويته فاستنجدوا بهذا النصف المهمل والمنسي وكانوا أول من بدأوا بكسر قيودها المكبلة لحريتها وحيوتها التي تمثلت – حسب نظرهم – في حقوقها الرئيسية المتمثلة في (الإرث والطلاق والتصويت الانتخابي) هذا الثالث التحرري يجعلها أكثر ادراكاً في حريتها المالية والأسرية والسياسية. وهذا ما طالب به كل من (غاندي ونهرو) ثم جاءت (اندريا) فوضعت الركن الرابع لإرقاء مكانتها الوطنية التي أطلقت عليه (أم الهند) مما خضب مكانته بأنقى وأقدس صفة وطنية وتراثية أصيلة.

مرادي وآيتي في هذا التعقيب والتعليق هو القول بأن هناك حوائل عصية وصلبة وموغة الجذور في الوجود الإنساني دعم الاختلاف البيولوجي للمرأة وجعل الاختلاف الجندي مطابقاً له وهي ما يلي: -

- 1 - التعاليم الطائفية الدينية.
  - 2 - القيود والضوابط الثقافية الاجتماعية.
  - 3 - السلطة البيطريكية.
  - 4 - المصالح السياسية.
  - 5 - التعصب والتحيز الفئوي.
  - 6 - الجهل الصحي والتعليمي.
  - 7 - الاستعمار البريطاني.
- اخيراً نذكر مقوضات الحوائل العصية وهي ما يلي:
- أ - الزعماء والقادة الوطنيين وليس الطائفيين أو الحزبيين.
  - ب - الحاجة المهنية والاقتصادية للأيدي العاملة.
  - ث - المثابرة والمنافسة النسوية للرجل في المجال السياسي والعلمي.
  - ج - العلمانية والموضوعية.
  - ح - التحرر الوطني.

## 11 / ج - الحكمة في الجندر الإندونيسي

قبل الولوج الى صلب الموضوع نوضح عنوانه المتميز الذي يعكس وضع المرأة في المجتمع الإندونيسي الذي جعلها تخرج من خنوعها وعبوديتها والتسلط عليها من قبل النظام البطرقي وثقافة المجتمع والدين والحكومة الى ان تشكلت جماعة ضاغطة على الحكومة (بعد حكم سوهارتو) تمثل قوتها في كافة انحاء البلد لإزالة العديد من الممارسات المهنية والأسرية الضابطة والحكومية المتعسفة بهدوء وحرصانة وكياسة لم تتجاوز حدود الدين بالكامل ولا هيمنة الحكومة بالشامل فحصلت على تأييدهما في ممارسة تحررها من قيودهما لذلك استحققت أن نطلق عليها مصطلح "الحكمة" بعدما كانت مقموعة وخنوعة عرفاً وشرعاً.

يتصف المجتمع الإندونيسي بخصائص مميزة به أكثر من غيره لأنه يتضمن تنوع عرقي - قومي متباين الارساس يعكس بناءً اجتماعياً مركباً يضم انقسامات عرقية موروثية ومتجذرة في تاريخ وجوده مما يجعل المؤنثة الإندونيسية لا تنحدر



من أصل واحد أو جذر واحد فضلاً عن وجود انقسام طبقي اقتصادي ومهني تتماهى وتتماثل معه. هذه الانتماءات هي: -

1 - النخبة والطبقة الوسطى التي تتألف من أصحاب الأملاك والثروة والنفوذ الاجتماعي والاقتصادي.

2 - الطبقة العاملة التي تضم عاملات الحقول الزراعية والباعة المتجولين في الشوارع والأسواق والعاملات في الورش المنزلية من حرف يدوية وبيع سلعي.

أما حجم المؤنثات في الهرم السكاني الإندونيسي فيقدر بـ 85 مليون امرأة منهم 20 مليون امرأة تنتمي الى النخبة والطبقة الوسطى أما 65 مليون امرأة منهم من الفقراء ويمثلون الجماعة الثانية في المجتمع الإندونيسي التي تضم الزوجة والأم والبنات وهنّ مسيطرات على تجارة السوق، جميعهنّ معتنقات العقيدة الإسلامية إلا أنهنّ يختلفنّ عن المسلمات في البلدان الإسلامية مثل إيران والسعودية وسواها ذلك راجع الى تأثيرهنّ بالتنوع العرقي - القومي عليهنّ مما يجعلهنّ متباينات مع طبقة الجندر المسلم في البلدان العربية وغير العربية. ولتوضيح هذه الحقيقة نقدم الجدول الاتي الذي يوضح الاختلافات الجندرية في المجتمع الإندونيسي.

جدول عن مؤشرات الاختلافات الجندرية في المجتمع الإندونيسي

#### التعليم في عام 2005

عند المرأة	وصلت الى سنين الدراسة بمعدل 6.5 مشاركة المرأة في الدراسة المتوسطة وصلت الى 41%
عند الرجل	وصل في سنين دراسته 7.6 أي معدل دراسته في المدرسة وصل الى 7.6 مشاركته في الدراسة المتوسطة وصلت 59%

#### الأمية عام 2000

عند المرأة	معدل امية الراشديات 17.9% معدل الأميات بالشريحة العمرية 15 - 24 عام 4.9% معدل الأميات ما فوق العمر 25 33.5%
عند الرجل	معدل أمية الراشدين منهم 8.1% معدل الأميين منهم من الشريحة العمرية 15 - 24 2.6% معدل الأميين منهم ممن هم فوق عمر 25 15.8%

## العمل 2002

عند المرأة	نسبة العاملات من الراشديات %51 مشاركتها في القوى العاملة توزيعها حسب أصناف العمل: الأجور والرواتب %28.3 عاملات في اشغالهم الخاصة %29 اشغال زراعية ومنزلية %37 نسبة العاملات المديرات %18 نسبة العاطلات عن العمل %12
عند الرجل	نسبة العاملين من الرجال %84 توزيع الرجال حسب أصناف العمل: الأجور والرواتب %33 عمال لأشغالهم الخاصة %53 عمال زراعيين وفي منازلهم %8 نسبة العاطلين عن العمل %8

### المرأة في الحياة العامة

نسبة النساء في المؤسسات الحكومية 11.1%

أخذ هذا الجدول من مصدر Society and Culture للمؤلفين Howitt, Julian. 2009. P. 313

من خلال المحكات الأربعة الموجودة في الجدول بات واضحاً بأن حقوق المرأة الإندونيسية أقل بكثير من حقوق الرجل، أي لم تحقق دورها كفرد مثلما سمح للرجل في تحقيق ذلك. ففي التعليم هناك بون شاسع بينهما أما الأمية فإن معدلها عند النساء ضعف عما هي عند الرجال والحالة مشابهة في العمل بمعنى أن فرص العمل أمامها أقل بكثير مما هي متاحة أمام الرجل. وإن مشاركتها في المؤسسات الحكومية ضئيلة جداً، معنى ذلك ان الجندرية الإندونيسية مشابهة ان لم تكن مطابقة للاختلافات البيولوجية الجنسية بينهما. أي هناك مفاضلة الرجل على المرأة في التعليم والعمل مما يقول ذلك ان الثقافة الاجتماعية الإندونيسية تلعب دوراً كبيراً في المفاضلة الجنسية بينهما فضلاً عن الدين وكلاهما يؤكدان على السلطة البطريقية (الذكورية).

### العوامل المؤثرة على الاختلافات الجندرية (المرواز الجندري)

مُرادي في هذا العنوان هو تبيان كيف تتبلور وتترعرع الاختلافات الجندرية في المجتمع الإندونيسي الذي يخضع لعدة مؤثرات فاعلة مثل التنوع العرقي والتعليم والاقتصاد والدين والحكومة.

ففي مجال التنوع العرقي – الثقافي: فإن الإندونيسي يكتسب العرقية التي تطرح وتقدم له ما هو متوقع منه من قبل المجتمع الإندونيسي ليس هذا فحسب بل تقول له ما هي حدوده النوعية (للذكر وللأنثى) فبالنسبة للأنثى فإنها تطبعها بالطابع البطريقي (النظام الأبوي) الخاص بالمجتمع الإندونيسي.

أما العامل التعليمي: فإن جميع الأطفال الإندونيسيين لغاية العمر 15 عام يكونوا ملزمين ومجبرين على التعليم الرسمي – الحكومي يعلمهم بأن المكان الأفضل والمناسب للبيت هو المنزل (البيت) بذات الوقت يعلم البنات الآليات التي يمكن ان تستخدمها في تحدي الأنماط التقليدية والحاجات التي يمكن ان تحققها في عدم الرضوخ للأنماط السلوكية والعادات التقليدية الموروثة.

بينما العامل الاقتصادي: مثل العولمة فإنها أثرت على المرأة الإندونيسية بشكل كبير إذ انخرطت في مصانع خاصة بصناعة الملابس والمشاريع العابرة للمحيطات بيد أن هذا الانخراط ومنعها تحت رحمة الأزمات الاقتصادية العالمية وقد حصل ذلك عام 1997م الذي أثرت عليها الأزمة الاقتصادية العالمية من خلال تحطيم الاقتصاد الإندونيسي.

وفي مجال الأصوليين المتشدددين دينياً فإنه أثر على المجتمع النسوي فأصاب مكانتها في الأسرة والزواج والتعليم وسبل خروجها للعمل خارج المنزل. بينما أثرت البرامج السياسية والمشروعية الحكومية على مشاركة المرأة في التعليم والعمل والمجتمع أي دفعتها باتجاه هذه المجالات.

نستدل مما سبق ان النوع الجنسي الجندري يتطبع بطوابع عرقية – ثقافية وتربوية واقتصادية ودينية تجعل منهما في أنماط شخصياتهم وميولهم وذوقهم ومعتقدهم ومشاعرهم وتصرفهم وتفكيرهم لا دخل للاختلاف البيولوجي في ذلك التطبيع الجندري لأنه وكما أشرنا في بداية حديثنا عن المجتمع الإندونيسي بأنه متنوع الأعراق الثقافية أي ليس فيه عرق واحد وثقافة واحدة وهذا يجعل التطبيع خاضعاً لكل عرق ثقافي مختلف عن الآخر وجميعها تركز على السلطة الذكورية (البطريقية) على الانثى في التفاعل والتعامل والحالة مشابهة مع الدين الذي يعزز السلطة الذكورية. أما الاقتصاد فإنه وضع المرأة في الاعمال غير المستقلة بذاتها. هذه المتغيرات كلها جعلت المرأة الإندونيسية خاضعة للرجل وليس للاختلاف البيولوجي.

هناك معلومات لدى مجلس الأمم المتحدة حول سوء معاملة المرأة الإندونيسية وعدم حمايتها في التشريعات الحكومية فأبلغت الحكومة الإندونيسية عام 1998م. هذه المعلومات انطوت على البيانات التالية:

- 1 – المواقف والميول الثقافية المتعسفة والمضطهدة للأدوار النمطية للأم ولربة المنزل.
- 2 – جميع التشريعات الحكومية وسياستها وبرامجها معززة لنمطية الجندر المفضلة الرجل على المرأة.
- 3 – سيادة العنف الممارس ضد المرأة وعدم توثيقه في السجلات الحكومية (الأمنية والشرطية والعدلية).
- 4 – المضايقات المتشددة على بعض الديانات.
- 5 – المعدل العالي في الأجور الواطئة والاعمال غير الماهرة لدى النساء.
- 6 – نقص مشاركة المرأة في الحياة العامة. (هذه مهاميز جندرية)

وفي عام 2007م كشفت لجنة العفو العام الدولية عن تقرير حول استغلال المرأة والتعسف الممارس عليها وانخراطها في الاعمال الخدمية المنزلية وعلى العنف الممارس عليها جنسياً وجسدياً ولفظياً داخل المنزل وعدم تبليغ الشرطة عنها ونادراً ما تبرز هذه الممارسات أمام أعين الناس بل داخل جدران المنزل وإذا تم التبليغ عنها فإنه نادراً ما يتم التحقيق فيها وفي أحيان كثيرة يتم طرد الشغالة عن عملها. بعبارة أخرى إذا العنف والتعسف الممارس على المرأة الإندونيسية يحصل في الظل. بل وحتى عام 2003م صدر قانون جديد لكنه لم يحمي الحقوق المدنية للمرأة العاملة ولا يقوم باستحصال حقوقها من المتعسف والمعتدي عليها ولم يحدد ساعات عملها وحتى لم ينصف أجرها المناسب للعيش المناسب والمعقول.

### الموقف الثقافي (المرواز الجندري)

أن تحضر المجتمع الإندونيسي جلب الكثير من الخيارات والفرص لنساء النخبة ونساء الطبقة الوسطى. ففي الماضي كانت حياة النخبة مكرسة للاهتمام بالأسرة والمنزل أي الأمومة متطلبات الحياة الزوجية لكن الان وبعد المكاسب المالية والتعليمية التي حصلت للمجتمع الإندونيسي أصبحت لها العديد من الفرص المتاحة لمشاركة الرجل والعمل في مواقع متنفذة ولها اعتبار اجتماعي، والحالة مثلها مع نساء الطبقة الوسطى ان لم تكن أقل منها بشيء بسيط. أما بالنسبة للعاملات في الحقول الزراعية الريفية اللواتي يمثلن الطبقة الدنيا فإن فرصهم في الحصول على مواقع متنفذة وذات اعتبار عالي ضئيل جداً لأن متطلباتها في الحياة اليومية محددة سلفاً في اشغال مهن تقليدية محددة وغير مسموح لها في أن تطلب مسؤوليات أخرى لأن مسؤوليتها الرئيسية تنحصر في البيت والأسرة. وإن العديد من

المسلمات يفسر حياتهنّ هذه بإنها مقررة من قبل النصيب Nasibe أي القدر المقرر لهنّ من قبل الرب الخالق لذا فإنه لا يمكن لأي واحدة منهنّ أن يناقشن نصيبهنّ.

### الموقف الحكومي في سياستها وبرامجها التنموية (كمرواز جندي)

ليس من بعيد وبالذات في الفترة الواقعة بين 1966 – 1998م أبان حكم (سوهارتو) الذي وضع برنامجاً تنموياً متكاملأ في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسكاني يخدم مصالح المرأة عبر طرحه العديد من فرص العمل وتقديم خدمات طبية وصحية وتربوية وباقي الخدمات لها. إذ تم اعتبارها "رمز الأم" (Ibu) التي مهمتها العمل على تماسك أفراد الأسرة والمحافظة على روابطها واعرافها التقليدية معنى ذلك ان المرأة كانت الهدف الأعلى في خطة (سوهارتو). بيد ان هذه الخطة عملت على تجميد العديد من الحركات النسوية التي كانت تطالب بمساواتها مع الرجل وتحريك الشارع الإندونيسي. فمثلاً كان هناك تنظيم نسوي متطرف يدعى (جيرواني) الذي كان محظوراً ثم كانت هناك منظمة تضم الزوجات موظفي الدولة. ثم تم إصدار قانون الزواج عام 1974م الذي منح المرأة حقاً بديلاً للقانون الإسلامي الذي منح للرجل المسلم الهيمنة عليها. وقبل عقدين من الزمن حصلت النساء الطبقة الوسطى على دعم من قبل المؤتمر العالمي لحقوق المرأة مما أصبح ورقة ضاغطة على الحكومة في استحداث وزارة خاصة بشؤون المرأة بعدها حصلت المرأة على كرسي الرئاسة أي رئاسة الحكومة وظهرت حركة نسوية مهمة بشؤون العائلة لمساعدة الحكومة في وضع خطط تنموية مثل التنظيم السكاني من خلال تحديد عدد الانجاب عند كل أسرة من أجل خدمة اقتصاد الأسرة والأمة فقدمت وسائل مانع الحمل مجاناً للمرأة القروية بيد أن هذه القرارات وجهت لها سهام نقدية تقول بأن الحكومة استغلت الأم في تنفيذ مشاريعها وليس حباً في الأم!!! وإزاء ذلك طالبت جمعيات نسوية بتنقيف الأم حول المؤثرات الجانبية عند استخدام هذه التقنية والعقار مع ارشادها حول كيفية معالجة اثارها.

إذن هناك محاولات حكومية لتنمية الأم قبل البنت والأسرة قبل كل شيء سواء كان الهدف لتقليص الحجم السكاني أو التنقيف الصحي فهو ليس باستغلال حكومي للمرأة بقدر ما هو إدراك رسمي وجماعي ضروري إزاء المجتمع وبالذات عند القرويات والأميات هذه إيجابية أفضل من ترك الأم بدون موجه وإرشاد ومساعدة مه منحها لقب (رمز الأم) وتذكيرها بالمحافظة على تماسك الأسرة واعرافها التقليدية وهذه مسؤولية اجتماعية ووطنية مراده.

## قوة الزوجة (مشكاة جندري)

من أكثر الجماعات النسوية تأثيراً في العالم هي الجماعة الإندونيسية التي تضم زوجات أزواج الخدمة المدنية اللواتي يعملن خلف الستارة أو خلف المشهد تتمتع بقوة متنفذة بسبب عضويتها الإلزامية وذات شبكة واسعة الاتصالات تلك الجماعة تدعى (قوة الجماعة) التي تعني في الثقافة الإندونيسية واجب المرأة لأنها تمارس ضغوطها على قرارات الحكومة كجماعة ضاغطة Lobby group بالنسبة لموظفي الحكومة (أي الزواج بأكثر من زوجة في وقت واحد المسموح له اسلامياً) أي عدم تعيين الرجل المتزوج من أكثر من زوجة واحدة في مؤسسة حكومية. اما حيوية ومكانة أعضاء هذه الجماعة فإنها مرتبطة بمقامات ومكانات ازواجهن الذين يعملون في اعمال الخدمة الحرة والعامه. أما عدد أعضاء هذه الجماعة فإنه يفوق 6 مليون زوجة. ومن نافلة القول ان نشاطها له تأثير فعال على سياسة الحكومة من أجل ارقائها في المجتمعات المحلية في كافة أرجاء اندونيسيا ولها فوع خارجها عندما تكون هناك جاليات اندونيسية تعمل في بلدان أخرى. جدير بذكره أن عضوات هذه الجماعة لا يصفن انفسهن بأنهن انثويات بل ناشطات وحيويات قادرات على ممارسة نفوذهن بشكل غير مباشر عبر يصف نفوذ الزوجات بأنه يمثل النموذج القديم الذي كان سائداً في المجتمع الإندونيسي التي كانت تشارك في سوق العمل. عن سياق الحديث يلزمي أن لا أغفل حقيقة ان لهذه الجماعة صدى كبير في إرجاء البلد وبتاريخ 27 / 11 / 2007 ألفت زوجة رئيس الحكومة الإندونيسية مدام (أني بامباج يودهونو Ani Bambang Yudhoyono) خطاباً في المؤتمر الدولي لانقاص حرارة الأرض (مؤتمر تغير مناخ الكون) حيث على المرأة الإندونيسية من خلال ثنائها ومدحها لعطاء جماعة نفوذ الزوجة وباقي الجماعات النسوية حيث قالت نحن نعلم بان المرأة لديها خصائص طبيعية في شخصها الذاتي مثل التنشئة والرعاية والعناية وأننا لا نحب أن نقطع الاشجار بل نفضل زراعتها في حدائق منازلنا بجانب الزهور والأشجار (المقصود هنا رعاية المرأة كما نراعي الزهور في حديقتنا) وإذا لا تكن هناك حديقة في منزلنا علينا محاولة بديل لها مثل الانا أو الأصص أو العلب. مع هذه الخصائص الطبيعية التي تمثلها المرأة الإندونيسية التي يبلغ حجم سكانها (أي سكان المجتمع الإندونيسي) 230 مليون نسمة وحوالي 50% منه من النساء فإذا أخذنا 10 مليون من أصل 66 مليون امرأة اندونيسية من العمر المنتج أي الشريحة الواقعة بين 15 – 54

سنو لزراعة الأشجار فإني أعتقد الأكثر بإنقاذ الأرض في تغير المناخ الكوني وإنقاص حرارة الأرض.

نستدل مما سبق إن هذه الجماعة فعلاً هدفها ارقاء مستوى المرأة إندونيسيا وبالذات الزوجة وتخليصها من الأعباء الأسرية في تقنين الانجاب والرعاية الصحية لها واثبات قوتها من خلال زوجها الذي يعمل خارج المؤسسة الحكومية وإن جماعة "قوة الزوجة" فعلاً غير متطرفة في مكالبتها حول استحصال حقوق المرأة لكي يكون صوتها مسموعاً لا يخضع لسلطة الرجل فطالبت بعدم اتخاذ بتعدد الزوجات وتطبيقه على الذين يريدون العمل في مؤسسات الدولة ولم تطالب بالغاء كلياً احتراماً للتعاليم الدينية الإسلامية. والشيء الجميل في هذه الجماعة أنها تضم زوجات العاملين في الاعمال الخدمية وليس الحكومية احتراماً للمؤسسات الحكومية كخطوة أولى لمنع تعدد الزوجات ولمعرفة ردود فعل المجتمع نحو هذا المنع الجزئي. انها فعلاً جماعة تعبر وتمثل قوة الزوجات لكن ليس جميع زوجات الأزواج الإندونيسيين.

### العنف ضد المرأة (كمهماز جندي)

ممارسة العنف على المرأة الإندونيسية كان يمارس علينا وجهاً وبشكل مرعب. ففي مرحلة ما قبل الاستقلال كان الجيش والمليشيات العسكرية تقوم بإعمال مرعبة مشحونة بالاغتصاب والتشريد والغدر بالنساء في شرق تيمور وغرب بابوا. هناك تنظيم غير حكومي يدعى فوكوبيرس Fokupors أكثر من 2000 حالة عنف مورست ضد المرأة في مدينة بالوت الواقعة شرق تيمور.

ومن أجل استجلاء أكثر عن العنف ضد الإندونيسيات فإن المرأة التي تصرح أو تفشي العنف الممارس من قبل أحد أفراد أسرتها (زوجها أو أخيها أو أبيها) فإن ذلك يُعدّ خزيًا وعاراً عليها لأنها أفضت أحد أسرار أسرتها لأن التصريح عن العنف الأسري يُعد من المحرمات الثقافية في الثقافة الإندونيسية Cultural Taboo.

نتحول بعد ذلك الى تأثير الدين على الزوجة الإندونيسية: إذ يُطلب منها حسب تعاليم الدين الإسلامي أن تطيع زوجها وتلتزم بتوجيهاته. اما ما هي درجة طاعتها له؟ فإن ذلك يعتمد على درجة التزامه بتعاليم الدين وعقيدته. لكن الزوجة التي تمثل (ايبو ibu) يكون لها نفوذ وسيطرة قوية في محيط الأسرة وشؤونها وتتحكم بميزانية الأسرة، بل حتى التأثير على اتخاذ قرارات الزوج. اما سلطة الزوج المحافظ فإنها تتمثل في ان الزوجة تحتاج الى موافقته عندما تريد الحصول على جواز سفر أو الاشتغال خارج المنزل في الليل أو إجراء عملية الإجهاض أو تحديد النسل واستخدام وسائله. مع ذلك فإن الدين الإسلامي يوصي الزوج الذي يتزوج

بأكثر من زوجة واحدة إقامة العدل والمساواة عاطفياً ومالياً واجتماعياً وعدم المفاضلة بينهم وإذا لم يستطيع فالإكتفاء بواحدة. لكن في عام 1983م أصدرت الحكومة قانوناً ينص على تحريم زواج الموظفين الحكوميين بالزواج من أكثر من زوجة واحدة وذلك منعاً لتبديد دخل الأسرة على أكثر من عائلة. هذا هو تبريرها لتحريم ومنع تعدد الزوجات.

هذا على الصعيد الديني أما وضعها على الصعيد المهني - العمل: فإنه يعكس المرأة الإندونيسية الحاصلة على تعليم ثانوي في الحقول الزراعية فإن دورها التقليدي بدأ يتغير وذلك راجع الى استخدام الزراعة للمكائن التقنية الحديثة. بيد أن 50% منهن يتطلعن للعمل في المدن مما جعل هؤلاء النسوة أن يقل عملهن بالتدريج في الحقول الزراعية. لكن هناك صنف آخر وكبير من العائلات المتمثل في التجارة المحلية مثل بيع الطعام وما تنتجه مناطقهم من مأكولات وفواكه وخضروات وصناعات يدوية يبيعوها داخل أكشاك صغيرة داخل مناطقهم السكنية، لإلا ان هذا النوع من العمل يعتبر ايضاً من المكائن الاجتماعية الواطئة.

بينما النساء اللواتي يبحثن عن عمل داخل المدن مثل العمل في ورش ومعامل ومصانع فإنه متوفر للنساء اللواتي لديهنّ تحصيل دراسي واطى وخبرة أولية. حيث تعمل النساء في المصانع والمعامل ذات الإنتاج الكثيف مثل خياطة الملابس وصناعة الأحذية واعداد بعض المأكولات أو تصنيع الآلات الكهربائية. بيد أن معظم العاملات في هذه الاعمال يكونوا من صغار السن ويتركّن عملهنّ إذا تزوجنّ أو أصبح لديهنّ أطفال وتباعاً لذلك فإن عملهنّ يكون حسب عقد رسمي لكنه غير مضمون ببقائهنّ أي يمكن الاستغناء عنهنّ بأي وقت وبدون سبب. علاوة على ذلك فإن هناك سلبيات لعملهنّ مثل: -

- 1 - ظروف عمل رديئة.
- 2 - ترفيعات وترقيات في عملهنّ هزيلة بالمقارنة مع ترقيات الرجل.
- 3 - برامج تدريب مهنية قليلة.
- 4 - ضعف الدعم الصادر من نقابة العمال لهنّ.

أخيراً ندلف الى دور المؤنثة في نقابة العمال الذي لم يكن لها اي ممارسة دورية طيلة حكم (سوهارتو) إذ كانت النقابة تدار ومسيطر عليها من قبل الرجال فقط لكن بعد انتهاء حكم (سوهارتو) عام 1998م استطاعت الإندونيسية ان تتحدى الواقع القديم وتدخل النقابة وتمارس دورها الفعال فيها وإيصال صوتها للمسؤولين وللعالم فحصلت على مواقع قيادية وجلبت العديد من النساء للنقابة ليصبحوا أعضاء



جدد فيها كذلك استطاعت ان تمارس ضغوطها على إدارة المعامل والمصانع لصالح المرأة كذلك حققت مشاركتها بالعديد من المؤتمرات الاقليمية والعالمية والاسهام في المفاوضات العمالية والاضرابات المهنية وباتت معامل الغزل والنسيج وخياطة الملابس وصناعة الأحذية مشغولة بالكامل من قبل النساء في كافة انحاء البلد بل وصلت قوة ونفوذ النساء العاملات الى تشغيل ازواجهنّ وباقي افراد اسرتهنّ عندما يفقدون أعمالهم. أما اجورهنّ فإنها تدفع كل شهر وتكون كافية في تغطية احتياجاتهم الشخصية والمنزلية مع حصولها على العمل في ساعات إضافية بعد عملها الاعتيادي لدرجة أنهم لا يجدون الوقت الكافي لحضور اجتماعات نقاباتهم التي تعتقد مرتين كل شهر. ليس هذا فحسب بل حققت الإندونيسية مكاسب مالية خاصة بالأمومة ومصاريف الولادة ومنحها إجازة عند حصول الطمث (الدورة الشهرية) مع تكاليف تعليمهنّ خارج العمل فيما يخص حقوقها.

هذا هو تحدي المؤنثة للنمط التقليدي القديم لها فعملت على إزاحته من طريقها وحراكها المهني والاجتماعي، أما نساء الطبقة الدنيا فإن قسماً منهنّ يعملنّ كباغيات في المدن مثل جاكارتا وسربايا حيث هناك 650.000 باغية تمارس البغاء ما عدا اللواتي يمارسنّ البغاء خارج البلد. أما نساء الطبقة الوسطى والعليا فأنهنّ يجلبنّ الشغالات للمنزل لمساعدتهم في التنظيف المنزلي وهذا يؤثر على ميزانية الأسرة.

[Howitt and Julinn. 2009. Pp. 312 – 322]

لا أريد أن اترك جندرية اندونيسيا مالم أسبر غوره الذي كان صارماً في اختلافاته البيولوجية والثقافية والعرقية ومفاضلة الرجل على المرأة. لكن بعد أن دفعت ثمن صرامة الاختلافات الذكرية والانثوية المدعومة ثقافياً وعرقياً ودينياً وبطريقياً وسياسياً، انطلقت تطالب بإزالة هذه الصرامة البيولوجية وبالذات بعد زوال نظام (سوهارتو) عام 1998م الذي كان معزراً للاختلافات البيولوجية فظهرت جماعة "قوة الزوجة" التي أضحت بمثابة جماعة ضاغطة على قرارات الحكومة ومنع تعدد الزوجات عند كوظيفي الحكومة وشاركت في عضوية النقابة العمالية ودخلت المعامل والمصانع والورش وحصلت على مكاسب لم تكن تحصل عليها قبل عام 1998م مثل الأجور الإضافية في العمل ودفع مصاريف الولادة والأمومة ومنحها إجازة عند الطمث فكانت هذه المكاسب ناتجة عن تمثيلها للأعراف والتقاليد الثقافية والعرقية والسياسية الظالمة لها من قبل الرجل ومؤسسات الحكومة. معنى ذلك انها حصلت على تحررها من هذه القيود بكفاحها وإصرارها على التغيير وتدافعها مع الرجل ومنافسته على فرص العمل في المعامل

والمصانع بعدما كانت في الحقول الزراعية. أقول إن تغيير موازين الجندر لم تحصل من قبل الرجل أو التقاليد أو الثقافة المحافظة بل من المرأة الواعية بظلمها وحرمانها من حقوقها المشروعة التي تسلط عليها الرجل وبعملها هذا قامت بتطوير مجتمعها ودفعت بعجلته للأمام واخرجه من مرحلة الظلمات الى النور إضافة الى تحقيق مصالحها وحقوقها وتقليص واجباتها وتركها للرجل مثل الاهتمام بشؤون المنزل وتربية الأبناء لأن الحياة الحضرية والصناعية لا تقتصر على الرجل وحده بل على المرأة ايضاً.

هذا على صعيد المكانة والعمل أما على صعيد الأجور فيجب ان تكون متساوية مع أجور الرجل وعدم التحجج بإجازاتها المرضية المتعددة عند الولادة والأمومة والدورة الشهرية لأن مراعاة هذه الحالات يعني مراعاة الظروف الطبيعية لها وليس غير ذلك. فتجميد حيوية المرأة من قبل الرجل وتقاليد مجتمعه والنظام البطريقي لا يخدم المجتمع ولا للمرأة كإنسانة ولا حتى الرجل إنما تحميد وتنشيط حيوية المرأة من جانبها ومن جانب المصلحة العامة تؤدي الى تقليص تسلط الرجل وهيمنة تقاليد المجتمع ونظامه البطريقي.

أخيراً نقول تحرر الإندونيسية خدم وطوّر المجتمع الإندونيسي بكامله وأنعش حيويته وساهم في رفاهيته وانعاشه ليعيش عيشة صحية وليس مرضية باثولوجية.

### 11 / ج - الجندر اللاتيني.... الأكثر جثواً وانصياعاً

للجنوسة اللاتينية طابع خاص يعرض عن التنوع الهائل الجامع بين البيئة والسياسة والثقافة على الرغم من وجود ملامح عامة مشتركة في صفات الجنوسة مما تجعلهم غير متوحدين في بنائهم الطبقي الجامد وانتشار الديانة الكاثوليكية والارث الاستعماري الإسباني والبرتغالي، بذات الوقت تتظاهر المؤنثة اللاتينية بوجود ملامح متنوعة ومشاركة تجمعهم وتفصلهم في الان لكن هذا لا يلغي الفجوة الجندرية الواضحة والبارزة بين المؤنثة ولمذكر اللاتيني.

### الانقسام الجندري

تتميز تنشئة المؤنثة والمذكر في الثقافة اللاتينية بوجود مفصل رئيسي في مفهوم الرجولة والانوثة التي يتم مشاهدتها بوضوح لأنها منتشرة بين طرفي الجندر حيث تركز الرجولة على الفحولة والجسارة الجنسية والتحكم المتسلط جسمانياً وعقائدياً على المؤنثة فضلاً على العنف المشروع الممارس عليها.

حريّ بنا أن نشير الى ان العقيدة الدينية الكاثوليكية الروحية تعزز مفاضلة الذكر على المؤنثة في كافة المؤسسات الاجتماعية إذ تسمح بتسلط الرجل على ربة المنزل والتدرع بالقيود الاجتماعية والاقتصادية والجنسيه وباقي أنماط العيش في إذلال

المؤنثة، بذت الوقت فإن انوثة المؤنثة تتطلب منها تمجيد دو الامومة وتحمل تعاسة زواجها وقسوة زوجها عليها وان لا تتذمر بل تسكت وتصمت إزاء ما يقوم به الرجل تجاهها. هذه الصفات المؤنثة سائدة عند جميع المؤنثات اللاتينيات في سلوكهم وتفكيرهم، لكن هذه المتطلبات الدينية غير واردة عند الذكور في أمريكا اللاتينية لأنه متعالى عليها ومتسلط على مكانتها ودورها الاجتماعي.

لكن عند مجيء الغزاة الاسبان واحتلالهم لبعض دول أمريكا اللاتينية مثل البرازيل وكوستاريكا وشيلي جلبوا معهم معتقدات ومرثيات عتيقة جداً ترجع الى ديانات العالم الجديد وعلى مرّ الزمن باتت المرأة معتمدة اقتصادياً على الرجل بل وحتى المرأة الكفوة والماهرة والحاصلة على مستوى تعليمي متقدم تحصل على أجور أقل من أجور الرجل. هذه الحالة كانت سائدة في البرازيل وكوستاريكا وشيلي. اما في نيكاراكوا فقد كانت المرأة متساوية مع الرجل وبالذات عند الرجال غير المتعلمين. لا جناح من الإشارة الى ان الغزاة الاسبان حطّو من مكانة المرأة في الدول التي غزوها واحتلوا جعلوها بأدنى مستوى بعدما كانت متساوية مع الرجل على عكس الامريكان عندما غزو اليابان في الحرب العالمية الثانية رفعوا من مكانة المرأة اليابانية لكن عندما غزو العراق واحتلوه حطّو من مكانة المرأة العراقية. إذن نستطيع أن نقول ان التأثير الخارجي الغازي يؤثر على رفع أو حط مكانة المرأة في المجتمع المحتل.

لقد حاولت الأمم المتحدة في مؤتمرها الذي انعقد في بكين - الصين اقناع الحكومات بمراجعة سياستها فيما يخص التخطيط العائلي ومسألة تحديد النسل سياسياً وثقافياً. إلا ان حكومات أمريكا اللاتينية أصرت بشدة على البقاء في ارتباطها بقرارات الكنيسة الكاثوليكية التي لا تؤيد سياسة ضبط النسل. ففي شيلي مثلاً ذات الصلة الوثيقة بين الحكومة والكنيسة الكاثوليكية والتي لها الأثر الكبير على حياة المرأة، عطلت بقوة - حكومة شيلي - استخدام التخطيط الأسري، على نقيض بيرو التي واقت على الأخذ بسياسة التخطيط الأسري إلا انها اصطدمت بسياسة الفاتيكان في نشر ضبط النسل التي طالبت الفاتيكان بضرورة أخذ رأي المرأة بذلك واستشارتها في تحقيق رغائبها فيما يخص تحديد النسل، مع العلم أن امرأة ومجتمع بيرو يستفاد من سياسة تحديد النسل لأن سكانها ذو حجم كبير ونصفه يعيش تحت مستوى خط الفقر ومن الأميين وإن خصوبة المرأة في بيرو وصلت الى 6.2 لكن سياسة التخطيط الأسري في بيرو نجحت عام 1990م فكان معدل الولادات وصل الى 4.1 لكنه في عام 2008م وصل الى 2.4 وذلك بفعل ممارسات

النساء اللواتي وصلن إلى مواقع هرمية - حكومية متنفذة ساعدن ودعمن سياسة تحديد النسل والأخذ باستراتيجية التخطيط الأسري.

ومن نافذة القول أن حكومة نيكاراكوأ أخذت بالمطالبات الصادرة عن الأمم المتحدة حول ضبط النسل والاعتناء بالصحة وتعليم التربية الجنسية وتقديم الخدمات في التخطيط الأسري والتأكيد على حقوق المرأة في تحديد نسلها في متى ترغب أن يكون لها أطفال وكم عددهم وكيف تحصل عليهم؟ لكنها بنفس الوقت شجبت (حكومة نيكاراكوأ) عمليات الإجهاض لمنع الحمل أو لتقليص حجم السكان. هذه الإجراءات لم تكن متحدية لسياسة الكنيسة فيما يخص ضبط النسل ولم تتعارض مع المعايير الثقافية التي لا تتحدى بشكل جدي الأدوار الجندرية. وحتى شيلى الأكثر محافظة نادت بالمساواة بين الذكر والانثى وحقوق الإنسان وعدم التقييد في سياسة ضبط النسل.

خليق بما أن نشير إلى تآكل وتناقص أهمية دور المرأة اللاتينية في ظل تأثيرات العولمة، حيث أثرت سلباً على عملها في سوق العمل مما دفع الحكومات اللاتينية إلى طرح برنامج إصلاحي يعيد نشاط المرأة في العمل ففتحت الأبواب للاستثمارات الأجنبية فتم رفع مستوى المرأة من خلال معالجة بطالتها في سوق العمل وسوء تغذيتها وفقر صحتها، كانت هذه المعالجة بارزة في المكسيك وكوستاريكا. [Anastaskos. 2002. P. 11]

هذا من جانب ومن جانب آخر، كان تأثير العولمة على هذه البلدان فعلاً على دخل المرأة ونشاطها الإنتاجي في القطاع الزراعي مما أجبر أزواجهن إلى الهجرة للمدن من أجل العمل هناك وترك نساءهم وأطفالهم في القرى والأرياف. وهذا بدون شك جعل مكانة المرأة أكثر تديناً إضافة إلى تأثير الدين والنظام الإقطاعي عليها، وبالذات في البرازيل والأرجنتين بقيت متخلفة بعد مرور خمسمائة سنة (500 سنة) من قبل الاستعمار الأوربي عليها. وحتى بعد استقلالها في القرن التاسع عشر جاء حكم الأنظمة الدكتاتورية عليها في القرن العشرين بقت متخلفة في اقتصادها ومجتمعها بضمنها علاقة المرأة بالرجل التي لم تكن متساوية ولا متكافئة ولا ننسى مؤثرات السوق العالمية وتقلباتها التي أثرت سلباً على المجتمعات اللاتينية وكانت المرأة أكثر تأثيراً حيث كانت كارثة لأنها غير محصنة ثقافياً وعلمياً سهلة الاختراق فتآكل اقتصاد هذه الدول وتفاقت ديونها الخارجية مما أجبر حكوماتها إلى قطع مساعداتها لها وتوقف الإصلاح الزراعي مما أخط بمكانة الفلاحة اللاتينية. إذن يمكن أن نقول بأن المؤثرات الداخلية والخارجية كانت بمثابة صواعق كارثية على المرأة اللاتينية وهي:

1 – الديانة الكاثوليكية.

2 – الفاتيكان.

3 – النظام الاقطاعي.

4 – الاستعمار الأوروبي الذي دام 500 عام.

5 – الأنظمة الدكتاتورية الوطنية.

6 – العولمة واقتصادها.

7 – تقلبات الأسواق العالمية.

8 – توقف المساعدات المالية والصحية والتعليمية للمرأة من قبل الحكومة.

جميع ذلك مكانة المرأة أن تكون أدنى من مكانة الرجل ودورها أنشط وأوسع من دور الرجل في الأسرة والحقل والمعمل جاثية له مستخدماً الطقوس الدينية والسيطرة الذكورية والاقطاعية والاستعمارية ومؤثرات العولمة فكانت الأكثر جنوىً (جنواً) والأكثر انكاراً لخدماتها وتضحياتها في الأسرة والحقل والمعمل فكانت ضحية جحود الرجل والمجتمع والثقافة والدين لها أي أنكروا كل خدماتها الأسرية والاقتصادية للأسرة والمجتمع.

تميزت المرأة اللاتينية بنضالها وكفاحها لكي تُرقي مكانتها ودورها في المجتمع وذلك من خلال تشكيلها التنظيمات النسوية التي تدافع عن حقوقها المهذورة من خلال تشكيلها التنظيمات النسوية التي تدافع عن حقوقها المهذورة والمستغلة، وبعدها ثبتت أقدامها في مناشطها حصلت على تأييد شعبي من كافة المستويات والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية النسوية وبالذات عند رموز النساء القرويات في الريف اللاتيني، ليس هذا فحسب بل تم تأييدهن من قبل المنظمات النسوية العالمية لأنها كانت تطالب بتطبيق المبادئ الديمقراطية في وسط وجنوب أمريكا اللاتينية مما شكّلت هذه المطالب قوة كبيرة وفطنة سياسية ودوي عالٍ لصوتها الداعي للإصلاح الاقتصادي والسياسي وإزالة التعصب الجندي ضدها مما جعلها أكثر ذكاءً وفطنةً في الوعي الطبقي والجندي. هذه الحالة لا تشبه حالة المنظمة النسوية الهندية التي واجهت إعاقة من قبل حركة الإصلاح للفلاحات الهنديات مما عمل ذلك الى دوام استمرار نشاطها وكفاحها في المجتمع لأنها وجدت استجابات إيجابية مرحب بها من قبل أطياف المجتمع اللاتيني.

لا جرم من الإشارة الى الصراع الحاصل بين النساء اللاتينيات المنحدرات من الطبقة العليا والعليا من الوسطى. لأن نشاء الطبقة الدنيا معظمهم من الشغلّات العاملات في خدمة المنازل الخاصة بالطبقة العليا والعليا من الوسطى وهذا يجعل

من الناشطات اللاتينيات ان يوفقوا بين هذين الانتماءين من النسوة في مجتمع واحد لأن الفارق الطبقي يفصل بينهما، علماً بأن معظم شغالات المنازل هنّ من القادمات من بلدان أخرى وليس من نفس البلد وهذا ما يعيق ان لقائهم في حركة نسوية تبحث عن ارقاء مكانة المرأة في مجتمع ذكوري لا يشجع على تحريرها. لذلك هناك عقبة أمام الحراك الاجتماعي الصاعد للمرأة اللاتينية في صعودها على التدرج الاجتماعي لأن الشغالات المهاجرات من بلدان أخرى وهذا يعزز التدرج الاجتماعي الجامد والمتعصب ضد المرأة لكن هذه العقبات لم تثني الناشطات اللاتينيات من الاستمرار في كفاحهنّ ضد أهدار حقوقهنّ في المجتمع.

كلما أدلف الى مدار الجندر أجد نفسي متساوق مع الاحداث الراهنة المتعكسة مع الاختلاف البيولوجي بين الرجل والمرأة. إذ هناك معتقد سائد ومنتشر بين العديد من الكُتاب والمثقفين حول عدم استقلالية المرأة اقتصادياً ومهنياً واعتمادها على الرجل في معيشتها يجعلها خانعة ومنصاعة وجائية للرجل في كل المجتمعات والمراحل التطورية لها، بيد أن هذا وحده غير كافٍ لأن هناك حقائق اجتماعية وثقافية تسبق الاعتماد الاقتصادي للمرأة على الرجل ألا وهي التعاليم الدينية مثل العقيدة الدينية الكاثوليكية والهندوسية واليهودية التي تسمح بتسلط الرجل على المرأة وتجميد دور الأمومة وتحمل قساوة الرجل وخشونة تعامله معها وألا تتذمر منه بل عليها ان تسكت إزائها. ثم هناك تجميد المعايير الثقافية لدور الرجل ككاسب الرزق للأسرة وممثل لأسم الأسرة وموقعها في المجتمع المدعومة من قبل السلطة البطريقية الموروثة.

هذه الدعامتين (الدينية والثقافية) يستخدمها الرجل لدعم وتعزيز استعلائه وطغيانه واستعباده على المرأة التي تتناغم مع تنشئتها في طفولتها من قبل أسرتها بأحقية هذه الدعامتين (الدينية والثقافية) فيجعل عندها الانصياع والخنوع والجثيان للرجل جزء من سلوكها وشخصيتها، وكلما تماهت مع هذه الدعامات كلما علت مكانتها في المرأة الاجتماعية وكلما تجافت مع هذه الدعامات كلما هوت مكانتها في المرأة الاجتماعية. ثم يأتي دور عملها خارج المنزل ونوعه الذي لا يكن برغبتها فحسب بل بتأثير حاجة زوجها للمساعدة المالية لميزانية الأسرة وهذا ما يضاعف اعبائها التنشئية والزواجية والمنزلية والعلائقية مما يرهقها جسدياً وذهنياً وهذه دعامة اقتصادية ثالثة يستخدمها الرجل للضغط على المرأة لتكون أكثر خنوعاً وانصياعاً له ولرغائبه باسم الدين والثقافة والأسرة.

إن لماذا لم يتم الاعتراف بهذه التضحيات الجسام التي تقوم بها المرأة من قبل الرجل والمجتمع والثقافة الاجتماعية والنظام السياسي والاقتصادي؟ ألم يكن هذا

اجحاف بحقها؟ وجود لتضحيتها؟ وتحت ضغوط هذه الكوابس الثلاثة المذكورة اعلاه هل تستطيع المرأة وحدها ان تتخلص منها؟ وبسهولة؟ الجواب كلا، بل يحصل عندما تأتي قوة كبيرة أكبر من وأثقل من هذه الكوابس مثل الأمم المتحدة وبالذات هيئات الدفاع عن حقوق الإنسان والمرأة والديمقراطية ومحاربة التعصب العرقي وتحديد النسل وعدم الإجهاض من أجل تقليص حجم السكان عبر مؤتمرات دولية تُلزم الحكومات بالأخذ بهذه المبادئ الإنسانية المعاصرة والخروج من الدهاليز المظلمة التي لا تصلح للعيش فيها في عصر التنوير والنهضة العلمية. وهذا ما حصل مع جميع دول أمريكا اللاتينية والهند والدول العربية. علماً بأن تحدي المؤسسات الدينية مثل الكنيسة والميراث الثقافي ليس بالأمر الهين لكنه إذا صدر من زعيم أمة قوي مصمم على تحقيق تغير جذري في المجتمع مثل ما قام به (ماو) في الصين و (لينين) في الاتحاد السوفيتي السابق و (نهر وغاندي) في الهند. ولا ننكر ان تحقيق المساواة الجندرية لا تتحقق بين يوم وليلة بل تأخذ عقود من الزمن ومن قبل أجيال من البشر لأنها متجذرة في حياة وعقول الناس يتطلب تغييرها الذكاء والفتنة والدقة في تطبيق المتطلبات العصرية وان توقع معارضتها أمر واقع أو محاربتها شيء متوقع وبالذات من الأجيال القديمة وأصحاب المصالح الدينية والاقتصادية والسياسية.

لكننا لا ننكر ضرورة مساهمة المرأة في تشكيلها لتنظيمات حرة وتطوعية في توعية النساء بصدق بعيداً عن المجاملات والمداهنات والمزايدات السياسية للحكام على استرجاع حقوقها في الإرث والزواج والطلاق والانجاب والتصويت الانتخابي والتعليم العالي والسفر الى الخارج بدون محرم والتعبير الفكري واللجان المهنية والحرية في اتخاذ قراراتها. إنها مهمة أجيال وعقول وأصحاب مواقع متنفذة في المجتمع واحترام التنشئة المعكوسة من الجيل الجديد للقديم وقبول الرأي الآخر. غير ذلك فإن المجتمع يتعرض للتمزيق في نسيجه العلائقي والتفكك في مفاصل انساق بنائه وصراعات جيليه وعرقية يتعسر ترميمه ليتطلب إعادة بنائه بعد ثورة اجتماعية وثقافية متجددة في قيادتها ومبادئها معبرة عن روح العصر.

### 11 / خ - الجندر في العالم الإسلامي ..... بين حجابين!!!

يُعبّر الأول عن التضامن الوطني ويمثل الثاني قمع المتأسلمين يمتلك العالم الإسلامي ثروة غزيرة منبعها البترول ولديه برامج تنموية رائدة في الاعمار والإصلاح الزراعي وفرص عمل هائلة للعمال والمهنيين الأجانب، وذا ثقافة اجتماعية عريقة وقوية لكن على الرغم من ذلك فإن مكانة المرأة فيه متدنية تعاني من السلطة الذكورية والتفسير الإسلامية التي يصدرها الرجال والأصوليين

لجعلها منفصلة عن الرجل تربوياً ومهنياً وتمثلياً. هذه التناقضات تعكس تطابق النوع الجندي مع الاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة. أقول هناك مصادر مادية غنية تعمل على تطور البلد حضارياً إنما هناك ثقافة عريقة موروثية ذات معايير وقيم قديمة لا تتناسب مع معايير العصر الحالي ووجود رجال دين يترجموا أو يفسروا الدين الإسلامي حسب مصالحهم الذكورية ضد المرأة وبدون عدالة مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي والقرآن الكريم ومن هنا بقت المرأة المسلمة تحت رحمة رجال يفسروا القرآن حسب مصالحهم المتناغمة مع ثقافتهم الموروثة لممارسة سلطتهم وابقائها تحت رحمتهم مظلومة ومخدوعة ومهمشة ومستعبدة ومستعبدة باسم الدين والتقاليد الثقافية!!!

من الظواهر الاجتماعية الملفتة للانتباه هي دخول متغير الحركات الاجتماعية بين الرجل والمرأة وهذا ما حصل في بعض البلدان الإسلامية والعربية التي اتخذت الحركة الاجتماعية الدين الإسلامي (كذريعة) لتسلط حكمها لتضليل المجتمع المتمسك بدينه بالرضوخ لها ولرموزها في حكمها لهم. أقول فسروا وترجموا التعاليم الإسلامية بشكل زائف كذريعة لخدمة طموحهم النفوذي المتسلط وهذا ما قام به حكم طلبان في أفغانستان عام 1996م والخميني في إيران عام 1979م وحزب الدعوة الشيعي في العراق عام 2005م والحوثيون في اليمن عام 2015م. وكانت حركتهم المتأسلمة معبرة عن معاداتهم للتحضر والتمدن والتصدي للثقافة الغربية لأن حركتهم تذرعت بالأصولية الإسلامية المتطرفة (والدين الإسلامي في حقيقته غير متطرف بل معتدل يأخذ بالوسطية) وتطبيق الأفكار المثالية الخالية من الواقعية واستخدموها كدرع وسلاح ضد الأفكار الغربية وكانت لهذه الممارسة الذرائعية والزائفة صدى مدوي في جنوب آسيا (باكستان وبنغلادش) وفي الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. هذه الحركات المتطرفة في ذريعتها والزائفة في مناداتها أثرت على كافة مناحي الحياة الاجتماعية في هذه المجتمعات وبالذات على المرأة (البنات والزوجة والأم في بيتها وعملها ومدرستها) التي أصبحت أكبر ضحاياها في استعبادها واذلالها وتحقيرها للحركة المتطرفة.

نستدل من ذلك، إن الحركات الاجتماعية ليست دائماً تعمل على تطوير وارتقاء المجتمع الى مستويات أرحب وأرفه بل احياناً في ظروف حادة ومحرجة وسيئة يتم استغلالها من قبل جماعة مدعية لذريعة مؤثرة على نمط العيش تنتوق اليه الأغلبية معتبرة إياه منقذاً لها (مثل الدين) وانتشالها من بؤسها والظلم الواقع عليها. وإزاء هذه الحاجة الاجتماعية الملحة تتبنى جماعة مغامرة وأفاهة ما تصبوا اليه هذه الأغلبية فتركب الموجة وتستحوذ على سلطة الحكم مدعية لتلك الذريعة



وأعلانها بأنها سوف تحقق ما تنتوق اليه الجماهير الغفيرة وبغواء صارخ تندفع بتطبيق جاهل للتعالم الدينية معبرة عن جهلها المعرفي وضيق أفق تفكيرها وسذاجتها الاجتماعية وحماتها السلوكية وتطرفها الموقفي متذرةً بادعاءاتها الكاذبة فتتصدى للتمدن وتعادي التحضر وتجعل كل محفل ثقافي وارث حضاري ورأي حر واحترام الآخرين هدفاً لتدنسه وتدمره وهذا ما حصل للحركات المتأسلمة في إيران وأفغانستان والعراق واليمن وليبيا وسوريا والسودان وباقي الدول العربية وبالمحصلة النهائية كانت المرأة هي الضحية الكبرى والهدف الأول عند هذه الحركة الأصولية القرآنية الحقّة. فكانوا مضللين للإسلام لأنهم مستخدميه كذريعة لخدمة طموحهم السياسي والفردى والذكورى.

ومن باب الاغناء والإفاضة والتحديد الدقيق نقول تحت الذريعة الزائفة أطلقت حركة طلبان تطبيق القانون الإسلامى فاستخدموا المرأة كعجلة لركوبها فى استعادة الهوية الإسلامية من خلال حصرها فى المنزل وممارسة دورها هناك دون الخروج منها إلا بمصاحبة محرّم معها وإذا خرجت بمفردها فالجلد بالسوط أو الرجم بالحجارة أو القتل امام الناس يكون مصيرها وإذا لم تلبس ملابس محتشمة أو تمشى مع رجل غريب عنها (ليس من أسرتها أو أقاربها المقربين) تُعَدَم أما الناس. ليس هذا فحسب بل مُنعت من التعليم فى المدارس والعمل خارج المنزل وإذا عملت فلا يدفع لها أجور لدرجة أنها مُنعت من العمل فى المستشفى أو كخدمة (شغالة) فى المنازل. وقد تم حرق عدة مدارس خاصة بالطالبات مع الاعتداء بالضرب والاعدام والمضايقات للمعلمات اللواتى يُدرّسنّ هناك. جميع هذه الممارسات اللانسانية واللاإسلامية تدّعي جماعة طلبان بأنها تطبق الهوية الإسلامية على البنّت، وهذا تشويه لدين الإسلامى بشكل متعمد أن لم يكن جهلاً به فكانت هذه الممارسات أكبر وصمة عار فى جبين المتأسلمين لأن الإسلام لا يُعادي التحضر والتمدن. ألم تكن هناك حضارة إسلامية فى اسبانيا (الأندلس)؟ ألم تكن هناك حضارة عباسية؟ وأخرى أموية؟ هذا تشويه متعمد ومدعوم من قبل معادين للدين الإسلامى ومعارضى تقدم وتطور المجتمع الإسلامى.

لاحظ هنا إن المرأة كانت الهدف الأول فى التشويه لأن الإسلام كرمّ المرأة إذ منع وأد البنات والذي كان يُمارس فى العصر الجاهلى ومنع زواج الاستبضاع (وهو أن يسمح الرجل لزوجته بالاتصال برجل آخر من أهل الصحة والشجاعة والكرم والبيوت ثم ينقطع عنها ولا يتصل بها حتى يتبين له حملها من ذلك الرجل) ومنع زواج الرهط (وهي طريقة يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبونها أي يطوؤها وذلك ان يكون رضى منها وتواطئ بينهم وبينها.

[العمر. 2013. ص. 18] وَمَنَعَ ظلمها وعادَلَ في تعاملها واحتضانها عند ارملتها أو بعد طلاقها وجعل أولادها في خدمتها وجعل الجنة تحت أقدامها.

لم يكن المتأسلمون في إيران متطرفين في بداية حكمهم لإيران إذ منحت للمرأة الرعاية الطبية والتعليمية في مدارس خاصة بها لكنها بقيت تحت سيطرة تامة ومقيدة لتسلط أبيها وزوجها وأخيها والزامها بارتداء الزي الإسلامي الخاص بالمرأة وهو الحجاب وان يكون دورها يمارس في الأسرة والأمومة والزواج. لكن من مفارقات الاحداث أنها كانت في أيام حكم الشاه تخرج للتظاهر الجماهيري ضد حكم الشاه وهي لابسة الحجاب خوفاً من اكتشاف هويتها من قبل رجال الأمن الأسري لكيلا يعنقلها. بمعنى ان الحجاب كان رمزاً للتضامن الوطني ضد حكم الشاه ومعبراً عن الوحدة الوطنية فضلاً عن كونه يمثل اعتباراً اسلامياً محترماً على أقل ان تحصل على حقوقها في فرص العمل واتخاذ قراراتها فيما يخص حياتها الخاصة والعامة. معنى ذلك ان الحجاب لم يكن في إيران أبان حكم الشاه مطلباً محافظاً ومعبراً عن التقاليد الإسلامية بل خوفاً من اكتشاف رجل الأمن السري هويتها واعتقالها لذا كان رمزاً موحداً لجميع المعارضات لسياسة حكم الشاه على عكس أيام حكم الخميني.

لا جرم من الإشارة الى ان النساء الإيرانيات أبان حكم الشاه كن يؤيدنَّ الخميني لأنه كان ينادي ويدّعي بالمساواة بين الرجل والمرأة وأن حكم الشاه سلَّب حريتهنَّ وأذن لها بالحق في اختيار شريك حياتها وعملها وتعليمها. لكن بعد مجيء الخميني وطرده الشاه من الحكم وبأقل من شهر برزت أوهام المساواة الجندرية التي كان ينادي بها الخميني فأصدر تشريعات ظالمة ضد المرأة في جميع مناحي الحياة الاجتماعية العامة والخاصة وأتعتها كان إجازة زواج البنت القاصر إذ كان العمر الأدنى لزواجها أبان حكم الشاه (18) عاماً ثم عُدِلَ في زوم الخميني الى (13) عام ثم الى (9) أعوام من عمرها. ثم جرد حرية المرأة في التعبير واللبس إذ عاقبها بالجلد والسجن إذا خالفت لبس زي الحجاب وأمر بإعدام الزانية والباغية ولزم النساء بلبس الحجاب فبات رمزاً للظلم والاستعباد بعدما كان في زمن الشاه رمزاً للتضامن الوطني ضد الظلم والاستعباد!!! [Mir – Hosseini. 2001. P. 125]

نستشف من العرض السالف الذكر أن مخطط أن مخطط ثورة الخميني بعد الثورة. بمعنى قمع جميع طموحاتها التي كانت تحلم بها عندما كانت تتظاهر جماهيرياً ضد حكم الشاه فعمل بكل قوة بسحبها من الحياة العامة لتقبع في المنزل وعاملها بكل قسوة وفرض قيود على تحركاتها خارج المنزل ولا أعلم هل هذا خوفت من المرأة لأنها واعية بظلمها ونجحت في تظاهراتها ضد أقوى حكم

دكتاتورى للشاه؟ أم لأنها قادرة على تحريك الشاعر الإيراني ضده؟ أو أن الرجل الواعى أكثر انجذاباً لوعيتها كما كان فى أيام الشاه؟ أو هى حيلة سماسرة السياسة عندما يكونوا خارج الحكم يطالبوا بتغييره ويرفعوا شعارات مثالية فى المساواة الوطنية والحرية والديمقراطية وعندما يستحوذوا على الحكم يطبقوا نقيض ما كانوا يطالبوا فيه فىطبقوا التمييز والفئوية والتسلطية والسلطة الذكورية واللاديمقراطية؟ بيد أن تأثير العولمة على النظام الإيراني أحبط بشكل مفرط على ممارسته فى تطويق ومحاصرة التمدن وعلى معادات الحضرة الغربى والأمريكى وعندما تم إعادة انتخاب الرئيس أحمد نجاتي للمرة الثانية لرئاسة الجمهورية خرجت عشرات الالاف من النساء الإيرانيات بدون حجاب معترضات فى تظاهرة صاخبة تدين الحكومة على تزويرها لانتخاب أحمد نجاتي للمرة الثانية وهذا يعنى انه على الرغم من ممارسة لحكومة لظلمها على المرأة وحجرها فى منزلها وإخراجها من العمل بقت متوقّدة فى وعيها ضد الممارسات الظالمة ورفضها لاستمرار تقييدها وتسلط النظام عليها باسم الطائفة الشيعية. أقول إن المرأة الإيرانية داريه بأن رموز السلطة ما هم سوى سماسرة سياسة مستخدمين الطائفة الشيعية رداءً ترتديه لتحقيق طموحها الجشع فى الحكم والاستمرار فى استيلائهم على المجتمع. لكن المرأة كانت أكثر شجاعة وعزماً بالخروج الى الشارع علناً وجهرأ فى كشف تزويد رموز السلطة لإعادتهم للحكم وتزييف الواقع. أنها لا تعدوا أكثر من أسلوب مفترى وغير صادق باستخدام الطائفة الشيعية الدينية فى حكمهم لأنهم غير مؤهلين لإدارة النسق السياسى إلا بتخويف وإرهاب المجتمع بعامل روحى - دينى حالهم حال جميع الحكام المجرمين المتذرعين بالدين فى استخدامه كحاف يلتحفوا به أمام الشعب هذا هو ديدنة حكام المسلمين المدعين الان بمبادئ الإسلاميين وهم جهلة فيه وبراء منهم لأنهم منافقين أفاقين معادين له.

لكن السؤال الذى يُطرح فى هذا السياق هو هل المرأة الإيرانية مُستبعدة من العمل فى دوائر الحكومة؟ الجواب كلا، خوفاً منها لأنها تمتلك الحجج الإسلامية والقانونية لدعم حجبها ضد المتعصبين منها ولها خلفية تاريخية ترجع الى 30 عام أبان حكم الشاه يشهد على نشاطها وفاعليتها فى تحريك الشارع الإيراني والثورة ضد الحاكم الظالم. إلا ان المشكلة التى تواجه الحركة النسوية الإيرانية هى أنها منقسمة على نفسها غير موحدة. وهذا ما جعل بعض من رموز السلطة المساومة معهنّ وتوسيع الفجوة بينهنّ، الحالة مشابهة للمرأة فى أفغانستان وباكستان.

وبالمجمل، إن استحواذ جماعة مغامرة على كرسي السلطة بالصعود إليها بواسطة المصعد الكهربائى (الدين) حاصل فى الدول الإسلامية الحديثة لكن النزول

منها وتركها لا يتم بنفس المصعد الكهربائي بل بقذفهم من كراسيهم الى القاع محطمين، لأن أسلمة السياسة أو تسييس الدين من أسوء الأخطاء لأن لكل نسق مجالاته وأهدافه ودوافعه وعقيدته. فاللدين عقيدة سماوية – ربانية لا تتبدل بينما للعقيدة السياسية أرضية بشرية تتغير حسب تغير المصالح الفئوية، ولأن الدين لا يقبل المساومة والمراوغة بل المباشرة الصريحة بينما السياسة تعيش على المساومة والمراوغة واللف والدوران.

أقول، لا يمثلان وجهان لعملة واحدة لأنهما متنافران هدفاً ودافعاً لا يتجاذبان ولا يتحاوران لأنهما مفترقان عمراً وفكراً. أعني عمر الدين أطول وأعرق بينما عمر السياسة أقصر ولقيط (ان جاز التعبير والتشبيه) وفكر الدين أنساني رحيم في حين فكر السياسة نرجسي (أناني) وعدواني.

كلما أدلف الى مدار الجندر تواجهني أحداث جديدة وفعالة تختلف من بلد لآخر ومن مجتمع لثاني. من الأخطاء الشائعة عند حكام بلدان العالم الثالث (والدول العربية والإسلامية أحدها) أنهم لا يدركون ولا يعيرون ولا يفهمون موجات التغير التي تحرك عجلة التغير الاجتماعي (سواء كانت هذه الموجات كونية – عولمة –، أو إقليمية حرب، أو إبداعية – مخترعات تقانية حديثة تخدم الإنسان في مجريات حياتهم اليومية واتصالاتهم الفورية) وتدفع تاريخ المجتمع من طور الى اخر إذ يرينا التاريخ بين الفينة والثانية عصف رياح التغير بعواصف تغيير سرعة الحركة الاجتماعية التي لا تستثني نظام الحكم أو سياسة اقتصادية أو معسكر عقائدي أو قوة عسكرية، بل تطغى عليه ليحل محله أو محلها نقيضها لأن مصالح المجتمعات تتطلب ذلك. أقول تستوجب الحركة وعدم الاستكانة لأن النزعة الإنسانية شغوفة بالتطلع للمستقبل وعدم الانزواء والابتعاد كلياً عن الحركة العامة والشاملة للمجتمع الإنساني. وقد عرفنا من تاريخ العالم أسباب ونتائج الحرب العالمية الأولى والثانية والباردة والعولمة الأولى والثانية وثورة المعلومات التي أدت الى انهيارات كونية متعددة لتحرك عجلة التاريخ وعدم ابقائها في مكانها.

وما قام به حكام العالم الإسلامي والعربي في مواجهة التحضر والتمدن السائرة في العالم الغربي ومحاربتة ورفضه تمثل إحدى نقائص عقليتهم المحدودة والمتسوحة ونظرتهم للمستقبل التي لا تتجاوز أرنبية أنهم فضلاً عن فقدان ادراكهم للعالم الخارجي حدود بلدهم والتعرف على أنماط العيش الإنسانية والواعية.

وإزاء هذه الورطة التي تورطوا فيها (عند استحواذهم على السلطة وهم غير مؤهلين لحكم شعوبهم) عالجوها بالتمسك والتشبث بأقوى سلطة متسلطة على شعوبهم ألا وهي السلطة الدينية (الروحية) والبطريقية (الذكورية) التي تنشئوا هم

(الحكام) عليها. فكانت ذريعتهم هذه في التسلط والتحيز والتعسف وهذه من أكبر مآسي شعوبهم (أن يكون حكامهم سطحيين فكرياً وnergسيين سلوكياً ومتجبرين في مواجهة واقعهم القاهر).

وعطفاً عما قدمناه وحتى نجول طرداً معه نقول بأن العنصر "الأضعف والأكبر" في هذه المجمعات هي المرأة (قلت الأضعف لأنها لا تملك النفوذ العسكري والمالي والسياسي والتنظيمي وقصدت الأكبر لأنها تمثل نصف أو أكثر من حجم سكان المجتمع) فيعملوا على استعبادها أول بأول من خلال استثنائها من سوق العمل والتحكم في الخلية الأولى في المجتمع (الأسرة) بدعم من الزوج أو الأب لتحويلها إلى منجبة ومربية وخادمة للزوج أو للأب وأميرة جاهلة خانعة لا ظهير لها، ويفسروا (الذكور) تاريخ ثقافتهم حسب مصلحتهم الذاتية ويترجموا الدين طبقاً لخدمتهم الذكورية المتسلطة لإرهابها وخنوعها باسمه وباسم الثقافة البطريقية الموروثة.

نستدل عما تقدم بأن الرجل في البلدان الإسلامية استخدم الآليات التالية: -

- 1 - ترجمة الدين ذكورياً لا روحياً وانسانياً.
- 2 - قراءة مُبالغ فيها للتاريخ الاجتماعي الموروث الداعم للسلطة البطريقية.
- 3 - عزل المجتمع عن حركة التحضر والتمدن السائدة في العالم.
- 4 - محاربة التقدم التكنولوجي وعدم جلبه للبلاد لكيلا يتم استخدامه من قبل المرأة وتفتح أمامها أبواب لا طاقة لهم (الرجال) على سدها.
- 5 - خوفهم من تاريخها النضالي ضد الظلم والتعسف.
- 6 - تحويل الحجاب من الرمز الديني إلى رمز الظلم والقمع والتعسف.
- 7 - استخدام العقاب العلني أمام الجماهير لإرهابهم مدّعين بأن هذه هي عقوبة الله عليهم.

لاحظ هنا أن مشكلة الجندر الإسلامي أنه لا يعاني مثلما يعاني الجندر الغربي مثل تدني أجور العمل أو التعصب في عملها في سوق العمل أو حجب بعض التخصصات الأكاديمية والعلمية عنها وحصرها في الأعمال الخدمية، بل جعلوا من مشاكل الجندر الإسلامي لبس الحجاب ولبس الملابس العصرية وعدم سيطرة السيارة وعدم التمثيل الانتخابي ومنعها من التعليم وتزويجها وهي قاصر (أي عمرها 9 سنوات). هذا هو واقع الجندر في البلدان التي يحكمها المتأسلمون الذين لا يعرفون حقيقة الدين الإسلامي ولم يدعوا المرأة من تفسير القرآن روحياً وانسانياً ولا هم يفسروه روحياً وانسانياً بل ذكورياً!!!

## 11 / د - الجندر العربي.... المستسلم لنمطه الثقافي

يسمع الغربيين ويقرأون احداثاً تنطوي على إجبار المرأة العربية على الزواج والعنف الأسري وعزلها أو حجبها عن الرجل ويفسرون ذلك بأنه يمثل احتقاراً وإذلالاً للمرأة في مجتمعها. وهذا تفسير غير منصف لأن هناك تفسير ثقافي لهذه الممارسات الثقافية للمرأة لا صلة لها بالدين وأن المرأة العربية والرجل العربي لا يروا بأن هذه الممارسات تعني أحد أوجه الظلم بل هي أوجه مناسبة لطبيعة المرأة ولا يجدوها بأنها صارمة وحادة ولا مستخفة أو مزدريه بالمرأة بل حماية لها لا تمثل خطورة وضغط عليها ولا داعي لمناقشتها أو اغرائها أو اهانتها خارج المنزل إذ إن معظم العربيات يرون بأن هذه هي حماية لهنّ وضمان لهنّ واحترام لهنّ. لا جناح من الإشارة الى ان الجندر العربي التقليدي محكوم عليه بالسلطة البطريقية - الذكورية والنظام القرابي من عدة قرون مضت بذات الوقت هناك اختلاف حول مكانة المرأة ترجع الى التقاليد المحلية مثل الحجاب ويتوجب على الرجل أن يصرف عليها وعلى أفراد أسرته لحين زواجهم وعلى الأبناء احترام والديهم وعدم الخروج من منزل والديهم قبل الزواج وترى المرأة العربية إن الأسرة هي المعين الأساسي الذي تعيش فيه ولا تريد أن تقع بنفس مشاكل المرأة الغربية ولا تريد أن تتحرر مثلما تحررت المرأة الغربية وتقع بنفس أخطائها " هذا تصريح رئيسة اتحاد النساء العراقيات". [Nydell. 2010.P. 45]

يحسن بنا أن نذكر في هذا السياق الى إن هذا العنوان يشمل المجتمع العربي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. إذ للمرأة في هذه البلدان دور بارز خارج المنزل للعمل في الصحة والتعليم والهندسة والإصلاح السياسي والاعلام والفن والصحافة وقوة حفظ السلام في العالم والجيش والتجارة والإدارة. بمعن أنها غير قابعة في منزلها وإن الحجاب يعتبر من الرموز الظالمة عند بعض الناشطات. لكن الشيء المجحف عن العربيات وبالذات عند دول شمال أفريقيا هو (بتر الجهاز التناسلي للبنات. أي ختان البنات) الذي يتم من أجل تقليص أو إزالة الاستمتاع الجنسي للبنات عند الاتصال مع الرجل إلا انه يعبر عن عذريتها وعفتها. فإذا كانت عذراء فإن فرصة زواجها تكون عالية، وإذا لم تكن عذراء فإنها تكون مُدانة وتعيش منبوذة واحياناً تُقتل من قبل أحد رجال أسرتها أو أقاربها غسلاً للعار وهذا ما هو سائد في شمال أفريقيا وبعض بلدان الشرق الأوسط وبعض أقاليم الصحراء الأفريقية. وحسب إحصاءات الأمم المتحدة التي قدرت المجموع العام للإناث اللواتي خضعن للبتن التناسلي (الختان) يتراوح ما بين 80 الى 100 مليون بنت بضمنهم الأطفال بعمر أربعة أعوام. [Lindsey. 2011. P. 170] أنها عادة ثقافية - اجتماعية

تُمارس في الأسر الغنية والفقيرة الريفية والحضرية لاعتبارها بإنها عادة قبلية وطهارة صحية وعادة دينية تحفظ شرف البنت والأسرة.

على الصعيد الإجرائي يتم بتر قسم أو كل عضو البصر بإزالته مع ترك فتحة صغيرة للتبول وخروج دم الحيض منه وعند الزواج وفي ليلة الدخلة يتم إعادة المهبل وهذه عادة ما يصاحبها ألم والتهابات ومضاعفات صحية تفقد البنت متعتها الجنسية، أنه اجراء غير إنساني يزاول في مصر والسودان والصومال وبعض مناطق اثيوبيا. لهذا البتر مفاهيم ثقافية ضرورية ومهمة عند هذه المجتمعات وهي ما يلي: -

1 - شهادة اجتماعية ودينية وثقافية على شرف البنت وأسرته في عذريتها.

2 - شهادة اجتماعية ودينية وثقافية على عفة البنت.

3 - ارتفاع فرص زواج البنت.

أما البنت التي ترفض أو تأبى بتر عضو بصرها فإن ذلك يجلب لها العار ولأسرتها لذا يعتبر بتر بصرها شهادة شرفية واعتبارية عالية في نظر أبناء هذه المجتمعات. وإن أكثر الأفراد المشجعين على هذه العملية هم القابلات المأذونات (المولدات) يدافعنَّ عليها بقوة وصلابة ويجبرنَّ البنات بالخضوع على اجراء العملية المؤلمة.

لا جناح من الإشارة الى أن الأمم المتحدة حاولت دراسة ومعالجة هذه العملية المؤذية والمشوهة للعضو الجنسي الأنثوي من خلال مؤتمر عالمي قامت بإلزام حكومات هذه المجتمعات بعدم ممارسة هذه العملية في المراكز الصحية والمستشفيات. إلا انها مازالت مستمرة تمارس في المنازل بدون علم الجهات الرسمية هذا من جانب ومن جانب آخر فتحت ملاجئ للبنات الرافضات لإجراء العملية إلا ان مثل هذه الإجراءات الفوقية والرسمية لا توقف ممارسة عادة اجتماعية موروثة وحتى دينية، فضلاً عن وضع مكانة وسمعة واعتبار الأسرة على شرف البنت المستوحى من ختانها.

حجاب البنت والمرأة العربية له مشكلة أخرى لأنه يُنظر اليه من قبل بعض الفتيات على انه تقييد لحرية البنت وزينتها وذوقها والتدخل في خصوصيتها وأخريات يعتبرنَّ الحجاب تصرفاً دينياً واعتبارياً يمنح البنت صفة المحافظة والانوثة ودعم للثقافة الإسلامية وتعاليم الإسلام.

في تقديري أن التدخل في موضوع المساواة بين النوع الجنسي (الجندر) من باب العادات الاجتماعية والثقافية (الختان والحجاب) لا يجدي لأنه مرتبط بالسلطة الذكورية والثقافة الموروثة فلا غرابة من تعرض هذا الموضوع (المساواة) للكثير

من الاعتراضات من قبل الرجال وحتى من الاناث (الجيل القديم) لأن المجتمع العربي من المجتمعات مازال تقليدياً ومحافظاً على الرغم من تطوره في الاستخدامات التكنولوجية الحديثة (الإنترنت والتلفون المحمول وسواها). وغني عن البيان من أن المجتمع العربي عاش مرحلة طويلة من الاضطرابات السياسية والحروب والثورات والانقلابات العسكرية من بعد منتصف القرن الماضي ولحد الان مما عسرّ وعثرّ خروج المرأة العربية من شرنقتها الثقافية والاجتماعية التقليدية لما يحكوه حولها وجعلها مقعدة في منزلها مع أسرته وعزز بذات الوقت سلطة الرجل الذكورية عليها داخل البيت وخارجه وإزاء هذه الظروف القاسية والمستمرة التي طالت مدتها باتت راضية بنمط حياتها المتأطر ثقافياً ودينيّاً واجتماعياً.

لذلك لم نتناول الفجوات الجندرية في الأجر المدفوعة للعاملة خارج المنزل والفجوة المهنية ولا الفجوة الانتخابية ولا العنف الأسري لأنها جميعها تحصيل حاصل في ظل رضاها بنمط حياتها المتأطر بثلاث وعائم (الثقافية والدينية والاجتماعية).

لكن هل رضا المؤنثة العربية متأني من قناعتها بالتسلط عليها في اشباعها لرغائبها وحاجاتها وطموحاتها؟ أم هي مستسلمة لما تواجهه من عدة جوانب ومسالك وطرق (من أمية وفقر وبطالة وحكم مستبد وسلطة ذكورية ووصمة اجتماعية يصدرها المجتمع عليها إذا لم تستجيب له في ختانها أو حجابها؟ ثم لم تكن هناك مساعدة صادقة لها من الحكومة في مساواتها لحقوقها بحقوق لرجل، بل كانت هناك منظمات صورية لا لمساواتها بل لاستخدامها في تلميع صورة الحاكم والنطق بمنطقة موجهة من قبله لا من قبل حقوقها المهذورة فضلاً عن انشغال الأنظمة الحاكمة بالانقلابات العسكرية والثورات الداخلية والحروب الخارجية التي تعزز سلطة الرجل ودفع المرأة نحو المنزل لتدبيره ورعاية الأطفال وخدمة الزوج وما زاد الطين بلة تأثيرات العولمة الأولى والثانية وثورة المعلومات التي عملت على الاستغناء عنها كلياً في المعامل والمصانع فاستخدموها في تجارة الرقيق الأبيض وسوق النحاسين فاضطرت للهجرة واللجوء وتشردها في البلدان للعمل هناك. فضلاً عن التفاوت الطبقي الذي استولده العولمة والتقدم التكنولوجي، وما حصل بعد ثورات الربيع العربي من افرازات مفككة بنائياً ونسقيّاً ففتحت الأبواب على مصراعها للفساد السياسي والإداري والمالي والقضائي والتربوي والعسكري والطبي والهندسي فكانت الضحية الكبرى (أي المؤنثة) وأمام هذه المؤثرات العملاقة التي أصابت المجتمع العربي جعل المؤنثة مستسلمة لها لا تقاومها لضعفها



أمام هذه القوى اللافرديّة المتمثلة في السلطة البطريركية (الذكورية) وجهلها وبطالتها وضعف أجور عملها خارج المنزل، وعدم استقرار سوق العمل والقيم الشرقيّة فيما يخص الشرف والنّبذ الاجتماعيّ فضلاً عن عادة ختانها المرتبط بزواجها وإذا انعدم زواجها تبعاً. هذا هو حال المؤنثة العربيّة مغلوب على أمرها مستسلمة لضغوط ثقافتها الاجتماعيّة لا يوجد من ينصرها وإن وجد فهو أضعف منها.

### 11 / ذ - الجندر الإسرائيلي..... مساواته على الورق فقط

إسرائيل كدولة محتلة لأرض ومجتمع لا يعودوا إليها عملت على تجنيد المرأة لاحتياجها للعنصر البشري في بناء مؤسساتها وبالذات المؤسسة العسكريّة والمزارع الجماعيّة (كبوتز) مع تعيين امرأة في منصب رئيسة وزراء (جولدا مائير) هذا مجرد احتياج بنائي ظاهري أمام العالم، مع منح المرأة المجنّدة في الجيش إجازة الولادة ومنحها فرص للتعليم والعمل. بيد أن الناشطات الإسرائيليّات كافحن بشدة من أجل حصولهنّ على المساواة الجندرية الحقيقيّة والواقعيّة لأنّ التجنيد العسكري على جميع اليهوديات منذ نشوء الدولة المحتلة من أجل حماية أمنها الداخلي والخارجي إلا أن واقع الحال لا يسمح للمرأة الإسرائيليّة أن ترتقي إلى مراتب عسكريّة ذات مناصب متقدمة ورفيعة المستوى وذات رواتب مجزية بل مراتب عسكريّة أولية ومحدودة مع اعفائها من الخدمة العسكريّة إذا تزوجت أو أنجبت أو لديهنّ تصريح ديني بإعفائها من الخدمة العسكريّة.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن هناك فصل جنسي بين الرجال والنساء في الأعمال والواجبات العسكريّة لكنهنّ مستخدمات في الأعمال المكتبيّة والسكرتارية والتمريض. وإن المؤسسات العسكريّة والنظام السياسي يتماهون مع النظام البطريرقي (التسلط الذكوري) أما فرص العمل لها خارج المؤسسة العسكريّة فإنها محدودة ومقتنة ليست مفتوحة كما يظن البعض إذ أن الديانة اليهودية والحكومة والأسرة متجانسين في ممارسة السلطة الذكورية على المرأة. هذا على الصعيد الواقعي أما على الصعيد الظاهري والإعلامي فإن الحكومة تدّعي بأن المساواة الجندرية قائمة ولا يوجد فرق بين المؤنثة والمذكر. لكن هذا ادعاء مضلل ومخادع وما هو واقع فهو ادعاء واهي ليس إلا.

ومن أجل استجلاء أكثر عما تقدر نقول عن الأسرة اليهودية بأنها تحتل مكانة رفيعة المستوى في المجتمع اليهودي لأنها تمثل لب وجوهر الثقافة اليهودية بسبب تجذرها في تقاليد الديانة اليهودية القديمة التي هي بدون شك وسؤال ذات طبيعة بطريقتي واثكاءً على ذلك فإن الأسرة اليهودية تتجسد في دور المرأة، بمعنى أنها (المرأة) تمثل محور الأسرة لكنها خاضعة لسلطة الذكر. علماً بأن حكومة إسرائيل

ليست بدينية ولا علمانية إنما هي وعاء حاخامي – تلموذي مشروع يعلو على الزواج والطلاق وإن هذا الوعاء يخدم مصالح التقاليد اليهودية النابعة والمتجذرة في الأرثوذكسية اليهودية وإن جميع النساء في كافة فروع الديانة اليهودية ملزمات بالقيام بكافة اشكال التدبير المنزلي وممارسة الطقوس الدينية التي تحرر الرجل من الدراسة والتعليم والانخراط بشكل كامل في الحياة الدينية. إلا أن المرأة تساهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية المحلية لكنها ترى بأن هذه المهام الملقاة على عاتقها غير منصفة لكن التعاليم الدينية لها أولوية واليد العليا على المطالبات الجندرية في مساواة المرأة بالرجل. هذه الرؤية نجدها سائدة عند معظم الأسر اليهودية في إسرائيل. [Sasson. 2003. P. 440]

**الكبوتز Kibbutzim:** هي مزرعة جماعية يهودية مهمتها تربية الأطفال اليهود حسب المساواة الجندرية بين الذكر والانثى وتجعل أبويهم متفرغين للقيام بتنمية مجتمعهم المحلي. بذات الوقت هي تجربة قامت بها الحكومة الإسرائيلية لإخراج الأطفال اليهود من هيمنة السلطة البطريقية ونظام تقسيم العمل المقام على الاختلاف الجنسي (ذكر وانثى) من أجل إزالة التمييز والتفرقة بين عمل الرجل وعمل المرأة. هذه التجربة الجماعية تعبر عن النشاط التعاوني من أجل تقليص الاختلافات الجندرية والتركيز على التنشئة الجماعية الشعبية. إذ تأخذ الحكومة الإسرائيلية الأطفال بعد ولادتهم بشهر أو شهرين ليعيشوا في منزل خاص بهم لمدة اثنتي عشر (12) سنة تهتم بهم ممرضات ومربيات ليتربوا على تربة واحدة بدون فوارق طبقية أو عرقية أو جندرية بعدها يتم نقلهم الى منازل أخرى تسمى (ساباث Sabbath) يسكن فيها الأطفال مع والديهم ليحصلوا على الحب والمودة والدفع العائلي التي أعفتهم من مسئولية اربيتهم لأطفالهم لمدة 12 عام ليتفرغوا لأنشطة المجتمع المحلي وتجعل أعمال الرجال والنساء واحدة في المجتمع المحلي.

هذه القواعد الأساسية لم تستمر لأن رعرعة الأطفال في مزارع جماعية جعلت النساء يتذمرن ويستأنن من هذه الرعرعة لأن الأطفال يعيشوا بعيداً عن الرجال (الآباء) وتتبلور عندهم مشاعر سلبية وأن رضى الآباء يزداد كثيراً إذا عاش أطفالهم معهم داخل بيت واحد أفضل بكثير مما يعيشوا مع اقربانهم. وقد ظهرت فكرة بديلة تقول بأنه سوف يتم تأسيس مركز عائلي يجمع بين الأبوين والأطفال في منزل واحد. بغض النظر عن هذه الفكرة البديلة فإن النساء سوف يتركوا الكبوتز لأن الجيل الثاني والثالث من أطفال الكبوتز سوف يتركوه ليذهبوا الى الحياة العصرية والأسرة النووية الصغيرة، وإن فقدان الفائدة الزراعية ستودي الى الهجرة الخارجية للشباب ويزداد الفصل المهني ويتركز عمل المرأة في رعاية

الأطفال والتمريض والتعليم والعمل في المطابخ كطبخات لأنهن لا يعرفن غير هذه الاعمال التي يقوموا بها في الكبوتز على الرغم من أن الكبوتز يركز على العلاقات التعاونية والمحبة والمساواة. أنها تجربة لا تعالج المفاضلة الجندرية بقدر ما تعمل على تنشئة جيل إسرائيلي مرتبط بما تريده الحكومة الإسرائيلية في بناء مجتمع لا علاقة له بالمفاضلة الجنسية أقول مساوئه أكثر من فوائده لأنه يقوض العلاقة الأسرية بين الأطفال والآباء ويجرد المرأة من مناسبتها غير المنزلية مثل اكتساب مهارات مهنية غير منزلية وغير تنشئيه مثل الهندسة والطب والتكنولوجيا.

نتحول بعد ذلك الى مجال التعليم الذي اختفت فيه الفجوة الجندرية عند الجنسين وعلى جميع المراحل التعليمية إنما هناك جدال مثير بين الدين والتعليم والأخير يؤثر كثيراً على المعتقدات والمرئيات نحو الزواج والأسرة عند الشباب الإسرائيلي لأن المدراس الدينية تغرس المفاهيم والتعاليم الدينية حول الانوثة المحددة من قبل القانون الإلهي وعالم الذكور بذات الوقت فإن التعليم له أثر كبير وقوي على التطلع نحو الحياة العصرية والتيارات الانثوية الواعية. بذات الوقت فإن عدد الاناث في تزايد في المعاهد الدينية في كافة فروعها باستثناء الأرثوذكسية.

ندلف الان الى المرأة الإسرائيلية في مكان عملها الذي يكشف عن عدة فجوات جندرية بشكل صارخ وداوي تعبر عن بطالتها والفصل بينها وبين الرجل في العمل بغض النظر عن مستويات مهارتها، مع فقدان عملها في القطاع العام والخاص (كأحد مؤثرات العولمة عليها) وعدم حصولها على أجور مساوية للرجل بل أقل منه بكثير وعندما يحصل صراع بين الأسرة والعمل فإن الأخير يكون مهجوراً لأن شروط العمل لا تحقق ظروف الأم أو الزوجة التي تواجه الحبل والولادة والأمومة كل ذلك وهناك قوانين صادق عليها الكنيست (البرلمان) عام 1988م تنص على منع التعصب والتحيز ضد المرأة في الإعلانات والتدريب والترقية وقطع الراتب والمضايقات والتحرشات الجنسية للمرأة في مكان العمل وعدم منحها الفوائد الإضافية. هذا على الصعيد النظري – الورقي موجود لكن على الصعيد الواقعي – العملي غير موجود ولا يؤخذ به لأن المرأة الإسرائيلية مازال يُنظر اليها على انها زوجة وأم قبل كل شيء ومن ثم كاسبة الرزق ثانياً باختصار شديد هناك فجوة جندرية في المجتمع الإسرائيلي فجوة مهنية وأجورية وأسرية على الغرم من وجود قانون يحرم ذلك.

يحسن بنا أن نشير في نهاية تناولنا لموضوع المساواة الجندرية في المجتمع الإسرائيلي لنقول عنها بان السياسة العامة للحكومة لا تتدخل في مساعدة المرأة

في الأعباء التي تتحملها ولا في مواجهة أدوارها المتناقضة التي تعيق أداء دورها وبالذات تلك العقبات المتأتية من التقاليد اليهودية العتيقة التي تفضل الرجل على المرأة إذ لا تتضمن هذه السياسة قرارات مشروعة ثقافياً ورسمياً لمساعدة المرأة. ومن أكبر مشاكل الحركة النسوية في إسرائيل ما يلي: -

1 – إن الحركة لم تكن نابعة من تنظيم نسوي إسرائيلي بل أنتت مستوردة الى إسرائيل من العالم الغربي. أي مقلدة لها ولم تنشأ بسبب احتياج المرأة الإسرائيلية لها.

2 – إنها لا تعبّر عن المكونات الثقافية والعرقية والطبقية للمرأة في إسرائيل.

3 – بل للطبقة الوسطى من المهاجرات الأوروبيات لإسرائيل.

4 – لم تعبّر عن الوحدة النسوية اليهودية إذا استثنت منها نساء الطبقة الفقيرة والمهمشات والغير يهوديات والعربيات والمهاجرات من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وسرق أسيا.

5 – سيطر عليها من قبل نساء الاشكيناز Ashkenazi (نساء من أوروبا الشرقية والوسطى والغربية أي يهود غربيون).

6 – لا تضم النساء الملونات بل فقط من البيض.

7 – إنها حركة غير ناضجة مثل نضج الحركات النسوية في العالم بالذات في تعاملها مع الأعراق والقوميات والطبقات المهمشة. [ Lindsey. 2011. Pp. 160

164 – ]

وقبل أن ننصرف عن هذا الموضوع نقول بأن السلطة البطريقية الذكورية هي سيدة الحياة الجندرية في المجتمع الاسرائيلي وإن التعصب العرقي والتحيز القومي للنساء ضد النساء ومن باقي الأعراق والقوميات هو سيد الحياة الجندرية هناك. هذه حقائق دامغة مهما ادعت الأجهزة الإعلامية بإنكارها. إذ يمكن مشاهدتها على العلاقات الأسرية والمكاتب الرسمية وفرص العمل لأن الديانة اليهودية والحكومة والأسرة أخذين بالسلطة البطريقية كعمود فقري فيها، وإن الفصل الجنسي بين الرجل والمرأة في مكان العمل يعبر عن الفجوة المهنية المتبوعة بالفجوة الأجورية في دفع رواتب المرأة أقل من رواتب الرجل مع عدم مراعاة إدارات العمل لظروف المرأة الأم عند حملها وولادتها وإرضاعها لأطفالها ورعايتهم بل تلزمها على ترك عملها دون تعويض مالي على ذلك.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الحركة النسوية في إسرائيل لا تتعامل مع مشكلات المرأة في العمل والأسرة والحياة العامة ولا تعالج معاناتها العرقية

والقومية والطبقية لأنها (الحركة) مستوردة من العالم الغربي شكلاً وليس مضموناً. أقول إنها لم تدافع عن التمييز العرقي ولا التعصب الفئوي لأنها مسيطر عليها من نشاء الطبقة الوسطى ذات العرق الأوروبي المتعالي على باقي الأعراق. هذا وحده لا يعكس اهداف الحركة النسوية بل يعزز التفرقة العنصرية ويعزل نساء الطبقة الفقيرة عن الوسطى والغنية لذلك يمكن القول عن الجندر الإسرائيلي بأنه مطابق شكلاً ومضموناً للاختلافات البيولوجية بين الرجل والمرأة وغير إنساني بل طبقي وعرقي وشاذ كل الشذوذ عن باقي الحركات النسوية المطالبة بحقوق المرأة في مساواتها مع الرجل وتقول لنا أيضاً بأن المجتمع الإسرائيلي مجتمع ذكوري متعصب للذكر ومتحيز ضد الانثى وهذا يبلور عدم توازن مكونات المجتمع العصري لأنه يعيش في عبق التقاليد الموروثة البالية التي لا تتسجم مع روح العصر في المساواة الجندرية لأنه يعيش في ماضيه أكثر من حاضره ومستقبله.

### 11 / ر - الجندر الاسكندنافي... النموذج الأمثل في مساواة الجندر

يضم هذا الإقليم البلدان التالية (النرويج، فلندا، السويد، ايسلندا، الدنمارك) تُعرف مجتمعات هذه الدول بالشعوب الاسكندنافية المتميزة بطول القامة والرأس وزرقة العيون وشقر البشرة. تختلف هذه المجتمعات عن باقي مجتمعات العالم في سياستها الخاصة بالمساواة بين المؤنثة والمذكر إذ استحلت موقع 7/5 في فهرسة دول العالم الذي استخدمته الأمم المتحدة لقياس الفجوة الجندرية في العالم وبالذات في المشاركة بالأنشطة الاقتصادية وفرص العمل، والحضور التربوي في المدارس والرعاية الصحية، والمشاركة الفعالة في الأنشطة السياسية حيث شغلت المرأة الاسكندنافية ما بين 35 و45% من مقاعد الحكومة القانونية فضلاً عن اشغالها نصف مقاعد المجالس البلدية. علاوة على استفادتها من المنافع التي تقدمها المساواة الجندرية من حيث الدعم السخي والكريم في رعاية الأطفال ودعم المرأة في مكان العمل ومنظماتها الخاصة بها. في الواقع هناك صلات قوية بين المجتمع المدني في هذه البلدان وحكوماتها لذا تم اعتبارها النموذج الأمثل للمساواة الجندرية في العالم.

### جندر النرويج والسويد

من خلال رئيسة وزراء النرويج السيدة (هارليم برونديلاندا) لفترة ستة عشر عاماً نستطيع التعرف على طبيعة الجندر في النرويج عند انتهاء مدتها لم ينافسها الرجل لأنها مدعومة من قبل النساء في المناصب الحكومية مع وجود تفاهم مفتوح بين المؤسسات الحكومية والمساواة الجندرية حيث الأبواب مفتوحة لها أمام مناحي الحياة بشكل تلقائي دون إعاقات ثقافية أو عرقية أو سياسية ولها حضور دائم في

السياسة والانتفاع من التعليم والصحة والعمل كل ذلك لم يكن على حساب أدوار الرجل بل متساوية مع حقوقه. وكذا الحال في السويد مع تركيز الأم السويدية على تدبير منزلها ورعاية أطفالها أمام عملها خارج المنزل في مجالات الرعاية للأطفال والمسنين والمعاقين مع تربية أطفالها على المساواة الجندرية والاستفادة من مساعدات الحكومة لها ولأطفالها مع عدم وجود فجوات جندرية أو أجورية أو مهنية. [Bergqvist and Nyberg. 2002. P. 221]

## الفصل الثاني عشر سبل تحرير المؤنثة من الاسترقاق الاجتماعي

استهلال

12 / أ – التوعية الذاتية

12 / ب – كشف المفارقات المتناقضة في المجتمع ضد المؤنثة في العوالم الأربعة:

1 – عالم الأسرة

2 – عالم العمل

3 – عالم الثقافة الاجتماعية

4 – عالم السياسة

12 / ت – صيرورة الجندر

12 / ث - تحرير المؤنثة من قيود السلطة الذكورية عالمياً وليس نظرياً

## الفصل الثاني عشر سبل تحرير المؤنثة من الاسترقاق الاجتماعي

### استهلال

لا تقام عدم العدالة أو المفاضلة على الاختلافات والمفارقات فقط بل على التعصب والتحيز والتمييز والتهميش والاستبعاد والاستعلاء والاستخفاف والازدراء والاحتقار (انها ممارسات جمعية أكثر مما هي فردية) تحصل بين الأفراد والجماعات والأحزاب والقبائل والطبقات والاعراق والقوميات والأقليات والطوائف والأديان والثقافات.

هذه الممارسات الجمعية تعبر عن عدم التوازن وعدم الاعتدال وعدم الاستواء وعدم الانصاف. يمثل أحد الأطراف امتلاك النفوذ أو المال أو السلطة أو العلم أو المكانة، ويمثل الثاني فاقد للنفوذ أو للمال أو للسلطة أو للعلم أو للمكانة. لا يُطلق عليها مصطلح التفاوت بل الاختلاف المتنافر والمتصارع المقام على العدميات المعيارية التي تكون أساس للبناء المتدرج الذي يطلق عليه بـ (التدرج الاجتماعي Social Stratification).

لنقترب قليلاً عما ذكرناه انفاً لنقول بأنه لا يوجد مجتمع إنساني خالي من الطبقات الاجتماعية والطوائف الدينية والاختصاصات العلمية والانتماءات الحزبية والاقامات الإقليمية والفرق الرياضية والشلل الرفقية والعصابات الإجرامية والدخول الاقتصادية، بل هناك تدرج خاص بكل فئة من هذه الفئات. وإن الحديث عن العدالة والمساواة والتوازن يكون ضرب من ضروب المثالية والمنطق الطوبائي الخيالي لا يحصل إلا في باب التنظير فقط وليس في باب التطبيق الواقعي، إنها سُنّة الحياة الدائبة بالحركة والتغير والتقدم. فما هو غالب يصبح مغلوب وما كان عالي يضحى واطي وما بات قوي يصبح ضعيف وبالعكس هكذا هي مفردات الحياة لا تخضع لميزان العدالة المتوازنة والمتعادلة. ولما كان موضوع دراستنا ينطوي على عدم مساواة المذكر مع المؤنثة التي هي نتاج جذور ومغذيات طبيعية مثل: الدين والثقافة الاجتماعية والنظام السياسي والعمل والمال والمهنة (عوامل داخلية) وحرب وأزمات اقتصادية وكوارث طبيعية (عوامل خارجية) فإن أشكال المساواة والتوازن تكون مفقودة – تحصيل حاصل – يتبعها الظلم والاستغلال والاستبعاد والتهميش المعبر عن الجحود

والاجحاف على الطرف الضعيف والفقير من قبل القوي والغني الذي تعززه دعائم داخلية مثل الدين والثقافة الاجتماعية والسلطة البطريقية. بتعبير آخر إن العدالة غير موجودة ولا توجد طالما هناك اختلاف وتفاوت في القدرات والقوة والنفوذ والسلطة بين فئات المجتمع، عندئذ يكون الاختلاف الجنسي مدعوم من قبل الاختلافات الطبيعية والمهنية والدينية والإقليمية والقبلية، مما تغلق الباب أما المساواة النوعية بين الذكر والمؤنثة وإبقاء الأخير تحت رحمة الأول. إلا إن مع حدوث مستجدات تقانية حديثة وتغيرات بشرية كبيرة مثل الحرب أو العولمة أو تقلبات التجارة العالمية في الأسواق الدولية المقترنة مع وجود اتصالات فورية بين الشعوب فإن النوع الجنسي يستجيب لذلك ويطلب بتغيير المعادلة التي كانت ضد المرأة لتحصل على حقوقها المسلوبة والمغتصبة من قبل الرجل المدعوم دينياً وثقافياً وسياسياً، يطالب بـ (العدالة) المفقودة مثلما تطالب بها الأعراق لخاضعة للتعصب والتمييز العرقي وكما تطالب بها الطبقة الفقيرة (الدنيا) ضد الطبقة الغنية والمحكومة ضد الحاكمة. وهكذا ديدنة المرأة مع الرجل التي لا تريد أن تبقى تحت سيطرته واستقلاله وتهميشه لها.

إن المطالبة بالعدالة والمساواة يعني إن هناك استغلال وابتزاز وظلم وتجني واغتصاب لحقوق ورجائب ومصالح وفوائد. أما تحصل حالة توازن قوى بينهما؟ الجواب لا، أو تقع مساواة في الحقوق والواجبات عندهما؟ الجواب كلا، أنه صراع بين المالك والفاقد والحاكم والمحكوم والغالب والمغلوب والجائع والشبعان والانثى والذكر. هذه مشكلة تضاف الى مسؤولية علماء الاجتماع لدراستها طالما هناك اغتصاب للحقوق وعنف جسدي وجنسي يقع على بعض افراد المجتمع فهي إذن تحتاج الى تشخيص لأسبابها وتحليل لواقعها واستشراف لأثارها ومستقبلها ومضارها على الحياة الاجتماعية.

أخيراً نقول إن العدالة لا تكن موجودة على صعيد الواقع بل مطلب نظري ومعرفي، إنما هناك منافسة وصراع بين أصحاب المصالح المتضررة والمستفيدة.

بعد هذا الاستطراد دعنا نجول طرذاً مع موضوع عدم المساواة بين حقوق وواجبات المرأة والرجل التي تختلف عن التمييز العرقي بين عرف وآخر لأنه لا يرتبط بالتعاليم الدينية ولا السلطة البطريقية ولا القيم والمعايير الثقافية ولا السياسة الاجتماعية للنظام السياسي. بعبارة أخرى أنها (عدم المساواة الجندرية) أكثر تعقيداً وعرقله من التمييز العرقي والتعصب القبلي والإقليمي والحزبي لأنه موجود في الأسرة والقبيلة والعشيرة والطائفة الدينية والطبقة الاقتصادية والقرية



والمدينة. أي أكثر اتساعاً وانتشاراً في النسيج الاجتماعي. بينما عدم المساواة بين الطبقات الاقتصادية والطوائف الدينية والسلالات العرقية فإنها محصورة بين حدود الطبقة أو الطائفة أو السلالة فقط. في الواقع إن عدم العدالة والمساواة بين الرجل والمرأة لا تنحصر في أو لا تقتصر فقط على العامل المادي – الاقتصادي والسياسي بل في جميع مناحي الحياة. وإن أساس الاختلافات لا يكن الاختلاف البيولوجي بل استجابة الرجل والمرأة للأحكام الثقافية والدينية على أدوارها الاجتماعية. بمعنى إن عدم العدالة لم تصدر من الحاكم أو الزعيم أو الرجل ذاته بل من الخلفية التاريخية والثقافية والدينية للمجتمع. فإن غياب العدالة لا يكمن في الطبقة ولا في العرق أو في القومية أو الجنس أو العمر.

إذن عدم المساواة بين الرجل والمرأة لا تمثل مشكلة شخصية – فردية بل ثقافية – مجتمعية وهذا ما يجعل المساواة بينهم متطلب يضم عدة جهود متنوعة داخلية وخارجية. أي ضغوط دولية خارجية ليبرالية ومعارضات داخلية من قبل عناصر نشطة في الحياة اليومية الثقافية والإعلامية لأن التوازن يؤدي الى استقرار المجتمع الذي بدوره يدفع الى التقدم والتطور عكس الاختلاف الذي يؤدي الى الصراع والمشاحنة الذي بدوره يقوم بإعاقة وعرقلة التقدم والتطور، لأن التوازن يجعل كلا المختلفين التعاون في بناء كلٍ منهما للأخر بعيداً عن تهديم وتقويض كلٍ منهما للأخر. فالرجل المتسلط يمارس عنف على المرأة ويمنعها من الأبداع في العمل واتخاذ القرارات الذكية بل يحط من قيمتها تحت ستار التميز والاحتقار الاجتماعي لها وعندما تكون مستعبدة له فإنه لا يحق لها ان ترى مالا يسمح لها أن ترى ولا أن تفكر بما لا يسمح لها أن تفكر فيه بل تتصرف كعبدة مملوكة. أقول إن عدم المساواة بين الرجل والمرأة يعكس عدم توازن الحقوق والواجبات والنفوذ والملكية والسلطة والمال والجاه والمكانة والدور. الرجل مالك كل ذلك والمرأة فاقدة كل ذلك وهذا وحده يكفي لتوليد قصور وافتقار بنائي يمثل احادي الجانب (لجانب الرجل) على عكس ما هو مطلوب منه أن يكون ثنائي الجانب.

إذن ما العمل في مواجهة العدالة المفقودة في المجتمع؟ العمل هو:

## 12 / أ – التوعية الذاتية وعقدة المفاضلة

تمثل المساواة بين الرجل والمرأة عقدة العقد منذ أزمنة وعصور خلت ولا تزال.... فإلى متى تستمر؟ ومتى يشرق فجر المساواة المنشودة بين الجنسين؟! وهل سيشرق يوماً؟! ثم ماهي مبادئ المساواة بين الجنسين؟ وما هي شروطها؟ ومن هو المسؤول عن تحقيقها؟ المرأة أم الرجل؟ أم الاثنين معاً؟

للإجابة على هذه الأسئلة نقول إن المساواة ليست بيد الرجل والمرأة بل بيد قوى أكبر وأقوى منهما: وهي السلطة البطريقية التي تسيطر الذكورية على المؤنثة، ثم سيطرة الدين الذين يفسرون التعاليم الدينية لخدمة مصالحهم ونفوذهم ومواقعهم أو أموالهم، كذلك المتطفلين على السياسة الذين يستخدمون مفاضلة الرجل على المرأة دعماً لحكمهم، ثم التنشئة الاجتماعية المنبثقة على السلطة الذكورية والمدعومة من قبل مصانع لعب الأطفال الخاصة بالذكر وأخرى خاصة بالمؤنثة. ليس هذا فحسب، بل عن المسؤولين عن فرص العمل الرسمي والعام مثل دوائر الدولة والمصانع والمعامل والورش يكون مصلحتهم مفاضلة الرجل على المرأة بسبب تكوينها البيولوجي الانثوي الذي يسبب لها عدم العمل خارج المنزل مثل (الدورة الشهرية والحمل والولادة والرضاعة) ثم تأتي مسألة أجورها التي لا يساويها بأجور الرجل في العمل.

هذا جانب من جانب آخر، فإن انوثتها وجمالها يدعل الرجل ان يتعدى عليها في التحرش الجنسي والاغتصاب لأنها لا تملك سلطة أو نفوذ أو قوة جسدية تدافع عن نفسها. أما شروطها فتتمثل في التوعية الذاتية التي تقع على عاتق كلٍ منهما كي يحاربا قانون الطبيعة ويسير بموجبه الذي يوضح عدم قيادة الرجل لها ولا قيادتها للرجل، بل يسيران متكافئان ومتصافيان نحو المساواة في الواجبات والحقوق بحيث يصدر من الشعور الداخلي والافتناع والتقدير العام القيام تجاه الجنس الآخر وعدم استغلال كلٍ منهما للآخر وبالذات استغلال الرجل للمرأة في العمل والأجور والتعليم والتحرش الجنسي والتسلق على التدرج الاجتماعي. أما من المسؤول عن تحقيقها؟ فبالدرجة الأساس التنظيم النسوي نفسه هو الذي يقدر ان يفرض على الحكومة وقيادة المجتمع احترام حقوقها ومنحها ما هو مغتصب منها واحترام رأيها كإنسانة والثقة بها كمواطنة واكتساب مكانة بجهدا وكفاءتها وليس بتوريثها وعدم التجاوز على واجباتها وحقوقها. كذلك المسؤول عن تحقيق المساواة، الزعماء والقادة الوطنيين الذين يأخذون بيد مواطنيهم دون تعصب وتحيز وتفرقة بين عرق وآخر أو دين وثاني أو قومية وقومية، إذا أرادوا بناء مجتمع متضامن ومتكافل في وظائف مجتمعهم، وخلاف ذلك فإن عدم المساواة سوف تستمر الى مالا نهاية ولا يشرق فجر المساواة المنشودة بينهما.

ومن نافلة القول إن الرجل وحده أو المرأة وحدها يقدران على تحقيق المساواة الجندرية، ذلك ضرب من ضروب الخيال لأن الرجل العصري مثقل بمسؤوليات متشعبة في العمل والأسرة ومواجهة ضغوط العولمة الثانية ذات

التحولات السريعة والمتناقضة والمتناقضة والحالة كذلك مع المرأة التي تواجه الان تحول مكعب الاعياء في الأسرة والعمل والمنزل. بتعبير آخر كلاهما لا يقدران على تحقيق المساواة بمفردهم بل بمجهودهما معاً وبتخطيط قيادي مثلما عمل (لينين) في الاتحاد السوفيتي السابق و (ماو) في الصين و (سوهارتو) في اندونيسيا و (نهر وغاندي) في الهند على أن يبدأ من مرحلة ايقاد الوعي الذاتي في كون المؤنثة أم الطبيعة وقربان التقدم، وعلى الرجل أن يعي بان وجوده مرتبط بوجود المؤنثة على نفس المستوى وليس الأدنى منه وعليهما أن يتعاونوا في بناء الخلية الأولى في المجتمع (الأسرة) وتنشيط السوق والمصنع والمعمل لأن المساواة بين الجنسين تمثل عقدة متشعبة في أوجه الحياة المختلفة والسريعة في التغيير ناهيك عن جذورها الضاربة عميقاً في أغوار اللاوعي عند الجنسين. وإنها تتطلب وتفرض - أعني المساواة - معادلة تتضمن (التخلي والتبني) أي التخلي عن العنف والظلم والإجحاف وعدم المساواة وعدم التطرف والتحيز في الرأي. وعلى المرأة أن تتخلى عن تبذيرها وجهلها وكسلها وابتزازها للرجل وتتبنى اتخاذ القرارات الأسرية الموزونة والتصرف العقلاني الرشيد والاقتصاد في الاستهلاك وتنظيم الأسرة، عندئذ يمكن القول بان المرأة والرجل كائنان متكاملان ومتساويان يكمل أحدهما للآخر لا بل هما يمثلان معاً القوى الخلافة في الكون، القوى التوأم أي الموجب والسالب، القوة المركزية الدافعة والقوة المركزية الجاذبة. لكن هل المصالح الاقتصادية والسياسية والدينية تسمح لهم بذلك؟ الجواب كلا، لذا يتطلب منهما الاصطفاف معاً ومواجهة الانتهازيين والمستغلين من أصحاب المصالح الفئوية التي لا تخدم عامة الناس ومنعهم من مفاضلة جنس على آخر لأن البناء لا يبدأ ولا يستمر من جانب واحد بل من جانبين.

## 12 / ب - كشف المفارقات المتناقضة في المجتمع ضد المؤنثة

تنطوي هذه المفارقات المتنامية على كشف محاباة الانساق البنائية للمجتمع الإنساني للمذكر ومجافاتها للمؤنثة بغض النظر عن كون المجتمع ريفي أو حضاري أو صناعي أو سمولي أو رأسمالي أو معلوماتي. ولما كان البناء لا يريد تغيير سياسة انساقه ولا الانساق ترغب في ذلك فإن ثباته يصبح مستقراً، وقد مرّت قرون من الزمن على وضعه المستكن والراكد إلا أن المجتمع لا يعرف الجمود والسبات بل الحركة الدائمة والدائبة بسبب تأثره بالعوامل والمؤثرات الخارجية التي تثير المكونات الداخلية فتقلب موازينها وتبدل مصالحها، وعندما يتأثر المجتمع بذلك بدوره يؤثر على انساق بنائه وأول من

يتصدع بهذا التغيير هو الخلية الصغرى في النسق الأسري والاجتماعي (ألا وهي العائلة) المتكونة من الزوج والزوجة.  
إلا أن هذه الخلية تمثل وكالة نقلية تنقل الثقافة الاجتماعية الموروثة عن الأجيال السالفة (مثل اللغة والدين والأخلاق والمعايير والتقاليد والأعراف وسواها). وما تقوم به العائلة في تنشئتها تنعكس على النشاط الاقتصادي في النسق الاقتصادي والصناعي وعلى النسق السياسي وهذا لا غبار عليه، إلا ان الذي عليه غبار هو ما يلي: -

إن المرأة هي الزوجة - المنجبة للأبناء أي المزودة للمجتمع بأعضاء جدد وهذا عمل اجتماعي جدير بالتقدير والتقدير، ثم تقوم هذه المنجبة بنقل مقومات الثقافة الاجتماعية من تعليم أبنائها المعايير والقيم الضبطية وهذا عمل أكثر جدارة وقواماً وتخليداً لتراث المجتمع وأخلاقه. إذن لولاها لما يصبح المجتمع نامياً وحاملاً لثقافة أجياله، بعدها تأتي مهمة الشأن المنزلي في تدبيره وتنظيمه وتغذية أفراد الأسرة، وهذه مسؤولية منزلية لا يمكن الاستغناء عنها تفترن بها وتصاحبها مسؤولية العمل خارج المنزل لمساعدة الزوج في مصدر رزق العائلة. جميع هذه المسؤوليات التي تقوم بها المرأة - الزوجة هناك عمليات بيولوجية تصاحب أدوارها الأنثوية وهي فترة الحمل والولادة والرضاعة والحيض. هذه أعباء بيولوجية طبيعية تواجهها كل انثى تقوم بها الزوجة لا يقوم بها الزوج وهي تؤثر مسؤوليتها الأنفة الذكر.

إذن نستخلص من أن الأعباء والمسؤوليات التي تحصل للمرأة - الزوجة (الخمسة) هي: -

- 1 - الأعباء البيولوجية - الانثوية.
- 2 - عملية الانجاب.
- 3 - التدبير المنزلي.
- 4 - العمل خارج المنزل.
- 5 - عملية التنشئة الأسرية.

جميع هذه الأعباء والمسؤوليات لا تنصفها وترحمها ثقافتها الاجتماعية ولا أسرتها ولا شريك حياتها أو أبنائها ولا حكام المجتمع وأرباب العمل بل يعتبروها:

- أ - سلة مؤقتة في سوق العمل.
- ب - غير جديرة في المهارات المهنية.
- ت - ضعيفة في الإنتاج المهني.

ث - كثرة التغيب عن العمل.

يترتب على ذلك أجور واطئة ومفاضلة الرجل عليها والاستغناء عنها إذا حصلت بطالة عند الرجل ومنحها نصف الارث الأسري أو حرمانها منه. فها هذا جزاء لمخلوقة قدمت كل شيء لشريك حياتها وابنائها وأسرتها ومجتمعها؟ أنها تراجيديا (مأساة) إنسانية عضال اشترك فيها أعتى العناصر وأصعب الحوائل الجمعية (الثقافية والسلطة الذكورية والنظام الاجتماعي) والمجتمع لا يتلفت اليها وهو بأمس الحاجة الى عطائها لأنها "الأرض المعطاء" - أن جاز التشبيه - المغذية للإنسان.... لم ينصفها أحد!!!

جدير بذكره بدراسة موضوع الجندر أن نفرق بين ما تفرضه الثقافة والسلطة والنظام والنسق من مفاضلة الذكر على الانثى وما يمارسه الذكر على الانثى من مفاضلة مصلحة، واستغلال مادي ومعنوي يرتبط بما تفرضه المؤثرات الأولى (الثقافة والسلطة والنظام والنسق) بل القوة الجسدية والنفوذ الاجتماعي والسلطة السياسية والأسرية والدخل المالي والمنصب الإداري.

هذا النوع من التفاضل الشخصي - الفردي تتم دراسته من قبل ميدان علم الإجرام وجنوح الاحداث وعلم ضحايا الإجرام. أما النوع الأول فإنه من اختصاص (الجندر) لأن المفاضلة مجتمعية وثقافية وسياسية واقتصادية وصناعية لا تستثني منها أحد وتُمارس علناً وبدون تردد بل يتباهى بها أمام الناس لأنها مدعومة من قبل الأغلبية الساحقة ومن قبل معاييرها وقيمها والنظام الاجتماعي.

وقد يتبادر سؤال الى الذهن مفاده لماذا يتفق الفرد مع المجتمع وثقافته ونسقه في مفاضلة الرجل على المرأة وهي أجزل المضحيات للرجل وللأسرة والمجتمع والنسق والثقافة؟ الجواب هو إن الأسرة أكثر ادراكاً لمسئولياتها الزوجية والأمومية والتنشئية والضبطية من الرجل وتعرف جسامة مسؤولياتها الإنسانية في مشاعرها وأحاسيسها من الرجل لذلك هي أكثر عاطفة منه. هذه المدركات الحسية عندها تجعل من الرجل غيوراً على شخصه (أي يغار منها) فيستخدم قوته الجسدية ليمارسها عليها ويستغل عمله خارج المنزل مستخدماً مصدره المالي لاستعلاء عليها واخضاعها لسلطته فيقوم وبتعمد وتقصد بتهميش دورها في الأسرة والمجتمع أو تعتيمة لكنه لا يستطيع استبعادها من الأسرة لأنها ركينتها ولأمن المجتمع لأنها نصفه إنما يقدر استبعادها لتحقيق هيمنته لذلك نرى المرأة الواعية بذلك (التهميش والاستبعاد) ملحة بمطالبتها بالمساواة في حقوقها وواجباتها مع الرجل. بتعبير آخر تطالب بعضاً من واجباتها التي كانت متحملتها

لتضعها على عاتق الرجل مثل الاعتناء بالتدبير المنزلي ورعاية الأطفال والاهتمام بمشاعرها وعدم استخدام العنف الجسدي واللفظي معها. بذات الوقت تأخذ بعضاً من الحقوق التي كان يحملها الرجل لتكون جزءاً من حقوقها مثل تخصيص جزءاً من ميزانية الأسرة لمصرفها الشخصي، منحها حقها في التعبير عن رأيها ومنحها الحرية في اتخاذ القرارات العائلية وحقها في الميراث الأسري وليس الاستيلاء عليه أو حرمانها منه ولها الحق في تطليق زوجها ولها الحق في رعاية أطفالها حتى بعد الطلاق وان تتزوج بعد أن تكون أرملة أو مطلقة وأن تختار زوجها بنفسها (إذا كانت غير متزوجة) ويحق لها بالسفر خارج البلد بمفردها وأن يكون لها حساب مصرفي خاص بها وأن تحضر الحفلات والمسارح بمفردها وسواها.

نردف الان الى مقولة أخرى ترى إن مفاضلة الرجل على المرأة هي مرآة عاكسة لما هو سائد من معايير المجتمع وقيم ثقافته هذا جائز لكنه من غير الجائز أن يدعي الرجل حقه في اغتصاب المرأة أو جعلها ضحية أو حرمانها من الميراث أو ليس لها الحق في تطليق زوجها إذا تعسرت علاقتهما أو يعنفها جسدياً ولفظياً أو يزني بالمحارم. إذ ليس من المعقول أن يسير المجتمع ويتقدم برجل عرجاء (الأولى أطول من الثانية) أو ير بعين عوراء أو حلاء والثانية سليمة. في الحالة الأولى لا تكن مسيرته سريعة ونظامية ولا في الحالة الثانية تكون رؤية كاملة وشاملة بل ناقصة. قولي ها ينطبق على ضرورة أن تكون حقوق وواجبات الرجل والمرأة متساوية ومتكافئة نوعاً وكماً وإلا فإن مسيرة المجتمع تكون معوقة وبطيئة وانتجه شحيح ووديء وهنا يتطلب تطبيق معادلة (التخلي والتبني) أي تخلي الرجل عن بعض من حقوقه لصالح المرأة وتبنيه بعض الواجبات التي كانت تتحملها المرأة. وعلى المرأة ان تتبنى تلك الحقوق المتخلى عنها من قبل الرجل وأن تتخلى عن الواجبات التي كانت تحملها لصالح الرجل. هذه المعادلة (التخلي والتبني) تصاحب كل تغير اجتماعي يحصل في المجتمع وبدونها لا يتقدم ولا يتطور.

لقد أسبرت غور موضوع المفارقات المتناقضة التي كشفها الجندر ولكي أجول طرداً مع موضوعي هذا أدلف الى مدار اتحاد العوالم الأربعة المتخذ ضد المؤنثة.

### **تحالف العوالم الأربعة ضد المؤنثة**

إذا أردنا أن نختصر نشاط الحركات النسوية في المساواة الجنسية في الوقت الراهن، نجدها تكمن في أربعة عوالم رئيسية وهي: -

أ - **عالم الأسرة:** التي تنحصر مطالب المرأة فيها على ما يلي: -

- 1 - إطلاق حريتها في اختيار شريك حياتها للزواج.
- 2 - منحها الحرية في اتخاذ قرارها بالطلاق من زوجها عند عدم انسجامها وتزايد مشاكلهما.
- 3 - السماح لها في تحديد عدد الإنجاب واستخدام وسائل ضبط النسل والإجهاض.

4 - عدم التدخل في شؤون تدبيرها المنزلي.

5 - احترام رأيها في القرارات الأسرية.

6 - مساعدة الزوج لها في التدبير المنزلي.

7 - مساواتها في استحقاقها في الإرث الأسري.

ب - **عالم العمل:** التي تنصب في الأمور التالية: -

1 - السماح لها في إشغال المنصب المناسب لخبرتها المهنية وتحصيلها الدراسي.

2 - منحها أجور مساوية لأجور الرجل الذي يحمل نفس خبرتها المهنية وتحصيلها الدراسي.

3 - استمرار دفع رواتبها أو أجورها عند استحقاقها لإجازات الولادة والأمومة والرضاعة.

4 - منحها التأمين الصحي لها ولأولادها.

5 - السماح لها بالعودة لعملها بعد إجازاتها الأسرية.

ت - **عالم الثقافة الاجتماعية:** التي تتضمن ما يلي: -

1 - عدم إخضاعها للسلطة الذكورية (البطريقية) بل السماح لها في ابداء رأيها واحترامه واتخاذ القرارات التي تهم شأنها الشخصي.

2 - عدم مفاضلة الذكر عليها في الاعتبار والنفوذ الاجتماعي والأسري.

3 - عدم النظر إليها بأنها مسترجلة إذا عملت خارج المنزل.

4 - إشراكها في المهرجانات التقانية وإبراز ابداعاتها فيها.

ث - **عالم السياسة:** التي تشمل ما يلي: -

1 - السماح لها بالتصويت الانتخابي أسوة بالرجل في المجالس الشعبية والبلدية والبرلمانية والرئاسية.

2 - عدم ممانعتها بالانخراط في الحركات السياسية والاجتماعية.

3 - السماح لها بالانتماء للأحزاب السياسية المعارضة لسياسة الحكومة.

4 - اشراكها في التمثيل الدبلوماسي الخارجي - الدولي.

5 - فتح الأبواب أمامها بإشغال مناصب سيادية.

عند احقاق هذه الحقوق المتمثلة في أربعة عوامل نستطيع أن نقول بأن هناك مساواة جنسية في المجتمع ولا ندع هذه المساواة تخضع لضغوط خارجية قاهرة مثل الاستعمار الأجنبي أو الاحتلال كما احتلت أمريكا لليابان وأقامت بعض الإصلاحات لا حياء في المرأة اليابانية بل للحاجة اليها في المرحلة الجديدة. أو كما يحصل في ابتكارات تقانية حديثة تتطلب استخدام العنصر الناعم فيها، أو عندما يحصل سقوط أو انهيار نظام سياسي في بلد ما حصل في المعسكر الشيوعي في أوروبا الشرقية لكن هذه القوى الخارجية الصارمة والجسورة لا تنجح بالكامل مالم ترافقها حركة إصلاحية داخلية من قبل اصلاحيين وطنيين من الرجال والنساء مؤمنين بالتغيير الجديد والحاجة الى أيدي عاملة وطنية من كلا الجنسين مثل ما حصل في اليابان وروسيا والصين. او عندما يبرز زعيم وطني شعبي يطالب بالتغيير الشامل والجذري مثل ما حصل في الصين أبان زعامة (ماو تسي تونغ) و (لينين) في روسيا و (نهرو) في الهند. السؤال هنا لماذا تنتظر المرأة لهذه المؤثرات الخارجية والداخلية لكي تنصف حقها في دورها ومكانتها الاجتماعية والثقافية الوطنية؟ لماذا هذا الاستبعاد والتهميش من قبل الثقافة الاجتماعية الوطنية المتمثلة بالسلطة الذكورية البطريقة والتعصب العرقي والرسى... لماذا؟ لماذا تنتظر للقوى الخارجية الأجنبية لتحريرها من هيمنة السلطة والرجل الوطني؟ هل هذا مرتبط بالجينات الذكورية؟ أم بالجينات الأنثوية؟ ألم تكن المرأة أم الرجل واخته وزوجته التي يحبها ويقدها؟ ألم تُنشئه تنشئتها التي تريدها؟ لماذا يتنكر لها؟

إذن الحاجة المصلحية وبالذات المادية أقوى من الروابط الدموية الأبوية والأسرية. كذلك المصلحة الشخصية المادية عند أرباب العمل أقوى وأرحم من المصلحة الوطنية والاجتماعية، كذلك المصلحة السياسية الانتهازية أقوى من المصلحة الوطنية.

أخيراً أقول إن المطالبة بالمساواة الجنسية أمامها حوائل عاتقة متعددة ومتنوعة جمعية وفردية، سياسية وثقافية، أسرية وحزبية تجمعهم جميعاً المصلحة الشخصية لا الجمعية، والفئوية لا القومية، والحزبية لا الوطنية، والمادية لا المعنوية والأخلاقية والطائفية لا الدينية. وهكذا أخيراً أقول بأن المرأة تساهم جزئياً في عدم مساواتها الجنسية بالرجل لأنها أيضاً تفضل الولد على البنت بعد زواجها وانجابها للأطفال إذ تتمنى أن تلد ولداً على البنت وعند ولادتها للأولاد



والبنات فإنها تهتم بالأولاد وترعاهم أكثر من البنات كذلك قصورها في عدم الاشتراك في منظمات تطالب بحقوقها المهدورة ثقافياً وقانونياً جعل الرجل يستمر في تهميشها واستعبادها لذا يتطلب من المرأة ان تكون جريئة وجسورة ومتحدية سرقة حقوقها ومضاغفة واجباتها المنزلية والأسرية والمجتمعية.

## 12 / ت - صيرورة الجندر

ثمة حقيقة بارزة تجدر ملاحظتها عند دراسة موضوع الجندر في مجتمعات نظمها السياسية. لن النوع الجنسي (الجندر) لا ينبع من الاختلافات البيولوجية (ذكر وانثى) بل يصدر ويتطبع بشكل كبير من قبل ثقافة المجتمع السائدة فيه واعراقه القومية ونظام حكمه ومرحلة تطوره.

حيث كلما كانت ثقافة المجتمع تقاليدية ومحافظة وعريقة تغلب وتتوفق الاختلافات البيولوجية على نوع الجنسي (الجندر) بمعنى تكون حقوق الذكر أكثر وأفضل من حقوق المرأة ومكانته أعلى من مكانتها ودخله أعلى من دخلها ومسئوليتها الأسرية أكثر وأوسع من مسؤوليته وقوته وسلطته الأسرية أعلى من سلطتها. والعكس صحيح إذا كانت ثقافة المجتمع حضرية وتقانية - مادية يضحى النوع الجنسي (الانوثة والرجولة) متساوٍ في الحقوق والواجبات والمكانات والأدوار. والحالة متشابهة لحالة الثقافة الاجتماعية مع التنوع العرقي - القومي إذ تمسي حقوق الرجل أكثر وأفضل من حقوق المرأة ومكانتها أدنى منه لكن دورها الأسري يكون أوسع وأكثر من دوره داخل الأسرة بسبب وجود أغلبية اجتماعية وأقليات اجتماعية وعرقية التي لا تسوده العدالة والمساواة الاجتماعية.

وعندما يكون النظام السياسي شمولي (نظام الحزب الواحد الحاكم) أو العشائري أو الاقطاعي أو الأسري فإن حقوق الرجل تكون أكثر وأفضل من حقوق المرأة، اما واجباتها فإنها تكون أوسع وأكثر من واجباته. وعندما يكون النظام الاجتماعي بطريقي (تسلط الرجل على الأسرة) فإن حقوق الرجل تكون أعلى من حقوق المرأة وواجباته أقل منها.

هذه الحقائق يجب ملاحظتها عند دراسة التنوع الجنسي (الجندر) في المجتمع الإنساني. لكن هذه الحقائق الاجتماعية ليست بثابتة وقاره لا تتغير بل تتغير مع تغير المجتمع وانتقاله من مرحلة تقليدية الى تنموية ومن الريفية للمتحضرة ومن الاقطاعية للصناعية وهكذا فمن جملة التغيرات التي تصيب المجتمع هي النوع الجنسي (الجندر) لأن المرأة كفرد في المجتمع تكتسب التعليم والثقافة والتطلع للمستقبل والاحتكاك الحضاري مع حضارات أخرى مما يزداد وعيها بواقعها

المحبوس والمسجون في قوالب نمطية ثقافية وبيروقراطية وبطريقة وعرقية وسياسية، فنتجت عن التحرر من هذه النمطيات المتعددة والمتنوعة عن طريق تعلمها و عملها لكي تصبح مستقلة بذاتها مادياً على الأقل. ولما كانت تمثل نصف المجتمع أو أكثر فإن خوف الرجل من حجمها السكاني وأهميتها في واقع الأسرة يكون كبيراً وفعالاً.

وبناءً على ذلك نستطيع أن نستدل عما تقدم ونقول إن النوع الجنسي (الجندر) لا يتأثر بالاختلافات البيولوجية بين الذكر والانثى في المجتمعات الحضرية والرأسمالية والصناعية والمعلوماتية بل يتأثر بالمجتمعات البدوية والريفية والاقطاعية والدينية والطائفية والشمولية والتقاليدية والمحافظة.

إذن هما يتجاذبان في هذه المجتمعات لكنهما يتنافران في المجتمعات الحضرية والصناعية والرأسمالية والمعلوماتية هذه ثوابت اجتماعية حصلنا عليها من خلال تطور المجتمعات الإنسانية. ومن نافلة القول إن هذه التنافرات تبرز بين النوع الجنسي (الجندر) والاختلاف البيولوجي في المجالات التالية: -

- 1 - في التعليم..... المرأة أقل تعليماً من الرجل.
- 2 - في العمل..... المرأة أقل انخراطاً من الرجل في العمل.
- 3 - في أجور العمل..... المرأة تحصل أقل اجوراً من الرجل في العمل.
- 4 - في المشاركات العامة في الحياة العلمية والرسمية، المرأة تشارك أقل من الرجل.

لكن المحطمة لهذه الحواجز القائمة بين الرجل والمرأة لا تكن جميعها من داخل المجتمع بل من خارجه في أغلب الأحيان مثل: -

- 1 - العولمة.
- 2 - التجارة العالمية الحرة.
- 3 - التطور التكنولوجي المتقدم.
- 4 - الاتصالات الالكترونية الفورية والكمبيوتر.
- 5 - الديمقراطية.
- 6 - المنافسة الحرة.
- 7 - التعليم الالزامي.
- 8 - المنظمات الشعبية التطوعية.

أما العوامل المعززة للفوارق والحواجز بين الاختلاف البيولوجي والجندر فهي ما يلي: -

- 1 – الحروب الاهلية والكونية والدولية.
  - 2 – الثورات والانقلابات العسكرية.
  - 3 – الحكم العسكري.
  - 4 – النظام البطريقي.
  - 5 – البطالة والحصار الاقتصادي الدولي.
  - 6 – المتقف المدجن والجلاد.
  - 7 – انتشار الأمية.
  - 8 – الحكم الطائفي – الديني والعرقى.
- نأتي الآن الى عرض مؤشرات تكافؤ حقوق وواجبات الجنسين في المجتمعات الإنسانية فهي ما يلي: -
- 1 – خروج المرأة للعمل خارج المنزل.
  - 2 – استقلال المرأة مادياً واقتصادياً.
  - 3 – لها صوت في اتخاذ قرارات خاصة بها وبأسرتها.
  - 4 – عدم ممارسة العنف ضدها من قبل الرجل أو المجتمع.
  - 5 – حصولها على مواقع بيروقراطية متنفذة ومتحاصصة.
  - 6 – حريتها في اختيار شريك حياتها.
  - 7 – لها الحرية في اتخاذ قرارها في حالة طلاقها من زوجها.
- 12 / ث – تحرير المؤنثة من قيود السلطة الذكورية كلياً وليس نظرياً**
- أي ومن أجل تحرير المؤنثة من قيود السلطة الذكورية والثقافية وقوانين المانو الهندية والمبادئ الكونفوشيوسية يتطلب ويتوجب تحريرها في الشؤون والأمور التالية: -
- 1 – تنمية دور الأم وتنقيفها في تنشئة أبنائها ونجاح الحياة الأسرية.
  - 2 – تقليص الحجم السكاني.
  - 3 – التنقيف الصحي للمرأة.
  - 4 – إرقاء ووعيها الرسمي والسياسي.
  - 5 – ممارسة ووعيها كجماعة ضاغطة على الحكومة في الشؤون الأسرية (مثل ما عملت الزوجة الأندونيسية في موضوع تعدد الزوجات).
  - 6 – تقليص أعباء الزوجة عبر تقنين الإنجاب واثبات قوتها في الأسرة وجعل صوتها مسموعاً لا يخضع لسلطان الرجل.

- 7 – إيقاف الممارسات العنيفة الجسدية واللفظية عليها من قبل الرجل.
- 8 – انخراطها في التنظيم النقابي – المهني.
- 9 – رفع أجورها التي كانت متدنية.
- 10 – دفع أجور إضافية لها في حالة ولادتها وأمومتها ومنحها إجازة عند الطمث (مثلما عملت الزوجة الأندونيسية).
- 11 – تحولها من خادمة للزوج الى مشاركة فعالة في اسرتها مثل ما حصل في الصين.
- 12 – منحها حق التطليق والارث وإلغاء المهور والسماح لزواج الأرملة وعدم تسلط الزوج عليها (مثل ما حصل في الصين).
- ومما تجدر ملاحظته عند دراسة الجندر في بلدان مختلفة وجود مبادرات بديعة في مدنيته وإنسانيتها مثل ما قامت به الزوجات الاندونيسيات (في منع تعيين الموظفين في دوائر الدولة لكل من يتزوج بأكثر من زوجة واحدة لكي لا تتقاطع مع التعاليم الإسلامية السائدة في البلد) وما قامت به الحكومة اليابانية في عدم المساس بالمحرمات الثقافية اليابانية في ملئ الثغرات الكبيرة في صفوف القوى العاملة يفتح باب الهجرة للأجانب الى اليابان حتى لا تتجنى على العادات والمعتقدات الأسرية والدينية والثقافية اليابانية.
- وما دمنا في حدود اغراضنا نتناول الموضوع التالي: أو ان أذكر على سبيل الملاحظة الى ان ليس كل حكومة أو تنظيم أو زعيم أمة ينادي بالمساواة الجنسية يكون صادقاً في مناداته لأن قوله قد لا يكون مترجماً على أرض الواقع. فمن خلال دراستنا للجندر في مختلف دول العالم استطعنا أن نشخص ثلاثة أنواع من الطروحات لهذا الموضوع وهي: -
- 1 – المناداة الصوتية، أو الهتافات الكلامية فقط بها لإظهار أنهم أصحاب اراء حرة في تحرير المرأة من قيود ذكرية وثقافية ودينية أمثال جميع حكام الدول العربية والأفريقية الذين فتحوا وكالات نسوية تنادي بمساواة المؤنثة بالذكر (الجنوسة) لفظاً لكن في واقعها هي وكالة لتلميع سياسة حكمهم سياسياً واعلامياً لا تأخذ بالمساواة لا على صعيد الحقوق ولا الواجبات.
- 2 – مناداة لإسكات منظمات متطرفة في تحرير المرأة من قيود رسمية وعرفية وتجميد العديد من الحركات النسوية التي كانت تطالب بالمساواة مع الرجل وتحريك الشارع (كما حصل في اندونيسيا أبان حكم سوهارتو). أعني استخدام

المناداة كورقة ضاغطة على المعارضة السياسية لإسكاتهم ولإيقاف المطالبة بمشاركة (المؤنثة) بالمناصب السياسية.

3 – مناداة صادقة في قولها وفعلها في تحرير المرأة من قيود رسمية وعرفية وتقريب حقوقها من حقوق الرجل وتقريب واجبات الرجل من واجباتها مثل مناداة الأمم المتحدة، وفي اندونيسيا بعد عام 1998م من قبل جماعة (قوة الرجل) وفي الصين عند صدور القانون الإصلاحى عام 1980م والقانون الإصلاحي الأخر فى عام 2001م والتشريعات الروسية عام 1917م التي أنصفت المرأة الروسية وحركة جلانغ الهندية التي ظهرت فى القرن التاسع عشر وما قام به (جواهر نهرو وغاندى) فى الهند الذين منحوا المرأة حقوقها فى الإرث والطلاق والتصويت كذلك (اندريا غاندى) واصلاحها الشهير عام 1984م فى مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل ثم هناك حركات نسوية هندية ناشطة وفاعلة فى التغيير. ثم هناك التطبيقات الديمقراطية فى اليابان عام 1947م وفى عام 1994م حيث أسست الحكومة اليابانية دائرة خاصة بالجندر حول المساواة والإصلاحات الجندرية فى عامي 1997م و1999م.

## المصادر العربية

- 1 – العمر، معن خليل. 2012م. "جرائم مستحدثة". دار وائل – عمان
- 2 – العمر، معن خليل. 2009م. "علم ضحايا الإجرام". دار الشروق – عمان
- 3 – العمر، معن خليل. 2016م. "حقول مستحدثة في علم الاجتماع". دار الشروق – عمان
- 4 – البحراني، زينب. 2012م. "نساء بابل" ترجمة مها حسن بحبوح. شركة مدمس للنشر – بيروت
- 5 – العمر، معن خليل. 2000م. "معجم علم الاجتماع". دار الشروق – عمان
- 6 – الخاقاني، عيسى بن عبد الحميد. 2013م. "أصول التربية". دار الأمير – بيروت
- 7 – اللادقاني، محي الدين. 2012م. "الانثى مصباح الكون". دار مدراك للنشر – بيروت
- 8 – العمر، معن خليل. 2013م. "علم الاجتماع الإسلامي". دار الزهراء – الرياض

## المصادر الأجنبية

- 1 – Bessant, Judith and Watts, Rob. 2007. "Sociology" Allen and Unwin. NSW – Australia
- 2 – Kendall, Diana. 2012. "Social Problems" Allyn and Bacon Pearson, Boston MA.
- 3 – Anderson, Margret and Taylor, Howard. 2013. "Sociology" Wadsworth cengege learning, Australia
- 4 – Jenainati, Cathia and Groves, Judy. 2007. "Introducing Feminism" I can books Ltd. UK
- 5 – Vankrieken, Robert and etals. 2006. "Sociology" Harper Collins Pub. Australia
- 6 – Thomsen, Natasha. 2007. "Women's Rights" Infobase Publishing. New York
- 7 – Giddens, Anthony. 1994. "Sociology" Poltix press Blazckwell pub. Oxford. UK
- 8 – Lehti, Mariti and Aromaa, Kauko. 2002. "Trafficking in Human Beings, Illegal immigration". Helsinki University Press. Helsinki, Finland
- 9 – Glonti, Georgi. 2004. "Human Trafficking" (ed.) Organised Crime. Trafficking, Drugs Nevala, Sami Aramma Kanko Hakapoino OY. Helsinki, Finland
- 10 – Spriggs, Merle and Julina Savulesch. 2006. "Ehtics of Sargically assigning fir intersex children". In David Benat (ed.) Cutting to the care: Explering the Ethics of contested surgeries, Canham MD, Rowman and Little Field.
- 11 – Foucault, Michael. 1990. "The uses of pleasure" Volume II of Robert Huerley (trans) the history of sexuality. New York

- 12 – Lindsey, Linds. 2011. "Gender Roles" Prentic Hall. New York.
- 13 – Stearman, Kevin and Boyd, Tony. 2003. "Understanding Political ideas and movement". Manchester University press. New York
- 14 – Healey, Justine. 2014. "Gender Discrimination and Inequality". The Spinney presses. Australia
- 15 – Mawby, R. I. and Gill, M. L. 1989. "Crime Victims". Tavistock pul. London
- 16 – Loraux, Nicole. 1989. "Mother in Mouring" with the Essay of Amuasty and its opposite carinne poche thaco. N. Y. Cornell University.
- 17 – Glement, Barbare Evans, Rebecea Friedman and Dan, Healey (eds.). 2002. "Russian Masculinities in History and Culture". Houndmills, Hampshine. UK. Polgrave.
- 18 – Lindsey, Lindal. 2007. "Impact of globalization on woman in China". Midwest Sociological Society Chicago.
- 19 – Potts, Malcolm. 2006. "China's one child Policy". The policy that change the world. British medical journal.
- 20 – Brook, James. 2005. "Fighting to protect her gift to Japanese woman". New York Times, may 28 International.
- 21 – Hori, Haruhiko. 2009. "Labor market sagmention and the gerider wage gap". Japan laber review.
- 22 – Tsuya, (etal.). 2005. "Is the gender divison of laber manging in Japan?". Aisa population studies.
- 23 – Liddle, Joanna and Sackiko Nokojima. 2000. "Rising suns Rising Daugh Gender". Class and power in Japan. London. Zed.



- 24 – Notter, David. 2000. "Towards a cultural analysis of modern family". *Beyond the revisionist paradigm in International Journal of Japanese Sociology*.
- 25 – Mitter, Sara S. 1991. "Dharma's Daughters". *Contemporary Indian women and Hindu culture* New Brunswick Rutgers University.
- 26 – Roy, Ranjan. 1994. AIDS explosion fear in India's prostitute. *Town's St. Louis Post Dispatch* March
- 27 – Howitt, Bernie and Jullin, Robin. 2009. "Sociology and culture". Pearson Sydney.
- 28 – Anastaskos, Kiki. 2002. "Structural adjustment policies in Mexico and Costa Rica in Rakha Datta and Judith Kohnberg (eds.) *women in Developing countries Assessing strategies for Empowerment*.
- 29 – Mir – Hosseini Ziba. 2001. "Iran Emerging feminist Voices". In Lynn Walter, (ed.). *Women Right A Global View*.
- 30 – Nydell, Margaret. 2012. "Understanding Arabs intercultural". Press London
- 31 – Sasson, Levy, Orna. 2003. Feminism and military gender practices: Israeli women soldiers in masculine, *sociological Inquiry* 73.
- 32 – Bergqvist, Christina and Anita Nyberg. 2002. "Welfare state restructuring and child care in Sweden in Sonya Michel and Rianne Mahon" (eds.) *child care policy at the crossroads Gender and welfare state Restructuring*.

## المصادر الإلكترونية

- 1 – [www.alnoor.se](http://www.alnoor.se)
- 2 – [www.alnoor.se.articale](http://www.alnoor.se/articale)
- 3 – [www.maghress.com](http://www.maghress.com)
- 4 – [www.awalduna.biogspot.com](http://www.awalduna.biogspot.com)
- 5 – <https://en.m.wikipedia.org>
- 6 – [www.al-madar.net](http://www.al-madar.net)
- 7 – [www.maghress.com](http://www.maghress.com)
- 8 – <https://religmag.com>
- 9 – [www.m.ahewar.org](http://www.m.ahewar.org)
- 10 – <https://ar.islamway.net>
- 11 – [www.alukah.net](http://www.alukah.net)
- 12 – [www.iraqieconomisits.net](http://www.iraqieconomisits.net)
- 13 – [www.alarabiya.net](http://www.alarabiya.net)
- 14 – [www.basic.ed](http://www.basic.ed)
- 15 – [www.uoboby-lon.edu](http://www.uoboby-lon.edu)
- 16 – [www.unesco.org](http://www.unesco.org)
- 17 – [www.who.net](http://www.who.net)
- 18 – [www.syr-res.com](http://www.syr-res.com)
- 19 – [www.sayidty.net](http://www.sayidty.net)
- 20 – [www.aljadeedmagazine.com](http://www.aljadeedmagazine.com)
- 21 – [www.rimalattrach.com](http://www.rimalattrach.com)

## إصدارات المؤلف

سوف لا يكون حصري لمؤلفاتي حسب تسلسل إصدارها الزمني بل حسب مواضيعها التي صنفتها كالآتي: -

أ - دراسات نقدية لاستبداد واستفراد رؤساء وحكام الأنظمة السياسية العربية والغربية والمنظمات الدولية الكبرى تم نشرها في المؤلفات التالية: -

1 - علم اجتماع الفضايح - دار الشروق - عمان / 2017م

2 - علم اجتماع الثورة - دار وائل - عمان / 2014م

3 - ثقافة الاستبداد - دار وائل - عمان / 2018م

4 - المعضلة العراقية - دار الشروق - عمان / 2014م

5 - نخب العراق الحاكمة - دار الشروق - عمان / 2016م

6 - تراجيديا العراق الحديث - دار وائل - عمان - تحت الطبع

ب - دراسات تشخيصية تجلت في كشف استعباد الاستعمار المجتمعي وظلمه للمرأة والطفل والمسن في المجتمعات الغابرة والحاضرة تضمنتها المؤلفات التالية: -

7 - علم اجتماع الجندر - دار الشروق - عمان / 2015م

ت - دراسة تحليلية وعلاجية للفقير والفقراء كشف عنها كتاب: -

8 - علم اجتماع الفقر - دار الزهراء - الرياض / 2019م

ث - مساهماتي التنظيرية في تقييم وتقويم أدبيات علم الاجتماع الغربي التي سجلتها في مؤلفاتي التالية: -

9 - نقد الفكر الاجتماعي المعاصر - دار أفاق الجديدة - بيروت / 1982م

10 - انشطار المصطلح الاجتماعي - مطابع جامعة بغداد - بغداد / 1990م

11 - ثنائيات علم الاجتماع - دار الشروق - عمان / 2001م

12 - حقول مستحدثة في علم الاجتماع - دار الشروق - عمان / 2017م

13 - جدلية الفرد والمجتمع في علم الاجتماع - دار الشروق - عمان / 2019م

14 - نحو نظرية عربية في علم الاجتماع - دار البيان - الشارقة / 1989م

15 - نحو علم الاجتماع عربي - وزارة الثقافة العراقية / 1984م

ج - دراسات اهتمت وفصلت الفساد الحكومي والدولي في الجرائم والجنوح، نشرتها في المؤلفات التالية: -

- 16 - التفكك الاجتماعي - دار الشروق - عمان / 2007م
- 17 - جرائم مستحدثة - دار الشروق - عمان / 2012م
- 18 - علم ضحايا الإجرام - دار الشروق - عمان / 2009م
- 19 - علم اجتماع الانحراف - دار الشروق - عمان / 2009م
- 20 - الجريمة المنظمة والإرهاب - دار الشروق - عمان / 2013م
- 21 - علم اجتماع العنف - دار الشروق - عمان / 2010م
- 22 - الغاشمة بالغاظمة والجريمة المنظمة - دار الزهراء - الرياض / تحت الطبع
- 23 - جرائم الاحتيال - مطابع جامعة نايف - الرياض / 2004
- 24 - الرعاية اللاحقة - مطابع جامعة نايف - الرياض / 2006م
- ح - دراسات بنيوية - وظيفية لبعض المجتمعات العربية تناولتها المؤلفات التالية: -
- 25 - مجتمع الإمارات والمفاعيل الثلاثة - دار الكتاب الجامعي - العين / 2000
- 26 - المجتمع العُماني - دار الكتاب الجامعي - العين / 2014
- 27 - رواد علم الاجتماع في العراق - وزارة الثقافة العراقية / 1990م
- خ - مؤلفات متنوعة لحقوق علم الاجتماع وهي ما يلي: -
- 28 - المدخل الى علم الاجتماع / مشترك - مطبعة جامعة بغداد / 1980م
- 29 - المدخل الى علم الاجتماع / مشترك - دار الشروق - عمان / 1992م
- 30 - المدخل الى علم الاجتماع - دار الكتاب الجامعي - العين / 2016م
- 31 - تاريخ الفكر الاجتماعي - مطبعة جامعة بغداد - بغداد / 1985م
- 32 - مشكلات اجتماعية / مشترك - مطبعة جامعة بغداد - بغداد / 1991م
- 33 - البناء الاجتماعي - دار الشروق - عمان / 1990 ط1 - 1992 ط2 - 1997 ط3
- 34 - الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي - دار الافاق الجديدة - بيروت / 1983م
- 35 - علم اجتماع الأسرة - دار الشروق - عمان / 1994 ط1 - 2000 ط2 - 2003 ط3

- 36 - مناهج البحث في علم الاجتماع - دار الشروق - عمان / 1995م ط1  
- 1997م ط2
- 37 - نظريات معاصرة في علم الاجتماع - دار الشروق - عمان / 1997م  
ط1 - 2001م ط2
- 38 - علم المشكلات الاجتماعية - دار الشروق - عمان / 1998م
- 39 - علم اجتماع المعرفة - دار الأمل - أربد - الأردن / 1993م
- 40 - علم اجتماع الفن - دار الشروق - عمان / 2000م
- 41 - علم الاجتماع المعاصر - دار الشروق - عمان / 2000م ط1 - 2006م  
ط2
- 42 - معجم علم الاجتماع المعاصر - دار الشروق - عمان / 2000م ط1 -  
2006م ط2
- 43 - التنشئة الاجتماعية - دار الشروق - عمان / 2003م
- 44 - التغيير الاجتماعي - دار الشروق - عمان / 2003م
- 45 - علم الاجتماع التطبيقي - دار الشروق - عمان / 2005م
- 46 - الضبط الاجتماعي - دار الشروق - عمان / 2006م
- 47 - التفكك الاجتماعي - دار الشروق - عمان / 2005م
- 48 - قضايا اجتماعية معاصرة - دار الكتاب الجامعي - العين الإمارات /  
2001م
- 49 - الحركات الاجتماعية - دار الشروق - عمان / 2010م
- 50 - علم اجتماع المعرفة (طبعة منقحة) - دار الشروق - عمان / 2007م
- 51 - علم اجتماع المثقفين - دار الشروق - عمان - 2009م
- 52 - البحث التطبيقي في علم الاجتماع - دار الكتاب الجامعي - العين /  
2017م
- 53 - علم الاجتماع الديني - دار الشروق - عمان / 2015م
- 54 - الفكر الاجتماعي - دار الكتاب الجامعي - العين / 2017م
- 55 - علم اجتماع الاتصال - دار الزهراء - الرياض / 2018م
- 56 - قواعد البحث الاجتماعي - دار الكتاب الجامعي / تحت الطبع
- 57 - افاق علم الاجتماع التطبيقي - دار الكتاب الجامعي / تحت الطبع
- 58 - علم اجتماع الديمقراطية - دار الشروق - عمان / 2014م

59 – علم اجتماع الديمقراطية – دار الشروق – عمان / 2014م